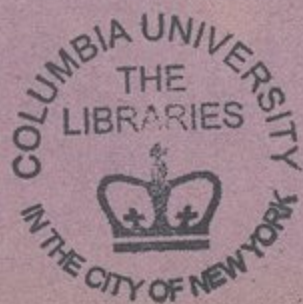
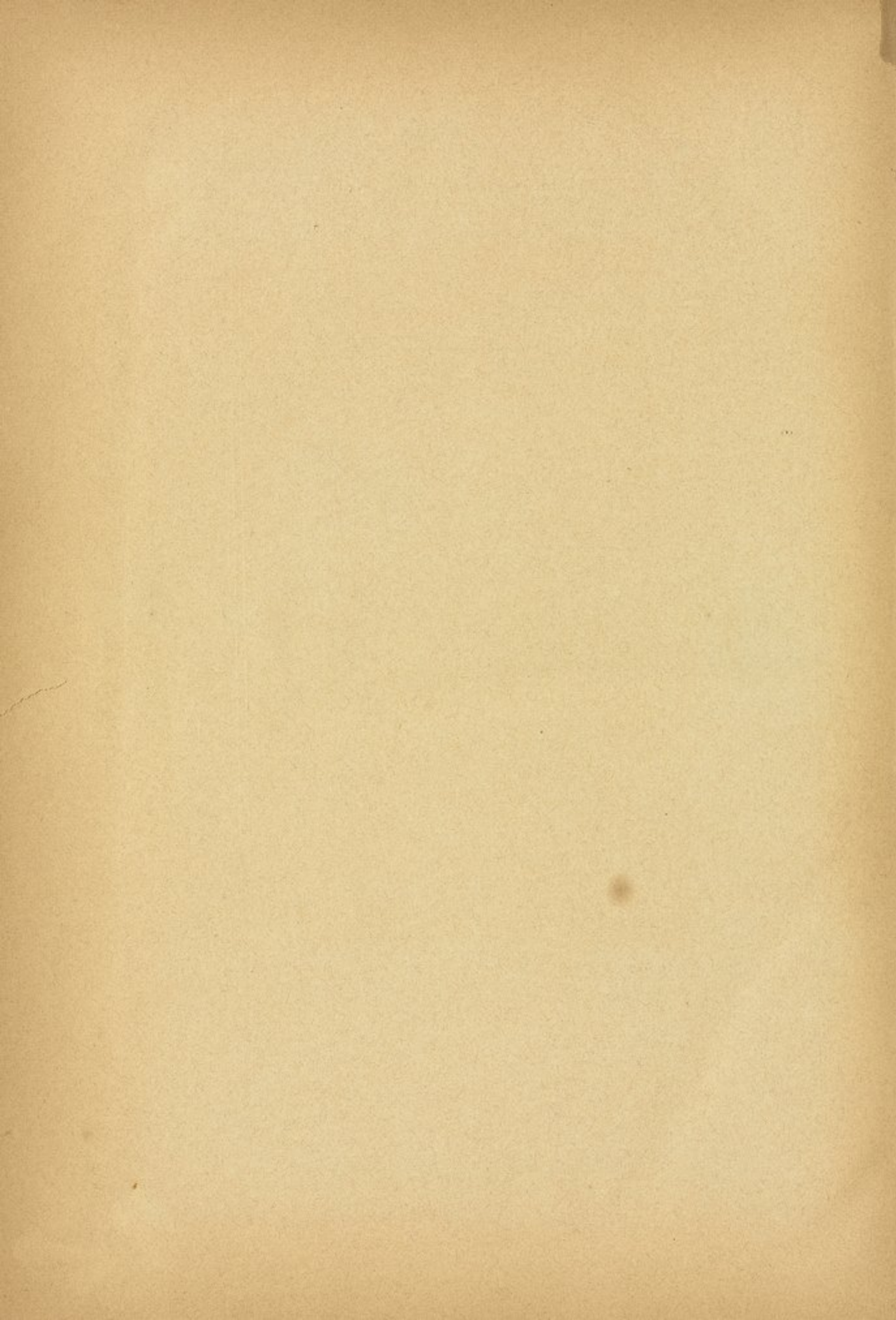






W. Arthur Jeffery





* فهرسة الجزء الرابع من تفسير
الحافظ ابن كثير *

* فهرسة الجزء الرابع من فتح البيان *

صحيفة

صحيفة

سورة الانعام ٠٣٨
سورة الاعراف ١٧٠
سورة الانفال ٢٨٥
سورة التوبة ٣٤٣

سورة الانفال ٠٢
سورة براءة ٦١
سورة يونس ١٨٤
سورة هود ٢٧٧

* (تمت) *

* (تمت) *

Batistax
BP
130.4
.M79
18825
v. 4

(الجزء الرابع)

من التفسير المسمى فتح البيان
في مقاصد القرآن للسيد الامام المجتهد المحقق
الهمام المؤيد من مولاة القدير الباري أبي الطيب
صديق بن حسن القموجي البخاري ملك
مدينة بهو بال حالابا لقطار الهندية
لا زالت كوكا كب فضله
في الافاق زاخرة

مضميه

آمين

وبهامشه تفسير الامام الجليل الكبير الحافظ عماد الدين أبي القداء اسمعيل بن عمر بن
كثير القرشي الدمشقي المولود سنة سبع مائة وعشرة المتوفى سنة سبع مائة وأربعة وسبعين
وهذا التفسير جليل فسر بالاحاديث والآثار مستندة من اصحابها مع
الكلام على ما يحتاج اليه جرحا وتعديلا اه من كشف الظنون



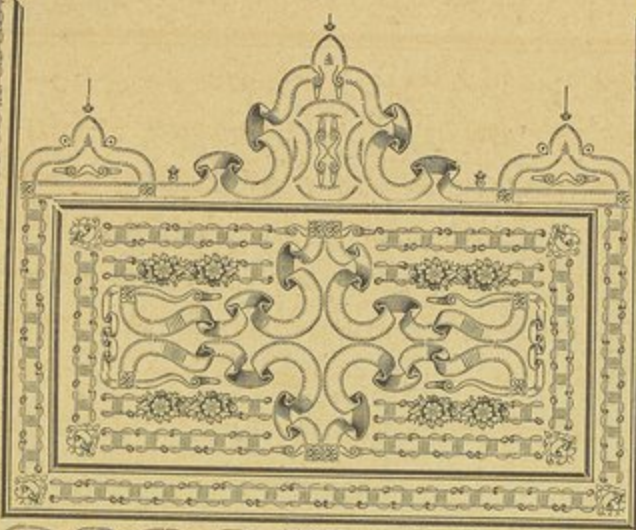
* (الطبعة الاولى) *

(بالمطبعة الكبرى الميرية بيولاقي مصر المحمية)

سنة ١٣٠١ هجرية

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسياحة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرموا تقوا الله الذي ليسه تحشرون جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شئ عليم اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في رواية عنه وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وغيرهم في قوله تعالى أحل لكم صيد البحر يعني ما يصاد منه طريا وطعاما يتزود منه ممحليا يساوق قال ابن عباس في الرواية المشهورة عنه صيده ما أخذ منه حيا وطعامه ما لفظه ميتا وهذا روى عن أبي بكر الصديق وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو وأبي أيوب الانصاري رضى الله عنه وعكرمة وأبي سلمة بن عبد الرحمن وابراهيم النخعي والحسن البصرى قال سليمان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن أبي بكر الصديق أنه قال طعامه كل ما فيه رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن جيسد



بسم الله الرحمن الرحيم

* (سورة الانفال) *

صرح كثير من المفسرين بأنهم امدنية لم يستنوا منها شيئا وبه قال الحسن وعكرمة وجابر ابن زيد وعطاء وعبد الله بن الزبير وزيد بن ثابت وعن ابن عباس أنه قال نزلت في بدر وفي لفظ تلك سورة بدر قال القرطبي وعنه هي مدينة الاسبع آيات من قوله واذ يكرهك الذين كفروا الى آخرها يعني فانها مكية (قلت) وان كانت في شأن الواقعة التي وقعت بمكة فلا يلزم أن تكون كذلك فالآيات نزلت بالمدينة تذكيرا له بما وقع في مكة فهذا القول ضعيف والاول هو الاصح وجملة آياتها خمس أو ست أو سبع وسبعون آية وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ بها في صلاة المغرب كما أخرجه الطبراني بسند صحيح عن أبي أيوب

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(يسألونك) يا محمد (عن الانفال) جمع نفل محر كاو هو الغنمة أى الغنائم لمن هى وبه قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وأكثر المفسرين على أنها نزلت في غنائم بدر وأصل النفل الزيادة وسميت الغنمة به لانها زيادة فيما أحل الله له هذه الامة مما كان محرم على غيرهم أو لانها زيادة على ما يحصل للمجاهدين من أجر الجهاد ويطلق النفل على معان أخر منها اليمين والابتغاء ونبت معروف والنسافة التطوع لكونها زائدة على الواجب والنسافة ولد الولد لانه زيادة على الولد وهو سؤال استفئاء لان هذا أول نشر بيع الغنمة

حدثنا جرير عن مغيرة عن سماك قال حدثت عن ابن عباس قال خطب أبو بكر الناس فقال أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وطعامه ما قذف قال وحديث يعقوب بن علي عن سليمان التيمي عن أبي مجاز عن ابن عباس في قوله أحل لكم صيد البحر وطعامه قال طعامه ما قذف وقال عكرمة عن ابن عباس طعامه قال ما لفظ من ميتة ورواه ابن جرير أيضا وقال سعيد بن المسيب طعامه ما لفظه حيا أو حسر عنه فوات رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب عن نافع أن عبد الرحمن بن أبي هريرة سأل ابن عمر فقال ان البحر قد قذف حيتانا (٣) ككثرة ميتة أفنا كلها فقال لا تأكلوها

فلم يرجع عبد الله إلى أهله أخذ المحفف فقرا سورة المائدة فأتى هذه الآية وطعامه متاعا لكم وللسيارة فقال اذهب فقل له فليأكل فإنه طعامه وهكذا اختار ابن جرير أن المراد بطعامه مامات فيه قال وقد روي في ذلك خبر وان بعضهم يرويه موقوفا وحديثنا هناد بن السري قال حدثنا عبدة ابن سليمان عن محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم قال طعامه ما لفظه ميتا ثم قال وقد وقف بعضهم هذا الحديث على أبي هريرة حدثنا هناد حدثنا ابن أبي زائدة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة في قوله أحل لكم صيد البحر وطعامه ما لفظه ميتا وقوله متاعا لكم وللسيارة أي منفعة وقولنا لكم أيها المخاطبون وللسيارة وهو جمع سيار قال عكرمة لمن كان بحضرة البحر والسفر وقال غيره صيده ما اصطاده من حضرة البحر وطعامه مامات فيه واصطيد منه

وفاعل السؤال من حضر بدرا وقال الضحاك وعكرمة هو سؤال طلب وعن يعنى من وهذا الضرورة تدعو اليه وقيل صله ويؤيده قراءة سعد بن أبي وقاص وابن مسعود وعلى ابن الحسين وغيرهم بدون عن الصحيح أنها على ارادة حرف الجر وكان سبب نزول الآية اختلاف الصحابة في غنائم يوم بدر فقال الشبان هي لنا لنا باشرنا القتال وقال الشيوخ كإرداء لكم تحت الرايات ولو انكشفت أي انهزمت لثمت لنا أي لرجعت لنا فنزع الله ما عنقه من أيديهم وجعله لله والرسول فقال (قل) لهم (الانفال لله والرسول) أي حكمها مختص بهما يقسمها بينكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أمر الله سبحانه حيث شاء وليس لكم حكم في ذلك فقسمها صلى الله عليه وآله وسلم بينهم على السواء رواه الحاكم في المستدرک وقد ذهب جماعة من الصحابة والتابعين إلى أن انفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة ليس لاحد فيها شيء حتى نزل قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة فهي على هذا منسوخة وقوله قال مجاهد وعكرمة والسدي وقال ابن زيد بحكمة مجمل وقدين الله مصارفها في آية الخس وللإمام أن ينقل من شاء من الجيش ماشاء قبل الخمس (فاتقوا الله وأصلحو اذات بينكم) أي نفس ما بينكم والذي بينهم هو الوصلة الإسلامية فالبين هنا بمعنى الاتصال كما في قوله لقد تقطع بينكم والبين يطلق على الضدين الاتصال والفرق وذات هذا الين هي حاله أي الامور التي تحققه بالمودة وترك النزاع (وأطيعوا الله ورسوله) أمرهم بالتقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله والرسول بالتسليم لأمهم ما وترك الاختلاف الذي وقع بينهم وقال امثلوها هذه الاوامر الثلاثة (ان كنتم مؤمنين) بالله جوابه كما ذهب اليه أبو العباس المبرد وغيره أطيعوا الله السابق اذ يجوز عندهم تقديم الجواب على الشرط والصحيح ما ذهب اليه سيويه وهو أنه محذوف للدلالة ما قبله عليه وفيه من التهييج والالهاب والتنشيط للمخاطبين والحث لهم على المسارعة إلى الامتثال ما لا يخفى مع كونهم في تلك الحال على الايمان فكانه قال ان كنتم مستمرين على الايمان بالله لان هذه الامور الثلاثة لا يكمل الايمان بدونها بل لا يثبت أصلها لمن لم يمثلها فان من ليس بمتقٍ وليس بمطيع لهم ما ليس بمؤمن قال عطاء طاعة الله والرسول اتباع الكتاب والسنة أخرجه ابن أبي حاتم (انما المؤمنون) جملة مستأنفة مسوقة لبيان من أريد بالمؤمنين بذكر أوصافهم الجليلة

وميل يكون زاد للمسافرين والنائبين عن البحر وقد روي نحوه عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وقد استدل الجمهور على حل ميتته بهذه الآية الكريمة وجمارواه الامام مالك بن أنس عن ابن وهب وابن كيسان عن جابر بن عبد الله قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا قبل الساحل فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلثمائة وأنافيهم قال فخرجنا حتى اذا كنا ببعض الطريق فني الزاد فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش فجمع ذلك كله فكان من ودي عمر قال فكان يقوتنا كل يوم قليلا قليلا حتى فني فلم يكن يصينا الاخرة فقال فقد وجدنا فقدنا حين فقدت ثم انتمينا إلى البحر فاذا حوت مثل الطرب فأكل منه ذلك الجيش ثمان عشرة ليلة

ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعها فنصب ثم أمر براحله فرحلت ومرت تحتها فلم تصبها وهذا الحديث يخرج من الصحيحين وله طرق عن جابر وفي صحيح مسلم من رواية أبي الزبير عن جابر فإذا على ساحل البحر مثل الكتيب الضخم فأتناه فإذا دابة يقال لها العنبر قال قال أبو عبيدة مئبة ثم قال لا نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أضررت فكلوا قال فأقننا عليه شهرًا ونحن ثلاثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نعترف من وقب عينيه بالقلال الدهن ويقتطع منه القدر كالثور قال ولقد أخذنا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلًا فأقعدهم في وقب عينيه وأخذ (٤) ضلعًا من أضلاعه فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فرم تحته وتزودنا

من لحمه وشائق فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال هو رزق أخرجه الله لكم هل معكم من لحمه شيء ففتطعمونا قال فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فأكله وفي بعض روايات مسلم أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حين وجدوا هذه السمكة فقال بعضهم هي واقعة أخرى وقال بعضهم هي قضية واحدة ولكن كانوا أولامع النبي صلى الله عليه وسلم ثم بعثهم سرية مع أبي عبيدة فوجدوا هذه في سريةتهم تلك مع أبي عبيدة والله أعلم وقال مالك عن صفوان بن سليم عن سعيد بن سلمة عن ابن الأزرقي أن المغيرة بن أبي بردة وهو من بني عبد الدار أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول سألت رجلاً رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انزلت بك البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضأنا به عطشنا افنتوا بأسماء البحر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الظهور مأوه الحل ميتته وقد روي هذا الحديث الإمامان

المستتبع لما ذكر من الخلال الثلاث وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال بالأوامر المذكورة أي انما الكاملون في الايمان المخلصون فيه (الذين اذا ذكر الله) أي وعيده (وجدت) أي فزعت وخضعت وخافت وركت (قلوبهم) لذكر الله استعظامه وتهيبا من جلالة والوجل الخوف والفرع يقال وجل بالكسر في الماضي يوجل بالفتح وقرئ كوعدي بعد ويقال باثبات الواو في المضارع والمراد أن حصول الخوف من الله والفرع منه عند ذكره هو شأن المؤمنين الكاملين في الايمان المخلصين لله فالخبر باعتبار كمال الايمان لا باعتبار أصل الايمان قال جماعة من المفسرين هذه الآية متضمنة للتحريض على طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما أمر به من قسمة الغنائم ولا يخفالك أن هذا وإن صح ادراجه تحت معنى الآية من جهة أن وجل القلوب عند الذكر وزيادة الايمان عند تلاوة آيات الله يستلزمان امتثال ما أمر به سبحانه من كون الانفال لله والرسول ولكن الظاهر أن مقصود الآية هو اثبات هذه المزية لمن كمل ايمانه من غير تقييد بحال دون حال ولا بوقت دون وقت ولا بواقعة دون واقعة وعن ابن عباس وجلت فرقت وقال المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند ادائه فرائضه ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ولا يتوكلون على الله ولا يصلون اذا غابوا ولا يؤدون زكاة أموالهم فأخبر الله أنهم ليسوا بمؤمنين ثم وصف المؤمنين فقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فأدوا فرائضه وعن أم الدرداء قالت انما الوجيل في القلب كاحترق السعفة يا شهر بن حوشب أما تجد قشعريرة قلت بلى قالت فادع عندها فان الدعاء يجاب عند ذلك وقال ثابت البناني قال فلان اني لاعلم متى يستجاب لي قالوا ومن أين لك قال اذا اقشعر جلدي ووجل قلبي وفاضت عيناى فذلك حين يستجاب لي وعن عائشة قالت ما الوجيل في قلب المؤمن الا كضرمة السعفة فاذا وجل أحدكم فليدع عند ذلك وعن السدي قال هو الرجل يريد أن يظلم أو يهجم بمعصية فيقال له اتق الله فيجعل قلبه فان قيل قال هنا وجلت قلوبهم وقال في آية أخرى وتطمئن قلوبهم فكيف الجمع بينهما قلت الاطمئنان بذكره بصفات الجمال والوجل انما هو بذكر وعيده (واذا تكلمت عليهم آياته) المراد من التلاوة تلاوة الآيات المتزلة أو التعبير عن بديع صنعته وكمال قدرته في آياته التكوينية بذكر خلقها البديع ومعجائبها التي يخشع عندها ذكرها المؤمنون (زادتهم ايماناً) أي تصديقاً

الشافعي وأحمد بن حنبل وأهل السنن الأربعة وصححه البخاري والترمذي وابن خزيمة وابن حبان وغيرهم قاله وقد روي عن جماعة من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وقد روى الامام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق عن حماد بن سلمة حدثنا أبو المهزم هو يزيد بن سفيان سمعت أبا هريرة يقول كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حج أو عمرة فاستقبلنا رجل جراد فجعلنا نضربه ببعضنا فنقتلهن فسقط في أيدينا فقلنا ما نضغ ونحن محرمون فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا بأس بصيد البحر أبو المهزم ضعيف والله أعلم وقال ابن ماجه حدثنا هرون بن عبد الله الجبال حدثنا هشام بن القاسم

حدثنا يزيد بن عبد الله بن علاثة عن موسى بن محمد بن ابراهيم عن أبيه عن جابر وأنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دعا على الجراد قال اللهم اهلك بكاره واقتل صغاره وأفسد بيضه واقطع دابره وخذ بأقواهه عن معايشنا وارزقنا انك تسمع الدعاء فقال خالد بن رسول الله كيف تدعوا على أجناد من أجناد الله بقطع دابره فقال ان الجراد نثره حوت في البحر قال هشام قال زياد فحدثني من رأى الحوت ينثره فنردبه ابن ماجه وقدرى الشافعي عن سعيد بن جبير عن عطاء بن ابن عباس انه أنكر على من يصيد الجراد في الحرم وقد احتج بهذه الآية الكريمة (٥) من ذهب من الفقهاء الى أنه يؤكل دواب البحر

ولم يستثن من ذلك شياً وقد تقدم عن الصديق أنه قال طعامه كل ما فيه وقد استثنى بعضهم الضفدع وأباح ماسواها المارواه الامام أحمد وأبو داود والنسائي من رواية ابن أبي ذئب عن سعيد بن خالد عن سعيد بن المسيب عن أبي عبد الرحمن بن عثمان التيمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الضفدع والنسائي عن عبد الله بن عمرو قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع وقال نقيها تسديج وقال آخرون يؤكل من صيد البحر السمك ولا يؤكل الضفدع واختلفوا فيما سواها ما قيل لا يؤكل سائر ذلك وقيل لا يؤكل وقيل ما كل شبهه من البرأكل مثله في البحر وما لا يؤكل شبهه لا يؤكل وهـ هذه كلها وجوه في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا يؤكل مامات في البحر كالإيوان كل مامات في البر لعموم قوله حرمت عليكم الميتة وقد ورد حديث بخود ذلك فقال ابن مردويه حدثنا

قاله ابن عباس وعن الربيع بن أنس قال خشية والمراد بزيادة الايمان هو زيادة انشراح الصدر وطمأنينة القلب وانفلاح الخاطر عند تلاوة الآيات وقيل المراد بها زيادة العمل لان الايمان شئ واحد لا يزيد ولا ينقص والآيات المتكاثرة والحديث المتواتر ترد ذلك وتدفعه والآية صريحة في زيادة الايمان وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الايمان بضغ وسبعون شعبة أعلاها شهادة ان لا اله الا الله وأدناها ما طمأنت به من الطريق والحياء شعبة من الايمان أخرجه الشيخان وفي هذا دليل على أن الايمان فيه أعلى وأدنى واذا كان كذلك كان قابلاً للزيادة والنقصان قال الواحدي عن عامة أهل العلم ان كل من كانت الدلائل عنده أكثر وأقوى كان ايمانه أزيد قال الكرخي ان نفس التصديق يقبل القوة وهي التي عبر عنها بالزيادة للفرق المميز بين يقين الانبياء وأرباب المكاشفات ويقين أحاد الامة ويؤيد ذلك قول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما زدت يقيناً وكذا من قام عليه دليل واحد ومن قامت عليه أدلة كثيرة لان نظاهر الأدلة أقوى للمدلول علمه وأثبت تقدمه وعليه يحمل ما نقل عن الشافعي من أنه يقبل الزيادة والنقص فلا يرد كيف قال ذلك مع أن حقيقة الايمان عند الاكثرت لا تزيد ولا تنقص كالاتية والوحدانية اهـ وقيل المعنى أنهم كلما عوا آية جديدة أو باقرار جديد وتصديق جديد فكان ذلك زيادة في ايمانهم (وعلى ربهم يتوكلون) التوكل على الله تفويض الامر اليه في جميع الامور قال ابن عباس لا يرجون غيره وعلى بمعنى الباء ويتوكلون بمعنى يتقنون وتقديم المعمول للعصر وقال السمين التقديم يفيد الاختصاص أي عليه لا على غيره والجملة في محل الحال أو مستأنفة أو معطوفة على الصلة (الذين يقيمون الصلاة) المفروضة بحمد ودها وأركانها في أوقاتها ومن في (ومما) للتبعيض (رزقناهم يتقنون) ويدخل فيه النفقة في الزكاة والحج والجهاد وغير ذلك من الاتفاق في أنواع البر والقربان وخص إقامة الصلاة والصدقة لكونها أصل الخير وأساسه (أولئك) أي المتصفون بالاصناف المتقدمة (هم المؤمنون) أي الكاملون الايمان البالغون فيه الى أعلى درجاته وأقصى غاياته (حقاً) أي حق ذلك حقاً وايمانا حقيقياً يقينا لا شك في ايمانهم وصدقا لا ريب فيه قال ابن عباس برئوا من الكفر وحقاً أي خالصا وقيل التقدير حقاً لهم درجات وهذا انما يجوز على رأي ضعيف أعني تقديم المصدر

عبد الباقي هو ابن قانع حدثنا الحسين بن اسحق التستري وعبد الله بن موسى بن أبي عثمان قال حدثنا الحسين بن يزيد الطحان حدثنا حفص بن غياث عن ابن أبي ذئب عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صدتموه وهو حتى فثت فكلوه وما ألقى البحر ميتا طافيا فلا تأكلوه ثم رواه من طريق اسمعيل بن أمية ويحيى بن أبي شيبة عن أبي الزبير عن جابر به وهو منسكرو قد احتج الجمهور من أصحاب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل بحديث العنبر المتقدم ذكره وبحديث هو الطهور وماؤه الحل ميتته وقد تقدم أيضاً وروى الامام أبو عبد الله الشافعي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه

قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حراما قال وأخبرني معمر عن الزهري عن ابن عمر أنه كان يكره للحرم أن يأكل من لحم الصيد على كل حال قال معمر وأخبرني أيوب عن نافع عن ابن عمر مثله قال ابن عبد البر وبه قال طاوس وجابر بن زيد واليه ذهب الثوري واسحق بن راهويه في روايته وقد روى نحوه عن علي بن أبي طالب رواه ابن جرير من طريق سعيد بن أبي عمرو به عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن عليا كره أكل لحم الصيد للحرم على كل حال وقال مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه في رواية والجمهور أن كان الحلال قد قصد المحرم بذلك الصيد لم يجز للحرم (٧) أكله لحديث الصعب بن جثامة أنه اهتدى

لنبي صلى الله عليه وسلم حجرا وحشيا وهو بالأنواء وبودان فرده عليه فلما رأى ما في وجهه قال انالم نرد عليك إلا أنا حرم وهذا الحديث مخدج في الصحيحين وله ألفاظ كثيرة قالوا فوجهه أن النبي صلى الله عليه وسلم ظن أن هذا النما صاده من أجله فرده لذلك فاما اذا لم يقصده بالاصطيد فانه يجوز له الاكل منه لحديث أبي قتادة حين صاد حمار وحش وكان حلالا لم يجرم وكان العناية محرمين فتوقفوا في أكله ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل كان منكم أحد أشار إليها وأعان في قتلها قالوا لا قال فكلوا أو أكل منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه القصة ناسئة أيضا في الصحيحين بألفاظ كثيرة وقال الامام أحمد حدثنا سعيد بن منصور وقتيبة بن سعيد قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتيبة في حديثه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صدقكم حلال حلال قال سعيدوا أنتم حرم ما لم تصيدوه أو يصدلكم وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة وقال الترمذي لا يعرف للمطلب سماعا من جابر ورواه الامام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه من طريق عمرو بن أبي عمرو عن مولا المطلب عن جابر ثم قال وهذا أحسن حديث روى في هذا الباب وأقيس وقال مالك رضي الله عنه عن عبد الله بن أبي بكر عن عبد الله بن عاصم عن ربيعة قال رأيت عثمان بن عفان بالعرج وهو محرم في يوم صائفت قد غطي وجهه بقطيفة أرجوان ثم أتى بلحم صيد فقال لأصحابه كلوا فقالوا ولا تأكل أنت فقال اني لست كهيتكم انما صيد

الغنم حق كما كان اخرجك حقا السابع عشر أن التشبيه وقع بين اخرجين اه (من بيتك) أي المدينة أو بيتك الذي بها (بالحق) أي اخرجنا بالحق لاشبهته فيه وقال مجاهد كما اخرجك ربك من بيتك بالحق كذلك يجادلونك في خروج القتال وعن السدي قال خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى بدر وقيل المراد اخراجه من مكة الى المدينة للهجرة والاول أولى وبه قال جمهور المفسرين وقيل هذا الوعد للمؤمنين حق في الآخرة كما اخرجك ربك من بيتك بالحق الواجب له فأخرجك بعدك وظفرك بعدوك وأوفى لك ذكره النحاس واختاره وفي الجمل أي اخرجك من المدينة لتأخذ العير التي مع أبي سفيان أي فتغنمها فأصل خروج النبي والمؤمنين لاجل أن يغنموا القافلة فلم تكن في خروجهم كراهة وانما عرضت لهم الكراهة بعد الخروج قريب بدر لما أخبروا أن العير نجت منهم وأن قريشا أتوا الى بدر وأشار عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم يضمنون الى قتال قريش الذين خرجوا ليدنوا المسلمين عن القافلة فكره المسلمون القتال لاعتصامنا بل بالطبع حيث خرجوا من غير استعداد للقتال لابتعدوا ولا بعدد وانما كان أصل خروجهم لاختد الغنمة لقوله (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) حال مقدرة لما علمت أن الكراهة لم تقارن الخروج وقيل أي كما اخرجك في حال كراهتهم لذلك لانه لما وعدهم الله احدى الطائفتين اما العير والنفير رغبوا في العير لما فيها من الغنمة والسلامة من القتال وكرهوه لقله عددهم وسلاحهم وكثرة عدوهم وسلاحهم وفي لكارهون مرعاة بمعنى الفريق (بجادلونك) ومجادلتهم لما نبتهم الى احدى الطائفتين وقات العير وأمرهم بقتال النفير ولم يكن معهم كثيرا هية لذلك شق عليهم وقالوا لو أخبرتنا بالقتال لاخذنا العدة وأكلنا الاهبة والجملة مستأنفة أو حال ثانية أي اخرجك حال مجادلتهم أو حال من الضمير في لكارهون أي لكارهون في حال الجدال والضمير يجوز أن يعود على الكفار وجداهم ظاهرا والظاهر أنه يعود على الفريق المتقدم (في الحق) أي في القتال (بعد ما تبين) لهم أنك لا تأمر بشيء الا باذن الله أو بعد ما تبين لهم ان الله وعدهم بالظفر باحدى الطائفتين وأن العير اذا قاتت ظفروا بالنفير (كأنما يساقون الى الموت) أي حال كونهم في شدة فزعهم من القتال يشبهون حال من يساق بالعنف والصغار ليقتل (وهم يتظرون) يعني الى الموت كن هو مشاهد لاسباب قتله ناظر اليها بعينه لا يشك فيها والجامع بينهما الكراهة في كل

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صيد البر لكم حلال حلال قال سعيدوا أنتم حرم ما لم تصيدوه أو يصدلكم وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة وقال الترمذي لا يعرف للمطلب سماعا من جابر ورواه الامام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه من طريق عمرو بن أبي عمرو عن مولا المطلب عن جابر ثم قال وهذا أحسن حديث روى في هذا الباب وأقيس وقال مالك رضي الله عنه عن عبد الله بن أبي بكر عن عبد الله بن عاصم عن ربيعة قال رأيت عثمان بن عفان بالعرج وهو محرم في يوم صائفت قد غطي وجهه بقطيفة أرجوان ثم أتى بلحم صيد فقال لأصحابه كلوا فقالوا ولا تأكل أنت فقال اني لست كهيتكم انما صيد

من أجلى (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يأولى الالباب لعلكم تفلحون يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكن تسوءن وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكنم عفا الله عنها والله غفور حلیم قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث يعنى أن القليل الحلال النافع خير من الكثير النافع الحرام كما جاء ما قل وكفى خير مما كثر وألهى وقال أبو القاسم البغوى في معجمه حدثنا أحمد بن زهير حدثنا الخوطى (٨) حدثنا محمد بن شعيب حدثنا معان بن رفاعه عن علي بن يزيد عن

القاسم عن أبى امامة أن نعلبة ابن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى ما لا قال قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فاتقوا الله يأولى الالباب أى يادوى العقول الصحيحة المستقيمة وتجنبوا الحرام ودعوها واقنعوا بالحلال واكتفوا به لعلكم تفلحون أى فى الدنيا والآخرة ثم قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكن تسوءن هذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين ونهى لهم عن أن يسألوا عن أشياء مما لا فائدة لهم فى السؤال والتنقيب عنها لأنها ان ظهرت لهم تلك الامور ربما أساءتهم وشق عليهم مما عاها كما جاء فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يلغنى أحد عن أحد شيئاً الى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر وقال البخارى حدثنا منذر بن الوليد بن عبد الرحمن الجارودى حدثنا أبى حدثنا شعيب عن موسى بن أنس عن أنس بن مالك قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(واذ بعدكم الله احدى الطائفتين) أى واذا كروا وقت وعدا لله اياكم وأمرهم بتذكر الوقت مع أن المقصود ذكر ما فيه من الحوادث لقصد المبالغة والطائفتان هما فرقة أبى سفيان مع العير وفرقة أبى جهل مع النفير (أنها) أى احدى الطائفتين مسخرة (لكم) وانكم تغلبونها وتغنون منها وتصنعون بها ما شئتم من قتل واسر وغنمة لا يطيقون لكم دفعها ولا يعلكون لانفسهم منكم ضرا ولا نفعا وفى هذه الجملة تذكير لهم بنعمة من النعم التى أنعم الله بها عليهم (وتودون) أى تريدون وتمنون معطوف على بعدكم من جملة الحوادث التى أمر وايد كروقتها (ان غير ذات الشوكه) من الطائفتين وهى طائفة العير التى ليس فيها قتال ولا شوكه (تكون لكم) دون ذات الشوكه وهى طائفة النفير قال أبو عبيدة أى غير ذات الحدو الشوكه السلاح والنبت الذى له حد ومنه رجل شائك السلاح أى حديد السلاح ثم يقلب فيقال شاكى السلاح فالشوكه مستعارة من واحدة الشوك والمعنى وتودون أن تظفروا بالطائفة التى ليس معها سلاح وهى طائفة العير لانها غنمة صافية عن كدر القتال اذ لم يكن معها من يقوم بالدفع عنها قال الضحاك وهى عير أبى سفيان وذو أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن العير كانت لهم وأن القتال صرف عنهم (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته) وهو من جملة ما أمر وايد كروقتة أى ويريد الله غير ما تريدون وهو أن يحق الحق باظهاره لما قضاه من ظفركم بذات الشوكه وقتلكم لصناديدهم وأسر كثير منهم واعتناهم ما عنتم من أموالهم التى أجلبوا بها عليكم وراموا دفعكم بها والمراد بالكلمات الآيات التى أنزلها فى محاربة ذات الشوكه ووعدهم منه بالظفر بها وقيل الكلمات عداته التى سبقت لكم من اظهار الدين واعزازه وقيل أسباب النصر مثل نزول الملائكة وأوامرهم لهم بالامداد (ويقطع دابر الكافرين) الدابر الاخر وقطعه عبارة عن الاستئصال والمعنى ويستأصلهم جميعا حتى لا يبقى منهم أحد (ليحق الحق ويظلم الباطل) هذه الجملة علة لما يريد الله أى أراد ذلك أو يريد ليطهر الحق ويرفعه وهو الاسلام ويظلم الباطل ويضعه وهو الكفر أو فعل ذلك ليحق الحق وليس فى هذه الجملة تكرير لما قبلها لان الاولى ايمان التفاوت فيما بين الارادتين وهذه لبيان الحكمة الداعية الى ذلك والعلة المقتضية له والمصلحة المترتبة عليه وقيل لا يقال فيه تحصيل الحاصل اذ المراد بالحق الايمان وبالباطل الشرك وقيل المراد بالاول تميم ما وعده

خطبة ما سمعت مثلها قط وقال فيها لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فعطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم حين فقال رجل من أبى قال فلان فنزلت هذه الآية لا تسألوا عن أشياء رواه النضر وروح ابن عبادة عن شعبة وقدر رواه البخارى فى غير هذا الموضوع ومسلم وأحمد والترمذى والنسائى من طرق عن شعبة بن الخياط به وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكن تسوءن الآية قال حدثنا أن أنس بن مالك حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله حتى أحفوه بالمسئلة فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر فقال

لا تسألوني اليوم عن شيء لا يفتنه لكم فأشفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بين يدي أمر قد حضر فجعلت لا ألتفت لأعيننا ولا شمالاتنا الا وجدت كلا لا فارأسه في ثوبه يبيكي فأنشأ رجل كان يلاحى فيدعى الى غير آية فقال يا بني الله من أي قال أبو بكر حذافة قال ثم قام عمر وأبو بكر فقالوا رضينا بالله ربنا وبالاسلام ديننا وبمحمد رسولا عانذنا بالله أو قال أعوذ بالله من شر القين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أرفى الخير والشر كاليوم قط صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهم بدون الحائط آخر جاء من طريق سعيد ورواه معمر عن الزهري عن أنس بن مالك قال قال الزهري فقالت أم عبد الله بن حذافة ما رأيت

ولدا أعق منذ قالت أ كنت تأمن أن أمك قد فارقت ما فارقت أهل الجاهلية فتفضحها على رؤس الناس فقال والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته وقال ابن جرير أيضا حدثنا الحرث حدثنا عبد العزيز حدثنا قيس عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان محمرا وجهه حتى جلس على المنبر فقام إليه رجل فقال أين أنا قال في النار فقام آخر فقال من أي قال أبو بكر حذافة فقام عمر بن الخطاب فقال رضينا بالله ربنا وبالاسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن اماما انابا رسول الله حديثوه عدا بجاهلية وشرك والله أعلم من آباؤنا قال فسكن غضبه ونزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدل لكم تسؤكم الآية اسناده جيد وقد ذكر هذه القصة مرسله غير واحد من السلف منهم أسباط عن السدي أنه قال في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان

في هذه الواقعة من النصر والظفر بالاعداء وباللثام تقوية الدين واطهار الشريعة لان الذي وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قتلهم ومن قهر الكافرين مع كثرتهم كان سببا لا عازا للدين وقوته ولهذا قرنه بقوله ويظلم الباطل (ولو كره) أن يحق الحق ويظلم الباطل (المجرمون) أي المشركون من قريش أو جميع طوائف الكفار ووقعة بدر قد اشتملت عليها كتب الحديث والسير والتواريخ مستوفاة فلان طبل يذكرها (اذ تستغيثون ربكم) أي اذ كروا وقت استغاثتكم تذكير لهم بنعمة أخرى والمقام للماضي وانما عبر بالمضارع حكاية للحال الماضية أي اذ تستغيثون ربكم من عدوكم ونظامون منه الغوث والنصر والاستغاثة طلب الغوث يقال استغاثني فلان فأعنته والاسم الغياث والمعنى أن المسلمين لما علموا أنه لا بد من قتال الطائفة ذات الشوك وهم النضير كما أمرهم الله بذلك وأراده منهم ورأوا كثرة عدد النضير وقلة عددهم استغاثوا بالله سبحانه وهو معنى قول الزهري وقيل المستغيث هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب أن عدد المشركين يوم بدر ألف و عدد المسلمين ثمانمائة وسبعة عشر رجلا وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما رأى ذلك استقبل القبلة ثم مديده فجعل يهتف بربهم اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آتني ما وعدتني اللهم ان تم لك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعم في الارض فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأنابه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا بني الله كفالك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فأ نزل الله عز وجل هذه الآية (فاستجاب لكم) عطف على تستغيثون داخل معه في التذكير وهو وان كان مستقبلا فهو بمعنى الماضي ولهذا عطف عليه استجاب (أني) أي باني (مدمكم) بوعدى اياكم بالامداد وذلك لانه وقت الاجابة لم يحصل الامداد بالفضل لان الدعاء واستجابته كانا قبل وقوع القتال (بالف من الملائكة مردفين) قرى بكسر الهمزة وفتحها وهما واختمان لانه يرى في التفسير انه كان وراء كل ملك ملكا رديفاه فقراءة الفتح تشعر بان غيرهم اوردتهم لركوبهم خلفهم وقراءة الكسر تشعر بان الركب خلف صاحبه قد اوردته فصيح التعبير باسم الفاعل تارة واسم المفعول أخرى وجعل أبو البقاء مفعول مردفين بالكسر محذوقا أي مردفين أمثالهم ويجوز أن يكون معنى اليرداد المجي بعد الاوائل أي جعلوا رديفا للاول قاله

(٢ - فتح البيان ح) تبدلتم تسؤكم قال غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم امن الايام فقام خطيبا فقال سلوني فانكم لا تسألوني عن شيء الا أنبأتكم به فقام اليه رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان يطعن فيه فقال يا رسول الله من أي فقال أبو بكر فلان فدعاه لايه فقام اليه عمر بن الخطاب فقبل رجله وقال يا رسول الله رضينا بالله ربنا وبالإسلام ديننا وبالقرآن اماما فاعف عنا عنا الله عنك فلم يزل به حتى رضى فيومئذ قال الولد للفراس وللعاهر الخمر ثم قال البخاري حدثنا الفضل بن سهل حدثنا أبو النضر حدثنا أبو خزيمة حدثنا أبو الجويرية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان قوم يسألون رسول الله صلى الله

عليه وسلم استمرزاه يقول الرجل من أبي ويقول الرجل تضل ناقته أين ناقتي فأنزله الله فيهم هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اتسألوا عن أشياء إن تبدلتم تسؤم حتى فرغ من الآية كلها تفرد به البخاري وقال الامام أحمد حدثنا منصور بن وردان الاسدي حدثنا علي بن عبد الاعلى عن أبيه عن أبي الجعفي وهو سعيد بن فيروز عن علي قال لما نزلت هذه الآية والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قالوا يا رسول الله أفى كل عام فسكت فقالوا أفى كل عام فسكت قال ثم قالوا أفى كل عام فقال لا ولو قلت نعم لو جئت ولو جبت لما استطعتم فأنزله الله يا أيها الذين (١٠) آمنوا اتسألوا عن أشياء إن تبدلتم تسؤم الآية وكذا رواه الترمذي وابن

السهين وقد قيل ان ردف وأردف بمعنى واحد وأنكره أبو عبيدة قال لقوله تعالى تبهعها الرادفة ولم يقل المرادفة قال ابن عباس مر دفين متتابعين وعنه قال المدد وعنه قال وراء كل ملك ملك وعن الشعبي قال كان ألف مر دفين وثلاثة آلاف منزلين وكانوا أربعة آلاف وهم مدد المسلمين في غورهم وقال مجاهد مر دفين مجتدين وقال قتادة متتابعين أمدهم الله بألف ثم بثلاثة ثم أكد لهم خمسة آلاف وعن علي قال نزل جبريل في خمسمائة من الملائكة عن ميمونة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيها أبو بكر ونزل ميكائيل في خمسمائة من الملائكة عن ميسرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأن في الميسرة وعن مجاهد قال ما أمده النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأكثر من هذه الألف التي ذكر الله في الانفال وما ذكر الثلاثة الألاف والخمسة الألاف الابشري قال في الجمل لم يثبت أن الملائكة قامت في وقعة الاف بدر وأما في غيرها فكانت تنزل لتكثير عدد المسلمين ولاتقتل كما وقع في حنين (وما جعله الله) أي الامداد المدلول عليه بقوله أفى محمدكم (الابشري) أي بشارة لكم بنصره وهو استثناء مفرغ أي ما جعل امدادكم بشي من الاشياء الالبشري لكم بالنصر (ولتطمئن به) أي بالامداد (قلوبكم) وفي هذا الشعار بأن الملائكة لم يقابلوا بل أمده الله المسلمين هم للبشري لهم وثبت قلوبهم بمعنى ينزل الملائكة قال قتادة وذكرا لنا أن عمر قال أما يوم بدر فلانشت أن الملائكة كانوا معنا وأما بعد ذلك فالتة أعلم (وما النصر الا من عند الله) لان عند غيره ليس للملائكة في ذلك أثر فهو الناصر على الحقيقة وليسوا الاسباب من أسباب النصر التي سبها الله لكم وأمدهم بها وفيه تنبيه على أن الواجب على المسلم أن لا يتوكل على الاعلى الله في جميع أحواله ولا يتق به غيره فان الله تعالى بيده الظفر الاعانة (ان الله عزيز) لا يغالب (حكيم) في كل أفعاله (اذ يغشاكم) الناعل هو الله وفيه ثلاث قرآت سبعة يغشاكم كلقاكم من غشيه اذا تاه وأصابه ويغشيك من أغشاه أي أثره بكم وأوقعه عليكم ويغشيك من غشاه تغشية غطاء وقيل الناعل (النعاس أمنة منه) وهو النوم الخفيف والاكثر على الاول وهذه الآية تتضمن ذكر نعمة أنعم الله بها عليهم وهي أنهم مع خوفهم من لقاء العدو والمهاجرة لجانبه سكن الله قلوبهم وأمنها حتى ناموا آمنين غير خائفين وكان هذا النوم في الليلة التي كان القتال في غدها قيل وفي امتنان الله عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان أحدهما

ماجه من طريق منصور بن وردان به وقال الترمذي غريب من هذا الوجه وسمعت البخاري يقول أبو الجعفي لم يدرك عليا وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الرحيم بن سلمان عن ابراهيم بن مسلم الهجري عن ابن عباس عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب عليكم الحج فقال رجل أفى كل عام يا رسول الله فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثا فقال من السائل فقال فلان فقال والذي نفسي بيده لو قلت نعم لو جبت ولو وجبت عليكم ما أطقوه ولو تركتموه لكفرتم فأنزله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اتسألوا عن أشياء إن تبدلتم تسؤم حتى ختم الآية ثم رواه ابن جرير من طريق الحسين ابن واقد عن محمد بن زياد عن أبي هريرة وقال فقام محسن الاسدي وفي رواية من هذه الطريق عكاشة بن محسن وهو أشبهه ابراهيم بن مسلم الهجري ضعيف وقال ابن جرير أيضا حدثني زكريا بن يحيى عن صفوان بن عمرو حدثني سليمان بن

عاهر قال سمعت أبا امامة الباهلي يقول قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فقال كتب عليكم الحج فقام رجل من ائمة الاعراب فقال أفى كل عام قال فعلم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسكت واستغضب ومكث طويلا ثم تكلم فقال من السائل فقال الاعرابي انا ذاق قال ويحك ماذا يؤمنك ان أقول نعم والله لو قلت نعم لو جبت ولو وجبت لكفرتم إلا انه انما أهلك الذين من قبلكم أئمة الحرج والله لو اني أحلت لكم جميع ما في الارض وحرمت عليكم منها موضع خنق لو وقعتم فيه قال فأنزله الله عند ذلك يا أيها الذين آمنوا اتسألوا عن أشياء إن تبدلتم تسؤم الى آخر الآية في اسناده ضعف وظاهر الآية النهي عن السؤال عن الاشياء التي اذا علم

بها الشخص ساءه فالاولى الاعراض عنها وتركها وما أحسن الحديث الذي رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا حجاج قال سمعت
اسراييل بن يونس عن الوليد بن أبي هاشم مولى الهمداني عن زيد بن زائد عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لصحابه لا يبلغني أحد عن أحد من أحد شأني أحب أن أخرج اليكم وأسلم الصدر الحديث وقد رواه أبو داود والترمذي من حديث
اسراييل قال أبو داود عن الوليد وقال الترمذي عن اسراييل عن السدي عن الوليد بن أبي هاشم به ثم قال الترمذي غريب من هذا
الوجه وقوله تعالى وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكنم أي وان تسألوا (١١) عن هذه الاشياء التي نهيت عن السؤال عنها حين

ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً
عليه وسلم تسليماً لئلا يكون ذلك على
الله يسيراً ثم قال عفا الله عنها
أي عما كان منكم قبل ذلك والله
غفور حلیم وقيل المراد بقوله وان
تسألوا عنها حين ينزل القرآن
تبدلكنم أي لا تسألوا عن أشياء
تسألون السؤال عنها فلعلة قد
ينزل بسبب سؤالكم تشديداً أو
تضييقاً وقد ورد في الحديث أعظم
المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم
يحرم فحرم من أجل مسأله
ولكن اذا نزل القرآن بها مجمله
فسألت عن بيانها بينت لكم حمئذ
لاحتياجكم اليها عفا الله عنها أي
ما لم يذكر في كتابه فهو مما عفا عنه
فاستكروا وانتم عنها كما سكت عنها وفي
الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال ذروني ما تركتكم فانما
أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم
واختلافهم على أنبياءهم وفي
الحديث الصحيح أيضاً ان الله تعالى
فرض فرائض فلا تضيعوها وحدث
حدوداً فلا تعدوها وحرم أشياء
فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء
رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا
عنها ثم قال تعالى قد سألتها قوم من قبلكم ثم أصحوا بها كافرين أي قد سألت هذه المسائل المنهية عنها قوم من قبلكم فأجيبوا عنها
ثم لم يؤمنوا بها فأصحوا بها كافرين أي بسببها أي بينت لهم فلم ينتفعوا بها لانهم لم يسألوا على وجه الاسترشاد بل على وجه الاستهزاء
والعناد وقال العوفي عن ابن عباس في الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سلم أذن في الناس فقال يا قوم كتب عليكم الحج فقام رجل
من بني أسد فقال يا رسول الله أفى كل عام فأغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً فقال والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت
ولو وجبت ما استطعتم واذا كفرتم فآزر كوني ما تركتكم واذا أمرتكم بشي فافعلوا واذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه فانزل الله

أنه قواهم بالاستراحة على السائل من الغد الثاني أنه أمنهم بزوال الرعب من قلوبهم
وقيل ان النوم غشيمهم في حال التقاء الصفيين وقدمضى في يوم أحد نحو من هذا في سورة
آل عمران عن علي قال ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ولقد رأيتنا وما فينا الا نائم
الارسل الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي تحت شجرة حتى أصبح قال مجاهد أمانة منه أي
أمانة من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم وقال قتادة رجسة منه أمانة من العدو وعنه قال
النعاس في الرأس والنوم في القلب وعنه قال كان النعاس أمانة من الله وكان النعاس
نعاسين يوم بدر ويوم أحد وقال ابن مسعود النعاس في القتال أمانة من الله وفي الصلاة
من الشيطان وقيل ان ذلك النعاس كان في حكم المعجزة لانه أمر خارق للمادة (وينزل
عليكم من السماء ماء) هذا المطر كان بعد النعاس وقيل قبله وحكى الزجاج أن الكفار يوم
بدر سبقوا المؤمنين الى ماء بدر فترلوا عليه وبقى المؤمنون لاما لهم فانزل الله المطر ليله
بدر والذي في سيرة ابن اسحق وغيره أن المؤمنين هم الذين سبقوا الى ماء بدر وأنه منع
قريشاً من السبق الى الماء مطر عظيم ولم يصب المسلمين منه الا ماشاءت لهم دهس الوادي
وأعانهم على السير وقال مجاهد المطر أنزله الله عليهم قبل النعاس فأطنبنا بالمطر الغبار
والتبست به الارض وطابت به أنفسهم وثبتت به أقدامهم وعن عروة بن الزبير قال بعث
الله السماء وكان الوادي دهساً وأصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ما لم يد
الارض ولم ينعمهم المسير وأصاب قريشاً ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه (ليظهركم به)
أي ليرفع عنكم الاحداث والجنابة عن ابن عباس أن المشركين غلبوا المسلمين في أول
أمرهم على الماء فظمأ المسلمون وصلوا مجنئين محمدئين وقد قدمنا أن المشهور في كتب
السير المعتمدة أن المشركين لم يغلبوا المؤمنين على الماء بل المؤمنون هم الذين غلبوا عليه
من الابتداء وهذا المروي عن ابن عباس في اسناده العوفي وهو ضعيف جدا (ويذهب
عنكم رجز الشيطان) أي وسوسته لكم بما كان قد سبق الى قلوبكم من الخواطر التي
منها الخوف والفشل حتى كانت حالكم حال من يساق الى الموت والرجز في الاصل
العذاب الشديد وأريده هنا نفس وسوسة الشيطان مجاز المشقة على أهل الايمان كما
قيل كل ما اشتدت مشقته على النفوس فهو رجز (وليربط على قلوبكم) بالنصر واليقين
فيجعلها صابرة قوية ثابتة في مواطن الحرب والربط في اللغة الشد وكل من صبر على أمر

عنها ثم قال تعالى قد سألتها قوم من قبلكم ثم أصحوا بها كافرين أي قد سألت هذه المسائل المنهية عنها قوم من قبلكم فأجيبوا عنها
ثم لم يؤمنوا بها فأصحوا بها كافرين أي بسببها أي بينت لهم فلم ينتفعوا بها لانهم لم يسألوا على وجه الاسترشاد بل على وجه الاستهزاء
والعناد وقال العوفي عن ابن عباس في الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سلم أذن في الناس فقال يا قوم كتب عليكم الحج فقام رجل
من بني أسد فقال يا رسول الله أفى كل عام فأغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً فقال والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت
ولو وجبت ما استطعتم واذا كفرتم فآزر كوني ما تركتكم واذا أمرتكم بشي فافعلوا واذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه فانزل الله

هذه الآية منهم أن يسألوا عن مثل الذي سألت عنه النصارى من المائدة فأصحبوا بها كافر من فئمة الله عن ذلك وقال لا تسألوا عن أشياء إن نزل القرآن فيها لتعطي ساء كم ذلك ولكن انتظروا فاذا نزل القرآن فأنكم لا تسألون عن شيء الا وجدتم بينه رواه ابن جرير وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلتم تسوءم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم قال لما نزلت آية الحج نادى النبي صلى الله عليه وسلم في الناس فقال يا أيها الناس ان الله قد كتب عليكم الحج فحجزوا فقالوا يا رسول الله أعاموا واحدا أم كل عام فقال لا بل (١٢) عاموا واحدا ولو قلت كل عام لوجب ولو جبت لكفرت ثم قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء الى قوله ثم

فقد ربط نفسه عليه قيل لفظه على صلة كذا في الوسيط وقيل للاستعلاء أى أن القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كأنه علا عليها وارتفع فوقها ذكره الواحدى (و ثبت به) أى بالماء الذى أنزله الله عند الحاجة اليه وقيل الضمير راجع الى الربط المدلول عليه بالفعل (الاقدام) أى اقدامكم في مواطن القتال ومعارك الجدل وقال قتادة كان الوادى دهاسا فلما مطروا اشتدت الرملة وسهل المشى عليه لان العادة أن المشى في الرمل عسر فاذا نزل عليه الماء وجد سهل المشى ولم يبق فيه غبار يشوش على المشى فيه (اذ يوحى ربك) أى اذ كرىا محمد وقت ايجاء ربك لانه لا يقف على ذلك سواء وقيل ثبت الاقدام وقت الوحى وليس لهذا التقييد معنى وقيل العامل فيه ليربط ولا وجه لتقييد الربط على القلوب بوقت الاجاء (الى الملائكة) الذين أمدهم المسلمون (أتى معكم) بالنصر والمعونة عن ابي امامة بن سهل بن حنيف قال قال لى ابنى يا بنى لقد رأيتنا يوم بدر وان أحدنا ليسير سيفه الى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل اليه السيف وعن الربيع بن أنس قال كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضرب على الاعناق وعلى البنان مثل سمى النار قد احترق به (فمبثوا الذين آمنوا) أى بشروهم بالنصر وانظروا ونبثوهم على القتال بالحضور معهم وتكثروا دهم وقوا قلوبهم وهذا أمر منه سبحانه للملائكة الذين أوحى اليهم بأنهم والقاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واختلفوا في كيفية هذه التقوية والتثبيت فقيل كما أن الشيطان له قوة فى القاء الوسوسة فى قلب ابن آدم بالشر فكذلك للملك قوة القاء الالهام فى قلب ابن آدم بالخير ويسمى ما يلقى الشيطان وسوسة وما يلقى الملك الهام فهذا هو التثبيت (سألتى فى قلوب الذين كفروا الرعب) أى الخوف فلا يكون لهم ثبات وقد تقدم بيان معنى القاء الرعب فى آل عمران وكان ذلك نعمة من الله على المؤمنين حيث ألقى الرعب فى قلوب الكفار قيل هذه الجملة تفسير لقوله أتى معكم وكانت الملائكة لا تعرف قتال بنى آدم فعلهم الله ذلك بقوله (فاضربوا فوق الاعناق) المراد بها نفسها فاله عطية وفوق زائدة فاله الاخفش وغيره وقال محمد بن يزيد وهذا عند الجهور خطأ لان فوق يفيد معنى فلا يجوز زيادتها ولكن المعنى أنه أبيع لهم ضرب الوجوه وما قرب منها وقيل المراد الرؤس فاله عكرمة وهذا ليس بجيد لان فوق لا يتصرف وزعم بعضهم أنه يتصرف وانك تقول فوق رأسك برفع فوق

آمنوا لا تسألوا عن أشياء الى قوله ثم أصبحوا بها كافر بن رواه ابن جرير وقال خصيف عن مجاهد عن ابن عباس لا تسألوا عن أشياء قال هى البحيرة والوصيلة والسائبة والحام ألا ترى أنه قال بعدها ما جعل الله من بحيرة ولا كذولا كذا قال وأما عكرمة فقال انهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سألتها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافر بن رواه ابن جرير يعنى عكرمة رجه الله أن المراد بهذا النهى عن سؤال وقوع الآيات كما سألت قريش أن يجرى بهم أنهار وان يجعل لهم الصفا ذهابا وغير ذلك وكما سألت اليهود أن ينزل عليهم كتابا من السماء وقد قال الله تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات الأن كذبها الاولون وآتينا عمود الناقية بصيرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الاتخويفا وقال تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم انى جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ولو

أتنازلنا اليهم الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا يؤمنون الا ان يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون وهو (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرتهم لا يعقلون واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آيةنا ولو كان أبأؤهم لايعلمون شيئا ولا يهتدون) قال البخارى حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا ابراهيم بن سعد بن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التى يمنع درها للطواغيت فلا يجاهأ أحد من الناس والسائبة كانوا يسيبونها الا لهمم لايحمل عليها شي قال وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار كان أول من سيب السوائب والوصيلة الناقية البكر تبكر في أول تاج الابل ثم تثنى بعد بآتي وكانوا يسيبونها الطواغيتهم ان وصلت احدهما بالآخرى ليس بينهما ذكر والحام فخل الابل يضرب الضراب المعدود فاذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأغفوه عن الحمل فلم يحمل عليه شيء وهو الحامي وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث ابراهيم بن سعد بن قال البخاري وقال لي أبو الهيثم أخبرنا شعيب عن الزهري سمعت سعيدا قال يخبره بهذا قال وقال أبو هريرة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ورواه ابن الهادي عن ابن شهاب عن سعيد (١٢) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه سمعت عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال الخاتم أراد
البخاري أن يزيد بن عبد الله بن الهادي
رواه عن عبد الوهاب بن بخت عن
الزهري كذا حكاه شيخنا أبو الخجاج
المزني في الاطراف وسكت ولم ينه
عليه وفيما قاله الخاتم نظر فان
الامام أحمد وأبو جعفر بن جرير رواه
من حديث الليث بن سعد عن ابن
الهادي عن الزهري نفسه والله اعلم
ثم قال البخاري حدثنا محمد بن أبي
يعقوب أبو عبد الله الكرماني
حدثنا حسان بن ابراهيم حدثنا
يونس عن الزهري عن عروة أن
عائشة رضي الله تعالى عنها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأيت جهنم يحطم بعضها
بعضا ورأيت عمرا يجر قصبه وهو
أول من سيب السوائب تفرد به
البخاري وقال ابن جرير حدثنا هناد
حدثنا يونس بن بكير حدثنا محمد بن
اححق حدثني محمد بن ابراهيم بن
الحريث عن أبي صالح عن أبي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لا كتم بن الجون
يا أي كتم رأيت عمرو بن لحي بن قعدة
ابن خندف يجر قصبه في النار فإني
رأيت رجلا أشبهه برجل منك به

وهو ظاهر قول الزمخشري وقال أبو عبيدة انه بمعنى على تقديره فاضربوهم على الاعناق
وهو قريب من الاول وقال ابن قتيبة هي بمعنى دون قال ابن عطية وهذا خطأ بين وغلط
فاحش وانما دخل عليه اللبس من قوله تعالى بعوضة ففوقها أي فادونها وليست فوق
هنا بمعنى دون وانما المراد ففوقها في القلة والصغر وعن الضحاك قال اضربوا الرقاب
وقيل المراد بفوق الاعناق أعاليها لانها المفاصل التي يكون الضرب فيها أسرع الى القطع
قاله في الكشف قيل هذا أمر للملائكة فيكون متصلا بما قبله وقيل للمؤمنين فيكون
منقطعاً عما قبله وعلى الاول قيل هو نفسه ليقوله فثبتوا الذين آمنوا (واضربوا منهم
كل بيان) أي كل مفصل قال الزجاج واحد البنان بنانته وهي هنا الاصابع وغيرها من
الاعضاء والبنان مشتق من قولهم أن الرجل بالمكان اذا أقام به لانه يعمل بهما ما يكون
للاقامة والحياة وقيل المراد بالبنان هنا أطراف الاصابع من اليدين والرجلين وهو
عبارة عن الثبات في الحرب فاذا ضربت البنان تعطل من المنزوب القتال بخلاف سائر
الاعضاء قال ابن فارس البنان الاصابع وقال عطية كل مفصل بنانته وقال ابن عباس
الاطراف وقال أبو الهيثم البنان المفاصل قيل أمرهم الله بضرب أعلى الجسد وهو الرأس
وفيه هلاك الانسان وبضرب الأضعف الاعضاء وهو البنان وفيه تعطيل حركة الانسان
فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد (ذلك) اشارة الى ما وقع عليهم من القتل والاسر
ودخل في قلوبهم من الرعب (بأنهم شاقوا الله ورسوله) أي بسبب مشاققتهم والمشاققة
المخالفة وأصلها من المجانبة وكذا الشقاق أصله أن يصير كل واحد من الخصمين في شق
كأنهم صاروا في شق وجانب عن شق المؤمنين وجانبهم وهذا مجاز عناء أنهم شاقوا أولياء
الله وهم المؤمنون أو شاقوا دين الله وقد تقدم تحقيق ذلك (ومن يشاقق الله) أي يخالفه
ويجانبه (ورسوله فان الله شديد العقاب) له يعاقبه بسبب ما وقع منه من الشقاق يعني
ان الذي نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والاسر شيء قليل فيما أعد الله لهم من العقاب
يوم القيامة والشرطية تعمله لما قبلها وتكرر براضمونه وتحقيق السببية بالطريق
البرهاني كأنه قيل قيل ذلك العقاب الشديد بسبب مشاققتهم لله تعالى ورسوله وكل من
يشاقق الله ورسوله كأنما من كان فله بذلك عقاب شديد فاذا لهم بسبب مشاققتهم له ما
عقاب شديد قاله أبو السعود (ذلكم) اشارة الى ما تقدم من العقاب والعذاب بالقتل

ولا به منك فقال أ كتم تخشى أن يضرنى شبهه يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانك مؤمن وهو كافر انه أول من
غير دين ابراهيم وبجر البحرية وسبب السابية وحجى الحامي ثم رواه عن هناد عن عبيدة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه أو مثله ليس هذان الطريقان من الكتب وقال الامام أحمد حدثنا عمرو بن مجمع حدثنا ابراهيم
الهجرى عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أول من سيب السوائب وعبد الاصنام أبو
خزاعة عمرو بن عامر واني رأيت يجر أمعاءه في النار تفرد به أحمد من هذا الوجه وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن زيد بن أسلم قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف اول من سب السوايب واول من غير دين ابراهيم عليه السلام قالوا ومن هو يا رسول الله قال عمرو بن لحي اخو بني كعب لقد رأيت به يجرق صبه في النار تؤذي رائحته أهل النار واني لاعرف اول من يجر البخار قالوا ومن هو يا رسول الله قال رجل من بني مدليج كانت له نائتان جدد آذانهما وحرم ألبانها ثم شرب ألبانها ما بعد ذلك فلقد رأيت به في النار وهما يعصانه بأفواههما وبطائه بأخفافهما فعمرو وهذا هو ابن لحي بن قعدة أحد رؤساء خزاعة الذين ولوا البيت بعد جرحهم وكان أول من غير دين ابراهيم الخليل فأدخل (١٤) الصنم الى الحجاز ودعا الرعامن الناس الى عبادتها والتقرب بهم او ترع لهم

هذه الشرائع الجاهلية في الانعام وغيرها كما ذكره الله تعالى في سورة الانعام عند قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الى آخر الآيات في ذلك فأما البحيرة فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما هي الناقة اذا نتجت خمسة أبطن نظروا الى الخامس فان كان ذكرًا ذكروا ذكوره فأكله الرجال دون النساء وان كان أنثى جددوا آذانها فقالوا هذه بحيرة وذكر السدي وغيره قريبان هذا واما السابعة فقال مجاهد هي من الغنم نحو ما فر من البحيرة الا انها ما ولدت من ولد كان بينها وبينه ستة اولاد كانت على هيتها فاذا ولدت السابع ذكر أو ذكرين ذكروها فأكله رجالهم دون نساءهم وقال محمد بن اسحق السابعة هي الناقة اذا ولدت عشر اناث من الولد ليس بينهما من ذكر سببت فلم تترك ولم يجز وبراها ولم يحلب لبنها الا لضيف وقال أبو روق السابعة كان الرجل اذا خرج فقضيت حاجته سبب من ماله ناقة أو غيرها جعلها للظواغيت فاولدت

والاسرو فيه أو وجه منها العقاب ذلكم أو الامر ذلكم الثاني ذلكم العقاب (فدوقوه) الخطاب هنا للكافرين كما أن الخطاب في قوله ذلكم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يصلح للخطاب وأشار بالذوق الى أن عذاب الدنيا عاجل يسير بالاضافة الى المؤجل (وان للكافرين عذاب النار) معطوفة على ما قبلها فتكون الاشارة على هذا الى العقاب العاجل الذي أصيبوا به ويكون ذلك اشارة الى العقاب الآجل الذي أعده الله لهم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع المضمحل للدلالة على أن الكفر سبب العذاب الآجل أو الجمع بينهما وفي أن وجوه خمسة ذكرها السمين (بأيها الذين آمنوا اذا قيمتم الذين كفروا زحفا) الزحف الدنو قليلا قليلا وأصله الاندفاع على الائمة ثم سمى كل ماش في الحرب الى آخره زحفا والتزاحف التصادق والتقارب يقال زحف الى العدو زحفا وازدحف القوم أي مشى بعضهم الى بعض ويطلق على الجيش الكثير زحف تسمية بالمصدر والجمع زحوف أي حال كونكم زاحقين الى الكفار أو حال كون الكفار زاحقين اليكم أو متزاحقين على أدبارهم في بطاء السير وذلك لان الجيش اذا كثرتهم بعضهم ببعض يتراءى أن سيره بطيء وان كان في نفس الامر سريرا فالتصادق من هذه الحال بعد كون المراد التشبيه ما يلزم هذه المشابهة وهو الكثرة أي مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون (فلا تولوهم الأدبار) أي ظهوركم منهم من منهم فان المنهزم يولي ظهره ودبره نسي الله المؤمنين أن ينهزموا عن الكفار اذا القوهم وقد دب بعضهم الى بعض للقتال وظاهر هذه الآية العموم لكل المؤمنين في كل زمن وعلى كل حال الاحالة التحرف والتحيز وقد روى عن عمرو بن عبد بن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأبي بصرة وعكرمة وزافع والحسن وقتادة وزيد بن أبي جيب والخصال أن تحريم الفرار من الزحف في هذه الآية مختص بيوم بدر وان أهل بدر لم يكن لهم أن ينحازوا واولوا انحازوا الى المشركين اذ لم يكن في الارض يومئذ مسلمون غيرهم ولا لهم فئة الا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاما بعد ذلك فان بعضهم فئمة لبعض وبه قال أبو حنيفة قالوا يؤيده قوله ومن يولهم يومئذ دبره فانه اشارة الى يوم بدر وقيل ان هذه الآية منسوخة بآية الضعف وذهب جمهور العلماء الى أن هذه الآية محكمة عامة غير خاصة وان الفرار من الزحف محرم ويؤيده ذلك أن هذه الآية نزلت بعد انقضاء الحرب في يوم بدر وأجيب عن قول الأولين بأن الاشارة في يومئذ

من شيء كان له او قال السدي كان الرجل منهم اذا قضيت حاجته أو عوفي من مرض أو كثر ماله سبب شيئا من ماله للاوثان الى حين عرض له من الناس عوقب بعقوبة في الدنيا وأما الوصيلة فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هي الشاة اذا نتجت سبعة أبطن نظروا الى السابع فان كان ذكرًا وهو ميت اشترك فيه الرجال دون النساء وان كان أنثى استحموها وان كان ذكرًا أو أنثى في بطن واحد استحموها وقالوا وصلته اخته فمرته علي بن ابي حاتم وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر بن الزهري عن سعيد بن المسيب ولا وصيلة قال قالوا وصلته من الابل كانت الناقة يتنكر بأني ثم نتت بأني فسموها الوصيلة ويقولون وصلت انتين ليس بينهما ذكرا يجدها عنهما

لطواغيمهم وكذا روى عن الامام مالك بن انس رحمه الله تعالى وقال محمد بن اسحق الوصيله من الغنم اذا ولدت عشر اناث في خمسة ابطن ثوأمين ثوأمين في كل بطن سميت الوصيله وتركت فاولدت بعد ذلك من ذكر أو أنثى جعلت للذكور ودون الاناث وان كانت ميتة اشتركوها واما الحام فقال العوفي عن ابن عباس قال كان الرجل اذا التحم فخله عشر اقبل حام فآثر كوه كذا قال أبو روق وقتادة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس واما الحام فالفعل من الابل اذا ولد لولده فالواحي هذا ظهره فلا يحملون عليه شيئا ولا يجزون له وبر ولا يمنعون منه حتى رمى ومن حوض يشرب منه وان كان الحوض غير (١٥) صاحبه وقال ابن زهب سمعت مالكا يقول

اما الحام فاما من الابل كان يضرب في الابل فاذا انقضى ضرابه جعلوا عليه ريش الطواويس وسيبوه وقد قيل غير ذلك في تفسير هذه الآية وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم عن طريق أبي اسحق السبيعي عن أبي الاحوص الجشمي عن أبيه مالك بن نضله قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في خلقان من الثياب فقال لي هل لك من مال فقلت نعم قال من أي المال قال فقلت من كل المال الابل والغنم والغنم والغنم والخنبل والريق قال فاذا آتاك الله مالا فمكث على يدك ثم قال تنتج ابلك وافية آذانها قال قلت نعم قال وهل تنتج الابل الا كذلك قال فلعلك تأخذ المومسي فتقطع آذان طائفة منها وتقول هذه بغيره وتشق آذان طائفة منها وتقول هذه حرم قلت نعم قال فلا تفعل ان كل ما آتاك الله لك حل ثم قال ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام أما البحيرة فهى التى يجذعون آذانها فلا تنتفع امرأتها ولا بناتها ولا أحد من أهل بيته بصوفها ولا أوبارها ولا أشعارها ولا

الى يوم بدر بأن الاشارة الى يوم الزحف كما يفيد السياق ولا منافاة بين هذه الآية وآية الضعف بل هذه الآية مقيدة بها فيكون الفرار من الزحف محرما بشرط ما بينه الله في آية الضعف ولا وجه لما ذكره من أنه لم يكن في الارض يوم بدر مسلمون غير من حضرها فقد كان في المدينة اذا ذلك خلق كثير لم يأمرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالخروج لانه صلى الله عليه وآله وسلم ومن خرج معه لم يكونوا يرون في الابتداء أنه سيكون قتال ويؤيد هذا ورود الاحاديث الصحيحة المصرحة بأن الفرار من الزحف من جملة الكبائر كما في حديث اجتنبوا السبع الموبقات وفيه والتولى يوم الزحف ونحوه من الاحاديث وهذا المبحث تطول ذيلوه وتتشعب طرقه وهو مبين في موطنه وورد عن جماعة من الصحابة أن التولى يوم الزحف من الكبائر قال ابن عطية والادبار جمع دبر والعبارة بالدبر في هذه الآية متمكنة في الفصاحة لما في ذلك من الشناعة على الفرار والذم له قلت ويطلق الدبر على مقابل القبل وعلى الظهور وهو المراد هنا والمقصود من تولية الظهر وهو الانهزام وهذا من باب التعريض حيث ذكر لهم حاله تستهجن من فاعلهما فأتى بالفظ الدبر دون الظاهر لذلك وبعض أهل علم البيان يسمى هذا النوع كناية وليس بشئ (ومن يوالهم يومئذ) أى يوم لقيتهم وهم (دبره الامتحر فالقتل) أى منعظنا وما اتلنا به والنصب على الحال أو الاستثناء من ضمير المؤمنين أى ومن يوالهم الارجل منهم متحرفا واللام للتعليل أى لاجل قتال أى لاجل التمكن منه والتحرف الزوال عن جهة الاستواء والمراد به هنا التحرف من جانب الى جانب في المعركة طلبا لمكاند الحرب وخذع العدو كمن يهزم أنه منهزم ليتبعه العدو ويكر عليه ويتمكن منه ونحو ذلك من مكاند الحرب فان الحرب خدعة (أو متحيزا الى فئة) أى منضم وصائر الى جماعة من المسلمين غير الجماعة المقابلة للعدو أى رجلا منهم متحرفا أو متحيزا ووزن متحيز متفعيل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعيل منه متحوز والتحيز والتحوز الانضمام وتحوزت الحمية انطوت وحزت الشئ منه والخوزة ما يضم الاشياء (فقدباء) أى من ينهزم ويفر من الزحف الا في هاتين الحالتين فقد رجع (بغضب) كأن (من الله وماواه جهنم) أى المكان الذى يأوى اليه هو النار ففراره أو وقعه الى ما هو أشد بلاء مما فر منه وأعظم عقوبة والمأوى ما يأوى اليه الانسان (وبئس المصير) ما صار اليه من عذاب النار وقد اشتمت هذه الآية على هذا الوعيد الشديد لمن يفر عن الزحف وفي

ألبانها فاذا ماتت اشتركوها واما السائبة فهى التى يسبون لآلهمهم ويذهبون الى آلهمهم فيسيبونها واما الوصيله فالسائبة تلد ستة ابطن فاذا ولدت السابع جذعت وقطعت قرنهما فيقولون قد وصلت فلا يذبحونها ولا تضرب ولا تمنع مهمما وردت على حوض هكذا يذ كرتفسير ذلك مدرجاني الحديث وقد روى من وجه آخر عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عوف بن مالك من قوله وهو أشبه وقد روى هذا الحديث الامام أحمد عن سفيان بن عيينة عن أبي الزعراء عمرو بن عمرو عن عمه أبي الاحوص عوف بن مالك بن نضله عن أبيه وليس فيه تفسير هذه والله أعلم وقوله تعالى ولكن الذين كفروا يفتنون على الله الكذب وأكثهم لا يعقلون أى

ما شرع الله هذه الاشياء ولا هي عنده قربة ولكن المشركون افتروا ذلك وجعلوه شرعاً لهم وقربة يتقربون بها اليه وليس ذلك بحاصل لهم بل هو وبال عليهم واذ قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا احسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أي اذ ادعوا الى دين الله وشرعه وما أوجبوه وترك ما حرمة قالوا كيفنا ما وجدنا عليه الآباء والاجداد من الطرائق والمسالك قال الله تعالى أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً أي لا ينهون حقاً ولا يعرفونه ولا يهتدون اليه فكيف يتبعونهم والحالة هذه لا يتبعهم الا من هو اجهل منهم وأضل سبيلاً (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) (١٦) لا يضركم من ضل اذا هتديتم الى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون

ذلك دلالة على أنه من الكبار الموقفة (فلم تقتلوهم) أي اذا عرفتم ما قصه الله عليكم من امداده لكم بالملائكة وايقاع الرعب في قلوبهم فلم تقتلوهم بمقتوتكم (ولكن الله قتلهم) بما يسره لكم من الاسباب الموجبة للتصريح قال الشيخ في جواب شرط محذوف أي وان اقتصرتم بقتلهم فلم تقتلوهم أنتم وقال الشيخ وليست جواباً بل ربط الكلام ببعضه ببعض (ومارميت اذ رميت) اختلف المفسرون في هذا الرمي على أقوال فروى عن مالك أن المراد به ما كان منه صلى الله عليه وآله وسلم في يوم حنين فإنه رمى المشركين بقبضة من حصاء الوادي فأصاب كل واحد منهم وقيل المراد به الرمية التي رمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبي بن خلف بالحرية في عنقه فأنهز موات منها وقيل المراد به السهم الذي رمى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حصن خيبر فسار في الهوى حتى أصاب ابن أبي الحقيق وهو على فراشه وهذه الاقوال ضعيفة فإن الآية تزلت عقب وقعة بدر وأيضاً المشهور في كتب السير والحديث في قتل ابن أبي الحقيق أنه وقع على صورة غيره هذه الصورة والصحيح كما قال ابن اسحق وغيره أن المراد بالرعي المذكور في هذه الآية هو ما كان منه صلى الله عليه وآله وسلم في يوم بدر فإنه أخذ قبضة من تراب فرمى بها في وجوه المشركين فأصاب كل واحد منهم ودخلت في عينيه ومنخره وأنفه قال ثعلب المعنى ومارميت الفرع والرعب في قلوبهم اذ رميت بالحصاء فأنهز موات (ولكن الله رمى) أي أعانك وأظفرك والعرب تقول رمى الله لك أي أعانك وأظفرك وصنع لك وقد حكى مثل هذا أبو عبيد في كتاب المجاز وقال محمد بن يزيد المبرد المعنى ومارميت بقوتك اذ رميت ولكنك بقوة الله رميت وقيل المعنى ان الرمية تلك القبضة من التراب التي رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة لانك لو رميتها ما بلغ أثرها الا ما يبلغه رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الاثر العظيم فأثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان أثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وجل فكان الله فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اصلاً هكذا في الكشاف وفي الآية بيان أن فعل العبد مضى اليه كسبها والى الله خلقها لا كما تقوله الجبرية والمعتزلة لانه أثبت الفعل للعبد ثم نفاها عنه وأثبتته لنفسه فصح هذا النفي والاثبات قال الكرخي نفي الفعل عنهم وعنده باعتبار اليجاد اذا الموجد حقيقة هو الله

يقول تعالى أمر اعباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقاتهم ومخبراً لهم أنه من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس سواء كان قريماً منه أو بعيداً قال العوفي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية يقول تعالى اذا ما العبد أطاعني فيما أمرته به من الحلال ونهيتة عنه من الحرام فلا يضره من ضل بعده اذا عمل بما أمرته به وكذا روى الوالبي عنه وهكذا قال مقاتل بن حيان فقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم نصب على الاغراء لا يضركم من ضل اذا هتديتم الى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون اي فيجازي كل عامل بعمله ان خيراً خيراً وان شراً فشر وليس فيها دليل على ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا كان فعل ذلك ممكناً وقد قال الامام أحمد رحمه الله حدثنا اناشم ابن القاسم حدثنا زهير يعني ابن معاوية حدثنا اسمعيل بن أبي خالد حدثنا قيس قال قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس انكم تفترون هذه

الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا هتديتم الى آخر الآية وانتم تضعونها على غير موضعها واتى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا المنكر ولا يغيرونه يوشك ان الله عز وجل ان يعذبهم بعقابيه قال وسمعت أبا بكر يقول يا أيها الناس اياكم والكذب فان الكذب محجبان الايمان وقد روى هذا الحديث أصحاب السنن الاربعة وابن حبان في صحيحه وغيرهم من طرق كثيرة عن جماعة كثيرة عن اسمعيل بن خالد به متصله من فواعل منهم من رواه عنه به موقوفاً على الصديق وقد رجع دفعه الدارقطني وغيره وذكرنا طرقه والكلام عليه مطولاً في سند الصديق رضي الله عنه وقال

أبو عيسى الترمذي حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا عتبة بن أبي حكيم حدثنا عمرو بن حارثة اللخمي عن أبي أمية الشعباني قال أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له ما تصنع في هذه الآية قال آية آية قلت قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم قال أما والله لقد سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل أنتم وبال معروف وتناها عن المنكر حتى إذا رأيت شحماً مطاعاً وهوى متبعاً وذمماً مؤثراً وما يحب كل ذي رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فإن من ورائكم أياماً الصابرين مثل القابض (١٧) على الجمل العامل فيهن من مثل أبحر خمسين

رجلاً يعملون كعملكم قال عبد الله بن المبارك وزاد غير عتبة قيل يا رسول الله أبحر خمسين رجلاً منكم قال لا بل أبحر خمسين حديث حسن غريب صحيح وكذا رواه أبو داود ومن طريق ابن المبارك ورواه ابن ماجه وابن جرير وابن أبي حاتم عن عتبة بن أبي حكيم وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الحسن أن ابن مسعود رضي الله عنه سأله رجل عن قول الله عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكنه قد يوشك أن يأتى زمانها تأمرون فيصنع بكم كذا وكذا أو قال فلا يقبل منكم خفيئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل ورواه أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن ابن مسعود في قوله يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل الآية قال كانوا عند عبد الله بن مسعود جلوساً فكان بين رجلين بعض ما يكون بين الناس حتى قام كل واحد منهما إلى

تعالى وإثباته لهم وله باعتبار الكسب والصورة قال مجاهد هذا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين حصب الكفار وقال قتادة رماهم يوم بدر بالحصباء وعن حكيم بن حزام قال لما كان يوم بدر سمعنا صوتاً من السماء إلى الأرض كأنه صوت حصاة وقعت في طست ورمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتلك الحصباء وقال شأهت الوجوه فأنهزنا فذلك قوله تعالى وما رميت أذميت الآية وعن جابر نحوه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي ناولني قبضة من حصباء فثار له فرمى بها في وجوه القوم فأتى أحد من القوم الامتلات عيناه من الحصباء فترلت هذه الآية وقال ابن المسيب أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حر به في يده فرمى بها أبي بن خلف وكسر ضلعاً من أضلاعه وفي ذلك أنزل الله وما رميت أذميت وعن الزهري نحوه واسناده صحيح اليه ما قال ابن كثير وهذا القول عن هذين الامامين غريب جداً ولعلهما أرادان الآية تتناوله بعمومها وهكذا قال فيما قاله عبد الرحمن بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا بقوس فرمى بها الحصن فأقبل السهم حتى قتل ابن أبي الحقيق في فراشه فأنزل الله وما رميت أذميت ولكن الله رمى (وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً) البلاء يستعمل في الخير والشر على حدو بلوناهم بالحسنات والسيئات والمراد هنا الخير والنعمة وعليه أجمع المفسرون والمعنى ولينعم على المؤمنين بالنعمة انعاماً جيبلاً أي للانعام عليكم بنعمة الجليله فعل ذلك لا لغيره وقيل التقدير ان كان الله رمى ليعجز الكافرين وليبلى المؤمنين وقال عروة بن الزبير رأى ليعرف المؤمنين من نعمته عليهم في اظهارهم على عدوهم مع كثرة عدوهم وقوله هؤلاء ليعرفوا بذلك حقه ويشكروا بذلك نعمته (ان الله سميع لدعائهم عليهم) بأحوالهم (ذلكم) أي البلاء الحسن والقتل والرمي (وان الله موهن كيد الكافرين) أي ان الغرض منه بما وقع مما حكته الآيات السابقة بلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين (ان تسمتعوا فسد جاءكم الفتح) الاستفتاح طلب النصر وقد اختلف في الخطابين بالآية من هم فقبل انها خطاب للكفار تم كجاءهم لانهم الذين وقع بهم الهلاك والذلة والمعنى ان تستنصروا الله على محمد فقد جاءكم النصر وقد كانوا عند خروجهم من مكة سألو الله ان ينصرأحق الطائفتين وأعلى الجندين وأهدى القشتين وأكرم الخزيبين بالنصر والظفر وهو في نفس الامر دعاء

(٣ - فتح البيان ح) صاحبه فقال رجل من جلساء عبد الله ألا أقوم فأمرهم بالمعروف وأنهاها عن المنكر فقال آخر إلى جنبه عليك نفسك فان الله يقول عليكم أنفسكم الآية قال فسمعها ابن مسعود فقال له لم يبي تأويل هذه بعد ان القرآن أنزل حيث أنزل ومنه أي قدمضى تأويله قبل أن ينزل ومنه أي قد وقع تأويله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه أي قد وقع تأويله بعد النبي صلى الله عليه وسلم يسير ومنه أي يقع تأويله يوم الحساب ما ذكر من الحساب والجنة والنار فبادمت قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعاً ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا وانهم واذا اختلفت السلاوب

والاهواء والبسم شيعا وذاق بعضكم بأس بعض فأمر نفسك وعند ذلك جاءنا وأويل هذه الآية رواه ابن جرير وحديثنا الحسن بن عرفة حدثنا شبابة بن سوار حدثنا الربيع بن صبيح عن سفيان بن عقال قال قيل لابن عمر لوجست في هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه فان الله قال عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اعتديتم فقال ابن عمر انها ليست لي ولا لأصحابي لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الافليخ الغائب فكنا نحن الشهود وانتم الغيب ولكن هذه الآية لا تقوم بجيئون من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم وقال أيضا حدثنا محمد بن بشار (١٨) حدثنا محمد بن جعفر وأبو عاصم قالوا حدثنا عوف عن سوار بن منبه قال

كنت عند ابن عمر اذا تأهرا رجل جامد في العين شديدا للسان فقال يا ابا عبد الرحمن فترستة كلهم قد قرأ القرآن فأسرع فيه وكلهم مجتهد لا يألوا وكلهم بغيض السبه ان يأتي ذناهة الا الخبير وهم في ذلك يشهد بعضهم — على بعض بالشرك (١) فقال الرجل اني لست اياك أسأل انما أسأل الشيخ فأعاد على عبد الله الحديث فقال عبد الله لعلي ترى لا ابالك اني سأمرك أن تذهب فتقتلهم عظيمهم وانهم فان عسوك فعليك نفسك فان الله عز وجل يقول يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم الآية وقال أيضا حدثني أحمد بن المقدم حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت ابي حدثنا قتادة عن ابي مازن قال انطلقت على عهد عثمان الى المدينة فاذا قوم من المسلمين جلوس فقرأ أحدهم هذه الآية عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل فقال أكرههم لم يجي تأويل هذه اليوم وقال حدثنا القاسم حدثنا الحسن بن حدثنا ابن فضالة عن معاوية بن صالح عن جبير بن نفير قال كنت في لمة

عليهم وان أرادوا به الدعاء على محمد وحزبه صلى الله عليه وآله وسلم فتمتكم الله بهم وهمي ما حل بهم من الهلاك نصر اومعني بقية الآية على هذا القول (وان تنهوا) عما كنتم عليه من الكفر والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (فهو) أي الانتهاء (خير لكم وان تعودوا) الى ما كنتم عليه من الكفر والعداوة (نعد) بتسليط المؤمنين عليكم ونصرهم كما سلطناهم ونصرناهم في يوم بدر وقال قتادة نعد لكم بالقتل والاسر (وان تغني عنكم فنتسكم) أي جماعتكم (شيأ ولو كثرت) أي لا تغني عنكم في حال من الاحوال ولو في حال كثرتهم قال (وان) بالكسر استئنافا وفتحها على تقدير اللام (الله مع المؤمنين) أي محمد وأصحابه فانه السدي ومن كان الله معه فهو المنصور ومن كان الله عليه فهو المخذول وقيل ان الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا الله فقد جاءكم النصر في يوم بدر وان تنهوا عن مثل ما فعلتموه من أخذ الغنائم وفداء الاسرى قبل الاذن لكم بذلك وعن التكاثر في القتال والرغبة عما يختاره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا الى مثل ذلك نعد الى توبيتكم كما في قوله لولا كتاب من الله سبق الآية ولا يخفى انه بأبي هذا القول معنى ولن تغني عنكم فنتسكم شيأ وبأباه أيضا ان الله مع المؤمنين وتوجيه ذلك لا يمكن الا بتكافؤ وتعسف وقيل ان الخطاب في ان تستفتحو للمؤمنين وفيما بعده للكافرين ولا يخفى ما في هذا من تفكيك النظم وعود الضمائر الجارية في الكلام على نمط واحد الى طائفتين مختلفتين (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله) أمر الله سبحانه المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله في أمر الجهاد لان فيه بذل المال والنفس (ولا تولوا) نهاهم عن التولي عن رسوله فالضمير في (عنه) عائذ الى الرسول لان طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي من طاعة الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ويحتمل أن يكون راجع الى الله والى رسوله كما في قوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وقيل راجع الى الامر الذي دل عليه أطيعوا هذا نفس الآية على ظاهر الخطاب للمؤمنين وبه قال الجمهور وقيل انه خطاب للمنافقين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بالسنتم فقط قال ابن عطية وهذا وان كان محتملا على بعد فهو وضعف جدا لان الله وصف من خاطبه في هذه الآية بالايان وهو التصديق والمنافقون لا يتصفون من التصديق بشيأ وأبعد من هذا من قال الخطاب لبني اسرائيل فانه أجنبي من الآية (وانتم تسمعون) ما يتلى عليكم

فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانى لا صغر القوم فتذاكروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فقلت أنا أليس الله يقول في كتابه يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اعتديتم فأقبوا على بلسان واحد وقالوا تزعم آية من القرآن لا تعرفها ولا تدري ما تأويلها فتمت اني لم أكن تكلمت وأقبوا يتعدون فلما حضر قيامهم قالوا انك غلام حديث السن وانك تزعم آية ولا تدري ما هي وعسى أن تدرك ذلك الزمان اذا رأيت شعما مطاعا وهوى متبعا وانجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك لا يضرك من ضل اذا اعتديت وقال ابن جرير حدثنا علي (١) يياض بالاصل

ابن سهل حدثنا ضمرة بن ربيعة قال تلا الحسن هذه الآية يا أيها الزاموا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم فقال الحسن الحمد لله بها والحمد لله عليها ما كان مؤمن فيهما ضى ولا مؤمن فيما بقى الا والى جنبه منافق يكره عمله وقال سعيد بن المسيب اذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر فلا يضرك من ضل اذا اهتديت رواه ابن جرير وكذا روى من طريق سفيان الثوري عن أبي العميس عن أبي بصير عن حذيفة مثله وكذا قال غير واحد من السلف وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد الدمشقي حدثنا الوليد حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن كعب في قوله عليكم (١٩) أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم

قال اذا هدمت كنيسة مسجد دمشق فجعلت مسجدا وظهر ليس العصب فحينئذ تأويل هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم ان أنتم ضربتم في الارض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله ان ارتبتم لانشترى به ثمنًا ولو كان ذا قربى ولا ينكحتم شهادة الله انا اذ المن الا اثنين فان عثر على انها ما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذ المن الظالمين ذلك أدنى أن يأثروا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واطعوا الله لايهدي القوم الناسقين) اشتملت هذه الآية الكريمة على حكم عزيز قيل انه منسوخ رواه العوفي عن ابن عباس وقال حماد ابن أبي سليمان عن ابراهيم انها منسوخة وقال آخرون وهم الاكثر فيما قاله ابن جرير بل هو

من الحجج والبراهين والقرآن والمواظظ وتصديقها ولستم كالمصم البكم (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) وهم المشركون أو المنافقون أو اليهود والجميع من هؤلاء فانهم يسمعون بأذانهم من غير فهم ولا عمل (وهم لا يسمعون) سمع تدبر واتعاط أي فهم كالذي لم يسمع أصلا لأنه لم ينتفع بسماعه وهذه صفة المنافقين أو المشركين (ان شر الدواب) أي مادب على وجه الارض واطلاق الدابة على الانسان حقيقي لما ذكره في كتب اللغة من أنها تطلق على كل حيوان ولو آدميا وفي المصباح الدابة كل حيوان في الارض مميذا أو غير مميذ (عند الله) أي في حكمه (الصم البكم) أي الذين لا يسمعون ولا ينطقون وصفوا بذلك مع كونهم ممن يسمع وينطق لعدم اتقاعهم بالسمع والنطق (الذين لا يعقلون) ما فيه النفع لهم فيأتونه وما فيه الضرر عليهم فيجتنبونه فهم شر الدواب عند الله لانها تميز بعض تمييز وتفرق بين ما ينفعها ويضرها قال ابن عباس هم نفر من قريش من بني عبد الدار وعن ابن جرير قال نزلت هذه الآية في النضر بن الحرث وقومه (ولو علم الله فيهم) أي في هؤلاء الصم البكم (خيرا) أي خير (لا يسمعون) سمعا ينتفعون به ويعقلون عندهم والحجج والبراهين قال الزجاج لا يسمعون جواب كل ما سألوا عنه وقيل لا يسمعون كلام الموتى الذين طلبوا الحياءهم لانهم طلبوا الحياء قصى بن كلاب وغيره لشهدوا بشهادة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال عروة بن الزبير لا يسمعون أي لانفذانهم قولهم الذي قالوا بأاستنهم ولكن القلوب خالفت ذلك منهم (ولو أسمعهم) فرضا وقد علم أن لا خير لهم (لتولوا) عنه ولم ينتفعوا بما يسمعون من المواظظ والدلائل ولم يستمعوا (وهم معرضون) عن قبوله عنادا ووجود الاله قد سبق في علمه انهم لا يؤمنون (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول) الامر هنا بالاستجابة مؤكدا لما سبق من الامر بالطاعة والاستجابة الطاعة قال أبو عبيدة معنى استجبوا أجبوا والسين والتاء زائدتان وان كان استجاب يتعدى باللام وأجاب بنفسه كافي قوله يا قومنا أجبوا داعي الله وقد يتعدى استجاب بنفسه (اذا دعاكم) وحد الضمير هنا كما وحده في قوله ولا تولوا عنه لان استجابة الرسول استجابة لله تعالى وانما يذكرها مع الامر لتوكيد وقد تقدم وجه ذلك (لما يحييكم) أي استجبوا لما يحييكم اذا دعاكم ولا مانع من أن تكون اللام متعلقة بدعا أي اذا دعاكم الى ما فيه حياتكم من علوم الشريعة لان العلم حياة كما ان

حكم ومن ادعى نسخة فعليه البيان فقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان هذا هو الخبر (١) لقوله شهادة بينكم فقيل تقديره شهادة اثنين حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مائة وقيل دل الكلام على تقدير ان يشهد اثنان وقوله تعالى ذوا عدل وصف الاثنين بأن يكونا عدلين وقوله منكم أي من المسلمين قاله الجمهور وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله ذوا عدل منكم قال من المسلمين رواه ابن أبي حاتم ثم قال وروى عن عبيدة وسعيد بن المسيب والحسن ومجاهد ويحيى بن يعمر والسدي وقتادة وغيرهم نحو ذلك قال ابن جرير وقال آخرون عن ذلك ذوا عدل منكم أي من (١) قوله هذا هو الخبر كذا بالنسخ التي بأيدينا وحرر هـ

اهل الموصى وذلك قول روى عن عكرمة وعبيدة وعدة غيرهما وقوله أو آخر ان من غيركم قال ابن أبي حاتم حدثنا ابي خديثنا
 سعيد بن عوف حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس في قوله أو آخر ان من
 غيركم قال من غير المسلمين يعني اهل الكتاب ثم قال وروى عن عبيدة وشريح وسعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين ويحيى بن يعمر
 وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير والشعبي وابراهيم النخعي وقتادة وأبي مجلز والسدي ومقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن
 أسلم وغيرهم نحو ذلك وعلى ما حكاه ابن جرير (٢٠) عن عكرمة وعبيدة في قوله منكم أن المراد من قبيلة الموصى يكون

الجهل موت

لا تعجب من الجهول حلتته * فذالميت وثوبه كفن

قال الجهور من المفسرين المعنى استحيبوا اللطاعة وما تضمنه القرآن من أوامر ونواهي
 فضمه الحياة الابدية والنعمة السرمدية وقيل المراد الجهاد فانه سبب الحياة في الظاهر
 لان العدو اذا لم يغزنا قاله ابن اسحق وقال السدي هو الايمان لان الكافر ميت
 فيحيا بالايمان وقال مجاهد هو الحق وقيل هو الشهادة لان الشهداء احياء عند ربهم
 يرزقون وعن قتادة قال هذا هو القرآن فيه الحياة والثقة والنجاة والعصمة في الدنيا
 والاخرة وقال عروة بن الزبير للعرب التي اعزكم الله بعد الذل وقواكم بعد الضعف
 ومنعكم بهم امن العذاب بعد القهر منهم لكم وقد ثبت في الصحيح من حديث ابي سعيد
 ابن المعلى قال كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم أجبه
 ثم أتيت فقلت يا رسول الله انى كنت أصلي فقال ألم يقل الله تعالى استحيبوا لله والرسول
 اذا دعاكم الحديث وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج على ابي
 ابن كعب وهو يصلي فقال يا ابي فالتفت ابي ولم يجبه الحديث وفيه فقال انى كنت في
 الصلاة فقال ألم تجد فيما أوحى الله الى استحيبوا لله وللرسول اذا دعاكم قال بلى ولا أعود
 ان شاء الله تعالى أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح وهذه الاجابة مختصة بالنبي صلى الله
 عليه وآله وسلم وليس لاحد ان يقطع صلواته لادعاء أحد آخر وقيل لو دعاه أحد لا مرهم
 لا يحتمل اما خيره أنه يقطع صلواته والاول اولى ويستدل بهذا الامر بالاستجابة على انه
 لا بد من الاجابة في كل مادعا الله ورسوله اليه فيجب على كل مسلم اذا بلغه قول الله أو قول
 رسوله في حكم من الاحكام الشرعية أن يبادر الى العمل به كأنما كان ويدع ما خالفه
 من الاراء وأقوال الرجال وفي هذه الآية الشريفة أعظم باعث على العمل بنصوص
 الأدلة وترك التقليد بالمازاهب وعدم الاعتداد بما يخالف ما في الكتاب والسنة كأنما
 ما كان (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) قيل معناه يادروا الى الاستجابة قبل أن
 لا تمسكونوا منها بزوال القلوب التي تعقلون بها بالموت الذي كتبه الله عليكم وقيل معناه
 أنه خاف المسلمون يوم بدر كثرة العدو فأعلمهم الله أنه يحول بين المرء وقلبه بأن يدلهم بعد
 الخوف أمنا ويبدل عدوهم من الامن خوفا واختار ابن جرير أن هذا من باب الاخبار

المراد ههنا أو آخر ان من غيركم أى
 من غير قبيلة الموصى وروى ابن
 أبى حاتم مثله عن الحسن البصرى
 والزهرى رجهما الله وقوله تعالى
 ان أنتم ضربتم فى الارض أى
 سافرتم فأصابتكم مصيبة الموت
 وهذان شرطان لجواز استشهاد
 الذميين عند فقد المؤمنين أن يكون
 ذلك فى سفروا أن يكون فى وصية كما
 صرح بذلك شريح القاضي قال
 ابن جرير حدثنا عمرو بن على حدثنا
 أبو معاوية وو كيع قال حدثنا
 الأعمش عن ابراهيم عن شريح
 قال لا تجوز شهادة اليهود والنصارى
 الا فى سفر ولا تجوز فى سفر الا فى
 الوصية ثم رواه عن ابي كريب عن
 ابي بكر بن عياش عن ابي اسحق
 السبيعي قال قال شريح فذكر مثله
 وروى نحوه عن الامام أحمد بن
 حنبل رجه الله تعالى وهذه المسئلة
 من أفراد وخالفه الثلاثة فقالوا
 لا تجوز شهادة أهل الذمة على
 المسلمين وأجازها أبو حنيفة فيما بين
 بعضهم بعضا وقال ابن جرير
 حدثنا عمرو بن على حدثنا أبو داود
 حدثنا صالح بن ابي الأخضر عن

الزهرى قال مضت السنة أن لا تجوز شهادة الكافر فى حضر ولا سفر انما هى فى المسلمين وقال ابن زيد
 نزلت هذه الآية فى رجل توفى وليس عنده أحد من أهل الاسلام وذلك فى أول الاسلام والارض حرب والناس كفار وكان الناس
 يتوارثون بالوصية ثم نسخت الوصية وفرضت الفرائض وعمل الناس بها رواه ابن جرير وفى هذا نظر والله أعلم وقال ابن جرير
 اختلف فى قوله شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخر ان من غيركم هل المراد به أن يوصى
 اليهما أو يشهدهما على قولين أحدهما أن يوصى اليهما كما قال ابن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال قال ابن مسعود رضى

الله عنه في هذه الآية هذا رجل سافر ومعه مال فأدركه قدره فان وجد رجلين من المسلمين دفع اليهما تر كته واشهد عليهما عدلين من المسلمين ورواه ابن أبي حاتم وفيه انقطاع والقول الثاني يكونان شاهدين وهو ظاهر سباق الآية انهما فان لم يكن وصى الكريمة ثاثة معها اجتمع فيهما الوصفان الوصاة والشهادة كما في قصة تميم الداري وعدي بن بدهاء كما سياتي ذكرها آنفا ان شاء الله وبه التوفيق وقد استشكل ابن جرير كونهما شاهدين قال لا نالنا لعلم حكاي يحلف فيه الشاهد وهذا لا يمنع الحكم الذي تضمنته هذه الآية الكريمة وهو حكم محكم مستقل بنفسه لا يلزم ان يكون جارا على قياس جميع (٢١) الاحكام على ان هذا حكم خاص بشهادة

خاصة في محل خاص وقد اغتفر فيه من الامور ما لم يغتفر في غيره فاذا قامت قرينة الريسة حلف هذا الشاهد بمقتضى ما دللت عليه هذه الآية الكريمة وقوله تعالى تجسبونهم من بعد الصلاة قال العوفي عن ابن عباس يعني صلاة العصر وكذا قال سعيد بن جبير و ابراهيم النخعي وقتادة وعكرمة ومحمد بن سيرين وقال الزهري يعني صلاة المسلمين وقال السدي عن ابن عباس يعني صلاة أهل دينهما وروى عن عبد الرزاق عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة وكذا قال ابراهيم وقتادة وغير واحد والمقصود ان يقام هذان الشاهدان بعد صلاة اجتمع الناس فيها بحضرتهم فيقسمان بالله أي يحلفان بالله ان ارتبتم أي ان ظهرت لكم منهما ريبة انتم ما خانأ وغلا فيحلفان حينئذ بالله لان شترى به أي بأيماننا قاله مقاتل بن حيان ثنا أي لانعاض عنه بعوض قليل من الدنيا الفانية الزائلة ولو كان ذا قرني أي ولو كان المشهود عليه قريسا لنا لانحاييه ولانتم شهداء الله اضافها

من الله عز وجل بأنه أملك لقلوب عباده منهم وأنه يحول بينهم وبينها اذا شاء حتى لا يدرك الانسان شيئا الا بعينته عز وجل ولا يخفالك انه لا مانع من جعل الآية على جميع هذه المعاني وقال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر وبين الايمان وطاعة الله وبه قال سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وقال السدي يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يؤمن أو يكفر الا بآذنه و ارادته قيل وهذا القول هو الذي دلت عليه البراهين العقلية لان احوال القلوب اعتقادات ودواعي ارادات وتلك الارادات لا بد لها من فاعل مختار وهو الله تعالى فثبت بذلك أن المتصرف في القلب كيف شاء هو الله فالمعنى انه يحول بين المرء وخواطر قلبه أو وادراك قلبه بمعنى أنه يمنع حصول مراده أو يمنع من الادراك والفهم في الشهاب أصل الحول كما قال الراغب تغير الشيء وانفصله عن غيره وباعتبار التغير قيل حال الشيء يحول وباعتبار الانفصال قيل حال بينهما كذا حقيقة كون الله يحول بين المرء وقلبه أنه يفصل بينهما ومعناه الحقيقي غير متصور في حقه فهو مجاز عن غاية القرب من العبد لان من فصل بين شيئين كان أقرب الى كل منهما من الآخر لانه لا اتصال بينهما وانفصال أحدهما عن الآخر هو ما استعاره تبعية فمعنى يحول يقرب أو تمثيلية وقيل ان الانسب أن يكون مجازا مر كاهم سلا لاستعماله في لازم معناه وهو القرب وليس يبعد وقال أبو السعد وهذا تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله نحن أقرب اليه من حبل الوريد وتنبه على أنه مطلع على مكتوبات القلوب ما عسى يغفل عنه صاحبها أو حث على المبادرة الى الاخلاص القلوب وتصفيتها قبل ادراك المنية فانها حاله بين المرء وقلبه أو تصور وتخييل لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ويغير نيته ومقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان أراد سعادته ويبدله بالامن خوفا وبالذكر نسيانا وما أشبه ذلك من الامور العارضة المفقوتة للفرصة اه وقال الربيع بن أنس علمه يحول وقال مجاهد يحول حتى يتركه لا يعقل وعن الحسن قال في القرب منه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان قلوب بني آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك أخرجه مسلم وفي الباب أحاديث وهذا الحديث من أحاديث الصفات يجب امراره على ما جاء من غير تأويل

الى الله تشرىفها وتعظيمها الامرها وقرأ بعضهم ولانتم شهداء الله مجرور وعلى القسم رواها ابن جرير عن عامر الشعبي والقراءة الاولى هي المشهورة انا اذا لمن الاثنتين أي ان فعلنا شيئا من ذلك من تجريف الشهادة أو تبديلها أو تغييرها أو كتمها بالكلية ثم قال تعالى فان عثر على أنهم استحقوا الثمنا أي فان اشتهر وظهر وتحقق من الشاهدين الوصيين انهما خانأ وغلا شيئا من المال الموصى به اليهما وظهر عليهم ما بذلك فأخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان هذه القراءة المشهورة استحق عليهم الاوليان وروى عن الحسن وغيره أنهم قرؤها (١) وروى الحاتم في المستدرک من طريق اسحق بن محمد

(١) بياض بالاصل ولعله من الذين استحق عليهم الاولان كما سياتي قريبا اه معججه

أن يستحلوه بما يعظم به على أهل دينه خلف فأنزله الله هذه الآية الى قوله أو يخافوا ان تراد أيمان بعد أيمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل آخر خلفا فنزعت الخسماثة من عدى بن بدهاء ثم قال هذا حديث غريب وليس اسناده بصحيح وأبو النضر الذي روى عنه محمد بن اسحق هذا الحديث هو عندى محمد بن السائب الكلبي يكنى أبا النضر وقد ترك أهل العلم بالحديث وهو صاحب التفسير سمعت محمد بن اسمعيل يقول يقول محمد بن السائب الكلبي يـكـنى أبا النضر ثم قال ولا تعرف لأبي النضر رواية عن أبي صالح مولى أم هانئ وقد روى عن ابن عباس شئ من هذا على الاختصار من غير (٢٣) هذا الوجه حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا يحيى

ابن آدم عن ابن أبي زائدة عن محمد بن أبي القاسم عن عبد الملك بن سعيد بن جبيرة عن أبيه عن ابن عباس قال خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدى بن بدهاء فأتاهم في أرض ليس بها مسلم فلما قدم ما بتركته ففسدوا جاما من فضة مخصوصا بذهب فأحلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجدوا الجمام بمكة فقيل اشتريناها من تميم وعدى فقام رجلا من أولياء السهمي خلفا بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وان الجمام لصاحبهم وفيهم نرات أيام الذين آمنوا شهادة بينكم الآية وكذا رواه ابوداود عن الحسن بن علي بن يحيى بن آدم ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وهو حديث ابن أبي زائدة ومحمد بن أبي القاسم الكوفي قيل انه صالح الحديث وقد ذكر هذه القصة مرسله وغير واحد من التابعين منهم عكرمة ومحمد بن سيرين وقتادة وذكروا ان التحليف كان بعد صلاة العصر رواه ابن جرير وكذا ذكرها مرسله بجهاهد والحسن والضحك

يعمل فيهم بالمعاصي بقدر ان يغير واعليه ولم يغير والاصحابهم الله بعقاب قبل ان يتوبوا وقال ابن زيد ارباب القنينة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا وروى الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه ومن وجد المجأ ومعاذ فليعذب قال الكرخي واستشكل هذا بقوله تعالى ولا تزروا زورة وزرا أخرى وأجيب بأن الناس اذا تظاهروا بالمنكر فالواجب على كل من رآه أن يغيره اذا كان قادرا على ذلك فاذا سكت فكلمهم عصاة هذا بقوله وهذا برضاه وقد جعل الله بحكمته الراضي بمنزلة العامل فانظم في العقوبة اه وعلامة الرضا بالمنكر عدم التالم من الخلل الذي يقع في الدين بفعل المعاصي فلا يتحقق كون الانسان كارها له الا اذا تالم للخلل الذي يقع في الدين كما يتالم ويترجع لفقده مال أو ولده فكل من لم يكن بهذه الحالة فهو راض بالمنكر فتعمه العقوبة والمصيبة بهذا الاعتبار هكذا قرره القسطلاني على البخاري (واعلموا ان الله شديد العقاب) ومن شدة عقابه أنه يصيب بالعذاب من لم يباشر أسبابه وقد وردت الآيات القرآنية بأنه لا يصاب أحد الا بذنبه ولا يعذب الا بجنايته فيمكن حمل ما في هذه الآية على العقوبات التي تكون بتسليط العباد بعضهم على بعض ويمكن أن تكون هذه الآية خاصة بالعقوبات العامة والله أعلم ويمكن أن يقال ان الذين لم يظلموا قد تسببوا للعقوبة باسباب كثيرة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فتكون الاصابة المتعدية للظالم الى غيره مختصة بمن ترك ما يجب عليه عند ظهور الظلم وعن ابن عباس قال امر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكرين بنظرهم فيعصمهم الله بعذاب (واذكروا انتم قليل مستضعفون في الارض) الخطاب للنبي وللمهاجرين بتذكير نعمه الله عليهم بالحماية من أعدائهم حيث آواهم في المدينة ونصرهم بيدرو هذه الآية نزلت بعد بدر رأى اذكروا وقت قلتكم والارض هي أرض مكة وأطلقها في الآية لانها لعظمها كأنها هي الارض كلها ولان حالهم كان في بقية البلاد كحالهم فيها أو قريبا من ذلك ولهذا عبر عنهم بالناس في قوله (تخافون ان يخطفكم الناس) والخطف الاخذ بسرعة والمراد بالناس مشركو قوريش وكفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقيل فارس والروم قاله وهب (فأواكم) يقال اوى اليه بالمد والقصر بمعنى الضم اليه

وهذا يدل على اشتهارها في السلف وصحتها ومن الشواهد لحة هذه القصة أيضا رواه أبو جعفر بن جرير حدثني يعقوب حدثنا هشيم قال أخبرنا زكريا عن الشعبي أن رجلا من المسلمين حضرته الصلاة بدقوا قال فحضرته الوفاة ولم يجد أحدا من المسلمين يشهد له على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب قال فقدما الكوفة فأتيا الأشعري يعني أباموسى الأشعري رضى الله عنه فأخبراه وقدما الكوفة بتركته ووصيته فقال الأشعري هذا أمر لم يكن بعد الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بلبلا ولا كتما ولا غيرا وانها الوصية الرجل وتركته قال فامضى شهادتهما ثم رواه عن عمرو بن علي الفلاس

عن أبي داود الطيالسي عن شعبه عن مغيرة الأزرق عن الشعبي أن أبا موسى قضى به وهذان اسنادان صحيحان إلى الشعبي عن أبي موسى الأشعري فقوله هذا أمر لم يكن بعد الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهر والله أعلم أنه إنما أراد بذلك قصة تميم وعدي بن بداء وقد ذكره وان إسلام تميم بن أوس الداري رضي الله عنه كان سنة تسع من الهجرة فعلى هذا يكون هذا الحكم متأخر يحتاج مدعى نسخه إلى دليل فاصل في هذا المقام والله أعلم وقال أسباط عن السدي في الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية (٢٤) اثنتان ذوات عدل منكم قال هذا في الوصية عند الموت يوصى ويشهد

رجلين من المسلمين على ماله وما عليه قال هذا في الخضر أو آخران من غيركم في السفر إن تم ضرب يسم في الأرض فاصابتكم مصيبة الموت هذا الرجل يدرك الموت في سفره وليس بحضوره أحد من المسلمين فيدعور رجلين من اليهود والنصارى والمجوس فيوصى إليهم ما ويدفع إليهم ما ميراثه فيقبلان به فان وصل أهل الميت الوصية وعرفوا ما لصاحبهم ثم كوهما وان ارتابوا رفعوهما إلى السلطان فذلك قوله تعالى تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه كأنى انظر إلى العجلين حين انتهى بهما إلى أبي موسى الأشعري في داره ففتح الصحيفة فأنكر أهل الميت وخوفوهما فأراد أبو موسى أن يستخلفهما بعد العصر فقلت انهما لا يباليان صلاة العصر ولكن استخلفهما بعد صلاتهم في دينهما فيوقف الرجلان بعد صلاتهما في دينهما فيحلفان بالله لا تشترى بهنما قليلا ولو كان ذاقربي ولا نكتم شهادة الله أنا ذالمنا الآتين ان صاحبهم لهذا أوصى وان هذه لتركته فمقول لهما الامام قبل أن يحلفا ان كان

والمعنى ضمكم الله إلى المدينة أو إلى الانصار (وأيدكم نصره) أى وقواكم بالنصر في مواطن الحرب التي منها يوم بدر وأقواكم بالملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) التي من جللتها الغنائم أهلها لكم ولم يجلها الا حد قبلكم (لعلكم تشكرون) أى ارادة أن تشكروا هذه النعم التي أنعم الله بها عليكم قال قتادة كان هذا الخبي من العرب أدل الناس ذلا وأشقاء عيشا وأجوعه بطنا وعرما جلودا وأبينه ضلالة من عاش عاش شقيا ومن مات منهم ردى في النار يؤكلون ولا يأكلون لا والله ما تعلم قبيلا من حاضري الأرض يومئذ كان أشرم نزل منهم حتى جاء الله بالاسلام فكان به في البلاد ووسع به في الرزق وجعلهم به ملوكا على رقاب الناس وبالاسلام أعطى الله ما رأيتهم فاشكروا لله ونعمه فان ربكم منعم يحب الشكر وأهل الشكر في ميزان الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم) الخون أصله كفى الكشاف النقص كما ان الوفاء التمام ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شئ فقد أدخلت عليه النقص وقيل معناه الغدر واخفاء الشئ ومثله قوله تعالى يعلم خائنة الاعين نهاهم الله عن أن يخونوه بترك شئ مما افترضه عليهم أو يخونوا رسوله بترك شئ مما آمنهم الله عليه أو بترك شئ مما حسنه لهم أو يخونوا شئ من الامانات التي ائتمنوا عليها وسميت امانات لانه يؤمن معها من منع الحق مأخوذة من الامن قال ابن عباس لا تخونوا الله بترك فراثه والرسول بترك سننه وارتكاب معصيته وقال المغيرة بن شعبه تزات هذه الآية في قتل عثمان وقال يزيد بن ابي حبيب هو الاخلال بالسلاح في المغازي ولعل مرادهم ان هذا مما يندرج تحت عمومها وقال جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان ابا سفيان بمكان كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه بمكان كذا فاخرجوا اليه واكتموا فكتب رجل من المنافقين إلى أبي سفيان ان سمعا يريدكم فخذوا حذركم فانزل الله هذه الآية وعن عبد الله بن أبي قتادة قال نزلت هذه الآية في أبي لبابة بن عبد المنذر سأله يوم قريظة ما هذا الامر فأشار إلى حلقه أنه الذبح فنزلت وعن الزهري نحوه بأطول منه وعن الكلبى والسدى نحوه ولما اشتد الحصار بيني قريظة أطاعوا وانقادوا أن ينزلوا على ما يحكمهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحكم فيهم

كتمت أو ختمت فمضتكم في قومكم ولم تجزلكم شهادة وعاقبة كما إذا قال لهما ذلك فان ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة سعد على وجهها رواه ابن جرير وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسن بن حدثنا هشيم أخبرنا مغيرة عن ابراهيم وسعيد بن جبيرة انهما قال في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الآية قال اذا حضر الرجل الوفاة في سفر فليشهد رجلين من المسلمين فان لم يجد رجلين من المسلمين فرجلين من أهل الكتاب فاذا قداما بتركته فان صدقهما الورثة قبل قولهما وان اتهموهما خلفا بعد صلاة العصر بالله ما كتمنا ولا كذبنا ولا غشنا ولا غيرنا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية فان ارتب في شهادتهما استخلفنا بعد

العصر بالله ما شتر ينابشهادتنا غنا قليلا فان اطلع الاويان على ان الكافرين كذباني شهادتهما قام رجلان من الاولياء خلفا بالله ان شهادة الكافرين باطلة وانما نعتهم وذلك قوله فان عثر على انهما استحقا انما يقول ان اطلع على ان الكافرين كذبافا حتران يقومان قامهما يقول من الاولياء خلفا بالله ان شهادة الكافرين باطلة وانما نعتهم قد شهدا الكافرين ويجوز شهادة الاولياء وهكذا روى العوفي عن ابن عباس رواهما ابن جرير وهكذا اقره هذا الحكم على مقتضى هذه الآية غير واحد من أئمة التابعين والسلف رضى الله عنهم وهو مذهب الامام أحمد رحمه الله وقوله ذلك أدنى (٢٥) ان يأثواب الشهادة على وجهها اى شرعية

هذا الحكم على هذا الوجه المرضي من تحليف الشاهد من الذين اقرب الى اقامتهما وقوله أو يخافوا ان تردايمان بعد ايمانهم اى يكون الحامل لهم على الايمان بها على وجهها هو تعظيم الخلف بالله ومرعاة جانبه واجلاله والخوف من الفضيحة بين الناس ان اردت اليمين على الورثة فيحلفون ويستحقون ما يدعون ولهذا قال أو يخافوا ان تردايمان بعد ايمانهم ثم قال واتقوا الله اى فى جميع أموركم واسمعوا أى وأطيعوا والله لا يهدى القوم الفاسقين أى الخارجين عن طاعته ومتابعة شريعته (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب) هذا الخبر عما يخاطب الله به المرسلين يوم القيامة عما اوجبوا به من أهمهم الذين أرسلهم اليهم كما قال تعالى فانسألن الذين أرسل اليهم ونسألن المرسلين وقال تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقول الرسل لا علم لنا قال مجاهد والحسن البصرى والسدى انما قالوا ذلك من هول ذلك اليوم قال عبد الرزاق

سعد بن معاذ وقال انى احكم فيهم ان تقبل الرجل وتقسم الاموال ونسبى الذرارى والنساء فقال صلى الله عليه وآله وسلم اقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة وفى رواية محمد بن الصالح لقد حكمت اليوم فيهم بحكم الله الذى حكم به من فوق سبع سموات والقصة بطولها فى المواهب اللدنية (وانتم تعلمون) ان ذلك الفعل خيانة فتفعلون الخيانة عن عمد أو انتم من أهل العلم لا من أهل الجهل ثم قال (واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة) لانهم سبب الوقوع فى كثير من الذنوب وصداقة عن أمور الآخرة فصاروا من هذه الخبيثة تحنة يختبر الله بها عباده وان كانوا من حينية أخرى زينة الحياة الدنيا كما فى الآية الاخرى عن ابن مسعود قال ما منكم من أحد الا وهو يشتمل على نفسه لان الله يقول انما أموالكم وأولادكم فتنة فمن استعاضكم فليس يستعذب الله من مضلات الفتن وقال ابن زيد فتنة الاختبار اختبرهم وقرأوا نبأكم بالشر والخير فتنة (وان الله عنده أجر عظيم) فآثر واحقه على أموالكم وأولادكم ليحصل لكم ما عنده من الاجر المذكور (يا أيها الذين آمنوا ان تقوا الله يجعل لكم فرقانا) جعل سبحانه التقوى شرطاً فى الجعل المذكور مع سبق علمه بأنهم يتقون جريا على ما يخاطب به الناس بعضهم بعضا والتقوى اتقاء مخالفة أو امره والوقوع فى مناهيه والفرقان ما يفرق به بين الحق والباطل والمعنى أنه يجعل لهم من ثبات القلوب وثقوب البصائر وحسن الهداية ما يفرقون به بين ما عند الالتباس وقيل الفرقان المخرج من الشبهات والنجاة من كل ما يخافونه قاله ابن عباس وعكرمة وقال الفراء المراد بالفرقان الفتح والنصر قال ابن اسحق الفرقان النصيب بين الحق والباطل وبمثله قال ابن زيد وقال السدى الفرقان النجاة ويؤيد تفسير الفرقان بالمخرج والنجاة قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا وبه قال مجاهد ومالك بن أنس (ويكفر عنكم سيئاتكم) أى يسترها حتى تكون غير ظاهرة (ويغفر لكم) ما اقترفتم من الذنوب وقد قيل ان المراد بالسيئات الصغائر وبالذنوب التى تغفر الكبائر وقيل المعنى أنه يغفر لهم ما تقدم من الذنوب وما تأخر (والله ذو الفضل العظيم) فهو المتفضل على عباده بتكفير السيئات ومغفرة الذنوب (واذ يكره الذين كفروا) أى واذا كراهم وقت ذكر الكافرين بك ذكر الله رسوله هذه النعمة العظمى التى أنعم بها عليه وهى نجاته من

(٤ - فتح البيان ع) عن النورى عن الاعمش عن مجاهد يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم فيقولون لا علم لنا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام حدثنا عنبسة قال سمعت شيخا يقول سمعت الحسن يقول فى قوله يوم يجمع الله الرسل الآية قال من هول ذلك اليوم وقال أسباط عن السدى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا ذلك انهم نزلوا من لا ذلته فيه العقول فلما سئلوا قالوا لا علم لنا ثم نزلوا منزلا آخر فشهدوا على قومهم رواه ابن جرير ثم قال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا الحلجاء عن ابن جرير قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم اى ماذا عملوا بعدكم وما أهدى الله رسوله هذه النعمة العظمى التى أنعم بها عليه وهى نجاته من

الرسول فيقول ماذا أجبت قالوا العلم لنا انك أنت علام الغيوب يقولون الرب عز وجل لا علم لنا الا علم أنت أعلم به منارواه ابن جرير ثم اخبره على هذه الاقوال الثلاثة ولاشأنه قول حسن وهو من باب التآدب مع الرب جل جلاله أي لا علم لنا بالنسبة الى علمك المحيط بكل شيء ونحن وان كنا قد أجبنا وعرفنا من أجابنا ولكن منهم من كنا غافلين على ظاهره لا علم لنا بباطنه وأنت العليم بكل شيء المطلع على كل شيء فعلمنا بالنسبة الى علمك كلالعلم فانك أنت علام الغيوب (اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذ كرمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس (٢٦) في المهد وكهلا واذا علمت الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذا خلق

مكر الكافر بن وكيدهم له بمكة لان هذه الواقعة كانت بمكة قبل أن يهاجر الى المدينة والسورة مدنية وقال عكرمة هذه الآية مكية والمكر الاحتيال في اصال الضرر للغير (ليبتوك) أي يتخونك بالجراحات كما قال ثعلب وأبو حاتم وغيرهما وقيل المعنى ليحبسوك يقال أثبتته اذا حبسه وقيل ليوثقوك لان كل من شديداً وأوثبته فقد أثبتته لانه لا يقدر على الحركة وهذا اشارة لى أبي الجحترى ومنه فشدوا الوثاق وقرأ الشعبي ليبتوك من البيات (أو يقتلوك) أي كلهم قتله رجل واحد كما أشار عليهم أبو جهل (أو يخرجوك) منقيا من مكة التي هي بلدك وبلدنا هلك وهذا اشارة لى هشام بن عمرو كذا في شرح المواهب عن ابن عباس قال تشاورت قريش بمكة ليه فقل بعضهم اذا أصبح فابتنوه بالوثاق يريدون النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال بعضهم اقتلوه وقال بعضهم بل أخرجوه فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك فبات على علي فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى لحق بالغار فلما أصبحوا ثاروا اليه فلما رأوه علموا ان الله مكرهم فقالوا أين صاحبك هذا فقال لا أدري فاقصوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا في الجبل فروا بالغار فرأوا على يابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخل هنالم يكن نسج العنكبوت على يابه فكث فيه ثلاث ليل وروى البيهقي وغيره عنه باطول مما هنا وفيها ذكر الشيخ التجدي أي ابليس ومشورته عليهم عند اجتماعتهم في دار الندوة والمشاورة في أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وان أبا جهل أشار بان يأخذوا من كل قبيلة من قبائل قريش غلاما ويعطوا كل واحد منهم سيفا ثم يضربونه ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل فقال الشيخ التجدي هذا والله هو الرأي فتفرقوا على ذلك (ويكفرون) بك (ويكفرون) بهم والمكر التدبير في الامر في خفية والمعنى انهم يخفون ما يعدونه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المكائد فيجازيهم الله على ذلك ويرد كيدهم في شؤهم بأن يخرجهم الى بدر ويقال المسلمين في أعينهم حتى يحملوا عليهم فمقتلوا وسمى ما يقع منه تعالى مكرامساكاة كما في نظائره والمساكاة تزيد حسنا على حسن وقيل استعارة تبعية وقيل مجاز مرسل بعلاقة السببية وقيل استعارة تشبيهية (والله خير) المجازين لمكر (الماكرين) بمنزل فعلهم فهو يعذبهم على مكرهم من حيث لا يشعرون فيكون ذلك أشد ضررا عليهم وأعظم بلاءا من مكرهم ووضع خير موضع أقوى وفيه تنبيه على ان كل مكر

من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيه فتكون طيرا باذني وتبرى الاكسه والابرض باذني واذا تخرج الموتى باذني واذا كففت بنى اسرائيل عنك اذ جثمتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الاصحاح منين واذا وحيت الى الخواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمننا واشهد باننا مسلمون) يذكر تعالى ما من به على عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام أجراه على يديه من المعجزات الباهرات وخوارق العادات فقال اذ كرمتي عليك أي في خلقي اياك من أم بلا ذكر وجعلني اياك آية ودلالة قاطعة على كمال قدرتي على الاشياء وعلى والدة حيث جعلت لها برهانا على برائتها مما نسبها الظالمون الجاهلون اليها من الفاحشة اذ ايدتك بروح القدس وهو جبريل عليه السلام وجعلتك نبيا داعيا الى الله في صغرك وكبرك فانطقتك في المهد صغيرا فشم بدت براءة ملك من كل عيب واعترفت لي بالعبودية وأخبرت عن رسالتى اياك ودعوتك الى عبادتي ولهذا قال تكلم الناس في المهد وكهلا أي تدعوا الى الله الناس في

صغرك وكبرك وضمن تكلم تدعوا لان كلامه لناس في كهولته ليس باهر عجيب وقوله واذا علمت الكتاب والحكمة أي يبطل الخط والفهم والتوراة وهي المتزلة على موسى بن عمران الكليم وقدير لفظ التوراة في الحديث ويراد به ما هو أهم من ذلك وقوله واذا تخلق من الطين كهيئة الطير باذني أي صورته وتشكاه على هيئة الطائر باذني لك في ذلك فيكون طيرا باذني أي تنفخ في تلك الصورة التي شكلتها باذني لك في ذلك فتكون طيرا باذني ورسوله تعالى وتبرى الاكسه والابرض باذني قد تقدم الكلام عليه في سورة آل عمران بما أغنى عن اعادته وقوله واذا تخرج الموتى باذني أي تدعوهم فيقومون من قبورهم باذن الله وقدرته ووارادته

ومشيتته وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مالك بن اسمعيل حدثنا محمد بن طلحة يعني ابن مصرف عن أبي بشر عن أبي الهذيل قال كان عيسى بن مريم عليه السلام اذا اراد ان يحيى الموتى صلى ركعتين يقرأ في الاولى تبارك الذي بيده الملك وفي الثانية الم تنزيل السجدة فاذا فرغ منها مدح الله واثى عليه ثم دعا بسبعة أسماء يا قديم يا خفي يا دائم يا فريدا ويا توترا يا أحديا صمدو كان اذا أصابته شديدة دعا بسبعة أخرى يا حي يا قيوم يا الله يا رحمن يا ذا الجلال والاكرام يا نور السموات والارض وما بينهما ورب العرش العظيم يا رب وهذا أثر عظيم جدا وقوله تعالى واذ كففت بنى اسرائيل عذبت اذ جنتهم (٢٧) بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا

الاصح من بين أى واذ كر نعمتى عليك
في كفى اياهم عند حين جنتهم
بالبراهين والحجج القاطعة على نبتك
ورسالتك من الله اليهم فكذبوك
واتهموك بانك ساحر وسعوف قتال
وصلبك فخصيتك منهم ورفعتك الى
وطهرتك من دنسهم وكفيتك
شرهم وهذا يدل على ان هذا
الامتنان كان من الله اليه بعد رفعه
الى السماء أو يكون هذا الامتنان
واقعا يوم القيامة وعبر عنه بصيغة
الماضى دلالة على وقوعه لا محالة
وهذا من أسرار الغيوب التي أطلع
الله عليها نبيه محمدا صلى الله عليه
وسلم وقوله واذا وحيت الى الحوارين
ان آمنوا بي و برسولي وهذا أيضا
من الامتنان عليه عليه السلام
بان جعل له أصحابا وأ نصارا ثم قيل
ان المراد بهذا الوحي وحى الهام كما
قال تعالى وأوحينا الى أم موسى ان
أرضعيه الآية وهو وحى الهام
بلا خلاف وكما قال تعالى وأوحى ربك
الى النحل ان اتخذى من الجبال
بيوتا ومن الشجر وما يعرشون
ثم كل من كل الثمرات فاسلكى سبل
ربك ذللا الآية وهكذا قال بعض

يطلب بفعل الله (واذ اتلى عليهم آياتنا) التي تأتيهم بها وتلوها عليهم (قالوا) تعنتا
وتعدوا بعد اعن الحق (قد سمعنا) ما تلووه علينا (لنشاء لقلنا مثل هذا) الذي تلوونه
علينا أى مثل هذا القرآن وهو التوراة والانجيل وقد تنازع هذا العامل مع قوله لقلنا
في قوله مثل هذا كما يستفاد من الخازن قيل انهم قالوا هذا توهمنا منهم انهم يقدرون على
ذلك لانهم أهل الفصاحة وفرسان البلاغة فلما راموا ان يقولوا مثل ما يحجزوا عنه ثم قالوا
عنادا وتعدا (ان هذا الاسطير الاولين) أى ما يسطره الوراقون من اخبار الاولين وقد
تقدم بيانه مستوفى وعن السدى أنها نزلت في النضر بن الحرث وكان يختلف الى ارض
فارس والحيرة ويسمع اخبارهم عن رسمه واسفنديار وأحاديث العجم فلما جاء مكة ووجد
النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أوحى اليه قال قد سمعنا الآية (و) اذكر (اذ قالوا اللهم ان
كان هذا) أى القرآن الذى جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم (هو الحق) قرئ بالنصب
وهو خبر الكون وبالرفع على الخبر وبه قرأ الاعمش وزيد بن على قال ابن عطية ويجوز في
العربية رفع الحق على خبره والجمله خبر لكان قال الاخفش ولا أعلم أحدا قرأ به هذا
الجاء نزلت قد ظهر من قرأه وهما رجلان جليلان قاله السمين (من عندك فأمطر) قال
أبو عبيدة يقال أمطر في العذاب ومطر في الرحمة وقال في الكشف قد كثرت الأمطار في
معنى العذاب والأمطار استعارة أو مجاز عن الانزال أى أنزل (علينا سجارة) فائدة
توصيفا لسجارة بقوله (من السماء) الدلالة على ان المراد بالسجارة السجيل وهو سجارة
مسمومة أى معلمة المعدة لتعذيب قوم من العصاة (أو اتينا بعذاب أليم) قالوا هذه المقالة
مبالغة في الجحود والانسكار سألو ان يعذبوا بالرحم بالسجارة من السماء أو بغيرها من أنواع
العذاب الشديدة فأجاب الله عليهم بقوله (وما كان الله ليعذبهم وأنت) يا محمد (فيهم)
موجود فانك مادمت فيهم بارضا مكة فهم في مهلة من العذاب الذى هو الاستئصال
قال السيوطى لان العذاب اذا نزل عم ولم تعذب أمة الا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها
أخرج البخارى وابن أبي حاتم والبيهقى عن انس بن مالك قال قال أبو جهل بن هشام اللهم
ان كان هذا هو الحق الآية فنزلت وما كان الله ليعذبهم وعن قتادة أنها نزلت في أبي جهل
وعن سعيد بن جبيرة أنها نزلت في النضر بن الحرث وعن مجاهد وعطاء بنحوه قال عطاء

السلف في هذه الآية واذا وحيت الى الحوارين أن آمنوا بي و برسولي قالوا آمنوا وشهد بأننا مسلمون أى اللهم اذ لك فامتثلوا
ما ألهموا قال الحسن البصرى ألهمهم الله عز وجل ذلك وقال السدى قذف في قلوبهم ذلك ويحتمل أن يكون المراد ما أوحيت
اليهم بواسطة فدعوتهم الى الايمان بالله و برسوله واستجابوا لك وانقادوا وتابعوك فقالوا آمننا بالله واشهد بأننا مسلمون (اذ قال
الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان تأكل
منها ونطعم من قلوبنا ونعلم ان قد صدقنا وان نكون عبيدا من الشاهدين قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون

لنا عيد الا ولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعد به عذابا لا اعد به احد من العالمين هذه قصة المائدة واليهاننسب السورة فيقال سورة المائدة وهي مما امتن الله به على عبده ورسوله عيسى لما اجاب دعاه بنزولها فانزلها الله آية باهرة ووجه قاطعة وقد ذكر بعض الائمة ان قصتها ليست مذكورة في الانجيل ولا يعرفها النصراني الا من المسلمين فالتة أعلم فقوله تعالى اذ قال الحواريون وهم اتباع عيسى عليه السلام يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك وهذه قراءة كثيرين وقرأ آخرون هل يستطيع ربك أي هل نستطيع (٢٨) أن نسأل ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء والمائدة هي الخوان عليه طعام

وذ كبر بعضهم انهم اتما سألوا ذلك لما جتهم ووقرهم فسألوه أن ينزل عليهم مائدة كل يوم يقنانون منها ويتقون بها على العبادة قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين أي فأجابهم المسيح عليه السلام قائلا لهم اتقوا الله ولا تسألوا هذا فعساه أن يكون قسنة لكم وتوكلوا على الله في طلب الرزق ان كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها أي نحن محتاجون الى الاكل منها وتطمئن قلوبنا اذا شاهدنا نزولها رزقا لنا من السماء ونعلم ان قد صدقتنا أي وزداد ايماننا بك وعلمنا رسالتك وتكون عليهم من الشاهدين أي ونشهد أنها آية من عند الله ودلالة حجة على نبوتك وصدق ما جئت به قال عيسى بن مريم اللهم بنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لا ولنا وآخرنا قال السدي أي اتخذ ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن بعدنا وقال سفيان الثوري يعني يومنا صلى فيه وقال قتادة أرادوا أن يكون لعقبهم من بعدهم وعن سلمان الفارسي عظة لنا ولن بعدنا وقيل كافية

لقد نزل في النضر بن الحرث بضع عشرة آية فخاق به ما سأل من العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر ثلاثة من قريش صبرا عجمية بن عدى وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث وفيه نزل سائل سائل بعذاب واقع (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) روى انهم كانوا يقولون في الطواف غفرا نك فزلت أي وما كان الله معذبهم في حال كونهم مستغفرين قال ابن عباس كان فيهم أمانان النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاستغفار فذهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبقي الاستغفار وأخرج الترمذي وضعفه عن أبي موسى الأشعري قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنزل الله على أمانين لامتى وما كان الله ليعذبهم الآية فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار وقيل معنى الآية لو كانوا آمنين يؤمنون بالله ويستغفرون لم يعذبهم وقيل ان الاستغفار راجع الى المسلمين الذين هم بين أظهرهم أي وما كان الله ليعذبهم وفيهم من يستغفر من المسلمين فلما خرجوا من بين أظهرهم عذبهم يوم بدر وما بعده وقيل المعنى وفي أصلهم من يستغفر الله وقيل هذا دعاء لهم الى الاسلام والاستغفار بهذه الكلمة وقال مجاهد وعكرمة وهم يستغفرون أي يسلمون يعني لو أسلموا لما عذبوا قال أهل المعاني دلت هذه الآية على ان الاستغفار أمان وسلامة من العذاب والاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مطلق الاستغفار كثيرة جدا معروفة في كتب الحديث (وما لهم أن لا يعذبهم الله) لما بين سبحانه أن المانع من تعذيبهم هو الامر ان المتقدمان وجود رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين ظهورهم ووقوع الاستغفار ذكرا بعد ذلك ان هؤلاء أعني كفار مكة مستحقون لعذاب الله لما ارتكبوا من القبائح والمعنى أي شيء لهم يمنع من تعذيبهم قيل هذا العذاب هو القتل والاسير يوم بدر وقيل عذاب الآخرة (وهم) أي والحال انهم (يصدون) الناس (عن المسجد الحرام) كما وقع منهم عام الحديبية من منع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من البيت (وما كانوا أولياءه) كما زعموا أي مستحقين ولاية أمره مع شركهم وهذا كالدليل كما كانوا يقولونه من انهم ولاية البيت والحرم وان امرهما مفوض اليهم ثم قال ميبنا لمن له ذلك (ان أولياءه المتقون) أي من كان في عداد المتقين للشرك والمعاصي وعن مجاهد قال من كانوا حيث كانوا (ولكن أكثرهم) أي

لا ولنا وآخرنا وآية منك أي دليلا تصبه على قدرتك على الاشياء وعلى اجابك لدعوتي فيصدقوني فيما أكثر أبلغه عنك وارزقنا أي من عندك رزقا هنيئا بلا كلفة ولا تعب وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم أي فمن كذب بها من أممك يا عيسى وعاندها فاني اعد به عذابا لا اعد به احد من العالمين أي من عالمي زمانكم كقوله تعالى يوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وكقوله ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار وقد روى ابن جرير من طريق عوف الأعرابي عن أبي المغيرة القيواس عن عبد الله بن عمرو قال ان أشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة المنافقون ومن كفر من أصحاب

المائدة وآل فرعون * (ذكر أخبار رويت عن السلف في نزول المائدة على الخواريين) * قال أبو جعفر بن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حجاج عن ليث عن عقيل عن ابن عباس أنه كان يحدث عن عيسى أنه قال لبني إسرائيل هل لكم أن تصوموا الله ثلاثين يوماً ثم تسألوه فيعطيكُم ما سألتُم فإن أجز العامل على من عمل له ففعلوا ثم قالوا يا معلم الخير قلت لنا إن أجز العامل على من عمل له وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوماً ففعلنا ولم تكن نعم لاحت ثلاثين يوماً إلا أطمعنا حين نفرغ طعامنا فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال عيسى اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا زيدا نأكل منها (٢٩) وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا

ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى من مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيذاً ولا نلأوا وأخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحدًا من العالمين قال فأقبلت الملائكة نظير بمائدة من السماء عليها سبع أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم كذا رواه ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال كان ابن عباس يحدث فذكره نحوه وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا سعيد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا أبو زرعة وهب بن راشد حدثنا عقيل بن خالد أن ابن شهاب أخبره عن ابن عباس أن عيسى بن مريم قالوا له ادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء قال فنزلت الملائكة بالمائدة يحملونها عليها سبعاً أحوات وسبعة أرغفة فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا

أكثر الناس (لا يعاينون) ذلك والحكم على الأكثرين بالجهل بفيضان الأقلين يعلمون ولكنهم يعاندون أو أراد به الكل كما يراد بالقله العدم (وما كان صلاتهم عند البيت) أي ما كان شيء مما يعدهونه صلاة وعبادة (الامكاه وتصديه) أي الأهلين الفاعلين والمكاه الصغير من مكاهيك ومكاهومكاه ومكاهومكاه منه مكات است الدابة إذا نفضت بالريح وقيل المكاه هو الصغير على لحن طائر أيضاً بالحجاز يقال له المكاه والتصديه التصفيق يقال صدى بصدى تصديه إذا صدق وقيل المكاه الضرب بالأيدي والتصديه الصياح وقيل المكاه ادخالهم أصابعهم في أفواههم والتصديه الصغير وقيل التصديه صداهم عن البيت ومعنى الآية أن المشركين كانوا يصفرون ويصفقون عند البيت الذي هو موضع للصلاة والعبادة فوضعوا ذلك موضع الصلاة فأصدى به أن يشغلوا المسلمين من المسلمين عن الصلاة وعن عكرمة قال كان المشركون يطوفون بالبيت على الشمال فالمكاه مثل نفض البوق والتصديه طوافهم على الشمال وقال السمين التصديه فيها قولان أحدهما ما انهم اصدى وهو ما يسمع من رجوع الصوت في الامكنة الخالية الصلبة يقال منه صدى بصدى تصديه والمراد بها ما يسمع من صوت التصفيق بأحدى اليدين على الأخرى وقيل ما أخوذ من التصدد وهو الضجيج والصياح والتصفيق ويدل عليه قراءة إذا قومك منه يصدون بالكسر أي يضحون ويلغظون والثاني انها من الصد وهو المنع ويؤيده قراءة يصدون بالضم أي يمنعون انتهى والمكاه الصغير وهو الصوت الخالي عن الحروف والمعنى انهم فوّتوا ما حقهم أن يشغلوا به في هذا المكان من الصلاة وشغلوه بهذا اللعب والخراف والهوس واستثنى المكاه والتصديه مع انهما ليسا من جنس الصلاة تقر بهما المشركين بتركهم ما أمر وابه في المسجد الحرام فان ما لا يدخل تحت الشيء قد يستثنى منه لمصلحة وغرض كقصد المدح والذم فعلى هذا يكون التقدير وما كان موضع صلاتهم أي عوضها الامكاه وتصديه (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) هذا التفات الى مخاطبة الكفار تهديد لهم ومبالغة في ادخال الروعة في قلوبهم والمراد به عذاب الدنيا كيوم بدر وعذاب الآخرة قال الضحاك يعني أهل بدر عذبهم الله بالقتل والاسر (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) لما فرغ سبحانه من شرح حال هؤلاء الكفرة في الطاعات البدنية اتبعها شرح أحوالهم في الطاعات المالية والمعنى أن غرض هؤلاء

الحسين بن قزعة الباهلي حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن جلاس عن عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت المائدة من السماء عليها خبز ولحم وأمر وأن لا يخونوا ولا يرفعوا الغد فخافوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنزير وكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن قزعة ثم رواه ابن جرير عن ابن بشار عن ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن جلاس عن عمار قال نزلت المائدة وعليها تمر من غمار الجنة فأمر وأن لا يخونوا ولا يخبأوا ولا يدخروا قال فخاف القوم وخبأوا وادخروا فمسخهم الله قردة وخنزير وقال ابن جرير حدثنا ابن المنذر حدثنا اودع عن سملك بن حرب عن رجل من

بني عمل قال صليت الى جانب عمار بن ياسر فلما فرغ قال هل تدري كيف كان شأن مائدة بني اسرائيل قال قلت لاقال انهم سألوا عيسى بن مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا ينغد قال فقييل لهم فانهم اقمية لكم ما لم تخبأوا او تخونوا أو ترفعوا فان فعلتم فاني معذبكم عذابا لا أعذبه أحد من العالمين قال فامضى يومهم حتى خبأوا ورفعوا وخبأوا فعذبوا عذابا لم يعذب به أحد من العالمين وانكم يا معشر العرب كنتم تتبعون اذئاب الابل والشاة فبعث الله فيكم رسولا من أنفسكم تعرفون حسبه ونسبه وأخبركم انكم ستظهرون على العجم ونهاكم (٣٠) أن تكزنوا الذهب والنضرة وایم الله لا يذهب الليل والنهار حتى

تكزنوا وهما وبعذبكم الله عذابا أليما وقال حدثني القاسم حدثنا حسين حدثنا حجاج عن أبي معشر عن اسحق بن عبد الله أن المائدة نزلت على عيسى بن مريم عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات يأكلون منها ماشاوا قال فسرق بعضهم منها وقال لعلمها لا تنزل عدا فرفعت وقال العوفي عن ابن عباس نزل على عيسى بن مريم والحواريين خوان عليه خبز وسهمك يأكلون منه أيما نزلوا اذا شاؤا وقال خفيف عن عكرمة ومقسم عن ابن عباس كانت المائدة -مكة وأرغفة وقال مجاهد هو طعام كان ينزل عليهم حيث نزلوا وقال أبو عبد الرحمن السلمي نزلت المائدة خبزاً وسهماً وقال عطية العوفي المائدة سهمك فيه طعم كل شيء وقال وهب بن منبه أنزلها من السماء على بني اسرائيل فكان ينزل عليهم في كل يوم في نزلت المائدة من ثمار الجنة فأكلوا ماشاوا من ضروب شتى فكان يقعد عليها أربعة آلاف واذا أكلوا أبدل الله مكان ذلك مثلهم فلبثوا بذلك ماشاء الله عز وجل وقال وهب بن منبه نزل عليهم قرصة من شعير وأحوات وحناء الله بين أضعافهن البركة حتى

الكفار في انفاق أموالهم هو الصدع سبيل الحق بمجاراة رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك وسلم وجمع الجيوش اذ ذلك كما وقع من كفار قريش يوم بدر يوم أحد ويوم الأحزاب فان الرؤساء كانوا يتفقون أموالهم على الجيش وعن ابن عباس قال نزلت في أبي سفيان بن حرب وعن مجاهد وسعيد بن جبيرة نحوه وعن الحكم بن عتيبة قال نزلت في أبي سفيان أنفق على مشركي قريش يوم أحد أربعين أوقية من ذهب وكانت الاوقية يومئذ أربعين واثنتين مثقالاً من ذهب ثم أخبر الله سبحانه عن الغيب على وجه الإعجاز فقال (فسيئقونها) أي سيقع منهم هذا الانفاق وسيعلمون عاقبة انفاقها من الخيبة وعدم الظفر بالمقصود فحصلت المغيرة (ثم تكون) أي عاقبة ذلك أن يكون انفاقهم (عليهم حسرة) كأن ذات الاموال تنقلب حسرة وتصير ندماً لوفات ما قصدوه بها (ثم) آخر الامر (يغلبون) في الدنيا كما وعد الله في مثل قوله كتب الله لآل غلباننا ورسلنا ومعنى ثم في الموضوعين اما التراخي في الزمان لما بين الانفاق المذكور وبين ظهور دولة الاسلام من الامتداد واما التراخي في الرتبة لما بين بذل الاموال وعدم حصول المقصود من المباينة ثم قال (والذين كفروا) أي استمروا على الكفر لان من هؤلاء الكفار المذكورين سابقا من أسلم وحسن اسلامه (الى جهنم يحشرون) أي يساقون اليها الى غير هاتم بين العلة التي لاجلها يفعل بهم ما فعل فقال (ليميز الله الخبيث) وهم الكافرون (من الطيب) وهم المؤمنون قال ابن عباس يميز أهل السعادة من أهل الشقاوة وقيل العمل الخبيث من العمل الطيب وقيل الانفاق في طريق الشيطان وسبيل الرحمن وقيل الخبيث والطيب صفة للمال والتقدير ليميز المال الخبيث الذي أنفقته المشركون في عداوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المال الطيب الذي أنفقته المسلمون في نصرته صلى الله عليه وآله وسلم فيضم تلك الاموال الخبيثة بعضها الى بعض فيلقها في جهنم وبعذبهم بها كما في قوله تعالى فتكوى بها جهنم وخبثها وظهورهم قال في الكشف واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول يحشرون انتهى وعن شهر بن عطية قال يميز يوم القيامة ما كان من عمل صالح في الدنيا ثم تؤخذ الدنيا بأسرها فتلقى في جهنم (ويجعل الخبيث) أي يجعل فريق الكفار الخبيث (بعضه على بعض) أي فوق بعض (فيريكه) الر كرم عبارة عن الجمع والضم أي يجمع بعضهم الى بعض ويضم بعضهم الى بعض حتى

وكان قوم يأكلون ثم يخرجون حتى أكل جميعهم وأفضلوا وقال الامش عن مسلم عن سعيد بن جبيرة أنزل عليها كل شيء الا اللحم وقال سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن زاذان وميسرة وجرير عن عطاء عن ميسرة قال كانت المائدة اداوا لم بني اسرائيل اختلف عليها الايدي بكل طعام الا اللحم وعن عكرمة كان خبز المائدة من الارز رواه ابن أبي حاتم وحدثنا جعفر بن علي فيما كتب الي حدثنا اسمعيل بن أبي أويس حدثني أبو عبد الله عبد القدوس بن ابراهيم بن أبي عبيد الله بن

هر داس العبدري مولى بنى عبد الدار عن ابراهيم بن عمر عن وهب بن منبه عن ابي عثمان النهدي عن سلمان الخير انه قال لما سأل
الحواريون عيسى بن مريم المائدة كره ذلك جدا فقال اقنعوا بما رزقكم الله في الارض ولا تسألوا المائدة من السماء فانها ان نزلت
عليكم كانت آية من ربكم وانما هلكت ثمود حين سألوها ان تبهم آية فالتوا بها حتى كان بوارهم فيها فأبوا الا أن يأتيتهم بها فذلك
قالوا تريد أن تأكل منها ونطمئن قلوبنا الآية فلما رأى عيسى أن قد أبوا الا أن يدعوهم بها قام فألقى عنه الصوف ولبس الشعر
الاسود وجبة من شعر وعباءة من شعر ثم توضأ واعتسل ودخل (٣١) مصلاه فصلى ماشاء الله فلما قضى صلاته قام

فأما مستقبل القبلة وصف قدميه
حتى استويا فالصق الكعب
بالكعب وحاذى الاصابع ووضع
يده اليمنى على اليسرى فوق صدره
وغض بصره وطأ رأسه خشوعا
ثم أرسل عينيه بالبكاء فإزالت
دموعه تسيل على خديه وتقطر من
أطراف لحية حتى ابتلت الارض
حيال وجهه من خشوعه فلما رأى
ذلك دعا الله فقال اللهم ربنا أنزل
علينا مائدة من السماء فأنزل الله
عليهم سفرة جراء بين غمامتين
غمامة فوقها وغمامة تحتها وهم
يتظرون اليها في الهواء منتفضة من
فلك السماء تهوى اليهم وعيسى
يكي خوفا من أجل الشروط التي
أخذها الله عليهم فيها أنه يعذب من
يكفر بها منهم بعد نزولها عذابا لم
يعذبه أحد من العالمين وهو يدعو
الله في مكانه ويقول اللهم اجعلها
رحمة لهم ولا تجعلها عذابا الهيكم
من عجيبة سألتك فأعطيني الهى
اجعلنا لك شاكرين اللهم انى
أعوذ بك أن تكون أنزلتها غضبا
وجزاء الهى اجعلها سلامة
وعافية ولا تجعلها فتنة ومثله فما

حتى يترا كوا الفرط ازدحامهم يقال ركم الشيء يركمه اذا جمعه وألقى بعضه على بعضه وبابه
نصروا ركم الشيء وتراكم اجتمع والركام الرمل المتراكم والسحاب ونحوه (جميعا) حال من
الهائه في ركه أو تو كيد لها (فيجعله) أى الخبيث فيه مرعاة اللفظ (في جهنم أو لئلك) أى
الفريق الخبيث (هم الخاسرون) أى الكاملون في الخسران فيه مرعاة المعنى لان الضمير
راجع على الخبيث (قل للذين كفروا) كآبى سفيان وأصحابه واللام للتبليغ (ان ينتهوا)
الح أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول لهم هذا المعنى سواء قاله بهذه
العبارة أو غيرها قال ابن عطية ولو كان كما قال الكسائى انه في مصحف ابن مسعود تنتهوا
بالتاء لما تأدت الرسالة الا لتلك الالفاظ بعينها وقال في الكشف هي لام العلة أى قل
لأجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان معنى خاطبهم به لقيس ان تنتهوا يغفر لكم
والمعنى ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقتاله
بالدخول في الاسلام (يغفر لهم ما قد سلف) لهم من العداوة اه وقيل معناه ان ينتهوا عن
الكفر قال ابن عطية والحاصل على ذلك جواب الشرط يغفر لهم ما قد سلف ومغفرة
ما قد سلف لا يكون الا منته عن الكفر وفي هذه الآية دليل على أن الاسلام يجب ما قبله
وأخرج أحمد ومسلم عن عمرو بن العاص قال لما جعل الله الاسلام في قلبي أتيت النبي
صلى الله عليه وآله وسلم فقلت ايسر يدك فلا تأت عنك فبسط يمينه فقبضت يدي قال مالك
فقلت أردت ان أشترط قال تشترط ماذا قلت ان تستغفر لى قال اما علمت أن الاسلام يهدم
ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله وقد ثبت في
الصحيح من حديث ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الاسلام يجب
ما قبله والتوبة تجب ما قبلها قال يحيى بن معاذ الرازى التوحيد لم يجز عن هدم ما قبله من
كفر فكيف يجز عن هدم ما بعده من ذنب (وان يهودوا) الى القتال والعداوة والى
الكفر الذى هم عليه ويكون العود بمعنى الاستقرار وفي الجمل العود يشعر بسبق التلبس
بالشيء الذى حصل العود اليه فالمعنى وان يرتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه ويرجعوا
الى الكفر وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجواب الشرط محذوف تقديره تنتقم
منهم بالعقاب والعذاب وقوله (فقد مضت سنت الاولين) تعليل للمحذوف ولا يصلح
للجوابية كالا يخفى أى سبقت واستقرت سنة الله في اهلاك أعدائه ونصر أوليائه وهذه

واليدعو حتى استقرت السفارة بين يدي عيسى والحواريين وأصحابه حوله يجردون رائحة طيبة لم يجردوا فيما مضى رائحة مثلها قط وخر
عيسى والحواريون لله سجدا اشكره لما رزقهم من حيث لم يحتسبوا وأراهم فيه آية عظيمة ذات عجب وعبرة وأقبلت اليهود يتظرون
فرا وأمر ابيجيبا وأرثهم كدا وغما ثم انصرفوا بغيظ شديد وأقبل عيسى والحواريون أصحابه حتى جلسوا حول السفارة فاذا عليها منديل
مغطى فقال عيسى من أجرنا على كشف المنديل عن هذه السفارة وأوثقنا بنفسه وأحسننا بلاه عند ربه فلكشف عن هذه الآية
حتى نراها ونحمد مدبرها ونذكر باسمه ونأكل من رزقه الذى رزقنا فقال الحواريون يا روح الله وكلمته أنت اولنا بذلك وأحقنا

بالكشف عنها فقام عيسى عليه السلام واستأنف وضواً جديداً ثم دخل مصلاه فصلى كذلك ركعات ثم بكى بكاء طويلاً ودعا الله أن يأذن له في الكشف عنها ويجعل له واقومه فيها بركة ورزقا ثم انصرف وجلس إلى الساعة فقرة وتناول المنديل وقال بسم الله خير الرازقين وكشف عن السفرة فاذا هو عليها بسهمكة ضخمة مشوية ليس عليها باسير وليس في جوفها شوك يسيل السمن منها سيات قد تحديقها بقول من كل صنف غير الكراث وعند رأسها مخل وعند ذنبها ملح وحول البقول خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الآخر تمرات وعلى الآخر خمس رمانات فقال (٣٢) شمعون رأس الخواريون لعيسى ياروح الله وكلمته آمن طعام الدنيا هذا

أم من طعام الجنة فقال عيسى أما آن لكم أن تعتبروا بما ترون من الآيات انهنوا عن تنفير المسائل ما أخوفني عليكم أن تعاقبوا في سبب نزول هذه الآية فقال له شمعون واله اسرايل ما أردت بها سؤاليا ابن الصديقة فقال عيسى عليه السلام ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة إنما هو شيء ابتدعه الله في الهواء بالقدرة الغالبة القاهرة فقال له كن فكان أسرع من طرفة عين فكوا مما سألتهم بسم الله واحدوا عليه ربكم يدكم منه ويزدكم فانه بديع قادر شاكر فقالوا ياروح الله وكلمته انا نحب أن يرينا الله آية في هذه الآية فقال عيسى سبحان الله أما اكتفيتم بما رأيتم من هذه الآية حتى تسألون آية أخرى فيها ثم أقبل عيسى عليه السلام على السهمكة فقال يا سهمكة عودي بأذن الله حية كما كنت فأحياها الله بتدبيره فاضطربت وعادت بأذن الله حية طرية تلمظ كما تلمظ الاسد تدور عينها لها بصيص وعادت عليها بواسيرها ففرغ القوم منها وانحازوا فلما رأى عيسى منهم ذلك قال ما لكم تسألون الآية فاذا أراكم هاربين كرهتموها ما أخوفني عليكم أن تعاقبوا بما

العبارة مشتملة على الوعيد والتهديد والتنبيل بمن أهلك من الامم في سالف الدهر بعد ذاب الله أي قدمضت سنة الله فمن فعل مثل فعل هؤلاء من الاولين من الامم أن يصيبه بعد ذاب فليست وقوعوا مثل ذلك عن مجاهد قال فقد مضت سنة الاولين في قرش وغيرها يوم بدر والامم قبل ذلك وقد فسركثير من السلف هذه الآية بما مضى في الامم المتقدمة من عذاب من قاتل الانبياء وصهم على الكفر وقال السدي ومحمد بن اسحق المراد بالآية يوم بدر وترسم سنت هذه بالتاء المجرورة وكذا الثلاثة التي في فاطر وكذا التي في آخر غافر والاضافة على معنى في (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) أي شرك قاله ابن عباس وقيل بلاء قاله الحسن وقد فسرها جمهور السلف بالكفر وقال محمد بن اسحق بلغني عن الزهري عن عروة بن الزبير وغيره من علماءنا المعنى حتى لا يفتن مسلم عن دينه وقد تقدم تفسير هذا في البقرة تمتوفي والجملة معطوفة على قل للذين لما كان الغرض من الاول التلطف بهم وهو وظيفة النبي وحده جاء بالافراد ولما كان الغرض من الثاني تحريض المؤمنين على القتال جاء بالجمع فخو طوبوا جميعا (ويكون الدين كله) أي الطاعة والعبادة كلها (لله) خاصة دون غيره وقال قتادة حتى يقال لا اله الا الله عليه قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واليه دعا وقيل يضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده والمعاني متقاربة (فان انتهوا) عم ذكر من الشرك وافتتان المؤمنين وايدائهم (فان الله بما يعملون) بالتحسية باتفاق السبعة وقرأ بالفوقية يعقوب من العشرة (بصير) لا يخفى عليه ما وقع منهم من الانتهاء فيجازيهم به (وان تولوا) عمأ مروا به من الانتهاء أو عن الايمان وجوابه محذوف أي فلا تخشوا بأسمهم (فاعلموا) أيها المؤمنون (ان الله مولاكم) أي ناصركم عليهم ومتولى أموركم (نعم المولى) هو (ونعم النصير) فمن والاه فاز ومن نصره غلب (واعلموا أنما) ماموصولة وكان القياس فصلها في الرسم من أن لكن ثبت وصلها في خط المصحف الامام وثبت فصلها أيضا في بعضها على القياس كما ذكره ابن الجزري في قوله * وخلف الانقال ونحل وقعا * (غنم) لما أمر الله سبحانه بالقتال بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة وكانت المقاتلة مظنة حصول الغنم ذكركم الغنمية والغنمية قد قدمنا ان اصحابها اصابة الغنم من العدو ثم استعملت في كل ما يصاب منهم وقد يستعمل في كل ما ينال بسعي وامامه في الغنمية في الشرع فكفي القرطبي الاتفاق

على فلما رأى عيسى منهم ذلك قال ما لكم تسألون الآية فاذا أراكم هاربين كرهتموها ما أخوفني عليكم أن تعاقبوا بما تصنعون يا سهمكة عودي بأذن الله كما كنت فعادت بأذن الله مشوية كما كانت في خلقها الاول فقالوا يا عيسى كن أنت ياروح الله الذي تبدأ بالاكل منها ثم نحن بعد فقال عيسى معاذ الله من ذلك يبدأ بالاكل من طلبها فلما رأى الخواريون وأصحابه امتناع عيسى منها خافوا أن يكون نزولها سخنة وفي أكلها مثله فحماها فلما رأى ذلك عيسى منهم دعاها للقراءة والزمي وقال كلوا من رزق ربكم ودعوة نبيكم واحمدوا الله الذي أنزلها لكم فيكون منهنؤها لكم وعقوبتها على غيركم وافتحوا أكلكم بسم الله واختموه بحمد الله

ففعلوها كل منها ألف وثلاثمائة انسان بين رجل وامرأة يصدرون عنها كل واحد منها سبعان يتجشأ ونظر عيسى والحواريون فاذا ما عليها كهيته اذ نزلت من السماء لم ينقص منها شيء ثم انهارت الى السماء وهم يتظرون فاستغنى كل فقيراً كل منها وبرئ كل زمن كل منها فلم يزلوا الأغنياء أعمى حتى خرجوا من الدنيا وندم الحواريون وأصحابهم الذين أبوا أن يأكلوا منها مدة سالت منها أشفاقهم وبقيت حسرتها في قلوبهم الى يوم الممات قال وكانت المائدة اذ نزلت بعد ذلك أقبل بنو اسرائيل اليها يسعون من كل مكان يراحم بعضهم بعضا الاغنياء والفقراء والصغار والبيكار والاصحاء (٣٣) والمرضى يركب بعضهم بعضا لما رأى ذلك جعلها

نواب تنزل يوماً ولا تنزل يوماً فلبسوا على ذلك اربعين يوماً تنزل عليهم غيا عند ارتفاع النهار لا تزال موضوعة يؤكل منها حتى اذا قالوا ارتفعت عنهم الى جوار السماء باذن الله وهم يتظرون الى ظلها في الارض حتى توارى عنهم قال فأوحى الله الى نبيه عيسى عليه السلام أن اجعل رزقي المائدة للفقراء واليتامى والزمنى دون الاغنياء من الناس فلما فعل ذلك ارتاب بها الاغنياء من الناس ونغصوا ذلك حتى شككوا فيها في أنفسهم وشككوا فيها الناس وأذاعوا في امرها القبيح والمنكر وادرك الشيطان منهم حاجته وقذف وسواسه في قلوب المرتابين حتى قالوا لعيسى أخبرنا عن المائدة ونزلها من السماء أحق فانه قد ارتاب بها من ابشر كثير فقال عيسى عليه السلام هلكتم واله المسيح طلبتم المائدة الى نبيكم أن يطلبها لكم الى ربكم فلما ان فعل وأزلهما عليكم رحمة لكم ورزقا وأراكم فيها الآيات والعبر كذبتم بها وشككتم فيها فابشروا بالعذاب فانه نازل بكم الا أن يرجحكم الله فأوحى الله الى عيسى اني آخذ المالكين

على أن المراد بقوله أنما غنمتم مال الكفار اذا ظفر بهم المسلمون على وجه الغلبة والقهر قال ولا تقتضى اللغة هذا التخصيص ولكن عرف الشرع قيده هذا اللفظ بهذا النوع وقد ادعى ابن عبد البر الاجماع على أن هذه الآية نزلت بعد قوله يستلونك عن الانفال وان أربعة أخماس الغنمة مقسومة على الغانمين وان قوله يستلونك عن الانفال نزلت حين تشاجر أهل بدر في غنائم بدر وقيل انها بمعنى قوله يستلونك عن الانفال محكمة غير منسوخة وان الغنمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليست مقسومة بين الغانمين وكذلك لمن بعدهم من الأئمة حكاه الماوردي عن كثير من المالكية قالوا ولا امام أن يخرجها عنهم واحتجوا بفتح مكة وقصة حنين وكان أبو عبيدة يقول افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة عنوة ومن على أهلها فرددناها عليهم ولم يقسمها ولم يجعلها فياً وقد حكى الاجماع جماعة من أهل العلم على أن أربعة أخماس الغنمة للغانمين وعن حكى ذلك ابن المنذر وابن عبد البر والداودي والمازري والقاضي عياض وابن العربي والاحاديث الواردة في قسمة الغنمة بين الغانمين وكيفيتها كثيرة جدا قال القرطبي ولم يقل أحد فيما أعلم ان قوله تعالى يستلونك عن الانفال الآية ناسخ لقوله واعلموا أنما غنمتم الآية بل قال الجمهور ان قوله واعلموا أنما غنمتم تم ناسخ وهم الذين لا يجوز عليهم التحريف ولا التبديل لكتاب الله واما قصة فتح مكة فلا حجة فيها لاختلاف العلماء في فتحها قال واما قصة حنين فقد عوض الانصار لما قالوا يعطى الغنائم قريشاو يتركوا سيوفنا تنقطر من دماهم نفسه فقال لهم اما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى بيوتكم كما في مسلم وغيره وليس لغيره ان يقول هذا القول بل ذلك خاص به وقوله أنما غنمتم يشمل كل شيء يصدق عليه اسم الغنمة قليلا كان أو كثيرا (من شيء) بيان لما الموصولة وقد خصص الاجماع من عموم الآية الاسارى فان الخيرة فيها الى الامام بلا خلاف وكذلك سبب المقتول اذا نادى به الامام قيل وكذلك الارض المغنومة ورواها لاجماع على الارض (فان) أى حق أو فواجب أن (لله خمسة وللرسول) وقد اختلف العلماء في كيفية قسمة الخمس على أقوال ستة الاول قالت طائفة يقسم الخمس على ستة فيجعل السدس للكعبة وهو الذى لله والثانى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والثالث لذوى القربى والرابع لليتامى والخامس للمساكين والسادس

(٥ - فتح البيان ع) بشرطى فاني معذب منهم من كفر بالمائدة بعد نزولها عذابا لا أعذب أحد من العالمين قال فلما أمسى المرتابون بها وأخذوا مضاجعهم في أحسن صورة مع نسائهم آمنين فلما كان في آخر الليل مسحهم الله خنازير فأصبحوا يتبعون الاقدار في الكاسات هذا اثر غريب جدا قطعها بن أبى حاتم في مواضع من هذه القصة وقد جمعته أبا ليكون سياقه أتم وأكمل والله سبحانه وتعالى أعلم وكل هذه الآثار دالة على ان المائدة نزلت على بنى اسرائيل أيام عيسى بن مريم اجابة من الله لدعوته وكاد على ذلك ظاهر هذا السياق من القرآن العظيم قال الله انى منزلها عليكم الآية وقال قائلون انهم انزلت على بنى اسرائيل عن مجاهد في قوله أنزل علينا مائدة من السماء قال هو مثل ضرب به الله ولم ينزل شيء رواه ابن أبى حاتم وابن جرير ثم قال ابن جرير حدثنا الحرث

حدثنا القاسم هو ابن سلام حدثنا حجاج عن ابن جرير عن مجاهد قال مائدة عليها طعام وعنه قال أبو هاشم عرض عليهم العذاب ان كفروا قالوا ان تنزل عليهم وقال أيضا حدثنا ابن المني حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن أنه قال في المائدة انهم لم تنزل وحدثنا بشر حدثنا يزيد وحدثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول لما قيل لهم من يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحد من العالمين قالوا الاحاجة لنا فيها فلم تنزل وهذه أسانيد صحيحة الى مجاهد والحسن وقد يتقوى ذلك بأن خبر المائدة لا تعرفه النصارى (٣٤) وليس هو في كتابهم ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما يتوفر الدواعي على نقله

وكان يكون موجودا في كتابهم متواترا ولأقل من الآحاد والله أعلم ولكن الجمهور انهم انزلت وهو الذي اختاره ابن جرير قال لان الله تعالى أخبر بنزولها في قوله تعالى اني منزلها علىكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحد من العالمين قال ووعد الله ووعدته حق وصدق وهذا القول هو والله أعلم الصواب كما دلت عليه الاخبار والآثار عن السلف وغيرهم وقد ذكر أهل التاريخ ان موسى بن نصير نائب بني أمية في فتوح بلاد المغرب وجد المائدة هناك مرصعة باللائك وأنواع الجواهر فبعث بها الى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بنى جامع دمشق فحات وهي في الطريق فحلت الى أخيه سليمان بن عبد الملك الخليفة بعده فراها الناس فتهجموا منها كثيرا لما فيها من المواقيت النفيسة بالجواهر القيمة ويقال ان هذه المائدة كانت لسليمان بن داود عليهم السلام قاله أعلم وقد قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن الحكم عن ابن عباس قال قالت قريش للنبي صلى الله عليه

ابن السبيل * القول الثاني قاله أبو العالية والربيع أنها تقسم الغنمة على خمسة فيعزل منها سهم واحد ويقسم أربعة على الغائمين ثم يضرب يده في السهم الذي عزله فما قبضه من شيء يجعله للكعبة ثم يقسم بقية السهم الذي عزله على خمسة للرسول ومن بعده في الآية * القول الثالث روى عن زين العابدين على بن الحسين أنه قال ان الخمس لنا فمما قيل له ان الله يقول واليتامى والمساكين وابن السبيل فقال يتامانا ومساكيننا وابناء سبيلنا * القول الرابع قول الشافعي ان الخمس يقسم على خمسة وان سهم الله ومهم رسول واحد يصرف في مصالح المؤمنين والاربعة الاخماس على الاربعة الاصناف المذكورة في الآية * القول الخامس قول أبي حنيفة انه يقسم الخمس على ثلاثة اليتامى والمساكين وابن السبيل وقد ارتفع حكم قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عونه كما ارتفع حكم سهمه قال ويبدأ من الخمس باصلاح القناطر وبناء المساجد وازراق القضاة والجنس وروى نحو هذا عن الشافعي * القول السادس قول مالك انه موكول الى نظر الامام واجتهاده فيأخذ منه بغير تقدير ويعطى منه الغزاة بجهته ويصرف الباقي في مصالح المسلمين قال القرطبي وبه قال الخلفاء الاربعة وبه عملوا وعياه يدل قوله صلى الله عليه وآله وسلم مالي مما أفاء الله عليكم الا الخمس والخمس مردود عليكم فانه لم يقسمه ارجاس ولا اثلاثا وانما ذكر ما في الآية من ذكره على وجه التنبيه عليهم لانهم من أهم من يدفع اليه قال الزجاج محتج بالهذه القول قال الله تعالى يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فلو الدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وجاز باجماع أن يتفق في غير هذه الاصناف اذا رأى ذلك أخرجه ابن المنذر عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجعل سهم الله في السلاح والكرع وفي سبيل الله وفي كسوة الكعبة وطيبها وما محتاج اليه الكعبة ويجعل سهم الرسول في الكراع والسلاح ونفقة أهله وسهم ذي القربى لقرابته يضعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سهمهم مع الناس واليتامى والمساكين وابن السبيل ثلاثة أسهم يضعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سهمهم مع الناس وعن ابن بريده قال المطلب في هذه الثلاثة الاسهم ولرسول الله سهمهم مع سهم الناس وعن ابن بريده قال الذي لله لتبنيه والذي للرسول لازواجه وعن محمد بن الحنفية في قوله فان الله خمسة قال هذا مفتاح كلام الله الدنيا والآخرة وللرسول ولذو القربى فاختلفوا بعد وفاة رسول الله صلى

وسلم ادع ان اربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا ونؤمن بك قال وتقولون قالوا نعم قال فدعا فاتاه جبريل فقال ان ربك يقرأ الله عليك السلام ويقول لك ان شئت أصبح لهم الصفا ذهبا فنكفرتهم بعد ذلك عذبه عذابا لا أعذبه أحد من العالمين وان شئت فحمت لهم باب التوبة والرحمة قال بل باب التوبة والرحمة ثم رواه أحمد وابن مردويه والحاكم في مستدرکهم من حديث سفيان الثوري به (واذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما أمرت به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنتم عليهم شهيذا ما مدت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ان تعذبهم فأنهم عبادك

وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) هذا ايضا لما يخاطب الله به عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام قائلا ل يوم القيامة يحضرة من اتخذوه و أمه الهين من دون الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقرير على رؤس الاشهاد هكذا قاله قتادة وغيره واستدل قتادة على ذلك بقوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال السدي هذا الخطاب والجواب في الدنيا وصوبه ابن جرير قال وكان ذلك حين رفعه الى السماء الدنيا واحتج ابن جرير على ذلك بعينين أحدهما ان الكلام بلفظ المضى والثاني قوله ان تعذبهم (٣٥) وان تغفر لهم وهذا ان الدليلان فيهما نظر لان كثيرا

من أمور يوم القيامة ذكر بلفظ المضى ليدل على الوقوع والتبوت ومعنى قوله ان تعذبهم فانهم عبادك الآية التبري منهم ورد المشيئة فيهم الى الله وتعليق ذلك على الشرط لا يقتضى وقوعه كافي نظرا لذلك من الآيات والذي قاله قتادة وغيره هو الاظهر والله أعلم ان ذلك كان يوم القيامة ليدل على تهديد النصارى وتقرير بهم وتوبيخهم على رؤس الاشهاد يوم القيامة وقدرى بذلك حديث مرفوع رواه الحافظ ابن عساکر في ترجمة أبي عبد الله مولى عمر بن عبد العزيز وكان ثقة قال سمعت أبا بردة يحدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة دعى بالانبياء وأمامهم ثم يدعى بعيسى فيذكره الله نعمته عليه فيقر بها فيقول يا عيسى بن مريم اذ كرعتى عليك وعلى والدتك الآية ثم يقول أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله فينكر أن يكون قال ذلك فيؤتى بالنصارى فيستلون فيقولون نعم هو أمرنا بذلك قال فيطول شعز عيسى عليه السلام فيأخذ كل ملك

الله عليه وآله وسلم في هذين السهمين قال قائل منهم سهم ذى القربى لقرباه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال قائل منهم سهم ذى القربى لقرباه الخليفة وقال قائل منهم سهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم للخليفة بعده واجتمع رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدة في سبيل الله فكان ذلك في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أخرجه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وأبو الحارث عن قيس بن مسلم الجدلى عن محمد بن الحنفية وأخرج ابن جرير والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس قال فان لله خمسة مفتاح كلام أى على سبيل التبرك وانما أضافه لنفسه لانه هو الحالك فيه فيقسمه كيف شاء وليس المراد منه أن سهمه من الله مفرد لان الله ما فى السموات وما فى الارض وبه قال الحسن و قتادة وعطاء و ابراهيم النخعي قالوا سهم الله وسهم رسوله واحد وذكر الله للعظيم فجعل هذين السهمين فى الخيل والسلاح وجعل سهم اليتامى والمسكين وابن السبيل لا يعطيه غيرهم وجعل الاربعة الاسهم الباقية للفرس سهمين ولراكبه سهمين وللراجل سهمين وعنه رضى الله عنه قال كانت الغنمية تقسم على خمسة أخماس فأربعة منها بين من قاتل عليها وخمس واحد يقسم على أربعة أخماس فربيع لله وللرسول ولذى القربى يعنى قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما كان لله وللرسول فهو لقرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الخمس شيئا والرابع الثانى لليتامى والرابع الثالث للمسكين والرابع الرابع لابن السبيل وهو الضعيف الفقير الذى ينزل بالمسلمين أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم (ولذى القربى) قيل إعادة اللام فى ذى القربى دون من بعدهم لدفع توهم اشتراكهم فى سهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى أن سهم من خمس الخمس لذوى القربى وقد اختلف العلماء فى سهم على أقوال الاول انهم قرئش كلها روى ذلك عن بعض السلف واستدل بماروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لما سعد الصفا جعل يهتف بيظون قرئش كلها قائلا يا بنى فلان يا بنى فلان وقال الشافعى وأجد وأبو ثور ومجاهد و قتادة وابن جرير ومسلم بن خالد بن وهاشم وبنو المطلب وليس لبنى عبد شمس وبنى نوفل منه شيء وان كانوا اخوة اقول صلى الله عليه وآله وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبهك بين أصابعه

من الملائكة بشعره من شعر رأسه وجسده فيجاءتهم بين يدي الله عز وجل مقدار ألف عام حتى ترفع عليهم الحجة ويرفع لهم الصليب وينطق بهم الى النار وهذا حديث غريب عزير وقوله سبحانه ما يكون لى ان أقول ما ليس لى بحق هذا توفيق للتأدب فى الجواب الكامل كما قال ابن أبي حاتم حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان عن عمرو بن طاوس عن ابى هريرة قال يلقى عيسى بحجته و لقاءه الله تعالى فى قوله وان قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فلما الله سبحانه ما يكون لى ان أقول ما ليس لى بحق الى آخر الآية وقدر واه الثورى عن معمر بن ابن طاوس عن طاوس بنحوه وقوله ان كنت قلته فقد علمته أى ان كان صدر منى هذا فقد علمته يارب فإنه لا يخفى عليك شيء مما قلته

ولا اردتة تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الامأمر تني به بإبلاغه أن اعبدوا الله زوى وربكم
أى هذا هو الذى قلت لهم وقوله وكنتم عليهم شهيدا ما دمت فيهم أى كنت أشهد على أعمالهم حين كنت بين أظهرهم فلما توفيتنى
كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد قال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة قال انطلقت أنا وسفيان الثوري الى المغيرة
ابن النعمان فأملى على سفيان وأنا معه فلما قام اتسخت من سفيان حدثنا قال سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال
قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٦) بموعظة فقال يا أيها الناس انكم محشورون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كبدا أنا

أول خلق نعيده وان أول الخلائق
يكسبى ابراهيم الا وانه يجاه رجال
من أمى يوم القيامة فيؤخذ بهم
ذات الشمال فأقول أصحابي فقال
انك لا تدري ما أحدتوا بعدك
فأقول كما قال العبد الصالح وكنتم
عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى
كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على
كل شئ شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم فانك أنت العزيز
الحكيم فيقال ان هؤلاء لم يزالوا
مرتين على عقابهم منذ فارقتهم
ورواه البخاري عنده هذه الآية عن
أبي الوليد عن شعبة وعن محمد بن
كثير عن سفيان الثوري كلاهما
عن المغيرة بن النعمان به وقوله ان
تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم
فانك أنت العزيز الحكيم هذا الكلام
يتضمن رد المشيئة الى الله عز وجل
فانه الفعال لما يشاء لا يستل عما
يفعل وهم بسؤاله ويتضمن التبري
من النصارى الذين كذبوا على الله
وعلى رسوله وجعلوا الله ندا وصاحبة
وولدا تعالى الله عما يقولون علوا
كبرا وهذه الآية لها شان عظيم ونبا
مجيئ وقد ورد في الحديث ان النبي
صلى الله عليه وسلم قام به اليه الى

وهو في الصحيح وخرج ابن اسحق وابن أبي حاتم عن الزهري وعبد الله بن أبي بكر عن
جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قسم سهم ذوى القربى من خير على بنى
هاشم وبنى المطلب قال فضيت أنا وعمان بن عفان حتى دخلنا عليه فقلنا يا رسول الله
هؤلاء اخوانك من بنى هاشم لا تشكر فضلهم لمكانك منهم أرايت اخوانا من بنى المطلب
أعطيتهم دوننا فانما نحن وهم بمنزلة واحدة في النسب فقال انهم لم يفارقونا في الجاهلية
والاسلام وقد أخرجهم مسلم في صحيحه وقيل هم بنو هاشم خاصة وبه قال مالك
والثوري والاوزاعي وغيرهم وهو مروى عن علي بن الحسين ومجاهد وأخرج ابن
مردويه عن زيد بن أرقم قال آل محمد الذين اعطوا الخمس آل على وآل عباس وآل جعفر
وآل عقيل وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
شئ واحد من المغنم يوظفه لنفسه اما خادم واما فرس ثم يصيب بعد ذلك من الخمس
وعن علي وصححه الحاكم قال ولانى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمس الخمس
فوضعتهم مواضع حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما
واختلفوا في سهمهم هل هو ثبات اليوم أم لا فذهب أكثرهم الى أنه ثابت فيعطى
فقراؤهم وأغنياؤهم من خمس الخمس للذكركم مثل حظ الاثنيين وبه قال مالك والشافعي
وقيل انه غير ثابت وسقط سهمه وسهمهم يوفاه وصار الكل مصر وفا الى الثلاثة الباقية
وبه قال أبو حنيفة وأصحاب الرأى وحجة الجمهور أن الكتاب والسنة يدلان على ثبوت
سهم ذوى القربى وكذا الخلقاء بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يعطونهم
ولا يفضلون فقيرا على غنى لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعطى العباس مع كثرة غناه
وكذا الخلقاء بعده وألقاه الشافعي بالميراث الذى يستحق باسم القرابة غير انهم يعطون
القريب والبعيد (واليتامى والمساكين وابن السبيل) قد تقدم بيان سهمهم قريبا والمراد
باليتم هنا هو الصغير المسلم الذى لا أب له فيعطى مع الحاجة اليه والمساكين هم أهل
الفاقة من المسلمين وابن السبيل هو المسافر البعيد عن ماله المنقطع في سفره فهذا مصرف
خمس الغنمية ويقسم أربعة أجزاسها الباقية بين الغانمين الحاضرين في الوقعة الخائزين
للمغنمية فيعطى للفارس ثلاثة أسهم سهم له وسهمان لفارسه وللراجل سهم واحد الحديث
ابن عمر في الصحيح وبه قال أكثر أهل العلم واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن

الصباح بردها قال الامام أحمد حدثنا محمد بن فضيل حدثني فليت العامرى عن جسر العامرة عن ابي ذررضى المبارك
الله عنه قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقرا بآية حتى أصبح ركع بها ويسجد بها ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم
فانك أنت العزيز الحكيم فلما أصبح قلت يا رسول الله لم ترل تقرا هذه الآية حتى أصبحت ركع بها وتسجد بها قال انى سألت ربى عز
وجل الشفاعة لامتى فأعطانها وهى نائلة ان شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئا وقال أخرى قال أحمد حدثنا يحيى حدثنا قدامة بن
عبد الله حدثني جسر بنت دجاجة انها انطلقت معتمرة فانتهدت الى الر بذة فسمعت أبا ذر يقول قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة من الليالى في صلاة العشاء فصلى بالقوم ثم تخلف أصحاب له يصلون فلما رأى قيامهم وتخلفهم انصرف الى رحله فلما رأى القوم قد

أخلاق المكان رجع الى مكانه فصلي جئت فقلت خلفه فأومأ الى يمينه فقامت عن يمينه ثم جاء ابن مسعود فقام خلفي وحلقه فأومأ اليه بشماله فقام عن شماله فقمنا ثلاثا ثمنا يصلي كل واحد منا بنفسه وتلاوا من القرآن ماشاء الله ان تتلوا وقام بآية من القرآن يرددها حتى صلى الغداة فلما أصبحنا ومأت الى عبد الله بن مسعود وأن سله ما أراد الى ما صنع البارحة فقال ابن مسعود لأسأله عن شيء حتى يحدث لي فقلت نأى وأمى قلت بآية من القرآن ومعك القرآن لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه قال دعوت لأمي قلت فإذا أحببت أو ما ذار عليك قال أحببت بالذي لو اطلع عليه كثير منهم طاعة تركوا (٣٧) الصلاة قلت أفلا أبشر الناس قال بلى فانطلقت

معنفاقرياً من قذفة بججر فقال عمر يا رسول الله انك ان سمعت الى الناس بهذا انكلاوا عن العبادة فساداه أن ارجع فرجع وتلك الآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب اخبرني عمرو بن الحرث أن بكر بن سوادة حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فرجع يديه فقال اللهم أمي وبكي فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد وربك أعلم فأسأله ما يكيه فأناه جبريل فأسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل انا سنريك في أمتك ولانسيتك وقال الامام أحمد حدثنا حسين قال حدثنا ابن لهيعة حدثنا ابن هبيرة انه سمع أبا تميم الجيشاني يقول حدثني سعيد بن المسيب سمعت حديثه بن اليمان يقول غاب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فلم يخرج حتى

المبارك والشافعي وأحمد وإسحق وقال أبو حنيفة للفراس سهمان وللراجل سهم والحديث يرد عليه وظاهر الآية يدل على أنه لا فرق بين العقار والمنقول وعند أبي حنيفة يخيّر الامام في العقارين قسمه ووقفه على المصالح ومن قتل من المسلمين مشركاً استحق سلبه من رأس الغنمة لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قتل قتيلاً فله سلبه أخرجه الشيخان وغيرهما ويجوز تنجيل بعض الجيوش من الغنمة (ان كنتم آمنتم بالله) قال الزجاج عن فرقة ان المعنى فاعلموا ان الله مولاكم ان كنتم آمنتم بالله وقالت فرقة أخرى ان متعلقة بقوله واعلموا انما غنمتم قال ابن عطية وهذه هو الصحيح لان قوله واعلموا يتضمن الامر بالانقياد والتسليم لامر الله في الغنائم فعلق ان بقوله واعلموا على هذا المعنى أي ان كنتم مؤمنين بالله فانقادوا واسلموا الامر لله فيما أعلمكم به من حال قسمة الغنمة وقال في الكشاف انه متعلق بمحذوف يدل عليه واعلموا بمعنى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا ان الخس من الغنمة يجب القرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقنعوا بالانجاس الاربعية وليس المراد بالعلم المجرد ولكن العلم المضمّن بالعمل والطاعة لامر الله لان العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر اه (وما أنزلنا على عبدنا) أي ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على محمد صلى الله عليه وآله وهذه اضافة تشرىف وتعظيم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (يوم الفرقان) يوم بدر وبدر ماء بين مكة والمدينة وسمى يومه يوم الفرقان لان الله فرق بين أهل الحق باظهاره وأهل الباطل باخزائه (يوم التقي الجمعان) أي الفرقان من المسلمين والكافرين عن علي بن أبي طالب قال كانت ليلة الفرقان ليلة التقي الجمعان في صبيحتها ليلة الجمعة لسمع عشرة مضت من رمضان وهو أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (والله على كل شيء قدير) ومن قدرته العظيمة نصر الفريق الاقل على الفريق الاكثر (اذ) أي اذكروا أيها المسلمون اذ (أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى) قرئ بضم العين في الموضعين وكذا بالفتح والكسر وقرئ بهما أيضاً وهي لغات بمعنى واحد وهذا هو قول جمهور اللغويين والعدوة شط الوادي وشفيره وحافته سميت بذلك لانها عذت مافي الوادي من ماء ونحوه أن يتجاوزها أي منعتهم وقال أبو عمرو هي المكان المرتفع والدنيا تانبث الادنى من دنائذ أي القربى من المدينة والقصوى تانبث الاقصى من قصايا قصوى ويقال القصيا

ظننا ان لن يخرج فلما خرج سجد سجدة ظننا ان نفسه قد قبضت فيها فلما رفع رأسه قال ان ربي عز وجل استشارني في أمي ماذا افعل بهم فقلت ما شئت أي ربهم خلقك وعبادك فاستشارني الثانية فقلت له كذلك فقال لي لا خيريك في امتك يا محمد وبشرني ان أول من يدخل الجنة من امتي معي سبعون الف فامع كل الف سبعون الف ليس عليهم حساب ثم ارسل الي فقال ادع تجب وسل تعط فقلت لرسوله أو معطى ربي سؤلى فقال ما أرسلني اليك الا ليعطيك ولقد اعطاني ربي ولا تخف وعفرتي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأنا أمشي حيا صعبا واعطاني ان لا تجوع أمي ولا تغلب واعطاني الكوثر وهو نهر في الجنة يسيل في حوضي واعطاني العز والنصر والرعب يسعي بين يدي امتي شهر واعطاني اني أول الانبياء يدخل الجنة وطيب لي ولا متي الغنمة وأحل لنا كثير مما شدد علي من قبلنا

ولم يجعل علينا في الدين من حرج (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالد بن فيها ابد ارضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير) يقول تعالى مجيبا العبد ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام فيما انما اليه من التبري من النصارى المخددين الكاذبين على الله وعلى رسوله ومن رد المشيئة فيهم الى ربه عز وجل فعند ذلك يقول تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم قال الفخام عن ابن عباس يقول يوم ينفع الموحد من توحيدهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار (٢٨) خالد بن فيها ابد ارضي الله عنهم

والاصل الواو وهي لغة أهل الحجاز والمعنى وقت نزولكم بالجانب الاذني من الوادي الى جهة المدينة وعدوكم بالجانب الاقصى منه مما يلي مكة والبايع معني في كقولك زيد بمكة (والركب أسفل منكم) أي والحال ان الركب في مكان أسفل من المكان الذي أنتم فيه مما يلي البحر وأجاز الاخفش والكسائي والفراء رفع أسفل على معنى أشد سفلا منكم وقيل الواو للعطف والركب اسم جمع لراكب أو جمع له وهم العشرة فصاعدا ولا تقول العرب ركب الجماعة الراكي الا بل وقد يقال لمن كان على فرس وغيره ركب والجمع أركب وركوب كذا قال ابن فارس وحكاها ابن السكيت عن أكثر أهل اللغة والمراد بالركب هنا ركب أبي سفيان وهي المراد بالعريفانهم كانوا في موضع أسفل منهم مما يلي ساحل البحر على ثلاثة أميال من بدر قيل وفائدة ذكر هذه الحالة التي كانوا عليها من كونهم بالعدوة الدنيا وعدوهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منهم الدلالة على قوة شأن العدو وشوكته وذلك لان العدو القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لا بأس بها واما العدو الدنيا فكانت رخوة تسوخ فيها الاقدام ولا ماء بها وكانت العير وراؤها العدو مع كثرة عددهم فامتن الله على المسلمين بنصرتهم عليهم والحال هذه (ولو تواعدتم) أي أنتم والمشركون من أهل مكة على أن تلقوا في هذا الموضع للقتال وأعلم كل منكم الآخر للخروج له (لا تختلفتم في المعاد) أي لخالف بعضهم بعضا فنبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالوعد وثبطهم ما في قلوبهم من المهابة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالمعاد معناه التواعد والمعاد المواعدة ووقتها ومكانها كما في القاموس (ولكن) جمع الله بينكم في هذا الوطن بغير معاد (ليقض الله أمرا كان مفعولا) أي حقيقا بأن يفعل من نصر أوليائه وخذلان أعدائه واعزادينه واذلال الكفر فاخرج المسلمين لاخذ العير وغنيمتها عند أنفسهم وأخرج الكافرين للمدافعة عنهم ولم يكن في حسابان الطائفتين أن يقع هذا الاتفاق على هذه الصفة (لهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) أي يموت من يموت عن بينة ويعيش من يعيش عن بينة رآها وعبارة عاينها ووجه قامت عليه ثلاثي لاحد على الله حجة وقيل الهلاك والحياة مستعاران للكفر والاسلام أي ليصدر اسلام من أسلم عن وضوح بينة ويقين بأنه دين الحق ويصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن محابلة شبهة وهو معنى قول ابن

ورضوا عنه كما قال تعالى ورضوان من الله أكبر وسأني ما يتعلق بتلك الآية من الحديث وروى ابن أبي حاتم ههنا حديثا عن أنس فقال حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا الحجابي عن ليث عن عثمان يعني ابن عمر أخبرنا اليقظان عن أنس مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ثم يجلي لهم الرب جل جلاله فيقول سلوني سلوني اعطكم قال فيسألونه الرضا قال فيشهدهم انه قد رضى عنهم سبحانه وتعالى وقوله ذلك الفوز العظيم أي هذا هو الفوز الكبير الذي لا أعظم منه كما قال تعالى لمثل هذا افعل عمل العالمون وكما قال وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقوله لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير أي هو الخالق للاشياء المالك لها المتصرف فيها القادر عليها فالجميع ملكه وتحت قهره وقدرته ومشيتته فلا نظيره ولا وزير ولا عدل ولا والد ولا ولد ولا صاحبة ولا اله غيره ولا رب سواه قال ابن وهب سمعت جدي بن عبد الله يحدث عن ابي عبد الرحمن الجبلي عن

عبد الله بن عمر قال أنزلت سورة آخر سورة أنزلت سورة الانعام وهي مكية) * قال العوفي اسحق وعكرمة وعطاء عن ابن عباس انزلت سورة الانعام بمكة وقال الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا ججاج بن منال حدثنا جاد ابن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت سورة الانعام بمكة ليلا جملة واحدة حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسييح وقال سفيان الثوري عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قال نزلت سورة الانعام على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسير في رجل من الملائكة وقد يظن ما بين السماء والارض وقال السدي عن مرة عن عبد الله قال نزلت سورة الانعام بشيعها سبعون ألفا من الملائكة وروى نحوه من وجه آخر عن ابن مسعود وقال الحاكيم في مستدرکه حدثنا

أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ وأبو الفضل الحسن بن يعقوب العدل قال حدثنا محمد بن عبد الوهاب العبدي أخبرنا جعفر بن عوف حدثنا اسمعيل بن عبد الرحمن السدي حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر قال لما نزلت سورة الانعام سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سدا الاقن ثم قال صحيح على شرط مسلم وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن معمر حدثنا ابراهيم بن درستويه القاري حدثنا أبو بكر بن أحمد بن محمد بن سالم حدثنا ابن أبي فديك حدثني عمر بن طلحة الرقاشي عن نافع بن مالك بن أبي سهيل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (٣٩) صلى الله عليه وسلم نزلت سورة الانعام معها

موكب من الملائكة سدا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسييح والارض بهم تريح ورسول الله يقول سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم ثم روى ابن مردويه عن الطبراني عن ابراهيم بن نائلة عن اسمعيل بن عمر بن يوسف بن عطية عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت على سورة الانعام جملة واحدة وشيعها سبعون ألفا من الملائكة لهم زجل بالتسييح والتحميد

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بهم يعدلون هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تموتون وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سرركم وجهركم ويعلم ما تكسبون) يقول تعالى مادحا نفسه الكريمة وحامدا لها على خلق السموات والارض قرارا لعباده وجعل الظلمات والنور ومنفعة لعباده في ليالهم ونهارهم فجمع لفظ

اسحق وقتادة (وان الله لسميع) بكفر الكافرين وايمان المؤمنين (عليم) بهما لا يخفى عليه خافية (اذير) يكهم الله في منامك قليلا ولو أراهم كثيرا فقلتم وتنازعتم في الامر) المعنى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم رآهم في منامه قليلا فقص ذلك على أصحابه فكان ذلك سببا لنبأتهم قاله مجاهد ولو رآهم في منامه كثيرا فقلتم ولو جئناكم قتالهم وتنازعوا في الامر هل يلاقونهم أم لا والمضارع بمعنى الماضي لان نزول الآية كان بعد الازاءة (ولكن الله سلم) وعصمهم من الفشل والتنازع فقلهم في عين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام قال ابن عباس سلم أي أتم يقول سلم لهم أمرهم حتى أظهرهم على عدوهم وقيل عنى بالنام محل النوم وهي العين أي في موضع منامك وهو عينك روى ذلك عن الحسن قال الزجاج هذا مذهب حسن ولكن الاول أسوغ في العربية لقوله واذير يكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقال لكم في أعينهم فدل بهذا على أن هذه رؤية الالتقاء وتلك رؤية النوم (انه عليهم بذات الصدور) أي بما يحصل فيها من الجراءة والجن والصبور والجزع وقيل بمخافته من الحب لله عز وجل قاله ابن عباس (واذ يريكم وهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا) أي واذا كروا وقت اراءتكم اياهم حال كونهم قليلا حتى قال القائل من المسلمين لا تخراهم سبعين قال هم نحو المائة قال ابن مسعود حتى أخذنا رجلا منهم فسألناه قال كالألفا (ويقل لكم في أعينهم) أي وقل المسلمين في أعين المشركين حتى قال قائلهم انما هم أكلة جزور وكان هذا قبل القتال والتحام الحرب فلما شرعوا فيه كثرت الله المسلمين في أعين المشركين كما قال في آل عمران يرونهم من قبلهم رآى العين ووجه تقليد المسلمين في أعين المشركين هو أنهم اذا رأوهم قليلا أقدموا على القتال غير خائفين ثم روى عنهم كثيرا فيقتلون وتكون الدائرة عليهم ويحمل بهم عذاب الله وسوط عقابه (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) في علمه وانما كرهه لاختلاف الفعل المعلل به عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال ليلف بينهم الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منسه والانعام على من أراد النعمة عليه من أهل ولايته وقيل المراد بالامر اعلاء كلمة الاسلام ونصر أهله واذلال كلمة الشرك وخذلان أهله والمعاني متقاربة (والى الله ترجع) أي تصير الامور كلها يفعل فيها ما يريد ويقضى في شأنها ما يشاء (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم فئة) للقاء الحرب والفئة الجماعة ولا واحد لها من لفظها وتجمع

الظلمات ووجد لفظ النور لكونه أشرف كقوله تعالى عن الذين وعن الشمال وكما قال في آخر هذه السورة وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ثم قال تعالى ثم الذين كفروا بهم يعدلون أي ومع هذا كله كفر به بعض عباده وجعلوا له شريكا عدلا واتخذوا له صاحبة وولدا تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا وقوله تعالى هو الذي خلقكم من طين يعني أباهم آدم الذي هو أصلهم ومنه خرجوا فانتشروا في المشارق والمغرب وقوله ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده قال سعيد بن جبير عن ابن عباس ثم قضى أجلا يعني الموت وأجل مسمى عنده يعني الآخرة وهكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير

والحسن وقتادة والضحاك وزيد بن أسلم وعطية والسدي ومقاتل بن حيان وغيرهم وقول الحسن في رواية عنه ثم قضى أجلا وهو ما بين ان يخلق الى أن يموت وأجل مسمى عنده وهو ما بين أن يموت الى أن يعث هو يرجع الى ما تقدم وهو تقدير الاجل الخاص وهو عمر كل انسان وتقدير الاجل العام هو عمر الدنيا بأكملها ثم انقضاءها وقضائها وزوالها والمصير الى الدار الآخرة وعن ابن عباس ومجاهد ثم قضى أجلا يعني مدة الدنيا وأجل مسمى عنده يعني عمر الانسان الى حين موته وكانته مأخوذا من قوله تعالى بعد هذا وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار (٤٠) الآية وقال عطية عن ابن عباس ثم قضى أجلا يعني النوم يقبض فيه الروح

ثم يرجع الى صاحبه عند اليقظة وأجل مسمى عنده يعني أجل موت الانسان وهذا قول غريب ومعنى قوله عنده أى لا يعلم الا هو وكقوله انما علمها عند ربى لا يعلمها لوقتها الا هو وكقوله يسألونك عن الساعة ايان مر ساها فيما أتت من ذكراها الى ربك منتهاها وقوله تعالى ثم أنتم تتسكرون قال السدي وغيره يعني تشكون في أمر الساعة وقوله تعالى (وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون) اختلف مفسر وهذه الآية على أقوال بعد اتفاقهم على انكار قول الجهمية الأول القائمين تعالى عن قولهم علوا كبيرا بأنه في كل مكان حيث حملوا الآية على ذلك فالاصح من الاقوال أنه المدعوى في السموات وفي الارض أى بعينه ويوحده ويقرله بالالهية من في السموات ومن في الارض ويسمونه الله ويدعونه ربنا وربنا الامن كفر من الجن والانس وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله أى هو اله من فى السماء واله من فى الارض

على فترات وقد تجتمع بالواو والنون جبرا لما نقص منها أى اذا حاربتم جماعة من المشركين (فأبنتوا) لهم ولا تجسبوا عنهم وهذا لا ينافى الرخصة المتقدمة في قوله الامتحرفا لقتال أو تمحيضا الى فئة فان الامر بالنبات هو في حال السعة والرخصة هي في حال الضرورة وقد لا يحصل النبات الا بالتصرف أو التحيز (واذكروا الله كثيرا) عند جزع قلوبكم فان ذكره يعين على النبات في الشدائد وقيل المعنى اثبتوا بقلوبكم واذكروا بالسنتكم فان القلب قديسكن عند اللقاء ويضطرب للسان فأمرهم بالذكى حتى يجتمع ثبات القلب واللسان قيل وينبغي أن يكون الذى ذكره في هذه الحالة بما قاله أصحاب طالوت ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وفى الآية دليل على مشروعية الذى ذكره في جميع الاحوال حتى في هذه الحالة التى ترجف فيها القلوب وترى بعينها البصائر قال قتادة افترض الله ذكره عند أشغل ما يكونون عند الضراب بالسيف وأخرج الحاكم وصححه عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثنتان لا يردان الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلجم بعضهم بعضا وأخرج الحاكم وصححه عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يكره الصوت عند القتال (لعلكم تفلحون) أى كونوا على رجا الفلاح والنصر والظفر (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا) أمرهم بطاعة الله فيما يأمرهم به وطاعة رسوله فيما يرشدهم اليه ومنها هم عن التنازع وهو الاختلاف فى رأى فان ذلك يتسبب عنه الفشل وهو الخيب فى الحرب واما المنازعة بالحجة لظاهر الحق فخايزة كما قال وجادلهم بالتي هي أحسن بل هي أمور بها بشرط منها قصد اظهار الحق على لسان أى الخصم وعلامته ان يفرح لظهوره على لسان خصمه (وتذهب ريحكم) الريح القوة والنصر كما يقال الريح لفلان اذا كان غالبيا فى الامر وقيل الريح الدولة شبت فى فنود امرها بالريح هبوبها والخياران الريح يطلق ويراد به القوة والغلبة والرجة والنصرة والدولة قال فى الخازن الريح هنا كناية عن نفاذ الامر وجر يانه عنى المراد تقول العرب هبت ريح فلان اذا اقبل امره على ما يريد وقال قتادة وابن زيد هي ريح النصر ولم يكن نصر قط الا بريح يعنها الله تضرب وجوه العدو ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور (واصبروا ان الله مع الصابرين) امرهم بالصبر على شدة الحرب واخبرهم

وعلى هذا فيكون قوله يعلم سركم وجهركم خيرا أو حالا والقول الثانى أن المراد انه الله الذى يعلم ما فى السموات وما فى الارض من سر وجهر فيكون قوله يعلم متعلقا بقوله فى السموات وفى الارض تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم فى السموات وفى الارض ويعلم ما تكسبون والقول الثالث أن قوله وهو الله فى السموات وقف تام ثم استأنف الخبر فقال وفى الارض يعلم سركم وجهركم وهذا اختيار ابن جرير وقوله ويعلم ما تكسبون أى جميع أعمالكم خيرها وشرها (وما تأتيهم من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم آباءهم ما كانوا يستهزؤن ألم يروا كم أهلكت من قبلهم من قرون مكثهم

في الارض ما لم تمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فأهل كذبهم بنفوسهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) يخبر تعالى عن المشركين المكذبين المعاندين أنهم كلما أتتهم من آية أى دلالة ومجزئة وجهة من الدلالات حجة على وحدانية الله وصدق رسوله الكرام فأنهم يعرضون عنها فلا يتظرون اليها ولا يبالون بها قال الله تعالى فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتتهم آتاء ما كانوا يستهزؤن وهذا تهديد لهم ووعد شديد على تكذيبهم بالحق بأنه لا بد أن يأتهم خبر ما هم فيه من التكذيب وليجدن غيبه وليذوقن وبالهن ثم قال تعالى واعظوا محذرا لهم (٤١) أن يصيبهم من العذاب والنكال الذي هو محل

بأشباههم ونظائرهم من القرون السالفة الذين كانوا أشد منهم قوة وأكثر رجوعا وأكثر أموالا وأولادا أو أسه تقلا للارض وعمارة لها فقال ألم يروا كم أهلكتنا من قبلهم من قرن مكأهم في الارض ما لم تمكن لكم أى من الاموال والاولاد والاعمار والجاه العريض والسعة والجنود ولهذا قال وأرسلنا السماء عليهم مدرارا أى شيا بعد شئ وجعلنا الانهار تجري من تحتهم أى أكثرنا عليهم أمطار السماء وينابيع الارض استدرجا واملاء لهم فأهل كذبهم بنفوسهم أى بخطاياهم وسيأتهم التى اجترموها وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين أى فذهب الاولون كالمس الذاهب وجعلناهم أحاديث وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين أى جيلا آخر لتختبرهم فمما لو أمثل أعمالهم فأهلكوا كما هلكهم فأحذروا أيها المخاطبون أن يصيبكم ما أصابهم ما أنتم بأعز على الله منهم والرسول الذى كذبتموه أكرم على الله من رسولهم فأنتم أولى بالعذاب ومعاجلة العقوبة منهم لولا لطفه

بأنه مع الصابرين بالنصر والعون فى كل أمر ينبغى الصبر به وياحذاهذ المعية التى لا يغلب من رزقها غالب ولا يؤتى صاحبها من جهة من الجهات وان كانت كثيرة (ولا تكونوا) فى البطر والاستبكار (كالذين خرجوا من ديارهم) أى مكة (بطرا) أى خفرا وأشرا (ورثاء الناس) فى نصيبكم مثل ما أصابهم منهاهم عن أن تكون حالتهم كحالة هؤلاء وهم قريش فأنهم خرجوا يوم بدر ليحفظوا العير التى مع أبى سفيان ومعهم القيان والمعازف فلما بلغوا الحفة بلغهم ان العير قد سبقت وسلمت فخرجوا ليل قائلوا لا بد لهم من الوصول الى بدر ليسر بوا الخبر ونفى لهم القيان وتسمع العرب بخرجهم فكان ذلك منهم بطرا وأشرا وطلب للنساء من الناس والتمس اليهم والفخر عندهم وهو الرياء قيل والبطر فى اللغة التقوى بنم الله على معاصيه أى خرجوا بطرين مرئين أو خرجوا للبطر والرياء الزجاج البطر الطغيان فى النعمة وترك شكرها وجعلها وسيلة الى ما لا يرضاه الله والرياء اظهار الجليل مع ابطان القبيح وقيل معناهما الفخر بالنعمة ومقا بلتها بالتكبر والخيلاء وانفخر بها والرياء مصدرا أى كقاتل قتالا وظاهر النظم الكريم ان قوله بطر متعلق بخرجوا وهو لا يوافق الواقع لان خروجهم كان لغرض مهم وهو المنع عن عيرهم ولهذا جعله السيوطى متعلقا بمحذوف وقد نخر جوا عله أخرى حيث قال خرجوا من ديارهم لم ينعوا عيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها بطرا فجعله عله لهذا المقدر وهو قوله ولم يرجعوا والمعنى عليه واضح ولم يلبس هذا المسالك غيره من رأينا من المفسرين عن قتادة قال ذكرنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ اللهم ان قريشا قد أقبلت بنخرها وخيلائها لتجادل رسولك وقال جاءت من مكة افلاذها وقد احتج بهذه الآية الشيخ عبد العزيز الددلى على انه لا يجوز طوف البلد لروس بر كوب الخيل وغيرها كما اعتاده أهل الهند فى عقود مناكحتهم (ويصدون عن سبيل الله) عطف على بطرا ان جعل مصدر فى موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر يعنى صادين عن دين الله وللصد عنه والصد اضلال الناس والخيلولة بينهم وبين طرق الهداية ويجوز أن يكون ويصدون معطوفا على يخرجون والمعنى يجمعون بين الخروج على تلك الصنعة والصد ونسكتة التعبير بالاسم ولا ثم الفعل ان البطر والرثاء كانا دأبهم بخلاف الصد فانه تجدد لهم فى زمن النبوة قاله الشهاب (والله بما يعاملون محيط) لا يخفى عليه من أعمالهم خافية فهو مجازيهم

(٦ - فتح البيان ع) واحسانه (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلم يسهو بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاصحرمين وقالوا لولا أنزل عليه ما از ولو أنزلنا ما كلفنا لقتضى الامر ثم لا يتظرون ولو جعلنا له ملكا لجعلنا له رجلا ولابد لنا عاينهم ما يلبسون ولقد استهزئ برسول من قبلك فخاق بالذين يخفون منهم ما كانوا يستهزؤن قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) يقول تعالى مخبرا عن عناد المشركين للحق ومنازعتهم فيه ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلم يسهو بأيديهم أى عاينوه ورأوا نزوله وباشروا ذلك لقال الذين كفروا ان هذا الاصحرمين وهذا كما قال تعالى مخبرا عن مكابرتهم للحسوسات ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا

ففيه يعرفون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون وكقوله تعالى وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب
 مراكوم وقالوا لولا انزل عليه ملك اى ليكون معه قال الله تعالى ولو انزلنا ملكا لقتلوا من لا ينظرون اى لو نزلت الملائكة على
 ما هم عليه لجاههم من الله العذاب كما قال تعالى ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا الا منظرين وقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى
 يومئذ للمجرمين الآية وقوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون اى لو انزلنا مع الرسول البشرى ملكا
 او ولو بعنا الى البشر رسولا ملكا لكان (٤٢) على هيئة الرجل ليكنهم مخاطبة والانتفاع بالاخذ عنه ولو كان كذلك لالتبس عليهم

الامر كما هم يلبسون على انفسهم
 في قبول رسالة البشرى كقوله
 تعالى قل لو كان في الارض ملائكة
 يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من
 السماء ملكا رسولا فمن رحمة تعالى
 بخلقه ان يرسل الى كل صنف من
 الخلائق رسلا منهم ليدعو بعضهم
 بعضا وليمكن بعضهم ان يتتبع بعض
 في المخاطبة والسؤال كما قال تعالى لقد
 من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم
 رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته
 ويزكيتهم الآية قال الضحاك عن ابن
 عباس في الآية يقول لو اتاهم ملك
 ما اتاهم الا في صورة رجل لانهم
 لا يستطيعون النظر الى الملائكة
 من النور وللبسنا عليهم ما يلبسون
 اى ونخلطنا عليهم ما يخلطون وقال
 الوالى عنه ولشبهنا عليهم وقوله ولقد
 استرئى برسل من قبلك خفاق بالذين
 سخروا منهم ما كانوا يسترزون
 هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
 في تكذيب من كذبه من قومه
 ووعده وللمؤمنين به بالنصرة
 والعاقبة الحسنة في الدنيا والاخرة
 ثم قال تعالى قل سيروا في الارض ثم
 انظروا كيف كان عاقبة المكذبين

عليها (واذ زين لهم الشيطان اعمالهم) اى واذا كرا محمد تزبين الشيطان لهم اعمالهم
 بان شجعهم وقواهم لما خافوا الخروج من اعدائهم بنى بكر وهم قبيصة كانه قريصة من
 قريش وبينها وبينهم الحروب الكثيرة والتزين التحسين وقدرى ان الشيطان تمثل لهم
 يوم بدر في جند من الشياطين معه قال ابن عباس رأيت في صورة رجل من رجال بنى مدلج
 سراق بن مالك بن جعشم سيد تلك الناحية وكانت قريش تحاف من بنى بكر ان يأتوهم
 من وراءهم (وقال) لهم (لا غالب لكم اليوم من الناس) اى كانه وغيرها (وانى جار)
 اى مجير ومعين وناصر (لكم) من كل عدو ومن بنى كانه ومعنى الجار هنا الدافع عن
 صاحبه انواع الضرر كما يدفع الجار عن الجار وقيل المعنى انه اتى في روعهم هذه المقالة
 وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون (فلما تراءت) التقت (الفئتان) اى فئة
 المسلمين والمنكرين ورأى الملائكة وكان يده في يد الحرث بن هشام (نكص) اى رجع
 (على عقبه) هاربا اى رجع القهقري يشى الى ظهره وقيل معنى نكص ههنا بطل
 كيدته وذهب ما خيله (وقال انى برى منكم) اى من جواركم وحفظكم ونصركم
 والذب عنكم وتبرأ منكم لما رأى امارات النصر مع المسلمين بامداد الله لهم بالملائكة ثم
 علل ذلك بقوله (انى ارى ما لاترون) من الملائكة ثم علل بعله اخرى فقال (انى اخاف
 الله) قيل خاف ان يصاب بمكروه من الملائكة الذين حضروا الواقعة وقيل ان دعوى
 الخوف كذب منه ولكنه رأى انه لا قوة له ولا للمشركين فاعتل بذلك (والله شديد العقاب)
 يحتمل ان يكون من تمام كلام ابليس بسطا للعدو ويحتمل ان يكون كلاما مستأنفا من
 جهة الله سبحانه تهديدا لبليل (اذ يقول المنافقون) قيل هم الذين اظهروا الايمان
 وابتطنوا الكفر وكانوا بالمدينة وهو ابتداء كلام منقطع عما قبله (والذين في قلوبهم
 مرض) هم المشركون من غير نفاق الكائنون بمكة لم يقواسلامهم لكونهم حديثي
 عهد بالاسلام وعن الحسن قال مرضى القلوب هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا
 منافقين وقال الكلبي هم قوم كانوا اقرارا بالاسلام وهم بمكة ثم خرجوا مع المشركين يوم
 بدر فلما رأوا المسلمين وافقوا المنافقين في قواهم (غرهؤلاء) المسلمين (دينهم) حتى
 تكلفوا ما لا طاقة لهم به من قتال قريش وعن الشعبي نحوه وقيل هم المشركون ولا يعد
 ان يراد بهم اليهود الساكنون في المدينة وما حولها وانهم هم والمنافقون من أهل المدينة

أى فكروا فى انفسكم وانظروا ما أحل الله بالقرون الماضية الذين كذبوا رسوله وعاندوه من العذاب
 والنكال والعقوبة فى الدنيا مع ما ادخروا لهم من العذاب الاليم فى الآخرة وكيف نجى رسوله وعباده المؤمنين (قل لمن ما فى السموات
 والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة لاريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون وله ما سكن فى
 الليل والنهار وهو السميع العليم قل غير الله اتخذوليا فاطر السموات والارض وهو يظلم ولا يظلم قل انى أمرت أن أكون أول من
 أسلم ولا تكون من المشركين قل انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ قدره وذلك الفوز المدين) يخبر

تعالى انه ملك السموات والارض ومن فيهما وان قد كتب على نفسه المقدسة الرحمة كافي الصيحين من طريق الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لما خلق الخلق كتب كتابا عنده فوق العرش ان رجتي تغلب غضبي وقوله ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه هذه اللام موطئة للتقسيم فاقسم بنفسه الكريمة ليجمعن عبادي لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة الذي لا ريب فيه أي لاشك عند عباده المؤمنين فاما الجاحدون المكذبون فهم في ريبهم يترددون وقال ابن مردويه عند تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا عبید الله بن أحمد (٤٣) بن عقبة حدثنا عباس بن محمد حدثنا حسين

ابن محمد حدثنا محسن بن عقبة اليماني عن الزبير بن شيبان عن عثمان بن حاضر عن ابن عباس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدي رب العالمين هل فيه ماء قال والذي نفسي بيده ان فيه ماء ان أولياء الله ليردون حياض الانبياء ويعت الله تعالى ألف ملك في أيديهم عصي من نار يزودون الكفار عن حياض الانبياء هذا حديث غريب وفي الترمذي ان لكل نبي حوضا وأرجوان أن يكون أكثرهم واردا وقوله الذين خسروا

أنفسهم أي يوم القيامة فهم لا يؤمنون أي لا يصدقون بالمعاد ولا يخافون شر ذلك اليوم ثم قال تعالى وله ما سكن في الليل والنهار أي كل دابة في السموات والارض الجميع خلقه وعباده وتحت قهره وتصرفه وتدبيره ولا اله الا هو وهو السميع العليم أي السميع لاقوالهم العليم بجزأتهم وضمائرهم وسرائرهم ثم قال تعالى لعبدته ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعثه بالتوحيد العظيم وبالشرع القويم وأمره أن يدعو الناس الى صراطه المستقيم قل أعمر الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض كقوله

قالوا هذه المقالة عند خروج المسلمين الى بدر لما رأوهم في قننه من العدد وضعف من العدد فاجاب الله عليهم بقوله (ومن توكل على الله) يثوبه (فان الله عزيز) لا يغلبه غالب ولا يذل من توكل عليه (حكيم) له الحكمة البالغة التي تقصر عندها العقول (ولوترى) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يصلح له كما تقدم تحقيقه في غير موضع والرؤية بصرية والمعنى لورأت (اذيتوفى الذين كفروا بالملائكة) لان لو يقاب المضارع ماضيا أي ولوترى الكافرين وقت توفى الملائكة لهم قيل أراد بالذين كفروا امن لم يقتل يوم بدر وقيل هي فين قتل بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم تقديره لم يأت أمر اعظيما (يضربون وجوههم) أي جهة الأمام (وأدبارهم) أي جهة الخلف يعني استأههم كنى عنها بالدبار وقيل ظهورهم مقامع من حديد وهذا نص في ان ملائكة الموت عند قبضها الروح الكافر تضربه بما ذكره وتقول له ماذا كروا فكان مجموع بين عن رؤية ذلك وسماعه واختلافه في وقت هذا الضرب فقيل يكون عند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم بسياط من نار كما يفيد ذكر التوفى وقيل هو يوم القيامة حين يسرون بهم الى النار قال ابن جرير يريد ما قبل من اجسادهم وأدبر يعني يضربون جميع اجسادهم قيل كان المشركون اذا قبلوا بوجوههم على المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف واذلوا أدبارهم ضربت الملائكة ادبارهم قيل كان معهم مقامع من حديد محمالة بالنار يضربون بها الكفار فتلتهب النار في جراحاتهم (و) يقول لهم خزنة جهنم عند القتل (ذوقوا عذاب الحريق) أي المحرق وقال ابن عباس تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت وقال الحسن هذا يوم القيامة والذوق قد يكون محسوسا وقد يوضع موضع الابتلاء والاختبار واصله من الذوق بالقلم (ذلك) اشارة الى ما تقدم من الضرب والحريق والعذاب والقتل (بما قدمت أيديكم) أي واقع بسبب ما كسبتم من المعاصي واقتربتم من الذنوب هذا من جملة قول الملائكة عبر بها دون غيرها لان اكثر الافعال تراول بها (وان الله ليس بظلام للعبيد) أي والامر انه لا يظلمهم أو ذلك العذاب بسبب المعاصي وبسبب ان الله ليس يظلم لهم فيعذبهم بغير ذنب لانه سبحانه قادر ارسال اليهم رسوله وانزل عليهم كتبه وأوضح لهم السبيل وهذا هم التجدين كما قال سبحانه وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها

قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون والمعنى لا اتخذوا ليا الا الله وحده لا شريك له فانه فاطر السموات والارض أي خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق وهو يظلم ولا يظلم أي وهو الرازق لخلقهم من غير احتياج اليهم كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الآية وقرأ بعضهم ههنا وهو يظلم ولا يظلم أي لا يأكل وفي حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال دعا رجل من الانصار من أهل قباء النبي صلى الله عليه وسلم على طعام فانطقنا معه فلما طعم النبي صلى الله عليه وسلم وغسل يديه قال الحمد لله الذي يظلم ولا يظلم ومن علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا من الشراب وكل بلاء حسن أن بلانا الحمد لله غير مودع ولا مكافي

ولامكفور ولا مستغنى عنه الحمد لله الذى أطعمنا من الطعام وسقانا من الشراب وكسانا من العرى وهدانا من الضلال وبصرنا من العمى وفضلنا على كثير من خلق تفضيلا الحمد لله رب العالمين قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم أى من هذه الامة ولا تكون من المشركين قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم يعنى يوم القيامة من يصرف عنه أى العذاب يومئذ فقد رجه يعنى فقد رجه الله وذلك هو الفوز المبين كقوله من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز والنور حصول الریح ونفى الخسارة (وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسك بخير فهو (٤٤) على كل شئ قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير قل أى شئ أكبر

شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لاندرك به ومن باغ أنسكم لتشهدون ان مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد وانى برى مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون) يقول تعالى مخبر انه مالك الضر والنفع وانه المتصرف فى خلقه بما يشاء لامعقب لحكمه ولا راد لقضائه وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسك بخير فهو على كل شئ قدير كقوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده الآية وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ولهذا قال تعالى وهو القاهر فوق عباده أى هو الذى خضعت له الرقاب وذات له الجبابرة وعت له الوجوه وقهر كل شئ ودانت له الخلائق ونواضعت لعظمته جلالة

(كذاب) لاذكر سبحانه ما انزله باهل بدر أتبعه بما يدل على ان هذه سنته فى فرق الكافرين وأصل الدأب فى اللغة ادامة العمل يقال فلان يدأب فى كذا اذا دام عليه واتعب نفسه فيه ثم سميت العادة دأبا لان الانسان يداوم على عادته فهو يواظب عليها اى دأب هؤلاء فى كفرهم مثل دأب (آل فرعون والذين من قبلهم) والمعنى انه جوزى هؤلاء كما جوزى أولئك فكانت العادة فى عذاب هؤلاء كالعادة الماضية لله فى تعذيب طوائف الكفر من الائمة الماضية المكذبة فيما فعلوا وفعولهم (كفروا بآيات الله) مفسرة لدأب آل فرعون ويبان لتعلمهم اى دأبهم هذا هو أنهم كفروا بها (فأخذهم الله بنوبهم) هذا بيان لما فعل بهم اى فتسبب عن كفرهم اخذ الله سبحانه لهم والمراد بنوبهم معاصيهم المترتبة على كفرهم فالعاب للملابسة اى فأخذهم متلبسين بنوبهم غير تائبين عنها (ان الله قوى) على ما يريد (شديد العقاب) جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها (ذلك) أى العقاب الذى أنزله الله بهم (بأن الله لم يكن) مجزوم بسكون النون المحذوفة تخفيفا أى ما كان (مغيرا نعمة أنعمها على قوم) المراد بالنعمة هو محمد صلى الله عليه وسلم أنعم بها على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الله الى الانصار قاله السدى والجمله جارية مجرى التعليل لما حل بهم من عذاب الله أى ان ذلك العقاب بسبب ان عادة الله فى عباده عدم تغير النعمة التى نعم بها عليهم مبدلا لها بالنقمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الاحوال والاخلاق بكفران نعم الله ونعمص (١) احسانه واهماله وأمره ونواهيته وهذا يعنى الحال المرضية والقيحة فكما تغير الحال المرضية الى المدخوطة كذلك تغير الحال المدخوطة الى ما هو أسوأ منها هذا حاصل ما فى الكشاف وذلك كما كان من آل فرعون ومن قبلهم ومن قريش ومن يماثلهم من المشركين فان الله فتح لهم أبواب الخيرات فى الدنيا ومن عليهم بارسال الرسل وانزال الكتب فقبالوا هذه النعم بالكفر فاستحقوا تغير النعم كما غيروا ما كان يجب عليهم سلوكه والعامل به من شكرها وقبولها ووجله (وان الله سميع علم) معطوفة على ما قبلها داخله معها فى التعليل اى ذلك بسبب ان الله لم يكفهم عن سبب ان الله سميع بسمع ما يقولونه وعليهم يعلم ما يفعلونه ثم كرر ما تقدم فقال (كذاب آل فرعون والذين من قبلهم) لقص التاكيد مع زيادة انه كالبيان للاخذ بالذنب بانه كان بالاغراق وقيل ان الاول باعتبار ما فعله آل فرعون ومن شبههم والثانى باعتبار ما فعل بهم وقيل

وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته الاشياء واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمه وهو الحكيم أى فى المراد جميع أفعاله الخبير بواطن الاشياء ومخالفها فلا يعطى الامن يستحق ولا يمنع الامن يستحق ثم قال قل أى شئ أكبر شهادة أى من أعظم الاشياء قل الله شهيد بينى وبينكم أى هو العالم بما جنتكم به وما أنتم قائلون لى وأوحى الى هذا القرآن لاندرك به ومن بلغ أى وهو نذير لكل من بلغه كقوله تعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده قال ابن أبى حاتم - حدثنا أبو سعيد الأشج - حدثنا وكيع وأبو أسامة وأبو خالد عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب فى قوله ومن بلغ من بلغه القرآن فكأنما رأى النبى صلى الله عليه وسلم (١) الغمص كفران النعمة اه منه

مشركين وقال ابن جرير والصواب ثم لم يكن قبلهم عند قننتنا اياهم اعتذارا عما سلف منهم من الشرك بالله الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا ابو يحيى الرازي عن عمرو بن ابي قيس عن مطرف عن المنهال عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال اتاه رجل فقال يا ابا عباس سمعت الله يقول والله ربنا ما كنا مشركين قال اما قوله والله ربنا ما كنا مشركين فانهم لما رأوا انه لا يدخل الجنة الا اهل الصلوة فقالوا تعالوا فلنجد فيمجدون فيختم الله على أفواههم وتسد أيديهم وأرجلهم ولا يكفون الله حديثا فهل (٤٦) في قلبك الا نسي لأنه ليس من القرآن شي الا وازل فيه شي ولكن لا تعلمون

منهم صلوة أي عاهدتهم وقيل للتبعض أي الذين عاهدتهم وهم بعض أولئك الكفرة يعني الاشراف منهم (ثم يتقصون عهدهم) الذي عاهدتهم وعطف المستقبل على الماضي للدلالة على استمرار النقص منهم وهو لا وهم قرينة عاهدتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يعينوا المشركين فلو لم يفوا بذلك (في كل مرة) من مرات المعاهدة فنتقضوا وأعانواهم بالسلاح وقالوا نسينا العهد ثم عاهدتهم فنسكنا وما لؤا الكفار عليه يوم الخندق (وهم) أي والحال أنهم (لا يتقون) الله في النقص والغدر ولا يخافون عاقبته ولا يتجنبون أسبابه ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسدة والغلظة عليهم فقال (فأما ثقتهم في الحرب) أي فاما تصادفهم في ثقاتهم وتلقاهم في حاله تقدر عليهم فيها وتمكن من غلبهم وتطربهم يقال ثقفت الشيء ثقفا من باب تعب أخذته وثقت الرجل في الحرب أدركته وثقفته نظرت به وثقت الحديث فهمته بسرعة والفاعل ثقيف وبه سمي حتى من الين والثقات في أصل اللغة ما يشده القنائة ونحوها يقال فلان ثقف أي سربيع الوجود لما يحاوله (فشردهم) أي ففارق بقتلهم والتسكيل بهم والعقوبة لهم (من خلفهم) من الخار بين لك من أهل الشرك كفار مكة حتى بها واجانبك ويكفوا عن حربك مخافة أن ينزل بهم ما نزل بهؤلاء أو يخافون من وراءهم من أهل مكة والين والتشريد التفريق مع الاضطراب والازعاج وقال أبو عبيدة شرد بهم جمع بهم وقال الزجاج افعل بهم فعلا من القتل تفريقه من خلفهم يقال شردت بني فلان قلعته عن مواضعهم وطردتهم عنها حتى فارقوها ومنه شرد البعير اذا فارقه صاحبه وقرأ ابن مسعود بالذال قال قطرب التشريد هو التسكيل وبالهملة هو التفريق وقال المهدي الذال المعجمة لا وجه لها ولا يعرف في اللغة (لعلهم) أي الذين خلفهم (يدكرون) أي يحذرون أن ينكثوا فيضع بهم مثل ذلك قاله السدي (واما تخافن من قوم خيانة) أي غشوا ونقضوا للعهد من انقوم المعاهدين بامارة تلوح لك وهم قرينة والنضير (قائذ) أي فاطرح (اليهم) العهد الذي بينك وبينهم والسبذ الطرح وهذا مجاز عن اعلامهم بأن لا عهد لهم بعد اليوم فشبها العهد بالشيء الذي يرمى لعدم الرغبة فيه وأثبت السبذ له تخيلا ومفعوله محذوف وهو عهدهم قاله الشهاب (على سواء) أي طريقة مستوية والمعنى أنه يخبرهم اخبارا ظاهرا مكشوفها بالنقض ولا يساخرهم الحرب بغتة وقيل معنى على سواء

وجهه قال الخليل عن ابن عباس هذه في المنافقين وفيه نظر فان هذه الآية مكية والمنافقون انما كانوا بالمدينة والتي نزلت في المنافقين آية المجادلة يوم يعيهم الله جميعا فيحاقفون له الآية هكذا قيل في حق هؤلاء انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون كقوله ثم قيل لهم أيها كنتم تشركون من دون الله فالواضحة لواعنا الآية وقوله ومنهم من لم يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها أي يجيؤك ليستمعوا قرأتك ولا يجزي عنهم شيأ لان الله جعل على قلوبهم أكنة أي أعظية لتلايققوهوا القرآن وفي آذانهم وقرا أي صمما عن السماع النافع فهم كما قال تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الادعاء ونداء الآية وقوله وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها اي مهمارا أو من الآيات والدلالات والحجج البينات والبراهين لا يؤمنوا بها فلا فهم عندهم ولا انصاف كقوله تعالى

ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم الآية وقوله تعالى حتى اذا جاؤك يجادلونك أي يحاجونك ويناطرونك في الحق على الباطل يقول الذين كفروا ان هذا الأساطير الاولين أي ما هذا الذي جئت به الا ما خوذ من كتب الاوائل ومنقول عنهم وقوله وهم ينهون عنه وينأون عنه وفي معنى ينهون عنه قولان أحدهما ان المراد انهم ينهون الناس عن اتباع الحق وتصديق الرسول والانقياد للقرآن وينأون أي ولا يدعون أحدا ينتفع قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس وهم ينهون عنه يردون الناس عن محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به وقال محمد بن الحنفية كان كفار قريش لا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم

وينهون عنه وكذا قال قتادة ومجاهد والضحك وغير واحد وهذا القول أظهر والله أعلم وهو اختيار ابن جرير والقول الثاني زواه سقيم الثورى عن حبيب بن أبي ثابت عن سمع بن عباس يقول في قوله وهم ينهون عنه قال زلت في أبي طالب كان ينهى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان يؤذى وكذا قال القاسم بن مخيمرة وحبيب بن أبي ثابت وعطاء بن دينار وغيره أنها زلت في أبي طالب وقال سعيد بن جبير بن هلال زلت في عمومة النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا عشرة فكانوا أشد الناس معه في العلانية وأشد الناس عليه في السر روى ابن أبي حاتم وقال محمد بن كعب القرظي وهم ينهون عنه (٤٧) أي ينهون الناس عن قتله وقوله وينهون عنه أي

على وجه يستوى في العلم بالنقض أقصاهم وأذناهم أو تستوى أنت وهم فيه لئلا يتهموا بالغدر قال الكسائي السواء العدل وقد يكون بمعنى الوسط ومنه قوله في سواء الخيم وقيل معنى على سواء على جهرا لا على سرا والظاهر أن هذه الآية عامة في كل معاهد يخاف من وقوع النقض منه قال ابن عطية والذي يظهر من ألفاظ القرآن ان أمره في قرينة انقضى عند قوله فشردهم من خلفهم ثم ابتدأ تبارك وتعالى في هذه الآية يأمر بما يصنع في المستقبل مع من يخاف منه خيانة (ان الله لا يحب الخائنين) تعليل لما قبلها يحتمل أن تكون تحذيرا الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن المناجزة قبل أن يبدأ بهم على سواء ويحتمل أن تكون عائدة الى القوم الذين يخاف منهم الخيانة (ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا) أي فالو أعباءه وخلصوا ونجوا منه وانهم زموا يوم بدر وأفلتوا من أن ينظر بهم وعلى القراءة بالفوقية يكون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي قراءة واضحة قاله أبو السعود وقال الخفاجي وهي ظاهرة وقد زعم جماعة من النحويين منهم أبو حاتم ان قراءة من قرأ بحسب بالتحسية لحن لا يحل القراءة فيها لأنه لم يأت بحسب بنفسه وهو يحتاج لمفعولين قال النحاس وهذا احتمال شديد ومعنى هذه القراءة ولا يحسبن من خلفهم الذين كفروا سبقوا فيكون الضمير يعود على ما تقدم الا أن قراءة التاء آيين قال الخفاجي واما القراءة بالياء للغيبة فضعفها الرمخشري وقال انها غير نيرة وقد ردوا عليه ذلك بوجهين * الاول ان حزمة وحفصا وابن عامر وغيرهم قرؤا بها * والثاني أن قوله انها غير نيرة ليس كما زعم فانها أنور من الشمس في وسط النهار لان فاعل يحسبن ضمير أي لا يحسبن هو أي قبيل المؤمنين أو الرسول أو الحاسب أو من خلفهم أو أحد لانه معلوم من الكلام فلا يرد عليه انه لم يسبق له ذكر واما حذف الفاعل فلا يخطرب بالبال كما توهم وعليه فمفعولاه الذين كفروا سبقوا وقيل الفعل مستند الى الذين كفروا والمفعول الاول محذوف وسبقوا هو الثاني أي لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سابقين انهى (انهم لا يعجزون) تعليل لما قبلها أي انهم بهذا السبق لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم والانتقام منهم وقيل المراد بهذه الآية من أفلت من وقعة بدر من المشركين والمعنى انهم وان أفلتوا من هذه الوقعة ونجوا فانهم لا يعجزون بل هم واقعون في عذاب الله في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بعذاب النار وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم

يتابعون منه وان يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون أي وما يهلكون بهذا الصنيع ولا يعود وبالها عليهم وما يشعرون (ولو ترى اذ وقفوا على النار قالوا يا ليتنا نردو لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بسل بداهم ما كانوا يخفون من قبل ولوردوا العادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هي الاحياتنا الدنيا وما نحن بجمع وثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) يذكر تعالى حال الكفار يوم القيامة اذ وقفوا على النار وشاهدوا ما فهم من السلاسل والاعلال ورأوا بأعينهم تلك الامور العظام والاهوال فعند ذلك قالوا يا ليتنا نردو لا نكذب بآيات ربنا نتمنون أن نردوا الى آلهار الدنيا ليعملوا عملا صالحا ولا يكذبوا بآيات ربهم ويكونوا من المؤمنين قال الله تعالى بل بداهم ما كانوا يخفون من قبل في أنفسهم من الكفر والتكذيب والمعاندة وان أنكروها في الدنيا وفي الآخرة كما قال قبله يسير ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا

والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم ويحتمل انهم أظهر واما كانوا يعملونه من أنفسهم من صدق ما جاءت به الرسل في الدنيا وان كانوا يظهرن لا تباعهم خلافة كقولهم مخبرا عن موسى انه قال لفرعون لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارباب السموات والارض بصائر الآية وقوله تعالى مخبرا عن فرعون وقومه وسجدوا لها واستبقنبتها أنفسهم ظلما وعلوا ويحتمل أن يكون المراد هؤلاء المنافقين الذين كانوا يظهرن الايمان للناس ويطنون الكفر ويكون هذا اخبارا عما يكون يوم القيامة من كلام طائفة من الكفار ولا ينافي هذا كون هذه مكينة والنفاق انما كان من بعض أهل المدينة ومن حولها من الاعراب فقد ذكر الله وقوع النفاق في

سورة مكية وهي العنكبوت فقال وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين وعلى هذا فيكون اخبارا عن حال قول المنافقين في الدار الآخرة حين يعاينون العذاب يظهر لهم حينئذ غيب ما كانوا يبطنون من الكفر والشقاق والنفاق والله أعلم وأمام معنى الاعتراف في قوله بل بدلهم ما كانوا يخفون من قبل فأنهم ما طلبوا العود الى الدنيا رغبة في الايمان بل خوفا من العذاب الذي عاينوه جزاء على ما كانوا عليه من الكفر فألو الرجعة الى الدنيا ليخلصوا مما شاهدوا من النار ولهذا قال ولوردوا العاد والمأنه واعنه وانهم لكاذبون أى في طلبهم الرجعة رغبة ومحبة (٤٨) في الايمان ثم قال مخبر عنهم انهم لو وردوا الى الدار الدنيا العاد والمأنه واعنه وانهم

لكاذبون أى في قولهم ياليتنا رد
ولانكذب بايات ربنا ونكون
من المؤمنين وقالوا ان هي الاحياتنا
الدنيا وما نحن بعبوثين أى لعادوا
لمأنه واعنه وانهم لكاذبون وقالوا
ان هي الاحياتنا الدنيا أى ما هي
الاهذه الحياة الدنيا ثم لامعاد بعدها
ولهذا قال وما نحن بعبوثين ثم قال
ولو ترى اذ وقفوا على ربهم أى
وقفوا بين يديه قال أليس هذا
بالحق أى أليس هذا المعاد بحق
وليس يبطل كما كنتم تظنون قالوا
بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما
كنتم تكفرون أى بما كنتم
تكذبون به فذوقوا اليوم مسه
أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون
(قد خسر الذين كذبوا بلفاه الله حتى
اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا
يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم
يحملون أوزارهم على ظهورهم
ألا ساء ما يزررون وما الحياة الدنيا
الا لعب ولهو وللدار الآخرة
خير للذين يتقون أفلا تعقلون)
يقول تعالى مخبرا عن خسارته من
كذب بلفاه وعن خيبتة اذا جاءته
الساعة بغتة وعن ندامة على ما فرط

من العمل وما أسلف من قبيح الفعال ولهذا قال حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا
على ما فرطنا فيها وهذا الضمير يحتمل عوده على الحياة وعلى الاعمال وعلى الدار الآخرة أى في أمرها وقوله وهم يحملون أوزارهم
على ظهورهم الاسماء يزررون أى يحملون وقال قتادة يعاملون قال ابن ابي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن عمرو
ابن قيس عن أبي مرزوق وبسبب الكافر والناجر عند خروجه من قبره كما قبض صورة رأيتها وأنتن ريحها فيقول من أنت فيقول
أوما تعرفني فيقول لا الا ان الله قبح وجهك وأنتن ريحك فيقول انا عمالك الخبيث هكذا كنت في الدنيا حيث العمل منته
فطال ما ركبتني في الدنيا لم أركبك فهو قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم الآية وقال أسباط عن السدي انه قال ليس من

فبين فاته من المشركين ولم ينتقم منهم فأعلمه الله انهم لا يجزونه (وأعدوا لهم ما استطعتم من
قوة) أمر سبحانه باعداد القوة للاعداء الناقض العهد كما يقتضيه السياق أول الكفار
مطلقا كما يقتضيه ما بعده والاعداد اتحاد الشيء لوقت الحاجة اليه ومن لبيان الجنس
والقوة كل ما يتقوى به في الحرب على العدو ومن ذلك السلاح والقسي وقد ثبت في صحيح
مسلم وغيره من حديث عقبه بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو على
المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمي قالها ثلاث مرات وقيل
هي الحصون والمعقل والمصير الى التفسير الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بتعين وعن ابن عباس القوة الرمي والسيوف والسلاح وقال ابن الزبير أمرهم
باعداد الخيل وعن عكرمة قال القوة ذكور الخيل والرباط الاناث وعن مجاهد مثله
وعن ابن المسيب قال القوة السهم الى الفرس فخادونه وقال عكرمة الحصون وقيل كل
ما هو آلة يستعان بها في الجهاد فهو من جملة القوة للمأمور باعدادها وقوله صلى الله عليه
وآله وسلم ألا ان القوة الرمي لا ينبي كون غير الرمي ليس من القوة فهو كقوله الحج عرفة
وقوله الندم توبة فهذا لا ينبي اعتبار غيره بل يدل على أن هذا المذكور من أفضل المقصود
وأجله فكذا هنا يحمل معنى الآية على الاستعداد للقتال في الحرب وجهاد العدو بجمع
ما يمكن من الآلات كالرمي بالنبل والنشاب والسيوف والدرع وتعليم الفروسية كل ذلك
مأمور به لانه من فروض الكفريات (ومن رباط الخيل) قال أبو حاتم الرباط من الخيل
الجنس فما فوقها وهي الخيل التي ترتبط بازاء العدو قال في الكشاف الرباط اسم الخيل
التي ترتبط في سبيل الله ويجوز أن تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز أن
يكون جمع رباط كفضيل وفضال اه والرباط ما ترتبط به القربة وغيرها والجمع رباط مثل
كتاب وكتب ويقال للمصاب رباط الله على قلبه بالصبر كما يقال أفرغ الله عليه الصبر أى
ألهمه والرباط الذي ينبي للفقراء مولد يجمع في القياس على رباط بضمين ورباطات
والمرابطة إقامة المسلمين بالشعور بالعبادة فيها ورباط الخيل للجهاد من أعظم ما يستعان به
قال ابن حجر يز كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف واناث الخيل عند
الشتات والغارات وقيل رباط النحول أولى من الاناث لانها أقوى على الكر والفر
والعدو وقيل لفظ الخيل عام يتناول النحول والاناث فأى ذلك رباط بنية الغزاة كان في

سبيل

رجل ظالم يدخل قبره الأجاه رجل قبيح الوجه أسود اللون منتن الريح وعليه ثياب دنسة حتى يدخل معه قبره فإذا رآه قال ما أقبح وجهك قال كذلك كان عملك قبيحا قال ما أتت ربحك قال كذلك كان عملك منتنا قال ما أدنس ثيابك قال لان عملك كان دنسا قال له من أنت قال أنا عملك قال فيكون معي في قبره فاذا بعث يوم القيامة قال له اني كنت أهلك في الدنيا بالذات والشهوات وأنت اليوم تحملي قال فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار فذلك قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم الاسماء ما يرون وقوله وما الحياة الدنيا الا لعب ولهواي انما عالمها ولدار الآخرة خير للذين يتقون (٤٩) أفلا يعقلون (قد نعلم انه ليحزنك الذي

يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يخمدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله واقد جاءك من نبي المرسلين وان كان كبير عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض أو سلبا في السماء فتأتهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يعنهم الله ثم اليه يرجعون) يقول تعالى مسلما النبي صلى الله عليه وسلم في تكذيب قومه له ومخالفتهم اياه قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون أي قد أحطنا علما بتكذيبهم لك وحزنك وقأسفك عليهم كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كما قال تعالى في الآية الاخرى لعالم باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا وقوله فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يخمدون أي لا يتهمونك بالكذب في نفس الامر ولكن الظالمين

سبيل الله ومن فسر القوة بكل ما يتقوى به في الحرب جعل عطف الخيل من عطف الخالص على العام وقد ورد في استجاب الرمي وما فيه من الاجر واستجاب اتخاذ الخيل واعدادها وكثرة ثواب صاحبها أحاديث كثيرة لا يسع المقام بسطها وقد أورد ذلك جماعة من العلماء بمصنفات (ترهبون به عدو الله وعدوكم) الترهيب التخويف والضمير في به راجع الى ما في ما استطعتم أو الى المصدر المتهوم من وأعدوا وهو الاعداد فقوله ترهبون اما حال من فاعل أعدوا ومن منه قوله أي حصلوا لهم هذا حال كونكم مرهبين أو أعدوه مرهبا به وجاز نسبه لكل منهما لان في الجملة ضميرهما والمراد بعدو الله وعدوهم هم المشركون من أهل مكة وغيرهم من مشركي العرب (وأخري من دونهم) معطوف على عدو الله وعدوكم ومعنى من دونهم من غيرهم قيل هم اليهود وقيل فارس والروم وقيل المنافقون وفيه بعد وقيل كفار الجن قاله الحسن ورجحه ابن جرير الطبري وهو أبعد وقيل المراد كل من لا تعرف عداوته قاله السهيلي وقيل هم بنو قريظة خاصة وقيل غير ذلك والاولى الوقف في تعيينهم لقوله (لا تعلمونهم) أي لا تعرفونهم بأعيانهم ومن عينهم قال أي لا تعلمون بواطنهم وما انطوا عليه من النفاق والعلم فيه قولان أحدهما أنه متعدوا واحدا لانه بمعنى المعرفة ولذلك تعدى لواحد والثاني أنه على بابيه متعدى لثنين والثاني محذوف أي لا تعلمونهم فازعين أو محاربين وهذا القولان لا يجوز أن يجربا في قوله (الله يعلمهم) بل يجب أن يقال انه المتعدى الى اثنين وأن ثانيهما محذوف للفرق بين العلم والمعرفة بوجوه منها أن المعرفة تستدعي سبق جهل ومنها أن متعلقها الذوات دون النسب وقد اتفق العلماء على أنه لا يجوز أن يطلق الوصف بالمعرفة على الله تعالى وهذا لا يرد لانه ليس في الآية اطلاق اسم العارف عليه وانما فيها اطلاق اسم العلم وان كان بمعنى العرفان (وما تنفقوا من شيء في سبيل الله) أي في الجهاد وان كان يسيرا حقيقيا وقيل هو أمر عام في كل وجوه الخيرات والطاعات ويدخل فيه نفقة الغزو ودخول أوليا (يوف اليكم) أجره وجزاؤه في الآخرة فالحسنة بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف الى أضعاف كثيرة كما قررناه سابقا ويجعل لكم عوضه في الدنيا (وأنتم لا تعلمون) في شيء من هذه النفقة التي تنفقونها في سبيل الله أي من ثوابها بل يصير ذلك اليكم وافيها وافرأ كاملا وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجر عظيما أي لا أضيع

(٧ - فتح البيان ع) بآيات الله يخمدون أي ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم كما قال سفيان الثوري عن أبي اسحق عن ناجية بن كعب عن علي قال قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم اننا لا نكذبك ولكن تكذب بما جئت به فانزل الله فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يخمدون ورواه الحاكم من طريق اسرايل عن أبي اسحق ثم قال صحیح علی شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن الوزير الواسطي بمكة حدثنا بشر بن المبرور الواسطي عن سلام بن مسكين عن أبي يزيد المدني ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي أبا جهل فصالحه فقال له رجل الأراك تصافح هذا الصابي فقال والله اني لاعلم انه لني ولكن متى كالبني عبد مناف تبعا وتلا أبو يزيد فانهم سم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يخمدون وقال أبو صالح وقتادة يعلمون انك

رسول الله ويحمدون وذكر محمد بن اسحق عن الزهري في قصة أبي جهل حين جاء يستمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم من الليل هو وأوسيان صخر بن حرب والخنس بن شريق ولا يشعر أحد منهم بالآخر فاستمعوها الى الصباح فلما جهجهم الصبح تفرقوا فجمعهم الطريق فقال كل منهم للآخر ما جاء بك فذكر له ما جاء به ثم تعاهدوا أن لا يعودوا والميخافون من علم شيمان قريش بهم لئلا يقتلوا بجيئهم فلما كانت الدلة الثانية جاء كل منهم ظناً أن صاحبه لا يجيئ أن لسابق من العهود فلما أصبحوا جمعهم الطريق فقتلوا ومواثم تعاهدوا وأن لا يعودوا فلما كانت الدلة الثالثة (٥٠) جاؤا أيضاً فلما أصبحوا تعاهدوا وأن لا يعودوا والمثلها ثم تفرقوا فلما أصبح الخنس

عمل عامل منكمم والتعبير عنه بانظلم مع أن الاعمال غير موجبة الثواب حتى يكون تركه ترتيبه عليه اظلم البيان كمال نراهته سبحانه عن ذلك بصوره بصوره ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وبرا الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) أي ان مالوا الى المصالحة فاقبل منهم الصلح وملا الى المصالحة والجنوح الميل يقال جنح الرجل الى الرجل مال اليه ومنه قيل للضالع الجوايح لانها مالت الى الحشوة وجنحت الابل اذا مالت اعناقها في السير ويقال جنح الليل اقبل قال النضر بن شميل جنح الرجل الى فلان ولفلان اذا خضع له والجنوح الاتباع أيضاً تضمنه الميل والجناح من ذلك الميلا لانه الى الطائر والسلم الصلح قرئ بالكسر والفتح وهم اقراءتان سبعينان وقرئ فاجنح بضم النون والفتح والاولى لغة قيس والثانية لغة تميم قال ابن جني ولغة قيس هي القياس والسلم يذ كرويوث كايووث الحرب اذ هي مؤولة بالخصلة أو الفعلة وعن مجاهد قال وان جنحوا يعني قريظة وعن ابن عباس قال السلم الطاعة وقد اختلف أهل العلم هل هذه الآية منسوخة أم محكمة فقيل هي منسوخة بقوله فاقبلوا المشركين قاله ابن عباس وقيل ليست بمنسوخة لان المراد بها قبول الجزية وقد قبلها منهم الصحابة فمن بعدهم فتكون خاصة بأهل الكتاب قاله مجاهد وقيل ان المشركين ان دعوا الى الصلح جاز أن يجابوا اليه وتعدك المانعون من مصالحة المشركين بقوله تعالى ولا تمنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون والله معكم وقيدوا عدم الجواز بما اذا كان المسلمون في عزة وقوة لا اذ لم يكونوا كذلك فانه جائز كما وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم من مهادة قريش وما زالت الخلفاء والصحابة على ذلك وهذا كله مبنى على أن المراد بالصلح هو عقد الجزية أما لو اريد غيره من العقود التي تصيدهم الامن وهي الهدنة والامان فلانسخ مطلقا اذ يصح عقدهما لكل كافر وكلام أهل العلم في هذه المسئلة معروف مقر في موطنه (ولو كل على الله) في جنوحك للسلم ولا تخف من مكرهم وفوض أمرك اليه فيما عقدته معهم ليكون ذلك عوناً لك في جميع أحوالك (انه) سبحانه (هو السميع) لما يقولون (العليم) بما يفعلون (وان يريدوا أن يخدعوك) بالصلح وهم مضطرون الغدر والخدع وجواب الشرط محذوف أي فصالحهم ولا تخش منهم (فان) أي لأن (حسبك الله) أي كافيك بنصره ومعوته ما تخافه من شرورهم بالنسكت والغدر

ابن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته فقال أخبرني يا أباحنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد قال يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها قال الخنس وأنا والذي حلفت به ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد قال ماذا سمعت قال تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى اذا تجاثبنا على الركب وكنا كقرى رهان قالوا من انبي يأتيه الوحي من السماء فتي ندرك هذه والله لا تؤمن به أبدا ولا تصدقه قال فقام عنه الخنس وتركه وروى ابن جرير من طريق أسباط عن السدي في قوله قد نعلم انه ليحزبك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يمجدون لما كان يوم بدر قال الخنس ابن شريق ليسني زهرة يا بني زهرة ان محمد ابن أخنك فانتم أحق من

ذبح عن ابن اخته فانه ان كان نبياً لم تقاؤه اليوم وان كان كاذباً فانتم أحق من كف عن ابن اخته فتوا حتى ألقى وأبا الحكم فان غلب محمد جمع سالمين وان غلب محمد فان قومكم لم يصنعوا بكم شيئاً فيؤمئذ نهي الخنس وكان اسمه أبي قاتق الخنس وأبو جهل خلا الخنس بابي جهل فقال يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس ههنا من قريش غيري وغيرك يستمع كلامنا فقال أبو جهل ويحك والله ان محمد الصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهبت بنوقصي بالوواء والسقاية والحجابه والنبوة فاذا يكون اسأقر قريش فذلك قوله فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يمجدون فآيات الله محمد صلى الله عليه وسلم وقوله ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وادوا حتى أتاهم نصرنا هذه تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم

وتعزية له صلى الله عليه وسلم فيمن كذبه من قومه وأمره بالصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ووعده بالنصر كما نصره وأبى الظفر كما كانت لهم العاقبة بعدما نالهم من التكذيب من قومهم من الأذى البليغ ثم جاءهم النصر في الدنيا كما لهم النصر في الآخرة ولهذا قال ولا تبدل لكلمات الله التي كتبها بالنصرة في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين كما قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقال تعالى كتب الله لأهلنا انورسلى ان الله قوى عزيز وقوله ولقد جاءك من نبي المرسلين أى من خبرهم كيف نصرنا وأيدوا على من كذبهم من قومهم فلك فيهم اسوة (٥١) وبهم قدوة ثم قال تعالى وان كان كبير عليك اعراضهم أى ان كان شق عليك

اعراضهم عنك فان استطعت أن تتبني نفعاً في الأرض أو سلماً في السماء قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس النفق السرب قد ذهب فيه فتأنيبهم بآية أو تجعل لهم سلماً في السماء فتصعد فيه فتأنيبهم بآية أفضل مما تأنيبهم به فافعل وكذا قال قتادة والسدى وغيرهما وقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين كقوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرض أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبر الله انه لا يؤمن الا من سبق له من الله السعادة في الذكر الاول وقوله تعالى انما يسئ تبسبب الذين يسعون أى انما يسئ تبسبب لدعائهم باسمهم من يسمع الكلام ويعيبه ويفهمه كقوله لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافر بن وقوله والموتى يعنهم الله ثم اليه يرجعون يعنى بذلك الكفار لانهم موتى القلوب فشبههم الله بموت الاجساد

ودفع خديبتهم (هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين) تعليية أى لا تتخف من خديعتهم ومكرهم فان الله الذى قال عليهم بالنصر فيما مضى وهو يوم بدر هو الذى سينصر لك ويقويك عليهم عند حدوث الخدع والنكث والمراد بالمؤمنين المهاجرين والانصار فان قلت اذا كان الله قد أيد بنصره فأى حاجة الى نصر المؤمنين حتى يقول وبالمؤمنين قلت التأيد والنصر من الله عز وجل وحده لكنه يكون بأسباب باطنة غير معلومة وبأسباب ظاهرة معلومة فاما الذى يكون بالاسباب الباطنة فهو المراد بقوله هو الذى أيدك بنصره لان أسبابه باطنة وغير وسائل معلومة واما الذى يكون بالاسباب الظاهرة فهو المراد بقوله وبالمؤمنين لان أسبابه ظاهرة بوسائل معلومة وهم المؤمنون والله تعالى هو مسبب الاسباب وهو الذى أقامهم لنصره ثم بين كيف كان تأييده بالمؤمنين فقال (وألف بين قلوبهم) وظاهر العموم وان اتلاف قلوب المؤمنين هو من أسباب النصر التى أيد الله بها رسوله وقال جمهور المفسرين المراد الأوس والخزرج فقد كان بينهم عصبية شديدة وأنفة عظيمة وانطواء على الضغينة من أدنى شئ وحب عظيمة وقتن من منذ ماثة وعشر بن سنة لا يكاد يأتلف منهم قلبان فألف الله بين قلوبهم بالايان برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانقلب تلك الحالة واستجمعت كلمتهم وزالت حمية الجاهلية وأبدلت تلك الضغائن بالمحبة لله وفي الله وانفقوا على الطاعة وصاروا أنصار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأعانوا بايقان لونه وعنه ويحمله وهذا مما لا يقدر عليه الا الله عز وجل وصار ذلك محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ظاهرة باهرة دالة على صدقه وقيل أراد التآليف بين المهاجرين والانصار والجل على العموم أولى فقد كانت العرب قبل البعثة المحمدية يأكل بعضهم بعضاً ولا يحترم ماله ولا دمه حتى جاء الاسلام فصاروا بدا واحدة وذهب ما كان بينهم من العصبية والانفة والحمية الجاهلية (ولو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم) مقرر للمضمون ما قبلها والمعنى أن ما كان بينهم من العصبية والعداوة قد بلغ الى حد لا يمكن دفعه بحال من الاحوال ولو أنفق الطالب له جميع ما فى الأرض لم يتم له طلبه من التآليف لان أمرهم فى ذلك قد تفاقم جدا (ولكن الله ألفت بينهم) بعظيم قدرته وبديع صنعته وفيه دليل على أن القلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء (انه عزيز) لا يغالبه مغالب ولا يستعصى عليه أمر من الامور (حكيم) فى تدبيره وتفوذ أمره

فقال والموتى يعنهم الله ثم اليه يرجعون وهذا من باب التمسك بهم والازراء عليهم (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أن أكثرهم لا يعلمون وامن دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات من يشاء الله يضلله ومن يشاء الله على صراط مستقيم) يقول تعالى محسب اعن المشركين انهم كانوا يقولون لولا نزل عليه آية من ربه أى حارق على مقتضى ما كانوا يريدون ومما يتعنتون كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً الايات قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أن أكثرهم لا يعلمون أى هو تعالى قادر على ذلك

ولكن حكمته تعالى تقضى تأخير ذلك لانه لو ابرزها وفق ما طلبوا ثم يؤمنوا بالعقوبة كما فعل بالامم السالفة كما قال تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون و آتينا نوحا الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا وقال تعالى ان نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين وقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم أمثالكم قال مجاهد أى أصناف مصنفة تعرف باسمائها وقال قتادة الطير أمة والانس أمة والجن أمة وقال السدي الأمم أمثالكم أى خلق أمثالكم وقوله ما فرطنا في الكتاب من شيء (٥٢) أى الجميع علمهم عند الله ولا ينسى واحدا من جميعهم من رزقه وتدبيره سواء كان برياً

أو بحراً كما قوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستورها ومستودعها كل في كتاب مبين أى مفصّل باسمائها وأعدادها ومظانها وحاصر لحركاتها وسكناتها وقال تعالى وكأين من من دابة لا تحسّل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم وقد قال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد المنثي حدثنا عبد بن واقد القيسي أبو عباد حدثني محمد ابن عيسى بن كيسان حدثنا محمد ابن المنهك عن جابر بن عبد الله قال قل الجراد في سنة من سنى عمر رضى الله عنه التى ولى فيها فسأل عنه فلم يخبر بشئ فأعتم لذلك فأرسل راكباً الى كذا وأخر الى الشام وآخر الى العراق يسأل هل رؤى من الجراد شئ أم لا فأتاه راكب الذى من قبل اليمن بقبضة جراد فألقاها بين يديه فلما رآها كبر ثلاثاً ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق الله عز وجل ألف أمة منها ستمائة فى البحر وأربع مائة فى البر وأول شئ يموت من هذه الامم الجراد فاذا اهلكت تتابعت مثل النظام اذا قطع سلكه وقوله ثم الى ربهم

ونبيه وعن ابن مسعود قال ان هذه الآية نزلت فى المتحابين فى الله وهذا يدل على أن التأليف المذكور هو بين المؤمنين الذين أيد الله بهم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفيه رد على الراضة حيث اعتقدوا فى الصحابة ما يخالف تأليف الله تعالى بينهم وأخرج ابن عساکر عن أبى هريرة قال مكتوب على العرش لا اله الا الله أنا الله وحدى لا شريك لى محمد عبدى ورسولى أيدته بعلی وذلك قوله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين والله أعلم (يا أيها النبي حسبك الله) فى كل شئ وعند كل مهم ليس هذا تكبير للماقيله فان الاول مقيد بارادة الخدع وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله فتلك كفاية خاصة وفى هذه كفاية عامة غير مقيدة أى حسبك الله فى كل حال فيما بينك وبين الكفرة من الحراب والواو فى قوله (ومن اتبعك من المؤمنين) يحتمل أن تكون للعطف على الاسم الجليل والعلم الشريف على انه فى محل الرفع والمعنى حسبك الله وحسبك المؤمنون أى كافيك الله وكافيك المؤمنون قال على المهايى فى تفسيره تبصير الرحمن حسبك الله وان لم يكن معك أحد وان نظرت الى السببية حسبك من اتبعك من المؤمنين وان لم يألفهم من لم يتم اتباعهم لك فان لم يتابعك أثار عظيم فى سببية النصر اه وقال أبو السعود والقاضى الجله فى محل النصب على أنه منقول معه أى كفاك وكفى اتباعك الله ناصر ا كقوله اذا كانت الهجاء وان شقت العصا * حسبك والضحك غضب مهند

انتهى واختاره النحاس وقال الفراء انه بقدر نصبه على موضع الكاف واختاره ابن عطية ورده السفاقي بأن اضافته حقيقية لالفظية فلا محل له اللهم الا أن يكون من عطف التوهم وكونه مفعولاً معه ذكره الزجاج وقال أبو حيان انه مخالف لكلام سيديوه فانه جعل زيدياً فى قولهم حسبك وزيد ادرهم منصوباً بفعل مقدر أى وكفى زيد ادرهم وهو من عطف الجمل عنده لا يضربنا وذكره الفراء فى تفسيره وقيل فى محل الجر عطف على الضمير أى اسم الله تعالى أى كافيك وكافى المؤمنين الله لان عطف الظاهر على المضمرة مثل هذه الصورة تمتنع عند البصريين كما تقر فى علم النحو وأجازة الكوفيون وحجة المانعين انه كجزء الكلمة فلا يعطف عليه قال الفراء ليس بكثير فى كلامهم أن تقول حسبك وأخيك بل المستعمل أن تقول حسبك وحسب أخيك بأعادة الجار فلو كان قوله ومن اتبعك مجروراً لقل حسبك الله وحسب من اتبعك وبه قال الشعبي وقال شيخ

الاسلام

يخشرون قال ابن ابي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة

عن ابن عباس فى قوله ثم الى ربهم يخشرون قال حشرها الموت وكذا رواه ابن جرير من طريق اسرائيل عن سعيد ومسروق عن عكرمة عن ابن عباس قال موت البهائم حشرها وكذا رواه العوفي عنه قال ابن ابي حاتم وروى عن مجاهد والضحك مثله والقول الثانى ان حشرها هو بعثها يوم القيامة لقوله واذا الوحوش حشرت وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سليمان عن منذر الثوري عن أشياخ لهم عن أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين ينتطعان فقال يا أبا

ذره ل تدرى فيم ينتطعان قال لا قال لكن الله يدري وسيقضى بينهما ورواه عبد الرزاق عن معمر عن الاعمش عن ذكره عن ابي ذر قال بينا انا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انتطعت عزان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذرون فيم انتطجتا قالوا لا ندري قال لكن الله يدري وسيقضى بينهما ورواه ابن جرير من طريق مسند الثوري عن ابي ذر فذ كرهه وزاد قال ابو ذر ولقد تركا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقرب طارحنا حيه في السماء الا ذكرنا منه علما وقال عبد الله ابن الامام احمد في مسند ابيه - حدثني عباس بن محمد وابو يحيى البزار قالوا - حدثنا حجاج بن نصر حدثنا (٥٣) شعبة عن العوام بن مزاحم عن ابي قيس بن

ثعلبة عن ابي عثمان النهدي عن عثمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجاه لتقص من القرناء يوم القيامة وقال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن جعفر ابن برقان عن يزيد بن الاصم عن ابي هريرة في قوله الا اأم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربه - يحشرون قال يحشرون خلق كلهم يوم القيامة الذواب والبهائم والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله يومئذ ان يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك يقول الكافر باليتي كنت ترابا وقد روى هذا امر فوعا في حديث الصور وقوله والذين كذبوا باياتنا صم وبكم في الظلمات أي مثلهم في جهلهم وقلة علمهم وعدم فهمهم كمثل اصم وهو الذي لا يسمع ا بكم وهو الذي لا يتكلم وهو مع هذا في ظلام لا يصر فكيف يهتدى مثل هذا الى الطريق أو يخرج مما هو فيه كقوله مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يصرن صم بكم عني فهم لا يرجعون وكما قالوا وظلمات في

الاسلام احمد بن تيمية رضي الله عنه أي وحده حسبك وحسب المؤمنين الذين اتبعوك ومن قال ان المعنى ان الله والمؤمنين حسبك فقد ضل بل قوله من جنس الكفر فان الله وحده هو حسب كل عبد مؤمن والحسب الكافي كما قال تعالى اليس الله بكاف عبده وقال تعالى وقالوا احسبنا الله ولم يقل ورسوله وقالوا انا الى الله راغبون ولم يقل هنا والى رسوله اه وضعف في الهدى النبوي رفعه عطفنا على اسم الله وقال انما هو عطف على الكاف فان المعنى عليه قال الخفاجي ولا وجه له فان الفراء والكسائي رجحاه وما قبله وما بعده يؤيده اه قلت وليس كما ينبغي فتأمل وقيل يجوز ان يكون التقدير ومن اتبعك من المؤمنين حسبهم الله خذف الخبر وعبارة البغوى في المعالم اختلفوا في محل من فقال أكثر المفسرين محله خنفس عطفنا على الكاف في قوله حسبك معناه حسبك الله وحسب من اتبعك اه قال الزهري نزلت في الانصار وقيل في جميع المهاجرين والانصار وقال سعيد بن جبيرة لما أسلم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر نزلت هذه الآية وعن ابن عباس نحوه قال الشيخ معين الدين في جامع البيان اعترض عليه بأن النزال كلها مدنية واسلام عمر قبل الهجرة فلا يصح هذا اه لكن قال الخازن وسليمان الجلي ان هذه الآية مكية كتبت في سورة مدنية بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال (يا أيها النبي حرص المؤمنين على القتال) أي حثهم وحضهم والتحرير في اللغة المبالغة في الخت على الشيء بكثرة الترعيب وتسهيل الخطب فيه كأنه في الاصل ازالة الحرص وهو الهلاك وهو كالتخصيض مأخوذ من الحرص وهو أن ينهك المرض ويتبالغ فيه حتى يشقى على الموت كأنه ينسبه الى الهلاك لو تخلف عن المأمور به ثم بشرهم بتبئنا لقلوبهم وتسكيننا لخواطرهم بأن الصابر ينمنهم في القتال يغلبون عشرة أمثالهم من الكفار فقال (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) أي فيهم قوة وشجاعة للمقاومة مدارها على العدد مع مراعاة المعنى لاعلى العدد وحده كما هو مقرر في الفروع وفي البحر انظر الى فصاحة هذا الكلام حيث أثبت في الشرطية الاولى قيد الصبر وحذف نظيره من الثانية وأثبت في الثانية قيد كونهم من الكفرة وحذف من الاولى وهو غاية الفصاحة وقال الخفاجي ولما كان الصبر شديداً المطلوبية أثبت في جلتى التخفيف وحذف من

بحر حتى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه صحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فجعله من نور ولهذا قال من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم أي هو المتصرف في خلقه بما يشاء (قل أرايتكم ان اتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما كنتم ترون ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فآخذناهم بالأسساء والضراء لعلمهم بتضرعون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وازين لهم الشيطان ما كانوا يعقلون فلما نسوا ما ذكروا به فتنوا عليهم أبواب كل شيء اذا

قرحوا بما أولوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) يخبر تعالى أنه الفاعل لما يريد المتصرف في خلقه بما يشاء وأنه لا معقب لحكمه ولا يقدر أحد على صرف حكمه عن خلقه بل هو وحده لا شريك له الذي إذا سئل يجيب لمن يشاء ولهذا قال قل أرأيتم أن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أي أتاكم هذا أو وهذا غير الله تدعون ان كنتم صادقين أي لا تدعون غير علمكم أنه لا يقدر أحد على دفع ذلك سواء ولهذا قال ان كنتم صادقين أي في اتخاذكم آلهة معه بل آياه تدعون فيكشف ما تدعون (٥٤) إليه ان شاء وتسنون ما تشركون أي في وقت الضرورة لا تدعون أحدا

سواء وتذهب عنكم أصنامكم وأن دادكم كقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الاياه الآية وقوله ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالسوء يعني الفقر والضيق في العيشة والضراء وهي الامراض والاسقام والا لام عليهم يتضرعون أي يدعون الله ويتضرعون اليه ويخشعون قال الله تعالى فولوا اذا جاءهم بأسنا تضرعوا أي فهلا اذا ابتليناهم بذلك تضرعوا لنا ونسئلكم العون لنا ولكن قست قلوبهم أي ما رقت ولا خشعت وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون أي من الشرك والمعاندة والمعاصي فلما نسوا ما ذكروا به أي أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم فتحنا عليهم أبواب كل شيء أي فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون وهذا استدراج منه تعالى واملأه لهم عياداً بالله من مكره ولهذا قال حتى اذا فرحوا بما أتوا أي من الاموال والاولاد والارزاق أخذناهم بغتة أي على غفلة فاذا هم مبلسون أي آيسون من كل خير

الثانية دلالة السابقة عليه ثم ختمت بقوله والله مع الصابرين مبالغة في شدة المطوية ولم يأت في جلتي التخفيف بقيد الكفرا كقفا بما قبله قلت هذا نوع من البديع يسمى الاحتمال وبقي عليه أنه ذكر في التخفيف باذن الله وهو قيد لهما وقوله والله مع الصابرين إشارة الى تأييدهم وأنهم منصورون حتملان من كان الله معه لا يغلب وبقي فيها لطائف فلهذا التزيتل ما أحلى ما فصاحتها وانضروا نطق بلاغته ثم زاد هذا ايضا حافيدا لعدم اختصاص هذه البشارة بهذا العدد بل هي جارية في كل عدد فقال (وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) وفي هذا دلالة على أن الجماعة من المؤمنين قليلا كانوا أو كثيرا لا يغلبهم عشرة أمثالهم من الكفار بحال من الاحوال وقد وجد في الخارج ما يخالف ذلك فكمن طائفة من طوائف الكفار يغلبون من هو مثل عشرهم من المسلمين بل مثل نصفهم بل مثلهم وأجيب عن ذلك بأن وجود هذا في الخارج لا يخالف ما في الآية لاحتمال أن لا تكون الطائفة من المؤمنين متصفة بصفة الصبر عند اللقاء وقيل ان هذا الخبر الواقع في الآية هو في معنى الامر كقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن والمطلقات يتربصن فالؤمنون كانوا أمورين من جهة الله سبحانه بأن ثبت الجماعة منهم لعشرة أمثالهم وفي الخطيب حاصل هذه العبارة المطولة أن الواحد ثبت للعشرة في الفائدة في العدول الى تلك أجيب بأن هذا ايماء ورد على وفق الواقعة فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعث السرايا والغالب أن تلك السرايا ما كان ينقص عددها عن العشرين وما كانت تزيد على المائة فلهذا المعنى ذكر الله هذين العديدين (بأنهم قوم لا يفقهون) أي ان هذا الغلب بسبب جهلهم بالله وباليوم الآخر وعدم فقههم وأنهم يقاتلون على غير بصيرة ولا يقاتلون احتسابا وامثال الامر الله تعالى واعلاء لكرمه وبتغافل رضوانه كما يفعله المؤمنون وانما يقاتلون للعمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان واثارة نائرة البغي والعدوان ومن كان هكذا فهو مغلوب في الغالب ثم لما شق ذلك عليهم واستعظموه خفف عنهم ورخص لهم لما علمه سبحانه من وجود الضعف فيهم فقال (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) عن قتال عشرة أمثالكم قرى بضم الضاد وقتحها (فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) منهم (وان يكن منكم

قال الواجب عن ابن عباس المبلس الأيس قال الحسن البصري من وسع الله عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأى له ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر له فلا رأى له ثم قرأ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أولوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون الآية قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة اعطوا حاجتهم ثم أخذوا رواه ابن أبي حاتم وقال قتادة بغت القوم أمر الله وما أخذ الله قوما قط الا عند سكرتهم وعرتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله فانه لا يغتر بالله الا القوم الفاسقون رواه ابن أبي حاتم أيضا وقال مالك عن الزهري فتحنا عليهم أبواب كل شيء قال رخاء الدنيا وسترها وقد قال الامام أحمد حدثنا يحيى

ابن غيلان حدثنا رشد بن يعلى بن سعد أبو الحجاج المهدي عن حرملة بن عمران التميمي بن عقبة عن مسلم عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله يعطى العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما آتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث حرملة وابن الهيثم عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا عمار بن خالد بن يزيد حدثني أبي عن ابراهيم بن

(٥٥)

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا اراد الله بقوم اقتطعا فتح لهم او فتح عليهم باب خيانه حتى اذا فرحوا بما آتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون كما قال فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ورواه أحمد وغيره (قل أرايتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من آله غير الله يأتكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون قل أريتم ان آتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا هم العذاب بما كانوا يفسقون) يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المكذبين المعاندين أرايتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم اى سلبكم اياهما اى كما عطا كوها كما قال تعالى قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار الآية ويحتمل لعلهم لا يصدقون ذلك احد سواها وهذا انظر كيف نصرف الآيات اى نبيهم او نوصيها ونفسرها قاله لاله الا الله وان ما يعبدون من دونه باطل وضلال ثم هم يصدفون أى ثم هم مع هذا البيان يصدفون أى يعرضون عن الحق ويصدفون الناس عن اتباعه قال العوفي عن ابن عباس يصدفون أى يعدلون وقال مجاهد وقتادة يعرضون وقال السدي يصدفون وقوله تعالى قل أرايتم ان

منكم ألف يغلبوا ألفين) فأوجب على الواحد ان يثبت لاثنتين من الكفار قال سفيان وابن شبرمة وأرى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا ان كانا رجلين أمرهما وان كانوا ثلاثة فهو في سعة من تركهم وقد قيل في نكتة التنصيص على غالب المائة للمائتين والالف للالفين انه بشارة للمسلمين بأن عساكر الاسلام سيجاوز عدددها العشرات والمات الى الالف ثم أخبرهم بأن هذا الغلب هو (بإذن الله) وتسهيلا وتيسيره واراذه لا بقوتهم وجلاذتهم ثم بشرهم بأنه مع الصابرين فقال (والله مع الصابرين) بعونه وفيه الترغيب الى الصبر والتأكيد عليهم بلزومه والتوصية به وأنه من أعظم أسباب النجاح والفلاح والنصر والظفر لان من كان الله معه لم يستقم لاحد ان يغلبه وعن النصر اباذى ان هذا التخفيف كان للامة دون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذى يقول بك أصول و بك اجول ومن كان كذا لا يثقل عليه شيء حتى يخفف وقد اختلف أهل العلم هل هذا التخفيف نسخ أم لا ولا يتعلق بذلك كثير فائدة (ما كان) أى ما صح وما استقام (لنبي أن يكون له أسرى حتى يتخفن في الارض) هذا حكم آخر من أحكام الجهاد والاسرى جمع أسير مثل قتلى وقبيل وجرى وجرى ويقال في جمع أسير أسارى وهو مأخوذ من الاسر وهو القتل لانهم كانوا يشدون به الاسير فسمى كل أخيدوان لم يشد بالقتل أسيرا وقال أبو عمرو بن العلاء الاسرى هم غير الموثقين عندما يؤخذون والاسارى هم الموثقون ربطا والاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه تقول العرب اثخن فلان في هذا الامر أى بالغ فيه فالمعنى ما كان لنبي أن يكون له اسرى حتى يبالغ في قتل الكافرين ويستكثر من ذلك وقيل معنى الاثخان التمكن وقيل هو القوة وقيل الثخانة هي الغلظة والصلابة فاستعمل هنا في لازم المعنى الاصلى وهو القوة اللازمة وأثخن في الارض اثخانا سارا الى العدو وأوسعهم قتلا وأثخنه أو هنته بالجراحة وأضعفته وعن ابن عباس حتى يتخفن حتى يظهر على الارض وعن مجاهد قال الاثخان هو القتل أخبر الله سبحانه ان قتل المشركين يوم بدر كان أولى من أسرهم وفدائهم ثم لما كثر المسلمون رخص الله في ذلك فقال فاما من ابعدوا ما فداء كما بأتى في سورة القتال قال الرازى ان هذا الكلام يوهم ان قوله فاما من ابعدوا ما فداء يزيل حكم الآية التى تخن في تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلنا الآيتين متوافقتان وكلناهما تدلان على انه لا بد من تقديم الاثخان ثم بعده أخذ

أن يكون هذا عبارة عن منع الانتفاع بهما النفع الشرعى ولهذا قال وختم على قلوبكم كما قال آمن يملك السمع والابصار كقولهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وقوله من آله غير الله يأتكم به اى هل أحد غير الله يقدر على رد ذلك اليكم اذا سلبه الله منكم لا يقدر على ذلك أحد سواها وهذا انظر كيف نصرف الآيات اى نبيهم او نوصيها ونفسرها قاله لاله الا الله وان ما يعبدون من دونه باطل وضلال ثم هم يصدفون أى ثم هم مع هذا البيان يصدفون أى يعرضون عن الحق ويصدفون الناس عن اتباعه قال العوفي عن ابن عباس يصدفون أى يعدلون وقال مجاهد وقتادة يعرضون وقال السدي يصدفون وقوله تعالى قل أرايتم ان

أما كمداب الله بعتة أو جهرة أي وأنتم لا تشعرون به حتى بغتكم وبعاً كم أو جهرة أي ظاهر أعيان أهل بيتك إلا القوم الظالمون أي
 إنما كان يحبط بالظالمين أنفسهم بالشرك بالله ويخو الذين كانوا يعبدون الله وحده لا شريك له فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
 كقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم الآية وقوله وما ترسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين أي مبشرين بعباد الله
 المؤمنين بالخيرات ومنذرين من كفر بالله النقمات والعقوبات ولهذا قال فمن آمن وأصلح أي فمن آمن قلبه بما جاءه وأصلح عمله
 بأساعه أي بهم فلا خوف عليهم أي بالنسبة (٥٦) لما يستقبلونه ولا هم يحزنون أي بالنسبة إلى ما فاتهم وتركوه ورأوا ظهورهم من

الفداء انتهى وقال غيره لا تطهر دعوى النسخ من أصلها إذا انتهى الضمى كما هنا مقيد
 ومغيباً بالانحياز أي كثرة القتال اللازمة لها قوة الإسلام وعزته وما في سورة القتال من
 التحيير محله بعد ظهور شركه الإسلام بكثرة القتال فلا تعارض بين الآيتين إذا ما هناك
 بيان للغاية التي هنا (تريدون عرض الدنيا) الخطاب لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
 والمراد بعرض الدنيا نفعها ومتاعها بما قبضوا من الفداء وسمى عرضاً لأنه سريع الزوال
 كما تزول الأعراض التي هي مقابلة الجواهر قال قتادة أراد أصحاب محمد صلى الله عليه
 وسلم يوم بدر الفداء ففادوهم باربعة آلاف درهم وقيل كان الفداء لكل أسير أربعين أوقية
 والأوقية أربعون درهماً فيكون مجموع ذلك ألفاً وستمائة درهم وعن عكرمة قال عرض
 الدنيا الخراج (والله يريد) لكم الدار (الآخرة) بما يحصل لكم من الثواب في
 الانحياز بالقتل والمراد بالارادة هنا الرضاء وعبر بها للمشاكفة فلا يرذآن الآية تدل على
 عدم وقوع امراد الله وهو خلاف مذهب أهل السنة قاله الشهاب (والله عزيز)
 لا يغالب (حكيم) في أفعاله وقد استدل به هذه الآية من يقدر في عصمة الانبياء
 واشتغل المفسرون برده وجوابه وما قبل فائدة ذلك (لولا كتاب) أي حكم مكتوب
 ومثبت في اللوح المحفوظ (من الله سبق) اختلف المفسرون في هذا الكتاب الذي سبق
 ما هو على أقوال الأول انه ما سبق في علم الله من انه سيحصل لهذه الامة الغنائم والأسرى
 بعد أن كانت محرمة على سائر الأمم والثاني انه مغفرة الله لاهل بدر ما تقدم من ذنوبهم
 وما تأخر كما في الحديث الصحيح ان الله اطلع على أهل بدر فقال اعلموا ما شئتم فقد غفرت
 لكم القول الثالث هو انه لا يعذبهم رسول الله فيهم كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم
 وأنت فيهم القول الرابع انه لا يعذب أحد اذ ذنب فعله جاهلاً لكونه ذنباً القول الخامس
 انه ما قضاه الله من محو الصغائر باحسان الجائر القول السادس انه لا يعذب أحد الا
 بعد ما كيداً لحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهى عن ذلك وذهب ابن جرير الطبري الى أن
 هذه المعاني كلها داخل تحت اللفظ وانه يعمها (لمسكم) أي لخل بكم (فيما) أي لاجل
 ما (أخذتم) من الفداء (عذاب عظيم) وهذا اعتبار له صلى الله عليه وسلم على ترك
 الأولى إذ كان الأولى له تدارك كثرة القتل فيهم لا الفداء وليس عثماناً على فعل محرم تنزيهاً

أمر الدنيا وضيقها الله عليهم فيما
 خلقوه وحافظهم فيما تركوه ثم قال
 والذين كذبوا بآياتنا يسهم العذاب
 بما كانوا يفسقون أي ينالهم
 العذاب بما كفروا بما جاء به
 الرسل وخرجوا عن أوامر الله
 وطاعته وارتكبوا محارمه
 ومناهيه واتهك حرمانه (قل)
 لا أقول لكم عندى خزائن الله
 ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى
 ملك ان أتبع الامايوحى الى قل هل
 يستوى الاعمى والبصير أفلا
 تتفكرون وأندره الذين يخافون
 ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من
 دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون
 ولا تظرد الدين يدعون ربهم بالغداة
 والعشي يريدون وجهه ما عديت
 من حسابهم من شئ وما من حسابك
 عليهم من شئ فعتظدهم فتكون
 من الظالمين وكذلك فتسابعضهم
 ببعض ليقولوا هؤلاء من الله عليهم
 من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين
 وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا
 فقل سلام عليكم كتب ربكم على
 نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً
 بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه

غفور رحيم يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل لا أقول لكم عندى خزائن الله اى لست املكها ولا التصرف فيها لمنصب
 ولا أعلم الغيب أى ولا أقول انى أعلم الغيب اى ما غاب من علم الله عز وجل انما ذلك من علم الله عز وجل لا أطلع منه الا على ما أطلعنى
 عليه ولا أقول لكم انى ملك اى ولا ادعى انى ملك انما أنا مبشر من البشر ان أتبع الامايوحى الى من الله عز وجل شرفى بذلك وأنعم على به
 ولهذا قال ان أتبع الامايوحى الى اى لست أخرج عنه قيد شير ولا أدنى منه قل هل يستوى الاعمى والبصير اى هل يستوى من أتبع
 الحق وهدى اليه ومن ضل عنه فلم ينقله أفلا تتفكرون وهذه كقوله تعالى أفمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو أنعمى انما يتذكر

أولوا الالباب وقوله وانذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع أى وانذر بالقرآن يا محمد الذين هم من خشية ربهم مشفقون الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم أى يوم القيامة ليس لهم أى يومئذ من دونه ولي ولا شفيع أى لا قريب لهم ولا شفيع فيهم من عذابه ان اراده بهم لعلمهم يتقون أى انذرهم هذا اليوم الذى لاحاكم فيه الا الله عز وجل لعلمهم يتقون فيعملون فى هذه الدار عملا ينجم الله به يوم القيامة من عذابه ويناعف لهم به الجزيل من ثوابه وقوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي (٥٧) يريدون وجهه أى لا تبعده هؤلاء المتصفين

بهذه الصفات عنك بل اجعلهم جلساءك واخصاءك كقوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطاً وقوله يدعون ربهم أى يعبدونه ويسألونه بالغداة والعشي قال سعيد بن المسيب ومجاهد والحسن وقتادة المراد به الصلاة المكتوبة وهذا كقوله وقال ربكم ادعوني استجب لكم أى أتقبل منكم وقوله يريدون وجهه أى يريدون بذلك العمل وجه الله الكريم وهم مخلصون فيما هم فيه من العبادات والطاعات وقوله ما عليكم من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ كقول نوح لك واتبعك الارذلون وما على بما كانوا يعملون ان حسابهم الاعلى ربى لو تشعرون أى انما حسابهم على الله عز وجل وليس على من حسابهم من شئ كما انه ليس عليهم من حسابى من شئ وقوله فتطردهم فتكون من الظالمين أى

لمنصب النبوة عن ذلك وقد أخرج أحمد عن أنس قال استشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس فى الاسارى يوم بدر فقال ان الله قد أمكنكم منهم فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم عاد فقال مثل ذلك فقام أبو بكر الصديق فقال نرى ان تغفوعنهم وان تقبل منهم الفداء فغفاعنهم وقبل منهم الفداء فنزل الله لولا كتاب من الله سبق الآية وفى الباب روايات كثيرة بطرق عديدة بالفاظ مختلفة وفى بعضها عند أحمد والترمذى وحسنه عن ابن مسعود فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة مثلك يا أبابكر مثل ابراهيم عليه السلام قال من تعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا أبابكر مثل عيسى عليه السلام اذ قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح عليه السلام اذ قال رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً ومثلك يا عمر مثل موسى عليه السلام اذ قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم الحديث روى انهم أمسكوا عن الغنائم فنزل (فكلوا) فالفاء لترتيب ما بعدها على سبب محذوف أى قد أبحث لكم الغنائم فكلوا (مما غنمتم) أو والمعنى اتركوا الفداء فكلوا مما غنمتم من غيره وقيل ان ما عبارة عن الفداء أى كلوا من الفداء الذى غنمتم فانه من جملة الغنائم التى أحلها الله لكم أكلا ويأباه سياق النظم الكريم وسباقه (حلالا طيبا) أى أكلا حلالاً وأو النصب على الحال عن أى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم أحل الله لنا وذلك بأن رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا أخرجه البخارى ومسلم (واتقوا الله) فيما يستقبل فلا تقدموا على شئ لم يأذن الله لكم به (ان الله غفور) لما فرط منكم (رحيم) بكم فلذلك رخص لكم فى اخذ الفداء فى مستقبل الزمان (يا أيها النبي) خاطب الله النبي صلى الله عليه وسلم بهذا (قل لمن) أى لهؤلاء الذين (فى أيديكم من الاسرى) أسرتموهم يوم بدر وأخذتم منهم الفداء (ان يعلم الله فى قلوبكم خيراً) من حسن ايمان وصلاحية وخلوص طوية (يؤتكم خيراً مما أخذ منكم) من الفداء أى يعوضكم

(٨ - فتح البيان ح) ان فعلت هذا والحالة هذه قال الامام أحمد حدثنا اسباط هو ابن محمد حدثنى أشعث عن كردوس عن ابن مسعود قال مر الملائمة قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار فقالوا يا محمد أرضيت بهم ولا فتزل عليه القران وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم الى قوله أليس الله باعلم بالشاكرين ورواه ابن جرير من طريق أشعث عن كردوس عن ابن مسعود قال مر الملائمة قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب وغيرهم من ضعفاء المسلمين وفيه فقالوا يا محمد أرضيت بهم ولا من قومك أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا ونحن نصير تبعاً

لهؤلاء اطردهم فلعلمك ان طردتهم تبعك فنزلت هذه الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وكذلك
 قتنا بعضهم ببعض الى آخر الآية وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد بن يحيى حدثنا سعيد القطان حدثنا عمرو بن محمد العنقري
 حدثنا اسباط بن نصر عن السدي عن ابي سعيد الازدي وكان قارئ الازد عن ابي الكنود عن خباب في قول الله عز وجل
 ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال جاء الاقرع بن حابس التيمي وعيينة بن حصن الزناري فوجدوا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مع صهيب وبلال (٥٨) وعمار وخباب قاعد في ناس من الضعفاء من المؤمنين فلما

في هذه الدنيا رزقا خيرا امنه وانفع لكم اوفي الاخرة بما يكتبه لكم من المثوبة بالاعمال
 الصالحة (ويغفر لكم) ذنوبكم (والله غفور رحيم) شأنه المغفرة لعباده والرحمة
 بهم وقد اخرج الخاكم وصححه والبيهقي في سننه عن عائشة قالت لما بعثت اهل مكة في فداء
 اسراهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء ابي العاص وبعثت فيه
 بقلادة فلما راها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رقيقة شديدة وقال ان رأيتم أن تطلقوا
 لها اسيرها وقال العباس اني كنت مسلمانا رسول الله قال الله أعلم باسئامك فان يكن
 كما تقول فالله يجزيك فاقد نفسك وابي اخويك نوفل بن الحرث وعقبه ل بن ابي طالب
 وحليفك عتبة بن عمرو فقدى نفسه وابي اخويه وحليفه ونزلت قل لمن في ايديكم من
 الاسرى الآية الحديث مختصر والزوايات في هذا الباب كثيرة قال العباس فابدى الله
 خيرا مما أخذ مني عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير اذناهم يضرب بعشرين
 ألف درهم مكان عشرين اوقية واعطاني زعمروا نأنا تطر المغفرة ولما ذكر ما ذكره من
 العوض لمن علم في قلبه خيرا ذكر من هو على ضد ذلك منهم فقال (وان يريدوا خيانتك)
 بما قالوا ذلك بالسنتهم من أنهم قد آمنوا بك وصدقوك ولم يكن ذلك منهم عن عزيمة صحيحة
 ونية خالصة بل هو مما كرهه محمد عذبة فليس ذلك يستبعد منهم فانهم قد فعلوا ما هو اعظم
 منه (فقد خانوا الله من قبل) أي من قبل أن ينظروهم فكفروا به وقاتلوا رسوله (فأمكن
 منهم) بأن نصرته عليهم في يوم بدر فقتلت منهم من قتلت وأسرت من أسرت (والله اعلم)
 بما في ضمائرهم (حكيم) في أفعاله بهم (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم
 وأنفسهم في سبيل الله) حتم الله سبحانه هذه السورة بذكر الموالاة ليعلم كل فريق وليمه
 الذي يستعين به وسمى سبحانه المهاجرين الى المدينة بهذا الاسم لانهم هجروا وأوطانهم
 وفارقوا طلب المأنة عند الله واجابه لدا عيه وسبقوا للهجرة بأن هاجروا قبل العام السادس
 عام الحديبية بدليل قوله فيما يأتي والذين آمنوا من بعد بأن هاجروا بعد عام الحديبية
 وقبل الفتح (والذين آووا) هم الانصار آووا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه
 من المهاجرين وأسكنوهم منازلهم وبنوا لهم أموالهم وآثروهم على أنفسهم ولو كان
 بهم خصاصة (ونصروا) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاشارة بقوله (أولئك) الى
 الموصل الاول والاخر وخبره الجملة المذكورة بعده (بعضهم أولياء بعض) في النصرة

وأوهم حول النبي صلى الله عليه وسلم حقر وهم في نفر من أصحابه فأتوه
 فلو ابوه وقالوا انازيدان يجعل لنا
 منك مجلسا تعرف لنا به العرب
 فضلنا فان وفود العرب تأتيك
 فتسبحي أن ترانا العرب مع هذه
 الاعبد فاذا نحن جئناك فأقهم عنا
 فاذا نحن فرغنا فأعد معهم ان
 شئت قال نعم قالوا اكتب لنا عليك
 كتابا قال فدعا بصحيفة ودعا عليا
 ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل
 جبريل فقال ولا تطرد الذين يدعون
 ربهم الآية فمرى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بالصحيفة ثم دعا فأتياه
 ورواه ابن جرير من حديث اسباط
 به وهذا حديث غريب فان هذه
 الآية مكية والاقرع بن حابس
 وعيينة انما أسلما بعد الهجرة بدهر
 وقال سفيان الثوري عن المقدم
 ابن شريح عن ابيه قال قال سعد
 نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب
 النبي صلى الله عليه وسلم منهم ابن
 مسعود قال كان سبق الى الرسول الله
 صلى الله عليه وسلم وندون منه ونسمع
 منه فقالت قريش تدني هؤلاء دوننا
 فنزلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم

بالغداة والعشي رواه الخاكم في مستدرکه من طريق سفيان وقال على شرط
 الشيخين وأخرجه ابن حبان في صحيحه من طريق المقدم بن شريح وقوله كذلك قتنا بعضهم ببعض أي ابتلينا واختبرنا وامتنحنا
 بعضهم ببعض ليقولوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غالب من اتبعه في أول
 بعثته ضعفاء الناس من الرجال والنساء والعبيد والاماء ولم يتبعه من الاشراف الا قليل كما قال قوم نوح لنوح وما نراك اتبعك
 الا الذين هم أراد لنا بدى الرأي الآية وكما سأل هرقل ملك الروم ابا سفيان حين سأله عن تلك المسائل فقال له فأشرف الناس

والمعونة

يتبعونه أم ضعفوا وهم فقال بل ضعفنا وهم فقال هم اتباع الرسل والفرض أن مشركي قريش كانوا يسخرون من آمن من ضعفناهم
ويعذبون من يقدرون عليه منهم وكانوا يقولون أهولاً من الله عليهم من بيننا أي ما كان الله ليهدي هؤلاء إلى الخير لو كان ما صاروا
إليه خيراً ويدعنا كقولهم لو كان خيراً ما سبقتونا إليه وكقوله تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي
القرينين خيراً مما و أحسن نبياً قال الله تعالى في جواب ذلك وكم أهلكنا قبلكم من قرنهم أحسن أنما نورا ويا وقال في جوابهم حين
قالوا أهولاً من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين أي أليس هو أعلم (٥٩) بالشاكرين له بأقوالهم وأفعالهم وضمائرهم

فيوقفهم ويهدبهم سبيل السلام
ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه
ويهدبهم إلى صراط مستقيم كما قال
تعالى والذين جاهدوا فإنا لنهديهم
سبيلنا وإن الله لمع المحسنين وفي
الحديث الصحيح إن الله لا ينظر إلى
صوركم ولا إلى ألوانكم ولكن ينظر
إلى قلوبكم وأعمالكم وقال ابن جرير
حدثنا القاسم حدثنا الحسين عن
حجاج عن ابن جريح عن عكرمة في
قوله وأندربه الذين يخافون أن
يحشرهم إلى ربهم الآية قال جاء
عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة
ومطعم بن عدى والحارث بن نوفل
وقرظة بن عمرو بن نوفل في أشرف
من بني عبد مناف من أهل الكفر
إلى أبي طالب فقالوا له لو أن ابن
أخيك محمداً يرد عنا موالينا وحلفاءنا
فإنما هم عبيدنا وعتقاؤنا كان
أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا
وأدنى لا تسعنا إياه وتصديقنا له
قال فأتى أبو طالب النبي صلى الله
عليه وسلم فحدثه بذلك فقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه لو فعلت
ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون وإلى
ما يصيرون من قولهم فأنزل الله عز
وجل هذه الآية وأندربه الذين يخافون أن يحشرهم إلى ربهم قال وكانوا بلا ولا وعمار بن
ياسر وسالم مولى أبي حذيفة وصيحا مولى أسيد ومن الحلفاء ابن مسعود والمقداد بن عمرو والمسعود بن العارى وواقد بن عبد الله
الخطلي وعمرو بن عبد عمرو وذو الشمالين ويزيد بن أبي يزيد بن غني حليف حمزة بن عبد المطلب وأشباهاهم من الحلفاء ونزلت
في أئمة الكفر من قريش والموالي والحلفاء وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهولاً من الله عليهم من بيننا الآية فلما نزلت أقبل
بمهر رضي الله عنه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذر من مقالته فأنزل الله عز وجل وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا الآية

والعونة وقيل في الميراث وقد كانوا يتوارثون بالهجرة والنصرة ثم نسخ ذلك بقوله سبحانه
وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض (والذين آمنوا ولم يهاجروا) من مكة بل أقاموا بها
(مالكم من ولايتهم) بفتح الواو وكسر هاء أي من نصرتهم وعاذتهم أو من ميراثهم (من
شيء) ولو كانوا من قرابتكم لعدم وقوع الهجرة منهم فلا ارت بينكم وبينهم (حتى
يهاجروا) إلى المدينة فيكون لهم ما كان للطائفة الأولى الجامعين بين الإيمان والهجرة
(وإن استنصروكم في الدين) أي هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا إذا طلبوا منكم النصرة
لهم على المشركين (فعلينكم) أي فواجب عليكم (النصر) قال الزجاج ويجوز النصر
بالنصب على الأجراء أثبت للقسامين الأولين النصرة والأول وثني عن هذا القسم الأثر
وأثبت له النصرة (إلا) أن يستنصروكم (على قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد فلا
تنصروهم عليهم ولا تنقضوا العهد الذي بينكم وبين أولئك القوم حتى تنقضي مدته
وهي عشرين سنين (والله بما تعملون بصير) تحذير عن تعدي حد الشرع الشريف
(والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) أي بعضهم ينصر بعضهم بغيره في أمورهم أو يرثه إذا
مات وفيه تعريف للمسلمين بأنهم لا ينصرون الكفار ولا يتولونهم وهذا بمفهومه مفيد
لنفي الموازية والموازرة بينهم وبين المسلمين وإيجاب المبادعة والمصارمة وان كانوا أقرب
(الاتقوا) الضمير يرجع إلى ما أمر وأبه قبل هذا من موالاته المؤمنين ومناصرتهم على
التفصيل المذكور وترك موالاته الكافرين (تكن) أي تقع (قننة في الأرض) إن لم
تفعلوا ذلك وهي قوة الكفار (وفساد كبير) أي مفسدة كبيرة في الدين والدنيا وهو ضعف
المسلمين ثم بين سبحانه حكماً آخر يتعلق بالمؤمنين المهاجرين الجاهدين في سبيل الله
والمؤمنين الذين آووا من هاجر إليهم ونصروهم وهم الانصار فقال (والذين آمنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) أي صدقاً من غير
ريب دون من آمن وسكن دار الشرك وفي الحديث المتفق على صحته بل المتواتر المرع
من أحب ونصب حقا على المصدر المؤكد أو تقديره إيماناً حقا قاله في جامع البيان
وقال أبو السعود كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم بالقدح المعلى من الإيمان
مع الوعد الكريم اه والحاصل أنهم هم الكاملون في الإيمان لأنهم حققوه بتحصيل
مقتضياتها من هجرة الوطن ومفارقة الأهل والسكن والانسلاخ من المال والدنيا لأجل

وجعل هذه الآية وأندربه الذين يخافون أن يحشرهم إلى ربهم قال وكانوا بلا ولا وعمار بن
ياسر وسالم مولى أبي حذيفة وصيحا مولى أسيد ومن الحلفاء ابن مسعود والمقداد بن عمرو والمسعود بن العارى وواقد بن عبد الله
الخطلي وعمرو بن عبد عمرو وذو الشمالين ويزيد بن أبي يزيد بن غني حليف حمزة بن عبد المطلب وأشباهاهم من الحلفاء ونزلت
في أئمة الكفر من قريش والموالي والحلفاء وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهولاً من الله عليهم من بيننا الآية فلما نزلت أقبل
بمهر رضي الله عنه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذر من مقالته فأنزل الله عز وجل وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا الآية

وقوله واداء جالك الذين يؤمنون بآياتنا قل سلام عليكم أي فآكرمهم برد السلام عليهم وأخبرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم ولهذا قال كتب ربكم على نفسه الرحمة أي أوجبها على نفسه تفضلا منه واحسانا وامتنانا لأنه من عمل منكم سواء بجهالة قال بعض السلف كل من عصي الله فهو جاهل وقال معتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله عمل منكم سواء بجهالة قال الدنيا كلها جهالة ترواه ابن أبي حاتم ثم تاب من بعده وأصلح أي رجع عما كان عليه من المعاصي وأقنع وعزم على أن لا يعود واصلح العمل في المستقبل فإنه غفور رحيم قال الامام أحمد (٦٠) حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله على الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي أخرجاه في الصحيحين وهكذا رواه الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ورواه موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة وكذا رواه اللثمي وغيره عن محمد بن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي بذلك وقد روى ابن مردويه من طريق الحكم بن دبان عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ الله من القضاء بين الخلق أخرج كتابا من تحت العرش ان رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيقبض قبضة أو قبضتين فيخرج من النار خلقا لم يعملوا خيرا مكتوب بين أعينهم عتقا الله وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عاصم ابن سليمان عن أبي عثمان النهدي عن سلمان في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة قال انما نجد في التوراة عطفتين ان الله خلق السموات والارض وخلق مائة رحمة أو جعل مائة رحمة قبل أن يخلق الخلق ثم

الدين والعقبى وليس في هذا تكرير لما قبله فإنه وارد في الثناء على هؤلاء والاول وورد في ايجاب الموالاتة والنصرة ثم أخبر سبحانه أن (لهم) منه (مغفرة) لذنوبهم في الآخرة (و) لهم في الدنيا (رزق كريم) خالص عن الكدر طيب مستلذ لا تبعه له ولا منه فيه ثم ألحق بهم في الامر من سميح بهم ويسم بسميتهم فقال (والذين آمنوا من بعد وهاجر واوجاهدوا معكم) اختلف في قوله من بعد فقيل من بعد الحديبية وبيعة الرضوان قال القرطبي وذلك أن الهجرة من بعد ذلك كانت أقل رتبة من الهجرة الاولى والهجرة الثانية هي التي وقع فيها الصلح ووضع الحرب وأزارها نحو عامين ثم كان فتح مكة اه وقيل بعد نزول هذه الآية وقيل من بعد غزوة بدر وقال الخازن الاصح أن المراد بهم أهل الهجرة الثانية لأنها بعد الهجرة الاولى لان الهجرة قد انقطعت بعد فتح مكة لأنها صارت دارا لاسلام بعد الفتح (فأولئك منكم) أي مثلكم في استحقاق ما استحققتوه من الموالاتة والمناصرة وكال الايمان والمغفرة والرزق الكريم لكن فيه دليل على أن مرتبة المهاجرين الاولين أشرف وأعظم من مرتبة المهاجرين المتأخرين بالهجرة لان الله تعالى ألحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم معهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا أن الاولين أفضل وأشرف لما صح هذا الاطلاق قال في الجبل ولم ينهوا هنا على حكم التوارث بالهجرة الثانية هل هو ثابت كما في الهجرة الاولى أو غير ثابت لا لخطا طرئة أهل الهجرة الثانية عن رتبة أهل الهجرة الاولى الاماراتية في الخطيب ونصه فأولئك منكم أي من جملتكم أيها المهاجرون والانصار فلهم مالكم وعليهم ما عليكم من الموارث والغنائم وغيرهما (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) بين سبحانه بأن ذوى القربان بعضهم أولى ببعض من غيرهم من لم يكن بينه وبينهم رحم في الميراث فيتناول كل قرابة وقيل المراد بهم هنا العصبان قالوا ومنه قول العرب وصلت رحم فانهم لا يريدون قرابة الام ولا يتخالف أنه ليس في هذا مانع من اطلاقه على غير العصبان وقد استدل بهذه الآية من أثبت ميراث ذوى الارحام وهم من ليس بعصبة ولا ذوى سهم على حسب اصطلاح أهل علم الموارث واليه ذهب أصحاب أبي حنيفة والخلاف في ذلك معروف مقرري مواطنه وقد قيل ان هذه الآية ناسخة للميراث بالموالاتة والنصرة عند من فسر ما تقدم من قوله بعضهم أولياء بعض وما بعد بالتوارث وأما من فسرهابا بالنصرة والمعونة فيجعل هذه

خلق الخلق فوضع بينهم رحمة واحدة وأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة قال فيها يتراجون وبها يتعاطفون الآية

وبها يتبادلون وبها يتزاوون وبها تحن الناقسة وبها تنج البقرة وبها تنغو الشاة وبها تتابع الطير وبها تتابع الحيتان في البحر فإذا كان يوم القيامة جمع الله تلك الرحمة الى ما عنده ورحمته أفضل وأوسع وقد روى هذا من فروع من وجه آخر وسأيت كثير من الاحاديث الموافقة لهذه عند قوله ورحمتي وسعت كل شيء وما يناسب هذه الآية من الاحاديث أيضا قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ ابن جبل أتدرى ما حق الله على العباد أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا ثم قال أتدرى ما حق العباد على الله اذ هم فعلوا ذلك أن

لا يعذبهم وقد رواه الامام أحمد من طريق كميل بن زياد عن أبي هريرة (وكذلك انفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين
قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين قل اني على بينة من ربي
وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو أن عندى ما تستعجلون به لاقضى الامر بيني
وبينكم والله أعلم بالظالمين وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما نسقطن من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات
الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين) يقول تعالى وكينا ما تقدم بيانه (٦١) من الحجج والدلائل على طريق الهداية
والرشاد وذم المجادلة والعناد

كذلك انفصل الآيات التي يحتاج
المخاطبون الى بيانها ولتستبين
سبيل المجرمين أى وتظهر طريق
المجرمين المخالفين للرسل وقرئ
ولتستبين سبيل المجرمين أى
ولتستبين يا محمد وايها مخاطب سبيل
المجرمين وقوله قل اني على بينة من
ربي أى على بصيرة من شريعة الله

التي أوحاها الله الى وكذبتم به أى
بالحق الذي جاءني من الله ما عندي
ما تستعجلون به أى من العذاب أن
الحكم الا لله أى انما يرجع امر
ذلك الى الله ان شاء عجل لكم
ما سألتموه وان شاء أنظركم
وأجلكم لِماله في ذلك من الحكمة
العظيمة ولهذا قال يقص الحق
وهو خير الفاصلين أى وهو خير من
فصل القضايا وخير الفاتحين في
الحكم بين عباده وقوله قل لو أن
عندى ما تستعجلون به لاقضى الامر
بينى وبينكم أى لو كان مرجع ذلك
الى لا وقعت لكم ما تستحقونه من
ذلك والله أعلم بالظالمين فان قيل
فما الجمع بين هذه الآيات وبين ما ثبت
في الصحاحين من طريق ابن وهب عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد فقال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منه يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن
عبد المطلب بن عبد كلال فلم يجبي الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق الا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا
أنا بسحابة قد ظلمتني فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث
اليك ملك الجبال لتأمرهم بما شئت فيهم قال فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك لك وقد بعثني

الآية اخبارا منه سبحانه وتعالى بأن القرابات بعضهم أولى ببعض (في كتاب الله) أى فى
حكم الله وفى اللوح المحفوظ وفى القرآن وهو أن قسمة الموارث مذكورة فى سورة
النساء من كتاب الله وهو القرآن وكذا اعطاء أهل القروض فروضهم وما بقى للعصبات
وبهذا أجاب الشافعي أصحاب أبي حنيفة رجه الله ويدخل فى هذه الاولية الميراث
دخولاً وليا لوجود سببه أعنى القرابة (ان الله بكل شىء عليم) لا يخفى عليه شىء من الاشياء
كأنما كان ومن جملة ذلك ما تضمنته هذه الآيات من التوارث بمقتضى الايمان
والهجرة ولو بدون قرابة الذي قد نسخ والتوارث بمقتضى القرابة ولو بدون مشاركة فى
الهجرة أو النصره والله سبحانه وتعالى أعلم

* (سورة براءة) *

هى مائة وثلاثون آية وقيل مائة وسبع وعشرون آية ولها أسماء منها سورة التوبة لان فيها
ذكر التوبة على المؤمنين وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وهى سورة العذاب
اه وتسمى الفاضحة لانه ما زال ينزل فيها ومنهم ومنهم حتى كادت أن لاتدع أحدا وتسمى
البحوث لانها تبحث عن أسرار المنافقين وتسمى المبعثرة والبعة المبعثرة وتسمى أيضا
بأسماء أخر كالمفشقة لانها تفشق من النفاق أى تبرى منه والخزبة لكونها أخرت
المنافقين والمشيخة لانها تثير أسرارهم والحافرة لكونها تحفر عنها والمنكحة لما فيها من
التسكيل لهم والمدممة لانها تدمم عليهم أى تهلكهم قال الخفاجي وأسمائها
كلها بصيغة الفاعل الابحوث بفتح الباء فانه صيغة مبالغة بمعنى اسم الفاعل اه قلت
والابراءة والتوبة وسورة العذاب وهى مدينة قال القرطبي بانفاق وعن ابن عباس قال
نزلت بعد فتح مكة وعنه قال نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير وقتادة نحووه وعن البراء قال
آخر سورة نزلت تامة براءة رواه البخارى وقد اختلف العلماء فى سبب سقوط البسملة
من أولها على أقوال منها ما روى عن المبرد وغيره انه كان من شأن العرب اذا كان بينهم
وبين قوم عهد فاذا أرادوا نقضه كتبوا اليهم كتابا ولم يكتبوا فيه بسملة فلما نزلت براءة
بنقض العهد الذى كان بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمشركين بعث بها النبي صلى
الله عليه وآله وسلم على بن أبي طالب فقرأها عليهم ولم يبسمل فى ذلك على ما جرت به عادة

فى الصحاحين من طريق ابن وهب عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد فقال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منه يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن
عبد المطلب بن عبد كلال فلم يجبي الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق الا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا
أنا بسحابة قد ظلمتني فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث
اليك ملك الجبال لتأمرهم بما شئت فيهم قال فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك لك وقد بعثني

ربك اليك لتأمرني بأمرك فاشتت ان شئت أطبقت عليهم الاخشيين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً وهذا لفظ مسلم فقد عرض عليه عذابهم واستصالحهم فاستأناهم وسأل لهم التأخير لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك به شيئاً فالجواب والله أعلم أن هذه الآية دللت على أنه لو كان اليه وقوع العذاب الذي يطلبونه حال طلبهم له (٦٢) لأوقعهم واما الحديث فليس فيه أنهم سألوه وقوع العذاب بهم بل عرض

عليه ملك الجبال انه ان شاء أطبق عليهم الاخشيين وهما جبل امكة يستفانها جنوبا وشمالا فلهدا استأني بهم وسأل الرفق لهم وقوله تعالى وعند مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو قال البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا ابراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله علم خبير وفي حديث عمر أن جبريل حين تبدى له في صورة اعرابي فسأل عن الايمان والاسلام والاحسان فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فيما قال له خمس لا يعلمهن الا الله ثم قرأ ان الله عنده علم الساعة الآية وقوله و يعلم ما في البر والبحر أى محيط علمه الكريم بجميع الموجودات برها وبحريمها لا يخفى

العرب في نقض العهد من ترك التسمية وعن علي قال البسملة أمان وبراءة نزلت بالسيف أشار الى وجه ترك كتابة البسملة في هذه السورة والتلفظ بها دون غيرها قال الخفاجي والسلف فيه أقوال ثلاثة أصحها هذا اه قلت وروى نحوه عن سفيان بن عيينة وروى عن مالك بن أنس وابن عجلان وابن جبير أنها كانت تعدل سورة البقرة أو قريبا منها وأنه لما سقط أولها سقطت البسملة ومن جملة الأقوال في سقوطها أنهم لما كتبوا المحقق في خلافة عثمان اختلف الصحابة فقال بعضهم براءة والانفال سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت البسملة لقول من قال هما سورة واحدة فرضى الفريقان معا قاله خارجه وأبو عصمة وغيرهما وقول من جعلهما سورة واحدة أظهر لأنهما جميعا نزلتا في القتال وجموعهما ما ما تسن وخمس آيات ويعدان جميعا سابعة السبع الطوال ومنها ما قال السيوطي انه لم تكتب فيها البسملة لانه صلى الله عليه وآله وسلم لم يأمر بذلك كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم اه وعن عثمان قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبين لنا أنهم ما حفظت أنهم ما حفظت ثم قرنت بينهما ولم يكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الترمذي وحسنه والصحیح أنهم لم يكتب لان جبريل ما نزل بها في هذه السورة قاله القشيري قال أبو السعود واشتهر اهل هذه الاسماء يقضى بأنها سورة مستقلة وليست بعضا من سورة الانفال وادعاء اختصاص الاشتهار بالثلاثين باستقلالها لخلاف الظاهر فيكون حكمه ترك التسمية عند النزول نزولها في رفع الامان الذي يابى مقامه التصدير بما يشعر ببقائه من ذكر اسمه تعالى مشفوعا بوصف الرحمة كما روى عن ابن عيينة رضی الله تعالى عنه لا الاشتباه في استقلالها وعدمه كما يحكى عن ابن عباس رضی الله تعالى عنهما ولا رعاية ما وقع بين الصحابة رضی الله تعالى عنهم من الاختلاف في ذلك على أن ذلك ينزع الى القول بأن التسمية ليست من القرآن وانما كتبت للفصل بين السور كما نقل عن قدماء الحنفية وان مناط اثباتها في المصاحف وتركها انما هو رأى من تصدى لجمع القرآن دون التوقيف ولا ريب في أن الصحیح من المذهب أنها آية فذمة من القرآن أنزلت للفصل والتبرك بها وأن لا مدخل لرأى أحد في الاثبات والترك وانما المتبع في ذلك هو الوحي والتوقيف ولا مريية في عدم نزولها ههنا والالامتنع أن يقع في

الاستقلال

عليه من ذلك شئ ولا مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وما أحسن ما قال الصرصرى

وقوله وما تنسقط من ورقة الا يعلمها

فلا يخفى عليه الذرأما * تراءى للنواظر أو توارى

أى ويعلم الحركات حتى من الجمادات فما ظنك بالحيوان ولا سيما المكلفون منهم من جنسهم وانسهم كما قال تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاخوص عن سعيد بن مسروق حدثنا الثوري عن ابن عباس في قوله وما تنسقط من ورقة الا يعلمها قال ما من شجرة في بر ولا بحر الا ملك موكل بها

يكتب ما يسقط منها رواه ابن أبي حاتم وقوله ولا حجة في ظلمات الارض ولا يربط ولا يربط ولا يربط الا في كتاب مبین ولا حجة في ظلمات الارض قال محمد بن اسحق عن يحيى بن النضر عن أبيه سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول ان تحت الارض الثالثة وفوق الرابعة من الجن مالوا انهم ظهروا يعني لكم لم تروا معهم نوراً على كل زاوية من زوايا الارض خاتم من خواتيم الله عز وجل على كل خاتم ملك من الملائكة يعث الله عز وجل اليه في كل يوم ملكا من عنده ان احتفظ بما عندك قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن المسور الزهري حدثنا مالك بن شعير حدثنا (٦٣) الاعمش عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله

ابن الحارث قال ما في الارض من شجرة ولا مغرز ابرة الاعلى ملك موكل يأتي الله بعلمها رطوبتها اذا رطبت ويوسيتها اذا يبست وكذا رواه ابن جرير عن أبي الخطاب زياد بن عبد الله الحساني عن مالك بن شعير به ثم قال ابن أبي حاتم ذكر عن أبي حذيفة حدثنا سفيان عن عمر بن قيس عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خلق الله النون وهي الدواة وخلق الالواح فكتب فيها أمر الدنيا حتى تنقضي ما كان من خلق مخد لوق أو رزق حلال أو حرام أو عمل بر أو فجور وقرأ هذه الآية وما تسقط من ورقة الا يعلمها الى

الاستقلال اشتباه أو اختلاف فهو اما لاتحاد السورتين أو لما ذكرنا لاسئل الى الاول والابنية عليه الصلاة والسلام لتحقق من يد الحاجة الى البيان لتعاقد أدلة الاستقلال من كثرة الآيات وطول المدة فيما بين نزولهما حيث لم يبينه عليه الصلاة والسلام تعين الثاني لان عدم البيان من الشارع في موضع البيان بيان للعدم (برائة) أي هذه برائة وتوحيده للتفخيم وقرئ بالنصب أي اسمعوا برائة قاله عيسى بن عمر يقال برئت من الشيء برائة أو أمانته بري اذا أزالته عن نفسك وقطعت سبب ما بينك وبينه وقيل معناها هنا التبعاعد مما تكره مجاورته (من الله ورسوله) من ابتدائية أي هذه برائة مبتدأة من جهة الله تعالى ورسوله واصلة (الى الذين عاهدتم من المشركين) عهدا مطلقا ودون أربعة أشهر او فوقها والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب للمسلمين ومن بيان للموصول وقد عاهدوا مشركي مكة وغيرهم بأذن من الله واتفاق من الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى الاخبار للمسلمين بأن الله ورسوله قد برأنا من تلك المعاهدة بسبب ما وقع من الكفار من النقض فصار التنبذ اليهم بعهدهم واجبا على المعاهدين من المسلمين ومعنى برائة الله سبحانه وقوع الاذن منه سبحانه بالتنبذ من المسلمين لعهد المشركين بعد وقوع النقض منهم وفي ذلك من التفخيم لشأن البرائة والتحويل لها والتسجيل على المشركين بالذل والهوان ما لا يخفى (فسيحوا) أيها المشركون في الارض أربعة أشهر) أمر باحاطة منه سبحانه بالسيحاح بعد الاخبار بتلك البرائة والسيحاح السير يقال ساح فلان في الارض يسبح سباحا وسيحاحه وسبحا وسبحا ناومنه سبح الخيل قال أبو السعود الساحة والسبح الذهب في الارض والسير فيها بسببه على مقتضى المشية كسبح الماء على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه ما ليس في سيرها ونظيره وزيادة قوله في الارض لقصد التعميم لا قطارها من دار الاسلام وغيرها انتهى ومعنى الآية ان الله سبحانه بعد أن أذن بالتنبذ الى المشركين بعهدهم أباح للمشركين الضرب في الارض والذهاب الى حيث يريدون والاستعداد للحرب هذه الاربعة الاشهر وليس المراد من الامر بالسيحاح تكليفهم بها وهذا القول كناية عن عند الامان لهم أربعة أشهر بعد نقضهم العهد بصورة الثلاث وانما اقتصر على الاربعة لقوة المسلمين اذ ذلك بخلاف صلح الحديبية فإنه كان على عشرين سنين اضعف المسلمين اذ ذلك قال محمد بن اسحق ومجاهد وغيرهما ان المشركين صنفان صنف كانت مدة عهده أقل من

آخر الآية (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقتضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفسرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الملك وهو أسرع الحاسنين) يقول تعالى انه يتوفى عباده في منامهم بالليل وهو التوفى في الاصر كما قال تعالى اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعتك الى وقال تعالى يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى فذكر في هذه الآية الوفاة الكبرى والصغرى وهكذا ذكر في هذا المقام حكم الوفاة الصغرى ثم الكبرى فقال وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار وهذه جملة معترضة دلت على احاطة علمه تعالى بخلقهم في ليالهم ونهارهم في حال سكوتهم وحال حركتهم كما قال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار بالنهار وكما قال تعالى ومن رحمته

جعل لكم الليل والنهار لتسبحوه فيه أي في الليل ولتبتغوا من فضله أي في النهار كما قال وجعلنا الليل لئلا يأسوا وجعلنا النهار
معاشاً ولهذا قال تعالى ههنا وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار أي ما كسبتم من الاعمال فيه ثم يعثبكم فيه أي
في النهار قاله مجاهد وقتادة والسدي وقال ابن جرير عن عبد الله بن كعب عن أبي بصير أي في المنام والاول أظهر وقد روى
ابن مردويه بسنده عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مع كل انسان ملك اذا نام يأخذ نفسه
ويرد اليه فان أذن الله في قبض روحه قبضه (٦٤) والارد اليه فذلك قوله وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله ليقضى أجل

أربعة أشهر فأهل تمام أربعة أشهر والآخر كانت مدته أكثر من ذلك فنصر على
أربعة أشهر ليرتاد لنفسه وهو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين يقتل حيث يوجد
الآن يتوب ويرجع الى الايمان وابتداء هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاءه الى عشر
من ربيع الآخر فاما من لم يكن له عهد فاجلها سنة الايام الاثني عشر الحرم وذلك خمسون
يوماً عشر من ذي الحجة وشهر محرم وقال الكلبي انما كانت الاربعة الاشهر لمن كان
بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد دون أربعة أشهر فتم له الاربعة ومن كان
عهده أكثر من ذلك فهو الذي امر الله ان يتم له عهده بقوله فاتوا اليهم عهدهم الى مدتهم
كما سيأتي ورجع هذا ابن جرير وغيره وعن الزهري قال نزلت في شوال فهي اربعة اشهر
شوال وذو القعدة وذو الحجة ومحرم والقول الاول اصوب وعليه الأكثر وفي الباب
أقوال وقيل المقصود من هذا التأجيل ان يتفكروا ويحتمطوا لانفسهم ويعلموا انه
ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام أو القتل فيصير هذا دعاء اليهم الى الدخول في الاسلام
ولئلا ينسب المسلمون الى الغدر ونكث العهد وقال ابن ابي عمير التقدير قل لهم فسيحوا
وليس هذا من باب الامر بل المقصود منه الاباحة والاطلاق والاعلام بمحصول الامان
وزوال الخوف يعني سيحوا في الارض وأنتم آمنون من القتل والقتال وقد توهم بعضهم
ان بعث علي بن ابي طالب بقرأة اول برائة عزل أبي بكر عن الامارة وذلك جهل من هذا
المتهم والبحث مستوفى في موطنه (واعلموا انكم غير مجزي الله) أي اعلموا ان هذا
الامهال ليس لعجز ولا لضعف بل لصلحة لتوب من تاب وفي ذلك ضرب من التهديد كما قيل
افعلوا في هذه المدة كلما أمكنكم من اعداد الآلات والادوات فانكم لا تفوتون الله
ولا تغتروا بعقد الامان لكم (وان الله محزى الكافرين) أي وهو محزى بكم ومن ذلككم
ومهين بكم في الدنيا بالقتل والاسر وفي الآخرة بالعذاب والنار وفي وضع الظاهر موضع
المضمر إشارة الى أن سبب هذا الاخر هو الكفر ويجوز ان يكون المراد جنس الكافرين
فيدخل فيه المخاطبون دخولاً وليسا واخرج الترمذي وحسنه وابن أبي حاتم والحاكم
وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث أبا بكر وأمره ان ينادي بهؤلاء الكلمات ثم أتبعه علياً وأمره ان ينادي بهم هؤلاء
الكلمات فانطلقا ورجعا فقام علي في أيام التشريق فنادى ان الله بريء من المشركين

مسمى يعني به أجل كل واحد
من الناس ثم اليه مرجعكم أي يوم
القيامة ثم ينبئكم أي فيخبركم بما
كنتم تعملون أي ويجزي بكم على
ذلك ان خيرا خيرا وان شرا شرا
وقوله وهو القاهر فوق عباده
أي هو الذي قهر كل شيء وخضع
لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء
ويرسل عليكم حفظة أي من
الملائكة يحفظون بدن الانسان
كقوله له معقبات من بين
يديه ومن خلفه يحفظونه من
أمر الله وحفظة يحفظون عمله
ويحسونه كقوله وان عليكم
الحافظين الآية وقوله اذيتقى
المتلقين الآية وقوله حتى
اذا جاء أحدكم الموت أي احتضر
وحان أجله توفته رسلنا أي ملائكة
موكلون بذلك قال ابن عباس وغير
واحد للملك الموت أعوان من
الملائكة يخرجون الروح من
الجسد فيقبضها ملك الموت اذا
انتهت الى الخلقوم وسيأتي عند
قوله تعالى ثبت الله الذين آمنوا

بالقول الثابت الاحاديث المتعلقة بذلك الشاهدة لهذا المروي عن ابن عباس وغيره بالصحة وقوله وهم
لا يفرطون أي في حفظ روح المتوفى بل ويحفظونها ليركونها حيث شاء الله عز وجل ان كان من البرار ففي عليين وان كان من
التجار ففي سجين عياداً بالله من ذلك وقوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق وينذركرهما الحديث الذي رواه الامام أحمد حديث قال
حدثنا حسين بن محمد حدثنا ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ان الميت يحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالوا ارحمى أيتها النفس المطمئنة كانت في الجسد الطيب ارحمى حميدة

وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يخرج بها إلى السماء فيستفتح فيفتح لها فيقال فلان مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخل جديداً وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل وإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يخرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت (٦٥) في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة فإنه لا يفتح

للك أبواب السماء فتدخل من السماء
ثم تصير إلى القبر فيجلس الرجل
الصالح فيقال له مثل ما قيل في
الحديث الأول ويجلس الرجل
السوء فيقال له مثل ما قيل في
الحديث الأول هذا حديث غريب
وقوله ثم رددوا إلى الله يعني الملائكة
ويحتمل أن يكون المراد بقوله ثم
ردوا يعني الخلائق كلهم إلى
الله يوم القيامة فيحكم فيهم بعدله كما
قال قال ان الأولين والآخرين
لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم
وقال وحشرناهم فلم تغادرناهم
أحدا إلى قوله ولا يظلم بك أحدا
ولهذا قال مولا هم الحق ألاله
الحكم وهو أسرع الحاسبين (قل
من ينحيك من ظلمات البر والبحر
تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجيتمنا من
هذه لنكونن من الشاكرين قل الله
ينحيك منكم ومن كل كرب ثم أنتم
تشركون قل هو القادر على أن
يبعث عليكم عداباً من فوقكم أو
من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً
ويذيق بعضكم بأس بعض انظر

ورسوله فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ولا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت
عريان ولا يدخل الجنة المؤمن فكان على ينادى فإذا أعيا قام أبو بكر ينادى بها وفي
الباب أحاديث في الصحيحين وغيرهما بالفاظ (وأذان من الله ورسوله) الأذان بمعنى
الأيدان وهو الأعلام كما أن الأمان والعطاء بمعنى الإيمان والأعطاء ومعنى (إلى الناس)
التعميم في هذا أي أنه أيدان من الله إلى كافة الناس غير مختص بقوم دون قوم فهذه الجملة
متضمنة للأخبار بوجوب الأعلام لجميع الناس والجملة الأولى متضمنة للأخبار بالبراءة
إلى المعاهد من خاصة (يوم الحج الأكبر) ظرف لقوله واذن ووصفه بالا كبر لأنه يجتمع
فيه الناس أو لكون معظم أفعال الحج فيه أو احترامها عن العزلة فهي الحج الأصغر لان
أعمالها أقل من أعمال الحج اذ يزيد عليها أمور كالميعة والمبيت فكان أكبر بهذا الاعتبار
وسمي يوم الحج لأن أعمال الحج يتم فيه معظمها وقد اختلف العلماء في تعيين هذا اليوم
المذكور في الآية فذهب جمع منهم على بن أبي طالب وابن مسعود وابن أبي أوفى والمغيرة بن
شعبة ومجاهد إلى أنه يوم النحر ورجحه ابن جرير وذهب آخرون منهم عمرو بن عباس
وطاوس إلى أنه يوم عرفة والأول أرجح لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر من بعثه لا يبلغ
هذا إلى المشركين أن يبلغهم يوم النحر وأخرج الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن
مردويه عن علي قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الأكبر فقال يوم
النحر وأخرج أبو داود والنسائي والحاكم وصححه عن عبد الله بن قريط قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القدر وعن أبي أوفى عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم الاضحى هذا يوم الحج الأكبر أخرجه ابن مردويه وعن ابن
عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات في الحجلة التي حج فقال أي
يوم هذا قالوا يوم النحر قال هذا يوم الحج الأكبر أخرجه البخاري وأبو داود وابن ماجه
 وغيرهم ولا يخفى أن الأحاديث الواردة في كون يوم النحر هو يوم الحج الأكبر هي ثابتة
 في الصحيحين وغيرهما من طرق فلا تقوى لمعارضتها هذه الروايات المصرحة بأنه يوم عرفة
 وقيل أيام منى كلها وبه قال مجاهد وسفيان الثوري وهو (١) يوم النحر وقيل اليوم الذي
 حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه قال ابن سيرين والأول أولى وقيل القرآن قاله
 مجاهد (ان الله يرى من المشركين ورسوله) أي بأن الله يرى ورسوله يرى منهم وقرئ

(٩ - فتح البيان ح) كيف نصرف الآيات لعلمهم بفقهمون) يقول تعالى تمتس على عباده في انجائه المضطرب منهم
من ظلمات البر والبحر أي الخائرين الواقفين في المهامه البرية وفي اللجج البحرية اذا هاجت الرياح العاصفة فينتدب الفردون الدعاء
له وحده لا شريك له كقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الاياه الآية وقوله هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم
في الفلك وجرى منكم ريح طيبة وفرحوا بها جاءتهم ارحم عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله
مخلصين له الدين لئن أنجيتمنا من هذه لنكونن من الشاكرين الآية وقوله أمن بهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح نشرها
(١) قوله وهو يوم النحر كذا في الاصل وانظر وحرر اه

بين يدي رحمة الله مع الله تعالى الله عما يشركون وقال في هذه الآية الكريمة قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية أي جها وسرا الترنجيتنا من هذه أي من هذه الضيقة لتسكون من الشاكرين أي بعدها قال الله قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أتت أي بعد ذلك تشركون أي تدعون معه في حال الرفاهية آلهة أخرى وقوله قل هو القادر على أن يعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم لما قال ثم أتت تشركون عقبه بقوله قل هو القادر على أن يعث عليكم عذابا أي بعد انجائه أياكم كقوله في سورة سبحان ربكم الذي يزجي (٦٦) لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيمًا واذامسكم الضر

في البحر ضل من تدعون الاياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا أقامتم ان تخسف بكم جانب البر أو ترسل عليكم حاصبا ثم لا تتجددوا لكم وكيل أم أمتم أن نعيدكم فيه تارة أخرى فترسل عليكم قاصفا من الريح فنغرقكم عما كفرتم ثم لا تتجددوا لكم علينا به تبعا قال ابن أبي حاتم ذكر عن مسلم بن ابراهيم حدثنا هرون الاعور عن جعفر بن سليمان عن الحسن في قوله قل هو القادر على أن يعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال هذه للمشركين وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قل هو القادر على أن يعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم لامة محمد صلى الله عليه وسلم وعفي عنه ونذ كر هنا الاحاديث الواردة في ذلك والالتزام وبالله المستعان وعليه التكلان وبه الثقة قال البخاري رحمه الله تعالى في قوله تعالى قل هو القادر على أن يعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم

ورسوله بالجر على ان الواو للقسمة وهي ضعيفة جدا وقرئ شاذًا أيضا بالنصب على انه مفعول معه قاله الزمخشري والرفع قراءة الجمهور باتفاق السبعة (فان تبتم) من الكفر وفيه التثاق من الغيبة الى الخطاب وقيل فائدة هذا الالتفات زيادة التهديد (فهو) أي المتاب أو التوب أو التوبة (خيراكم) أي أخير وأحسن من بقائكم على الكفر الذي هو خير في زعمكم أو التفضيل ليس على بابه والمعنى هو خير لا شر وفيه ترغيب في التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب لدخول النار (وان توليتم) أي أعرضتم عن التوبة وبقيتم على الكفر (فاعلموا أنكم غير معجزى الله) أي غير فائتين عليه بل هو مدرككم فجازيكم بأعمالكم وفيه وعيد عظيم وتهديد شديد (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) عبر عن الاخبار بالبشارة تكلمهم وفيه من التهديد ما لا يخفى (الا الذين عاهدتم من المشركين) قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم مشركو قريش الذين عاهدتم نبي الله زمن الحديبية وقيل هم بنو ضمرة حتى من كنانة وعن محمد بن عبادهم بنو جذيمة بن عامر من بني بكر بن كنانة قال أبو السعود الا الذين الخ استدرال من النذ السابق الذي أخر فيه القتال أربعة أشهر كأنه قيل لا تمهلوا الناصقين فوق أربعة أشهر لكن الذين عاهدتموهم ثم لم ينكسوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناصقين في المسارعة الى قتالهم بل أتوا اليهم عهدهم ولا يضر في ذلك تخلل الفاصل بقوله تعالى واذان من الله ورسوله الخ لانه ليس باجني بالكلية بل هو أمر باعلام تلك البراءة كأنه قيل وأعلموها وقيل هو استثناء متصل من المشركين الاول ويرده بقاء الثاني على العموم مع كونها عبارة عن فريق واحد وجعله استثناء من الثاني بأياه بقاء الاول كذلك وقيل هو استدرال من المقدر في فسحوا أي قولوا اللهم سيحوا أو أربعة أشهر لكن الذين عاهدتم منهم (ثم لم ينقصوكم شيئا) من شروط الميثاق ولم يقتلوا منكم أحدا ولم يضروكم قط أي لم يقع منهم أي نقص وان كان يسيرا وقرأ عكرمة وعطاء بن يسار بالصاد المعجمة أي لم ينقصوا عهدهم وفيه دليل على انه كان من أهل العهد لمن خاس بعهده ومنهم من ثبت عليه فاذن الله سبحانه لبيته صلى الله عليه وسلم بنقض عهد من نقض وبالوفاء لمن لم ينقض الى مدته وقرأ الجمهور بالصاد المهملة قال الكرمانى قراءة المعجمة مناسبة لذكر العهد فان من نقض العهد فقد نقص من المدة الا أن قراءة العامة أوقع

لمقابلتها

شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون

يلبسكم يخاطبكم من الالتباس بلبسوا يخلطوا وشيعا فارقا حدثنا أبو النعمان حدثنا جاد بن زيد عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على أن يعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعود بوجهك أو من تحت أرجلكم قال أعود بوجهك أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه أهون أو أيسر وهكذا رواه أيضا في كتاب الوحيد عن قتبية عن حماد بن رواه النسائي في التفسير عن قتبية

ومحمد بن النضر بن مساو ويحيى بن حبيب بن عدي أربعتهم عن حماد بن زيد به وقد رواه الحميدى في مسنده عن سفیان
ابن عيينة عن عمرو بن دينار سمع جابرا عن النبي صلى الله عليه وسلم به ورواه ابن حبان في صحيحه عن أبي يعلى الموصلى
عن أبي خزيمة عن سفیان بن عيينة به ورواه ابن جرير في تفسيره عن أحمد بن الوليد القرشى وسعيد بن الربيع وسفیان
ابن وكيع كلهم عن سفیان بن عيينة به ورواه أبو بكر بن مردويه من حديث آدم بن أبي إياس ويحيى بن عبد الحميد وعاصم
ابن على عن سفیان بن عيينة به ورواه سعيد بن منصور عن حماد بن زيد (٦٧) وسفیان بن عيينة كلاهما عن عمرو بن دينار

به (طريق آخر) قال الحافظ
أبو بكر بن مردويه في تفسيره
حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا
مقدام بن داود حدثنا عبد الله بن
يوسف حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن
يزيد عن أبي الزبير عن جابر قال لما
نزلت قل هو القادر على أن يبعث
عليكم عذابا من فوقكم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله
من ذلك أو من تحت أرجلكم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ
بالله من ذلك أو يلبسكم شيئا قال
هذا أيسر ولو استعاذه لأعاده
ويتعلق بهذه الآية أحاديث كثيرة
* أحدها قال الامام أحمد بن
حنبل في مسنده حدثنا أبو
اليمان حدثنا أبو بكر يعنى ابن
أبي هريرة عن راشد هو ابن سعد
المقرئ عن سعد بن أبي وقاص
قال سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن هذه الآية قل هو القادر
على أن يبعث عليكم عذابا من
فوقكم أو من تحت أرجلكم قال
أما انها كانت ولم يأت تأويلها

لمقابلتها التمام وكلية ثم للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع عمادى المدة (ولم يظاهروا)
المظاهرة المعاونة أى لم يعاونوا (عليكم أحدا) من أعدائكم كما عدت بنو بكر على
خزاعة في غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فظاهرتهم قريش بالسلاح (فأتوا
اليهم عهدهم) أى أدوا اليهم عهدهم تاما غير ناقص (الى مدتهم) التى عاهدتموهم
الياهو ان كانت أكثر من أربعة أشهر ولا تعاملوهم معاملة الناكثين من القتال بعد
مضى المدة المذكورة سابقا وهى أربعة أشهر أو خمسون يوما على الخلاف السابق (ان
الله يحب المتقين) الذين يتقون الله فيما حرم عليهم فيوفون بالعهد قال السدى فلم يعاهد
النبي صلى الله عليه وسلم بعد هؤلاء الايات أحدا (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) انسلخ
الشهر تكاملا جزأ فجزأ الى أن ينقضى كانسلاخ الجلد عما يحويه شبه خروج المترن عن
زمانه بانفصال المتمكن عن مكانه وأصله الانسلخ الواقع بين الحيوان وجلده فاستعير
لانقضاء الأشهر يقال سلخت المرأة درعها زرعته وفي التنزيل وآية لهم الليل نسلخ منه النهار
قال الخفاجى السليخ يستعمل تارة بمعنى الكشط كسلخت الالهاب عن الشاة أى زرعته
عنها وأخرى بمعنى الاخراج كسلخت الشاة عن الالهاب أى أخرجتها منه فاطلاق
الانسلاخ على الأشهر استعارة من المعنى الاول فان الزمان ظرف محيط بالاشياء كالهاب
والبيضاوى جعله من الثاني كأنه لما انقضى أخرج من الاشياء الموجودة كذا قيل ومثل
انسليخ النجر دوسنة جرداء تامة انتهى واختلف العلماء في تعيين الأشهر الحرم المذكورة
ههنا فقيل هى الأشهر الحرم المعروفة التى هى ذوالقعدة وذوالحجة ومحرم وربح ثلاثة
سرود واحد فرد ومعنى الآية على هذا وجوب الامساك عن قتال من لاعهده من
المشركين فى هذه الأشهر الحرم وقد وقع النداء والنبد الى المشركين بعهدهم يوم النحر
فكان الباقي من الأشهر الحرم التى هى الثلاثة المسرودة خمسين يوما تنقضى بانقضاء شهر
الحرم فامرهم الله بقتل المشركين حيث يوجدون وبه قال جماعة من أهل العلم منهم
الضحال والباقر وروى عن ابن عباس واختاره ابن جرير وقيل المراد بها شهر العهد
المشار اليه بقوله فأتوا اليهم عهدهم الى مدتهم وسميت حرما لان الله سبحانه حرم على
المسلمين فيها ما للمشركين والتعرض لهم والى هذا ذهب جماعة من أهل العلم منهم مجاهد
وابن اسحق وابن زيد وعمرو بن شعيب وقيل هى الأشهر المذكورة فى قوله فسبحوا فى

بعد وأخرجه الترمذى عن الحسن بن عرفة عن اسمعيل بن عباس عن أبي بكر بن أبي هريرة ثم قال هذا حديث غير
آخر) قال الامام أحمد حدثنا يعلى هو ابن عميد حدثنا عثمان بن حكيم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال أقبلنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مرنا على مسجد بنى معاوية فدخل صلى ركعتين فصلينا معه فبأجى ربه عز وجل طويلا قال
سألت ربي ثلاثا سألته أن لا يهلك أمتى بالغرق فأعطانىها وسألته أن لا يهلك أمتى بالسنة فأعطانىها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم
فغفينا انقربا خواجه مسلم فرواه فى كتاب الفتن عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن عبد الله بن نمير وعن محمد بن يحيى بن عمر

حدثه عن أنس بن مالك أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعة الضحى ثمان ركعات فلما انصرف قال انى صليت صلاة رغبة ورهبة وسألت ربي ثلاثا فاعطاني ثنتين ومنعني واحدة سألته ان لا يتلى أمتي بالسنة ففعل وسألته ان لا يظهر عليهم عدوهم ففعل وسألته ان لا يلبسهم شيئا فاني على رواه النسائي في الصلاة عن محمد بن سلمة عن ابن وهب به (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب بن أبي حمزة قال قال الزهري حدثني عبد الله بن عبد الله بن الحرث بن نوفل عن عبد الله بن خباب عن أبيه خباب بن الأرت مولى بني زهرة وكان قد شهد بدر مع رسول الله (٦٩) صلى الله عليه وسلم في ليلة صلاحها كلها حتى

كان مع الفجر فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلواته قلت يا رسول الله لقد صليت الليلة صلاة مارأيتك صليت مثلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل انها صلاة رغب ورهب سألت ربي عز وجل فيها ثلاث خصال فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي عز وجل ان لا يهلكك بما أهلك به الاثم قبلنا فاعطاناها وسألت ربي عز وجل ان لا ينظر علينا عدو آمن غيرنا فاعطاناها وسألت ربي عز وجل ان لا يلبسنا شيئا فنعنفها ورواه النسائي من حديث شعيب ابن أبي حمزة به ومن وجه آخر وابن حبان في صحيحه باسنادهم ما عن صالح بن كيسان والترمذي في الفتن من حديث النعمان بن راشد كلاهما عن الزهري وقال حسن صحيح (حديث آخر) قال أبو جعفر ابن جرير في نفسه حديثي زياد بن عبد الله المزني حدثنا حماد بن معاوية الفزاري حدثنا أبو مالك حدثني نافع بن خالد الخزاعي عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة خفيفة تامة الركوع

فلا تأتروهم ولا تحصروهم ولا تقتلوهم ولا تمنعوهم من الدخول الى مكة والتصرف في بلادهم ولا تعرضوا لهم (ان الله غفور) لهم (رحيم) بهم (وان أحد) مرتفع بفعل شرط مضمرة يفسره الظاهر لا بالبداية لان ان لا تدخل الاعلى الفعل (من المشركين) الناقضين للعهد الذين أمرت بالتعرض لهم في قوله فاذا انسح الاشهر الحرم فاقبلوا المشركين (استجارك) استامنك من القتل (فأجره) يقال استجرت فلانا أي طلبت أن يكون جارأي محاميا ومحافظا من ان يظلمني ظالم أو يتعرض لي متعرض وفي القاء وس جار واستجار طلب أن يجار وأجاره أنقذه وأعادته وفي المصباح استجاره طلب منه ان يحفظه فأجار والمعنى أمنه (حق) يصح أن تكون للغاية وللتعليل (يسمع كلام الله) منك وتبديره حتى تبديره ويقف على حقيقة ما تدعو اليه ويتحقق انه ليس من كلام الخلق والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة الى شيء آخر في الفهم لكونهم من أهل الفصاحة (ثم) ان أراد الانصراف ولم يسلم (أبلغه ما آمنه) أي الى الدار التي يأمن فيها وهو دار قومه لينظر في أمره ويعرف ماله من الثواب ان آمن وما عليه من العقاب ان أصر على الشرك ثم بعد ان تبلغه ما آمنه فانه من غير عدو ولا خياره فقد خرج من جوارك ورجع الى ما كان عليه من اباحة دمه وجوب قتله حيث يوجد عن سعيد بن ابي عروبة قال كان الرجل يجي اذا سمع كآب الله وأقر به وأسلم فذلك الذي دعى اليه وان أنكر ولم يقتر به رد ما آمنه ثم نسخ ذلك فقال وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة وعن ابن زيد قال ان لم يوافق ما يقص عليه ويخبر به فابلقه ما آمنه وهذا ليس بمنسوخ قال الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة (ذلك) أي الامر بالاجارة وابلغ المأمن (بأنهم قوم لا يعلمون) ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه بسبب فقد انهم العلم النافع للمميزين الخير والشر في الحال والمآل فلا يلبسهم من أمان بقدر زمان يسمعون فيه القرآن ويتدبرون (كيف يكون للمشركين) الاستفهام هنا للتعجب المتضمن للانكار ولهذا حسن بعده الا والمراد بالمشركين الناكثون لان البراءة هي في شأنهم (عهده عند الله) يأمنون به من عذابه (وعند رسوله) وقيل معنى الآية بحال ان ثبت لهؤلاء عهد وهم اضداد لكم مضمرون للعدو فلا تطعموا في ذلك ولا تتحدوا به أنفسكم والمعنى ليس لمن لم يف بعهدان بني الله ورسوله بالعهده ثم استدرك فقال (الا الذين عاهدتم) أي لكن

والسجود فقال قد كانت صلاة رغبة ورهبة سألت الله عز وجل فيها ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت الله ان لا يصيبكم بعداب أصاب به من قبلكم فاعطاني وسألت الله ان لا يسلط عليكم عدوا يستبيح بفضتكم فاعطانيها وسألت الله ان لا يلبسكم شيئا فاني على رواه النسائي في الصلاة عن محمد بن سلمة عن ابن وهب به (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب بن أبي حمزة قال قال الزهري حدثني عبد الله بن عبد الله بن الحرث بن نوفل عن عبد الله بن خباب عن أبيه خباب بن الأرت مولى بني زهرة وكان قد شهد بدر مع رسول الله (٦٩) صلى الله عليه وسلم في ليلة صلاحها كلها حتى

الله زوى لى الارض حتى رأيت مشارقها ومغارها وان ملك أمستى سيبليغ مازوى لى منها وانى أعطيت الكثرين الابيض والاحمر
وانى سألت ربي عز وجل ان لا يهلك أمتى بسنة بعامة وان لا يسلط عليهم عدوا فيهلكهم بعامة ولا يلبسهم شيئا وان لا يذيق بعضهم
بأس بعض فقال يا محمد انى اذا قضيت قضاء فانه لا يرد فانى أعيد أمتك ان لا أهلكتهم بسنة بعامة وان لا أسلط عليهم عدوا ممن سواهم
فيهلكهم بعامة حتى يكون بعضهم لك بعضا وبعضا يقتل بعضهم بسببى بعضا قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم انى
لا أخاف على أمتى الا الأئمة المضلين فاذا وضع (٧٠) السيف فى أمتى لم يرفع عنهم الى يوم القيامة ليس فى شئ من الكتب

الذين عاهدتم ولم ينقضوا ولم ينكثوا فلا تقاتلوهم وقيل الاستثناء متصل وفيه احتمالان
أحدهما انه منصوب على أصل الاستثناء من المشركين والثانى انه مجرور على البدل منهم
(عند المسجد الحرام) أى عند قبره يوم الحديبية قاله قتادة والمراد به جميع الحرم كما هو
عادته فى القرآن الاما استثنى (فما استقاموا لكم) أى فاداموا مستقيمين لكم على
العهد الذى بينكم وبينهم ولم ينقضوه وفى ما وجهان أحدهما انها مصدرية زمانية
والثانى انها شرطية (فاستقيموا لهم) على الوفاء به قيل هم بنو بكر وقيل بنو كنانة بنو ضمرة
وقال ابن عباس هم قريش وعن ابن زيد نحوهم وقال السدى هم بنو جذيمة وقال مجاهد
هم أهل العهد من خزاعة (ان الله يحب المتقين) اشارة الى أن الوفاء بالعهد والاستقامة
عليه من أعمال المتقين فيكون تعليلا للامر بالاستقامة وقد استقام صلى الله عليه وآله
وسلم على عهدهم حتى نقضوا باعانة بنى بكر على خزاعة (كيف) يكون لهم عهد وهو زيادة
ترقى فى استبعاد بقا عهد لهم ولهذا أعاد الاستفهام التمجيد للتأكيد والتقرير (و) الحال
انهم (ان يظهر واعليكم) بالغلبة لكم وينظروا بكم (لا يرقبوا) أى لا يراعوا ولا يحفظوا
أولا ينتظروا فيكم (الاولادمة) قال فى الصحاح الال العهد والقرابة قال الزجاج الال
عندى على ما وجبه اللغة يدور على معنى الحدة ومنه الالة للحرية ومنه اذن مؤلثة أى
محددة وقال القراء المراد به القرابة وقيل ان الال الجوار وهو رفع الصوت عند التحالف
وذلك انهم كانوا اذا تحالفوا جأروا وبذلك جوارا ويجمع الال فى القلة على آل وفى الكثرة
على آل كقدهم وقدهم والال بالفتح قيل شدة القنوط قال الهروى فى الحديث عجب
ربكم من ألكم وقنوطكم وفى القاموس الال بالكسر العهد والحلف وموضع الجوار
والقرابة والمعدن والحقد والعداوة والربوبية واسم الله تعالى وكل اسم آخره ال أو ايل
فضاف الى الله تعالى والوحى والامان والخزع عند المصيبة ومنه ماروى عجب ربكم من
الكم فى رواية بالكسر ورواية الفتح أكثر اه وقال ابن زيد والسدى وأبو عبيدة
الال العهد وقيل الذمة والتديم وقال الازهرى هو اسم لله بالعبودية وأصله من الاليل
وهو البريق يقال آل لونه يؤول أى صنفوا مع والذمة العهد وجعه اذم فنفس الاول
بالعهد كان التكبر للآل كيد مع اختلاف اللفظين وقيل الذمة الضمان يقال هو فى ذمتى
أى فى ضمانى وبه سمي أهل الذمة لدخولهم فى ضمان المسلمين ويقال له ذمة وذمام وذمة

السته واسناده جيد قوى وقدرناه
ابن مردويه من حديث جاد بن زيد
وعباد بن منصور وقتادة ثلاثتهم
عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي
أسماء عن ثوبان عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنحوه فالله أعلم
(حديث) الحافظ أبو بكر بن مردويه
حدثنا عبد الله بن اسمعيل بن ابراهيم
الهاشمي وميمون بن اسحق بن الحسن
الحنيني قالوا حدثنا أحمد بن
عبد الجبار حدثنا محمد بن فضيل
عن أبي مالك الاشجعي عن نافع بن
خالد الخزاعي عن أبيه قال وكان
أبوه من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان من أصحاب الشجرة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا صلى والناس حوله صلى صلاة
خفيفة تامة الر كوع والسجود
قال جالس يوما فاطال الجلوس حتى
أوما بعضنا الى بعض أن اسكتوا انه
ينزل عليه فلما فرغ قال له بعض
القوم يا رسول الله لقد أطلت
الجلوس حتى أوما بعضنا الى بعض
انه ينزل عليك قال لا ولكنها كانت
صلاة رغبة ورهبة سألت الله فيها
ثلاثا فاعطاني اثنين ومنعني

واحدة سألت الله ان لا يعذبكم بعذاب عذب به من كان قبلكم فاعطانيها وان لا يسلط على أمتى
عدوا يستبيحها فاعطانيها وسألته أن لا يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض فنعنيها قال قلت أبوك سمعها من رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال نعم سمعته يقول انه سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد اصابعي هذه عشر أصابع (حديث آخر) قال
الامام أحمد حدثنا يونس هو ابن محمد المؤدب حدثنا الليث هو ابن سعد عن أبي وهب الخولاني عن رجل قدمه عن أبي بصرة الغفاري
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي عز وجل أر بعافا عطاني ثلاثا ومنعني واحدة سألت الله ان لا يجمع أمتى

على ضلالة فاعطانيها وسألت الله ان لا يظهر عليهم عدو من غيرهم فاعطانيها وسألت الله ان لا يهلكهم بالسنين كما أهلك الأمم قبلهم فاعطانيها وسألت الله عز وجل ان لا يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض فنعينهم لم يخرجوه أحد من أصحاب الكتب الستة (حديث آخر) قال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحرث حدثنا أبو حذيفة الثعلبي عن زياد بن علاقة عن جابر بن سمرة السوائي عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي ثلاث خصال فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة فقلت يارب لا تهلك أمتي جوعا فقال هذه لك قلت يارب لا تسلط عليهم (٧١) عدو من غيرهم يعني أهل الشرك فيجتاحهم

وهي الذم قاله ابن عرفة وقال الراغب الزمام ما يذم الرجل على اضاعته من عهد وكذا الذمة والمذمة بالفتح والكسر وقيل في مذمة فلا تمشكها وقال غيره سميت ذمة لان كل حرمة يلزمك من تضييعها الذم يقال لها ذمة وقال أبو عبيدة والزهري الذمة الايمان كافي قوله صلى الله عليه وآله وسلم ويسعى بذمتهم أدناهم وروى عنه أيضا ان الذمة ما يذم به أي ما يحتجب فيه الذم وقال قتادة الال الحلف وقال أبو مجلز هو الله تعالى وعن مجاهد وعكرمة مثله وقال ابن عباس الال القرابة والذمة العهد (يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم) أي يقولون بالسنتهم ما فيه مجاملة ومحاسنة لكم طلبا لمرضاتكم وتطيب قلوبكم وقلوبهم تأبى ذلك وتحالفوه وتودع فيه مساآتكم ومضرتكم كما يفعل له أهل النفاق وذو الوجهين والكلام مستأنف لبيان حالهم عند عدم الظفر فهو مقابل في المعنى لقوله وان يظهر واعليكم الخ يقال أي تأبى أي اشتد امتناعه فكل ابا امتناع من غير عكس ولم يصب من فسر به مطلق الامتناع وحجى المضارع منه على يفعل بفتح العين شاذ ومنه قلى بقلى في لغة قاله السهيني ثم حكم عليهم بالفسق فقال (وأكثرهم فاسقون) وهو التردد والتجربى والخروج عن الحق لنقضهم العهد وعدم مراعاتهم لها ثم وصفهم بقوله (اشترىوا بايات الله ثمنًا قليلا) أي استبدلوا بايات القرآن التي من جملتها ما فيه الامر بالوفاء بالعهد وثمانيا حقيرا وهو ما آثروه من حطام الدنيا أي تركوا اتباعها للشهوات والهوى وكانت شهواتهم أكلة أطعمها يوسفيان جملتهم على نقض العهد (فصدوا عن سبيله) أي فعلوا وأعرضوا عن سبيل الحق أو صرفوا الناس عنه وذلك ان أهل الطائف أمم وهم بالاموال ليقوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (انهم ساء ما كانوا يعملون) من الشرك ونقضهم العهد ومنعهم الناس عن الدخول في دين الاسلام (لا يرقبون في مؤمن الا واذمة) قال النحاس ليس هذا تكريرا ولكن الاول لجميع المشركين والثاني لليهود خاصة والدليل على هذا الشتر وَايَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا يَعْنِي الْيَهُودَ وَقِيلَ هَذَا فِيهِ مَرَاةٌ لِحُقُوقِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَفِي الْإِثْمِ الْمَرَاةُ لِحُقُوقِ طَائِفَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً وَقِيلَ الْإِثْمُ وَقَعَّ جَوَابًا لِقَوْلِهِ وَإِنْ يَظْهَرُ وَالْثَانِي وَقَعَّ خَبْرًا عَنْ تَقْبِيحِ حَالِهِمْ (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ) أي الجاوزون للعلال الى الحرام بنقض العهد أو المبالغون في الشر والتردد الى الغاية القصوى (فان تابوا) عن الشرك وعن نقض

فروضهم قال اللهم لا ترسل على أمتي عذابا من فوقهم ولا من تحت أرجلهم ولا تلبسهم شيعا ولا تذق بعضهم بأس بعض قال فاتاه جبريل فقال يا محمد ان الله قد أجاز أمتك أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم (حديث آخر) قال ابن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله البراز حدثنا عبد الله بن أحمد بن موسى حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد حدثنا عمرو بن محمد العنقري حدثنا السباط عن السدي عن أبي المنهال عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي لأمي أربع خصال فاعطاني ثلاثا ومنعني واحدة سألته ان لا تكفر أمتي واحدة فاعطانيها وسألته أن لا يعذبهم بما عذب به الأمم قبلهم فاعطانيها وسألته ان

أوعلى المنبر يقول ألا أيها الناس انه قد نزل بكم ان الله يقول قل هو القادر على ان يعث عليكم عذابا من فوقكم لو جاءكم عذاب من السماء لم يبق منكم أحدا أو من تحت أرجلكم لو خسف بكم الارض أهلكتكم ولم يبق منكم أحدا أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض ألا انه نزل بكم أسوأ الثلاث (قول ثان) قال ابن جرير وابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى اخبرنا ابن وهب سمعت خلا بن سليمان يقول سمعت عامر بن عبد الرحمن يقول ان ابن عباس كان يقول في هذه الآية قل هو القادر على ان يعث عليكم عذابا من فوقكم فأثمة السوء أو من تحت (٧٣) أرجلكم فخدم السوء وقال علي بن أبي طلحة

عن ابن عباس عذابا من فوقكم يعني أمرءكم أو من تحت أرجلكم يعني عبيدكم وسفلتكم وحكى ابن أبي حاتم عن أبي سنان وعمر بن هانئ في نحو ذلك قال ابن جرير وهو هذا القول وان كان له وجه صحيح لكن الاول أظهر وأقوى وهو كما قال ابن جرير رحمه الله ويشهد له بالصحة قوله تعالى أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تورأم أمنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير وفي الحديث ليكون في هذه الامة قذف وخسف ومسخ وذلك مذكور مع نظائره في أمارات الساعة وشرائطها وظهور الآيات قبل يوم القيامة وستأتي في موضعها ان شاء الله تعالى وقوله أو يلبسكم شيئا يعني يجعلكم ملتبسين شيئا فقامتخالفين قال الزوالي عن ابن عباس يعني الا هواء وكذا قال مجاهد وغير واحد وقد ورد في الحديث المروي عنه من طرق عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ستفتقر في هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار

الحسن انهم الذين وعنه حذيفة قال ما قوتل أهل هذه الآية ولم يأت أهلها وعن علي نحوه وقال مجاهد هم فارس والروم والاولى ان الآية عامة في كل رؤساء الكفر من غير تقييد بزمن معين أو بطائفة معينة اعتبارا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومما يفيد ذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن جبير بن نفيرانه كان في عهد أبي بكر الصديق الى الناس حين وجههم الى الشام أنه قال انكم ستجدون قوما مجوفون وسهم فاضربوا مقاعد الشيطان منهم بالسيف فوالله لا أقتل رجلا منهم أحب الي من أن أقتل سبعين من غيرهم وذلك بأن الله يقول فقاتلوا أئمة الكفر (انهم لا إيمان لهم) قال الزمخشري هذه الجملة تعليل لما قبلها والايان جمع بين أي لا عهد لهم وسمى العهد عينا لاشتماله عليه غالباً والمعنى لا إيمان بآية لهم وان وجدت صورة وعين الكافر شرعية عندنا والاستدلال به على ان عين الكافر ليست عينا ضعفه ظاهر لان المراد نفي الوثوق بقرينة وان نكثوا أيمانهم لا يقال الكلام باعتبار اعتقادهم لان المخاطب هم المؤمنون قال حذيفة لا عهد لهم وعن عمارشله وقرئ بكسر الهمزة والمعنى ان هؤلاء الناكثين للإيمان الطاعنين في الدين ليسوا من أهل الايمان بالله حتى يستحقوا العصمة لدماهم وأموالهم فقتالهم واجب على المسلمين وقيل لا وفاء لهم بالعهود وقيل هو من الامان أي لا يعطون أمانا بعد نكثهم وطعنهم يعني لا تؤمنوهم بل اقتلوهم حيث وجدتوهم (اعلمهم ينتهون) عن كفرهم ونكثهم وطعنهم في دين الاسلام والمعنى ان قتالهم يكون الى غاية هي الانتهاء عن ذلك وقد استدل بهذه الآية على ان الذي اذا طعن في الدين لا يقتل حتى ينكث العهد كما قال ابو حنيفة لان الله انما أمر بقتلهم بشرطين أحدهما نقض العهد والثاني الطعن في الدين وذهب مالك والشافعي وغيرهما الى أنه اذا طعن في الدين قتل لانه ينتقض عهده بذلك قالوا وكذلك اذا حصل من الذي مجرد النكث فقط من دون طعن في الدين فانه يقتل (الاتقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) الهمزة الداخلة على حرف النفي للاستفهام التوبيخي مع ما يستفاد منها من التخصيص على القتال والمبالغة في تحققه والمعنى ان من كان حاله كحال هؤلاء من نقض العهد فهو حقيق بأن لا يترك قتاله وان يوجب من فرط في ذلك (وهو ما اخرج الراجل الرسول) من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة لكن لم يخرجوه بل خرج باختياره باذن الله له في الهجرة وتقدم انهم هموا بأحد أمور ثلاثة

(١٠ - فتح البيان ح) الواحدة وقوله تعالى ويذيق بعضكم بأس بعض قال ابن عباس وغير واحد يعني يسلط بعضهم على بعض بالعذاب والقتل وقوله تعالى انظر كيف نصرف الآيات اي نبينها ونوضحها ونقرها عليهم بفقهاون اي يفهمون ويتدبرون عن الله آياته ويحججه وبراهينه قال زيد بن أسلم لما نزلت قل هو القادر على ان يعث عليكم عذابا من فوقكم الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف قالوا ونحن نشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله قال نعم فقال بعضهم لا يكون هذا أبدا أن يقتل بعضنا بعضا ونحن مسلمون فنزلت انظر كيف نصرف

الآيات لعلمهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون رواه ابن أبي حاتم وابن جرير (وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وأما ينسبك الشيطان فلا تقعد بعد الذكري مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكري لعلمهم يتقون) يقول تعالى وكذب به أي بالقرآن الذي جئتكم به والهدى والبيان قومك يعني قريشا وهو الحق أي الذي ليس وراءه حق (٧٤) قل لست عليكم بوكيل أي لست عليكم بحفيظ ولست بموكل بكم كقوله وقل

قله وحبسها واخراجها وانما اقتصر هنا على الهمم بالاخراج لانه هو الذي وقع أثره في الخارج بحسب الظاهر وكانت دار الندوة مكان اجتماع القوم للتحدث وكان قد بناها قصي وقد أدخلت الآن في المسجد فهي مقام الحنفي الآن (وهم يدؤكم) بالقتال (أول مرة) أي يوم بدر قال مجاهد قتال قريش حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم وهمهم باخراج الرسول زعموا أن ذلك عام عمرة النبي صلى الله عليه وسلم في العام التاسع للحديبية تكنت قريش العهد عهد الحديبية وجعلوا في أنفسهم إذا دخلوا مكة أن يخرجوا منها فذلك همهم باخراجهم فلم يتابعهم خزاعة على ذلك فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قالت قريش لخزاعة عميتونا عن اخرجهم فقاتلوهم فقتلوا منهم رجالا (أتخشونهم) الاستفهام للتوبيخ والتقريع أي أتخشون ان ينالكم منهم مكره فمتى كون قتالهم لهذه الخشبة ثم بين ما يجب أن يكون الامر عليه فقال (فإنه أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين) أي هو أحق بالخشبة منكم فانه هو الضار النافع في الحقيقة ومن خشيتكم له أن تقاتلوا من أمرهم بقتاله فان قضية الايمان توجب ذلك عليكم ثم زاد في تأكيد الامر بالقتال فقال (قاتلوهم بعد ذمهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم) ورتب على هذا الامر فوائد الاولي تعذيب الله للكفار بأيدي المؤمنين بالقتل والاسر والثانية اخراؤهم قيل بالاسر وقيل بمنازلهم من النذل والهوان والثالثة نصر المسلمين عليهم وغلبتهم لهم والرابعة أن الله يشفي بالقتال صدور قوم مؤمنين عن لم يشهد القتال ولا حضره والخامسة انه سبحانه يذهب بالقتال غيظ قلوب المؤمنين الذي نالهم بسبب ما وقع من الكفار من الامور الجالبة للغيظ ورحم الصدر فان قيل شفاء الصدور وازهاب غيظ القلوب كلاهما بمعنى فيكون تكرارا قيل في الجواب ان القلب أخص من الصدر وقيل ان شفاء الصدور إشارة الى الوعد بالفتح ولا ريب أن الانتظار للحجاز الوعد مع الثقة به فيه شفاء للصدور وان اذهاب غيظ القلوب إشارة الى وقوع الفتح وقد وقعت للمؤمنين والله الحمد هذه الامور كلها عن عكرمة قال نزلت هذه الآية في خزاعة وعن مجاهد والسدوي وقمادة نحوه وقد ساق القصة ابن اسحق في سيرته وأورد فيها النظم الذي أرسلته خزاعة الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوله

يارب اني ناشد محمدا * حلف أينا وأياه الأتلا

الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اقرأى انما على البلاغ وعليكم السمع والطاعة فمن اتبعني سعدني الدنيا والاخرة ومن خالفني فقد شقي في الدنيا والاخرة ولهذا قال لكل نبأ مستقر قال ابن عباس وغير واحد أي لكل نبأ حقيقة أي لكل خبر وقوع ولو بعد حين كما قال ولتعلن بناء بعد حين وقال لكل أجل كتاب وهذا تهديد ووعيد أكيد ولهذا قال بعده وسوف تعلمون وقوله وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا أي بالكذب والاستنزاع فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره أي حتى يأخذوا في كلام آخر غير ما كانوا فيه من التكذيب وأما ينسبك الشيطان والمراد بذلك كل فرد فرد من آحاد الامم ان لا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير مواضعها فان جلس أحد معهم ناسيا فلا يقعد بعد الذكري مع القوم الظالمين ولهذا ورد في الحديث رفع عن أمتي الخطأ والذم بيان وما استكرهوا عليه

وقال السدي عن أبي مالك وسعيد بن جبيرة في قوله وأما ينسبك الشيطان قال ان نسيت فذكرت فلا تقعد معهم وكذا قال مقاتل بن حيان وهذه الآية هي المشار اليها في قوله وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستمزأهم فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلتم الآية أي انكم اذا جلستم معهم وأقررتموهم على ذلك فقد ساءوتموهم فيما هم فيه وقوله وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء أي اذا تجنّبوهم فلم يجلسوا معهم في ذلك فقد برئوا من عهدتهم وتخلصوا من انهم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرايل عن السدي

عن أبي مالك عن سعيد بن جبيرة قوله وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء قال ما عليك أن يخوضوا في آيات الله إذا فعلت ذلك أي
اذ تجنبتهم وأعرضت عنهم وقال آخرون بل معناه ان جلسوا معهم فليس عليهم من حسابهم من شيء وزعموا أن هذا منسوخ بآية
النساء المدنية وهي قوله انكم اذا مثلتم قاله مجاهد والسدي وابن جرير وغيرهم وعلى قولهم يكون قوله ولكن ذكرى لعلهم
يتقون أي ولكن أمرناكم بالاعراض عنهم حينئذ تذكرهم كبراهم عما هم فيه لعلهم يتقون ذلك ولا يعودون اليه (وذرا الذين اتخذوا
دينهم لعبا ولها ووغرتهم الحياة الدنيا وذكروا ان تبسل نفس بما كسبت (٧٥) ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل

عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين
أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من
جيم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون)
يقول تعالى وذرا الذين اتخذوا دينهم
لعبا ولها ووغرتهم الحياة الدنيا أي
دعهم وأعرض عنهم وأمهلهم قليلا
فإنهم صابرون الى عذاب عظيم
ولهذا قال وذكروا أي ذكر الناس
بهذا القرآن وحذرهم نقمة الله
وعذابه الاليم يوم القيامة وقوله
تعالى أن تبسل نفس بما كسبت
أي ثلاث تبسل قال الضحاك عن
ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن
والسدي تبسل تسل وقال الواجب
عن ابن عباس تفضح وقال قتادة
تجسس وقال مرة وابن زيد تؤاخذ
وقال الكلبي تجزى وكل هذه
العبارات متقاربة في المعنى وحاصلها
الاسلام لله لالهة والحبس عن الخير
والارتهاق عن درك المطلوب كقوله
كل نفس بما كسبت رهينة
الأصحاب اليمين وقوله ليس لها
من دون الله ولي ولا شفيع أي
لا قريب ولا أحد يشفع فيها كقوله
من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه
ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم

وأخرج الترمذي البيهقي في الدلائل ثم قال (ويتوب الله على من يشاء) وهو ابتداء كلام
مستأنف يتضمن الاخبار بما سيكون وهو ان بعض الكافرين يتوب عن كفره كما وقع من
بعض أهل مكة يوم الفتح فأنهم أسلموا وحسن اسلامهم كأبي سفيان وعكرمة وسهيل
ابن عمرو فهؤلاء كانوا أئمة الكفر ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة (١) فان قيل كيف
وقع التوبة جزاء للمقاتلة أوجب بأن القتال قد يكون سببا لها اذا كانت من جهة الكفار
واما اذا كانت من جهة المسلمين فوجهه ان النصر والظفر من جهة الله يكون سببا
لخلوص النية والتوبة عن الذنوب (والله عليم حكيم أم حسبتم أن تتركوا) أم هذه هي
المنقطعة التي بمعنى بل والهزمة والاستفهام للتوبيخ وحرف الاضراب للدلالة على
الاتصال من كلام الى آخر والمعنى كيف يقع الحساب منكم بأن تتركوا على ما أنتم عليه
وقوله ان تتركوا في موضع مفعول الحساب ان عند سيبويه وقال المبرد انه حذف الثاني
والتقدير أم حسبتم أن تتركوا من غير أن تبطلوا بما يظهره المؤمن والمنافق الظهور الذي
يستحق به الثواب والعقاب يعني بدون تكليفكم بالقتال الذي ستموه (ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم) الواو الحالية ولما للنفق مع التوقع والمراد من نفق العلم نفق المعلوم
بالطريق البرهاني اذ لو شئت رائحة الوجود لعلم قطع العلم بالعلم لزم عدمه قطعاً والمعنى كيف
تجسسون انكم تتركون ولما يتبين المخلص منكم في جهادهم من غير المخلص وما في المامن
التوقع منه على ان ذلك سيكون وفائدة التعبير عما ذكر من عدم التبين بعدم علم الله تعالى
أن المقصود هو التبين من حيث كونه متعلقاً بالعلم ومدار الثواب وعدم التعرض لحال
المقصيرين لما أن ذلك بعزل عن الاندراج تحت ارادة أكرم الالكريمين وجملة (ولم يتخذوا
من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) معطوفة على جاهدوا داخله معه في حكم
النفق واقعة في حيز الصلة والوليجة من الولوج وهو الدخول واليولج ولو جاز اذا دخل
فالوليجة الدخيلة قال أبو عبيدة كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة ويكون
للمفرد وغيره بلفظ واحد وقد يجمع على ولا يجمع على كصانف وصحف قال الفراء الوليجة
البطانة من المشركين وقيل وليجة الرجل من يدخله في باطن أموره والمعنى واحد أي
كيف تتخذون دخيلة أو بطانة من المشركين فتشون اليهم اسراركم وتعلمونهم أموركم
من دون الله وقال قتادة وليجة يعني خيانة وقال الضحاك خديعة وقال الراغب الوليجة

الظالمون وقوله وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أي ولو بدلت كل مبدول ما قبل منها كقوله ان الذين كفروا وما اتوا هم كفار فان
يقبل من أحدهم ملء الارض ذهباً الآية وهكذا قال ههنا أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من جيم وعذاب أليم بما
كانوا يكفرون (قل أندعوم من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كاذب استهوته الشياطين في الارض
حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى اثننا قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا بالتسليم لرب العالمين وان أقيموا الصلاة واتقوا وهو الذي
اليه تتشرون وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب
(١) قوله فان قيل الخ كذا في أصله ولعله مرتب على قراءة نصب يتوب كما يؤخذ من عبارة الكشاف اه صححه

والشهادة وهو الحكيم الخبير قال السدي قال المشركون للمسلمين اتبعوا ديننا واتركوادين محمد فأنزل الله عز وجل قل أندعون دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا نأفي الكفر بعد إذ هدانا الله فيصكون مثلنا مثل الذي استهوت به الشياطين في الأرض يقول مثلكم ان كفرتم بعد ايمانكم كمثل رجل خرج مع قوم على الطريق فضل الطريق خيرة الشياطين واستهوت به في الأرض وأصحابه على الطريق فجعلوا يدعونه اليهم يقولون اتنا فانا على الطريق فأبى أن يأتهم فذلك مثل من تهيم بعد المعرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم (٧٦) ومحمد هو الذي يدعو الى الطريق والطريق هو الاسلام رواه ابن جرير

وقال قتادة استهوت به الشياطين في الأرض أضلته في الأرض يعني استهوت به سيرته كقوله تهوى اليهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قل أندعون دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا الآية هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو اليها والدعاة الذين يدعون الى هدى الله عز وجل كمثل رجل ضل عن الطريق تأمها اذ ناداه مناديا فلان بن فلان هلم الى الطريق وله أصحاب يدعونه يا فلان هلم الى الطريق فان اتبع الداعي الاول انطلق به حتى يلقيه الى الهلكة وان أجاب من يدعو الى الهدى اهتدى الى الطريق وهذه الداعية التي تدعو في البرية من الغيلان يقول مثل من يعبد هذه الآلهة من دون الله فانه يرى أنه في شيء حتى يأتيه الموت فيستقبل الندامة والهلكة وقوله كالذي استهوت به الشياطين في الأرض هم الغيلان يدعون به باسمه واسم آبيه وجده فيتبعها ويرى أنه في شيء فيصبح وقد رمته في هلكة وربعا أكلته أو تلبثه في مضلة من الأرض يهلك فيها عظامه هذا مثل من

كل ما يتخذة الانسان معتدا عليه وليس من قولهم فلان وليجة في القوم اذا دخل فيهم (والله خبير بما تعملون) أي بجميع أعمالكم (ما كان للمشركين) أي ما ينبغي ولا يصح لهم (أن يعمروا) من عمر يعمر وقرئ من عمر يعمر أي يجعلون لها من يعمرها عمارة معتداتها (مساجد الله) قرئ بالجمع واختاره أبو عبيدة قال النحاس لانها أعم والخاص يدخل تحت العام وقد يحتمل أن يراد بالجمع المسجد الحرام خاصة لقوله وعمارة المسجد الحرام وهذا جزاء فيما كان من أسماء الاجناس كما يقال فلان يركب الخيل وان لم يركب الا فرسا وقرئ بالافراد ويراد به جنس المسجد وعلى هذا سند راجح فيه سائر المساجد ويدخل المسجد الحرام دخولا أوليا قال النحاس وقد أجمعوا على الجمع في قوله انما يعمر مساجد مساجد الله قلت وهي أيضا محتملة للامرين وعن الحسن البصري انما قال تعالى مساجد والمراد المسجد الحرام لانه قبله المساجد كلها وامامها فعمارة كعامة جميع المساجد أولان كل بقعة وناحية من بقاعه ونواحيه المختلفة الجهات مسجد على حiale بخلاف سائر المساجد اذ ليس في نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد قال الفراء العرب قد تضع الواحد مكان الجمع كقولهم فلان كثير الدرهم وبالعكس كقولهم فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا ملكا واحدا والمراد بالعمارة اما المعنى الحقيقي أو المعنى المجازي وهو ملازمة ودخوله والتعبود والقعود فيه وكلاهما ليس للمشركين اما الاقول فلانه يستلزم المنعة على المسلمين بعمارة مساجدهم واما الثاني فليكون الكفار لا عبادة لهم مع نهيهم عن قربان المسجد الحرام قيل لو أوصى كافر ببناء المسجد لم تقبل وصيته وكذا يمنع من دخول المسجد بغير اذن مسلم حتى لو دخل عزروا ان دخل باذن لم يعزروا ولكن لا بد من حاجة فيشترط للجواز الاذن والحاجة ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالاذن ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم شد ثمامة بن اثال الى سارية من سوارى المسجد وهو كافر والاولى تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها (شاهدين) باظهار ما هو كفر من نصب الاوثان والعبادة لها وجعلها آلهة فان هذا شهادة منهم (على أنفسهم بالكفر) وان أبو ذلك بالسنتهم فكيف يجتمعون بين أمرين متنافيين عمارة المساجد التي هي من شأن المؤمنين والشهادة على أنفسهم بالكفر التي ليست من شأن من يتقرب الى الله بعمارة مساجده وقيل المراد بهذه الشهادة قولهم في طوافهم لبنيك لاشريك لك الا شريك هو لك

أجاب الآلهة التي تعبد من دون الله عز وجل رواه ابن جرير وقال ابن أبي شيحة عن مجاهد كالذي استهوت به الشياطين في الأرض حيران قال رجل حيران يدعوه أصحابه الى الطريق وذلك مثل من يضل بعد اذ هدى وقال العوفي عن ابن عباس قوله كالذي استهوت به الشياطين في الأرض حيران له أصحاب هو الذي لا يستجيب لهدى الله وهو رجل أطاع الشيطان وعمل في الأرض بالمعصية وجار عن الحق وضل عنه وله أصحاب يدعونه الى الهدى ويرغمون ان الذي يأمرونه به هدى يقول الله ذلك لاولياهم من الانس يقول ان الهدى هدى الله والضلال ما يدعو اليه الجن رواه ابن جرير ثم قال وهذا يقتضي أن أصحابه

يدعونه الى الضلال ويرعون أنه هدى قال وهذا اخلاف ظاهر الآية فان الله أخبر أنهم يدعونهم الى الهدى فغير جائز أن يكون ضلالا وقد أخبر الله أنه هدى وهو كما قال ابن جرير فان السياق يقتضى أن هذا الذى استهوته الشياطين فى الارض حيران وهو منصوب على الحال أى فى حال حيرته وضلاله وجهه المحجبه له أصحاب على المحجة سارون فجعلوا يدعونهم اليهم والى الذهاب معهم على الطريقة المنلى وتقدير الكلام فى أى عليهم ولا يلتفت اليهم ولو شاء الله لهداهم ولربته الى الطريق ولهذا قال قل ان هدى الله هو الهدى كما قال ومن يهد الله فإله من مضل وقال ان تحرص (٧٧) على هدايتهم فان الله لا يهدى من يضل ومالهم

من ناصرين وقوله وأمرنا بالنسليم لرب العالمين أى تخلص له العبادة وحده لا شريك له وان أقبلوا الصلاة واتقوه أى أمرنا بأقامة الصلاة وبتقواه فى جميع الاحوال وهو الذى اليه تحشرون أى يوم القيامة وهو الذى خلق السموات والارض بالحق أى بالعدل فهو خالقهم وما مالكهما والمدبر لهما ومن فيهما وقوله ويوم يقول كن فيكون يعنى يوم القيامة الذى يقول الله كن فيكون عن أمره كلج البصر وهو أقرب ويوم منصوب ماعلى العطف على قوله واتقوه وتقديره واتقوا يوم يقول كن فيكون واما على قوله خلق السموات والارض أى وخلق يوم يقول كن فيكون فذ كبره الخلق واعادته وهذا مناسب واما على اضمار فعل تقديره واذا كر يوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك جللتان محلها الجر على انهما صفتان لرب العالمين وقوله يوم ينفخ فى الصور يحتمل أن يكون بدلا من قوله ويوم يقول كن فيكون يوم ينفخ فى الصور ويحتمل أن يكون ظرفا لقوله وله الملك يوم ينفخ فى

تمامك وما ملك مع قولهم نحن نعبد اللات والعزى وقيل ان اليهودى يقول هو يهودى والنصرانى يقول هو نصرانى والصابى يقول هو صابى والمشرى يقول هو مشرك وقال ابن عباس شهادتهم بحجودهم للاصنام وقال الحسن كلامهم بالكفر وقيل شاهدتين على رسولهم بالكفر لانه من أنفسهم وما بعده عن المقام (أولئك حبطت أعمالهم) التى يفتخرون بها ويظنون انها من أعمال الخير مثل العمارة والحجبة والسقاية وفك العانى لانهم مع الكفر لا تأثر لها أى بظلت ولم يبق لها اثر (وفى النار هم خالدون) فى هذه الجملة الاسمية مع تقديم الظرف المتعلق بالخبر تأكيذا لضمونها بين سبحانه من هو حقيق بعمارة المساجد فقال (انما يعمر مساجد الله) الظاهر ان الجمع هنا حقيقة لان المراد جميع المؤمنين العاصرين لجميع مساجد اقطار الارض والتعمير بنحو البناء والترتيب بالقرش والسراج وبالعبادة وترك حديث الدنيا يقال عمرت الدار عمران باب قتل بنتها والاسم العمارة بالكسر وعمرت الخراب عمران باب كتب فهو عا مر أى معمور قال أبو السعود والمراد بالعمارة ما يعمر مرمة ما استمر منها وقها وتظيفها ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك انتهى وقد تقدم الكلام فى وجه جمع المساجد وفى بيان ماهية العمارة ومن يجوز الجمع بين الحقيقة وانجاز محل العمارة هنا عليهم ما قال أبو السعود ادراج المسجد الحرام فى ذلك غير مخالف لمقتضى الحال فان الايجاب ليس كالمسلب وقد قرئ بالافراد أيضا والمراد هنا أيضا قصر تحقق العمارة ووجودها على المؤمنين لا قصر جوارها ولياقتها أى انما يصح ويستقيم ان يعمرها عمارة يعتد بها من آمن بالله (وحده) (واليوم الآخر) فيه من البعث والحساب والجزاء حسب نطق به الوحي (وأقام الصلاة وآتى الزكاة) على ما علم من الدين فيندرج فيه الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتما وقيل هو مندرج تحت الايمان بالله خاصة فان أحد جزأى كلى الشهادة علم للكل وعن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رأيت الرجل يعتمد المساجد فاشهدوا له بالايمان قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أخرجه أحمد والدارمى والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن المنذر والبيهقى وعبد بن حميد وعن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا صغيرا كان أو كبيرا بنى الله له بيتا فى الجنة أخرجه الترمذى وعن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وكقوله الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافر بن عسيرا وما أشبهه واختلف المنسرون فى قوله يوم ينفخ فى الصور فقال بعضهم المراد بالصور هنا جمع صورة أى يوم ينفخ فيها فقبحا قال ابن جرير كما يقال سور لسور البلد وهو جمع سورة والصحيح أن المراد بالصور القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام قال ابن جرير والصواب عندنا ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان اسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ وقال الامام أحمد حدثنا عميل حدثنا سليمان التيمي عن أسلم العجلي عن بشر بن عفان عن عبد الله بن عمرو قال قال اعرابى

يارسول الله ما الصور قال قرن ينفتح فيه وقدروا بنا حديث الصور بطوله من طريق الحافظ أبي القاسم الطبراني في كتابه المطولات قال حدثنا أبو عبد الله بن الحسن المقرئ الابن حدثنا أبو عاصم النبيل حدثنا اسمعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في طائفة من أصحابه فقال ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا بصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قلت يارسول الله وما الصور قال القرن قلت كيف هو قال (٧٨) عظيم والذي بعثني بالحق ان عظم داره فيه لعرض السموات والارض

ينفتح فيه ثلاث نفحات النفخة الاولى نفخة الفرع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفتح فينفخ نفخة للفرع فيفرع أهل السموات والارض الامن شاء الله ويأمره فيطيلها ويديها ولا يفتر وهي كقول الله وما ينظرهؤلاء الا لصيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله الجبال فتمترز السحاب فتكون سرايا ثم ترجع الارض بأهلها رجعة فتكون كالسفينة المرمية في البحر تضربها الامواج تصكأ بأهلها كالقنديل المعلق في العرش ترجفه الرياح وهي التي يقول يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة فيميل الناس على ظهورها وتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفرع حتى تأتي الاقطار فتأتيها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولى الناس مدبرين ما لهم من أمر الله من عاصم ينادي بعضهم بعضا وهو الذي يقول الله تعالى يوم التصادم انما هو على ذلك اذ تصدعت

يقول من بنى مسجدا يبتغي به وجهه الله بنى الله له بيتا في الجنة وقد وردت أحاديث كثيرة في استحباب ملازمة المساجد وعمارتها والتردد اليها لللطاعات (ولم يحش) أحدا (الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) فيه حسم لا طمع الكفار في الانتفاع بأعمالهم فان الموصوفين بتلك الصفات الاربعة اذا كان اهتداؤهم مرجوا فقط فكيف بالكفار الذين لم يتصفوا بشيء من تلك الصفات وقيل عسى من الله واجبة وقال ابن عباس كل عسى في القرآن فهي واجبة كقوله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم عسى أن يعثرك ربك مقاما محمودا وهي الشفاعة وقيل هي بمعنى خلق أى خلق أن يكونوا من المهتدين وقيل ان الرجاء راجع الى العباد قال ابن عباس يقول من وحده الله وآمن بما أنزل الله وأقام الصلوات الخمس ولم يعبد الا الله فهو من المهتدين فمن كان جامعاً بين هذه الاوصاف فهو الحقيقي بعمارة المساجد لا من كان خالياً منها أو من بعضها واقتصر على ذكر الصلاة والزكاة والخشية تنبهاً بما عظم أمور الدين على ما عدها مما افترضه الله على عباده لان كل ذلك من لوازم الايمان والاستفهام في قوله (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) للانكار وهو استثناء في حوطة به المشركون التفاتاً عن الغيبة في قوله ما كان للمشركين ان يعمرورا والسقاية والعمارة مصدران كالسعاية والحماية لا يتصور تشبيههما بالايمان والجنث فلا بد من اضمحار تقديره أ جعلتم سقاية الحاج أو أ جعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاية الحاج وعمرة المسجد جمع ساق وعامر وفيها تشبيه ذات بذات كما في الوجه الاول وعلى هذا الاحتياج الى تقدير محذوف (كمن) أى كإيمان أو كعمل من (آمن بالله واليوم الآخر وجهدي سبيل الله) حتى يتفق الموضوع والمحمول (لا يستوون عند الله) المعنى أن الله أنكر عليهم التسوية بين ما كان تعمله الجاهلية من الاعمال التي صورتها صورة الخيرة وان لم ينته عواجها وبين ايمان المؤمنين وجهادهم في سبيل الله وقد كان المشركون يتفخرون بالسقاية والعمارة وينضلونهم على عمل المسلمين فأنكر الله عليهم ذلك فصرح سبحانه بالمفاضلة بين الفريقين وتفاوتهم وعدم استوائهم أى لانساوى تلك الطائفة الكافرة الساقية للبعج العامرة للمسجد الحرام هذه الطائفة المؤمنة بالله واليوم الآخر المجاهدة في سبيله ودل سبحانه بنفي الاستواء على نفي الفضيلة التي يدعيها المشركون أى اذ لم تبلغ أعمال الكفار

الارض من قطر الى قطر فأمر اعظيالم بر وامله وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما لله به عليهم ثم نظروا الى السماء فاذا هي كالمهل ثم انشقت فانتشرت نجومها وانخسفت شمسها وقرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاموات لا يعلمون بشيء من ذلك قال أبو هريرة يارسول الله من استغنى الله عز وجل حين يقول ففرغ من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله قال اولئك الشهداء وانما يصل الفرع الى الاحياء وهم احياء عند الله يرزقون وقاهم الله فرغ ذلك اليوم وآمنهم منه وهو عذاب الله يعثمه على شرار خلقه قال وهو الذي يقول الله عز وجل يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة على

عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فيقومون في ذلك البلاء ما شاء الله الا انه يطول ثم يأمر الله اسرافيل بنفخة الصعق فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والارض الامن شاء الله فاذا هم قد خدوا وجاء ملك الموت الى الجبار عز وجل فيقول يا رب قدمات أهل السموات والارض الامن شئت فيقول الله وهو أعلم عن بقي فمن بقي فيقول يا رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حمله العرش وبقى جبريل وميكائيل فينطق الله العرش فيقول يا رب يموت جبريل وميكائيل فيقول اسكت (٧٩) فاني كتبت الموت على كل من كان تحت عرشى

فيؤمنان ثم يأتي ملك الموت الى الجبار فيقول يا رب قدمات جبريل وميكائيل فيقول الله وهو أعلم بمن بقي فمن بقي فيقول بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حمله عرشك فيقول الله لبت حمله العرش فيموتوا ويأمر الله العرش فيقبض الصور من اسرافيل ثم يأتي ملك الموت فيقول يا رب قدمات حمله عرشك فيقول الله وهو أعلم عن بقي فمن بقي فيقول يا رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت أنا فيقول الله أنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فت فيموت فاذا الميق الا الله الواحد القهار الاحد الذى لم يلد ولم يولد كان آخر كما كان اول طوى السموات والارض طوى السجبل للكتاب ثم دحاها ثم تلقفها ما ثلاث مرات ثم يقول أنا الجبار أنا الجبار ثلاث مرات ثم ينفث بصوته لمن الملك اليوم ثلاث مرات فلا يجيبه أحد ثم يقول لنفسه الله الواحد القهار يقول الله يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات فيبسطنهما ويسمطنهما ثم يدهمهما من الاديم العكاظى لا ترى فيها عوجا ولا أمما

الى أن تكون مساوية لاعمال المسلمين فكيف تكون فاضله عليها كما يزعمون وهذا الكلام استئناف مؤكدا لما علم من ابطال المساواة بالتوابع المستفاد من الاستفهام أى لا يستوى القريبان ثم حكم عليهم بالظلم فقال (والله لا يهدي القوم الظالمين) أى انهم مع ظلمهم بما هم فيه من الشرك لا يستحقون الهداية من الله سبحانه وهو تعليل فى المعنى لنقي المساواة وفى هذا الاشارة الى القريب المفضل ثم صرح بانثريق الفاضل فقال (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وانفسهم اعظم درجة) أى الجامعون بين الايمان والهجرة والجهاد بالاموال والانفس أحق بما لديه من الخير من تلك الطائفة المشركة المنفردة بأعمالها المحبطة الباطلة وفى قوله (عند الله) تشرىف عظيم للمؤمنين (وأولئك) أى المتصفون بالصفات الثلاثة المذكورة (هم الفائزون) بسعادة الدارين المختصون بالفوز المحصلون لأصله بالنسبة لكون الغير أهل السقاية والعمارة والمحصلون لآكله بالنسبة لكون الغير من لم يجمع الاوصاف المذكورة ثم فسر الفوز بقوله (يشرهم برحمة منه ورضوان وحنان) التسكرى فى الثلاثة للتعظيم والمعنى انها فوق وصف الواصفين وتصور المتصورين قال أبو حيان لما وصف الله المؤمنين بثلاث صفات الايمان والهجرة والجهاد بالنفس والمال قابلهم على ذلك بالتبشير بثلاث وبدأ بالرحمة فى مقابلة الايمان لتوقعها عليه وثنى بالرضوان الذى هو نهاية الاحسان فى مقابلة الجهاد الذى فيه بذل النفس والاموال ثم ثلث بالحنان فى مقابلة الهجرة وترك الاوطان اشارة الى أنهم لما آثروا تركها بدلهم دار عظيمة دائمة وهى الجنات انتهى (لهم فيها نعيم مقيم) الدائم المستمر الذى لا يفارق صاحبه (خالدين فيها أبدا) ذكر الابد بعد الخلود تأكيده (ان الله عنده أجر عظيم) مؤكدة لما قبلها مع تضمنها للتعليل أى أعطاهم الله سبحانه هذه الاجور العظيمة لكون الاجر الذى عنده عظيما به من ما يشاء لمن يشاء وهو ذو الفضل العظيم وهذه أعظم البشارات ونهاية المقصودات (بأيمانهم الذين آمنوا واتخذوا آباءكم واهوانكم أولياء) يعنى بطانته وأصدقائه تفشون اليهم أسرارهم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة والخطاب للمؤمنين كافة وهو حكم باق الى يوم القيامة يدل على قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين والمراد النهى لكل فرد من أفراد المخاطبين عن موالاتهم من أفراد المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجب

يزجر الله الخلق زجرة فاذا هم فى هذه المبدلة مثل ما كانوا فيها من الاولى من كان فى بطنها كان فى بطنها ومن كان على ظهرها كان على ظهرها ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش ثم يأمر الله السماء أن تمطر فتطرأربعين يوما حتى يكون الماء فوقهم اثني عشر ذراعا ثم يأمر الله الاجساد ان تبت فتبت كسبات الطرائث أو كسبات البقل حتى اذا تكاملت اجسادهم فكانت كما كانت قال الله عز وجل ليحى حمله عرشى فيصيون ويأمر الله اسرافيل فباخذ الصور فيضعه على فيه ثم يقول ليحى جبريل وميكائيل فيحييان ثم يدعو الله الارواح فيؤتى بها توهج أرواح المسلمين نوراً وأرواح الكافرين ظلمة فيقبضها جميعاً ثم يلقها فى الصور ثم يأمر الله

اسرافيل أن ينفخ نفخة البعث فتخرج الارواح كأنها النحل قدملاّت ما بين السماء والارض فيقول وعزقي وجلالي ليرجعن كل روح الى جسده فدخل الارواح في الارض الى الاجساد فتدخل في الخياشيم ثم تشي في الاجساد كما تشي السم في اللديغ ثم تنشق الارض عنكم وأنا أول من تنشق الارض عنه فتخرجون سراعا الى ربكم تنسلون مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر حفاة عراة غرلا فقفون موقنا واحدا مقداره سبعون عاما لا ينظر اليكم ولا يقضى بينكم فتيكون حتى تنقطع الدموع ثم تدعون دما وتعرفون حتى يلجمكم (٨٠) أو يبلغ الأذقان ويقولون من يشفع لنا الى ربنا فيقضى بيننا

فيقولون من أحق بذلك من أيكم آدم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكله قبلا فيأتون آدم فيطلبون ذلك اليه فيأبى ويقول ما أنا بصاحب ذلك فيستقرون الانبياء نبيانيا كلما جاؤا نبييا أبى عليهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأتوني فانطلق الى القيص فأخر ساجدا قال أبو هريرة يارسول الله وما الفحص قال قدام العرش حتى يعث الله الى ملكا فأتا خذ بعضى فيرفعي فأقول لي محمدا فأقول نعم يارب فيقول الله عز وجل ما شأنك وهو أعلم فأقول يارب وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك فأقضى بينهم قال قد شفعك أنا آتيكم أفضى يتسكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرجع فأقف مع الناس فيبيننا نحن وقوف اذ سمعنا حاسن السماء شديدا فها لنا فنزل أهل السماء بمثل من في الارض من الجن والانس حتى اذا دنوا من الارض أشرفت الارض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم أفيكم ربنا قالوا لا ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف حتى ينزل الجبار عز وجل في ظل من

لانقسام الاحاد الى الاحاد كما في قوله وما للظالمين من انصار لان موالاته طائفة منهم فان ذلك مفهوم من اللفظ دلالة لا عبارة وقالت طائفة من أهل العلم انها نزلت في الحض على الهجرة وروض بلاد الكفر فيكون الخطاب لمن كان من المؤمنين بمكة وغيرهما من بلاد العرب فهو أن يوالوا الابهاء والاخوة فيكونون لهم تبعاً في سكنى بلاد الكفر وقال بعضهم حمل هذه الآية على الهجرة مشكلا لان هذه السورة نزلت بعد الفتح وهي آخر القرآن نزولا والا قرب ان يقال ان الله تعالى لما أمر بالتبري عن المشركين قالوا كيف يمكن أن يقاطع الرجل أباه وأخاه وابنه فذكر الله تعالى ان مقاطعة الرجل اهله وأقاربه في الدين واجبة فال مؤمن لا يوالى الكافران كان أباه وأخاه وابنه وقال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس لما أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس بالهجرة الى المدينة فممن من تعلق به أهله وأولاده يقولون نشدك بالله أن لا نضيعنا ففرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فأ نزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم وأ نزل هذه الآية والعبرة لعموم اللفظ لخصوص السبب (ان استحبوا الكفر) أي أحبوا كما يقال استجاب بمعنى أجاب وهو في الاصل طلب المحبة أي ان اختاروا الكفر وأقاموا عليه (على الايمان) وتركوه وقد تقدم تحقيق المقام في سورة المائدة ثم حكم على من يتولى من استحب الكفر على الايمان من الابهاء والاخوان بانظلم فقال (ومن يتولهم) فيه مراعاة لفظ من (منكم فأولئك) فيه مراعاة معناها (هم الظالمون) فدل ذلك على ان يتولى من كان كذلك واختيار المقام معه على الهجرة والجهاد من أعظم الذنوب وأشدها ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً له (قل ان كان أبأؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقربتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله) العشيرة الجماعة المجتمعة التي ترجع الى نسب وعقد واحد أو ودة كعقد العشيرة وعشيرة الرجل أهله وقرباته الأذنون وهم الذين يعاشره ويتكلم بهم سواء بلغوا العشرة أم فوقها وهي اسم جمع وقرأ السلمي وأبورا جاء عشيرتكم بالجمع ووجهه ان لكل من الخطابين عشيرة فحسن الجمع قال الاخفش لا تكاد العرب تجمع عشيرة على عشيرات

الغمام والملائكة ويحمل عرشه يومئذ ثمانية وهو اليوم أربعة أقدامهم في تخوم الارض السفلى والارض والسموات الى حيزتهم والعرش على منابكهم لهم نزل في تسميتهم يقولون سبحان ذي العرش والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت سبحان الذي يمت الخلائق ولا يموت سبوح قدوس قدوس سبحان ربنا الاعلى رب الملائكة والروح سبحان ربنا الاعلى الذي يمت الخلائق ولا يموت فيضع الله كرسيه حيث شاء من أرضه ثم هتف بصوته يا معشر الجن والانس اني قد أنصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا اسمع قولكم وأبصر أعمالكم وحقكم تقرأ عليكم

فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع ثم يقول ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جملا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون وبها تكذبون واما تاروا اليوم أيها المجرمون فيميز الله الناس وتجتوا الامم يقول الله تعالى وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها فيقضى الله عز وجل بين خلقه الا الثقلين الجن والانس فيقضى بين الوحوش والبهائم حتى انه يقضى للجماء من ذات القرن فاذا فرغ من ذلك فلم يبق (٨١) تبعة عند واحدة لاخرى قال الله كوني ترابا

فبعد ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ثم يقضى الله بين العباد فكان أول من يقضى فيه الدماء ويأتي كل قبيل في سبيل الله عز وجل ويأمر الله كل قبيل بحمل رأسه تشخب أو داجه ية قول يارب فيم قتلني هذا فيقول وهو أعلم فيم قتلته

فيقول قتلتم لتكون العزة لك فيقول الله له صدقت فيجعل الله وجهه مثل نور الشمس ثم يربه الملائكة الى الجنة ويأتي كل من قتل غير ذلك يحمل رأسه تشخب أو داجه فيقول يارب قتلني هذا فيقول وهو أعلم قتلته فيقول يارب قتلتم لتكون العزة لك ولي تعست ثم لا تبقى نفس قتلها الا مثل بها ولا مظلة لاحد عند احد الا

أخذها للمظلوم من الظالم حتى انه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه الى أن يخلص اللبن من الماء فاذا فرغ الله من ذلك نادى مناد يسمع الخلائق كلهم ألا يلحق كل قوم بالهتهم الى النار وهو الذي يقول لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون فاذا لم يبق الا المؤمنون فيهم المنافعون جاءهم الله فيما شاء

وانما يجتمعون على عشاير وهذه القراءة حجة عليه وقرأ الحسن عشايركم والباقون عشايرتكم والاقتراف الاكتساب وأصله اقتطاع الشيء من مكانه والتركيب يدور على الدنو والكتساب يدنى الشيء من نفسه ويدخل تحت ملكه والتجارة الامتعة التي يشترونها ليربحوا فيها والكساد عدم النفاق لفوات وقت بيعها بالهجرة ومفارقة الاوطان ومن غرائب النفس يروى عن ابن المبارك انه قال ان المراد بالتجارة في هذه الآية البنات والاخوان اذا كسدن في البيت لا يجدون لهن خاطبا واستشهد بذلك بقول الشاعر

كسدن من الفقر في قومهن * وقد زادهن مقامى كسادا

وهذا البيت وان كان فيه اطلاق الكساد على عدم وجود الخاطب لهن فليس فيه جواز اطلاق اسم التجارة عليهن والمراد بالمساكن المنازل التي تعجبهم وتغيب اليها انفسهم ويرون الإقامة اليها أحب اليهم من المهاجرة الى الله ورسوله ومن الجهاد في سبيله فبعدوا الاجل ما ذكر من الامور الثمانية أو لاجل جهلها والتعرض للصفات المذكورة للايدان بان اللوم على محبة ما ذكر من زينة الحياة الدنيا ليس لتناسي ما فيها من مبادئ المحبة وموجبات الرغبة فيها وانما مع ما لها من فنون المحاسن معزل من ان يؤثر جهلها على حبه تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما في قوله عز وجل ما عرك برك الكريم والمراد بالحب الاختياري دون الطبيعي وهو اثارهم وتقديم طاعتهم لاميل الطبع فانه أمر جبلي لا يمكن تركه ولا يؤاخذ عليه ولا يكف الانسان بالتحفظ عنه (فتربصوا) أى فاتظروا

(حتى يأتي الله بأمره) فيكم وما تقتضيه مشيئته من عقوبتكم وقيل المراد بأمر الله سبحانه القتال وقيل فتح مكة وفيه بعد فقد روى ان هذه السورة نزلت بعد الفتح وقيل هو عقوبة عاجله أو آجله وفي هذا وعيد شديد وتهديد لهم ويؤكد به اهم الامر وعدم التصريح به لتذهب انفسهم كل مذهب وتتردد بين أنواع العقوبات وانما كان تهديدا لكونهم آثر والذات الدنيا على الآخرة وهذا اقل من يتخلص منه ولذا قيل انها أشد آية نعت على الناس كما فصله في الكشف وهذه الآية تدل على انه اذا وقع التعارض بين مصلحة واحدة من مصالح الدين وبين مهمات الدنيا وجب ترجيح الدين على الدنيا لسبب الدين سليمان (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أى الخارجين عن طاعته التافرين عن امتثال أو امره ونواهيهم (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) تذكير للمؤمنين بنعمة عليهم

(١١ - فتح البيان ح) من هيئته فقال يا أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بالهتهم كما كنتم تعبدون فيقولون والله ما لنا الا الله وما كنا نعبد غيره فيكشف لهم عن ساقه ويحبلي لهم من عظمتها ما يعرفون انه ربهم فيضرون سجدا على وجوههم ويحز كل منافق على قفاه ويجعل الله أصلاهم كصاى المقر ثم يأذن الله لهم فيرفعون ويضرب الله الصراط بين ظهراني جهنم كحد الشعرة أو كحد السيف عليه كلاليب وخطاطيف وحسك كحسك السعدان دونه جسر رخص مذلة فيمرون كطرف العين أو كلعج البرق أو كسر الريح أو كجباد الخيل أو كجباد الركب أو كجباد الرجال فناج سالم وناج محذوش ومكر دس على وجهه في جهنم فاذا

من خلق ربك أو بقولهم أعمالهم فمنهم من تأخذ النار قدسية لا يجوز ومنهم من تأخذها إلى أنصاف سابقه ومنهم من تأخذها إلى
ركبتيه ومنهم من تأخذها إلى حقويه ومنهم من تأخذ جسده كله أو وجهه حرم الله صورته عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يارب من وقع في النار من أمتي فيقول أخر جوامن عرقم فيخرجوا أولئك حتى لا يبقى منهم أحد ثم يأذن الله في الشفاعة فلا يبقى نبي
ولا شهيد الا شفيع فيقول الله أخر جوامن وجسدتم في قلبه زنة دينار ايماناً فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد ثم يشفع الله
فيقول أخر جوامن في قلبه ايماناً ثلثي دينار ثم يقول ثلث دينار ثم يقول ربع (٨٢) دينار ثم يقول قيراط ثم يقول حبة من خردل

فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم
وحتى لا يبقى في النار من عمل الله
خير اقل ولا يبقى أحد له شفاعة
الشفيع حتى ان ابليس يتطاول بما
يرى من رحمة الله رجاء ان يشفع له ثم
يقول بقيت وأنا أرحم الراحمين
فيدخل يده في جهنم فيخرج منها
مالاً يصصيه غيره كأنهم جم فيلقون
على نهر يقال له نهر الحيوان
فينبتون كما تنبت الحبة في حبل
السيل ما يلقى الشمس منها أخضر
وما يلبى الظل منها أصفر فينبتون
كسبات الطرائث حتى يكونوا
أمثال الذر مكتوب في رقابهم
الجهنميون عتقاء الرحمن يعرفهم
اهل الجنة بذلك الكتاب ما عملوا
خير الله قط فمكتوب في الجنة ما شاء
الله وذلك الكتاب في رقابهم ثم
يقولون ربنا ما كنا نعلم ان هذا الكتاب
فيمعوه الله عز وجل عنهم ثم ذكره
بطوله ثم قال هذا حديث وهو
غريب جداً وبعضه شواهد
في الاحاديث المتفرقة وفي بعض
الفاظه نكارة تفرد به اسمعيل بن
رافع قاضي أهل المدينة وقد اختلف

ما قالوا وما عجبهم من كثرتهم فانتقوا فنهزموا حتى ما يقوم أحد منهم على أحد حتى جعل
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينادي احياء العرب الى الى قوا الله ما يرج عليه أحد
حتى أعزى موضعه فالتفت الى الانصار وهم ناحية فناداهم يا انصار الله وانصار رسوله الى
عباد الله انار رسول الله فجنوا يكون وقالوا يا رسول الله ورب السكعة اليك والله فنكسوا
رؤسهم ليكون وقدموا السيفهم يضربون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى
فتح الله عليهم وقيل ناداهم العباس باذنه وكان صيته يسمع صوته من نحو ثمانمائة أميال فقاتلوا
ووقعة حنين مذكورة في كتب السير والحديث بطولها وتفصيلها فلا تطول بذلك (ثم
أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) أي أنزل ما يسكنهم فيذهب خوفهم حتى وقع
منهم الاجتراء على قتال المشركين بعد ان ولوا مدبرين ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ثابت لم يفر والمراد بالمؤمنين هم الذين لم ينهزموا وقيل الذين انهزموا والظاهر جميع
من حضر منهم لانهم يتوابع ذلك وقاتلوا وانصروا (وأُنزل جنوداً لم تروها) هم
الملائكة واختلف في عددهم على أقوال قيل كانوا خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف
وقيل ستة عشر ألفاً وقيل غير ذلك وهذا لا يعرف الا من طريق النبوة واختلفوا ايضا على
قاتلت الملائكة في هذه اليوم أم لا وقد تقدم ان الملائكة لم تقابل الا يوم بدر وانما
حضروا في غير يوم بدر لقوية قلوب المؤمنين وادخال الرعب في قلوب المشركين وان
كانوا الايرونهم وقيل ان الكفار كانت تراهم عن جبير بن مطعم قال رأيت قبل هزيمة
القوم والناس يقتتلون مثل الجباد (١) الاسود اقبل من السماء حتى سقط بين القوم
فنظرت فاذا نخل اسود ممشوث قدملاً الوادي لم أشك انها الملائكة ولم تكن الا هزيمة للقوم
وأخرج الطبراني والحاكم وصححه وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود قال كنت
مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين فولى عنه الناس وبقيت معه في ثمانين رجلاً
من المهاجرين والانصار فكان على أقدامنا نحو امان ثمانين قدما ولم نزلهم الدبر وهم الذين
أنزل عليهم السكينة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بعلمه البياض مضى قدما فقال
ناولني كفاسن تراب فنالته فضرب به وجوههم فامتلأت أعينهم تراباً وولى المشركون
أدبارهم (وعذب الذين كفروا) بما وقع عليهم من القتل والاسر وأخذ الاموال وسبي
الذرية وقال السدي قتلهم بالسيف قيل أسر ستة آلاف من نساءهم وصبيانهم ولم تقع

فيه فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه ونصر على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو بن
علي الفلاس ومنهم من قال فيه هو متروك وقال ابن عدى أحاديثه كلها فيها نظر الا أنه يكتب حديثه في جملته الضعفاء قات
وقد اختلف عليه في اسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد افردتها في جزء على حدة وأما مساقه فغريب جداً ويقال انه جمعه من
أحاديث كثيرة وجعله سيباقاً واحداً فانكر عليه بسبب ذلك وسمعت شيخنا الخافظ أبا الخجاج المزني يقول انه رأى اللوليد بن مسلم
مصنفاً قد جمع فيه كل الشواهد لبعض مفردات هذا الحديث فالثقة أعلم (واذ قال ابراهيم لبيه آزر اتخذنا ما آلهة اى أراك

وقومك في ضلال ميين وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من المؤمنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذاربي فلما اقل قال لأحب الاقلين فلما رأى القمر بازغا قال هذاربي فلما اقل قال لئن لم يهدينى ربى لا كون من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذاربي هذا أكبر فلما اقلت قال يا قوم انى برى مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين قال الضحاك عن ابن عباس ان ابا ابراهيم لم يكن اسمه آزر وانما كان اسمه تارخ رواه ابن ابي حاتم وقال أيضا حدثنا أحمد بن عمرو بن ابي (٨٤) عاصم النبيل حدثنا ابي حدثنا ابو عاصم شيبب حدثنا عكرمة عن ابن عباس

في قوله واذا قال ابراهيم ليه آزر
يعنى بازر الصنم وابو ابراهيم اسمه
تارخ و أمه اسمها مشلى وامرأته
اسمها سارة وأم اسمها عيل اسمها
هاجر وهى سريه ابراهيم وهكذا
قال غير واحد من علماء النسب ان
اسمه تارخ وقال مجاهد والسدى
آزر اسم صنم قلت كأنه غلب عليه
آزر لخدمته ذلك الصنم فالله أعلم
وقال ابن جرير وقال آخرون هو سب
وعيب بكلامهم ومعناه معوج ولم
يسنده ولا حكاه عن أحد وقد قال
ابن ابي حاتم ذكر عن معمر بن سليمان
سمعت ابي يقرأ واذا قال ابراهيم
لايه آزر بلغنى أنها أعوج وانها
أشد كلمة قالها ابراهيم عليه السلام
ثم قال ابن جرير والصواب ان اسم
أبيه آزر ثم أورد على نفسه قول
النسابة ان اسمه تارخ ثم أجاب بأنه
قد يكون له اسمان كالكثير من الناس
أو يكون أحدهما القبا وهذا الذى
قاله جيد قوى والله أعلم واختلف
القراء في أداء قوله تعالى واذا قال
ابراهيم ليه آزر حتى ابن جرير عن
الحسن البصرى و ابي يزيد المدينى
انهم ما كانوا يقرآن واذا قال ابراهيم

غنية أعظم من غنيتهم فقد كان فيها من الابل اثنا عشر ألفا ومن الغنم مالا يحصى عددا
ومن الاسرى ما سمعته وكان فيها غير ذلك (وذلك) التعذيب المفهوم من عذب (جزء
الكافرين) سعى ما حل بهم من العذاب في هذا اليوم جزاء مع انه غير كاف بل لابد من
عذاب الاخرة مبالغة في وصف ما وقع عليهم وتعظيمه (ثم يتوب الله من بعد ذلك)
التعذيب (على من يشاء) ممن هداهم منهم الى الاسلام (والله غفور) يغفر لمن أذنب
فتاب (رحيم) بعبادته متفضل عليهم بالمغفرة لما اقترفوه (يا أيها الذين آمنوا انما
المشركون نجس) أى ذؤ ونجاسة لان معهم الشرك الذى هو بمنزلة النجس والتنجس
مصدر لابتنى ولا يجمع يقال رجل نجس وامرأة نجس ورجلان نجس وامرأتان نجس
ورجال نجس ونساء نجس ويقال نجس ونجس بكسر الجيم وضمهها ويقال نجس بكسر
النون وسكون الجيم وهو تخفيف من المحرك قيل لا يستعمل الا اذا قيل معه رجس وقيل
ذلك أكثرى لا كلنى والمشركون مبتدأ وخبره المصدر وصفهم بذلك حتى كأنهم عين
النجاسة والقدر نخب باطنهم مبالغة في وصفهم بها قال ابن عباس أعيانهم نجسة
كالكلاب والخنازير وقال قتادة ومعمر وغيرهما انهم وصفوا بذلك لانهم لا يتطهرون
ولا يغتسلون ولا يتجنبون النجاسات فهى ملابسة لهم قيل أراد المشركين عبدة الاصنام
دون غيرهم من اصناف الكفار وقيل بل جميع اصنافهم من اليهود والنصارى وغيرهم
وقد استدل بالآية من قال بأن المشرك نجس الذات كما ذهب اليه بعض الظاهرية وروى
عن الحسن البصرى وهو محكى عن ابن عباس وقال الحسن بن صالح من مس مشركا
فليتوضأ و يروى هذا عن الزيدية وتذهب الجمهور من السلف والخلف ومنهم أهل المذاهب
الاربعة الى ان الكافر ليس بنجس الذات لان الله سبحانه أحل طعامهم وثبت عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك من فعله وقوله ما يفيد عدم نجاسة ذواتهم فأكل في آيتهم
وشرب منها وتوضأ فيها وأنزلهم في مسجده وهو الحق وعن جابر بن عبد الله في هذه الآية
قال الا ان يكون عبداً واحداً من أهل الذمة (فلا يقربوا المسجد الحرام) الفاء
للتفريع فعدم قربانهم للمسجد الحرام متفرع على نجاستهم وانما هو عن الاقتراب
للمبالغة في المنع من دخول الحرم ونهى المشركين ان يقربوا راجع الى نهى المسلمين عن
تمكينهم من ذلك قاله أبو السعود فهو من باب قولهم لأرى نكهاً والمراد بالمسجد الحرام

لايه آزر اتخذ أصناماً آلهة معناه يا آزر اتخذ أصناماً آلهة وقرأ الجمهور بالفتح ما على انه علم أجمعي لا ينصرف جميع
وهو بدل من قوله لايه أو عطف بيان وهو أشبه وعلى قول من جعله نعتاً لا ينصرف أيضاً كأحمر واسود فأما من زعم انه منصوب
لكونه معمولا لقوله اتخذ أصناماً فتقديره يا آزر اتخذ أصناماً آلهة فانه قول بمعنى اللغة فان ما بعد حرف الاستفهام لا يعين
فيما قبله لان له صدر الكلام كذا قرره ابن جرير وغيره وهو مشهور في قواعد العربية والمقصود ان ابراهيم وعظاياه في عبادة
الاصنام وزجر عنها ونهاه فلم ينته كما قال واذا قال ابراهيم ليه آزر اتخذ أصناماً آلهة أى أتأله لصنم تعبد من دون الله انى أراك

وقومك أي السالكين بسلكك في ضلال مبين أي تأمّن من لا يهتدون أن يسلكون بل أمر كم في حيرة وضلال وجهل بين واضح لكل ذي عقل سليم وقال تعالى واذكري الكتاب إبراهيم أنه كان صديقاً نبياً اذ قال لا يهتدون أن يسلكوا ولا يصبروا ولا يغني عنك شيئاً يا آبت انى قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطاً سوياً يا آبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرجن عصياً يا آبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرجن فتكون للشيطان ولياً قال أرأغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لارجنك واهجرني ملياً قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى خفياً (٨٥) واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو

ربى عسى أن لا أكون بدعاً ربى شقياً فكان إبراهيم عليه السلام يستغفر لآبيه مدة حياته فلما مات على الشرك وتبين إبراهيم ذلك رجح عن الاستغفار له وتبرأ منه كما قال تعالى وما كان استغفار إبراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان إبراهيم لأواه حليم وثبت في الصحيح أن إبراهيم باق أباه آزر يوم القيامة فيقول له أزي يا بنى اليوم لأعصيك فيقول إبراهيم أى رب ألم تعدنى انك لا تخزنى يوم يعنون وأى خزى أخزى من أبى الا بعد فيقال يا إبراهيم انظر ما وراءك فأذا هو بديع ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار وقوله وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض أى نبين له وجه الدلالة في نظره الى خلقها الى وحدانية الله عز وجل في ملكه وخلقها وانه لا اله غيره كقوله أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وقال أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نفس بهم الارض أو نسقط عليهم كسفان السماء في ذلك

جميع الحرم روى ذلك عن عطاء فمنعون عنده من جميع الحرم ويؤيده هذا قوله تعالى سبحانه الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام أراد به الحرم لانه أسرى رسول الله صلى الله وآله عليه وسلم من بيت أم هانئ وذهب غيره من أهل العلم الى أن المراد المسجد الحرام نفسه فلا يمنع المشرك من دخول سائر الحرم وقد اختلف أهل العلم في دخول المشرك غير المسجد الحرام من المساجد فذهب أهل المدينة الى منع كل مشرك عن كل مسجد وقال الشافعي الاية عامة في سائر المشركين خاصة في المسجد الحرام فلا يمنعون من دخول غيره من المساجد قال ابن العربي وهذا جود منه على الظاهر لان قوله تعالى انما المشركون نجس تنبيه على العلة بالشرك والنجاسة ويجاب عنه بأن هذا القياس مردود بربطه صلى الله عليه وآله وسلم للمامة بن مال في مسجده وانزال وفد ثقيف فيه وروى عن أبى حنيفة مثل قول الشافعي وزاد انه يجوز دخول الذى سائر المساجد من غير حاجة وقيد الشافعي بالحاجة وقال قتادة انه يجوز ذلك للذى دون المشرك والحاصل ان بلاد الاسلام في حق الكفار ثلاثة أنواع أحدها الحرم فلا يجوز لكافر أن يدخله بحال ذمياً كان أو مستأمناً لظاهر هذه الاية وبه قال الشافعي وأحمد ومالك واذا جاء رسول من دار الكفر الى الامام والامام في الحرم لا يأذن له في دخول الحرم بل يخرج اليه الامام أو يعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم والثاني الحجاز وحده ما بين يمامة واليمن ونجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهايم ونصفها حجازي وقيل كلها حجازي وقال ابن الكلبى حد الحجاز ما بين جبل طى وطريق العراق قال الحزبي وتبولك من الحجاز فيجوز للكفار دخول أرض الحجاز بالاذن ولكن لا يقعون فيها أكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة أيام لاحديث صحيحة في هذا الباب منها ما روى عن عمر بن الخطاب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا يخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع الا مسلماً وأجلاهم عمر في خلافته وأجل لمن قدم منهم تاجر اثنان وجزيرة العرب من أقصى عدن الى ريف العراق في الطول واما في العرض فن جسد وما والاها من ساحل البحر الى أطراف الشام والثالث سائر بلاد الاسلام فيجوز للكفار أن يقسم فيها بعهد أو أمان وذمة لكن لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم حاجة (بعد عامهم هذا) فيه قولان أحدهما انه سنة تسع وهى التي حج فيها أبو بكر على الموسم وهو عام نزول السورة الثاني انه سنة عشر قاله

لاية لكل عبد منيب واماماً حكاها ابن جرير وغيره عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبيرة والسدى وغيرهم قالوا واللفظ لجاهد فرجت له السموات فنظر الى ما فيهن حتى انتهى بصره الى العرش وفرجت له الارضون السبع فنظر الى ما فيهن وزاد غيره فجعل ينظر الى العباد على المعاصى ويدعو عليهم فقال الله له انى أرحم بعبادى منك لعلهم ان توبوا أو يرجعوا وروى ابن مردويه في ذلك حديثين مرفوعين عن معاذ على ولكن لا يصح اسنادهما والله أعلم وروى ابن أبي حاتم عن طريق العوفى عن ابن عباس في قوله وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فانه تعالى جلالة

الأمر بسره وعلايته فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق فلما جعل بلعن أصحاب الذنوب قال الله انك لن تستطيع هذا فرده كما كان قبل ذلك فيحتمل أن يكون هذا كشف له عن بصره حتى رأى ذلك عما ناول يحتمل أن يكون عن بصيرته حتى شاهده بفؤاده وتحققه وعرفه وعلم ما في ذلك من الحكم الباهرة والدلالات القاطعة كما روى الامام أحمد والترمذي وصححه عن معاذ بن جبل في حديث المنام أني ربي في أحسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملا الأعلى فقلت لأدرى يا رب فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت برداً نامله بين يدي فتجلى لي كل شيء وعرفت (٨٦) ذلك وكذا الحديث وقوله وليكون من الموقنين قيل الواو زائدة

تقديره وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ليكون من الموقنين كقوله تفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين وقيل بل هي على بابها أي نريد ذلك ليكون عالماً وموقناً وقوله تعالى فلما جن عليه الليل أي تغشاه وستره رأى كوكباً أي نجماً قال هذا رب فلما أفل أي غاب قال محمد بن اسحق بن يسار الاقول الذهب وقال ابن جرير يقال أفل النجم بأفل وبأفل أفولاً وأفلاً اذا غاب ومنه قول ذي الرمة

صايب ليست باللواتي تقودها

دياج ولا بالآفلات الزوائل

ويقال أين أفلت عنا يعني أين غبت عنا قال لأحب الآفان قال قتادة علم ان ربه دائم لا يزول فلما رأى القمر بازغا أي طالما قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لا كون من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي أي هذا المنير الطالع ربي هذا أسير أي جرم من النجوم ومن القمر وأكثر اضاءة فلما أفلت أي غابت قال يا قوم اني برى مما تشركون اني وجهت وجهي للسدى فطر

قتادة قال ابن العربي وهو الصحيح الذي يعطيه مقتضى اللفظ وان من العجب ان يقال انه سنة تسع وهو العام الذي وقع فيه الاذان ولودخل غلام رجل داره يوماً فقال له مولاه لا تدخل هذه الدار بعد يومك لم يكن المراد اليوم الذي دخل فيه اه ويجاب عنه بان الذي يعطيه مقتضى اللفظ هو خلاف ما زعمه فان الاشارة بقوله بعد عامهم هذا الى العام المذكور قبل اسم الاشارة وهو عام النداء وهكذا في المثال الذي ذكره المراد النهي عن دخولها بعد يوم الدخول الذي وقع فيه الخطاب والامر ظاهر لا يخفى ولعله أراد تفسير بعد المتضاف الى عامهم ولا شك انه عام عشرواً ما تفسير العام المشار اليه بهذا فلا شك ولا ريب انه عام تسع وعلى هذا يحمل قول قتادة وقد استدل من قال بأنه يجوز للمشركين دخول المسجد الحرام وغيره من المساجد بهذا القيد أعنى قوله بعد عامهم هذا فائتان النهي مختص بوقت الحج والعمرة فهم ممنوعون عن الحج والعمرة فقط لا عن مطلق الدخول ويجاب عنه بأن ظاهر النهي عن القربان بعد هذا العام يفيد المنع من القربان في كل وقت من الاوقات الكائنة بعده وتخصيص بعضها بالجواز يحتاج الى تخصيص (وان ختمت عليه) بالفتح الفجر يقال عال الرجل يعيل اذا افتقر وقرأ علقمة وغيره عائنة وهو مصدر كالقائنة والعافية والعاقبة وقيل معناه خصلة شاقة يقال عالني الامر يعواني أي شق علي واشتد وحكي ابن جرير الطبري انه يقال عال يعول اذا افتقر وعيال الرجل من يعولهم وواحد العيال عيل يكيد والجمع عيائل كجائده وأعال الرجل كثر عياله فهو معيل والمرأة معيلة قال الاخفش أي صار ذاعمال وكان المسلمون لما منعوا المشركين من الموسم وهم كانوا يجلبون اليه الاطعمة والتجارات فذف في قلوبهم الشيطان الخوف من الفقر بانقطاع تجارتهم عنهم وقالوا من أين نعيش فوعدهم الله أن يغنيهم وقال (فسوف يغنيكم الله من فضله) قال الخصال ففتح الله عليهم باب الحرب من أهل الذمة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الآية وقال عكرمة أغناهم بادرار المطر والنبات وخصب الارض وأسلمت العرب فملاوا الى مكة ما أغناهم الله به وقيل أغناهم بالنبي قال مقاتل أسلم أهل جندة وصنعاء وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة الى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال الخصال وقتادة عوضهم الله منها الجزية فأغناهم بها (ان شاء) فائدة التقييد بالمشيئة التعليل للعباد بان يتولوا ذلك في كل ما يتكلمون به مما تعلق بالمراد المستقبل ولتلا

يفتروا

السموات والارض حينئذ وما آمن المشركين أي أخصت ديني وأفردت عبادتي للذي فطر

السموات والارض أي خلقهم وابتدعهم على غير مثال سبق حينئذ أي في حال كوني حينئذ أي ما تلا عن الشرك الى التوحيد ولهذا قال وما آمن المشركين وقد اختلف المفسرون في هذا المقام هل هو مقام نظر او مناظرة فروى ابن جرير عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ما يقتضى أنه مقام نظر واختاره ابن جرير مستدلاً عليه بقوله لئن لم يهدني ربي الآية وقال محمد بن اسحق قال ذلك حين خرج من السرب الذي ولدته فيه أمه حين تخوفت عليه من عمرو بن كعبان لما كان قد أخبر بوجود مولود يكون ذهاب

ملكه على يديه فأمر بقتل الغلمان عامه إذ لما حملت أم إبراهيم به وحان وضعها ذهبت به إلى سرب ظاهر البلد فولدت فيه إبراهيم وتركتها هناك وذكرا شيئا من خوارق العادات كما ذكرها غيره من المفسرين من السلف والخلف والحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان في هذا المقام مناظر القومه مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والاصنام فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الاصنام الأرضية التي هي على صورة الملائكة السماوية ليشتعروا بهم إلى الخالق العظيم الذي هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه وانما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته ليشتعروا بهم عنده في الرزق (٨٧) وغير ذلك مما يحتاجون إليه وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة

الهياكل وهي الكواكب السيارة السبعة المتحركة وهي القمر وعطارد والزهري والشمس والمريخ والمشتري وزحل وأشدهن اضاءة وأشرفهن عندهم الشمس ثم القمر ثم الزهرة فبين أولا صلوات الله وسلامه عليه ان هذه الزهرة لا تصلح للالهية فانها مسخرة مقدرة بسر معين لا تريغ عنه يمينا ولا شمالا ولا تملك لنفسها انصر قابل هي جرم من الاجرام خلقها الله منيرة لماله في ذلك من الحكم العظيمة وهي تطلع من المشرق ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الابصار فيه ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا المنوال ومثل هذه لا تصلح للالهية ثم انتقل إلى القمر فبين فيه مثل ما بين في النجم ثم انتقل إلى الشمس كذلك فلما اتقت الالهية عن هذه الاجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الابصار وتحقق ذلك بالدليل القاطع قال يا قوم اني بري مما تشركون أي أنا بري من عبادتهم ومواالتهن فان كانت

يفتر عن الدعاء والتضرع ويعلموا ان الغنى الموعود به يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام (ان الله عليم) بأحوالكم (حكيم) في اعطائه ومنعه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله) فيه الامر بقتال من جمع بين هذه الاوصاف الآتية ولما فرغ من الكلام على مشركي العرب بقوله براءة من الله إلى هنا أخذ يتكلم على أهل الكتابين وهو نص في ان أهل الكتاب لا يؤمنون بالله تعالى فاليهود كفروا لانهم ما قدروا الله حق قدرته ولا عرفوه بصفاته كما لا يفرقوا بين الايمان بالله ورسوله وغلو في عزير فقالوا هو ابن الله والنصاري كفروا لانهم غلوا في المسيح وقالوا هو ثالث ثلاثة قال مجاهد نزلت هذه الآية حين أمر محمد وأصحابه بقتال الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك وقال الكلبى نزلت في قريظة والتضرع من اليهود فصالحهم فكانت أول جزية أصاب أهل الاسلام وأول ذل أصاب أهل الكتاب بأيدي المسلمين (ونص الله تعالى في الآية بأنهم (لا) يؤمنون (باليوم الآخر) فان قلت انهم قد قالوا ان تمسنا النار الا أياما معدودة وقالوا ان يدخل الجنة الامن كان هودا أو نصارى واثبات الجنة والنار فرغ اثبات اليوم الآخر قلت لما كان اثباتهم اياه بغير صفا ته ودعوى كاذبة بأنهم أهل الجنة لا غير وانهم يعذبون أياما معينة كان اثباته بهذه الصفة نفيها فانه ايمان باطل والايمان بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وقيل انهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجسام ويعتقدون ان أهل الجنة لا ياكلون فيها ولا يشربون ولا ينكحون ومن اعتقد ذلك فليس ايمانه كإيمان المؤمنين وان زعم انه مؤمن (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) مما ثبت في كتبهم بأن الله حرم الشحوم فأذا بواها وباعوها أو كواها ثم حرم عليهم أشياء كثيرة فأحلها قال سعيد ابن جبيرة الآية بمعنى الذين لا يصدقون بتوحيد الله وما حرم الله من الخمر والخنزير وقيل معناه لا يحرمون ما حرم الله في القرآن ولا ما حرم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في السنة والاول أولى وقيل لا يعلمون بمعاني التوراة والانجيل بل حرفوها وأتوا بأحكام من قبل أنفسهم وقلدوا أخبارهم ورهبانهم واتخذوها من دون الله (ولا يدينون دين الحق) أي دين الاسلام الثابت الناسخ لسائر الاديان وقيل دين أهل الحق وهم المسلمون وقيل دين الله والمعنى واحد وفيه ان دينهم بعد بعثته صلى الله عليه وآله وسلم قد صار ديننا باطلا ثم انه تعالى لما وصل اليهم بهذه الصلوات الاربع بينهم بقوله (من الذين أتوا الكتاب)

آلهة فكيدوني بها جميعا ثم لا تنتظرون انى وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيقا وما أنا من المشركين أي انما أعبد خالق هذه الاشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومربها الذي بيده ملكوت كل شيء خالق كل شيء وربهم ومليكه والهه كما قال تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والامر تبارك الله وكيف يجوز أن يكون إبراهيم ناظرا في هذا المقام وهو الذي قال الله في حقه ولقد آتينا إبراهيم رشدا من قبل وكناه عالما اذ قال لا يبيد قومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها

عاكفون الآيات وقال تعالى ان ابراهيم كان امة قاتل الله حينفا ولم يك من المشركين شاكر الانعمه اجتباها وهداه الى صراط مستقيم واتيناها في الدنيا حسنة وانها في الآخرة لمن الصالحين ثم اوحينا اليه ان اتبع مله ابراهيم حينفا وما كان من المشركين وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل مولود يولد على الفطرة وفي صحيح مسلم عن عياض ابن حماد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله اني خلقت عبداً حنيفاً وقال الله في كتابه العزيز فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وقال تعالى (٨٨) واذا اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على انفسهم اذ قال

ربكم قالوا بلى ومعناه على أحد القولين كقوله فطرت الله التي فطر الناس عليها كما سيأتي بيانه فاذا كان هذا في حق سائر الخلق فكيف يكون ابراهيم الخليل الذي جعله الله امة قاتل الله حينفا ولم يك من المشركين ناظر في هذا المقام بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة والسجدة المستقيمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا شك ولا ريب ومما يؤيدانه كان في هذا المقام مناظر القومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظر اذ قاله تعالى (وحاجه قومه قال اتحاجوني في

الله وقد هذان ولا أخاف ما تنسرون به الا ان يشاء ربى شيأ وسع ربى كل شىء علماً فلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تحفون انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفرق يقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه رفيع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم يقول تعالى مخبراً عن خليله ابراهيم حين جادله قومه

فكلمة من بيانية كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وانما بهم أولائهم ثانياً زيادة في تمكن العلم في قلب السامع فيعلم المأمور به علمين علم اجمالياً ثم علم تفصيلاً فيكون زيادة في تمكن الخبر عنده ولما في ذلك من تشويق النفس الى البيان بعد الابهام فهذا بيان لاسم الميهم الموصول مع ما في حيزه وهم اليهود والنصارى أهل التوراة والانجيل بالاتفاق وبذلك قوله تعالى قل بأهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل فاذا أتى لفظ أهل الكتاب فالمراد به اليهود واذا قيل النصارى فهم الذين أنزل الميهم الانجيل والمجوس ليسوا من أهل الكتاب لقوله صلى الله عليه وآله وسلم سنواهم سنة أهل الكتاب أخرجه البخارى من حديث عبد الرحمن بن عوف وبذلك أيضاً قوله تعالى ان يقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وهذا صريح في انهم ليسوا منهم قال أبو الوفاء بن عقيل في الآية ان قوله قاتلوا امر بالعقوبة ثم قال لا يؤمنون بالله فبين الذنب الذي يوجب العقوبة ثم قال واليوم الآخر فأكد الذنب الذي في جانب الاعتقاد ثم قال ولا يحرمون وفيه زيادة للذنب في مخالفة الاعمال ثم قال ولا يدينون وفيه اشارة الى تأكيد المعصية بالانحراف والمعاندة والانفة عن الاستسلام ثم قال من الذين أتوا الكتاب تأكيد للحجة عليهم لانهم كانوا يحدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل ثم قال (حتى يعطوا الجزية) فبين الغاية التي تمتد اليها العقوبة اهـ والجزية وزنها فعلة من جرى يجزى اذا كفى عمماً أسدى اليه وكانهم أعطوها جزءاً عما منحوا من الامن وقيل سميت جزية لانها طائفة مما على أهل الذمة ان يجزوه أى يقضوه وهى في الشرع ما يعطيه المعاهد على عهده وهو الخراج المضروب على رقابهم كل عام اذ لا ولا وصغاراً قال أحمد بن حنبل في تفسيره الله والاول أصح وهذا يرجع الى انها عقوبة أو أجره ففى غاية للقتال والمراد باعطائها التزامها بالعقد وان لم يجزى وقت دفعها (عن يد) في موضع النصب على الحال أى يعطوها اذ لا معقورين عن يد متوائمة غير متمسكة هذا ان أريد به المعطى وان أريد به الأخذ فالمراد عن يد قاهرة مستولية وقيل معناه يعطونها بأيديهم غير مستنمين فيها أحداً وقيل المعنى نقداً غير نسبية وقيل عن انعام منكم عليهم لان أخذها منهم نوع من انواع الانعام عليهم قاله في الكشاف وقيل معناه مذمومون وفي زاده اليد قد تجعل كناية عن الانقياد يقال أعطى

فلان

فيما ذهب اليه من التوحيد وناظره انه قال اتحاجوني في الله وقد هذان أى تجادلوني في أمر الله وانه لاله

الاهو وقد بصرنى وهدانى الى الحق وأنا على بينة منه فكيف التفت الى أقوال الكم الناسدة وشبهكم الباطلة وقوله ولا أخاف ما تنسرون به الا ان يشاء ربى شيأ أى ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم اليه ان هذه الالهة التي تعبدونها لا تؤثر شيأ وأنا لا أخافها ولا أباليها فان كان لها كيد فكيدونى بها ولا تنظرون بل عاجلون بذلك وقوله تعالى الا ان يشاء ربى شيأ استثناء منقطع أى لا يضرو ولا ينفع الا الله عز وجل وسع ربى كل شىء علماً أى أحاط علمه بجميع الاشياء فلا يخفى عليه خافية فلا تتذكرون أى فيما بينته

لكم فتعتبرون ان هذه الالهة باطلة فتزجروا عن عبادتها وهذه الحجية تطير ما احتج بها نبي الله هو عليه السلام على قومه عاد فيما
قص عنهم في كتابه حيث يقول قالوا يا هود ما جئنا بيننا وبيننا وبيننا ما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان تقول الاعترالك
بعض آلهتنا بسوء قال انى شهد الله وانهم يدوا انى يرى مما تشركون من دونه فيكذبونى جميعا ثم لا تنظرون انى توكلت على الله
ربى وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها الابه وقوله وكيف أخاف ما أشركتم أى كيف أخاف من هذه الاصنام التى تعبدون من
دون الله ولا تخافون انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى (٨٩) القرىقين قال ابن عباس وغير واحد من السلف

اى حجة وهذا كقوله تعالى أم لهم
شركاء من عند الله من الذين ما لم
يأذن به الله وقوله تعالى ان هى الا
أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل
الله بها من سلطان وقوله فأى
القرىقين أحق بالآمن ان كنتم
تعلمون اى فأى الطائفتين أصوب
الذى عبد من بيده الضر والنفع
أو الذى عبد من لا يضر ولا ينفع بلا
دليل أيهما أحق بالآمن من عذاب
الله يوم القيامة لا شريك له قال الله
تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم أولئك لهم الآمن وهم مهتدون
أى هؤلاء الذين أخلصوا العبادة
لله وحده لا شريك له ولم يشركوا
به شيئا هم الآمنون يوم القيامة
المهتدون فى الدنيا والآخرة قال
الخيارى حدثنا محمد بن بشار
حدثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن
سليمان عن ابراهيم عن علقمة عن
عبد الله قال لما نزلت ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم قال أصحابه وأينالم يظلم
نفسه فنزلت ان الشرك لظلم عظيم
وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية
حدثنا الاعمش عن ابراهيم عن
علقمة عن عبد الله قال لما نزلت
هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا

فلان بيده اذا أسلم وانقاد لان من أبى وامتنع لم يعطيه بخلاف المطيع المتقاد كأنه قيل
قاتلهم حتى يعطوا الجزية عن طيب نفس وانقاد دون أن يكرهوا عليه فاذا احتج في
أخذها منهم الى الاكراه لا يبيح عقد الذمة اه وقد ذهب جماعة من أهل العلم منهم
الشافعى وأحمد وأبو حنيفة وأصحابه والثورى والاوزاعى وأبو ثور الى أنها لا تقبل الجزية
الامن أهل الكتاب وقال الاوزاعى ومالك ان الجزية تؤخذ من جميع أجناس الكفرة
كأنسان كان ويدخل فى أهل الكتاب على القول الاقول المجوس قال ابن المنذر لا أعلم
خلافه ان الجزية تؤخذ منهم قال على بن أبى طالب أنا أعلم الناس بالمجوس كان لهم علم
يعلمونه وكاتب يدرسونه الحديث ولكن ضعفه جماعة من الحفاظ كما قاله ابن التميمي ويدل
له ما فى البخارى ان عمرو توقف فى أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن
عوف ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذها من مجوس هجر وفى الصحيحين من
حديث عمرو بن عوف الانصارى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث بأبي عبيدة بن
الجراح الى البحرين يأبى يجزيتهما وكان هو صلى الله عليه وآله وسلم صالح أهل البحرين
وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي وذكروا أبو عبيدة فى كتاب الاموال عن الزهري قال قبل
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجزية من أهل البحرين وكانوا مجوسا فالجزية تؤخذ
من هذه الطوائف الثلاث اتفاقا فاليهود والنصارى تؤخذ منهم نص القرآن والمجوس
تؤخذ منهم نص السنة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم سنواهم سنة أهل الكتاب أخرجه
الخيارى ثم اختلف أهل العلم فى مقدار الجزية فقال عطاء لامقدارها وانما تؤخذ على
ما صلحوا عليه وبه قال يحيى بن آدم وأبو عبيد وابن جرير الا انه قال أهلها دينار وأكثرها
لا حد له وقال الشافعى دينار على لغنى والفقير من الاحرار البالغين لا ينقص منه شىء وبه
قال أبو ثور قال الشافعى وان صلحوا على أكثر من دينار جازوا واذ ازدادوا وطابت بذلك
أنفسهم قبل منهم وقال مالك انها أربعة دنانير على أهل الذهب وأربعون درهما على أهل
الورق الغنى والفقير سواء ولو كان مجوسا لا تريد ولا تنقص وقال أبو حنيفة وأصحابه
ومحمد بن الحسن وأحمد بن حنبل اثنا عشر وأربعة وعشرون وعمانية وأربعون ولا تجب
على صبي ولا مجنون ولا امرأة وهو اتفاق وفى كتابه صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ الى أهل

(١٢ - فتح البيان ح) ايمانهم بظلم شق ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله فأينالم يظلم نفسه قال انه ليس الذى
تعنون ألم تسعوا ما قال العبد الصالح يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم انما هو الشرك وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد
الاشجى حدثنا وكيع وابن ادريس عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اينالم يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كما ظننوا انما قال لا يهيا بنى
لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وحدثنا عمر بن تميم الفيرى حدثنا أبو أحمد حدثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة

عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ان الشرك لظلم عظيم رواه البخاري وفي لفظ قالوا اي تالم يظلم نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس بالذي تغنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم انما هو الشرك ولا بن أبي حاتم عن عبد الله مرفوعا قال ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرى قال وروى عن أبي بكر وعمر وأبي بن كعب وسلمان وحذيفة وابن عباس وابن عمر وعروة بن شرحبيل وأبي عبد الرحمن السلمي ومجاهد وعكرمة والنخعي والضحاك وقتادة (٩٠) والسدي وغير واحد نحو ذلك وقال ابن مردويه حدثنا الشافعي حدثنا

محمد بن شداد المسمعي حدثنا أبو عاصم حدثنا سفيان الثوري عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لي أنت منهم وقال الامام أحمد حدثنا اسحق بن يوسف حدثنا أبو خباب عن زاذان وعن جرير بن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه فلما برزنا من المدينة اذ راكب يوضع نحونا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هذا راكبا ياكم يريد فاتهى بنا الرجل فلم فردنا عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من أين آقيت قال من أهلي وولدي وعشيرتي قال ما تريد قال أريد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعال فقد أصبته قال يا رسول الله علمني ما لايمان قال تشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحتج البيت قال قد أقررت قال ثم ان بعيره دخلت يده في حجر جرذان يهوى بعيره فهو فوق الرجل على هامته فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بالرجل

اليمين انه يأخذ من كل عالم دينارا لخص الحالم دون المرأة والصبي وقد روى في ذلك حاملة قال الأئمة من المحدثين ان هذه الزيادة غير محفوظة ولان عمر بن الخطاب لما فتح الامصار لم يأخذ الجزية الا من الرجال دون النساء وأقره الصحابة واستمر وعليه وقال أبو محمد بن حزم رحمه الله تلزم الجزية الاثني لقوله تعالى حتى يعطوا الجزية ولا شك ان الدين لازم للنساء كزومه للرجال ولم يأت نص بالفرق بينهما في الجزية ثم ساق حديث معاذ بلفظ حالم وحاملة وأسندته الى ابن جرير وساق حديثا مرفوعا من اليهود السامرة وانهم فرق كثيرة وقد فان كان سيده مسلما فالجزية عليه بالاتفاق ومن اليهود السامرة وانهم فرق كثيرة وقد فتح الصحابة الامصار وأقروهم على تسليم الجزية وكذلك الأئمة والخلفاء بعدهم واما الصابئة فقال ابن القيم انهم أمة كثيرة وأكثرتهم فلاسفة ولههم مقالات مشهورة ثم ذكر انها تؤخذ منهم الجزية فانهم أحسن حال من الجوس فاخذها من الجوس تنبيهه على أخذها من الصابئة بالطريق الاولى فان الجوس من أخبت الأعمى دينها ومذهبها ثم ساق مذاهبهم وأما بنو تغلب وهم فرقة انتقلوا في الجاهلية الى النصرانية فهم من النصارى كانت لها شوكة وقوة وجاء الاسلام وهم كذلك وأنقوا من الجزية فضعفت عليهم الصدقة عوضا عن الجزية فهذه الطوائف التي تؤخذ منها الجزية أو ما صلحوا عليه ويهود خيبر وغيرهم داخلون في عموم الآية ولم يأت لهم مخصص وانما يأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود المدينة ولا من يهود خيبر لانه أجلى يهود المدينة وقاتل من قاتل منهم قبل نزولها وأما أهل خيبر فانه صالحهم قبل نزول فريضة الجزية ولم ينزل فرضها الا في التاسعة من الهجرة واختلف الناس في أخذ الجزية ممن عدان ذكرناه بعد الاتفاق على أخذها من أهل الكتابين والجوس فقالت الحنفية تؤخذ ايضا من عبدة الاوثان من العجم ولا تؤخذ من عبدة الاوثان من العرب واستدلوا بالحديث الذي أخرجه أحمد والترمذي عن ابن عباس مرفوعا قال أريد منهم كلمة تدين لهمم بها العرب وتؤدى الجزية بها اليهم العجم وذهب مالك وأبو يوسف الى انها تقبل الجزية من العربي الوثني مستدلين بحديث بريدة الذي أخرجه مسلم وهو حديث طويل شريف فيه وصايا لامراء السرايا وفيه اذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال وفيه فان هم أبوا فسلهم الجزية فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فدل على ان الجزية تؤخذ من كل

كافر
فوثب اليه عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان فأقعداه فقالا ليا رسول الله قبض الرجل قال فأعرض عنهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أما رأيكما عرضي عن الرجل فاني رأيت ملكين يندسان في فيه من ثمار الجنة فعلمت انهما ماتا جائعا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من الذين قال الله عز وجل فيهم الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الآية ثم قال دونكم أحماءكم فاحتلناهم الى الماء فغسلناهم وحطناهم وكفناهم وحنناهم الى القبر فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس على شفير القبر فقال الحدوا ولا تشقوا فان الحد لنا والشق لغيرنا رواه أحمد عن أسود بن عامر عن عبد الحميد بن

جعفر الفراء عن ثابت عن زاذان عن جرير بن عبد الله فذكر نحوه وقال فيه هذا من عمل قبيلا وأجر كثيرا وقال ابن أبي حاتم حدثنا
أبي حدثنا يوسف بن موسى القطان حدثنا مهران بن أبي عمر حدثنا علي بن عبد الأعلى عن أبيه عن سعيد بن جبيرة عن ابن
عباس قال كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير ساره أذ عرض له أعرابي فقال يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد خرجت
من بلادى وتلادى ومالى لا هدى بهدك وأخذ من قولك وما بلغتك حتى مالى طعام الامن خضر الارض فأعرض على فعرض
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل فأزدهما حوله فدخل خنك بكره (٩١) في بيت جرذان فتردى الاعرابي فانكسرت

عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم صدق والذي بعثني بالحق لقد
خرج من بلادى وتلاده وماله لمهتدى
بهداى ويأخذ من قولى وما بلغتنى
حتى ماله طعام الامن خضر الارض
أسمعتم بالذى عمل قبيلا وأجر كثيرا
هذا منهم أسمعتم بالذين آمنوا ولم
يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم
الامن وهم مهتدون فان هذا منهم
وفي انظر قال هذا عمل قبيلا وأجر
كثيرا وقوله وتلك حجتنا آتيناها
ابراهيم على قومه اى وجهنا حجتهم
عليهم قال مجاهد وغيره يعنى
بذلك قوله وكيف أخاف ما أشركتم
ولا تخافون انكم أشركتم بالله ما لم
ينزل به عليكم سلطانا فإى الفريقين
أحق بالامن الآية وقد صدقه الله
وحكم له بالامن والهداية فقال الذين
آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك
لهم الامن وهم مهتدون ثم قال
بعد ذلك كله وتلك حجتنا آتيناها
ابراهيم على قومه نرفع درجات من
نشأقربى بالاضافة وبلاضافة كما
في سورة يوسف وكلاهما مقرب
في المعنى وقوله ان ربك حكيم عليم
أى حكيم فى أقواله وافعاله عليم أى

كافر هذا ظاهر الحديث ولم يستثن منهم كافر ادون كافر ولا يقال هذا خاص بأهل الكتاب
فان اللفظ يأبى اختصاصه بهم وأيضا سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيوشه أكثر
ما كانت تقابل عبدة الاوثان من العرب فيؤخذ من عموم الكفار بالسنة ومن أهل
الكتاب بالقرآن وقد أخذها صلى الله عليه وسلم من الجوس عباد النار ولا فرق بينهم وبين
عباد الاوثان فان قيل انه لم يأخذها من أحد من عباد الاوثان مع كثرة قتاله لهم قلنا
آية الجزية انما نزلت عام تبوك في التاسعة بعد اسلام من كان في جزيرة العرب ولم يبق بها
أحد من عباد الاوثان قال الحافظ بن القيم والمسئلة مبنيّة على حرف واحد وهو ان
الجزية هل وضعت عاصمة للدم أو مظهرة تصغار الكفر واذلال أهله والثاني راجح وقد
جازا سترفاق العرب الوثني فانه صح ذلك بلا مريية ويبقى على كفره والمقصود انه لا فرق بين
الكفار فى أخذ الجزية والاسترقاق وأطال في هذا واختاره وأما تقدير الجزية كما تقدم
فيرد على الجميع انه صلى الله عليه وسلم أمر معاذ ايقبض دينارا من كل عالم وجعله صنفا
واحد الاثلاثة أصناف وأول من جعلهم ثلاثة عمر بن الخطاب وقد اختلف الجواب عن
حديث معاذ ثم اعلم انه لا يتعين فى الجزية ذهب ولا فضة بل يجوز أخذها ما تيسر من أموالهم
من ثياب وسلاح يعاملونه وحديد ونحاس ومواش وحبوب وغير ذلك وهذا سنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانه أخرجه أحد بسند جيد عن معاذ ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما بعثه الى اليمن أمره ان يأخذ من كل عالم دينارا أو عدله معاقر يا ورواه أهل السنن
وقال الترمذى حسن وكذلك أهل نجران لم يأخذنى جزية ثم ذهبوا لافضة انما أخذ الحلال
والسلاح واذا عرفت هذا فقد تبين ان الجزية غير مقدرة بالشعر تقدير الا يقبل الزيادة
والنقصان ولا معينة فى جنس من الاجناس وأما وقت قبض الجزية فانها تجب فى آخر
الحول ولا يطالبون بها قبل ذلك وبه قال أحمد والشافعى وقال أبو حنيفة تجب بأول
الحول ويؤخذ منه كل شهر بقسطه وقال غيرهم وهم الاكثرون انه صلى الله عليه وسلم لما
ضرب الجزية على أهل الكتاب والمجوس لم يطالبهم بها حين ضربها ولا ألزمهم بادائها فى
الحال وقت نزول الآية بل صالحهم عليها وكان يعث رسوله وسعته فباتون بالجزية
والصدقة عند محلها واستمرت على ذلك سيرة خلفائه من بعده قال الحافظ بن القيم رحمه الله
وهذا مقتضى قواعد الشريعة وأصولها فان الاموال التى تتكرب به تكررا الاعوام انما

بمن يهديه ومن يضلّه وان قامت عليه الخجة والبراهين كما قال ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا
العذاب الاليم ولهذا قال ههنا ان ربك حكيم عليم (وههنا له اسحق ويعقوب كلاهما دينان وهاهنا من قبل ومن ذريته داود
وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجرى الحسين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع
ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آباؤهم وذرياتهم واخوانهم واجتبتناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى
الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والسبوة فان يكفر

بها هو لا وفقدو كلنا بها قوم ليسوا بها بكافرين أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجر ان هو الاذكري
للعالمين) يذكر تعالى انه وهب لابراهيم اسحق بعد ان طعن في السن وأيس وامرأته سارة من الولد فخافه الملائكة وهم ذاهبون الى
قوم لوط فبشرهم بما اسحق فتمجبت المرأة من ذلك وقالت يا لوتي ألدوا ناعجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا الشيء عجيب قالوا أتعجبين من
أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه جيد مجيد فبشرهم بما تمجبت وبشرهم مع وجوده نبوته وبان له نسلا وعقباً كما
قال تعالى وبشرناه باسحق نبيامن الصالحين (٩٢) وهذا كمل في البشارة وأعظم في النعمة وقال فبشرناها باسحق ومن

وراء اسحق يعقوب أي ويولد لهذا
المولود ولد في حياتك فافتقر عينيك
به كما قدرت بوالده وان الفرح بولد
الولد شديد لبقاء النسل والعقب
ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد
يتوهم أنه لا يعقب اضعفه وقعت
البشارة به وبولده اسمه يعقوب الذي
فيه اشتقاق العقب والذرية وكانت
هذه المجازاة لابراهيم عليه السلام
حين اعتزل قومه وتركهم وزح
عنهم وهاجر من بلادهم ذاهبا الى
عبادة الله في الارض فعوضه الله
عز وجل عن قومه وعشيرته بأولاد
صالحين من صلبه على دينه لتقر بهم
عينه كما قال تعالى فلما اعتزلهم
وما يعبدون من دون الله وهبنا له
اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا
وقال ههنا وهبنا له اسحق ويعقوب
كلا هدينا ووقوله ونوحا هدينا من
قبل أي من قبله هديناه كما هديناه
وهبنا له ذرية صالحة وكل منهما
له خصوصية عظيمة أما نوح عليه
السلام فان الله تعالى لما عرق أهل
الارض الامن آمن به وهبهم الذين
صحبوه في السفينة جعل الله ذريته
هم السابقين فالناس كلهم من ذريته

تجيب في آخر العام لاني أوله وأما قوله حتى يعطوا الجزية فليس المراد به العطاء الاول بل
العطاء المستمر المتكرر وهذه كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وقال أصحاب
الشافعي تجيب بأول السنة دفعة واحدة ولكن يستقر جزء بعد جزء وقال بعضهم انما
يدخل وقت وجوبها عند انقضاء السنة وتسقط الجزية بالاسلام ولو اجتمعت عليه جزية
سنتين فقد قال صلى الله عليه وسلم ليس على مسلم جزية (وهم صاغرون) اي يعطى الذي
الجزية حال كونه صاغرا او الصغار الذلل واختلف العلماء في المراد من الصغار فقال عكرمة
ان يدفعها وهو قائم والاشد جالس وقيل ان يأتي بها بنفسه ماشيا لارا يكا ويपाल وقوفه
عند اتبانهما ويجري الى الموضع الذي فيه الاخذ ثم تجريده ويمتن وفي الكشف انه يتلزل
تلقه ويؤخذ بتلابمه ويقال له أدا الجزية وان كان يؤديهما يوزج في قفاه انتهى وقال ابن
عباس يمشون بهما متلئين وعنه قال يلكزون وقال الكلبي اذا أعطى يصفع قفاه وقيل
هو ان يؤخذ بلحيته ويضرب في لهزمته ويقال له أدح الله يا عدو الله وقال سلمان معني
صاغرين غير محمودين وقيل غير ذلك مما يدل عليه دليل قال الحافظ بن القيم رحمه
الله وهذا كله مما لا دليل عليه ولا هو مقتضى الآية ولا نقل عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا عن أصحابه قال والصواب في الآية ان الصغار هو التزامهم بحجربان احكام الله
تعالى عليهم واعطاء الجزية فان ذلك هو الصغار وبه قال الشافعي قلت ومن الصغار
ما أخذ عمر رضي الله عنه في العهد العمري وهو ما أخرجه عبد الله بن أحمد عن عبد
الرحمن بن غنم قال كتبت لعمر بن الخطاب حين صالح نصارى الشام وشرط عليهم فيه ان
لا يحدوا في مدينتهم ولا فيما حولها ديرا ولا كنيسة ولا قلابة ولا صومعة راهب
ولا يحدوا وما خرب ولا ينعوا كائسهم ان ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونه
ولا يؤووا ولا يمسوا ولا يمتوا وغشال للمسلمين ولا يعلموا اولادهم القرآن ولا يظهروا شركا
ولا ينعوا ذوى قرباتهم الاسلام ان أرادوه وان يوقروا المسلمين وان يقوموا لهم من
مجالسهم اذا أرادوا الجلوس ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم ولا يتكلموا بكلامهم
ولا يركبوا سرجا ولا يتقلدوا سيفا ولا يبيعوا الخجور وان يخروا ومقاديرهم وان يلزموا
رهبهم حينما كانوا ان يشدوا على أو ساطهم ولا يظهروا صليبا ولا شيئا من كتبهم في شيء
من طرق المسلمين ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم ولا يضر بوابالناقوس الاضر باخفيفا

واما الخليل ابراهيم عليه السلام فليبعث الله عز وجل بعده نبيا الامن ذريته كما قال تعالى وجعلنا في ذريته النبوة ولا
والكتاب الآية وقال تعالى ولقد أرسلنا نوحا و ابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب وقال تعالى اولئك الذين أنعم الله عليهم من
النبيين من ذرية آدم ومن جملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل ومن هدينا واجتبتنا اذا اتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا
وبكيا وقوله في هذه الآية الكريمة من ذريته أي وهدينا من ذريته داود وسليمان الآية وعود الضمير الى نوح لانه اقرب المذكورين
ظاهرا لاشكال فيه وهو اختيار ابن جرير وعوده الى ابراهيم لانه الذي سبق الكلام من أجله حسن لكن لا يشك عليه لوط فانه

ليس من ذرية ابراهيم بل هو ابن ماران بن آزر لانه ابن أخيه اللهم الآن يقال انه دخل في الذرية تغليبا كما في قوله تعالى أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آباءك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون فاسماعيل عمه ودخل في آبائه تغليبا وفي ذكر عيسى عليه السلام في ذرية ابراهيم أو نوح على القول الآخر دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجل لان عيسى عليه السلام انما ينسب الى ابراهيم عليه السلام لانه من ذرية ابراهيم عليه السلام فانه لأب له قال ابن أبي حاتم حدثنا سهل بن يحيى العسكري حدثنا عبد الرحمن (٩٢) بن صالح حدثنا علي بن عباس عن عبد الله ابن عطاء المكي عن أبي حرب بن أبي

الاسود قال ارسل الخجاج الى يحيى ابن يعمر فقال بلغني انك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم تجده في كتاب الله وقد قرأته من أوله الى آخره فلم أجده قال أليس تقرأ سورة الانعام ومن ذريته داود وسليمان حتى بلغ ويحيى وعيسى قال بلى قال أليس من ذرية ابراهيم وليس له أب قال صدقت فهذا إذا وصى الرجل لذريته أو وقف على ذريته أو وهبهم دخل أولاد البنات فيهم فاما اذا أعطى الرجل نبيه أو وقف عليهم فانه يختص بذلك بنوه اصلبه وبنو بنيه واحتجوا بقول الشاعر العربي بنونا بنوا بنانا وبنانا بنونا بنوا بنانا

بنوهن أبناء الرجال الاجانب وقال آخرون ويدخل بنو البنات فيهم لما ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للحسن بن علي ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فتمتين عظيمين من المسلمين فسماهما بنافذ على دخوله في الانباء وقال آخرون

ولا يرفعوا أصواتهم بالقرأة في كتائبهم في شيء من حضرة المسلمين ولا يخرجوا شعابهم ولا يرفعوا أصواتهم موتاهم ولا يظهروا النيران معهم ولا يشترطوا من الرقيق ما جرت فيه سهام المسلمين فان خالفوا في شيء مما شرطوه فلا ذمة لهم وقد حل للمسلمين ما يحل من ذوى المعاندة والشقاق قال الحافظ بن القيم وشهرة هذه الشروط تغني عن اسنادها فان الأئمة تلقوها بالقبول وذكرها في كتبهم واحتجوا بها ولم يزل ذكر الشروط العمرية على ألسنتهم وفي كتبهم وقد أتفدها بعده الخلفاء وعلموا بوجوبها اه قلت المدير للنصاري خاصة ينوون للرهبان خارج البلد يجتمعون فيه للرهبانة وينفردون عن الناس واما القلابة بقاف مكسورة وباء موحدة فينيها رهبانهم مرتفعة كلمنارة والفرق بينها وبين المدير أن المدير يجتمعون فيه والقلابة لا تكون الا لواحد ينفرد بها بنفسه ولا يكون لها باب بل فيها طاقعة يتناول منها شرابه وطعامه وما يحتاج اليه واما الصومعة فهي كالقلابة تكون للراهب وحده والببيع جمع بيعته وهي متعبد النصاري وعن ابن عباس انها مساجد اليهود والكنايس جمع كنيسة وهي لاهل الكنائس ثم اعلم أنه لا يحل تكليفهم بما لا يقدرون عليه ولا حبسهم ولا تعذيبهم على اداء الجزية ولا ضربهم لما أخرج أبو عبيد أن هشام بن حكيم مر على قوم يعذبون في الجزية بفلسطين فقال هشام سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس في الدنيا وعن عياض بن غنم مثله رواه الزهري عن عروة بن الزبير وقد أخرج عن جبير ابن نفير عن أبيه انه أتى عمر بن الخطاب بمال كثير أحسبه قال الجزية فقال اني لا ظنكم قد أهلكم الناس قالوا لا والله ما أخذنا الا عقوا قال بلا سوط ولا نوط قالوا نعم قال الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدي ولا في سلطاني وعن علي بن أبي طالب انه استعمل رجلا على عكبري فقال له لا تبعن لهم في نراجهم حجارا ولا بقرة ولا كسوة شيئا ولا صنفا وارفق بهم وكان رضى الله عنه يأخذ من صاحب الابرار ومن صاحب الحبال حبالا ونحوه من الامتعة قال أبو عبيد انما كان يأخذ منهم هذه الامتعة بقيمتها من الدراهم التي كانت عليهم من جزية رؤسهم ولا يحملهم على بيعها ارادة الرقيق بهم والتخفيف عليهم ولهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معاذا بأخذ معاقر عدل عن الدينار وانما يراد بهذا كله الرقيق بأهل الذمة لا يباع عليهم من متاعهم شيء ولكن يؤخذ مما سهل عليهم

هذا تجوز وقوله ومن آباءهم وذرياتهم واخوانهم ذكر أصولهم وفروعهم وذوى طبقتهم وان الهداية والاجتباء شملهم كاهم ولهدا قال واجتبيانهم وهديتناهم الى صراط مستقيم ثم قال تعالى ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده أى انما حصل لهم ذلك بتوفيق الله وهدايتهم اياهم ولو اشركوا الحبط عنهم ما كانوا يعملون تشديدا من الشرك وتغليظا لشأنه وتعظيم للاسته كقوله تعالى ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك الآية وهذا شرط والشرط لا يقتضى جواز الوقوع كقوله قل ان كان للرجن ولد فأنا أول العابدين وكقوله لو أردنا أن نتخذ لهم الآلة اتخذنا من لدنا انكافاعلين وكقوله لو أراد الله أن يتخذ

ولد الاصطفي مما خلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار وقوله تعالى أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكمة والنبوة أي أنعمنا عليهم بذلك رحمة للعباد بهم ولطفاً منا بالخلق فأن يكفر بها أي بالنبوة ويحتمل أن يكون الضمير عائداً على هذه الأسماء الثلاثة الكتاب والحكمة والنبوة وقوله هو لآء يعني أهل مكة قاله ابن عباس وسعيد بن المسيب والضحاك وقتادة والسدي وغير واحد فقد وكلناهم اقوماً ليسوا بها بكافرين أي ان يكفروا بهذه النعم من كفر بها من قريش وغيرهم من سائر أهل الارض من عرب وعجم ومدين وكنايين فسدوكلناهم اقوماً آخرين (٩٤) أي المهاجرين والانصار وأتباعهم الى يوم القيامة ليسوا بها بكافرين

أي لا يمجدون منها شيئاً ولا يردون منها حرفاً واحداً بل يؤمنون بجميعها محكمها ومتشابهها جعلنا الله منهم من هم وهم واحسانه ثم قال تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أولئك يعني الانبياء المذكورين مع من أضيف اليهم من الآباء والذرية والاخوان وهم الاشياء الذين هدى الله أي هم أهل الهدى لا غيرهم فبهذا هم اقتده أي اقتدوا وتبعوا واذا كان هذا أمراً للرسول صلى الله عليه وسلم فأتمته تبع له فيما يشرفه وبأمرهم به قال البخاري عند هذه الآية حدثنا ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام أن ابن جرير أخبرهم قال أخبرني سليمان الاحول أن مجاهداً أخبره أنه سأل ابن عباس أتى سجدة ص سجدة فقال نعم ثم تلا وهبنا له اسحق ويعقوب الى قوله فبهذا هم اقتده ثم قال هو منهم زاذ بن زيد بن هرون ومحمد بن عبيد وسهل بن يوسف عن العوام عن مجاهد قلت لابن عباس فقال نبيكم صلى الله عليه وسلم من أمر أن يقتدى بهم وقوله تعالى

في القيمة والكلام في الجزية مقرراً في مواضعه والحق ان هذه الاقوال ما قدره الشوكاني في شرحه للمنتقى وفي غيره من مؤلفاته وفي الباب كتاب افادة الامة في أحكام أهل المذمة للسيد محمد بن اسمعيل الامير البيني وهو حافظ جدا (وقالت اليهود عزير ابن الله) كلام مبتدأ لبيان شرك أهل الكتابين وظاهر الآية ان هذه المقالة لجميعهم وقيل هو لفظ خرج على العموم ومعناه الخصوص لانه لم يقل ذلك الا البعض منهم أو من متقدميهم أو ممن كانوا بالمدينة وقال النقاش لم يبق يهودي يقولها بل قد انقرضوا وقيل انه قال ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم جماعة منهم فنزلت الآية متضمنة لحكاية ذلك عن اليهود لان قول بعضهم لازم لجميعهم وقوله عزير يتوهم الصريف وتركه قراءة تان سبعتان فالاولى بناء على انه عربي وليس فيه الاعل والاثانية بناء على انه أجمعي ففيه العلتان وعلى كل هو مبتدأ وابن الله خبر فلذلك ثبت الان في ابن لانها لا تحذف منه الا ان كان صفة (وقالت النصارى المسيح ابن الله) قالوا هدم الماراً وأمن احيائه للموتى مع كونه من غير اب فكان ذلك سبباً لهذه المقالة والاولى أن يقال انهم قالوا هذه المقالة لتكون وصفه في الانجيل تارة بابن الله وتارة بابن الانسان كما رأينا ذلك في مواضع متعددة من الانجيل ولم يفهموا ان ذلك لقصد التشريف والتكريم أو لم يظهر لهم ان ذلك من تحريف سلفهم لغرض من الاغراض الفاسدة قال الرازي والاقرب عندي ان يقال له لذكر لفظ الابن في الانجيل على سبيل التشريف كما ورد لفظ الخليل في حق ابراهيم على سبيل التشريف فسبغوا وفسروا لفظ الابن بالنبوة الحقيقية والجهال قبلوا ذلك منهم وفسنا هذا المذهب الفاسد في اتباع عيسى عليه السلام (ذلك قولهم) الاشارة الى ما صدر عنهم من هذه المقالة الباطلة ووجه قوله (بأفواهم) مع العلم بأن القول لا يكون الا بالعلم بأن هذا القول لما كان ساذجاً ليس فيه بيان ولا عظمة برهان كان مجرد دعوى لا معنى تحتها فأرغمة صادرة عنهم صدور المهملات التي ليس فيها الا كونها خارجة من الافواه غير مفيدة لتفائدة يعتد بها وقيل لان اثبات الولد له مع انه منزله عن الحاجة والشهوة والمضاجعة والمباضعة قول باطل ليس له تأثير في العقل وقيل ان ذكر الافواه لقصد اثبات كيد كافي كتبت بيدي ومشيت برجلي ومنه قوله تعالى يكتبون الكتاب بأيديهم وقوله ولا طائر يطير بجناحه وقال بعض أهل العلم ان الله سبحانه لم يذكر قولاً مقروناً بذاكر الافواه والالسن الا وكان قولاً

قل لا أسألكم عليه أجر أي لا أطلب منكم على ابلاغى اياكم هذا القرآن أجر أي أجره ولا أريد منكم زوراً شأن هو الا ذكرى للعالمين أي يتذكرون به فيرشدوا من العمى الى الهدى ومن الغي الى الرشاد ومن الكفر الى الايمان (وما قدره الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعده لونه قرطيس تبدونها وتحفون كثيراً وعلمت ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولن ندرأه القري ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) يقول تعالى وما عظموا الله

حق تعظيمه اذ كذبوا الرسل اليهم قال ابن عباس ومجاهد وعبد بن كثير نزلت في قريش واختاره ابن جرير وقيل نزلت في طائفة من اليهود وقيل في فخاص رجل منهم وقيل في مالك بن الصيف قالوا ما نزل الله على بشر من شيء والاول اصح لان الآية مكتوبة والمهود لا ينكرون انزال الكتب من السماء وقريش والعرب قاطبة كانوا ينكرون ارسال محمد صلى الله عليه وسلم لانه من البشر كما قال اكان للناس عجبان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وكن قوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئين لازلنا (٩٥) عليهم من السماء ملكا رسولا وقال ههنا

وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما نزل الله على بشر من شيء قال الله تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس اى قل يا محمد لهؤلاء المنكرين لانزال شيء من الكتب من عند الله في جواب سلهم العام باثبات قضية جزئية موجبة من انزال الكتاب الذي جاء به موسى وهو التوراة التي قد علمتم وكل احد ان الله قد انزلها على موسى ابن عمران نورا وهدى للناس اى ليستضاء به في كشف المشكلات ويهتدى به من ظلم الشبهات وقوله تجعلونها قراطيس تبدونها وتحفون كثيرا اى تجعلون جملتها قراطيس اى قطعها تكتبونها من الكتاب الاصلى الذي بايديكم وتحفون منها ما تحفون وتتأولون وتقولون هذا من عند الله اى في كتابه المنزل وما هو من عند الله ولهذا قال تجعلونها قراطيس تبدونها وتحفون كثيرا وقوله تعالى وعلستم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم اى ومن انزال القرآن الذي علمكم الله فيه من خبر ما سبق ونبا ما ياتي ما لم تكونوا تعلموه انتم ولا آباؤكم وقد قال قتادة هؤلاء مشركو العرب وقال مجاهد

زورا كقوله يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم وقوله كبرت كلمة تخرج من افواههم وقوله يقولون بالسنة ما ليس في قلوبهم (يضاهون قول الذين كفروا من قبل) المضاهاة المشابهة قيل ومنه قول العرب امرأه ضاهيا وهى التي لا تحبض لانها شابهت الرجال قال أبو علي الفارسي هذا خطأ لان الهمزة في ضاهيا أصلية وفي ضاهيا زائدة كمرء وأصله يضاهون وقيل فيه لغتان ضاهيات وضاهيت والاولى لغة ثقيف قال الحسن بن يوفرقون وقال مجاهد يواطون ومعنى مضاهاتهم لقولهم فيه أقوال لاهل العلم الاول انهم شابهوا بهذه المقالة عبدة الاوثان في قولهم اللات والعزى ومنات بنات الله الثاني شابهوا قول من يقول من الكافرين ان الملائكة بنات الله الثالث انهم شابهوا أسلافهم القائلين بأن عزيز ابن الله والمسبح ابن الله (قاتلهم الله) دعاء عليهم بالهلاك لان من قاتله الله هلك وقيل هو تعجب من شناعة قولهم وقيل معناه لعنهم الله وحكى النقاش ان أصل قاتل الله الدعاء ثم كثر في استعمالهم حتى قالوه على التعجب في الخير والشر وهم لا يريدون الدعاء (أنى يؤفكون) اى كيف يصرفون عن الحق الى الباطل بعد وضوح الدليل وقامة الحجية بأن الله واحد احدث جعلوا له ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الاخبار جمع خبر وهو الذى يحسن القول ومنه ثوب مخبر وقيل جمع خبر بكسر الخاء قال يونس لم أسمع الا بكسر الخاء وقال الفراء الفتح والكسر لغتان وقال ابن السكيت الخبر بالكسر العالم والخبر بالفتح العالم قال الاصمعي لا أدري أهو الخبر أو الخبر وقال أبو الهيثم هو بالفتح وأنكر الكسر وقيل الكسر أفتح لانه يجمع على افعال دون فعول وقال أبو عبيد هو بالفتح وقال الليث الخبر العالم ذميا كان أو مسلما بعد ان يكون من أهل الكتاب والخبر الذى يكتب به وموضع المحبرة بالكسر والخبر أيضا الأثر وفي الحديث يخرج رجل من النار قد ذهب خبره وسره قال الفراء اى لونه وهيبته وقال الاصمعي الجمال والبهاء وأثر النعمة وتجبير الخط والشعر وغيرهما تحسينه والخبر بالفتح الجبور وهو السرور وخبره اى سره وبانه نصر وخبره أيضا بالفتح ومنه قوله تعالى فهم في روضة يحبرون اى يسرون وينعمون ويكرمون والرهبان جمع راهب مأخوذ من الرهبة وهم علماء النصارى كما ان الاخبار علماء اليهود وقيل الرهبان أصحاب الصوامع من النصارى وقيل الرهبان النساء وقيل القراء ومعنى الآية لما

هذه للمسلمين وقوله تعالى قل الله قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس اى قل الله انزلناه وهذا الذى قاله ابن عباس هو المتعين في تفسير هذه الكلمة وهذا الذى قاله هذا القائل يكون أمرا بكلمة مفردة من غير تركيب والاميان بكلمة مفردة لا يفسد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها وقوله ثم ذرهم في خوضهم بلعبون اى ثم دعهم في جهلهم وضلالهم بلعبون حتى يأتهم من الله اليقين فسوف يعلمون أنهم العاقبة أم اعباد الله المتقين وقوله وهذا كتاب يعنى القرآن انزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتندرام القرى يعنى مكة ومن حولها من احياء العرب ومن سائر الطوائف بنى آدم من عرب وعجم كما قال في الآية الاخرى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا وقال لا نذركم به ومن بلغ وقال ومن يكفر به من الاحراب فالنار موعده وقال مبارك الذى نزل الفرقان على

عنده ليكون للعالمين نذيرا وقال وقيل للذين آمنوا الكتاب والامين أسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فاعلموا انكم البلاغ والله بصير بالعباد وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت خمس لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي وذكركم مني وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعث الى قومه وبعث الى الناس عامة ولهذا قال والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به أى كل من آمن بالله واليوم الآخر آمن بهذا الكتاب المبارك الذى أنزلناه اليك يا محمد وهو القرآن وهم على صلاتهم يحافظون أى يقمبون بما فرض عليهم من أداء الصلوات فى أوقاتها (٩٦) (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ ومن قال

سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتوكلتم ما حولنا كم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فىكم شرك لعلنا نقطع بينكم وفضل عنكم ما كنتم تزعمون) يقول تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أى لأحد أظلم ممن كذب على الله فجعل له شركاء أولدا أو ادعى ان الله أرسله الى الناس ولم يرسله ولهذا قال تعالى أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ وقال عكرمة وقتادة نزلت فى مسيلة الكذاب ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله أى ومن ادعى أنه يعارض ما جاء من عند الله من الوحي مما يفتره من القول كقوله تعالى واذتلى عليهم آياتنا فالواقد معنا لو نشاء لقلنا مثل هذا الآية قال الله تعالى ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت أى فى سكراته وغمراته وكرباته والملائكة باسطوا أيديهم أى بالضرب كقوله لئن بدت الى يدك لتقتلنى الآية وكقوله ويسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء الآية من وقال الضحالك وأبو صالح باسطوا أيديهم أى بالعذاب كقوله ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا والملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ولهذا قال والملائكة باسطوا أيديهم أى بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم ولهذا يقولون لهم أخرجوا أنفسكم وذلك أن الكافر اذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والاعلال والسلاسل والحجيم والحجيم وغضب الرحمن الرحيم فتمتدق روحه فى جسده وتعضى وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج ارواحهم من أجسادهم قائلين لهم أخرجوا

اطاعوهم فيما يأمرونهم به وينهونهم عنه كانوا بمنزلة المتخذين لهم أربابا لانهم أطاعوهم كما تطاع الأرباب قال الربيع قلت لابي العالم كفى كانت تلك الربوبية فى بنى اسرائيل قال انهم ربوا وعبادوا فى كتاب الله ما يخالف أقوال الاحبار والرهبان فكانوا يأخذون بأقوالهم وما كانوا يقبلون -كم كتاب الله تعالى قال الرازى فى تفسيره قال شيخنا رضى الله عنه قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله تعالى فى بعض المسائل وكانت مذاهبهم بخلاف تلك الآيات فلم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا اليها وبقوا يتظنون الى كالمعجب يعنى كيف يمكن العمل بظواهر هذه الآيات مع الرواية عن سلفنا وردت على خلافها ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا الداء ساريا فى عروق الاكثريين من أهل الدنيا والقول الثانى فى تفسير هذه الربوبية ان الجهال والحشوية اذا بالغوا فى تعظيم شيخهم وقدمتهم فقد يميل طبعهم الى الخلول والاتحاد وذلك الشيخ اذا كان طالبا للدنيا يعبد ادعى الدين كان يأمر أتباعه وأصحابه بأن يسجدوا له وكان يقول لهم أنتم عبيدى فكان يلقي اليهم من حديث الخلول والاتحاد أشياء ولو خلا بعض الحقا من أتباعه فرمى ادعى الالهية فاذا كان ذلك مشاهدا فى هذه الامة فكيف يعبدونه فى الامم السالفة وحاصل الكلام ان تلك الربوبية تتحمل أن يكون المراد منها أنهم أطاعوهم فيما كانوا يخالفون فيه حكم الله وان يكون المراد منها أنهم قبلوا أنواع الكفر فكفروا بالله فصار ذلك جارا يجرى انهم اتخذوا أربابا من دون الله ويحتمل أنهم أثبتوا فى حقهم الخلول والاتحاد وكل هذه الوجوه الاربعة مشاهد وواقع فى هذه الامة اه (والمسيح ابن مريم) أى اتخذته النصرى ربامعبود وفيه اشارة الى أن اليهود لم يتخذوا عزيرا ربامعبود وانظر لم يثبت الالف فى ابن هنامع أنه صفة بين علمين لان المسيح لقب وهو من أقسام العلم وفى هذه الامة ما يجر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عن التقليد فى دين الله وتأثير ما يقوله الاسلاف على ما فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة فان طاعة المتذهب لمن يقتدى بقوله ويستثنى بسنته من علماء هذه الامة مع مخالفتهم لما جاءت به النصوص وقامت به حجج الله وبراهينه ونظقت به كتبه وأنبأه هو كاتخاذ اليهود والنصارى للاخبار والرهبان أربابا من دون الله للقطع بأنهم لم يعبدوهم بل أطاعوهم وحرموا محرموا وحلوا ما حلوا وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الامة وهو أشبه به

من أسلموا أيديهم أى بالضرب كقوله لئن بدت الى يدك لتقتلنى الآية وكقوله ويسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء الآية من وقال الضحالك وأبو صالح باسطوا أيديهم أى بالعذاب كقوله ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا والملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ولهذا قال والملائكة باسطوا أيديهم أى بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم ولهذا يقولون لهم أخرجوا أنفسكم وذلك أن الكافر اذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والاعلال والسلاسل والحجيم والحجيم وغضب الرحمن الرحيم فتمتدق روحه فى جسده وتعضى وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج ارواحهم من أجسادهم قائلين لهم أخرجوا

أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق الآية أي اليوم تهانون غاية الاهانة كما كنتم تنكذبون على الله وتستهكرون عن اتباع آياته والالتقياد لرسله وقد وردت أحاديث في كيفية احتضار المؤمن والكافر وهي مقررّة عند قوله تعالى ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقد ذكر ابن مردويه ههنا حديثاً مطولاً جدامن طريق غريبة عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً قاله أعلم وقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة أي كما بدأناكم أعدناكم وقد كنتم تستكرون ذلك وتستبعدونه فهذا يوم البعث وقوله وتر كنتم ماخولناكم (٩٧) أي من النعم والاموال التي اقتنيتوها في الدار

الدنيا وراه ظهوركم وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت وما سوى ذلك فذهب وتاركه للناس وقال الحسن البصري يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بلدح (١) فيقول الله عز وجل أين ما جعت فيقول يارب جمعته وتر كته أو فرما كان فيقول له يا ابن آدم ما قدمت لنفسك فلا يراه قدم شيئاً وتلاهذه الآية ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتر كنتم ماخولناكم وراه ظهوركم وراه ابن أبي حاتم وقوله وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنه فيكم شركاء تقرع لهم وتوبخ على ما كانوا اتخذوا في الدنيا من الانداد والاصنام والاوثان طائنين أنها تنفعهم في معاشهم ومعادهم ان كان ثم معاد فاذا كان يوم القيامة تقطعت بهم الاسباب وانزاح الضلال وضل عنهم ما كانوا يفترون ويناديهم الرب جل جلاله على رؤس الخلائق أين شركائي الذين كنتم تزعون ويقال لهم أينما

من شبه البيضة بالبيضة والتمر بالتمر والماء بالماء فيما عباد الله ويا اتباع محمد بن عبد الله ما بالكم تر كنتم الكتاب والسنة جانباً وعمدتم الى رجال هم مثلكم في تعبد الله لهم بما وطئتمه للعمل منهم عماداً عليه وأفاداه فعملتم بما جاؤا به من الآراء التي لم تعد مدبوعاً ماد الحق ولم تعضد بعضنا الدين ونصوص الكتاب والسنة تنادي بأبلغ نداء وتصوت بأعلى صوت بما يخالف ذلك ويبينه فأعرتوها آذاناً صموا وقلوباً غلغلا وأفهاماً مريضة وعقولاً مهيضة وأذهانا كليله وخواطر عليله وأنشدتم بلسان الحال وما أنا الا من غزبة ان غوت * غويت وان ترشد غزبة أرشد فدعوا أرشدكم الله وياي كتبنا كتبها لكم الاموات من أسلافكم واستبدلوا بها كتاب الله خالفهم وخالفكم ومتعبدكم ومعبدوكم واستبدلوا بأقوال من تدعونهم بأنعتكم وما جاؤكم به من الرأي بأقوال امامكم وامامهم وقدوتهم وقدوتكم وهو الامام الاقول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم

دعوا كل قول عند قول محمد * فما آمن في دينه كخطاير

اللهم هادي الضال مرشد التائه موضع السبيل اهدنا الى الحق وأرشدنا الى الصواب وأوضح لنا منهج الهداية (وما أمروا الا ليعبدوا الها واحداً) أي والحال انهم ما أمروا في الكتب القديمة المنزلة عليهم على السنة أنبياءهم الابعادة الله وحده أو ما أمر الذين اتخذوهم أرباباً من الاحبار والرهبان الا بذلك فكيف يصح لمنا أهلهم له من اتخاذهم أرباباً (لا اله الا هو) صفة ثانية لقوله الها أو استئناف مقرر للتوحيد (سبحانه عما يشركون) أي تنزيهاً له عن الاشراك في طاعته وعبادته وقد أخرج ابن سعد وعبد ابن حميد والترمذي وحده ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه عن عدى بن حاتم قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ في سورة براءة اتخذوا أرباباً وهم ورهبانهم أرباباً من دون الله فقال أما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه واذا حرموا عليهم شيئاً حرموه وأخرجه أيضاً احمد وابن جرير (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم) هذا كلام يتصمن ذكر نوع آخر من أنواع ضلالهم وبعددهم عن الحق وهو ما رموه من ابطال الحق بأقوالهم الباطلة التي هي مجرد كلمات ساذجة ومجادلات زائفة وهذات تميل لحالهم في محاولة ابطال دين الحق ونبوة

(١٣ - فتح البيان ح) كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرون وتكنم أو ينتصرون ولهذا قال ههنا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء في استحقاق العبادة لهم ثم قال تعالى لقد تقطع بينكم قرى بالرفع أي شملكم وبالنصب أي تقطع ما بينكم من الاسباب والوصلات والوسائل وضل عنكم ما كنتم تزعمون أي وذهب عنكم ما زعمتم من رجاء الانداد والاصنام كقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لانا لمرّة قتبنا منهم كاتبرأ وامنا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار وقال تعالى فاذا نفخ في الصور فلا أنساب (١) قوله بلدح هكذا في الاصل وحرر الرواية اه معجحه

بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقال تعالى انما اتخذتم من دون الله اوثاناً ووده ينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً وماواكم النار وما كنتم من ناصرين وقال وقيل ادعوا شركاءكم فدعواهم فلم يستجيبوا لهم الآية وقال ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا الى قولهم وصل عنهم ما كانوا يفترون والآيات في هذا كثيرة جداً (ان الله فائق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فاني تؤفكون فائق الاصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حساباً ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذى جعل لكم (٩٨) النجوم لتهدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) يخبر

تعالى انه فائق الحب والنوى أى يشتهه فى اثرى فينبت الزرع على اختلاف أصنافها من الحبوب والثمار على اختلاف ألوانها وأشكالها وطوعها من النوى ولهذا فسر قوله فائق الحب والنوى بقوله يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى أى يخرج النبات الحى من الحب والنوى الذى هو كالجناد الميت كقوله وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون الى قوله ومن أنفسهم وما لا يعلمون وقوله ومخرج الميت من الحى معطوف على فائق الحب والنوى ثم فسره ثم عطف عليه قوله ومخرج الميت من الحى وقد عبروا عن هذه عبارات كلها متقاربة مؤيدة للمعنى فمن قائل يخرج الدجاج من البيضة وعكسه ومن قائل يخرج الولد الصالح من الفاجر وعكسه وغير ذلك من العبارات التى تنظمها الآية وتشملها ثم قال تعالى ذلكم الله أى فاعل هذا هو الله وحده فاني تؤفكون أى كيف تصرفون عن الحق وتعدلون عنه الى الباطل فتعبدون معه غيره وقوله

نبى الصدق بحال من يريد ان ينفع في نور عظيم قد أنارت به الدنيا وانقضت به الظلمة ليطغئه ويذهب أضواءه قيل المراد بالنور شرايعه وبراهينه وسميت الدلائل نوراً لانه يهتدى بها الى الصواب كما يهتدى بالنور الى المحسوسات وقيل المراد به الدلائل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهى أمور أحدها المعجزات الباهرات الخارقة للعادات وثانيها القرآن العظيم وهو معجزة له باقية على الابد وثالثها ان دينه الذى أمر به هو دين الاسلام ليس فيه شئ سوى تعظيم الله والشناء عليه والانقياد لامره ونهيه والتبرى من كل معبود سواه فهذه أمور نيرة ودلائل واضحة فى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى صدقه فمن أراد ابطال ذلك بكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله (ويأبى الله إلا أن يتم نوره) أى دينه القويم باعلاء كلمته قال فى الكشاف ان أبى قد أجرى مجرى لم يرد أى ولا يريد إلا أن يتم نوره وقال على بن سليمان انما جاز هذا فى أبى لانها منع أو امتناع فصارت النفى قال النحاس وهذا أحسن وقال الزجاج التقدير ويأبى الله كل شئ إلا أن يتم وقال الفراء انما دخلت الا لا فى الكلام طرفاً من الخد وانما صح الاستثناء المرفوع من الموجب لكونه بمعنى النفى وفيه من المسالفة والدلالة على الامتناع ما ليس فى نفي الارادة أى لا يريد شيئاً من الاشياء الا تمام نوره فيندرج فى المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلاً عن الاطغاء قاله الكرخى (ولو كره الكافرون) أى أبى الله إلا أن يتم نوره ويعلى دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذى بعث الله به رسوله ولو كره ذلك الكافرون وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والتقدير ولو كره الكافرون تمام نوره لانه لم يبال بكراهتهم وقيل لولم يكرهوه أو كرهوه أى على كل حال مفروضة ثم كدهذا بقوله (هو الذى أرسل رسوله) يعنى محمداً (بالهدى) أى بما يهتدى به الناس من البراهين والمعجزات والاحكام التى شرعها الله لعباده والتوحيد والاسلام والقرآن (ودين الحق) وهودين الاسلام وفائدة ذكره مع دخوله فى الهدى قبله بيان شرفه وتعظيمه كقوله والصلوة الوسطى (ليظهره) أى ليظهر رسوله أو دين الحق بما يشتمل عليه من الحجج والبراهين (على الدين كله) أى على سائر الاديان وهو ان لا يعبد الله الا به فلا دين بخلاف الاسلام الا وقد قهرهم المسلمون وظهروا عليهم فى بعض المواضع وان لم يكن كذلك فى جميع مواضعهم فقهرها اليهود وأخرجوه من بلاد العرب وغلبوا النصراني على بلاد الشام وما والاها الى ناحية الروم والغرب وغلبوا

الجوس

فائق الاصباح وجعل الليل سكناً فائق الضياء والظلام كما قال فى أول السورة وجعل الظلمات

والنور أى فهو سبحانه يخلق ظلام الليل عن غرة الصباح فيضى الوجود ويستنير الافق ويضعل الظلام ويذهب الليل بسواده وظلام رواقه ويحيى النهار بضياءه واشراقه كقوله يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً فين تعالى قدرته على خلق الاشياء المتضادة المختلفة الدالة على كمال عظمتهم وعظيم سلطانه فذكر أنه فائق الاصباح وقابل ذلك بقوله وجعل الليل سكناً أى ساجداً مظلماً لتسكن فيه الاشياء كما قال والضحى والليل اذا سبحى وقال والليل اذا غشى والنهار اذا تجلجى وقال والنهار اذا جلاها والليل اذا غشاها

وقال صهيب الرومي لاهر أنه وقد عاتبته في كثرة سهره بأن الله جعل الليل سكا لا يصيب ان صهيبا اذا ذكر الجنة طال شوقه
 واذ ذكر النار طار نومه رواه ابن أبي حاتم وقوله والشمس والقمر حسبنا أي يجريان بحسبان مقنن مقدر لا يتغير ولا يضطرب
 بل لكل منهما منازل يسلكها في الصيف والشتاء فيمتد على ذلك اختلاف الليل والنهار طولاً وقصراً كما قال هو الذي
 جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل الآية وكما قال لا الشمس (٩٩) ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل

سابق والنهار وكل في ذلك

يسبحون وقال والشمس والقمر
 والنجوم مسخرات بأمره وقوله
 ذلك تقدير العزيز العليم أي
 الجميع جار بتقدير العزيز الذي
 لا يمانع ولا يخالف العليم بكل شيء
 فلا يعزب عن علمه من مقال ذرة في
 الارض ولا في السماء وكثيرا اذا
 ذكر الله تعالى خلق الليل والنهار
 والشمس والقمر يختم الكلام
 بالعزة والعلم كما ذكر في هذه الآية وكما
 في قوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار
 فاذا هم مظلمون والشمس تجري
 لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم
 ولما ذكر خلق السموات والارض
 وما فيها في أول سورة حم السجدة
 قال وزينا السماء الدنيا بصابيح
 وحفظنا ذلك تقدير العزيز العليم
 وقوله تعالى وهو الذي جعل لكم
 النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر
 والبحر قال بعض الساف من
 اعتقه في هذه النجوم غير ثلاث فقد
 أخطأ وكذب على الله سبحانه أن
 الله جعلها زينة للسماء ورجوما

المجوس على ملكهم وغلبوا عباد الاصنام على كثير من بلادهم مما يلي الترك والهند
 وكذلك سائر الاديان فثبت ان الذي أخبر الله عنه في هذه الآية قد وقع وحصل وكان ذلك
 اخبارا عن الغيب فكان معجزا وقد ذكرنا فتوح الاسلام في كتابنا حجج الكرامة في آثار
 القيامة الذي حررناه بعد هذا التفسير وقيل ذلك عند نزول عيسى وخروج مهدي
 فلا يبقى أهل دين الا دخلوا في الاسلام ويدل له بعض الاحاديث فنسأله عن آية هريرة
 قال النبي صلى الله عليه وسلم وتملك في زمانه الملل كلها الا الاسلام وقال الشافعي قد أظهر
 الله دين رسوله على الاديان كلها بأن لكل من سمعه انه الحق وما خالفه من الاديان
 باطل وقيل قهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامميين حتى دانوا بالاسلام طوعا وكرها
 وقتل أهل الاصنام وسبي حتى دان بعضهم بالاسلام وأعطى بعضهم الجزية وجرى عليهم
 حكمه فهذا ظهوره على الدين كله وقيل المراد ظهوره على الدين كله في جزيرة العرب
 وقد حصل ذلك فانه تعالى ما بقي فيها أحد من الكفار وقيل المراد ان يوقفه على جميع
 شرائع الدين ويطلعهم عليها بالكلية حتى لا يخفى عليه منها شيء وقيل المراد ظهوره على
 الدين كله بالجملة والبيان وفيه ضعف لان هذا وعد بأنه تعالى سيفعله والتقوية بالجملة
 والبرهان كان حاصل من أول الامور (ولو كره المشركون) الكلام فيه كالكلام في
 ولو كره الكافرون كما قدمنا ذلك ووصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على انهم
 ضمو الكفر بالرسول الى الكفر بالله تعالى وهذا آخر الآيات التي أمر على بالتأذين بها في

موسم الحج (يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون أموال الناس
 بالباطل) لما فرغ سبحانه من ذكر حال أتباع الاحبار والرهبان المتخذين لهم أربابا ذكر
 حال المتبوعين وبين اغواءهم لاراد لهم قال الضحاك يعني علماء اليهود والنصارى وفي
 قوله ان كثيرا دليل على ان الأقل منهم لم يأكلوا أموال الناس بالباطل ولم يتلبسوا بذلك بل
 بقواعلي ما يوجب دينهم من غير تحريف ولا تبديل ولا ميل الى حطام الدنيا ولعلمهم الذين
 كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن أخذ الاموال بالاكل لان المقصود
 الاغرام من جمع المال الاكل فسمى الشيء باسم ما هو أعظم مقاصده والباطل كتب
 كتبها لم ينزلها الله فأكلوا بها أموال الناس وذلك قوله تعالى فويل للذين يكتبون
 الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله وقيل المعنى انهم يأخذونها بالوجوه الباطلة

للسياطين ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر وقوله قد فصلنا الآيات أي قديناها وضحناها القوم يعلمون أي يعقلون ويعرفون
 الحق ويحسبون الباطل (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهو الذي أنزل
 من السماء ماء فأنزجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرًا فخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من
 أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمرة اذا نمت وريعه ان في ذلك لكم آيات لقوم يؤمنون) يقول تعالى وهو
 الذي أنشأكم من نفس واحدة يعني آدم عليه السلام كما قال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها

زوجها وبث منها رجلا كثيرا ونساء وقوله فاستقر ومستهودع اختلفوا في معنى ذلك فعن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغيرهم وأبي عبد الرحمن السلمي وقيس بن أبي حازم ومجاهد وابراهيم النخعي والضحاك وقتادة والسدي وعطاء الخراساني مستقر أي في الارحام ومستودع أي في الاصلاب وعن ابن مسعود وطائفة عكسه وعن ابن مسعود أيضا وطائفة مستقر في الدنيا ومستودع حيث يموت وقال سعيد بن جبيرة مستقر في الارحام وعلى ظهر الارض وحيث يموت وقال الحسن البصري المستقر الذي قدمنا فاستقر به عمله (١٠٠) وعن ابن مسعود مستقر في الدار الآخرة والقول الاول أظهر والله أعلم

وقوله تعالى قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون أي يفهمون ويعنون كلام الله ومعناه وقوله تعالى وهو الذي أنزل من السماء ماء أي بقدر مباركا وورقا للعباد واحياء للخلائق رحمة من الله بخلقه فأخر جنابه نبات كل شيء كقوله وجعلنا من الماء كل شيء حي فأخر جنابه خضر أي زرع وشجر الأخضر ثم بعد ذلك تخلق فيه الحب والتمر ولهذا قال تعالى نخرج منه حبا متراكبا أي يركب بعضه بعضا كالسنابل ونحوها ومن النخل من طلعهما قنوان أي جمع قنوه وهي عذوق الرطب دائية أي قريية من المتناول كما قال علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس قنوان دائية يعني بالقنوان الدائية قصار النخل لاصقة عذوقها بالنخل رواه ابن جرير قال ابن جرير وأهل الخجاز يقولون قنوان وقيس يقولون قنوان وقال امرؤ القيس

فانت أعاليه وأدت أصوله

(١) بقنوان من البسرا حرا

قال وتيمم يقولون قنيان بالياء قال

وهي جمع قنوه كما أن صنوان جمع صنوه وقوله تعالى وجنت من أعناب أي وتخرج منه جنت من أعناب وهذا النوعان هما أشرف الثمار عند أهل الخجاز وربما كانا خيار الثمار في الدنيا كما امتن الله بهما على عباده في قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وكان ذلك قبل تحريم الخمر وقال وجعلنا فيها جنتا من نخيل وأعناب وقوله تعالى والزيتون والرمان مشتبها وغيره متشابه قال قتادة وغيره متشابه في الورق والشكل قريب بعضه من بعض ومتخالف في الثمار سكالوا وطعما وطبعها وقوله تعالى انظروا إلى ثمره إذا ثمر وينعه أي نضجه قاله البراء بن عازب وابن عباس

(١) قوله بقنوان هكذا في الاصول وهذا الشطر ناقص فخره ٥٥

كالرشوة في تخفيف الاحكام والمسماحة في الشرائع وقيل انهم كانوا يدعون عند العوام والخشرات انه لا سبيل لاحد الى الفوز بمرضاة الله تعالى الا بخدمتهم وطاعتهم وبذل الاموال في طلب مرضاتهم والعوام كانوا يغترون بتلك الاكاذيب وقيل التوراة كانت مشتملة على آيات دالة على مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يذكرون في تأويلها وجوها فاسدة ويحملونها على محامل باطلة وكانوا يأخذون الرشوة وقيل كانوا يقررون عند عوامهم ان الدين الحق هو الذي هم عليه فاذا قرروا ذلك قالوا وتقوية الدين الحق واجبة ثم قالوا ولا طريق الى تتويته الا اذا كان أولئك الفقهاء أصحاب الاموال الكثيرة والجمع العظيم فبهذا الطريق يحملون العوام على ان يذلوا في خدمتهم نفوسهم واموالهم فهذا هو الباطل الذي كانوا به يأكلون أموال الناس قال الرازي وهي بأمرها حاضرة في زماننا وهو الطريق لاكثر الجهال والمزورين الى أخذ أموال العوام والحقي من الخلق انتهى ولقد اقتدى بهؤلاء الاحبار والرهبان من علماء الاسلام ومشايخه من لا يأتي عليه الحصر في كل زمان قال الرازي ولعمري من تأمل في أحوال أهل الناموس والتزوير في زماننا وجد هذه الآيات كأنها ما أنزلت الا في شأنهم وفي شرح أحوالهم فترى الواحد منهم يدعي انه لا يلتفت الى الدنيا ولا يتعاقب خاطر بجمع الخلق لوفات وأنه في الظهارة والعصمة مثل الملائكة المقربين حتى اذا آل الامر الى الرغيف الواحد تراه يتالك عليه ويتحمل نهاية الذل والدناءة في تحصيله انتهى ولنعم ما قيل

عجبت من شيخى ومن زهده * وذكره النار وأهواها
يكبره ان يشرب في فضة * ويسرق الفضة ان نالها

(ويصدون عن سبيل الله) أي عن الطريق اليه وهو دين الاسلام وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وعندما كان حقا في شربهم قبل نسخها بسبب أكلهم لاموال الناس بالباطل (والذين يكتزون الذهب والفضة) قيل هم المتقدم ذكرهم من الاحبار والرهبان وأنهم كانوا يصنعون هذا الصنع قاله معاوية بن أبي سفيان وقيل هم من يفعل ذلك من المسلمين قاله ابن عباس وقال السدي نزلت في ما نهي الزكاة من المسلمين وقال أبو ذر نزلت في أهل الكتاب وفي المسلمين جميعا والاولى حمل الآية على عموم اللفظ فهو واسع من ذلك وأصل الكثرة في اللغة الضم والجمع ولا يختص بالذهب والفضة قال ابن جرير الكثر

قال وتيمم يقولون قنيان بالياء قال وهي جمع قنوه كما أن صنوان جمع صنوه وقوله تعالى وجنت من أعناب أي وتخرج منه جنت من أعناب وهذا النوعان هما أشرف الثمار عند أهل الخجاز وربما كانا خيار الثمار في الدنيا كما امتن الله بهما على عباده في قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وكان ذلك قبل تحريم الخمر وقال وجعلنا فيها جنتا من نخيل وأعناب وقوله تعالى والزيتون والرمان مشتبها وغيره متشابه قال قتادة وغيره متشابه في الورق والشكل قريب بعضه من بعض ومتخالف في الثمار سكالوا وطعما وطبعها وقوله تعالى انظروا إلى ثمره إذا ثمر وينعه أي نضجه قاله البراء بن عازب وابن عباس

(١) قوله بقنوان هكذا في الاصول وهذا الشطر ناقص فخره ٥٥

والضحاك وعطاء الخراساني والسدي وقتادة وغيرهم أي فكر وفي قدرة خالقه من العدم الى الوجود بعد ان كان حطبا صار عنباً وربطاً وغير ذلك مما خلق سبحانه وتعالى من الالوان والاشكال والطعوم والروائح كقوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل الآية ولهذا قال ههنا ان في ذلك لكم لايات أي دلالات على كمال قدرة خالق الاشياء وحكمته ورحمته لقوم يؤمنون أي يصدقون به ويتبعون رسله (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون) (١٠١) هـ

هـ زاد على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره الذين أشركوا بالله في عبادته أن عبدوا الجن فجعلوهم شركاءه في العبادة تعالى الله عن شركهم وكفرهم فان قيل فكيف عبدت الجن مع انهم كانوا يعبدون الاصنام فالجواب انهم ما عبدوها الا عن طاعة الجن وأمرهم بذلك كقوله ان يدعون من دونه الا انانا وان يدعون الا شيطانا يريد اعنه الله وقال لا تتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولا ضلنهم ولا مئنينهم ولا مرنهم فليدين آذان الانعام ولا مرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمينهم وما يعدهم الشيطان الا غورا وكقوله تعالى افنتخذونه وذريته اولياء من دوني الآية وقال ابراهيم لايه يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرجن عصيا وكقوله ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هـذا صراط مستقيم وتقول الملائكة يوم القيامة

كل شيء مجموع بعضه الى بعض في بطن الارض كان أو على ظهرها انتهى ومنه ناقة كزاز أي مكتثرة اللحم يقال كثرت المال كزاز من باب ضرب جمعته وادخرته وكثرت الترفي وعائه كزاز أيضا وهـ ذامن الكزاز قال ابن السكيت لم يسمع الا بالفتح وحكى الازهرى الفتح والكسر والكزاز المال المدفون معروف تسمية بالمصدر والجمع كنوزوا كتنز الشيء ا كسناز الاجتماع وامتلا ومال كنوزا أي مجموع واختلف أهل العلم في المال الذي أدبت زكاته هل يسمى كزازا أم لا فتقال قوم هو كنز وقال آخرون ليس يكنز ومن القائلين بالاول أبو ذر وقيد به ما فضل عن الحاجة وبالثاني عمر بن الخطاب وابن عمر وابن عباس وجابر وأبو هريرة وعمر بن عبدالعزيز وغيرهم وهو الحق لما سئلت عن ما أدبت زكاته فليس يكنز يخرج أحد في الزهد والبخاري وابن ماجه وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عمر قال انما كان هذا قبل ان تنزل الزكاة فلما نزلت الزكاة جعلها الله طهرة للاموال ثم قال ما بالي لو كان عندي مثل أحد ذهباً أعلم عدده وأزكيه وأعمل فيه بطاعة الله وعن أم سلمة مرفوعا نحوها وقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطحمة يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنينة لان الاعراض اختيار للافضل والاقتناء مباح لا يذم صاحبه وعن ابن عباس لما نزلت هذه الآية انطلق عمر واتعه ثوبان فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله انه قد كبر على أصحابك هذه الآية فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من أموالكم وانما فرض الموارث من أموال تبي بعدكم الحديث مختصراً أخرجه أبو داود والحاكم وصححه والبيهقي وابن أبي شيبه وأبو يعلى وغيرهم وعن علي قال أربعة آلاف ومادونها نفقة وما فوقها كنز وعن أبي أمامة قال حلبة السيوف من الكنوز ما أحدثكم الامامة وعن عراك بن مالك وعمر بن عبدالعزيز قالان استختمت الآية الاخرى خذ من أموالهم صدقة الآية وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى زكاتها الا جعل له يوم القيامة صفايح ثم أحجى عليها نار جهنم ثم تكوى بها جنباه وجهته وظهوره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار (ولا ينفقونها في سبيل الله) اختلف في وجه افراد انضمير مع كون المذكور قبله شيتين هما الذهب والفضة فقال ابن الانباري انه قصد الى

سبحانك أنت وابتنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ولهذا قال تعالى وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم أي وقد خلقهم فهو الخالق وحده فكيف يعبد معه غيره كقول ابراهيم أتعدون ما تنتحون والله خلقكم وما تعملون ومعنى الآية انه سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق وحده فلماذا يجب أن يرد بالعبادة وحده لا لشرك له وقوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ينبه به تعالى على ضلال من ضل في وصفه به بأن له ولدا كما قاله من قاله من اليهودي عزيز ومن قال من النصاري في عيسى ومن قال من مشركي العرب في الملائكة انها بنات الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ومعنى وخرقوا أي اختلقوا واتفكروا وخرصوا

وكذبوا كما قاله علماء السلف قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وخرقوا بعني انهم تحرضوا وقال العوفي عنه وخرقوا له بنين وبنات
 بغير علم قال جعلوا له بنين وبنات وقال مجاهد وخرقوا له بنين وبنات قال كذبوا وكذا قال الحسن وقال الصحاح وضعوا وقال
 السدي فظفوا قال ابن جريروتا ويله اذا جعلوا الله الجن شركا في عبادتهم ايهم وهو المتشرد بخلقهم بغير شرك ولا معين ولا ظهير
 وخرقوا له بنين وبنات بغير علم بحقيقة ما يقولون ولكن جهل بالباطل وبغضمة فانه لا ينبغي لمن كان الها أن يكون له بنون وبنات
 ولا صاحبة ولا أن يشركه خلقه شرك (١٠٢) ولهذا قال سبحانه وتعالى عما يصفون أي تقدس وتزه وتعاظم عما يصفه هؤلاء

الضالون من الاولاد والانداد والنظراء
 والشركاء (يديع السموات والارض
 اني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة
 وخالق كل شيء وهو كل شيء علم) يديع
 السموات والارض أي مبدعهما
 وخالقهما على غير مثال سبق كما قال
 مجاهد والسدي ومنه سميت البدعة
 بدعة لانه لا نظير لها فيما سلف أي
 يكون له ولد أي كيف يكون له ولد
 ولم تكن له صاحبة أي والولد إنما
 يكون متولدا بين شيئين متناسلين
 والله تعالى لا يناسبه ولا يشابهه
 شيء من خلقه لانه خالق كل شيء فلا
 صاحبة له ولا ولد كما قال تعالى وقالوا
 اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا
 الى قوله ولكم آية يوم القيامة فردا
 وخالق كل شيء وهو بكل شيء عليم
 فيين تعالى انه الذي خلق كل شيء وأنه
 بكل شيء عليم فكيف يكون له صاحبة
 من خلقه تناسبه وهو الذي لا نظير له
 ولا ولد له تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
 (ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل
 شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل
 لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
 وهو اللطيف الخبير) يقول تعالى
 ذلكم الله ربكم الذي خلق كل شيء

الاعم الاغاب وهو الفضة قال ومثله قوله تعالى استعينوا بالصبر والصلاة وانها الكبيرة رذ
 الكتابة الى الصلاة لانها اعم ومثله قوله تعالى واذا رأت تجارة أولهوا نفصوا اليها أعاد
 الضمير الى التجارة لانها اعم وقيل ان الضمير راجع الى الذهب والفضة معطوفة عليه
 والعرب توثت الذهب وتذكره وقيل الضمير راجع الى الكونز المدلول عليه بقوله
 يكثرون لانه اعم من التقدين وغيرهما وقيل الى الاموال وقيل الى الزكاة وقيل انه
 اكتفى بضمير أحدهما عن ضمير الآخر مع فهم المعنى وهو كثير في كلام العرب وقيل ان
 افراد الضمير من باب الذهاب الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد من الذهب والفضة جله
 وافيه وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وانما
 خص الذهب والفضة بالذكرون سائر الاموال لكونها اثمان الاشياء وغائب ما يكثر
 وان كان غيرهما له حكمهما في تحريم الكنز (فبشرهم بعذاب أليم) هذا من باب التمسك
 بهم كما في قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * وقيل ان البشارة هي الخبر الذي يتغير لونه
 البشرية لتأثيره في القلب سواء كان من الفرح أو من الغم وعن أبي ذر قال انتهيت الى النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فبارأني قال هم الاخسرون ورب
 الكعبة قال فقلت يا رسول الله فذلك أي وأي من هم قال هم الاكثرون أموالا الامن قال
 هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقيل لهم الحديث
 مختصر آخر جهم مسلم زفرقة البخاري في موضعين (يوم تحمى عليها نار جهنم فتكوى بها
 جباههم وجنوبهم وظهورهم) أي ان النار توقد عليها وهي ذات حمى وحر شديد ولو قال
 يوم تحمى أي الكونز لم يعط هذا المعنى لجعل الاجزاء للنار بالغة ويحمى يجوز أن يكون
 من حميت وأحميت ثلاثا ورابعيا يقال حميت الحديد وأحميتها أي أوقدت عليها الحمى
 والتقدير يوم تحمى النار عليها وخص الجباه والجنوب وانظروا لان التألم بكبهم أشد لما
 في داخلها من الاعضاء الشريفة وقيل ليكون الكي في الجهات الاربع من قدام
 وخلف وعن يمين ويسار وقيل لان الجال في الوجه والقوة في الظهر والجنبين والانسان
 انما يطلب المال للجمال والقوة وقيل غير ذلك مما لا يخلو عن تكلف (هذا ما كترتم
 لانفسكم) أي كترتموه لنتفخعوا به فهذا نفعه ويقال لهم ذلك على طريق التمسك
 والتوبيخ (فذوقوا ما كنتم تكذبون) أي ذوقوا وبال وسوء عاقبته وقبح معتبه وشؤم فائدته

ولا ولده ولا صاحبة لاله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه أي فاعبدوه وحده لا شريك له وأقرؤا بالوحدانية وانه لاله الا هو لان
 وانه لا ولده ولا والد ولا صاحبة له ولا نظير ولا عدل ووحده وهو على كل شيء وكيل أي حفيظ وراقب يدبر كل ما سواه ويرزقهم
 ويكلاهم بالليل والنهار وقوله لا تدركه الابصار فيه أقوال للائمة من السلف أحدها لا تدركه في الدنيا وان كانت تراه في الآخرة
 كما توارثته الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ما طريق ثابت في الصحاح والمسانيد والسنن كما قال مسروق
 عن عائشة أنها قالت من زعم أن محمدا أبصر ربه فقد كذب فان الله تعالى قال لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار رواه ابن أبي حاتم

من حديث أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن أبي الضحى عن مسروق ورواه غير واحد وثبت في الصحيح وغيره عن عائشة من غير وجه وخالفها ابن عباس فعنه في اطلاق الرؤية وعنه أنه رآه بفؤاده مرتين والمسئلة تذكري أول سورة النجم ان شاء الله وقال ابن أبي حاتم ذكر محمد بن مسلم حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي حدثنا يحيى بن معين قال سمعت اسمعيل بن علية يقول في قول الله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قال هدا في الدنيا قال وذكري أبي عن هشام بن عبيدانه قال نحو ذلك وقال آخرون لا تدركه الابصار أي جميعها وهذا مخصوص بما ثبت من رؤية المؤمنين له في الآخرة (١٠٣) وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى

ما فهموه من هذه الآية انه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله أما الكتاب فقوله تعالى وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة وقال تعالى عن الكافرين كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الامام الشافعي فدل هذا على ان المؤمنين لا يحبون عنه تبارك وتعالى وأما السنة فقد تواترت الاخبار عن أبي سعيد وأبي هريرة وأنس وجريج وصهيب وبلال وغير واحد من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات وفي روضات الجنات جعلنا الله تعالى منهم عنده وكرمه آمين وقيل المراد بقوله لا تدركه الابصار أي العقول ورواه ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين عن الفلاس عن ابن مهدي عن أبي الحصين يحيى بن الحصين قارى أهل مكة انه قال ذلك وهذا غريب جدا وخلاف ظاهر الآية وكأنه اعتقد ان الادراك في معنى الرؤية والله أعلم وقال آخرون لامنافاة بين اثبات

لان الكون ولا تذاق وما يعنى الذى والآية عامة وفي الباب أحاديث صحيحة توافق معنى هذه الآية لان طول بذكرها (ان عدة الشهور) هذا كلام مبتدأ يتضمن ذكروا آخر من قبائح الكفار وذلك ان الله سبحانه لما حكم في كل وقت بيمينكم خاص غير واتلك الاوقات بالنسبي والكيسية فاخبرنا الله بما هو حكمه فقال ان عدة الشهور أى عدد الشهور المعتد بها للسنة (عند الله) أى فى حكمه وقضائه وحكمته لا يبتدع الناس (اثنا عشر شهرا) هى المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجادى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذوالقعدة وذوالحجة فهذه شهور السنة القمرية التى تدور على سائر القمر فى المنازل وهى شهور العرب التى يعتمد بها المسلمون فى صيامهم ووقايت حجهم وأعيادهم وسائر أمورهم وأحكامهم وأيام هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية عبارة عن دور الشمس فى الفلك دورة تامة وهى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربيع يوم فنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام فبسبب هذا النقص يقع الحج والصوم تارة فى الشتاء وتارة فى الصيف (فى كتاب الله) أى فيما أتت به فى كتابه أى القرآن لان فيه آيات تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه جميع أحوال الخلائق وما يأتون وما يذرون وقيل المراد بالكتاب الحكم الذى أوجبه وأمر عباده بالآخذ به وفى هذه الآية بيان ان الله سبحانه وضع هذه الشهور وسماها بأسمائها على هذا الترتيب المعروف (يوم خلق السموات والارض) أى منذ خلق الاجرام والازمنة وبيان ان هذا هو الذى جاءت به الانبياء ونزلت به الكتب وأنه لا اعتبار بما عند العجم والروم والقبط من الشهور التى يصطلحون عليها ويجعلون بعضها ثلاثين وبعضها أكثر وبعضها أقل (منها أربعة حرم) أى محترمة قد أخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبي بكر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطب فى حجة فقال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الأشهر الى ما كانت عليه من الحل والحرمه وعاد الحج الى ذى الحجة بعدما كانوا أولوا عنه عن محله بالنسبى الذى أحدثوه فى الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذى الحجة وكانت حجة أبي بكر قبلها فى ذى القعدة واختلف فى ترتيبها

الرؤية ونفى الادراك فان الادراك أخص من الرؤية ولا يلزم من نفي الاخص انتفاء الاعم ثم اختلف هؤلاء فى الادراك المتفق ما هو فقيل معرفة الحقيقة فان هذا لا يعلمه الا هو وان رآه المؤمنون كما ان من رأى القمر فانه لا يدرك حقيقةه وكنهه وما هيته فالعظيم أولى بذلك وله المشل الأعلى قال ابن علية فى الآية هذا فى الدنيا ورواه ابن أبي حاتم وقال آخرون الادراك أخص من الرؤية وهو الاحاطة قالوا لا يلزم من عدم الاحاطة عدم الرؤية كما لا يلزم من عدم العلم عدم العلم قال تعالى ولا يحيطون به علموا وفى صحيح مسلم لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ولا يلزم منه عدم التنافق كذلك هذا قال العوفي عن ابن عباس فى قوله تعالى

لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قال لا يحيط بصر أحد بالملك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن طلحة بن حماد
العباد حدثنا اسباط عن سماك عن عكرمة انه قيل له لا تدركه الابصار قال ألت ترى السماء قال بلى قال فكلها ترى
قال سعيد بن أبي عسوية عن قتادة في الآية لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار هو أعظم من أن تدركه الابصار وقال ابن
جرير حدثنا سعيد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا خالد بن عبد الرحمن حدثنا أبو عريضة عن عطية العوفي في قوله تعالى وجوه
يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة قال تطرون (١٠٤) إلى الله لا يحيط أبصارهم به من عظمته وبصره محيط بهم فذلك قوله لا تدركه

الابصار وهو يدرك الابصار وورد
في نفسه بهذه الآية حديث رواه
ابن أبي حاتم ههنا فقال حدثنا أبو
زرعة حدثنا نجيب بن الحرث
السهمي حدثنا بشر بن عمار عن
أبي روق عن عطية العوفي عن أبي
سعيد الخدري عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في قوله لا تدركه الابصار
وهو يدرك الابصار قال لو أن الأنس
والجن والشياطين والملائكة منذ
خلقوا إلى أن فنوا صفا و صفا واحدا
ما أطاوب الله أبدا غريب لا يعرف
الامن هذا الوجه ولم يروه أحد من
صحاب الكتب الستة والله أعلم
وقال آخرون في الآية بما رواه
الترمذي في جامعه وابن أبي عاصم في
كتاب السنة له وابن أبي حاتم في
تفسيره وابن مردويه أيضا والحاكم
في مستدرکه من حديث الحكم بن
أبان قال سمعت عكرمة يقول سمعت
ابن عباس يقول رأى محمد ربه تبارك
وتعالى فقلت أليس الله يقول لا تدرك
الابصار وهو يدرك الابصار الآية
فقال لي لا أم لك ذلك نوره الذي هو
نوره اذا تجلى بنوره لا يدركه شيء وفي
رواية لا يقوم له شيء قال الحاكم

فقبل أولها المحرم وآخرها ذوالحجة فهي شهر عوام وقيل أولها رجب فهي من عامين وقيل
أولها ذوالقعدة وهو الصحيح لتواليها قاله النووي وأورد عليه ابن المنبر في تفسيره انه انما
يتشبه على أن أول السنة المحرم وهو حدث في زمن عمر رضي الله تعالى عنه وكان يؤرخ
قبله بعام الفيل ثم أرخ في صدر الاسلام بربيع الاول فتأمل وقال الضحاك انما سمي
حرم ما لا يكون فيه من حرب قلت وكانت العرب في الجاهلية تعظمها وتحرّم فيها القتال
حتى ان أحدهم لولقي قاتل أبيه أو ابنه أو أخيه في هذه الاربعة الأشهر لم يزوجها ولم يهاج
الاسلام لم يزد لها الاحرمه وتعظيم الان الحسنات والطاعات فيها تضاعف والسيئات فيها
أشد من غيرها فلا تنتهك حرمة هذا الشهر الحرام (ذلك الدين القيم) أي كون هذه الشهور
كذلك ومنها أربعة حرم هو الدين المستقيم دين ابراهيم واسماعيل وكانت العرب قد
تمسكت به ووراثته منهنما وقيل الحساب الصحيح والعدد المستوفى وقيل الدين القيم هو
الحكم الذي لا يغير ولا يبدل ولا يزول (فلا تظلموا فيه) أي في هذه الأشهر المحرم
(أنفسكم) بايقاع المعاصي فانها فيها أعظم وزراو بايقاع القتال فيها والهتك لحرمتها
وبه قال أكثر المفسرين وقيل ان الضمير يرجع إلى الشهور كلها المحرم وغيرها وان الله
نهي عن الظلم فيها والاول أولى وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن تحريم القتال في
الاشهر الحرام ثابت محكم لم ينسخ لهذه الآية ولقوله بأبيها الذين آمنوا لعلوا شعائر الله
لا الشهر الحرام ولقوله فاذا نسلخ الاشهر الحرام فاقتلوا المشركين الآية وذهب جماعة
آخرون إلى أن تحريم القتال في الاشهر الحرام منسوخ بآية السيف ويجاب عنه بأن
الامر بقتل المشركين ومقاتلتهم مقيد بانسلاخ الاشهر الحرام كافي الآية المذكورة
وتكون سائر الآيات المتضمنة للامر بالقتال مقيدة بما ورد في تحريم القتال في الاشهر
الحرام كما هي مقيدة بتحريم القتال في الحرم للدلالة الواردة في تحريم القتال فيه وأما
استدلوابه من انه صلى الله عليه وآله وسلم حاصر أهل الطائف في شهر حرام وهو ذوالقعدة
كما ثبت في الصحيحين وغيره ما فقد أوجب عنه بأنه لم يتدبى محاصرهم في ذى القعدة بل
في شوال والمحرم انما هو ابتداء القتال في الاشهر الحرام لا اتمامه وبهذا يحصل الجمع
(وقاتلوا المشركين كافة) أي جميعا في كل الشهر ولان عموم الأشخاص يستلزم عموم
الاحول والازمنة والابتاع وهو مصدر في موضع الحال من ضمير الفاعل في قاتلوا ومن

صحيح على شرط الشيخين ولم يخجاه وفي معنى هذا الاثبات في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري المفعول
رضي الله عنه من فوجا ان الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل النهار قبل الليل وعمل الليل قبل
النهار حجاب النور والنار لو كشفه لاحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه وفي الكتب المتقدمة ان الله تعالى قال
لموسى لما سأله ربه يا موسى انه لا يراني حتى الامات ولا يابس الا تدهده أي تدعمر وقال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا
وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ونفي هذا الادراك الخاص لا ينفي الرؤية يوم القيامة تجلي

لعباده المؤمنين كإيشاء فاجلاله وعظمته على ما هو عليه تعالى وتزده فلا تدر كما الابصار ولهذا كانت ام المؤمنين عائشة
رضي الله عنها ثبتت الرؤيا في الدار الآخرة وتنفيها في الدنيا وتحتج بهذه الآية لا تدر كما الابصار وهو يدرك الابصار فالذي نفتة الادراك
الذي هو بمعنى رؤية العظمة والجلال على ما هو عليه فان ذلك غير ممكن للبشر ولا للملائكة لا الشيء وقوله وهو يدرك الابصار
يحيط بها ويعلمها على ما هي عليه لانه خلقها كما قال تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وقد يكون غير بالابصار عن
المبصرين كما قال في قوله لا تدر كما الابصار وهو يدرك الابصار لا يراه شيء (١٠٥) وهو يرى الخلاق وقال أبو العالية في قوله

تعالى وهو اللطيف الخبير قال
اللطيف لا استخراجها الخبير بمكانها
والله أعلم وهذا كما قال تعالى اخبارا
عن لقمان فيما وعظ به ابنه يا بني ان
انك مثقال حبة من خردل فتكن
في صخرة أو في السموات أو في الارض
يات بها الله ان الله لطيف خبير
(قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر
فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا
عليكم بحفيظ وكذلك نصرف
الآيات وليقولوا درست ولنبيسه
لقوم يعلمون) البصائر هي البينات
والحجج التي اشتمل عليها القرآن وما جاء
به الرسول صلى الله عليه وسلم فمن أبصر
فلنفسه كقوله فمن اهتدى فانما يهتدى
لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها
ولهذا قال ومن عمى فعليها أي انما
يعود وبالله عليه كقوله فانها
لا تعمى الابصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور وما أنا
عليكم بحفيظ أي بحافظ ولا رقيب
بل انما أنا مبلغ والله يهدي من
يشاء ويضل من يشاء وقوله وكذلك
نصرف الآيات أي وكما فصلنا
الآيات في هذه السورة من بيان
التوحيد وانه لا اله الا هو هكذا

المفعول وهو المشركين قال الزجاج مثل هذان المصادر كعامه وخاصة لا يثنى
ولا يجمع ولا تدخله أل ولا يتصرف فيه بغير الحال (كما يقاتلونكم كافة) فيه دليل على
وجوب قتال المشركين وانه فرض على الاعيان ان لم يقم به البعض (واعلموا ان الله مع
المتقين) أي نصرهم ويثبتهم ومن كان الله معه فهو الغالب وله العاقبة (انما النسي)
قال الجوهري النسي ففعل بمعنى منعول من قولك نسأت الشيء فهو منسوء اذا آخرته ثم
بحول منسوء الى نسي كما تحول مقتول الى قتل والى ذلك شحا أبو حاتم وقيل مصدر على
فعل من أنس أي أخر كالتدبير من أنكر والنكير من أنكر وهذا ظاهر قول الزمخشري لانه
يحتاج الى تقدير بخلاف ما اذا كان صفة فانه لا يخبر عنه بزيادة الابتأ ويل أي ذوزيادة
أو انساء النسي بزيادة قال ابن جرير في النسي بالهمزة معنى الزيادة يقال نسأ نساء
اذا زاد ولا يكون بتروك الهمزة الا من النسيان كما قال تعالى نسوا الله فنسيهم وقرأ
الجمهور النسي بهمزة بعد اليا وغيرهم بادغام الياء وقرأ النس باسكان السين
والنسيو بن ذفعول وهو التأخير وفعل في المصادر قيل والنسيئة كالفعل التأخير
وكذا النساء الفتح والمد التأخير والنسي في الآية ففعل بمعنى منعول كما تقدم وكانت
العرب تحرم القتال في الأشهر الحرم المذكورة فاذا احتاجوا الى القتال فيها فأتوا فيها
وحرموها فاذا أتوا في الحرم حرموه وابتدئ شهر صفر وهكذا في غيره وكان الذي يحملهم
على هذا ان كثير منهم انما كانوا يعيشون بانغارة بعضهم على البعض ونهب ما يمكنهم نهبه
من أموال من يغيرون عليه ويقع بينهم بسبب ذلك القتال وكانت الأشهر الثلاثة
المسرودة يضربهم قوايها وتشدد حاجتهم وتعظم فاقتهم فيحلبون بعضها ويحرمون مكانه
بقدره من غير الأشهر الحرم فهذا هو معنى النسي الذي كانوا يفعلونه وقد وقع الخلاف
في أول من فعل ذلك فقيل هو رجل من بني كنانة يقال له حذيفة بن عبيدو يلقب القلمس
وقيل هو عمرو بن لحي وقيل هو نعيم بن نعلبة من بني كنانة (زيادة في الكفر) أي نوع من
أنواع كفرهم ومعصية من معاصيهم المنضمة الى كفرهم بالله ورسوله وكتبه والنوم الآخر
وفي الشهاب يعني انهم لما توارثوه على انها شريعة ثم استحلوه كان ذلك مما يعد كفر (يضل
به الذين كفروا) قرئ على البناء للمجهول ومعنى الأولى أن الكفار يضلون بما
يفعلون من النسي ومعنى الثانية ان الذي سن لهم ذلك يجعلهم ضالين بهذه السنة

(١٤ - فتح البيان ح) نوضح الآيات ونفسرها ونبينها في كل موطن للجاهلين وليقول المشركون والكافرون المكذبون
دارست يا محمد من قبلك من أهل الكتاب وقارأتهم وتعلمت منهم هكذا قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة والضحاك وغيرهم
وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا أي حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمر بن كيسان قال سمعت ابن
عباس يقول دارست تلوت خاصمت جادلت وهذا كقوله تعالى اخبارا عن كذبهم وعنادهم وقال الذين كفروا ان هذا الاكاذب
افتراه وأعاناه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلموا زورا وقالوا أساطير الاولين اكتبها الآية وقال تعالى اخبارا عن زعيمهم وكذبهم

انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الاسحر يؤثر ان هذا الاقول
 البشر وقوله ولنبينه لقوم يعلمون أي ولنوضحه لقوم يعلمون الحق فيتمه عونونه والباطل فيجتنبونه فقله تعالى الحكمة بالغة في
 اضلال أولئك وبيان الحق لهؤلاء كقوله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا الآية وكقوله ليجعل ما يليق الشيطان قنسة للذين في
 قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم وقال تعالى وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة
 وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا (١٠٦) ليستيقن الذين آمنوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين آمنوا والكتاب

والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويمد ي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وقال وتزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد الى غير ذلك من الآيات الدالة على انه تعالى أنزل القرآن هدى للمتقين وأنه يضل به من يشاء ويهدي به من يشاء ولهذا قال ههنا وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون وقرأ بعضهم درست قال التميمي عن ابن عباس درست أي قرأت وتعلمت وكذا قال مجاهد والسدي والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وقال عبد الرزاق عن معمر قال الحسن وليقولوا درست يقول تقادمت وانجحت وقال عبد الرزاق أيضا أبان بن عيينة عن عمرو بن دينار سمعت الزبير يقول ان صبيانا يقرؤون ههنا درست وانما هي درست وقال شعبة حدثنا أبو اسحق

السيئة والاولى من طريق العشرة والثانية سبعية (يحولونه) أي النسي (عاما ويحرمونه عاما) أو الشهر الذي يؤخرونه ويقاثلون فيه أي يحولونه عاما بابداله بشهر آخر من شهر الحلال ويحرمونه عاما أي يحافظون عليه فلا يحلون فيه القتال بل يقونه على حرمة الجمله تفسيره للضلال أو حاله (ليواطئوا عدة ما حرم الله) أي لكي يواطئوا المواطأة الموافقة يقال تواطأ القوم على كذا أي توافقوا عليه واجتمعوا والمعنى انهم لم يحلوا شهر الاحرم أو شهر التتبع الا شهر الحرم أربعة قال قطرب معناه عمدوا الى صفر فزادوه في الاشهر الحرم وقرنوه بالحرم في التحريم وكذا قال الطبري (فيحلوا ما حرم الله) من الاشهر الحرم التي أبدلها بغيرها ولم يتطروا الى أعيانها (زين لهم سوء أعمالهم) أي زين لهم الشيطان أعمالهم السيئة التي يعملونها ومن جعلها النسي فظنوه حسنا وقرئ على السناء للفاعل (والله لا يهدي القوم الكافرين) أي المصرين على كفرهم المستمرين عليه فلا يهديهم هداية توصلهم الى المطلوب واما الهداية بمعنى الدلالة على الحق والارشاد اليه فقد نصها الله سبحانه لجميع عباده (يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انما قلتم الى الارض) لما شرحت معائب أولئك الكفار عاد الى ترغيب المؤمنين في قتالهم والاسستفهام في مالكم للانكار والتوبيخ أي أي شيء يمنعكم عن ذلك ولا خلاف ان هذه الآية نزلت عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك وكانت في رجب سنة تسع من الهجرة بعد رجوعه من الطائف بعد الفتح بعام وتبوك مكان على طرف الشام بينه وبين المدينة عشرة فراسخ وهو ممنوع من الصرف للعبيسة والتأنيث وبعضهم بصرفه على ارادة الموضع فقد جاء في البخاري مصر وفا وممنوعا منه وقصة هذه الغزوة في سيرة الحلبي مفصلة والنفر هو الانتقال بسرعة من مكان الى مكان لا مرمى يحدث يقال استنفر الامم الناس اذا حثهم على الخروج الى الجهاد ودعاهم اليه ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم اذا استنفرتم فانفروا والاسم النفر وانما قلتم معناه تباطأتم وعدى بالي لنضمه معنى الميل والاخلاد وقيل معناه ملتم الى الإقامة بأرضكم والبقاء فيها عن الجهاد وقرئ انما قلتم على الاستفهام ومعناه التوبخ مع التني (أرضيتهم) استفهام توبيخ وتعجيب (بالحياة الدنيا) أي بخفض العيش وزهرة الدنيا ودعتها ونعيمها بدلا (من الآخرة) كقوله تعالى ولونشاء جعلنا منكم ملائكة أي بدلا منكم (فامتاع الحياة الدنيا في

الهمداني قال هي في قراءة ابن مسعود درست يعني بغير ألف فنصب الراء ووقف على التاء قال ابن جرير ومعناه انجحت وتقادمت أي هذا الذي تتلوه علينا قدمتم بنا قديما ونطاولت مدته وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أنه قرأها درست أي قرئت وتعلمت وقال معمر عن قتادة درست قرئت وفي حرف ابن مسعود درس وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا سجاج عن هرون قال هي في حرف أبي بن كعب وابن مسعود وليقوله لو ادرس قال يعنون النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ وهذا غريب وقدرى عن أبي بن كعب خلاف هذا قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا الحسن بن ليث حدثنا أبو سلمة

حدثنا أحمد بن أبي نسرة (١) المكي حدثنا وهب بن زمعة عن أبيه عن حميد الأعرج عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال
 اقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم ولي قولوا درست ورواه الحارث بن أسد عن حميد بن أسد عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال
 ونصب التاء ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه (أصبح ما أوحى إليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين ولو شاء الله ما أشركوا
 وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل) يقول تعالى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ولما أتبعه ما أوحى إليك من
 ربك أي اقتدبه واقتف أثره واعمل به فان ما أوحى إليك من ربك هو الحق (١٠٧) الذي لا مربة فيه لا اله الا هو وأعرض عن

المشركين أي اعف عنهم - وما صفع
 واحتمل أذاهم حتى يفتح الله لك
 وينصرك ويظفرك عليهم واعلم
 ان الله حكيم في اضلالهم فانه
 لو شاء لهدى الناس جميعا ولو شاء الله
 ما أشركوا أي بل له المشيئة والحكمة
 فيما يشاء ويختاره لا يسأل عما
 يفعل وهم يسألون وقوله تعالى
 وما جعلناك عليهم حفيظا أي حافظا
 تحفظ أقوالهم وأعمالهم وما أنت
 عليهم بوكيل أي موكل على أرزاقهم
 وأمورهم ان عليك الا البلاغ كما قال
 تعالى فذكرا نعمنا أنت مذكرت
 عليهم مصيطروا قال انما عليك البلاغ
 وعينا الحساب (ولا تسبوا الذين
 يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا
 بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم
 الى ربهم مرجعهم فيمنبئهم بما كانوا
 يعملون) يقول تعالى ناهي الرسول
 صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن
 سب آلهة المشركين وان كان
 فيه مصلحة الا أنه يترتب عليه
 مفسدة أعظم منها وهي مقابلة
 المشركين بسب آلهة المؤمنين وهو
 الله لا اله الا هو قال علي بن أبي طلحة
 عن ابن عباس في الآية قالوا يا محمد

الآخرة) أي محسوبا في جنبها وفي مقابلتها وفي هذه تسمى قياسية (الاقليل) أي الامتاع
 حقير لا يعاب به لان لذات الدنيا خيسية في نفسها ومشوبة بالآفات والبلبات ومقطعة
 عن قرب الاحالة ومنافع الآخرة شريفة عالية خالصة عن الآفات دائما أبدية سرمدية
 وذلك يوجب القطع بأن متاع الدنيا في جنب متاع الآخرة قليل ويجوز أن يراد بالقليل
 العدم اذ لا نسبة للمتناهي الزائل الى غير المتناهي الباقي والظاهر أن هذا التناقل لم يصدر
 من الكل اذ من البعيد أن يطبقوا جميعا على التباطؤ والتناقل وانما هو من باب نسبة
 ما يقع من البعض الى الكل وهو كثير شائع وفي الآية دلائل على وجوب الجهاد في كل
 حال وفي كل وقت لان الله سبحانه نصر على ان تناقلهم عن الجهاد أمر منكر فلو لم يكن
 منكرا لما عاتبهم على ذلك ويؤيد هذا قوله (ان لا تنفروا بعذبكم عذبا باليا) أي
 يهلككم بعذاب شديد مؤلم قيل في الدنيا فقط باحتباس المطر وغيره وقيل هو أعم من
 ذلك لان العذاب الاليم لا يكون الا في الآخرة قال الحسن وعصمة هذه الآية
 منسوخة بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال الجمهور هذه الآية
 محكمة لانها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم ينفروا كما نقل
 عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فلا نسخ وفي الآية تهديد شديد ووعد مؤكد لمن ترك
 النفر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ويستبدل قومنا غيركم) أي يجعل لرسوله بدلا
 منكم من لا يباطأ عند حاجتهم اليهم ويكون خيرا منكم وأطوع واختلف في هؤلاء
 القوم من هم فقيل أهل اليمن وقيل أهل فارس قاله سعيد بن جبير ولا وجه للتعين
 بدون دليل (ولا تضره) أي الله بترك امتثال أمره بالنفير (شيأ) لانه غنى عن العالمين
 أو لا تضره ورسول الله بترك نصره والنفير معه شيأ فان الله ناصره على أعدائه ولا يتخذله
 أبدا نفرتهم أو ناقلم (والله على كل شيء قدير) ومن جملة مقدوراته تعذيبكم والاستبدال
 بكم (ان لا تنصروه فقد نصره الله) أي ان تركتم نصره فالتكفل به أعتقه أو لا فقد
 نصره في مواطن القلة وأظهره على عدوه بالغلبة والقهر أو فسيد نصره من نصره حين لم
 يكن معه الا رجل واحد (اذا خرج الذين كفروا) أي وقت اخرجهم اياه حال كونه
 (ثاني اثنين) وقرئ بسكون الياء على لغة من يجرى الناقص مجرى المقصور في الاعراب
 أي أحدا اثنين وهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه من

لنتهين عن سبك آلهتنا ولننجون ربك فنهاهم الله ان يسبوا أو فأنهم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال عبد الرزاق عن معمر عن
 قتادة كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسب الكفار الله عدوا بغير علم فأنزل الله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
 وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي أنه قال في تفسيره هذه الآية لما حضر أباطال الموت قالت قريش انطلقوا فاندخل
 على هذا الرجل فالتأمره أن ينهي عن ابن أخيه فأناستحي أن تنتهله بعد موته فتقول العرب كان يمنعهم فلما مات قتلوه فانطلق
 أبوسفیان وأبو جهل والنضر بن الحرث وأممية وأبي اسحاق وعقبه بن أبي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن الجعدي وبعثوا
 (١) قوله ابن أبي نسرة في نسخة أبي برة اه صححه

رجلا منهم يقال له المطلب قالوا استأذن لنا على أي طالب فأبى طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك فأذن لهم عليه فدخولوا عليه فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وناو محمد أقدأدانا وأذى آلهم تنافح أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهم تنافح وتندعه واله فدعاه فغاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبو طالب هؤلاء قومك وبنو عمك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يريدون قالوا يريد أن تدعنا وآلهم تنافحك والهك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألم أرأبتم أن أعطيتمكم هذا هل أنتم معطى كلمة أن تكلمتم بهاملكمكم به العرب ودانت (١٠٨) لكم به العجم وأدت لكم الخراج قال أبو جهل وأبيك لنعطينكمها وعمره

أمثالها قال غاهي قال قولوا لا اله الا الله فأبوا واشمازوا قال أبو طالب يا ابن أخي قل غيرها فان قومك قد فزعوا منها قال يا عم ما أنا بالذي يقول غيرها حتى يأتوا بالشمس فيضعونها في يدي ولو أتوا بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها ارادة أن يوليهم فغضبوا وقالوا لكفن عن شتم آلهم تنافحك ونشتمت من يأمرك فذلك قوله فيسبوا الله عدوا بغير علم ومن هذا القبيل وهو ترك المصلحة لمفسدة أربح منها ما جاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ملعون من سب والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسب الرجل والديه قال يسب أباً بالرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه أو كما قال عليه السلام وقوله كذلك زين السكلكم عملهم أي وكما زين السكلكم عملهم حب أصنامهم والمحاماة لها والاعتصار كذلك زين السكلكم أي من الامم الخالية على الضلال عملهم الذي كانوا فيه والله الحججة البالغة والحكمة التامة فيما يشاؤه

غير اعتبار كونه صلى الله عليه وآله وسلم ثانياً فان معنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع أربعة وتحو ذلك أحد هذه الاعداد مطلقاً الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بأن يقال ثالث ثلاثة ورابع أربعة (أذهما في الغار) هو ثقب عظيم في الجبل المسمى ثورا وهو المشهور بربغار ثور وهو جبل قريب من مكة وبينهما مسيرة ساعة ويجمع على غيران والغار أيضا بنت طيب والجماعة والغاران البطن والفرج وآل الغار منقلبة عن واو وقصة نروجه صلى الله عليه وآله وسلم من مكة الى المدينة هو وأبو بكر ودخولهما الغار ومكثما فيه ثلاثا مشهورة مذكورة في كتب السير والحديث وسياق حديث الهجرة من أفراد البخاري وهو طوبى لجداد (أذيقول لصاحبه) أي وقت قوله لا ي بكر (لا تحزن) أي دع الحزن (ان الله) نصره وعونه وتأيدته وعصمته وحفظه وولايته ومعونه وتسديده (معنا) والمراد بالمعية المعية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شئ من الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع الملتزم فالمراد بما فيه من المتبوعية هو المتبوعية في الامر المباشر قاله أبو السعود وقال الخفافج انها معية مخصوصة والا فهو مع كل أحد اه والمعنى من كان الله معه فان يغلب ومن لا يغلب فيحق له أن لا يحزن وذلك ان أبابكر خاف من الطلب أن يعملوا بمكانهم فزع عن ذلك وكان حزنه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا على نفسه وقال اذا أتأمت فانار رجل واحد واذا مات أتت هلكت الامم والدين أخرج الشيخان عنه رضى الله عنه قال نظرت الى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وزاد البزار والطبراني والبيهقي في الدلائل عن أنس والمغيرة بن شعبه فأما هم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه قال النووي هو داخل في قوله سبحانه ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم توكل النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى في هذا المقام وفيه فضيلة لا ي بكر وهي من أجل مناقبه وقال الشعبي عاتب الله عز وجل أهل الارض جميعا في هذه الآية غير أبي بكر وقال الحسن بن الفضل من قال ان أبابكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو كافر لا نكاره نص القرآن وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا ي بكر أنت صاحب على الحوض وصاحب في الغار أخرج الترمذي

وقال ويختاره ثم الى ربهم مرجعهم أي معادهم ومصيرهم فينبئهم بما كانوا يعملون أي يجازيهم بأعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر (وأفسه وابل الله جهداً أي انهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) يقول تعالى اخبارا عن المشركين انهم أفسه وابل الله جهداً أي انهم لئن جاءتهم آية أي معجزة وخارق ليؤمنن بها أي ليصدقن بها قل انما الآيات عند الله أي قل يا محمد لهؤلاء الذين يسألونك الآيات تعسوا وكفروا عند الاعلى سبيل الهدى استرشادا انما مرجع

هذه الآيات إلى الله أن شاءكم بها وان شاءتكم ككم قال ابن جرير حدثنا هشام (١) حدثنا يونس بن بكير حدثنا أبو حنيفة (٢) عن محمد بن كعب القرظي قال كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قر يش فقالوا يا محمد تخبرنا ان موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتي عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى كان يحيى الموت وتخبرنا ان نوح كان لهم ناقة فأتنا من الآيات حتى تصدقت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي شيء يحبون ان آتيكم به قالوا يجعل لنا الصفا ذهباً فقال لهم ان فعلت تصدقوني قالوا نعم والله لئن فعلت لتتبعنا أجمعين فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو (١٠٩) بخاء جبريل عليه السلام فقال له ما شئت

ان شئت أصبح الصفا ذهباً ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك ليعذبهم وان شئت فأتهم حتى يتوب تأييمهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تأييمهم فأنزل الله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم الى قوله تعالى ولكن أكثرهم يجهلون وهذا مرسل وله شواهد من وجوه أخر وقال الله تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون الآية وقوله تعالى وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون قيل المخاطب بما يشعركم المشركون واليه ذهب مجاهد كأنه يقول لهم وما يدريكم بصدقكم في هذه الايمان التي تقسمون بها وعلى هذا فالقراءة أنها اذا جاءت لا يؤمنون بكسر انها على استئناف الخبر عنهم تنفي الايمان عند مجيء الآيات التي طلبوها وقرأ بعضهم أنها اذا جاءت لا يؤمنون بالتاء المنشأة من فوق وقيل المخاطب بقوله وما يشعركم المؤمنون يقول وما يدريكم أيها المؤمنون وعلى هذا فيجوز في انها الكسر كالاول والفتح على أنه معمول يشعركم وعلى هذا فتكون لاني قوله أنها اذا جاءت

وقال حديث صحيح حسن غريب وعبرة أبي السهم ودوفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رضي الله تعالى عنه وسابقة محبته ما لا يخفى اه وفي الكشاف وقالوا من أنكرحجة أبي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة وقيل انه ليس بمنصوص عليه فيها بل المنصوص عليه ان له ثانيا هو صاحبه فيه فانكار ذلك يكون كفرا لانكار حجة بخصوصه ولذا قال قالوا جعل العهد فيه على غيره وفيه نظر قاله الخنابى وقد استنبط أهل العلم من هذه الآية وجوها كثيرة على فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه يطول ذكرها (فأنزل الله سكينته) هي تسكين جاشه وتأمينه حتى ذهب روعه وحصل له الامن على أن الضمير في (عامه) لابي بكر وبه قال ابن عباس وأكثر المفسرين وقيل هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويكون المراد بالسكينة النزلة عليه عصمة عن حصول سبب من أسباب الخوف له ويؤيد كون الضمير في عليه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الضمير في (وأيدته بجنود لم تروها) فانه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لانه المؤيد به هذه الجنود التي هي الملائكة في الغار بحرسونه ويسكنون روعه ويصرفون ابصار الكفار عنه كما كان في يوم بدر وقيل انه لا محذور في رجوع الضمير من عليه الى أبي بكر ومن وأيدته الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فان ذلك كثير في القرآن وفي كلام العرب (وجعل كلمة الذين كفروا) أي كلمة الشرك وهي دعوتهم اليه ونداءهم للاصنام أو كل ما يدل على الشرك أو المراد به عقيدة الشرك أي الكفر بطلقها بأشياء أنواعه أقوال للمفسرين (السفلى) المغلوبة الى يوم القيامة (وكلمة الله هي العليا) في ضمير الفصل أعنى هي تأكيدي لفضل كلمته في العلو وانها المختصة به دون غيرها والمراد بها كلمة التوحيد والعودة الى الاسلام فهي ظاهرة غالبية باقية الى يوم القيامة عالمية (والله عزيز حكيم) أي غالب ذاهرا لا يفعل الا ما فيه حكمة ووصواب ثم لما توعد من لم ينقر مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وضرب له من الامثال ما ذكره عقبه بالامر بالجزم فقال (انفروا) حال كونكم (خفافا وثقالا) أي على الصفة التي يخف عليكم الجهاد فيها وعلى الصفة التي يتقل عليكم الجهاد فيها وهذا الوصفان يدخل تحتها أقسام كثيرة فلهذا اختلفت عبارات المفسرين فيها فقول المراد منفردين أو مجتمعين وقيل نشاطا وغير نشاط وقيل فقراء وأغنياء وقيل شبابا وشيوخا وقيل ركبانا ومشاة رجالا وفرسانا وقيل من سبق الى

لا يؤمنون صله كقوله ما منعك أن تسجد اذا أمرتك وقوله وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون أي ما منعك أن تسجد اذا أمرتك وحرام انهم يرجعون وتقدمه في هذه وما يدريكم أيها المؤمنون الذين تودون لهم ذلك حرصا على ايمانهم أنها اذا جاءت الآيات يؤمنون قال بعضهم انها معني لعلمها قال ابن جرير وذكروا أن ذلك كذلك في قراءة أبي بن كعب قال وقد ذكر عن العرب سمعا اذهب الى السوق انك تشتري شيئا معني لعلا تشتري قال وقد قيل ان قول عدى بن زيد العبادي من هذا أعاذل ما يدريك أن منيتي * الى ساعة في اليوم وفي ضحى الغد وقد اختار هذا القول ابن جرير وذكره شواهد من (١) قوله حدثنا هشام في نسخة هذا (٢) وقوله حدثنا أبو حنيفة في نسخة أبو عمرو وحده

أشعار العرب والله أعلم وقوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية لما حشد المشركون ما أنزل الله في الآية لم تثبت قلوبهم على شيء وردت عن كل أمر وقال مجاهد في قوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ونحول بينهم وبين الإيمان ولوجاءتهم كل آية فلا يؤمنوا كما حللنا بينهم وبين الإيمان أول مرة وكذا قال عكرمة وعبد الله بن زيد بن أسلم وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال أخبر الله ما العباد فأتولون قبل أن يقولوه وعلمهم قبل أن يعمله وقال ولا ينبتك مثل خير جبل (١١٠) وعلا أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله إلى قوله لو أن

لى كرة فأكون من المحسنين فأخبر الله سبحانه أنهم لو ردوا لم يكونوا على الهدى وقال لو ردوا والعادوا المانها عنه وانهم لكاذبون وقال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة قال لو ردوا إلى الدنيا لحليل بينهم وبين الهدى كما حللنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا وقوله ونذرهم أي نتركهم في طغيانهم قال ابن عباس والسدى في كفرهم وقال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة في ضلالهم بعمهون قال الأعمش يلبسون وقال ابن عباس وغيره يستردون (ولو أنزلنا إليهم الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا يؤمنوا الآن إن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) يقول تعالى ولو أننا أجبتنا سؤال هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها فتر لنا عليهم الملائكة تخبرهم برسالة من الله تصدق الرسل كما سألو فألوا وتأتى بالله والملائكة قبيلا وقالوا لن نؤمن

الحرب كما اطلأع ومن يتأخر كالخيش وقيل أهل الميسرة وأهل العسرة وقيل مقلين من السلاح ومستكثرين منه وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل أصحاب مرضى وقيل عزابا ومتأهلين وقيل خفاقا من الحاشية والاتباع وثقالا مستكثرين منهم وقيل مسرعين في الخروج إلى الغزوة ساعة سماع النفير وبعد التروى فيه والاستعداد له وقيل غير ذلك ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه المعاني لان معنى الآية انفر واخفت عليكم الحركة أو ثقلت فالاولى ان هذا عام لكل الاحوال فيها والامر محمول على الوجوب قال السدى وهذه الآية منسوخة بقوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى وقيل الناسخ لها قوله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة الآية قاله ابن عباس وقيل الامر محمول على الندب وهي محكمة وتليست بمنسوخة ويكون اخراج الاعمى والاعرج بقوله ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج واخراج الضعيف والمرضى بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى من باب التخصيص لان باب النسخ على فرض دخول هؤلاء تحت قوله خفاقا وثقالا والظاهر عدم دخولهم تحت العموم وبدل عليه ان هذه الآية نزلت في غزوة تبوك وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلف في المدينة في تلك الغزوة النساء وبعض الرجال فذلك دل على أن الجهاد من فروض الكفايات ليس على الاعيان (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) فيه الامر بالجهاد بالانفس والاموال واجبا على العباد الفقراء بجاهدون بأنفسهم والاعنياء بأموالهم وأنفسهم والجهاد من أكبر القرائض وأعظمها وهو فرض كفاية مهما كان البعض يقوم بجهاد العدو ويدفعه فان كان لا يقوم بالعدو والجميع المسلمين في قطر من الارض أو أقطار ووجب عليهم ذلك وجوب عين (ذلكم) أي ما تقدم من الامر بالنفير والامر بالجهاد (خير لكم) عظيم في نفسه وخير من السكون والدعة (ان كنتم تعلمون) ذلك وتعرفون الاشياء الفاضلة وتميزونها عن المنفصلة فافعلوه ونزل في الذين تخلفوا عن غزوة تبوك (لو كان المدعو اليه أو ما تدعوهم اليه (عرضا) هو ما يعرض من منافع الدنيا ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر (قريبا) والمعنى غنيمته مهله قريبة التناول غير بعيدة (وسفر افاصدا) أي متوسطا بين القرب والبعد وكل متوسط بين الافراط والتفريط فهو

قاصد حتى نوتى مثل ما أوفى رسل الله وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وكلهم الموتى فأخبروهم بصدق ما جاءتهم به الرسل وحشرنا عليهم كل شيء قبلا قرأ بعضهم قبلا بكسر القاف وفتح الباء من المقابلة والمعانسة وقرأ آخرون بضمهما قيل معناه من المقابلة أيضا كما رواه علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس وبه قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال مجاهد قبلا أي أفواجا قبلا قبلا أي تعرض عليهم كل أمة بعد أمة فيخبرونهم بصدق الرسل فيما جاؤهم به ما كانوا يؤمنوا إلا أن يشاء الله لان الهداية اليه لا إليهم بل يهدي من يشاء وهو

لان المراد شياطين منهم وقد روى ابن أبي حاتم نحو هذا عن ابن عباس من رواية الغمك عنه قال ان الجن شياطين يضلونهم مثل شياطين الانس يضلونهم قال فيلحق شياطين الانس وشياطين الجن فيقول هذا الهذا اضله بكذا فهو قوله يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وعلى كل حال فالصحيح ما تقدم من حديث أبي ذر ان للانسان شياطين منهم وشيطان كل شئ مارد له وهذا جاء في صحيح مسلم عن أبي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكلب الاسود شيطان ومعناه والله أعلم شيطان في الكلاب وقال ابن جرير قال مجاهد في تفسير هذه الآية كفار الجن شياطين يوحون (١١٣) الى شياطين الانس كفارا لان زخرف

القول غرورا وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال قدمت على المختاراً كرمي وأزرتني حتى كاد يتعاهد ميتي بالليل قال فقال لي اخرج الى الناس فخذتهم قال فخرجت فجا رجل فقال ماتت في الوحي فقلت الوحي وحيان قال الله تعالى بما أوحينا اليك هذا القرآن وقال تعالى شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا قال فهموا بي أن يأخذوني فقلت لهم مالكم ذلك اني مقبلكم وضيفكم فتركوني وانما عرض عكرمة بالمختار وهو ابن أبي عبيد فجهه الله وكان يزعم انه يأتيه الوحي وقد كانت أخته صفيقة تحت عبد الله بن عمر وكانت من الصالحات ولما أخبر عبيد الله بن عمر ان المختار يزعم انه يوحى اليه فقال صدق قال الله تعالى وان الشياطين ليمسحون الى أوليائهم وقوله تعالى يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا أي يلقي بعضهم الى بعض القول المزين المزخرف وهو المزوق الذي يغتر سماعه من الجهلة بأمره

يستأذنونك ليسوا بمؤمنين بل كانوا امرتابين حائرين لا يهتمون الى طريق الصواب ولا يعرفون الحق والآية محكمة كلها وقال ابن عباس نسختها الآية التي في سورة النور انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله الى قوله غفور رحيم فجعل الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم باعلى النظرين في ذلك من غزاغزا في فضيله ومن قعد قعد في غير حرج ان شاء الله (ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة) أي لو كانوا صادقين فيما يدعون ويخبرونك به من انهم يريدون الجهاد معك ولكن لم يكن معهم من العدة للجهاد ما يحتاجون اليه لما تركوا اعداد العدة وتحصيلها قبل وقت الجهاد كما يستعد لذلك المؤمنون فغنى هذا الكلام انهم لم يريدوا الخروج أصلاً ولا استعدوا للغزو والعدة ما يحتاج اليه المجاهد من الزاد والراحلة والسلاح (ولكن كره الله انبعاثهم فنبطهم) الاستعداد هنا يحتاج الى تأمل فلذلك قال الزمخشري ما حاصله ولكن كره الله خروجهم فنبطوا عن الخروج فيكون المعنى ما خرجوا ولكن نبطوا لان كراهة الله انبعاثهم تستلزم تنبطهم عن الخروج والانبعاث الخروج أي حبسهم الله عن الخروج معك وخذلهم وكسلهم لانهم قالوا ان لم يؤذن لنا في الجوارح أفسدنا وحرصنا على المؤمنين وقيل المعنى لو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن ما أرادوا لكره الله له وعلى هذا فهو استدراك على نفس المتقدم على نهج ما في الاقيسة الاستثنائية وكان في خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مفسدة عظيمة بدليل انه تعالى أخبر عنها بقوله الآتي ما زادوكم الاخبالا وأما عتاب الله لرسوله بقوله لم آذنت لهم فانه اذن لهم قبل تمام الفحص والكمال التأمل والتدبر في حالهم فلهذا السبب عاتبه وقيل انما عاتبه لاجل انه آذنت لهم قبل أن يوحى اليه في أمرهم بالعودة (وقيل اعدوا) والقائل لهم هو الشيطان بما يلقى اليهم من الوسوسة وقيل قاله بعضهم لبعض وقيل قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غضبا عليهم وقيل هو عبارة عن الخذلان أي أوقع الله في قلوبهم العودة خذلا نالهم وقال السيوطي أي قدر الله ذلك أي العودة يعني فلا قول بالفعل لان الله ولا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم (مع القاعد) أي مع أولى الضرر من العميان والمرضى والنساء والصبيان وفيه من الذم لهم والازراء عليهم والتنقص بهم ما لا يخفى (لو خرجوا) شروع في بيان المقاسد التي تترتب على خروجهم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين عن تخلف المنافقين

(١٥ - فتح البيان ح)

ولو شاء ربك ما فعلوه أي وذلك كله بقدر الله وقضائه واراادته ومشيئته أن يكون لكل نبي عدو ومن هو لا عدو لهم أي فدعهم وما يفترون أي يكذبون أي ادع اذاهم وتوكل على الله في عدوتهم فان الله كافيك وناصرك عليهم وقوله تعالى ولتصغي اليه أي ولتميل اليه قاله ابن عباس أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة أي قلوبهم وعتقو لهم وأسماعهم وقال السدي قلوب الكافرين ولا يرصوه أي يحبوه ويريدوه وانما يستحب ذلك من لا يؤمن بالآخرة كما قال تعالى فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بقاتين الا من هو صالح الخيم وقال تعالى انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك وقوله

وليقتر فواما هم مقترفون قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس وليكتبوا ما هم مكتسبون وقال السدي وابن زيد وليعملوا ما هم عاملون (أفغير الله ابغى حكا هو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناكم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم) يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين بالله الذين يعبدون غيره أفغير الله ابغى حكا أي بنبي وبنبيكم وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا أي مبينا والذين آتيناكم الكتاب أي من اليهود (١١٤) والنصاري يعلمون أنه منزل من ربك بالحق أي بما عندهم من البشارات بك من

الانبياء المتقدمين فلا تكونن من الممترين كقوله فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين وهذا شرط والشرط لا يقتضى وقوعه ولهذا جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أشك ولا أسأل وقوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا قال قتادة صدقا فمما قال وعدلا فمما حاكم يقول صدقا في الاخبار وعدلا في الطب فكل ما أخبر به فحق لا مريبة ولا شك وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه وكل ما نهى عنه فباطل فانه لا ينهى الا عن مفسدة كما قال تعالى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الى آخر الآية لا مبدل لكلماته أي ليس أحد يعقب حكمه تعالى لافي الدنيا ولا في الآخرة وهو السميع لاقوال عباده العليم بجزئياتهم وسكاتهم الذي يجازي كل عامل بعمله (وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وانهم الا يخبرون ان

ومعنى (فيكم) في جيشكم أو في معنى مع أي معكم (ما زادكم الا خبالا) هو الشر والفساد والتميمة وواقعا الاختلاف والاراجيف وأصله اضطراب ومرض يؤثر في العقل كالجنون قيل هذا الاستثناء منقطع أي ما زادكم قوة ولكن طلبوا الخبال وليس بذلك لانه لا يكون مفرغا قاله الزمخشري والبيضاوي وأبو السعود قال الخفاجي وفيه بحث لانه لا مانع منه اذا دلت القرينة عليه كما اذا قيل ما أيسر في البادية فقلت مالي بها الا العافير أي مالي أنيس الا هذه انتهى وقيل المعنى لا يزيدونكم فيما تريدون فيه من الرأي الا خبالا فيكون متصلا وقيل هو استثناء من أعم العام أي ما زادكم شيئا الا خبالا فيكون الاستثناء من قسم المتصل لان الخبال من جملة ما يصدق عليه الشيء (ولا وضعوا خلالكم) الايضاع سرعة السير يقال أوضع البعير اذا أسرع السير وقيل هو سير الخب وأوضع يستعمل لازما كما في القاموس ومتعديا كما في المختار والخله الفرجة بين الشيتين والمفرد دخل والجمع الخلال بحمل وجمال أي الفرج التي تكون بين الصفوف والمعنى على الاول لسعوا بينكم بالافساد بما يحتلونه من الاكاذيب المشتملة على الارجاف والتمائم الموجبة لفساد ذوات الين وعلى الثاني أسرعوا كأنكم بينكم بالتميمة وفيه استعارة تخيلية ومكنية وقيل انه استعارة تبعية شبه سرعة افسادهم لذات الين بالتميمة بسرعة سير الر كائب المسماة بالايضاع وهو أسرع سير البعير ثم استعير لسرعة افساد لفظ الايضاع وهو للابل ثم اشتق منه أوضعو وأصل الاستعارة ولا وضعو كأنهم خلالكم ثم حذف التمام وأقيم المضاف اليه مقامها للدلالة تسمية الكلام على ان المراد التهمة ثم حذف الر كائب قاله الطيبي كما ذكره زكريا (بيغونكم) يقال بغيتك كذا طلبته له وأبغيتك كذا أعتته على طلبه والمعنى يطالبونكم (الفتنة) أي ما يفتنون به في ذات بينكم بما يصنعونه من التحريش والافساد وقولهم للمؤمنين لقد جدعوا لكم كذا وكذا ولا طاعة لكم بهم وانكم ستهزمون منهم وسيظهرون عليكم وفجود ذلك من الاحاديث الكاذبة التي تورث الخبن والفشل وقيل الفتنة العيب والشر وقيل الفتنة هنا الشرك (وفيكم سماعون لهم) أي والحال ان فيكم من يستمع ما يقولونه من الكذب فينقله اليكم فيتأثر من ذلك الاختلاف بينكم والفساد لاجوالكم قال مجاهد معناه محدثون لهم بأحاديثكم غير منافقين وهم عيون للمنافقين انتهى فعلى هذا يكون المراد فيكم

جواسيس

ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) يخبر تعالى عن حال أكثر أهل الارض

من بني آدم انه الضلال كما قال تعالى ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين وقال تعالى وما أ كثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهم في ضلالهم ليسوا على يقين من أمرهم وانما هم في ظنون كاذبة وحسبان باطل ان يتبعون الا الظن وانهم الا يخبرون فان الخرص هو الخزر ومنه خرص النخل وهو خرم اعلمه من الترو ذلك كله عن قدر الله ومشيئته وهو أعلم من يضل عن سبيله فيسيره لذلك وهو أعلم بالمهتدين فيسيرهم لذلك وكل ميسر لما خلق له (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين) وما لكم ان لا تأكلوا مما ذكر

اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثير المضاون بأهوائهم بغير علم ان ربك أعلم بالمعتدين) هذا اباحة من الله لعباده المؤمنين أن يأكلوا من الذبائح ما ذكر عليه اسمه ومفهومه انه لا يباح ما لم يذكر اسم الله عليه كما كان يستبيحه كفار المشركين من أكل الميتات وكل ما ذبح على النصب وغيرها ثم يندب الى الاكل مما ذكر اسم الله عليه فقال ومالككم ان لاتأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم أي قديين لكم ما حرم عليكم ووضعه وقرأ بعضهم فصل بالتشديد وقرأ آخرون بالتخفيف والسك على البيان والوضوح الا ما اضطررتم اليه أي الا في حال (١١٥) الاضطرار فانه يباح لكم ما وجدتم ثم بين تعالى

جهالة المشركين في آرائهم الفاسدة في استحلالهم الميتات وما ذكر عليه غير اسم الله تعالى فقال وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين أي هو أعلم بأعدائهم وكنبيهم واقتنائهم (وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يترفون) قال مجاهد وذكروا ظاهر الاثم وباطنه المعصية في السر والعلانية وفي رواية عنه هو ما ينوي مما هو عامل وقال قتادة وذكروا ظاهر الاثم وباطنه أي سره وعلانيته قليله وكثيره وقال السدي ظاهره الزنا مع البغايا ذوات الرايات وباطنه مع الخليله والصدائق والاخذان وقال عكرمة ظاهره نكاح ذوات المحارم والعجيج ان الآية عامة في ذلك كله وهي كقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن الآية ولهذا قال تعالى ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يترفون أي سواء كان ظاهر أو خفيا فان الله سيجزيهم عليه قال

جواسيس منهم يسعون لهم الاخبار منكم فاللام على الاول للتقوية وعلى الثاني للتعليل أي لاجلهم (والله عليم بالظالمين) وبما يحسد منهم لو خرجوا معكم فلذلك اقتضت حكمته بالالفة ان لا يخرجوا معكم وكره ان يعاينهم معكم ولا ينافي حالهم هذا لو خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما تقدم من عتابه على الاذن لهم في الخلف لانه سارع الى الاذن لهم ولم يكن قد علم من أحوالهم لو خرجوا انهم يفعلون هذه الافعال فعوتب صلى الله عليه وسلم على تسرعه الى الاذن لهم قبل أن يتبين له الصادق منهم في عذره من الكاذب ولهذا قال الله سبحانه فيما يأتي في هذه السورة فان رجعت الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن يخرجوا معي أبد الآبىة وقال في سورة الفتح سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى المعانم لتأخذوها الى قوله قل لن تتبعونا في الآية وعيد تهديد للمنافقين الذين يلقون الفتن والشبهات بين المؤمنين ووضع المظهر موضع المضمحل لتسجيل عليهم بالظلم والتشديد في الوعيد والاشعار بترتبته على الظلم قال أبو السعد عود وعمله شامل للمنافقين السماعين والقاعدين (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) أي لقد طلبوا الافساد والخبال وتفرق كلمة المؤمنين وتشتت شملهم من قبل هذه الغزوة التي تحلفوا عنك فيها كما وقع من عبد الله بن أبي وغيره يوم أحد حيث انصرف باصحابه عنك وبأبي الله الأأن يتم نوره ولو كره الكافرون (وقلبوا لك الامور) أي صرفوها من وجه الى وجه ودبروا لك الحيل والمكاييد وردوا الآراء في ابطال أمرك وتقلب الامر تصريته من أمر الى أمر وترديده لاجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة ومنه قول العرب للرجل حوّل وقلب اذا كان دائرا حول المكاييد والحيل يدبر الرأي فيها ويتدبره وقرئ بالتخفيف (حتى جاء الحق) أي الى غاية هي حقيء الحق وهو النصر لك والتأييد وقيل الحق القرآن (وظهر أمر الله) باعزاز دينه واعلاء شريعته وقهر أعدائه (وهي كارهون) لمحجى الحق وظهور أمر الله ولكن كان ذلك على رغم منهم (ومنهم) أي من المنافقين (من يقول) لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أئن لي) في الخلف عن الجهاد (ولانفتني) أي لا توقعني في الفتنة أي المعصية والاثم اذ لم تأذن لي فخلفت بغير اذنك وقيل معناه لا توقعني في الهلكة بالخروج عن ابن عباس قال لما أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يخرج الى غزوة تبوك قال لجد بن قيس يا جد بن قيس ما تقول في مجاهدتي

ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبيرة بن نفيير عن أبيه عن النوايس بن ميمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاثم فقال الاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع الناس عليه (ولانما كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعموهم انكم لمشركون) استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب الى أن الذبيحة لا تحل اذ لم يذكر اسم الله عليها وان كان الذبايح مسلما وقد اختلف الاثمة رجهم الله في هذه المسئلة على ثلاثة أقوال فمنهم من قال لا تحل هذه الذبيحة بهذه الصفة وسواء متروكة التسمية

عبد أوسهم وأوهو مروى عن ابن عمرو ونافع مولاة وعامر الشعبي ومحمد بن سيزين وهو رواية عن الامام مالك ورواية عن أحمد بن حنبل نصرها طائفة من أصحابه المتقدمين والمتأخرين وهو اختصار أبي ثور وداود الظاهري واختار ذلك أبو الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي من متأخري الشافعية في كتابه الاربعين واحتجوا المذهب هذه الآية بقوله في آية الصيد فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ثم قدأ كد في هذه الآية بقوله وانه لفسق والضمير قيل عائد على الاكل وقيل عائد على الذبح بغير الله وبالاحادث الواردة في الامر بالتسمية عند (١١٦) الذبيحة والصيد كحديثي عدى بن حاتم وأبي ثعلبة اذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت

اسم الله فكل ما أمسك عليك وهما في الصحيحين وحديث رافع ابن خديج مما أنهر الدم وذكرا اسم الله عليه فكلوه في الصحيحين أيضا وحديث ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للجن لكم كل عظم ذكرا اسم الله عليه رواه مسلم وحديث جندب بن سفیان الجبلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذبح قبل أن يصلي فليذبح مكانها أخرى ومن لم يكن ذبح حتى صلينا فليذبح باسم الله أخرجاه وعن عائشة رضی الله عنها ان ناسا قالوا يا رسول الله ان قوما يأتوننا باللحم لا ندرى أذكروا اسم الله عليه أم لا قال هو عليه اسم الله واكلوا قالت واكلوا احديثي عهد بكفر رواه البخاري ووجه الدلالة انهم فهموا أن التسمية لا بد منها وخشوا أن لا تكون وجدت من أولئك لحدائثة اسلامهم فأمرهم بالاحتياط بالتسمية عند الاكل لتكون كالعوض عن المتروكة عند الذبح ان لم تكن وجدت وأمرهم باجراء أحكام المسلمين على السداد والله أعلم والمذهب الثاني في المسئلة

الاصفر فقال يا رسول الله اني امر وصاحب نساء ومتى أرى نساء بنى الاصفر أقتن فأذن لي ولا تفتني فأزل الله ومنهم من يقول ان الذن الى الآية (ألا في الفتنه سقطوا) أى في نفس الفتنه وهى فتنه التخلف عن الجهاد والاعتذار الباطل والمعنى انهم ظنوا انهم بالخروج أو بترك الاذن لهم يقعون في الفتنه وهم بهذا التخلف سقطوا في الفتنه العظيمة وفي التعبير بالسقوط ما يشعر بأنهم وقعوا فيها وقوع من هوى من أعلى الى أسفل وذلك أشد من مجرد الدخول في الفتنه ثم توعدهم على ذلك فقال (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أى مشتملة عليهم من جميع الجوانب لا يجسدون عنها ملخصا ولا يتمكنون من الخروج منها بحال من الاحوال وهذا عيذ لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه وقصة تتولد مذكورة في كتب الحديث والسير فلا تطول بذكرها (ان تصبك حسنة تسؤهم) أى حسنة كانت بأى سبب اتفق كما يفيد وقوعها في حيز الشرط وكذلك القول في المصيبة وتدخل الحسنة والمصيبة الكائنة في القتال كما يفيد السياق دخولا أو ليا في جملة ما يصدق عليه الحسنة الغنمية والظفر ومن جملة ما يصدق عليه المصيبة الخيبة والانهزام وهذا ذكر نوع آخر من حيث ضمائر المنافقين وسوء أفعالهم والخبار بعضهم عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين فان المساءة بالحسنة والفرح بالمصيبة من أعظم ما يدل على انهم قد بلغوا في العداوة الى الغاية (وان تصبك مصيبة) أى هزيمة أو شدة كما تقدم وقابل الله هنا الحسنة بالمصيبة ولم يقابلها بالسيئة كما قال في سورة آل عمران وان تصبكم سيئة يفرحوا بها لان الخطاب هنا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهى في حقه مصيبة يثاب عليها السيئة يعاتب عليها والى هناك خطاب للمؤمنين قاله الشهاب (يقولوا) أى المنافقون حامدين لرأيهم (قد أخذنا أمرنا من قبل) أى احتطنا لانفسنا وأخذنا بالحزم واعتزلنا عنهم وقعدنا عن الحرب فلم نخرج للقتال كما خرج المؤمنون حتى نالهم ما نالهم من المصيبة (وتولوا وهم فرحون) أى رجعوا الى أهلهم عن مقامات الاجتماع ومواطن التحدث حال كونهم فرحين بالمصيبة التى أصابت المؤمنين وبما صنعوا من أخذ الامر وبما أصابه صلى الله عليه وآله وسلم والجملة حال من الضمير في يقولوا ويتولوا الامن الاخير فقط لمقارنة الفرحة لهم بما عاشوا لما قالوا هذا القول أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يجيب عليهم فقال (قل)

انه لا يشترط التسمية بل هى مستحبة فان تركت عمد أو نسيانا لا تضر وهذا مذهب

لهم

الامام الشافعي رحمه الله وجميع أصحابه ورواية عن الامام أحمد نقلها عنه حنبل وهو رواية عن الامام مالك ونص على ذلك أشهب بن عبد العزيز من أصحابه وحكى عن ابن عباس وأبي هريرة وعطاء بن أبي رباح والله أعلم وحمل الشافعي الآية الكريمة ولاننا كلوا مما لم يذكروا اسم الله عليه وانه لفسق على ما ذبح بغير الله كقوله تعالى أو فسقا أهل غير الله به وقال ابن جرير عن عطاء ولاننا كلوا مما لم يذكروا اسم الله عليه قال يني عن ذبائح كانت تذبحها قريش للاوثان ونهى عن ذبائح الجوس وهذا المسلك الذى طرده الامام الشافعي قويا وقيد حاول بعض المتأخرين أن يقويه بأن جعل الواو في قوله وانه لفسق جالسة أى لاننا كلوا

مما لم يذكر اسم الله عليه في حال كونه فسقاً ولا يكون فسقاً حتى يكون قد أهل به لغير الله ثم ادعى أن هذا متعين ولا يجوز أن تكون الواو عاطفة لانه يلزم منه عطف جملة اسمية خبرية على جملة فعلية طلبية وهذا ينتقض عليه بقوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم فانها عاطفة لا محالة فان كانت الواو التي ادعى أنها حالية صحيحة على ما قال امتنع عطف هذه عليها فان عطف على الطيبة وورد عليه ما أورد على غيره وان لم تكن الواو حالية بطل ما قال من أصله والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة أنبأنا جريح عن سويد بن جبيرة عن ابن عباس في الآية (١١٧) ولاننا كولو مما لم يذكر اسم الله عليه قال المبتة

ثم رواه عن أبي زرعة عن يحيى بن ابي كثير عن ابن لهيعة عن عطاء وهو ابن السائب به وقد استدل لهذا المذهب بما رواه أبو داود في المراسيل من حديث ثور بن يزيد عن الصلت السدي عن مولى سويد بن منجون أحد التابعين الذين ذكروهم أبو حاتم بن حبان في كتاب الثقات قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبيحة المسلم حلال ذكرا سم الله أولم يذكر انه ان ذكرا لم يذكر الاسم الله وهذا امر سل بعضه بما رواه الدارقطني عن ابن عباس أنه قال اذا ذبح المسلم ولم يذكر اسم الله فليأكل فان المسلم فيه اسم من أسماء الله واحتج البيهقي أيضا بحديث عائشة رضيت الله عنها المتقدم ان ناسا قالوا يا رسول الله ان قومنا حديثي عهد بجاهلية يا لوتنا يلجم لاندري أذ كرا سم الله عليه أم لا فقال سموا أنتم وكوا قال فلو كان وجود التسمية شرطاً لم يخصص لهم الامح تحققها والله أعلم المذهب الثالث في المسئلة ان ترك البسمة على الذبيحة نسياناً لم يضر وان تركها عمداً لم يحل هذا هو المشهور من مذهب الامام مالك

لهم بياناً بالطلان ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد (ان يصيينا الاما كتب الله لنا) في اللوح المحفوظ أوفى كتابه المنزل علينا وفائدة هذا الجواب ان الانسان اذا علم ان ما قدره الله كائن وان كل ماناله من خيراً وشراً ما هو بقدر الله وقضائه هانت عليه المصائب ولم يجد مرارة شماتة الاعداء وتشفي الحسدة (هو مولانا) أي ناصرنا وجاعل العاقبة لنا ومظهر دينه على جميع الاديان (وعلى الله فليستوكل المؤمنون) الفاء سببية والاصل ليتوكل قدم الظرف على الفعل لافادة القصر ثم ادخلت الفاء للدلالة على استجابة تعالى للتوكل كما في قوله واي اي فارهبون والتوكل على الله فهو بض الامور اليه والمعنى ان من حق المؤمنين ان يجعولوا توكلهم في جميع أمورهم محتسبا بالله سبحانه لا يتوكلون على غيره (قل هل تربصون بنا) أي هل تنتظرون أيها المنافقون ان يقع (بنا الاحدى) الخصلتين (الحسنين) اما النصره والغنيمه أو الشهادة والمغفرة وكلاهما مما يحسن لدينا والحسنى تأنيث الاحسن ومعنى الاستفهام التبريع والتوبيخ وهذا ايضاح وكشف لقوله الاما كتب الله لنا (ونحن نتربص بكم) احدى المساءتين لكم من العواقب اما (ان يصيبكم الله بعدذاب من عنده) أي قارعة نازلة من السماء كما اصاب من قبلكم من الامم المهلكة فيسحتكم بعدابه (أو) بعدذاب لكم (بايدينا) أي باظهار الله لنا عليكم بالقتل والاسر والنهب والسبي والفاء في (فتربصوا) فصيحة والامر للتهديد كما في قوله ذق انك أنت العزيز الكريم أي تربصوا بنا ما ذكرا من عاقبتنا (انا) أي نحن (معكم متربصون) ما هو عاقبتكم فستنتظرون عند ذلك ما يسرنا ويسوءكم (قل انفقوا طوعاً وكرهاً ان يتقبل منكم) هذا الامر معناه الشرط والجزاء لان الله سبحانه لا يأمرهم بما لا يتقبله منهم والتقدير ان انفقتم طائعين أو مكرهين فلن يتقبل منكم وقيل هو امر في معنى الخبر أي انفقتم طوعاً وكرهاً لن يتقبل منكم فهو كقوله استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وفيه الاشعار بتساوي الامرين في عدم القبول واتصاف طوعاً وكرهاً على الحال فهما مصدران في موقع المشتقين أي انفقوا طائعين من غير أمر من الله ورسوله أو مكرهين بأمر منهما وايس المراد بالطوع الرغبة لقوله الاتي الا وهم كارهون أي لا رغبة لهم وسمى الامر منهما كراهالانهم منافقون لا ياترون بالامر فكأنوا بأمرهم الذي لا ياترون به

وأحمد بن حنبل وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه واسحق بن راهويه وهو محكي عن علي وابن عباس وسعيد بن المسيب وعطاء وطاوس والحسن البصري وأبي مالك وعبد الرحمن بن أبي ليلى وجعفر بن محمد وربيعة بن عبد الرحمن ونقل الامام أبو الحسن المرغيناني في كتابه الهداية الاجماع قبل الشافعي على تحريم متروكة التسمية عمداً فلهذا قال أبو يوسف والمشايخ لو حكمواكم بجواز بيعه لم ينفذ الخالفة الاجماع وهذا الذي قاله غريب جداً وقد تقدم نقل الخلاف عن قبل الشافعي والله أعلم وقال الامام أبو جعفر بن جرير رجه الله من حرم ذبيحة الناسى فقد خرج من قول جميع الخلفاء وخالف الخبر الثابت عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم في ذلك يعني ما رواه الخافظ أبو بكر البيهقي انبأنا أبو عبد الله الخافظ حدثنا أبو العباس الاصم حدثنا أبو أمية
الطرسوسي حدثنا محمد بن يزيد حدثنا معقل بن عبيد الله عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال المسلم يكفيه اسمه ان نسي أن يسمى حين يذبح فلينذركم الله ولياً كله وهذا الحديث رفعه خطأ أخطأ فيه معقل بن عبيد الله
الجزري فإنه وان كان من رجال مسلم الآن سعيد بن منصور وعبد الله بن الزبير الجعفي ورواه عن سفیان بن عيينة عن عمرو بن أبي
الشعثاء عن عكرمة عن ابن عباس من قوله (١١٨) فزاد في اسناده أبا الشعثاء ووقفوا والله أعلم وهذا أصح نص عليه البيهقي ثم حكى

ابن جرير وغيره عن الشعبي ومحمد بن سيرين انهما كراهتا ترك التسمية
نسيانا والسلف يطلقون الكراهة على التحريم كثيرا والله أعلم الآن
من قاعدة ابن جرير أنه لا يعتبر قول الواحد ولا الاثنين مخالفا لقول الجمهور فيعده اجماعا فليعلم هذا
والله الموفق قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو أسامة عن
جهير بن يزيد قال سئل الحسن سألته رجل آتيت بطير كذا فغنه ما قد ذبح
فذكر اسم الله عليه ومنه ما نسي أن يذكركم الله عليه واخلى الطير
فقال الحسن كله قال وسألت محمد بن سيرين فقال قال الله
ولانما كلوا مما لم يذكركم الله عليه واحتج لهذا المذهب بالحديث
المروى من طرق عند ابن ماجه عن ابن عباس وأبي هريرة وأبي ذر
وعقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
وضع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وفيه نظر والله أعلم وقد روى الخافظ أبو أحمد بن
عدي من حديث مروان بن سالم القرقيساني عن الازاعي عن يحيى

كالمكرهين على الانفاق أو طائعين من غيرا كراه من رؤسائكم أو مكرهين منهم قال الخطيب وهذه الآية وان كانت خاصة في انفاق المنافقين فهي عامة في حق كل من أنفق
ماله لغير وجه الله بل أنفقه رياء وسعة فإنه لا يقبل منه (انكم كنتم قوما فاسقين) تعليل لعدم قبول انفاقهم والفسق هنا التمرد والعنوة وقد سبق بيان الفسق لغة وشرعا ثم بين سبحانه
السبب المانع من قبول نفقاتهم فقال (وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله ورسوله) استثناء من أعم الاشياء أي ما منعهم من قبول نفقاتهم شيء من الاشياء
الا كفرهم بها جعل المانع من القبول ثلاثة أمور الاول الكفر والثاني (ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى) أي انهم لا يصلون في حال من الاحوال الا في حال الكسل والتناقل
لانهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا فاصلا عنهم ليست الارياء للناس وتطهر بالاسلام الذي يظنون خلافه (و الثالث انهم لا يتفقون) أموالهم (الا وهم كارهون) ولا يتفقونها
طوعا لانهم يعدون انفاقها وضعالها في مضيعة لعدم ايمانهم بما وعد الله ورسوله لا يقال ان الكفر سبب مستقل لعدم القبول فإوجه التعليل بمجموع الامور الثلاثة وعند
حصول السبب المستقل لا يبقى لغيره أثر لان هذا انما يتوجه على قول المعتزلة القائمين بأن العلة مؤثرة في الحكم وأما أهل السنة فانهم يقولون هذه الاسباب معرفة غير
موجبة للشواب ولا للعقاب واجتماع المعارف الكثيرة على الشيء الواحد جائز قاله الشهاب (فلا تحجيك أموالهم ولا اولادهم) الا عجب بالشيء ان تسره سرور راض به
متعجب من حسنه قيل مع نوع من الاختيار به واعتقاده ليس لغيره ما يساويه وهذا المعنى انما يناسب في عجب الشخص بمال نفسه يقال أعجب بما له أو ولده أي فرح
به واعتبره وما هنا في عجب المرء بمال غيره والمعنى عليه لا تستحسن ما معهم من الاموال والاولاد ولا تحمدها ولا تختبر برضاك بها فهي استدرج وقيل يقال في الاستحسان أعجبني
بالالف وفي الذم والانتكار عجبت وزان تعبت وهذا الخطاب وان كان مختصا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لكن يعم جميع المؤمنين (انما يريد الله ليعدنهم بما في الحياة الدنيا) بما
يحصل معهم من الغر الخزن عند ان يغنمها المسلمون ويأخذوها قسرا من أيديهم مع كونها زينة حياتهم وقرة أعينهم وبما يلقون في جمعها من المشقة والمتاعب وفيها

ابن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرايت من
الرجل من يذبح ويحسب ان نسي أن يسمى فقال النبي صلى الله عليه وسلم اسم الله على كل مسلم ولكن هذا اسناده ضعيف فان مروان بن سالم
القرقيساني أبا عبد الله الشامي ضعيف تكلم فيه غير واحد من الأئمة والله أعلم وقد أفردت هذه المسئلة على حدة وقد ذكرت مذاهب
الأئمة وما أخذهم وأدلتهم ووجه الدلالات والمنافضات والمعارضات والله أعلم قال ابن جرير وقد اختلف أهل العلم في هذه
الآية هل نسخ من حكمها شيء أم لا فقال بعضهم لم ينسخ منها شيء وهي محكمة فيما عنت به وعلى هذا قول مجاهد وعامة أهل العلم

وروى عن الحسن البصرى وعكرمة ما حدثناه ابن جندب حدثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن عكرمة والحسن البصرى
قالا قال الله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين وقال ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لنفسق ففسخ
واستثنى من ذلك فقال وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم وقال ابن أبي حاتم قرئ على العباس بن الوليد بن
يزيد حدثنا محمد بن شعيب أخبرني النعمان يعني ابن المنذر عن مكحول قال أنزل الله القرآن ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ثم
نسخها الرب ورحم المسلمين فقال اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين (١١٩) أوتوا الكتاب حل لكم فسخها بذلك وأحل

طعام أهل الكتاب ثم قال ابن جرير
والصواب أنه لا تعارض بين حل
طعام أهل الكتاب وبين تحريم ما لم
يذكر اسم الله عليه وهذا الذي قاله
صحيح ومن أطلق من السلف النسخ
ههنا فانما أراد التخصيص والله
سبحانه وتعالى أعلم وقوله تعالى وان
الشياطين ليوحون الى أوليائهم
ليجادلوكم قال ابن أبي حاتم حدثنا
أبو سعيد الأشج حدثنا أبو بكر بن
عباس عن أبي اسحق قال قال
رجل لابن عمر ان المختار يزعم أنه
يوحى اليه قال صدق وتلاه هذه
الآية وان الشياطين ليوحون
الى أوليائهم وحدثنا أبي حدثنا أبو
حديثه حدثنا عكرمة بن عمار عن
أبي زميل قال كنت قاعدا عند ابن
عباس ووج المختار بن أبي عبيد فجاءه
رجل فقال يا ابن عباس زعم أبو
اسحق انه أوحى اليه الليلة فقال ابن
عباس صدق فنرق وقال يقول ابن
عباس صدق فقال ابن عباس هما
وحيان ووحى الله ووحى الشيطان
فوحى الله الى محمد صلى الله عليه
وسلم ووحى الشيطان الى أوليائه ثم
قرأ وان الشياطين ليوحون الى

من المصائب ومنه قول العرب بلوغ الآمال في ركوب الأهوال والمؤمن قد علم انه مخلوق
للاخرة وانه يشاب بالمصائب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه عذابا في
الدنيا واما المناق فانها لا يعتقد كون الآخرة له ولا ان له فيها ثوابا فبقى ما يحصل له في الدنيا
من التعب والحزن على المال والولد عذابا عليه في الدنيا فثبت بهذا الاعتبار ان المال
والولد عذاب على المناق في الدنيا دون المؤمن وكذا في الآخرة يعذبهم بعذاب النار بسبب
عدم الشكر لربهم الذي أعطاهم ذلك وترك ما يجب عليهم من الزكاة فيها والتصديق بما
يحق التصديق به وقيل في الكلام تقديم وتأخير والمعنى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم
في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة لانهم المناقون فهم يتفقون كارهين
فيعدون بما يتفقون (وتزهد أنفسهم وهم كافرون) الزهوق الخروج بصعوبة والمعنى
ان الله يريد ان يزهد أنفسهم ويخرج أرواحهم حال كفرهم لعدم قبولهم لما جاءت به
الانبياء وأرسلت به الرسل وتصميمهم على الكفر وتماديهم في الضلالة قال الزخمشرى
والمراد الاستدراج بالنعم كقوله انما على لهم ليزدادوا انما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم
نعمه الى أن يموتوا وهم كافرون مشغولون بالتمتع عن النظر للعاقبة ثم ذكر الله سبحانه
نوعا آخر من قبائح المنافقين فقال (ويخلفون بالله انهم لمنكم) أى من جعلتكم في دين
الاسلام والانقياد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والكتاب الله سبحانه (وما هم منكم)
في ذلك الا بمجرد ظواهرهم دون بواطنهم (ولكنهم قوم يفرقون) أى يخافون ان ينزل بهم
ما نزل بالمشركين من القتل والسبي فيظهرون لكم الاسلام تقية منهم لاعتق حقيقته
(لو يجدون ملجأ) أى مكانا يتجئون اليه ويحفظون نفوسهم فيه منكم من حصن اوراس
جبل أو قلعة أو جزيرة أو ملجأ يصلح للمصدر والزمان والمكان والظاهر منها هنا المكان قال
ابن عباس الملجأ الحز في الجبال وقيل حصنا ومعقلا (أو مغارات) جمع مغارة من غار غير
قال الاخفش ويجوز ان يكون من أغار وغيره والمغارات الغيران والسراديب وهى المواضع
التي يستتر فيها ومنه غار الماء وغارت العين والمغارة هى المكان المنخفض فى الارض أو فى
الجبل والغور من كل شئ قعره والغور المطمئن من الارض وغار الرجل غورا أى الغور وأغار
بالالف مثله والغار والمغار والمغارة كالكهف فى الجبل والكهف كالبئ فى الجبل وقيل
المغارة السرب فى الارض كنفق البروع والغار الثقب فى الجبل وهذا من أبداع النظم ذكر

أولياهم وقد تقدم عن عكرمة فى قوله يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا نحو هذا وقوله ليجادلوكم قال ابن أبي حاتم
حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال خاصمت اليهود النبى صلى الله عليه وسلم
فقالوا نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله فانزل الله ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لنفسق هكذا رواه مسلا ورواه أبو
داود متصلا فقال حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جاءت
اليهود الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله فانزل الله ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه الآية

كدار واه ابن جرير عن محمد بن عبد الاعلى وسفيان بن وكيع كلاهما عن عمران بن عيينة ورواه البزار عن محمد بن موسى الجرشى عن عمران بن عيينة وهذا فيه نظر من وجوه ثلاثة أحدها أن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا الثاني أن الآية من الانعام وهي مكية الثالثة أن هذا الحديث رواه الترمذى عن محمد بن موسى الجرشى عن زياد بن عبد الله البكائى عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير مرسل عن ابن عباس ورواه الترمذى بلفظ أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال حسن غريب وقال الطبرانى حدثنا علي بن المبارك حدثنا يزيد بن المبارك حدثنا (١٢٠) موسى بن عبد العزيز حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس

أولا الامر الاعم وهو الملبأ من أى نوع كان ثم ذكر الغيران التي يحتفى فيها فى أعلى الاماكن وهي الجبال ثم الاماكن التي يحتفى فيها فى الاكن السافله وهي السروب وهي التي عبر عنها بالمدخل والمعنى لو وجدوا أمكنة يعجبون فيها أشخاصهم هربا منكم (أو مدخلا) من الدخول أى مكانا يدخلون فيه من الامكنة التي ليست مغارات قال ابن عباس المدخل السرب كنفق الربوع وقال الحسن وجهه يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لولا اليه) أى لا التجؤ اليه وأدخلوا أنفسهم فيه وقيل المعنى لو كانوا يجذبون مهريا لهربوا اليه أو قوميا يأمنون عندهم على أنفسهم لصاروا اليهم ولقار قوكم (وهم يجمعون) أى والحال أنهم يسرعون اسراعا الى ذلك المكان لا يردهم شئ من جمع القرى برا كيه يجمع اذا لم يرد اللجام واستعصى عليه حتى غلبه فهو جوح وجاح يستوى فيه المذكر والمؤنث وحاصل المعنى لو وجدوا شيا من هذه الاشياء المذكورة وهي شر الامكنة وأضيقها لولوا اليه مسرعين هربا من المسلمين لشدة بغضهم اياهم تسترا عنهم واستكراها لرؤيتهم (ومنهم من يلزك) هذا ذكر نوع آخر من قبائحهم والذم بمعنى العيب كما قال النحاس والجوهري يقال لزه يلزها اذا عابه وأصله الاشارة بالعين ونحوها ورجل لمازولزة أى عيب فهو وأخص من الغمز اذ هو الاشارة بالعين ونحوها سواء كان على وجه الاستنقاص أولا واما اللمز فهو خاص بكونه على وجه العيب وقال الزجاج لمزت الرجل المزه والمزه بكسر الميم وضمها اذا عبت وكذا همزته وروى عن مجاهد انه قال معنى يلزك يزولك ويسالك والقول عند أهل اللغة هو الاول وقال الازهرى أصله الدفع يقال لمزته أى دفعته وقال الليث هو الغمز فى الوجه ومنه همز لمزة أى كثيرهذين الفعلين وقرئ يلزك بكسر العين مع التشديد وضمها وهما الغتان فى المضارع ومعنى الآية ومن المنافقين من يعيبك (فى الصدقات) أى الزكوات والغنائم وتفر بقها وقسمتها (فان أعطوا منها) أى من الصدقات بقدر ما يريدون (رضوا) بما وقع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعيبوه وذلك لانه لا مقصد لهم الا حطام الدنيا وليسوا من الدين فى شئ (وان لم يعطوا منها) ما يريدونه ويطلبونه (اذا هم بسخطون) أى فاجزوا السخط فائدة اذا الفجائية ان الشرط مفاعى الجزاء وهاجم عليه (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) أى ما فرضه الله لهم وقسمه وما أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الصدقات وقيل ذكر

قال لما نزلت ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه أرسلت فارس الى قريش ان خاصمو محمد وقولوا له لما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال وما تذبح الله عز وجل بشمشير من ذهب يعنى الميتة فهو حرام فنزلت هذه الآية وان الشياطين ليوحون الى أولياهم ليجادلوكم وان أظعموهم انكم لمشركون أى وان الشياطين من فارس ليوحون الى أولياهم من قريش وقال أبو داود حدثنا محمد بن كثير أخبرنا اسرائيل حدثنا سماك عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله وان الشياطين ليوحون الى أولياهم يقولون ما يضح الله فلا تأكلوه وما تضحتم أنتم فكلوه فأزل الله ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ورواه ابن ماجه وابن أبى طاتم عن عمرو بن عبد الله عن وكيع عن اسرائيل به وهذا اسناد صحيح ورواه ابن جرير من طرق متعددة عن ابن عباس وليس فيه ذكر اليهود فهو سذاهو المحفوظ لان الآية مكية واليهود لا يجبون الميتة وفى بعض ألفاظه عن ابن عباس أن الذى قتلتم ذكر

اسم الله عليه وان الذى قدمتم لم يذكروا اسم الله عليه وقال ابن جرير قال عمرو بن دينار عن عكرمة ان مشركى قريش كاتبوا فارس على الروم وكاتبتم فارس فكتبت فارس اليهم ان محمدا وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله فما ذبح الله بسكين من ذهب فلا يأكلونه وما ذبحوه هم يأكلونه فكتبت بذلك المشركون الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقع فى أنفسهم ناس من المسلمين من ذلك شئ فانزل الله وانه لنفسق وان الشياطين ليوحون الى أولياهم وطاعة المشركين لا تخرجك من الدين ليجادلوكم وان أظعموهم انهم لمشركون ونزلت يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقال السدى فى تفسير

هذه الآية ان المشركين قالوا للمسلمين كيف تزعمون انكم تتبعون مرضات الله فاقبل الله فلانا كلونه وماذجتم انتم تا كلونه فقال الله تعالى ان اطعمتموهم في كل الميتة انكم لمشركون وهكذا قاله مجاهد والضحاك وغير واحد من علماء السلف وقوله تعالى وان اطعمتموهم انكم لمشركون أي حيث عدائتم عن أمر الله لكم وشرعه الى قول غيره فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك كقوله تعالى اتخذوا أجباهم ورهبانهم أربابا من دون الله الآية وقد روى الترمذي في نفسه يرها عن عدى بن حاتم انه قال يا رسول الله ما عبدوهم فقال انهم أحلوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال فاتبعوهم (١٢١) فذلك عبادتهم اياهم (أو من كان ميتا

فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتا فأحييناه وجعلنا له في الضلالة هانكا حائرا فأحياه الله أي أحيا قلبه بالايان وهداه له ووقفه لاتباع رسوله وجعلنا له نورا يمشي به في الناس أي يهتدى كيف يسلك وكيف يتصرف والنور هو القرآن كما رواه العوفي وابن أبي طلحة عن ابن عباس وقال السدي الاسلام والسلك صحيح كمن مثله في الظلمات أي الجهالات والاهواء والضلالات المتفرقة ليس بخارج منها أي لا يهتدى الى منفذ ولا يخلص مما هو فيه كما قال تعالى الله والي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وقال تعالى أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أم من يمشي سويا على صراط مستقيم وقال تعالى مثل الفريقين كالأعمى

الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول كان بأمره تعالى والاصل ما آتاهم الرسول وجواب لو محذوف أي لكان خيرا لهم فان فيما أعطاهم الخيرا العاجل والآجل (وقالوا) عند أن أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما هو لهم (حسبنا) أي كفانا (الله سيؤتينا) أي سيعطينا (الله من فضله) يعطينا (رسوله) بعد هذا ما ترجموه ونؤتمله (انا الى الله راغبون) فهاتان الجملتان كالشرح لقولهم حسبنا الله فلذلك لم يتعاطفا لانهما كالشيء الواحد فشددة الاتصال منعت العطف قاله الكرخي وقد أخرج البخاري والنسائي وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقسم قسما اذ جاءه ابن ذى الخويصرة التيمي فقال عدل يا رسول الله فقال ويحك ومن يعدل ذالم أعدل فقال عمر بن الخطاب أئذن لي فأضرب عنقه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم دع فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يحرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية الحديث حتى قال وفيهم نزلت هذه الآية وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال لما قسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم غنائم حنين سمعت رجلا يقول ان هذه القسمة ما أريد بها الله فأنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك له فقال رجلة الله على موسى قد أؤذى بأكثر من هذا فصبر ونزلت هذه الآية (انما الصدقات للفقراء والمساكين) لما لمز المنافقون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قسمة الصدقات بين الله لهم مصرفها دفعها عنهم وقطعها عنهم وانما من صيغ القصر وتعريف الصدقات للجنس أي جنس هذه الصدقات مقصورة على هذه الاصناف الثمانية المذكورة لا يتجاوزها بل هي لهم لا غيرهم ولا تعلق لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشيء منها ولم يأخذ لنفسه منها شيئا وقد اختلف العلماء هل يجب تقسيم الصدقات على هذه الاصناف الثمانية أو يجوز صرفها الى البعض دون البعض على حسب ما يراه الامام أو صاحب الصدقة فذهب الى الاول حذيفة والشافعي وجماعة من أهل العلم وذهب الى الثاني مالك وأبو حنيفة وبه قال عمرو وخديفة وابن عباس وأبو العافية وسعيد بن جبيرة وميمون بن مهران قال ابن جرير وهو قول عامة أهل العلم احتج الاولون بما في الآية من القصر ويجحدت زياد بن الحرث الصدائي عند أبي داود والدارقطني قال آتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبايعته فأتني

(١٦ - فتح البيان ح) والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون وقال تعالى وما يستوي الاعمي والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء والاموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بسمع من في القبور ان أنت الاذير والآيات في هذا كثيرة ووجه المناسبة في ضرب المثلين ههنا بالنور والظلمات ما تقدم في أول السورة وجعل الظلمات والنور وزعم بعضهم أن المراد بهذا المثل رجلا من معينان فقيل عمر بن الخطاب هو الذي كان ميتا فأحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس وقيل عمار بن ياسر وأما الذي في الظلمات ليس بخارج منها أبو جهل عمرو بن هشام لعنسه الله

والصحيح ان الآية عامية يدخل فيها كل مؤمن وكافر وقوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون أي حسناتهم ما كانوا يفهمه من الجهالة والضلالة قدر امن الله وحكمة بالغة لاله الا هو وفي المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خلق خلقه في ظلمة ورش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اعتدى ومن أخطأ ضل كما قال تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وكقوله وما يستوي الا العمى والبصير ولا الظلمات ولا النور (وكذلك جعلنا في كل قرية أهيا كابر مجرميها الميكروا فيها وما يعكرون الا بانفسهم وما يشعرون واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى (١٢٢) نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا

صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يكفرون) يقول تعالى كما جعلنا في قريةك يا محمد كابر من المجرمين ورؤساء ودعاة الى الكفر والصدع عن سبيل الله والى مخالفتك وعداوتك كذلك كانت الرسل من قبلك يتلون بذلك ثم تكون لهم العاقبة كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ومن المجرمين الآية وقال تعالى واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسدوا فيها الآية قيل معناه أمرناهم بالطاعة فخالفوا فدمرناهم وقيل أمرناهم أمر اقدرنا كما قال ههنا الميكروا فيها وقوله تعالى أ كابر مجرميها الميكروا فيها قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس أ كابر مجرميها الميكروا فيها قال سلطان شرارهم فعصوا فيها فاذا فعلوا ذلك أهلكتناهم بالعذاب وقال مجاهد وقتادة أ كابر مجرميها عظماؤها وقلت هذا كقوله تعالى وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انما جاء أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين وقال تعالى وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير

رجل فقال أعطني من الصدقة فقال له ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى يحكم فيها هو فزأها ثمانية أصناف فان كنت من تلك الاجزاء أعطيتك وأجاب الآخرون بأن ما في الآية من القصر انما هو لبيان الصرف والمصرف لا لوجوب استيعاب الاصناف وبأن في اسناد الحديث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الا فربقى وهو ضعيف ومما يؤيد ما ذهب اليه الآخرون قوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تحفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم والصدقة تطلق على الواجبة كما تطلق على المنذوبة وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال أمرت ان آخذ الصدقة من أغنيائكم وأردها في فقرائكم وقد ادعى مالك الاجماع على القول الآخر قال ابن عبد البر يريد اجماع الصحابة فانه لا يعلم له مخالفتهم وقدم الفقراء لانهم أخرج من البقية على المشهور لسددة فاقتمهم وحاجتهم وقد اختلف أهل العلم في الفرق بين الفقير والمسكين على أقوال فقال يعقوب بن السكيت والقتبي ويونس بن حبيب ان الفقير أحسن حالا من المسكين قالوا لأن الفقير هو الذي له بعض ما يكفيه ويقيمه والمسكين الذي لا شيء له وذهب الى هذا قوم من أهل الفقه منهم أبو حنيفة وقال آخرون بالعكس فجعلوا المسكين أحسن حالا من الفقير واحتجوا بقوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين فاخبر أن لهم سفينة من سفن البحر وعاساوت حمله من المال ويؤيده تعوذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الفقر مع قوله اللهم احيني مسكينا وأميتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين والى هذا ذهب الاصمعي وغيره من أهل اللغة وحكاه الطحاوي عن الكوفيين وهو أحد قولي الشافعي وأ كابر أعجابه وقال قوم ان الفقير والمسكين سواء لافرق بينهما وهو أحد قولي الشافعي واليه ذهب ابن القاسم وسائر أصحاب مالك وبه قال أبو يوسف وقال قوم الفقير المحتاج المتعفف والمسكين السائل قاله الازهرى واختاره ابن شعبان وهو المروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقد قيل غير هذه الاقوال مما لا يأتي الاستكثار منه بغائده يعتد بها والاولى في بيان ما عية المسكين ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمر والتمران قالوا فما المسكين يا رسول الله قال الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يقطن له فيصدق عليه ولا يسأل الناس شيئا (والعاملين عليها)

الاقال مترفوها ان وجدنا آباءنا على أمة وانا على آتارهم مقتدون والمراد بالمكروه هنا دعاؤهم الى الضلالة أي بزخرف من المقال والفعال كقوله تعالى اخبارا عن قوم نوح ومكروا مكرا بكارا وكقوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا الذين استكبروا والاولا انتم لكان مؤمنين قال الذين استكبروا والذين استضعفوا ان نحن صدقنا كم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا الذين استكبروا بل مكرا الليل والنهار اذ تأمر ونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان قال كل مكرفي القرآن

فهو عمل وقوله تعالى وما يعكروا الا بانفسهم وما يشعرون أي وما يعود وبال مكرهم ذلك واضلا لهم من أضلوه الاعلى انفسهم كما قال تعالى ولعلمنا انقالمهم وانقالمع انقالمهم وقال ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرعون وقوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسول الله أي حتى تأتينا الملائكة من الله بالرسالة كما تأتي الى الرسل كقوله جل وعلا وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة أو نرى ربنا الآية وقوله الله أعلم حيث يجعل رسالته أي هو أعلم (١٢٣) حيث يضع رسالته ومن يصلح لهامن خلقه كقوله تعالى وقالوا لولا انزل هذا

القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك الآية يعنون لولا انزل هذا القرآن على رجل عظيم كبير جميل مجبل في أعينهم من القريتين أي مكة والطائف وذلك انهم قبحهم الله كانوا يزرون بالرسول صلوات الله وسلامه عليه بغيا وحسدا وعنادا واستكبارا كقوله تعالى مخبرا عنه واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك

الاهزوا وهذا الذي يذكر الهتكم وهم يدكر الرحمن هم كافرون وقال تعالى واذا رآك ان يتخذونك الاهزوا وهذا الذي بعث الله رسولا وقال تعالى ولقد استهزى برسلك من قبلك فخاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزون هذا وهم معترفون بفضله وشرفه ونسبه وطهارته وجره وبنسبه ومنشئه صلى الله عليه وسلم لا تكتمه والمؤمنون عليه حتى انهم كانوا يسهونه بينهم قبل ان يوحى اليه الامين وقد اعترف بذلك رئيس الكفار أبو سفيان حين سأله هرقل ملك الروم وكيف نسبه فيكم قال هو فينا ذونسب قال هل كذتمتم مؤمنه بالكذب قبل ان يقول ما قال

أي السعادة والنجاة الذين يعيهم الامام لتحصيل الزكاة فانهم يستحقون منها قسطا واختلف في القدر الذي يأخذونه منها فقيل الثمن روى ذلك عن مجاهد والشافعي وقيل على قدر أعمالهم من الاجرة روى ذلك عن أبي حنيفة وأصحابه وقيل يعطون من بيت المال قدر أجرتهم روى ذلك عن مالك ولا وجه له هذا فان الله قد أخبر بأن لهم نصيبا من الصدقة فكيف يعنون منها ويعطون من غيرها واختلفوا هل يجوز ان يكون العامل هاشميا أم لا فمنعه قوم وأجازة آخرون قالوا يعطى من غير الصدقة ولا ينحصر العامل في الساعي والجابي اذ منه القاسم والكاتب الذي يكتب ما أعطاه أرباب الاموال والخاص الذي يجمع المستحقين والعريف والحاسب (والمؤلفة قلوبهم) هم قوم كانوا في صدر الاسلام فقيل لهم الكفار الذين كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتألفهم ليسلموا وكانوا لا يدخلون في الاسلام بالقهر والسيوف بل بالعطاء وقيل هم أسلموا في الظاهر ولم يحسن اسلامهم فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتألفهم بالعطاء وقيل هم من أسلم من اليهود والنصارى وقيل هم قوم من عظماء المشركين لهم أسباع أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم ليؤلفوا أتباعهم على الاسلام وقد أعطى النبي صلى الله عليه وآله وسلم جماعة ممن أسلم ظاهرا كأبي سفيان ابن حرب والحرب بن هشام وسهيل بن عمرو وحويط بن عبد العزى أعطى كل واحد منهم مائة من الابل يؤلفهم بذلك وأعطى آخرين دونهم وقد اختلف العلماء هل منهم المؤلففة قلوبهم باق بعد ظهور الاسلام أم لا فقال عمر والحسن والشعبي قد انقطع هذا الصنف بعزة الاسلام وظهوره وهذا مشهور من مذهب مالك وأصحاب الرأي وقد ادعى بعض الحنفية ان الصحابة أجمعت على ذلك وقد صار اليه الروايات وجماعة وقال جماعة من العلماء منهم الشافعي وهو الموافق لظاهر الآية ان منهم باق لان الامام ربما احتاج ان يؤلف على الاسلام وانما قطعهم عمر لما رأى من اعزاز الدين وبه أفتى الماوردي في كتابه الاحكام السلطانية قال يونس سألت الزهري عنهم فقال لا أعلم نسخ ذلك وعلى القول الاول يرجع منهم لسائر الاصناف ومن المؤلففة قلوبهم كفار يخاف شرهم بحيث لو أعطوا لا تكف شرهم وهذا لا يعطى من زكاة ولا من غيرها باتفاق ومنهم من يذب عن المسلمين ومنهم من يقا تل من يلهم ويحاورهم من مائعي الزكاة ويقبض زكاتهم فتلخص ان المؤلففة أقسام وفي هذه الاقسام أقوال ذكرها في الجمل (وفي الرقاب) أي مصروفة

قال لا الحديث بطوله الذي استدل به ملك الروم بطهارة صفاته عليه السلام على صدقه ونبوته وحجته ما جاء به وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الاوزاعي عن شداد أبي عمار وعن واثل بن الاسقع رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من بني اسمعيل بنى كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم انقربا خراجه مسلم من حديث الاوزاعي وهو عبد الرحمن بن عمرو امام أهل الشام به نحوه وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن

القيامه فيقال هذه غدره فلان بن فلان والحكمة في هذا انما كان الغدر خفيا لا يطلع عليه الناس في يوم القيامه يصير علما منشورا على صاحبه بما فعل (فن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضل يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) يقول تعالى فن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام أي ييسره له وينشطه ويسم له لذلك فهذه علامات على الخير كقوله تعالى أفن شرح الله (١٢٥) صدره للاسلام فهو على نور من ربه

الآية وقال تعالى ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والتسوق والعصيان أولئك هم الراشدون وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله فن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام يقول تعالى يوسع قلبه للتوحيد والايان به وكذا قال أبو مالك وغير واحد وهو ظاهر وقال عبد الرزاق أخيرا الثوري عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي المؤمنون أكبر قال أكثرهم ذكر الموت وأكثرهم لمبايعته استعدادا قال وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قالوا كيف يشرح صدره يارسل الله قال نور يقذف فيه فيشرح له وينفسح قالوا فهل لذلك من أمانة يعرف بها قال الأمانة إلى دار الخلود والتجاني عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت وقال ابن جرير حدثنا ناد حدثنا قبيصة عن سفيان يعني الثوري

عبد الله بن عدى بن الخيار قال أخبرني رجلان انهما أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وهو يتقسم الصدقة فسألاه منها فرفع فينا البصر وخفضه فقرأنا جلدين فقال ان شئنا ما أعطينا كما ولا حظ فيها لغني ولا لقوى مكتسب (فريضة من الله) مصدر مؤثلا قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم والمعنى ان كون الصدقات متصورة على هذه الاصناف هو حكم لازم فرضه الله على عباده ومنها هم من مجاوزته وقيل انها حال من الفقراء قاله الكرماني وأبو البقاء أي كائنة لهم حال كونها فريضة أي متصورة أو هي بمعنى مفروضة أو صدور وقع موقع الحال قال في الكشاف فان قلت لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخرة قلت للابن ان بانها أرسخ في استحقاق التصديق عليهم من سبق ذكره وقيل النكتة في العدول ان الاصناف الاربعة الاول يصرف المال اليهم حتى يتصرفوا به كما شاء وفي الاربعة الاخرة لا يصرف المال اليهم بل يصرف الى جهات الحاجات المعبرة في الصفات التي لا جلها استحقاقهم الزكاة (والله اعلم) بمصالح عباده (حكيم) فيما فرض لهم لا يدخل في تدبيره وحكمه نقص ولا خلل قال السيوطي فلا يجوز صرفها لغيره ولا يمنع صرف منهم اذا وجد فيقسمها الامام عليهم على السواء وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض وأفادت اللام وجوب استغراق افراده وهو ظاهر الآية وقال الرازي دلالة في الآية على قول الشافعي في انه لا بد من صرفها الى الاصناف وقد أشار الى ذلك القاضي ورد عليه بعض الشيوخ وقال ظاهر الآية يؤيد قوله وتقام البحث في الجمل (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) هذا نوع آخر مما حكاه الله من فضائح المنافقين وقبائحهم وذلك انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على وجه الطعن والذم هو أذن قال الجوهرى يقال رجل أذن اذا كان يسمع مقال كل أحد يستوى فيه الواحد والجمع ومرادهم أقامهم الله انهم اذا آذوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبسطوا فيه ألسنتهم وبلغوه ذلك اعتذروا له وقبل ذلك منهم لانه يسمع كل ما يقال له في صدقه وانما أطلقت العرب على من يسمع ما يقال له في صدقه انه أذن مباغثة لانهم سمعوه بالخارجة التي هي آلة السماع حتى كأن جملته أذن سامعة وظنوه قولهم للريثة أي الطليعة عين وفي اطلاق الأذن عليه مجاز مرسل من اطلاق اسم الجزء على الكل للمباغثة في استماعه وايدأوهم له هو قولهم أذن لانهم نسبوه الى أنه يصدق كلما يقال له

عن عمرو بن مرة عن رجل يكنى أبا جعفر كان يسكن المدائن قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى فن يرد الله ان يهديه فذكر نحو ما تقدم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو ادريس عن الحسن بن الفرات القرزاعي عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل الايمان القلب انفسح له القباب وانشرح قالوا يارسل الله هل لذلك من أمانة قال نعم الأمانة إلى دار الخلود والتجاني عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت وقد رواه ابن جرير عن سوار بن عبد الله الغبيري حدثنا المعتمر بن

سليمان سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن مرة عن عبد الله بن المسور قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات فن يرد الله
ان يديه بشرح صدره للاسلام قالوا يا رسول الله ما هذا الشرح قال نور يقذف به في القلب قالوا يا رسول الله فهل لذلك من اماره
قال نعم قالوا وما هي قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت وقال ابن جرير ايضا حدثني
هلال بن العلاء حدثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد حدثنا محمد بن سالم عن أبي عبد الرحمن عن زيد بن أبي أنيسة عن عمر بن مرة
عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال قال (١٢٦) رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح

قالوا فهل لذلك من علامة يعرف بها
قال الانابة الى دار الخلود والتنجي
عن دار الغرور والاستعداد للموت
قبل لقي الموت وقدر واه من وجهه
آخر عن ابن مسعود متصل امر فوعا
فقال حدثني ابن سنان القزاز
حدثنا محبوب بن الحسن الهاشمي
عن يونس بن عبد الرحمن بن عبيد
الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فن يرد الله أن يديه بشرح
صدره للاسلام قالوا يا رسول الله
وكيف بشرح صدره قال يدخل
فيه النور فينفسح قالوا وهل لذلك
علامة يا رسول الله قال التجافي عن
دار الغرور والانابة الى دار الخلود
والاستعداد للموت قبل ان ينزل
الموت فهذه طرق لهذا الحديث هرسله
ومتصلة يشد بعضها بعضا والله أعلم
وقوله تعالى ومن يرد أن يضل به يجعل
صدره ضيقا حرقا قرى بفتح الصاد
وتسكين الياء والاكثر وضيقا
بتشديد الياء وكسرهما الغتان
كهي وهين وقرأ بعضهم حرجا بفتح
الحاء وكسر الراء قيل بمعنى آثم وقال
السددي وقيل بمعنى القراءة الأخرى

ولا يفرق بين الصحيح والباطل اغترار منهم بحلمه عنهم وصفحه عن جناباتهم كرماء وحلماء
وتغاضياتهم أجب الله عن قولهم هذا فقال (قل) هو (أذن خير) بالاضافة وقرى بالتسوين
كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الأذن هو لكونه أذن خير (لكم) وليس بأذن في غير ذلك
كقولهم رجل صدق يريدون الجود والصلاح والمعنى انه يسمع الخير ولا يسمع الشر
(يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) أي يصدق بالله ويصدق المؤمنين لماعلم فيهم من خلوص
الايمان ويقبل قولهم وبسليم ويرضى لهم ولا يقبل قول المنافقين واللام زائدة للفرق بين
ايمان الأمان من الخلود في النار وهو الايمان المقابل للكفر وحقه ان يعدى بالباء وبين
ايمان التسليم والتصديق فإنه يعدى باللام وان كان حقه ان يعدى بنفسه كالتصديق وهذا
موافق لكثير من الآيات كقوله وما أنت بمؤمن لنا وقوله أن يؤمنوا لكم وقوله أنؤمن لك
وأما قوله آمنتم له قبل أن آذن لكم وقوله آمنتم به فسترك الدلالة بين الايمان بموسى
والايمان بالله لان من آمن بموسى حقيقة آمن بالله كعكسه (ورجحة) أي وانه رجحة لهم
وقرى رجحة بالخفض واستبعدة النحاس عند أهل العربية والمعنى ان النبي صلى الله عليه
وآله وسلم أذن خير للمنافقين ورجحة لهم حيث لم يكشف أسرارهم ولم يهتك أسرارهم
ولا فضحهم فكأنه قال هو أذن كما قلتم لكنه أذن خير لكم لأن سؤف سلم لهم قولهم فيه
الا انه فسر بما هو مدح له وشاء عليه وان كانوا قصدا به المذمة والتقصير بفضطته (للدين
آمنوا منكم) أي أظهر والايمان وان لم يكونوا مؤمنين حقيقة (والذين يؤذون رسول الله)
صلى الله عليه وآله وسلم لما تقدم من قولهم هو أذن ونحو ذلك مما يصدق عليه انه أذية
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لهم عذاب أليم) أي شديد الألم عن ابن عباس قال
كان يتبل بن الحارث يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيجلس اليه ويسمع منه ثم
ينقل حديثه الى المنافقين وهو الذي قال لهم انما محمد أذن من حديثه بشئ صدقه فأنزله
الله فيه هذه الآية وعن عمر بن سعد قال في أنزلت هذه الآية وذلك ان عمرا كان يسمع
أحاديث أهل المدينة فيأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيساره حتى كانوا يأذون
بعمر بن سعد وكرهوا مجالسته وقالوا هو أذن فأنزله الله فيه (يخلفون بالله لكم ليرضوكم)
الخطاب للمؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا في خلواتهم يطعنون على المؤمنين وعلى النبي

صلى

عن الهدي ولا يخلص اليه شيء مما ينفعه من الايمان

ولا ينفذ فيه وقد سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا من الاعراب من أهل البادية من مدبج عن المرحمة فقال هي الشجرة
تكون بين الاشجار لاتصل اليها رعية ولا وحشية ولا شئ فقال عمر رضى الله عنه كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شئ من الخير
وقال العوفي عن ابن عباس يجعل الله عليه الاسلام ضيقا والاسلام واسع وذلك حين يقول وما جعل عليكم في الدين من حرج يقول
ما جعل عليكم في الاسلام من ضيق وقال مجاهد والسددي ضيقا حرجا كقول الخراساني ضيقا حرجا أي ليس للخير فيه

منفذ وقال ابن المبارك عن ابن جرير ضيقاً حراً جابلاً لا اله الا الله حتى لا يستطيع أن تدخل قلبه كأنما يصعد في السماء من شدة ذلك عليه وقال سعيد بن جبيرة يجعل صدره ضيقاً حراً جابلاً لا يجد فيه مسلكاً ولا مصعداً وقال السدي كأنما يصعد في السماء من ضيق صدره وقال عطاء الخراساني كأنما يصعد في السماء يقول مثله كمثل الذي لا يستطيع أن يصعد الى السماء وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس كأنما يصعد في السماء يقول فكذلك لا يستطيع أن يدخل التوحيد والايان قلبه حتى يدخله الله (١٢٧) في قلبه وقال الاوزاعي كأنما يصعد في

السماء كيف يستطيع من جعل الله صدره مستأناً أن يكون مسلماً وقال الامام أبو جعفر بن جرير وهو إذ مثل ضرب به الله لقلب هذا الكافر في شدة ضيقه عن وصول الايمان اليه يقول فمثل في امتناعه عن قبول الايمان وضيقه عن وصوله اليه مثل امتناعه عن الصعود الى السماء وعجزه عنه لانه ليس في وسعه وطاقته وقال في قوله كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يقول كما يجعل الله صدر من أراد ضلاله ضيقاً حراً كذلك يسقط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله من أبي الايمان بالله ورسوله فيغويه ويصده عن سبيل الله وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس الرجس الشيطان وقال بجاهد الرجس كل ما لا يخبر فيه وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الرجس العذاب (وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) لما ذكر تعالى طريق الضالين عن سبيله الصادق عنه عليه السلام

صلى الله عليه وآله وسلم فإذا بلغ ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والى المؤمنين جاء المنافقون فلفقوا على أنهم لم يقولوا ما بلغ عنهم فاصدين بهذه الايمان الكاذبة ان يرضوا رسول الله ومن معه من المؤمنين فعنى الله ذلك عليهم فقال (والله ورسوله أحق أن يرضوه) من ارضاء المؤمنين بالايان الكاذبة فانهم لو اتقوا الله وتر كوا النفاق لكان ذلك أولى لهم وافراد الضمير في رضوه ما للتعظيم للجناح الالهى بافراده بالذكر اولكونه لافرق بين ارضاء الله وارضاء رسوله فارضاء الله ارضاء لرسوله أو المراد الله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك كما قال سيويه ويرجحه النحاس أولان الضمير موضوع موضع الاشارة فانه يشار به الى الواحد والمتعدد والضمير راجع الى المذكور وهو يصدق عليهما وقال الفراء المعنى ورسوله أحق أن يرضوه والله افتتاح كلام كما تقول ما شاء الله وشئت وجواب (ان كانوا مؤمنين) محذوف أى فليرضوا الله ورسوله فانهم ما أحق بالارضاء ولا يكون ذلك الا بالطاعة والمتابعة وابقاء الحقوق في باب الاجلال والاعظام مشهداً ومغيباً (لم يعلموا) أى أولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما أقدموا عليه من الجريمة العظيمة مع علمهم بسوء عقابها أى لم يعلموا بما ساءوا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فنون القوارع والاندازات وقري بالثناء على الالتفات لزيادة التقرير والتوبيخ قال الخازن قال أهل المعاني لم تعلم خطاب لمن علم شيئاً ثم نسيه أو أنكره فيقال له لم تعلم انه كان كذا وكذا ولم اطال مكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم من أحكام الدين ما يحتاجون اليه خاطب المنافقين بقوله لم تعلموا يعنى من شرائع الدين التى علمهم رسولنا (انه من يحاد الله) أى يخالفه (و) يخاصم (رسوله) وأصل المحاددة فى اللغة وقوع هذا فى حد وذلك فى حد كما مشاققة يقال حد فلان فلان أى صار فى حد غير حده وكان كل واحد من المتخاصمين صار فى محل غير محل صاحبه (فان له) أى حقه ان له وقال الاخفش المعنى فوجب انار له وأنكره المبرد وقال هذا خطأ (نار جهنم) جزاء (خالداً فيها) على الدوام (ذلك) أى ما ذكر من العذاب (الجزى العظيم) أى البالغ الى الغاية التى لا يبلغ اليها غيره وهو الذل والهوان (يحذروا المنافقون أن تنزل عليهم سورة) قيل هو خبر وليس بأمر وقال الزجاج معناه ليحذر والمعنى على الاول ان المنافقين كانوا يحذرون نزول القرآن فيهم خوفاً من فضيحة وعلى الثانى الامر لهم بأن يحذروا ذلك ومعنى عليهم

أشرف ما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق فقال تعالى وهذا صراط ربك مستقيماً منصوب على الحال أى هذا الدين الذى شرعناه لك يا محمد بما أوحينا اليك هذا القرآن هو صراط الله المستقيم كما تقدم فى حديث الحرث عن على بن نعت القرآن هو صراط الله المستقيم وجبل الله المتين وهو الذكر الحكيم رواه أحمد والترمذى بطوله قد فصلنا الآيات أى وضخناها وبينها وفسرها للقوم يذكرون أى لمن له فهم ووعى يعقل عن الله ورسوله لهم دار السلام وهى الجنة عند ربهم أى يوم القيامة وانما وصف الجنة ههنا بدار السلام لسلامتهم فيما سلكوه من الصراط المستقيم المقتضى أثر الانبياء وطرائقهم فكما سلوا من

آفات الاعوجاج أفضوا الى دار السلام وهو وليهم أى والسلام وهو الله وليهم أى حافظهم وناصرهم ومؤيدهم بما كانوا يعملون
أى جزاء على أعمالهم الصالحة تولاهم وأنابهم الجنة بمنه وكرمه (ويوم نحشرهم جميعا معا مشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال
أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا الذى أجبنا قال النار مثواكم خالدون فيها الاما شاء الله ان ربك
حكيم عليم) يقول تعالى واذكريا محمد فيما نقصه (١٢٨) عليهم وتذرهم به يوم نحشرهم جميعا يعنى الجن وأولياؤهم من الانس الذين

كانوا يعبدونهم فى الدنيا ويعوذون
بهم وبطيعونهم ويوحى بعضهم
الى بعض زخرف القول غرورا
يامعشر الجن قد استكثرتم من
الانس أى تقول يامعشر الجن
وسياق الكلام يدل على المحذوف
ومعنى قوله قد استكثرتم من الانس
أى من اغواهم واضلّاهم كقوله
تعالى ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن
لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين
وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم
ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم
تكونوا تعقلون وقال على بن أبى طلحة
عن ابن عباس يامعشر الجن قد
استكثرتم من الانس يعنى أضلّتم
منهم كثيرا وكذلك قال مجاهد
والحسن وقتادة وقال أولياؤهم
من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض
يعنى ان أولياؤهم من الجن من الانس قالوا
جيبين لله تعالى عن ذلك بهذا قال
ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو
الانثب هوذة بن خليفة حدثنا
عوف عن الحسن فى هذه الآية قال
استكثرتم بكم من أهل النار يوم
القيامة فقال أولياؤهم من الانس

على المؤمنين فى شأن المنافقين على ان الضمير للمؤمنين ولا يلى بتفكيك الضمائر عند
ظهور الامر لعود المعنى اليه قاله الكرخى والاولى أن يكون الضمير للمنافقين أى فى شأنهم
(تبهم) أى المنافقين (بما فى قلوبهم) مما يسرونه فضلا عما يظهر ونه وهم وان كانوا
عالمين بما فى قلوبهم فالمراد من انباء السورة لهم اطلاعهم على ان المؤمنين قد علموا بما فى
قلوبهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة لانها فضحت
المنافقين وبعثت عن أخبارهم واثارتها وأسفرت عن مخازنهم ومثالهم ثم أمر الله
رسوله بأن يجيب عليهم فقال (قل استهزؤا) هو أمر تهديد أى افعلوا الاستهزاء (ان الله
مخرج ما تحذرون) من ظهوره حتى يطلع عليه المؤمنون اما نزال سورة أو باخبار رسوله
صلى الله عليه وآله وسلم بذلك أو نحو ذلك (وائن) لام قسم أى والله لئن (سألتم) عما
قالوه من الطعن فى الدين وثلب المؤمنين وهم سائرون معك الى تبوك بعد أن يبلغ اليك
ذلك ويطلعك الله عليه (ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) فى الحديث لنقطع به الطريق
ولم نقص ذلك ولم يكن فى شئ من أمرك ولا أمر المؤمنين ثم أمره الله أن يجيب عنهم فقال
(قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) الاستهزاء للتقريب والتوبيخ وأثبت وقوع
ذلك منهم ولم يعبا بانكارهم لانهم كانوا كاذبين فى الانكار بل جعلهم كالمتعدين بوقوع
ذلك منهم حيث جعل المستهزأه والبالخرف النقي فان ذلك انما يكون بعد وقوع الاستهزاء
وشبوه ثم قال (لا تعذروا) نهى الهمهم عن الاشتغال بالاعتذارات الباطلة فان ذلك غير
مقبول منهم وقد نقل الواقدي عن أئمة اللغة ان معنى الاعتذار محو أثر الذنب وقطعه من
قولهم اعتذر المنزل اذا درس واعتذرت المياه اذا انقطعت (قد كفرتم) أى أظهرتم الكفر
بما وقع منكم من الاستهزاء المذكور وفيه ان محمدا يزعم انه ترك فى أصحابنا قراونا واما
هو قوله وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على قولهم (بعد ايمانكم) أى
بعد اظهاركم الايمان مع كونكم بطنون الكفر (ان نعف عن طائفة منكم) وهم من
أخلص الايمان وترك النفاق وناب عنه كجحش بن حجير قال الزجاج الطائفة فى اللغة
الجماعة قال ابن الابارى ويطلق لفظ الجمع على الواحد عند العرب (نعذب طائفة بانهم)
أى بسبب انهم (كانوا مجرمين) مصرين على النفاق لم يتوبوا منه (المنافقون) وكانوا

الانس وقال محمد بن كعب فى قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض قال الصحابة فى الدنيا وقال ابن جرير كان الرجل من الجاهلية ينزل
الارض فيقول أعوذ بكبير هذا الوادى فذلك استمتاعهم فاعتذروا يوم القيامة وأما استمتاع الجن بالانس فانه كان فيما ذكر ما ينال
الجن من الانس من تعظيمهم اياهم فى استعانتهم بهم فيقولون قد سدنا بالانس والجن وبلغنا الذى أجبنا الذى أجبنا لنا قال السدى
يعنى الموت قال النار مثواكم أى ماؤاكم ومنزلكم أنتم واياهم خالدون فيها أى ما كسبن فيها كما محمد الاما شاء الله قال بعضهم

يرجع معنى الاستثناء الى البرزخ وقال بعضهم هذا رد الى مدة الدنيا وقيل غير ذلك من الاقوال التي سياتى تقريرها عند قوله تعالى في سورة هود خالد بن فيها مادامت السموات والارض الاما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي حاتم عن أبي طلحة عن ابن عباس قال النار مشواكم خالد بن فيها الاما شاء الله ان ربك حكيم عليهم قال ان هذه الآية لا ينبغي لاحد ان يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً ما كانوا يكسبون) (١٢٩) قال سعيد بن قتادة في تفسيرها انما نولى

الله الناس بأعمالهم فالمؤمن - والى المؤمن من أين كان وحيث كان والكافر والى الكافر أينما كان وحيثما كان ليس الايمان بالتقوى ولا بالتعبد واختاره ابن جرير وقال معمر بن قتادة في تفسير الآية نولى الله بعض الظالمين بعضاً في النار يتبع بعضهم بعضاً وقال مالك بن دينار قرأت في الزبور اني أتتكم من المنافقين بالمنافقين ثم أتتكم من المنافقين جميعاً وذلك في كتاب الله قول الله تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً قال ظالمى الانس وظالمى الجن وقرأ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين وقال ابن زيد في الآية ظالمى الجن وظالمى الانس وقرأ ومن يعش عن ذكر الرحمن الآية قال ونسلط ظلمة الجن على ظلمة الانس وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الباقي بن أحمد من طريق سعيد بن عبد الجبار الكريسي عن عمار بن سلمة عن عاصم عن زر عن ابن مسعود مر فوعا ومن أعان ظالمنا سلطه الله عليه وهذا حديث غريب وقال

ثلثائة (والمنافقات) وكن مائة وسبعين (بعضهم من بعض) أى متشابهون في الدين كأبعض الشيء الواحد ذكرهنا جملته أحوال المنافقين وان ذكرهم في ذلك كانوا منهم وانهم متناهون في النفاق والبعد عن الايمان وفيه اشارة الى نفي أن يكونوا من المؤمنين ورد لقولهم ويخلفون بالله انهم لمنكم ثم فصل ذلك المنجمل ببيان مضادة حالهم لحال المنافقين فقال (يا امرؤ) أى يا امرء بعضهم بعضاً (بالمشكر) هو كل قبيح عقلاً أو شرعاً (ويهنون عن المعروف) هو كل حسن عقلاً أو شرعاً قال الزجاج هذا متصل بقوله يخلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم أى ليسوا من المؤمنين ولكن بعضهم من بعض أى متشابهون في الأمر بالمشكر والنهي عن المعروف (ويقبضون أيديهم) أى يشحون فيما ينبغي اخراجه من المال في الصدقة والصلوة والجهاد فانقبض كناية عن الشح كما ان البسط كناية عن الكرم (نسوا الله فانسوهم) النسيان الترتك أى تركوا ما أمرهم به فتركهم من رحمته وفضله أو تركوا ذكرا لله وعبادته فترك الله ذكراً لهم في ذكركم بالرجة والاحسان لان النسيان الحقيقي لا يصح اطلاقه على الله سبحانه وانما أطلق عليه هنا من باب المشاكسة المعروفة في علم البيان فهو مجاز مرسل ثم حكم عليهم بالنفاق فقال (ان المنافقين هم الفاسقون) الفسق الخروج عن طاعة الله الى معاصيه والانسلاخ من كل خير وهذا التركيب يفيد انهم هم الكاملون في الفسق والتمرد والاضهار في موضع الاضمار زيادة التقدير والاهانة والتحقير فان الاظهار كما يأتي للتعظيم يأتي للتحقير كما نص عليه بعضهم (وعدا الله المنافقين والمنافقات والكفار) يقال وعدته في الخير والشر والاختلاف انما هو بالمصدر فصدر الاول وعدو مصدر الثاني وعيد فاستعمل وعد في الشر كما هنا وفي الخير فيما سياتى في قوله وعد الله المؤمنين ثم بين ما ل حال أهل النفاق والكفر بأن لهم (نار جهنم خالد بن) أى يصلونهم مقيمين (فيها) مقدرين الخلود (هى) أى النار (حسبهم) أى كافهم جزاء وعقاباً لا يحتاجون الى زيادة على عذابها (ولعنهم الله) أى ومع ذلك فقد طردهم عن بابه وأبعدهم عن رحمته (ولهم عذاب مقيم) أى نوع آخر من العذاب غير النار دائم لا ينتقل عنهم كل مهرباً وعذاب في الدنيا وهو ما يقاسونه من تعب النفاق اذ هم دائماتى حذر من أن يطلع المسلمون على نفاقهم (كالذين من قبلكم) شبه حال المنافقين بالكفار الذين كانوا من قبلهم ملتفتاً من الغيبة

(١٧ - فتح البيان ح) بعض الشعراء وما من يد الايد الله فوقها * وما ظالم الا سيلى بظالم

ومعنى الآية الكريمة كما ولينا هؤلاء الخاسرين من الانس تلك الطائفة التي أغوتهم من الجن كذلك نفعنا بالظالمين نسلط بعضهم على بعض ونهلك بعضهم ببعض وننتقم من بعضهم ببعض جزاء على ظلمهم وبغيرهم (بامعشر الجن والانس) ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا ثم نادى انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين) وهذا أيضاً مما يفزع الله به كافر الجن والانس من تقريرهم يوم القيامة حيث يسألهم وهو أعلم هل بلغتهم الرسل رسالته

وهذا استفهام تقريري يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم أي من جعلتكم والرسل من الانس فقط وليس من الجن رسل كما قد نص على ذلك مجاهد وابن جرير وغير واحد من الأئمة من السلف والخلف قال ابن عباس الرسل من بني آدم ومن الجن نذر وحكي ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم انه زعم ان في الجن رسلا واحتج بهذه الآية الكريمة وفيه نظر لانها محتملة ليست بصريحة وهي والله أعلم كقوله مرجح البحر يملقنيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء بكما تكذبان الى أن قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ومعلوم ان اللؤلؤ والمرجان انما يستخرج (١٣٠) من الملح لامن الخلو وهذا واضح والله الحمد وقد ذكر هذا الجواب بعينه ابن جرير

والدليل على ان الرسل من الانس قوله تعالى انا وأوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده الى قوله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقوله تعالى عن ابراهيم وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فخصر النبوة والكتاب بعد ابراهيم في ذريته ولم يقل أحد من الناس ان النبوة كانت في الجن قبل ابراهيم الخليل ثم انقطعت عنهم بعثته وقال تعالى وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الأسواق وقال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى ومعلوم ان الجن تبع للانسان في هذا الباب ولهذا قال تعالى اخبار عنهم وأذصرنا اليك نصران من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا اناس معنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا أجيئوا داعي الله وأمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب أليم ومن لا يجيب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من

الى الخطاب أي أنتم مثل الناس قبلكم أو المعنى فعلتم مثل فعل الذين مضوا من قبلكم من الأمم وقال الزجاج التقدير وعد الله الكفار نار جهنم وعدا كما وعد الذين من قبلكم وقيل المعنى فعلتم كما فعل الذين من قبلكم في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقبض الايدي ثم وصف حال هؤلاء الكفار الذين من قبلكم وبين وجه تشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم بأنهم (كانوا أشد منكم قوة) أي بطشافي الابدان ومنعته من هؤلاء المنافقين والكفار المعاصرين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (وأكثروا اولاداً ومنكم) فاستمعوا أي تمتعوا وفي صيغة الاستفعال ما ليس في صيغة التفعّل من الاستزادة والاستدامة في التمتع (بخلاقهم) أي نصيبهم الذي قدره الله لهم من ملاذ الدنيا وخاضوا في الباطل واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه (فاستمعتم) أنتم (بخلاقكم) أي نصيبكم الذي قدره الله لكم (كما استمع الذين من قبلكم بخلاقهم) أي اتفتم به كما اتفتموه والغرض من هذا التمثيل ذم هؤلاء المنافقين والكفار بسبب مشابهتهم من قبلهم من الكفار في الاستمتاع بما رزقهم الله من الشهوات الفانية والتشاعل بها عن السعي في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية وقد قيل ما فائدة ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الاولين مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانياً ثم تكريره في حق الاولين ثالثاً وأوجب بأنه تعالى ذم الاولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها وحرمانهم عن سعادة الآخرة بسبب استغراقهم في تلك الحظوظ الفانية فلما قرر تعالى هذا عاد فتشبهه حال المنافقين بحالهم فيكون ذلك نهاية في المبالغة في ذم المخاطبين وتقييد حالهم ولم يسلك هذه الطريقة في التشبيه الثاني وهو قوله خضتم حيث لم يقل وخاضوا وخضتم كخوضهم اكتفاء بالتهديد الاول فاستغنى عن ذكر التهديد في التشبيه الثاني قال ابن عباس ما أشبه الليلة بالبارحة هؤلاء بنو اسرائيل أشبهناهم والذي نفسى بيده لتبغعنهم حتى لو دخل رجل بحر ضرب لدخلته (وخضتم) في الباطل وتلبستم به (كالذي خاضوا) أي خوضوا كخوضهم أو كالذين خاضوا أو كالفوج الذي خاضوا أو كالكحوض الذي خاضوه يقال خضت الماء أخوضه خوضاً وخياضاً والموضع محاضرة وهو ما جاز الناس فيه مشاة وربك انار جمعها

المخاض

دونه أولياء أولئك في ضلال مبين وقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم تلا عليهم سورة الرحمن وفيها قوله تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان فبأي آلاء بكما تكذبان وقال تعالى في هذه الآية الكريمة يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم وقوله تعالى يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا أي أقرنا على أنفسنا ان الرسل قد بلغتنا رسالاتك وأنذرونا لقاءك وان هذا اليوم كائن لا محالة وقال تعالى وغرهم الحياة الدنيا أي وقد فرطوا في حياتهم وهلكوا فيها بالكذب الرسل ومخالفتهم للمعجزات لما اغترابوا به من زخرف الحياة الدنيا وزينتها

وشهواتها وشهدوا على أنفسهم أي يوم القيامة أنهم كانوا كافرين أي في الدنيا بما جاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم (ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون) يقول تعالى ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون أي انما أعذرتنا الى أهلها غافلون أي انما أعذرتنا الى النقلين بارسال الرسل وانزال الكتب لئلا يؤأخذ أحد بظلمه وهو لم يبلغه دعوة ولكن أعذرتنا الى الأمم وما عذبنا أحد الا بعد ارسال الرسل اليهم ثم قال تعالى وان من قرية الا خلا فيها نذير وقال تعالى ولقد بعثنا في كل أممة رسولا وان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت كقوله (١٣١) وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال تعالى

كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير والآيات في هذا كثيرة قال الامام أبو جعفر بن جرير ويحتمل قوله تعالى بظلم وجهين أحدهما ذلك من أجل ان لم يكن ربك ليهلك القرى بظلم أهلها بالشرك ونشووه وهم غافلون يقول لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث اليهم من بينهم على حجج الله عليهم وينذرهم عذاب الله يوم معادهم ولم يكن بالذي يؤأخذهم غفلة فيقول ما جاءنا من نذير ولا نذير والوجه الثاني ان ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم يقول لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر فيظلمهم بذلك والله غير ظلام للعبيد ثم شرع يرحم الوجه الاول ولا شك انه أقوى والله أعلم قال وقوله تعالى ولكل درجات مما عملوا أي ولكل عامل من طاعة الله ومعصيته مراتب ومنازل من عمله يبلغه الله اياها وينبئها ان خيرا خيرا وان شرا فشرقت ويحتمل أن يعود قوله ولكل درجات مما عملوا أي ولكل عامل من طاعة الله أو معصيته لكافرى الجن والانس أي

المخاض والمخاوض ويقال منه حاض القوم في الحديث والمعنى خصتم في أسباب الدنيا واليهو واللعب وقيل في أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالتكذيب ودخلتم في ذلك (أولئك) إشارة الى كل من المشبهين والمشبه بهم فهي لمجموع الفريقين (حبطت) بطلت (أعمالهم) أي ما عملوه مما هو في صورة طاعة لاهذه الاعمال المذكورة هنا فانها من المعاصي وعاقبتها غيبة عن البيان (في الدنيا والآخرة) أي انها باطلة على كل حال أما بطلانها في الدنيا فلان ما يترتب على أعمالهم فيها من السعة والصحوة وغير ذلك لا يحصل لهم بل يصير ما يرجونه من الغنى فقرا ومن العزلا ومن القوة ضعفا وأما في الآخرة فلانهم يصيرون الى عذاب النار ولا ينتفعون بشئ مما عملوه من الاعمال التي يظنونها طاعة وقربة (وأولئك هم الخاسرون) أي المتكسبون في الخسران الكاملون فيه في الدنيا والآخرة (ألم يأتهم) أي المنافقين رجوع الى الغيبة عن الخطاب ففيه التفات وهو استفهام بمعنى التقرير والتحذير أي قد أتاهم (نبأ الذين من قبلهم) أي خبرهم الذي له شأن وهو ما فعلوا من التكذيب وما فعل بهم من الاهلاك وما شبه حالهم بما لهم فيما سلف على الاجال في المشبه بهم ذكر منهم ههنا استطوائف قد سمع العرب اخبارهم لان آثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق واليمن وكل ذلك قريب من أرض العرب فكانوا يعرفون عليهم ويعرفون اخبارهم (قوم نوح) وقد هلكوا بالاغراق وأهلكوا بالطوفان وهم أولهم (و) ثانيهم قوم (عاد) وقد أهلكوا بالريح العقيم (و) ثالثهم قوم (ثمود) وقد أخذوا بالصيحة وأهلكوا بالرجفة (وقوم ابراهيم) وقد سلط الله عليهم البعوض وقيل أهلكوا بسلب النعمة عنهم وهم رابعهم (وأصحاب مدين) وهم قوم شعيب وقد أخذتهم الرجفة وأهلكوا بعذاب يوم الظلة وهي غمامة أطبقت عليهم وهم خامسهم (و) سادسهم أصحاب (المؤتفقات) وهي قرى قوم لوط وقد أهلكهم الله بما أمطر عليهم من الحجارة فان كانت مراد به فهي على حقيقتها وان كان المراد مطلق قرى المكذبين وهي لم تحسف باجمعها فيكون المراد به مجازا انتقال حالها من الخير الى الشر تشبيها بالتحسف على طريق الاستعارة كقول ابن الرومي

وما التحسف ان تلقى أسافل بلدة * أعاليها بل ان تسود الاراذل

وهي بدل من الذين بدل بعض من كل فقوله وعاد الى آخر المعطوفات كلها على قوم نوح

ولكل درجة في النار بحسبه كقوله قال اسكل ضعف وقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وما ربك بغافل عما يعملون قال ابن جرير أي وكل ذلك يا محمد بعملهم بعلم من ربك يحصيها ويثبتها لهم عنده ليجازيهم عليها عند لقاءهم اياه ومعادهم اليه (وربك الغنى ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخر بن انما توعدون لآت وما أنتم بمحجزين قل يا قوم اعملوا على مكاتكم انى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون) يقول تعالى وربك الغنى أي عن جميع خلقه من جميع الوجوه وهم الفقراء اليه في جميع أحوالهم

ذو الرجة أي هو مع ذلك رحيم بهم رؤوف كما قال تعالى ان الله بالناس لرؤوف رحيم ان يشأ يذهبكم أي اذا خالفتم أمره وبسبب اختلاف من بعدكم ما يشأ أي قوما آخرين أي يعملون بطاعته كما نشأكم من ذرية قوم آخرين هو قادر على ذلك أسهل عليه يسير لديه كما أذهب القرن الاول وأتى بالذي بعده كذلك هو قادر على اذهاب هؤلاء والاتبان بآخرين كما قال تعالى ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا وقال تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وقال تعالى (١٣٢) والله الغني وأنتم الفقراء وان تمولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا

أمثالكم وقال محمد بن اسحق عن يعقوب بن عتبة قال سمعت أنان بن عثمان يقول في هذه الآية كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين الذرية الاصل والذرية النسل وقوله تعالى انما توعدون لآت وما أنتم بجزين أي أخبرهم يا محمد أن الذي يوعدون به من أمر المعاد كاش لا محالة وما أنتم بجزين أي ولا تجزون الله بل هو قادر على اعادة تكلم وان صرتم ترابا فانا وعظما قادر لا يجزيه شيء قال ابن أبي حاتم في تفسيرها حدثنا أبي حدثنا محمد بن المصنف حدثنا محمد بن جبير عن ابي بكر بن ابي هريرة عن عطاء بن ابي رباح عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مرفوعا يا بني آدم ان كنتم تعلمون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي نفسى بيده انما توعدون لآت وما أنتم بجزين وقوله تعالى قل يا قوم اعلموا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون هذا تهديد شديد وعيدا كيدا أي استمروا على طريقكم وناحياتكم ان كنتم تظنون انكم على

لا على نوح غير ان الاخير وهو المؤمنات على حذف مضاف كما قدرنا اذهى القرى وليست من الذين خلوا حتى تكون من جملة البدل وسميت مؤتفكات لانها انقلبت بهم حتى صار عاليها سافلها والاتفك الاتقلاب يقال أفكك اذا قلبه وبابه ضرب ويقال أفكته فأتفك أي قلبته فانقلب والمادة تدل على التحول والصرف ومنه يؤفك عنه من أفك أي يصرف (آتتهم) استئنف لبيان نبأهم (رسلهم) أي رسل هذه الطوائف الست وقيل رسل أصحاب المؤتفكات لان رسولهم لوط وقد بعث الى كل قرية من قراهم رسولا (بالبينات) أي المعجزات الباهرات والنجح الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا أمرنا فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم والقائه في (فنا) كان الله ليظلمهم للعطف على مقدر يدل عليه الكلام أي فكذبوهم فاهلكهم الله فنا ظلمهم بذلك ولم يجعل العقوبة لهم لانه قد بعث اليهم رسلا فانذروهم وحذروهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بسبب ما فعلوه من الكفر بالله وعدم الانقياد لانيائه وهذا التريب يدل على ان ظلمهم لانفسهم كان مستمرا وقيل تقدم المفعول مجردا لاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) أي قلوبهم متحدة في التوادد والتحاب والتعاطف واتفاق الكلمة والعون والنصر بسبب ما جمعهم من أمر الدين وضمهم من الايمان بالله قال ابن عباس آخاهم في الله يتحابون بحلال الله والولاية له فظهر الفرق بين الفريقين ثم بين أوصافهم الحميدة كما بين أوصاف من قبلهم من المنافقين فقال (يا مرون بالمعروف) أي بما هو معروف في الشرع غير منكر ومن ذلك توحيد الله سبحانه وترك عبادة غيره (ويهنون عن المنكر) أي عما هو منكر في الدين غير معروف أي جنس المعروف وجنس المنكر الشاملين لكل خير وشر وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الاحاديث ما هو معروف (ويقيمون الصلاة) المفروضة ويقومون أركانها وحدها فلا يزالون يذكرون الله سبحانه فهو في مقابلة ما سبق من قوله نسوا الله (ويؤتون الزكاة) الواجبة عليهم وهو في مقابلة قوله يقصون أيديهم قيل خصص ما بالذكر من جملة العبادات لكونه مال الركنين العظيمين فيما يتعلق بالابدان

والاموال هدى فاستمروا على طريقكم وناحياتكم فاستمروا على طريقتي ومنهجي كقوله وقل للذين

لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس على مكانتكم ناحياتكم فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون أي أن تكون لي أولكم وقد أنجز الله مواعده لرسوله صلوات الله عليه أي فانه تعالى مكر له البلاد وحكمه في نواحي مخالفة من العباد وفتح له مكة وأظهره على من كذب من قومه وعاداه وناواه واستقر أمره على سائر جزيرة العرب وكذلك اليمن والبحرين وكل ذلك في حياته ثم فتحت الامصار والاقاليم والرسا تيق بعد وفاته في أيام خلفائه رضي الله عنهم أجمعين كما قال الله تعالى كتب الله لابن اناورسلى ان الله قوى عزيز وقال انا لننصر رسنا والذين آمنوا في الحياة

الدينا يوم يقوم الاشهدا يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وقال تعالى اخبار عن رسله فاوحى اليهم ربهم
لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد وقال تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم
أمننا يعبدونني لا يشركون بي شيئا الاية وقد فعل الله ذلك بهذه الامة وله الحمد والمنة أولا وآخرا وظاهرا وباطنا (وجعلوا لله مما
ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان (١٣٣) لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو

يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون)
هذا ذم وتوبيخ من الله للمشركين
الذين ابتعدوا بدعوا وكفروا وشركا
وجعلوا لله شركا وجزأ من خلقه
وهو خالق كل شيء سبحانه وتعالى
ولهذا قال تعالى وجعلوا لله محاذرا
أى مما خلق وبرأ من الحرث أى من
الزرع والثمار والانعام نصيبا أى جزأ
وقسمافقا لواله هذا الله بزعمهم وهذا
لشركائنا وقوله فما كان لشركائهم
فلا يصل الى الله وما كان لله فهو
يصل الى شركائهم قال علي بن أبي
طلحة والعوفي عن ابن عباس أنه قال
في تفسير هذه الآية ان أعداء الله
كانوا اذا حرتوا حراثا وكانت لهم غرة
جعلوا لله منه جزأ وللون جزأ فما
كان من حرت أو غرة أو شئ من
نصيب الاوثان حفظوه وأحصوه
وان سقط منه شئ فبئسما للصد
ردوه الى ما جعلوه للون وان سبقهم
الماء الذى جعلوه للون فسقى شيئا
جعلوه لله جعلوا ذلك للون وان سقط
شئ من الحرث والثمره الذى جعلوه لله
فاختلط بالذى جعلوه للون قالوا
هذا فقير ولم يردوه الى ما جعلوه لله
وان سبقهم الماء الذى جعلوه لله

والاموال وقد تقدم معنى هذا (ويطيعون الله ورسوله) في جميع ما أمرهم بفعله
أو نهاهم بتركه وهذا في مقابلة وصف المنافقين بكل الفسق والخروج عن الطاعة
(أولئك) يعنى المؤمنين والمؤمنات المتصفين بهذه الاوصاف الفاضلة (سيرجهم الله)
السين للمبالغة في الشجاذ الوعد والدلالة على تحقق ذلك وتقرره بمعونة المقام كما هنا اذا السين
موضوعه للدلالة على الوقوع مع التأخير فاذا كان المقام ليس مقام تأخير لكونه بشاره
ووعدا تحضت لما كيد الوقوع أى وقوع ما وعده من الرجعة والرضوان وما أعد لهم من
النعيم المقيم في الجنان (ان الله عزيز) لا يغالب ولا يعجزه شئ عن انجاز وعده ووعيده
(حكيم) في أفعاله وأقواله لا يضيع شيئا الا في محله وفيه ترغيب وترهيب وتعليل لقوله
سيرجهم الله ثم ذكر تفصيل ما يدخل تحت آثار الرجعة اجالا باعتبار الرجعة في الدار
الآخرة فقال (وعدا الله المؤمنين والمؤمنات) أى كل مؤمن ومؤمنة (جنات)
تجربى من تحتها الانهار) الاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بعليقة
وصف الايمان للوعد المذكور ومعنى جرى الانهار من تحت الجنات انها تجرى تحت
أشجارها وغرفها والمراد البساتين التي يتجربى فيها الناظر (خالد بن) أى مقدرين
الخلود (فيها) وقد تقدم تحقيق الآية في البقرة (ومساكن) أى منازل يسكنون
فيها من الدر والياقوت (طيبة) تستطيبها النفوس ويطيب فيها العيش (في جنات)
عدن) اقامة يقال عدن بالمكان اذا أقام به ومنه المعدن أى بساتين خالد وقيل هى أعلى
الجنة وقيل أوسطها وقيل قصور من ذهب لا يدخلها الا نبى أو صديق أو شهيد وأخرج ابن
أبى حاتم والطبرى بسنده عن عمران بن مرادويه عن الحسن قال سألت عمران بن حصين
وأبا هريرة عن تفسير قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن قال أعلى الخبير سقطت
سألنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال قصر من أولوة في الجنة في ذلك القصر
سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمرذة خضراء في كل بيت سبعون
سرا على كل سر سبعون فراشا من كل لون على كل فراش امرأة من الخور العين في
كل بيت سبعون مائدة في كل مائدة سبعون لونا من كل طعام في كل بيت سبعون وصيفا
ووصيفة فيعطى المؤمن من القوة في كل غداة واحدة ما أتى على ذلك كله أجمع قلت
ووصف الله الجنة هنا بأوصاف الاول جري الانهار من تحتها الليل الطبع اليها والثاني

فسقى ماسى للون تر كوه للون وكانوا يحرمون من أموالهم البحرية والسائية والوصيلة والحام فيجعلونه للاوثان ويرغمون انهم
يحرمونه قربة لله فقال الله تعالى وجعلوا لله محاذرا من الحرث والانعام نصيبا الاية وهكذا قال مجاهد وقناة والسدى وغير واحد
وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في الآية كل شئ يجعلونه لله من ذبح يذبحونه لا يأكلونه أبدا حتى يذكروا معه أسماء الآلهة وما
كان للآلهة لم يذكروا اسم الله معه وقرأ الآية حتى بلغ ساء ما يحكمون أى ساء ما يقسمون لانهم اخطأوا ولا في القسم لان الله
تعالى هو رب كل شئ ومليكه وخالقه وله الملك وكل شئ له وفي تصرفه وتحت قدرته ومشيئته لا اله غيره ولا رب سواه ثم لما قسموا اعبا

زعموا القسمة الفاسدة لم يحفظوها بل جاروا فيها كقوله جل وعلا ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وقال تعالى وجعلوا
 له من عباده جراً أن الانسان لكفور مبین وقال تعالى ألكم الذكوة الاثنى وقوله تلك اذا قسمه ضيرى (وكذلك زين الكثيرين
 المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون) يقول تعالى وكأنت
 لهم الشياطين أن يجعلوا لله محاذاً من الحرث والانعام نصيباً كذلك زينوا لهم قتل أولادهم خشية الاملاق ووآد البنات خشية
 العار قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وكذلك (١٣٤) زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم زينوا لهم قتل أولادهم

وقال مجاهد شركاؤهم شياطينهم
 بأمر ونهم أن يتدوا أولادهم خشية
 العيلة وقال السدي أمرتهم
 الشياطين أن يقتلوا البنات اما
 ليردوهم فيلبسوا عليهم دينهم
 عليهم دينهم أي فيخلطوا عليهم دينهم
 ونحو ذلك قال عبدالرحمن بن زيد بن
 أسلم وقتادة وهذا كقوله تعالى واذا
 بشرأ أحدكم بالانثى ظل وجهه
 مسوداً وهو كظيم يتوارى من
 القوم من سوء ما بشره الآية
 وكقوله واذا الموءودة سئلت بأي
 ذنب قتلت وقد كانوا أيضاً يقتلون
 الاولاد من الاملاق وهو الفقر
 أو خشية الاملاق ان يحصل لهم
 في تلف المال وقد نهبهم عن قتل
 أولادهم لذلك وانما كان هذا كله
 من تزوين الشياطين وشرعهم لهم
 ذلك قال تعالى ولو شاء الله ما فعلوه
 أي كل هذا واقع بعشيئته تعالى
 وارادته واختياره لذلك كونا وله
 الحكمة التامة في ذلك فلا يستل
 عما يفعل وهم يستلون فذرهم وما
 يفترون أي فدعهم واجتنبهم وما
 هم فيه فسبحكم الله يبتدئ وينهم
 (وقالوا هذه انعام وحرث حجر

أنهم فيها خالدون لا يعتبرهم فيها فناء ولا تغيير والثالث طيب مساكنها الخالية عن
 الكدورات والرابع انها ذات عدن أي اقامة غير منقطعة هذا على ما هو معنى عدن لغة
 وقيل هو علم قال الرازي والحاصل ان في عدن قولين أحدهما انه اسم علم لموضع معين في
 الجنة والآثار وال اخبار تقوى ذلك وقال الرخشمي انه علم يدل على قوله جنات عدن التي
 وعد الرحمن عباده والثاني انه صفة للجنة بمعنى اقامة فهذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها
 عدن والاحاديث في صفة الجنات وأصنافها كثيرة وقد أوضحت المقام في كتابي منبر
 ساكن الغرام الى روضات دار السلام فليرجع اليه (ورضوان) حقير يسير (من الله
 أكبر) من ذلك كله الذي أعطاهم الله اياه اذ عليه يدور فوز كل خير وسعادة وبه يناط
 كل شرف وسيادة ولعل عدم نظمه في سلك الموعود به مع عزته في نفسه لانه متحقق في ضمن
 كل موعود ولانه مستقر في الدارين وفيه دليل على انه لا شيء من النعم وان جلت وعظمت
 بما نزل رضوان الله سبحانه وان أدنى رضوان الله لا يساويه شيء من اللذات الجسمانية
 وان كانت على غاية ليس وراءها تامة اللهم ارض عنارض الايشوبه بسخط ولا يكره نكد
 يا من بيده الخير دقه وجهه (ذلك) أي ما تقدم مما وعد الله به المؤمنين والمؤمنات (هو
 الفوز العظيم) دون كل فوز مما بعده الناس فوزاً من حطام الدنيا وأخرج البخاري
 ومسلم وغيرهما من حديث أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله
 يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون ليس ربنا وسعديك والخير في يدك فيقول هل
 رضيت فيقولون ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطه أحد من خلقك فيقول
 الأ عطيتكم أفضل من ذلك قالوا يا ربنا وأي شيء أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضواني
 فلا أسخط عليكم بعده أبداً (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) الامر للنبي صلى
 الله عليه وآله وسلم بهذا الجهاد أمر لامة من بعده وجهاد الكفار يكون بمقتلتهم
 بالسيف والسمان حتى يسلموا وجهاد المنافقين يكون باقامة الحجج عليهم باللسان والبيان
 حتى يخرجوا عنه ويؤمنوا بالله وبه قال ابن مسعود قال الحسن ان جهاد المنافقين باقامة
 الحدود عليهم واختاره قتادة قبل في توجيهه ان المنافقين كانوا أكثر من يفعل موجبات
 الحدود قال ابن العربي ان هذه دعوى لا برهان عليها وليس العاصي بمنافق انما المنافق
 بما يكون في قلبه من التناق داغماً لا بما يتلبس به الجوارح ظاهراً واخبار المحدثين تشهد

لا يطعمها الا من نشأ بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه
 سيجزى بهم بما كانوا يفترون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الحجر الحرام مما حرموا من الوصيلة وتحرى ما حرموا وكذلك
 قال مجاهد والضحاك والسدي وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ما قال قتادة وقالوا هذه انعام وحرث حجر عليهم في
 أموالهم من الشياطين وتغليظ وتشديد ولم يكن من الله تعالى وقال زيد بن أسلم حجر انما احتجروها لآلهتهم وقال السدي
 لا يطعمها الا من نشأ بزعمهم يقولون حرام لا يطعم الا من نشأ وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى قل أرايتم ما أنزل الله لكم

سياقتها

من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفترون وكن قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون وقال السدي أما انعام حرمت ظهورها فهي البحيرة والسائبة والحام وأما الانعام التي لا يذكرون اسم الله عليها اذا اولدوها لا ينحروها وقال أبو بكر بن عباس عن عاصم بن أبي النجود قال لى أبو وائل تدري ما في قوله وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها قلت لا قال هي البحيرة كانوا لا يجنون عليها وقال مجاهد كان من ابلهم طائفة لا يذكرون (١٣٥) اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها الا ان ركبوا

ولان حملوا ولان حملوا ولان سحبوها ولان عملوا شيئا افتراء عليه أى على الله وكن ذبا منهم فى اسنادهم ذلك الى دين الله وشرعه فانه لم ياذن لهم فى ذلك ولا رضيه منهم سيجزى بهم بما كانوا يفترون أى عليه ويسندون اليه سيجزى بهم بما كانوا يفترون (وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصه لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزى بهم وصفهم انه حكيم عليم) قال أبو اسحق السيمعى عن عبد الله بن أبى الهذيل عن ابن عباس وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصه لذكورنا الاية قال العوفى عن ابن عباس فهو اللبن كانوا يحرمونه على اناتهم وبشر به ذكراهم وكانت الشاة اذا ولدت ذكرا ذبحوه وكان للرجال دون النساء وان كانت أنثى تركت فلم تذبح وان كانت ميتة فهم فيه شركاء فنهى الله عن ذلك وكذا قال السدي وقال الشعبي البحيرة لا يأكل من لبنها الا الرجال وان مات منها شيء أكله الرجال والنساء وكذا قال عكرمة وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال مجاهد فى قوله وقالوا

سباقها انهم لم يكونوا منافقين وقال الطبرى أولى الاقوال قول ابن مسعود لان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الآية على وجوب جهاد المنافقين وليس فى الآية ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من دليل آخر وقد دلت الدلائل المنفصلة ان الجهاد مع الكفار انما يكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحجية عليهم تارة وبترك الرفق بهم تارة وبالانتهاز تارة وهذا قول ابن مسعود (واغظ) أى شدد (عليهم) أى القريبين بالانتهاز والمقت والجهاد وأصل الغلظ قبض الرأفة وهو شدة القلب وخشونة الجانب قيل وهذه الآية نسخت كل شيء من العقوب والصلح والصفح (ومأواهم) أى مسكنهم (جهنم) قال أبو البقاء ان قيل كيف حسنت الواو وهما والفاء أشبه بهذا الموضوع ففيه ثلاثة أجوبة أحدها ان الواو والحاء وتلك الحلال حال كفرهم والتقدير افعال ذلك فى حال استحقاقهم جهنم والثانى تقديره واعلم ان مأواهم جهنم والثالث ان الكلام قد حمل على المعنى والمعنى انه قد اجتمع لهم عذاب الدنيا بالجهاد والغلظة وعذاب الآخرة فيجعل جهنم مأواهم قال السمين ولا حاجة الى هذا كله بل هذه جملة استثنافية قال أبو السعود مستأنفه لبيان ما آل أمرهم بعد بيان عاجله (وبئس المصير) مصيرهم اليها ثم ذكر من خصال المنافقين انهم يحلفون الايمان الكاذبة فقال (يحلفون بالله ما قالوا) استئناف مسوق لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة للامر بجهادهم والغلظة عليهم وقد اختلف أئمة التفسير فى سبب نزول هذه الآية فقيل نزلت فى الجلاس بن سويد بن الصامت ووديعه بن ثابت وذلك انه لما كثرت زوال القرآن فى غزوة تبوك فى شأن المنافقين وذمهم فقال لئن كان محمد صادقا على اخواننا الذين هم ساداتنا وخيارنا لئن شرم من الجحير فقال له عامر بن قيس أجل والله ان محمد الصادق مصدق وانك لشرم من الجار وأخبر عامر بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجاء الجلاس يخاف بالله ان عامر الكاذب وحلف عامر لقد قال وقال اللهم انزل على نبيك شيئا فنزلت وقيل ان الذى سمع ذلك عاصم ابن عدى وقيل حذيفة وقيل بل سمعه ولد امرأته أى امرأة الجلاس واسمه عمير بن سعد فهم الجلاس بقتله لئلا يخبر بخبره وقيل ان هذه الآية نزلت فى عبد الله بن أبى رأس المنافقين لما قال ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمع كلبك يا كاذب لئن رجعنا الى المدينة ليخربن الاعز منها الاذل فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فجاء عبد الله

ما فى بطون هذه الانعام خالصه لذكورنا ومحرم على أزواجنا قال هي السائبة والبحيرة وقال أبو العالية ومجاهد وقتادة فى قول الله سيجزى بهم وصفهم أى قولهم الكذب فى ذلك يعنى لقوله تعالى ولا تقولوا لما تسمع من الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع الآية انه حكيم أى فى أفعاله وأقواله وشرعه وقدره عليم بأعمال عباده من خير وشر وسيجزى بهم عليها أتم الجزاء (قد خسروا الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرمو امارزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) يقول تعالى قد خسروا الذين فعلوا هذه الافاعيل فى الدنيا والآخرة اما فى الدنيا خسروا واولادهم بقتلهم

وضيقوا عليهم في أموالهم حرموا أشياء ابتدعوها من تلقاؤهم وأما في الآخرة فيصرون إلى أسوأ المنازل يكذبهم على الله
وافترأهم كقوله تعالى إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم ينالون فيها عذاباً عظيماً العذاب
الشديد بما كانوا يكفرون وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن
أيوب حدثنا عبد الرحمن بن المبارك حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إذا سرك
أن تعلم جهل العرب فأقرأ ما فوق الثلاثين (١٣٦) والمائة من سورة الانعام قد خسروا الذين قتلوا وأولادهم سفهنا بغير علم

وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله
قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهكذا
رواه البخاري منفردا في كتاب
مناقب قريش من صحيحه عن أبي
النعمان محمد بن الفضل عارم بن أبي
عوانة واسمه الوضاح بن عبد الله
اليشكري عن أبي بشير واسمه
جعفر بن أبي وحشية عن أبياس به
(وهو الذي أنشأ جنات معروشات
وغير معروشات والتخل والزرع
مختلفا أكله والزيتون والرمان
متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره
إذا أثموا وآتوا حقه يوم حصاده
ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين
ومن الانعام جملة وفرشها كلوا مما
رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات
الشیطان إنه لكم عدو مبين) يقول
تعالى مبينا انه الخالق لكل شيء من
الزرع والثمار والانعام التي تصرف
فيها هؤلاء المشركون بأرائهم
الفاصلة وقسموها جزؤها فجعلوا
منها حراما وحلالا فقال وهو الذي
أنشأ جنات معروشات وغير
معروشات قال علي بن أبي طلحة
عن ابن عباس معروشات مسموكات
وفي رواية فالعروشات ما عرش وغير

ابن أبي خلف انه لم يقله وقيل انه قول جميع المنافقين وان الآية نزلت فيهم وعلى تقدير ان
القبائل واحدا وانسان فنسبته القول الى جميعهم هي باعتبار موافقة من لم يقل ولم يخلف
من المنافقين لمن قد قال وحلف وفي الباب أحاديث مختلفة في سبب نزول هذه الآية وفيما
ذكرناه كفاية ثم رد الله على المنافقين وكذبهم وبين انهم حلفوا كذبا فقال (ولقد قالوا
كلمة الكفر) وهي ما تقدم بيانه على اختلاف الاقوال السابقة (وكفروا بعد اسلامهم)
أي كفروا بهذه الكلمة بعد اظهارهم الاسلام وان كانوا كفارا في الباطن والمعنى انهم
فعلوا ما يوجب كفرهم على تقدير صحة اسلامهم (وهو ما علم بنالوا) قيل هو همهم بقتل
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمة العقبة في غزوة تبوك وهم بضعة عشر رجلا ضرب
عمار بن ياسر وفي قول حديثه بن النعمان وجوه الرواحل لما غشوه فرجعوا والقصة
مبسوطة في سيرة الحلي وغيرها وقيل هو ما بعد التاج على رأس عبد الله بن أبي وقيل
هوهم الجلاس بقتل من سمعه يقول تلك المقالة فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
(وما تقوموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله) أي ما كانوا وانكروا وكرهوا الا ما هو
حقيق بالمدح والثناء وهو اغناء الله لهم من فضله والاستثناء مفرغ من أعم العام فهو من
تأكيد المدح بما يشبه الذم وقد كان هؤلاء المنافقون في ضيق من العيش فلما قدم النبي
صلى الله عليه وآله وسلم المدينة اتسعت معيشتهم وكثرت أموالهم فجعلوا موضع شكر
النبي صلى الله عليه وآله وسلم النعمة وقيل انهم بطروا النعمة أشرا (فان يتولوا) أي
فان تحصل منهم التوبة والرجوع الى الحق (ينك) ذلك الذي فعلوه من التوبة (خير اليهم)
في الدين والدنيا وقد تاب الجلاس بن سويد وحسن اسلامه وفي ذلك دليل على قبول
التوبة من المنافق والكافر وقد اختلف العلماء في قبولها من الزنديق فنع قبولها مالك
وأبناؤه لانه لا يعلم صحة توبته اذ هو في كل حين يظهر التوبة والاسلام (وان يتولوا) أي
يعرضوا عن التوبة والايان ويصروا على النفاق والكفر (يعذبهم الله عذابا أليما
في الدنيا) بالقتل والاسر ونهب الاموال عاجلا فلا ينال ما سبق من ان قتالهم باللسان
والجبة لا بالسيف لان ذلك اذا لم يظهروا الكفر بل أظهروا الايمان (و) في الآخرة
بعذاب النار اجلا (ومالهم في الارض) مع سعتها وتباعد أقطارها وكثرة أهلها (من ولي)
يواليهم (ولا نصير) ينصرهم (ومنهم من عاهد الله لئن) هي لام قسم أي والله لئن (آنا

معروشات ما خرج في البر والجبال من الثمرات وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس معروشات

من فاضله
من الكرم وغير معروشات ما لم يعرش من الكرم وكذا قال السدي وقال ابن جرير متشابه وغير متشابه قال متشابهها
في المنظر وغير متشابه في الطعم وقال محمد بن كعب كلوا من ثمره اذا أثم رأى قال من رطبته وعنبه وقوله تعالى وآتوا حقه يوم
حصاده قال ابن جرير قال بعضهم هي الزكاة المفروضة حدثنا عبد الصمد حدثنا يزيد بن درهم قال سمعت أنس
ابن مالك يقول وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة المفروضة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وآتوا حقه يوم حصاده يعني

الزكاة المفروضة يوم يكال ويعلم كيله وكذا قال سعيد بن المسيب وقال العوفي عن ابن عباس وآتوا حقه يوم حصاده وذلك ان الرجل كان اذا زرع فكان يوم حصاده لم يخرج مما حصده شيئاً فقال الله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده وذلك ان يعلم ما كيله وحقه من كل عشرة واحد وما يلقط الناس من سنبله وقد روى الامام أحمد وأبو داود في سننه من حديث محمد بن اسحق حدثني محمد بن يحيى ابن حبان عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر من كل جاذة عشرة أوسق من التمر يقنو يعلق في المسجد للمسكين وهذا اسناد جيد قوي وقال طاوس وأبو الشعثاء وقتادة والحسن (١٣٧) والضحك وابن جرير هي الزكاة وقال الحسن

البصري هي الصدقة من الحب والثمار وكذا قال زيد بن أسلم وقال آخر وهو حق آخر سوى الزكاة وقال أشعث عن محمد بن سيرين وعن نافع بن عمر في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال كانوا يعطون شيئاً سوى الزكاة رواه ابن مردويه وروى عبد الله بن المبارك وغيره عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء ابن أبي رباح في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال يعطى من حضره يومئذ ما تيسر وليس بالزكاة وقال مجاهد اذا حضرك المسكين طرحت لهم منه وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآتوا حقه يوم حصاده قال عند الزرع يعطى القبضة وعند الصرام يعطى القبضة ويتركهم فيمتبعون آثار الصرام وقال الثوري عن حماد عن ابراهيم قال يعطى مثل الضغث وقال ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير وآتوا حقه يوم حصاده قال كان هذا شيئاً قبل الزكاة للمسكين القبضة الضغث لعفد ابنته وفي حديث ابن أبي لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن سعيد مرفوعاً وآتوا حقه يوم

من فضله) بان يوسع علينا في الرزق (لنصدقن) هي لام الجواب للقسم وحذف جواب الشرط لدلالة هذا الجواب عليه ولا يمنع الجمع بين القسم واللام لموطئة له أي لنخرج من ذلك المال الصدقة وهي أعم من المفروضة وغيرها (ولنكونن من الصالحين) أي من جلة أهل الصلاح من المؤمنين القانتين بواجبات الدين التاركين لمحرمانه والصلاح ضد الفساد والمفسد هو الذي يجعل بما يلزمه في حكم الشرع (فلما آتاهم من فضله بخلوياه) أي لما أعطوهم ما طلبوا من الرزق لم يصدقوا بشئ منه كما خلقوا به (وتولوا) أي أعرضوا عن طاعة الله وإخراج صدقات ما أعطاهم الله من فضله (وهم) أي والحال انهم (معرضون) في جميع الاوقات قبل أن يعطيهم الله ما أعطاهم من الرزق وبعده عن ابن عباس قال ذلك ان رجلاً كان يقال له ثعلبة من الانصار أتى مجلساً فاشهدهم فقال لئن آتاني الله من فضله آتيت كل ذي حق حقه وتصدقت منه وجعلت منه للقرابة فابتلاه الله فآتاه من فضله فأخلف ما وعده فأغضب الله بما أخلف ما وعده فقص الله شأنه في القرآن وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وغيرهم هذه القصة باطول من هذا جدا وفيه قال يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فقال ادع الله أن يرزقني مالا فقال اللهم ارزقه مالا فاتخذ غنماً فتمت كما تمنى الاود حتى ضاقت بها المدينة فتمتى بها فكان يشهد الصلاة بالنهار مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يشهد بها بالليل ثم تمت حتى لا يشهد جمعة ولا جنازة الحديث (فأعقبهم) الله سبحانه (نفاقاً في قلوبهم) بسبب البخل الذي وقع منهم والاعراض نفاقاً كانوا في قلوبهم متمكناً مستمراً فيها (الي يوم يلقونه) أي الله عز وجل وقيل ان الضمير يرجع الى البخل أي فأعقبهم البخل بما عاهدوا الله عليه الى يوم يلقون البخل أي جزاء بخلهم يعنى ان الله سبحانه جعل النفاق المتمكن في قلوبهم الى تلك الغاية عاقبة ما وقع منهم من البخل (بما أخلفوا الله ما وعده) الباء للسببية أي بسبب اخلافهم لما وعده من التصدق والصلاح وكذلك الباعى (وبما كانوا يكذبون) أي وبسبب تكذيبهم لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اتهم خان وعن ابن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه

(١٨ - فتح البيان ح) حصاده قال ما سقط من السنبل رواه ابن مردويه وقال آخرون هذا كل شئ كان واجبا ثم نسخه الله بالعشر ونصف العشر حكاه ابن جرير عن ابن عباس وابن الحنفية و ابراهيم النخعي والحسن والسدي وعطية العوفي وغيرهم واختاره ابن جرير رحمه الله قلت وفي تسمية هذا نسخاً نظراً لأنه قد كان شيئاً واجباً في الاصل ثم انه فسر بيانه وبين مقدار ما يخرج ويكتبه قالوا وكان هذا في السنة الثانية من الهجرة قاله أعلم وقد ذم الله سبحانه الذين يصرمون ولا يتصدقون كما ذكر عن أصحاب الجنة في سورة ن اذا قسموا المصرم منها مصحين ولا يستنون فطاف عليها طائف من ربك وهم ناعون فأصبحت كالصريم أي كالليل المدلهم سوداء محترقة فتنادوا مصحين ان اغمدوا على حركم ان كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلها اليوم

عليكم مسكين وغدا على حردأى قوة وجلد وهمة قادرين فلما رأوها قالوا اننا الضالون بل نحن محرمون قال أو سألهم ألم أقل لكم
 لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلتنا ان كطاغين عسى ربنا ان يبدلنا خيرا
 منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب والعذاب الاخرة أكبر لو كانوا يعلمون وقوله تعالى ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قيل
 معناه لا تسرفوا في الاعطاء فتعطوا فوق المعروف وقال أبو العالية كانوا يعطون يوم الحصاد شيئا ثم أتبادروا فيه وأسرفوا فأنزل الله
 ولا تسرفوا قال ابن جرير صحیح نزات في ثابت (١٣٨) بن قيس بن شماس جد نخلة فقال لا يأتيني اليوم أحد الا أطعمته فاطم حتى

أمسى وليست له ثمرة فانزل الله تعالى
 ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين رواه
 ابن جرير عنه وقال ابن جرير صحیح عن عطاء
 بن وهاب عن السرف في كل شيء وقال ابان
 ابن معاوية ما جازت به امر الله فهو
 سرف وقال السدي في قوله
 ولا تسرفوا قال لا تعطوا أموالكم
 فتقع دواقرها وقال سعيد بن المسيب
 ومحمد بن كعب في قوله ولا تسرفوا
 قال لا تمتنعوا الصدقة فتعصوا ربكم
 ثم اختار ابن جرير قول عطاء انه نهي
 عن الاسراف في كل شيء ولا شك انه
 صحیح لكن الظاهر والله أعلم من
 سياق الآية حيث قال تعالى كلوا
 من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم
 حصاده ولا تسرفوا أن يكون عائدا
 على الاكل اي لا تسرفوا في
 الاكل لما فيه من مضرة العقل
 والبدن كقوله تعالى كلوا واشربوا
 ولا تسرفوا الآية وفي صحیح البخاري
 تعليقا كلوا واشربوا والبسوا من
 غير اسراف ولا مخيلة وهذا من
 هذا والله أعلم وقوله عز وجل ومن
 الانعام جولة وفرشاً أي وأنشأ لكم
 من الانعام ما هو جولة وما هو فرش
 قيل المراد بالجولة ما يحمل عليه

خلة كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها الحديث وفيه اذا خصم فجر ثم أنكركم عليهم
 فقال (ألم يعلموا) أي المنافقون (ان الله يعلم سرهم ونجواهم) أي جميع ما يسرونه
 من النفاق وما يتناجون به فيما بينهم من الطعن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى
 أصحابه وعلى دين الاسلام (وان الله علام الغيوب) أي ما غاب عن العيان فلا يخفى
 عليه شيء من الاشياء المغيبة كما سماها كان ومن جملة ذلك ما يصدر عن المنافقين (الذين
 يلزون) أي يعيبون وقال قتادة يطعنون (المطوعين) أي المتطوعين والتطوع
 التبرع والتنفق بما ليس بواجب (من المؤمنين في الصدقات) والمعنى ان المنافقين
 كانوا يعيبون المسلمين اذا تطوعوا بشيء من أموالهم وأخرجوه للصدقة فكانوا يقولون
 ما أغنى الله عن هذا ويقولون ما فعلوا هذا الا رياء ولم يكن لله خالصاً أخرج البخاري ومسلم
 وغيرهما عن ابن مسعود قال لما نزلت آية الصدقة كانت تحمل على ظهورنا فجاء رجل
 فتصدق بشيء كثير فقالوا امرء جاء أبو عقيل بنصف صاع فقال المنافقون ان الله
 لغني عن صدقة هذا فنزلت هذه الآية وفي الباب روايات كثيرة (والذين لا يجدون
 الا جهنم) بالضم الطاقه وهي لغة أهل الحجاز وبالفتح لغيرهم وهي المشقة وقيل هما
 لغتان ومعناها واحد وفي القرطبي الجهد شيء يسير يعيش به المقل وقد تقدم بيان ذلك
 والمعنى ان المنافقين كانوا يعيبون المؤمنين الذين كانوا يتصدقون بما فضل عن كفايتهم
 (فيسخرون منهم) أي يستهزؤون بهم لحقارة ما يخرجونه في الصدقة مع كون ذلك جهد
 المقل وغاية ما يقدر عليه ويمكن منه يقال سخرت منه سخرا من باب تعب هزئت
 به والسخرى بالكسر اسم منه وبالضم لغة فيه والسخره وزان غرقه ما سخرت من
 خادم أو جارية أو دابة بلا أجر ولا عن والسخرى بالضم بمعناه وسخرته في العمل بالثقل
 استعملته مجازا وسخر الله الابل ذلها وسهلها ومنه سخرتنا هذا وما كاله مقرنين (سخر
 الله منهم) أي جازاهم على ما فعلوه من السخر به بالمؤمنين بمثل ذلك فسخر الله منهم بان
 أهانهم وأذلهم وعذبهم والتعبير بذلك من باب المشاكلة كما في غيره وقيل هو دعاء عليهم
 بأن يسخر الله بهم كما سخر بالمسلمين (ولهم عذاب أليم) أي ثابت مستقر شديد الألم
 في الآخرة (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم)
 أخبر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن صدور الاستغفار منه للمنافقين

من الابل والفرش الصغار منها كما قال الثوري عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن
 وعدهم
 عبد الله في قوله الجولة ما حمل عليه من الابل وفرش الصغار من الابل رواه الحاكم وقال صحیح الاسناد ولم يخرجاه وقال ابن
 عباس الجولة هي البكار والفرش الصغار من الابل وكذا قال مجاهد وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ومن الانعام جولة
 وفرشاً أما الجولة فالابل والخليل والبغال والخيروكل شيء يحمل عليه وأما القرش فالغنم واختاره ابن جرير وقال وأحسبه قال انما
 سمى فرشاً لدنوه من الارض وقال الربيع بن أنس والحسن والضحاك وقتادة وغيره الجولة الابل والبقر والفرش الغنم وقال
 السدي اما الجولة فالابل وأما القرش فالفصلان والمجايل والغنم وما حمل عليه فهو جولة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم

الجولة ماتركبون والفرش ماتا كلون وتحملون شاة لاتحملون عليها بل تا كلونها وتخذون من صوفها الحافا وفرشاوه الذي قاله عبد الرحمن في تفسير هذه الآية الكريمة حسن يشهد له قوله تعالى أولم يروا أننا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذلناها لهم فنهركوبهم ومنها يأكلون وقال تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين الى أن قال ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاناً ومطاعاً الى حين وقال تعالى الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوها ومنها تأكلون ولكن فيها منافع ولتبغوا عليها حاجة (١٢٩) في صدوركم وعليها وعلى الفلأ تحملون

ويعدهم آياته فأي آيات الله تنكرون وقوله تعالى كلوا مما رزقكم الله أي من الثمار والزروع والانعام فكلها خلقها الله وجعلها رزقاً لكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان أي طريقه وأوامره كما اتبعها المشركون الذين حرموا ما رزقهم الله أي من الثمار والزروع افسراء على الله انه لكم أي ان الشيطان أيها الناس لكم عدو مبین أي بين ظاهر العداوة كما قال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحابه السعير وقال تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبو بكر من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواء هما الآية وقال تعالى أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً والآيات في هذا كثيرة في القرآن (ثانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل أذكرين حرم أم الاثنين أما اشملت عليه أرحام الاثنين نبوتني بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل أذكرين حرم أم

وعددهم سواء فهذا كلام خرج مخزج الامر ومعناه الخبر وذلك لانهم ليسوا بأهل الاستغفاره صلى الله عليه وآله وسلم ولا للمغفرة من الله سبحانه فهو كقوله تعالى قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم وفيه بيان لعدم المغفرة من الله سبحانه للمنافقين وان أكثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الاستغفار لهم وليس المراد من هذا أنه لو زاد على السبعين لكان ذلك مقبولاً كما في سائر مفاهيم الاعداد بل المراد بهذا المبالغة في عدم القبول فقد كانت العرب تجرى ذلك مجرى المثل في كلامها عند اعادة التكنين والمعنى انه لن يغفر الله لهم وان استغفرت لهم استغفاراً بالغاً في الكثرة غاية المبالغ وقد ذهب بعض الفقهاء الى أن التقييد بهذا العدد المخصوص يفيد قبول الزيادة عليه ويبدل لذلك ما أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن عروة ان عبد الله بن أبي قال لولا انكم تنفقون على محمد وأصحابه لانقضوا من حوله وهو القائل ليخرجن الاعز منها الاذل فانزل الله استغفر لهم أولاً وتستغفر لهم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يزيدن على السبعين فانزل الله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وعن مجاهد وابن عباس نحوه قال الضحاك لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله قدر خص لي فسأز يد على السبعين لعل الله أن يغفر لهم فانزل الله سواء عليهم الآية يعني فين له حسم المغفرة ومعلوم أنه لم يخف عليه ذلك وانما أراد بما قال اظهار كمال رحمته ورأفته عن بعث اليهم وفيه لطف بأمتهم وحث على المراحم وشفقة بعضهم على بعض وهذا دأب الانبياء كما قال ابراهيم ومن عصاني فانك غفور رحيم وذكر بعضهم لتخصيص السبعين وجهها وليس بشئ فقال ان السبعة عدد شريف لانها عدد السموات والارضين والبحار والاقليم والنجوم السيارة والاعضاء وأيام الاسبوع فصير كل واحد من السبعة الى عشرة لان الحسنة بعشرة أمثالها وقيل خصت السبعون بالذكر لانه صلى الله عليه وآله وسلم كبر على عمه جزة سبعين تكبيرة فكانه قال ان تستغفر لهم سبعين مرة قازاة تكبيرة قل على جزة وهذا كالذي قبله ثم علل عدد المغفرة لهم بقوله (ذلك) الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفاركم بل (بانهم كفروا بالله ورسوله) ولفظ الكفر في ذلك اللماس من الغفران لهم بسبب انهم كفروا بالبعث من قبل بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنه انتهى (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي المتمردين الخارجين عن

الاثنين أما اشملت عليه أرحام الاثنين أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهداً فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً يضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) هذا بيان لجهل العرب قبل الاسلام فيما كانوا حرموا من الانعام جعلوها حراً وأنواعاً بحيرة وسابغة وصلة وطما وغير ذلك من الأنواع التي ابتدعوها في الانعام والزروع والثمار فين تعالى أنه أنشأ جنات معروشات وغير معروشات وأنه أنشأ من الانعام حوله وفرشاً ثم بين أصناف الانعام الى غنم وهو بياض وهو الضأن وسواد وهو المعزذ كرهه وأنشأه والى ابل ذكورها وانثاها وبقر كذلك والله تعالى لم يحرم شيئاً من ذلك ولا شيئاً من أولادها بل كلها مخلوقة لبني آدم كالأرثو كروا

وجولة وحلبا وغير ذلك من وجوه المنافع كما قال وأُنزل لكم من الانعام غنماية أزواج الآية وقوله تعالى أما شملت عليه أرحام
الانبيين رد عليهم في قولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا والآية وقوله تعالى نبؤني بعلم ان كنتم صادقين
أى أخبروني عن يقين كيف حرم الله عليكم ما زعمتم تحريمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وتحوذ ذلك وقال العوفي عن ابن
عباس قوله غنماية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين فهذه أربعة أزواج ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين الى قوله تعالى
نبؤني بعلم ان كنتم صادقين يقول تعالى كله حلال (١٤٠) وقوله تعالى أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهم ذاتهم كما هم فيما ابتدعوه

وافتروه على الله من تحريم ما حرمه
من ذلك فمن أظلم ممن افترى على الله
كذبا ليضل الناس بغير علم أى
لأخذ أظلم منه ان الله لا يهدى
القوم الظالمين وأول من دخل في
هذه الآية عمرو بن لحي بن قعدة
لانه أول من غير دين الانبياء وأول
من سب السوايب ووصل الوصيلة
وحى الحام كما ثبت ذلك في الصحيح
(قل لا أجد فيما أوحى الى محرم على
طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو
دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه
رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن
اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور
رحيم) يقول تعالى أمر عبده
ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم
قل يا أيها المدثر هؤلاء الذين حرّموا
مارزقهم الله افتراء على الله لا أجد
فيما أوحى الى محرم على طاعم
يطعمه أى كل يأكله قبل معناه
لا أجد شيئا مما حرمتم حرام سوى
هذه وقيل معناه لا أجد من
الحيوانات سباحا ما سوى هذه
فعلى هذا فيكون ما ورد من
التحريمات بعد هذه في سورة
المائدة وفي الاحاديث الواردة فيها

لمفهوم هذه الآية ومن الناس من يسمى هذا نكحاً والاكثر من المتأخرين لا يسمونه نكحاً لانه من باب
رفع مباح الاصل والله اعلم وقال العوفي عن ابن عباس أودما مسفوحا يعنى المهرق وقال عكرمة في قوله أودما مسفوحا لولا هذه
الآية لتبغ الناس ما في العروق كما تتبعه اليهود وقال حماد عن عمران بن جرير قال سألت أبا مجاز عن الدم وما يتلخ من الذبيح
من الرأس وعن القذيري شها الحجره فقال انما نهى الله عن الدم المسفوح وقال قتادة حرم من الدماء ما كان مسفوحا فاما اللحم
فما ظلمه من الدم فلا بأس به قال ابن جرير حدثنا ابن المنني حدثنا ساجح بن منهل حدثنا حماد بن عيسى بن سعيد عن القاسم عن

المأمور

عائشة رضي الله عنها انها كانت لا ترى بأسا بلحوم الجرو والسباع والدم اللذين يكونتا على القدر بأسا وقرأت هذه الآية صحيح غريب
وقال الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال قلت لخباب بن عبد الله انهم يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن
لحوم الجرا الا هليقة من خير فقال قد كان يقول ذلك الحكم بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ابي ذلك البحر يعني ابن
عباس وقرأ قل لا اجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الاية وهكذا رواه البخارى عن علي بن المدينى عن سفيان به وأخرجه
أبو داود من حديث ابن جريح عن عمرو بن دينار ورواه الحاكم في مستدركه (١٤١) حدثنا محمد بن علي بن دحيم حدثنا أحمد بن

حازم حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين
حدثنا محمد بن شريك عن عمرو بن
دينار عن أبي الشعثاء عن ابن
عباس قال كان أهل الجاهلية
ياكلون أشياء ويتركون أشياء
تقدر أبعث الله نبيه وآتزل كتابه
وأحل حلاله وحرم حرامه فما
أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام
وما سكت عنه فهو عفو وقرأ هذه
الآية قل لا اجد فيما أوحى الى محرما
على طاعم يطعمه الاية وهذا لفظ
ابن مردويه ورواه أبو داود ومنفردا
به عن محمد بن داود بن صبيح عن أبي
نعيم به وقال الحاكم هذا حديث
صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال الامام
أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة
عن سماك بن حرب عن عكرمة عن
ابن عباس قالت ماتت شاة لسودة
بنت زمعة فقالت يا رسول الله ماتت
فلانة تعنى الشاة قال فلم لأخذتم
مسكها قالت نأخذ مسك شاة قد
ماتت فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما قال الله قل لا اجد فيما
أوحى الى محرما على طاعم يطعمه
الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا
أو لحم خنزير وأنتم لا تطعمونه ان

المأثور به مؤكدمهونه (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) هذان الامران معناه
الخبير والمعنى فيضحك هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قليلا
بالنسبة للبكاء في الآخرة وان كان كثيرا في نفسه لان الدنيا فانية والآخرة باقية والمنقطع
الفانى بالنسبة الى الدائم الباقي قليل ويكون كثيرا وانما جئ بهما على لفظ الامر للدلالة
على ان ذلك أمر محتوم لا يكون غيره والتقدير ضحكك قليلا وبكاء كثيرا أو زما قليلا
وزما كثيرا وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو تعلمون ما أعلم
ضحكتكم قليلا ولبكيتم كثيرا أخرجه البخارى (جزءا بما كانوا يكسبون) من المعاصي
والمعنى يجوزون جزاء أو سبب الامر بقله الضحك وكثرة البكاء جزاؤهم بعملهم (فان
رجعت الله) الرجوع متعدد كالرد والرجوع لازم واللازم من باب جالس والمتعدى من باب
قطع وفي الكرخى معنى الرجوع تصيير الشيء الى المكان الذى كان فيه يقال رجعت رجعا
كقولك رددته ردا والفاء لتفريع ما بعدها على ما قبلها وانما قال (الى طائفة منهم) لان
جميع من أقام بالمدينة لم يكونوا منافقين بل كان فيهم غيرهم من المؤمنين لهم أعمار
صحيحة وفيهم من المؤمنين من لا عذر له ثم عفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتاب
الله عليهم كالثلاثة الذين خلفوا وسأنى بيان ذلك وقيل انما قال الى طائفة لان منهم من
تاب عن النفاق وندم على التخلف وفي البيضاوى ان المتخلفين كانوا اثني عشر رجلا
(فاستأذنوا للخروج) معن في غزوة أخرى بعد غزوتك هذه (فقل) لهم اخرجوا
لهم عن ديوان الغزاة وابعاد المحلهم عن محفل صحبتك (لن تخرجوا معي أبدا) الى غزوة
ولا الى سفر وهذا الخبر في معنى النهي للمبالغة (ولن تقاتلوا معي عدوا) أى قل لهم
ذلك عقوبة لهم ولما في استحبابهم من المفاسد كما تقدم في قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم
الاخبالا (انكم رضيتم بالعودة) تلييل أى لن تخرجوا معي ولن تقاتلوا لانكم
رضيتم بالعودة والتخلف (أول مرة) وهى غزوة تبوك والفاء فى (فاقعدوا مع الخالفين)
لتفريع ما بعدها على ما قبلها والخالفين جمع خالف كأنهم خلفوا الخارجين والمراد بهم
من تخلف عن الخروج بعد القوم وقيل المعنى فاقعدوا مع الفاسدين من قولهم فلان
خالف أهل بيته اذا كان فاسدا فيهم ومن ذلك خلف اللبن أى فسد بطول المكث في
السقاء ذكر معناه الاصمعي وقرئ مع الخالفين قال القرأ معناه الخالفين قيل المراد بهم

تدبغور فتنفعوا به فارسلت فسخت مسكها فادبغتة فاتخذت منه قرية حتى تحرق عند هارواه أحمد ورواه البخارى والنسائى
من حديث الشعبي عن عكرمة عن ابن عباس عن سودة بنت زمعة بذلك نحوه وقال سعيد بن منصور حدثنا عبد العزيز بن محمد
عن عيسى بن نائلة الفزاري عن أبيه قال كنت عند ابن عمرو وأنه سئل عن أكل القنفذ فقرا عليه قل لا اجد فيما أوحى الى محرما
على طاعم يطعمه الاية فقال شيخ عند سمعت أبا هريرة يقول ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال خبيث من الخبائث فقال ابن
عمران كان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو وكما قال ورواه أبو داود عن أبي ثور عن سعيد بن منصور به وقوله تعالى فمن اضطر غير باغ

ولاعاد أي فن اضطر إلى أكل شيء مما حرم عليه في هذه الآية الكريمة وهو غير ملتبس ببغى ولا عدوان فإن ربك غفور رحيم أي غفور
له رحيم به وقد تقدم تفسير هذه الآية في البقرة بما فيه كفاية والغرض من سياق هذه الآية الكريمة الرد على المشركين الذين ابتدعوا
ما ابتدعوه من تحريم المحرمات على أنفسهم بأرائهم الفاسدة من البجيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك فأمر رسوله أن يخبرهم
أنه لا يجد فيما أوحاه الله إليه أن ذلك محرم وإنما حرم ما ذكر في هذه الآية من الميتة والدم المسفوح وحرم الخنزير وما أهل لغير الله به
وما عد ذلك فلم يحرم وإنما هو عفو مسكوت (١٤٢) عنه فكيف ترعون أنه حرام ومن أين حرمتموه ولم يحرمه وعلى هذا فلا

يبقى تحريم أشياء أخر فيما بعد هذا
كجاء النهي عن لحوم الجوارح الأهلية
ولحوم السباع وكل ذي مخلب من
الطيور على المشهور من مذاهب
العلماء وعلى الذين هادوا حرمنا كل
ذئ ظفر ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومها ما لامحت
ظهورها ما أوالحوايا أو ما اختلط
بعظم ذلك حرمناهم بغيرهم وانا
لصادقون قال ابن جرير يقول
تعالي وحرمنا على اليهود كل ذي
ظفر وهو البهائم والطيور ما لم يكن
مشقوق الاصابع كالابل والنعام
والاوز والبط قال علي بن أبي طلحة
عن ابن عباس وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر وهو البعير
والنعامة وكذلك قال مجاهد
والسدي في رواية وقال سعيد بن
جبير هو الذي ليس متفرج الاصابع
وفي رواية عنه كل من متفرق الاصابع
ومنه الديك وقال قتادة في قوله
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي
ظفر وكان يقال البعير والنعامة
وأشياء من الطيور والحياتان وفي
رواية البعير والنعامة وحرم عليهم
من الطيور البط وشبهه وكل شيء ليس

النساء والصبيان والرجال العاجزون فلذلك جازجه للتغليب وقال قتادة الخالقون
النساء وهو مردود لاجل الجمع قال ابن عباس الخالفين هم الرجال الذين تخلفوا عن الغزو
بغير عذر وفي الآية دليل على أن الرجل اذا ظهر منه مكرروه وخداعه وبدعة يجب
الانقطاع عنه وترك مصاحبته (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) يعني صلاة الجنائز
(ولا تقم على قبره) قال الزجاج معناه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا دفن
الميت وقف على قبره ودعاه فخرج ههنا منه وقيل معناه لا تقم بهم مات اصلاح قبره
ولا تتولى دفنه ولما زلت هذه الآية ماصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على منافق
ولا قام على قبره بعدها (أنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) تعليل للنهي عن
الصلاة والقيام على قبره وإنما وصفهم بالفاسق بعد وصفهم بالكفر لان الكافر قد يكون
عدلا في دينه بأن يؤدي الامانة ولا يضر لاحد سوءا وقد يكون خبيثا في نفسه كثير
الكذب والمكر والنفاق والخداع والجبن واضمار السوء والغير والخبث وهي مستقيمة في
كل دين عند كل أحد وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر قال لما توفي عبد الله
ابن أبي بن سلول أتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله أن يعطيه
قبصه ليعلمه فيه فأعطاه ثم سأله أن يصلى عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقام عمر فأخذ ثوبه فقال يا رسول الله أتصلى عليه وقد نهاك الله أن تصلى على المنافقين
فقال ان الله خيرني وقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة
فلن يغفر الله لهم وسأز يد على السبعين فقال انه منافق فصلى عليه فأمر الله ولا تصل على
أحد منهم مات أبدا الآية فترك الصلاة عليهم والحديث له ألفاظ في الصحاح والسنن وكان
ابن أبي ريثم الخزاز يروي عن النبي لا يسهو أمه فابوه أبي وأمهم سلول وكان اسمه عبد الله
(فلا تعجبك) نهى رسوله أن تعجبه (أموالهم وأولادهم) أي ما يريد الله أن يعذبهم بها في
الدنيا وترهق أنفسهم وهم كفرون) هذا تكرر لما سبق في هذه السورة وتقرير لمضمونه
وارادة أن يكون المخاطب به على بال ولا ينسأه وان يعتقد أن العمل به مهم وقيل ان
الآية المتقدمة في قوم وهذه في آخر بن وقيل هذه في اليهود والاولى في المنافقين وقيل غير
ذلك وقد تقدم في الآية الاولى جميع ما يحتاج اليه في تفسير هذه الآية وذكر في الخازن
ما حصل من التفاوت في الالفاظ في هاتين الآيتين ولا يأتي بكثير فائدة ثم عاد الله سبحانه

الى

بمشقوق الاصابع وقال ابن جرير عن مجاهد كل ذي ظفر قال النعام والبعير شفا شفا قلت

للقاسم بن أبي زائدة وحديثه ما شفا شفا قال كل ما لم ينفرج بين قوائم البهائم قال وما انفرج أ كته قال انفرجت قوائم البهائم
والعصافير قال فيهودنا كاه قال وما لم تنفرج قائمة البعير خفسه ولا خف النعام ولا فائمة الوز فلان كاه اليهود الابل والنعام
والاوز ولا كل شيء لم تنفرج قائمته ولان كل حمار الوحش وقوله تعالي ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها قال السدي
يعني التراب والشحم والكيتين وكانت اليهود تقول انه حرمه اسرا يبل فحرمه وكذا قال ابن زيد وقال قتادة التراب وكل

شحم كان كذلك ليس في عظم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الامحلت ظهورهما يعني ما علق بالظهر من الشحم وقال
السدّي وأبو صالح الالية مماحلت ظهورهما وقوله تعالى وألحوا يا وقال الامام أبو جعفر بن جرير الحوايا جمع واحد ها حوية وحوية
وهو ما تحوى من البطن بما اجتمع أو استداروهى بنات اللبن وهى المباعر وتسمى المرائب وفيها الامعاء قال ومعنى الكلام ومن البقر
والغنم حرمناعليهم شحمهما الامحلت ظهورهما وماحلت الحوايا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أوالحوايا وهى المبعر وقال
مجاهد الحوايا المبعر والمرىض وكذا قال سعيد بن جبيرة والضحاك وقتادة (١٤٣) وأبو مالك والسدّي وقال عبد الرحمن بن زيد بن

أسلم وغير واحد الحوايا المرائب التى
تكون فيها الامعاء يكون وسطها
وهو بنات اللبن وهى فى كلام العرب
تدعى المرائب وقوله تعالى أو
ما اختلط بعظم يعنى الاما اختلط
بالشحم بعظم فقد أحلتنا لهم
وقال ابن جرير شحم الالية ما اختلط
بالعصعص فهو حلال وكل شئ من
القوائم والجنب والعين والرأس
ونحوه وما اختلط بعظم فهو حلال
وقوله تعالى ذلك جزئناهم ببعضهم قال
السدّي ذلك جزئناهم ببعضهم أى هذا
التضييق انما فعلنا بهم والزمناهم به
مجازاة على بغيرهم ومخالفتهم وأمرنا
كما قال تعالى فى ظلم من الذين هادوا
حرمناعليهم طيبات أحلت لهم
وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وقوله
وانا لصادقون أى وانا لعاقدون فيما
جازيناهم به وقال ابن جرير وانا
لصادقون فيما أخبرناك به يا محمد
من تحرى ما ذلك عليهم لا كما زعموا
من أن اسراييل هو الذى حرّمه على
نفسه والله أعلم وقال عبد الله بن
عباس بلغ عمر بن الخطاب رضى الله
عنه أن سمرة باع خرا فقال قاتل الله
سمرة ألم يعلم ان رسول الله صلى الله

على توبيخ المنافقين فقال (واذا أنزلت سورة) أى طائفة من القرآن ويجوز أن يراد
بعض السورة وان يراد تمامها وقيل هى هذه السورة (ان آمنوا بالله وجهدوا مع رسوله)
الخطاب للمنافقين أى أخلصوا فى ايمانكم وجهادكم وانما قدم الامر بالايمان لان
الاشتغال بالجهاد لا يفيد الا بعد الايمان (استأذنك أولوا الطول منهم) أى ذوو الفضل
والسعة والندرة وأهل الغنى والثروة من طال عليه طولا كذا قال ابن عباس والحسن
وقال الاصمهم الرؤساء والكبراء المنظور اليهم وخصمهم بالذكر لان الذم لهم أزم اذلا عذر
يهم فى القعود لان العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج الى الاستئذان (وقالوا) عطف
تفسيرى (ذربنا) أى اتركنا (نكن مع القاعدىن) أى المتخلفين عن الغزوة من
المعذورين كالضعفاء والزمنى (رضوا بان يكونوا مع الخوائف) استئناف لبيان
سوء صنيعهم والخوائف جمع خالفة ولذا قيل الخوائف النساء اللاتى يخلفن الرجال فى
القعود فى البيوت وجوز بعضهم أن يكون جمع خالف وهو من لا خير فيه وهو مردود
فان فواعل لا يكون جمعا لفاعل وصفالعاقل اما شذ من نحو فوارس ونواكس وهو الك
وقال النحاس يجوز أن تكون من صفة الرجال بمعنى أنها جمع خالفة يقال رجل خالفة
أى لا خير فيه فعلى هذا يكون جمعا للذكور باعتبار لفظه (وطبع على قلوبهم) هو كقوله
ختم الله على قلوبهم وقدم تفسيره (فهم لا يفقهون) شيا مما فيه نفعهم وضرهم بل
هم لا نعم أى لا يفهمون الخير الذى فى الجهاد ولا الشر الذى فى التخلف (لكن
الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) المقصود من الاستدراك
الاشعار بان تخلف هؤلاء غير ضار فانه قد قام بفريضة الجهاد من هو خير منهم وأخلص نية
كفى قوله فان يكفر بها هؤلاء فقدوا كلنا بما قومنا ليسوا بها بكافرين وقد تقدم بيان الجهاد
بالاموال والانفس ثم ذكر منافع الجهاد فقال (وأولئك لهم الخيرات) جمع خير فيشمل
منافع الدنيا والدين من النصر والغنية والجنة والكرامة وقبل المراد بها النساء الحسنات
أى الخور قاله الحسن كقوله تعالى فى من خيرات حسان ومقرده خيرة بالتشديد ثم خففت
مثل هيئته وهى (وأولئك هم المفلحون) قد تقدم معنى الفلاح والمراد بهم هنا القارئون
بالمطلوب وتكرير اسم الاشارة لتفخيم شأنهم وتكثير أمرهم (أعد الله لهم) استئناف

عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحم فملاوها فباعوها فآخروها مما أخرجاه من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن
طاوس عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال قال حبيب بن زيد بن أبي حبيب قال قال عطاء بن أبي رباح سمعت جابر بن عبد الله يقول
عام الفتح ان الله ورسوله حرّم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقبيل يارسول الله أرايت شحم الميتة فانها يدن بها اليهود
ويظلى بها السفن ويستصحبها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله لما
حرّم عليهم شحمها جلوه ثم باعوه رأوا كوا منه رواه الجماعة من طرق عن زيد بن أبي جهم ورواه الزهري عن سعيد بن المسيب عن

ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا منها ورواه البخاري ومسلم
 جميعا عن عبدان عن ابن المبارك عن يونس عن الزهري به وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن ابراهيم حدثنا اسمعيل بن
 اسحق حدثنا سليمان بن حرب حدثنا وهيب حدثنا خالد الحذاء عن ابي الوليد عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كان قاعدا خلف المقام فرجع بصره الى السماء فقال لعن الله اليهود ثلاثا فان الله حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا منها وان الله
 لم يحرم على قوم أكل شيء الا حرم عليهم غيره (١٤٤) وقال الامام أحمد حدثنا علي بن عاصم أن ابا خالد الحذاء عن ابي الوليد

أبيانا ابن عباس قال كان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قاعدا في
 المسجد مستقبلا الحجر فنظر الى
 السماء فضحك قال لعن الله اليهود
 حرمت عليهم الشحوم فباعوها
 وأكلوا أثمانها وان الله اذا حرم
 على قوم أكل شيء حرم عليهم غيره
 ورواه أبو داود من حديث خالد
 الحذاء وقال الاعمش عن جامع بن
 شداد عن كلثوم عن أسامة بن زيد
 قال دخلنا على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وهو مريض نعوذ
 فوجدناه ناعما قد غطي وجهه ببرد
 عدني فكشف عن وجهه وقال
 لعن الله اليهود يجرمون شحوم
 الغنم ويأكلون أثمانها وفي رواية
 حرمت عليهم الشحوم فباعوها
 وأكلوا أثمانها وفي لفظ لابي داود
 عن ابن عباس مرفوعا ان الله اذا
 حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم
 غيره (فان كذبوك فقل ربكم ذو
 رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم
 المجرمين) يقول تعالى فان كذبك
 يا محمد مخالفا لقول من المشركين واليهود
 ومن شابههم فقل ربكم ذو رحمة
 واسعة وهذا ترغيب لهم في ابتغاء

ليان كونهم مفليحين (جنات) أي بساقيين (تجري من تحتها الانهار) قد تقدم بيان
 جري الانهار من تحتها (خالد بن فيها) قد سبق بيان الخلود والفوز الآتي أيضا (دللك)
 أي ما تقدم من الخيرات والفلاح ونيل الكرامة العظمى واعداد الجنات الموصوفة بتلك
 الصفة (الفوز العظيم) وصف الفوز بكونه عظيما يدل على انه الفرد الكامل من أنواع
 الفوز (وجاء المعتذرون من الاعراب) قرئ بالتخفيف من أعذرو وكان ابن عباس يقرؤها
 مخففة ويقول والله هكذا أنزلت قال النحاس الآن مدارها على الكسبي يقال أعذرا اذا
 بالغ في العذر ومنه من أنذر فقد أعذروا بالجمهور بالتشديد وفيه وجهان أحدهما أن
 يكون أصله المعتذرون وهم الذين لهم عذر فالمعتذرون على هذا هم المحقون في اعتذارهم
 وقد روى هذا عن الفراء والزجاج وابن الانباري وأبي عبيد والاحفش وأبي حاتم وقيل
 هو من عذر وهو الذي يعتذر ولا عذره يقال عذرت في الامر اذا قصر فيه واعتذر بما ليس
 بعذر ذكره الجوهري وصاحب الكشاف فالمعتذرون على هذا هم المبطلون لانهم اعتذروا
 بأعذار كاذبة باطلة لأصل لها والمعنى انه جاء هؤلاء من الاعراب بما جاؤا به من الاعذار
 بحق أو يبطل على كلا التفسيرين قال الضحاك هم رهط عامر وقيل من أسد وغطفان
 وقال ابن عباس هم الذين تختلفوا بعذرهم وذاشروا في بيان أحوال منافق الاعراب
 اثر بيان أحوال منافق أهل المدينة والاعراب سكان البادية وهم أخص من العرب اذ
 العربي من تكلم باللغة العربية سواء كان يسكن البادية أو الحاضرة وقد اختلف في أنهم
 كانوا معتذرين بالتصنع أو بالهجة (ليؤذن لهم) أي لاجل أن يأذن لهم رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم بالتخلف عن الغزو (وقعد) طائفة أخرى لم يعتذروا بل قعدوا
 عن الغزو وبغير عذر وهم منافقوا الاعراب (الذين كذبوا الله ورسوله) بالتخفيف أي
 كذبوا في ادعاء ايمانهم وبالتشديد أي لم يؤمنوا ولا صدقوا اما جاء به الرسول عن ربه ولا
 امتثلوا أمره قال أبو اسحق ذكر لي أنهم نفر من بني غفار جاؤا فاعتذروا منهم خفاف بن
 ابياء وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك أغارت أعراب طي على أهلنا
 ومواسينا وقيل منافقوا الاعراب قسمان قسم جاؤا واعتذروا بالاعذار الكاذبة وقسم
 لم يجيء ولم يعتذر ثم توعدهم سبحانه فقال (سيصيب الذين كفروا منهم) أي من
 الاعراب وهم الذين اعتذروا بالاعذار الباطلة والذين لم يعتذروا بل كذبوا الله ورسوله

رحمة الله الواسعة واتباع رضوانه ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ترهيب لهم في مخالفتهم
 الرسول حاتم النبيين وكثيرا ما يقرب الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن كما قال تعالى في آخر هذه السورة ان ربك سريع
 العقاب وانه لغفور رحيم وقال وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك شديد العقاب وقال تعالى نبي عبادي أنا
 الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم وقال تعالى عاقر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وقال ان بطش ربك لشديد انه هو
 يبدئ ويبعد وهو الغفور الودود والآيات في هذا كثيرة جدا (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركوا ولا أبأونا ولا حرمنا من

وأتى

شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرون قل
 قلته الخلة البالغة فلوشاء لهذا كم أجمعين قل هل شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع
 أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم يربهم يعدلون) هذه مناظرة ذكراها الله تعالى وشبهه تشبث بها
 المشركون لشركهم وتحریم ما حرموا فان الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحریم لما حرموه وهو قادر على تغييره بأن
 يلهيهم من الايمان أو يحول بينا وبين الكفر فلم يغيره فدل على أنه (١٤٥) بمشيئته و ارادته ورضاه منابذك ولهذا قال

لوشاء الله ما أشركنا ولا أبأونا
 ولا حرمنا من شيء كما في قوله تعالى
 وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
 الآية وكذلك الآية التي في النحل
 مثل هذه سواء قال الله تعالى كذلك
 كذب الذين من قبلهم أي هم هذه
 الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء
 وهي حجة واضحة بما طاله لانها لو
 كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه
 ودمر عليهم وأدال عليهم رسوله
 الكرام واذاق المشركين من آليم
 الانتقام قل هل عندكم من علم
 فتخرجوه لنا أي بأن الله راض
 عليكم فيما أنتم فيه فتخرجوه لنا
 أي فتظهروا لنا وتبينوه وتبرزوه
 ان تتبعون الا الظن أي الوهم
 والخيال والمراد بالظن ههنا
 الاعتقاد الفاسد وان أنتم الا
 تخرون تكذبون على الله فيما
 ادعيتوه قال علي بن أبي طلحة عن
 ابن عباس ولو شاء الله ما أشركوا وقال
 كذلك كذب الذين من قبلهم ثم
 قال ولو شاء الله ما أشركوا فانهم
 قالوا عبادتنا الآلهة تقر بنا إلى
 الله زناي فأخبرهم الله أنهم الا تقر بهم
 فقله ولو شاء الله ما أشركوا يقول

وأقرب من التبعية لان منهم من أسلم فلم يصبه العذاب (عذاب آليم) أي كثيرا لا لم
 فيصدق على عذاب الدنيا بالقتل والاسر وعذاب الآخرة بالنار المؤبدة ولما ذكر سبحانه
 المعذرين ذكر بعدهم اهل الاعذار الصحيحة المسقطه للغزور وبدأ بالعذر في أصل الخلق
 فقال (ليس على الضعفاء) وهم ارباب الزمانه والهرم والعمى والعرج ونحو ذلك كالشيوخ
 والصبيان والنساء ومن خلق في أصل الخلقه ضعيفا نحيقا والضعفاء جمع ضعيف وهو
 الصحيح في بدنه العاجز عن الغزو ثم ذكر العذر العارض فقال (ولا على المرضى) المراد
 بالمرض كل ما يصدق علمه اسم المرض لغة أو شرعا وقيل انه يدخل في المرضى الاعمي
 والاعرج ونحوهما ثم ذكر العذر الرابع الى المال لا الى البدن فقال (ولا على الذين
 لا يجسدون ما يتفقون حرج) أي ليست لهم أموال تنفقونها فيما يحتاجون اليه من
 التجيز للجهاد فقرهم بكهينة ومزينة وبني عذرة فتفي سبحانه عن هؤلاء الثلاثة الحرج
 وأبان ان الجهاد مع هذه الاعذار ساقط عنهم غير واجب عليهم مقيدا بقوله (اذ انصروا
 لله ورسوله) في حال قعودهم بالطاعة وعدم الارجاف والتبسط وأصل النصح اخلاص
 العمل من الغش ومنه التوبة النصوح قال نبطويه نصح الشيء اذا خلاص ونصحه
 القول أي أخلصه له والنصح لله الايمان به والعمل بشريعته وترك ما يخالفها كأنها
 ما كان ويدخل تحتها دخولا أو لا ينصح عباده ومحبة المجاهدين في سبيله وبذل النصيحة
 لهم في أمر الجهاد وترك المعاونة لاعدائهم بوجه من الوجوه ونصيحة الرسول صلى الله
 عليه وآله وسلم التصديق بنبوته وبما جاء به وطاعته في كل ما أمر به أو ينهى عنه
 وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه ومحبته وتعظيم سنته واحياؤها بعد موته بما تبلغ
 اليه القدرة وقد ثبت في الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الدين
 النصيحة ثلاثا قالوا المن قال لله ولكاتبه ورسوله ولائمة المسلمين وعامتهم وفي الخازن
 النصح ان يقيموا في البلد ويحترزوا عن افشاء الارجاف واثارة الفتنة ويسعوا في
 ايصال الخير الى أهل الجهاد ويقوموا بمصالح بيوتهم (ماعلى المحسنين من سبيل)
 جملة مقرر لمضمون ما سبق أي ليس على المعذورين الناصحين طريق عقاب ومؤاخذه
 ومن مزيدة للتأكيد على هذا فيكون لفظ المحسنين موضوعا في موضع الضمير الرجوع
 الى المذكورين سابقا وأتى بالتأخر للدلالة على انتظامهم بتبعهم في سبيل المحسنين

(١٩ - فتح البيان ح) تعالى لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين وقوله تعالى قل لله الخلة البالغة فلوشاء لهذا كم
 أجمعين يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد قل لله الخلة البالغة أي له الحكمة التامة والخلة البالغة في هداية من هدى
 واضلال من أضل فلوشاء لهذا كم أجمعين فكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره وهو مع ذلك يرضى عن المؤمنين ويغض الكافرين
 كما قال تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقال تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض وقوله ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة
 ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمتك ربك لا ملئ جهم من الجنة والناس أجمعين وقال الضحاك لا حجة

لا حد عصي الله ولا كن لله المحجة البالغة على عباده وقوله تعالى قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا أي هذا الذي حرمتموه وأذنبتم واقرتيم على الله فيه فإن شهدوا فلا تشهد معهم أي لأنهم انما يشهدون والحالة هذه كذبا وزورا ولا تتبع أهواء الذين كذبوا باياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون أي يشركون به ويجعلون له عديلا (قل تعالوا أنزل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم وايامهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي (١٤٦) حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) قال داود الاودي

عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود رضى الله عنه قال من أراد أن ينظر الى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات قل تعالوا أنزل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا الى قوله لعلكم تتقون وقال الخا كمي في مستدرکه حدثنا بكر بن محمد الصيرفي عن عروة حدثنا عبد الصمد بن الفضل حدثنا مالك ابن اسمعيل المهدي حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الله بن خليفة قال سمعت ابن عباس يقول في الانعام آيات محكمات هن أم الكتاب ثم قرأ قل تعالوا أنزل ما حرم ربكم عليكم الايات ثم قال الخا كمي صحيح الاسناد ولم يخبرناه قلت ورواه زهير وقيس بن الربيع كلاهما عن أبي اسحق عن عبد الله بن قيس عن ابن عباس به والله أعلم وروى الخا كمي أيضا في مسنده من حديث يزيد بن هرون عن سفيان بن حسين عن الزهري عن أبي ادريس عن عباد بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم يبأيعني على ثلاث ثم تلا

أو يكون المراد ما على جنس المحسنين من سبيل وهو هؤلاء المذكورون سابقا من جملتهم فتكون الجملة تعليمية وقولهم لا سبيل عليه معناه لا حرج ولا عتاب وأنه بمعنى لا عتاب ير عليه فضلا عن العتاب واذا تعدى بالي كقوله

ألا ليت شعري هل الى أم سالم * سبيل فاما الصبر عنها فلا صبر
فبمعنى الوصول كما قال

هل من سبيل الى خرفا شربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج

ونحوه فتنبه لمواطن استعماله فانه من مهمات الفصاحة (والله غفور رحيم) لهم أول المسبي فكيف للمحسن والجله تذييلية وفي معنى هذه الآية قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقوله ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج واسقاط التكليف عن هؤلاء المعذورين لا يستلزم عدم ثبوت ثواب الغزولهم الذي عذر الله عنه مع رغبتهم اليه لولا حبسهم العذر عنه ومنه حديث أنس عند أبي داود وأحمد وأصله في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لقد تركتم بعدكم قوما ما سرتهم من مسير ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم وادبا الا وهم معكم فيه قالوا يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة فقال حبسهم العذر وأخرجه أحمد ومسلم من حديث جابر عن قتادة قال أنزلت هذه الآية في عائذ بن عمر المزني وقال الخا كمي عذرهم وجعل لهم من العذر ما جعل للجاهدين قال الرازي ليس في الآية انه يحرم عليهم الخروج لان الواحد لو خرج ليعين الجاهدين بمقدار القدرة اما يحفظ متاعهم أو يتكثير سوادهم بشرط ان لا يجعل نفسه كالأول وبالاعليم لكان ذلك طاعة مقبولة ثم ذكر الله سبحانه من جملة المعذورين من تضمنه قوله (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد

ما أحملكم عليه) العطف على جملة ما على المحسنين أو على الضعفاء أي لا عليهم حرج والمعنى ان من جملة المعذورين هؤلاء الذين أتوك لتحملهم على ما ركبون عليه في الغزو فلم يجد ذلك الذي طلبوه منه قيل هم سبعة من الانصار وقيل بنو مقرن وقيل المعنى اذا ما أتوك قائلا لا أجد وقيل غير ذلك وهذا أولى وفي اشار هذا التعبير على ليس عندى لطف في الكلام وتطبيب لقلوب السائلين كأنه قال أنا أطلب ما تسألونه وأفتش عنه فلا أجد فأنامعذور وعن أنس في الآية قال الماء والزاد وعن علي بن صالح قال حدثني

مشيخة

رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا أنزل ما حرم ربكم عليكم حتى فرغ من الآيات وفي فأجره

على الله ومن اتقص منهن شيئا فأدرکه الله به في الدنيا كانت عقوبة ومن أخر الى الآخرة فأمره الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه ثم قال صحيح الاسناد ولم يخبرناه وانما انفقا على حديث الزهري عن أبي ادريس عن عباد بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم يبأيعني على ثلاث ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا أنزل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا بالله شيئا وما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم وايامهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون قال داود الاودي

ماليس لك به علم فلا تطعمهما وصاحبهما في الدنيا عروفا واتبع سبيل من أناب الى ثم الى امرجكم فأبشركم بما كنتم تعملون فأمر
بالاحسان اليهما وان كانا مشركين بحسبهما وقال تعالى واذا أخذنا مناسك بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا
الآية والآيات في هذا كثيرة وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل
أفضل قال الصلاة على وقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله قال ابن مسعود حدثني بن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولوا تزدنه لزاندي (١٤٨) وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه بسنده عن أبي الدرداء وعن عمادة

ابن الصامت كل منهم ما يقول
أوصاني خليلي رسول الله صلى الله
عليه وسلم أطع والديك وان أمرت
أن يخرج لك من الدنيا فافعل
ولكن في اسنادهم ما ضعف والله
أعلم وقوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم
من املاق نحن نرزقكم وايها مما
وصى تعالى بالوالدين والاجداد
عطف على ذلك الاحسان الى الائمة
والاحقاد فقال تعالى ولا تقتلوا
أولادكم من املاق وذلك انهم كانوا
يقتلون اولادهم كما سوت لهم
الشياطين ذلك فكانوا يقتلون
البنات خشية العار وربما قتلوا
بعض الذكور خشية الافتقار
ولهذا ورد في الصحيحين من حديث
عبدالله بن مسعود رضي الله عنه
أنه سأل رسول الله صلى الله عليه
وسلم أي الذنب أعظم قال أن تجعل
لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال
ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك
قلت ثم أي قال ان تزاني حليلة جارك
ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذين لا يدعون مع الله الها آخر
ولا يقتلون النفس التي حرم الله
الابالحق ولا يزنون الآية وقوله

على قلوبهم (فهم) بسبب هذا الطبع (لا يعلمون) ما فيه الربح لهم حتى يختاروه على ما فيه
الخسر عن مجاهد قال هي في المنافقين قال السيوطي وقد تقدم مثله اه قال في الجمل
لكن مع نوع اختلاف في الالفاظ كما لا يخفى (يعتذرون اليكم اذ رجعت اليهم) اخبار
من الله سبحانه عن المنافقين المعتذرين بالباطل بانهم يعتذرون الى المؤمنين اذ رجعوا
عن الغزو وهذا كلام مستأنف وانما قال اليهم أي الى المعتذرين بالباطل ولم يقل الى
المدينة لان مدار الاعتذار هو الرجوع اليهم لا الرجوع اليها ويرى ما يقع الاعتذار عند
الملاقاة قبل الوصول اليها ويحتمل أن يكون الضمير في اليكم لرسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم على التأويل المشهور في هذا روى ان المعتذرين كانوا بضعة وعثمان بن رجلا
ثم أخبر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بما يجب به عليهم فقال (قل
لا تعتذروا) فنهاهم أولا عن الاعتذار بالباطل ثم علمه بقوله (لن تؤمنوا) أي ان
نصدقكم كأنهم ادعوا انهم صادقون في اعتذارهم لان غرض المعتذر ان يصدق فيما
يعتذر به فاذا عرف انه لا يصدق ترك الاعتذار وانما خص الرسول صلى الله عليه وآله
وسلم بالجواب عليهم مع ان الاعتذار منهم كائن الى جميع المؤمنين لانه صلى الله عليه وآله
وسلم رأسهم والمتولى لما رده عليهم من جهة الغير وجملة (قد نبأنا الله من أخباركم) تعليمية
لتي قبلها أي لا يقع من تصديق لكم لان الله قد أعلم بالوحي ما هو منافا لصدق اعتذاركم
(وسيرى الله عملكم) أي ما ستفعلونه من الاعمال فيما بعد هل تقلعون عما أنتم عليه
الآن من الشراكم تبون عليه وقيل سيعلم عملكم السي واقعا أي مستترا على الوقوع
والظاهر ان الاستقبال في علم الله بالنظر اظهره لنا (ورسوله) معطوف على الاسم
الشريف ووسط منقول الروية أيضا بان روية الله سبحانه لما سيفعلونه من خير أو
شره التي تدور عليها الاثابة والعقوبة وفي جملة (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون) تخويف شديد لما هي مشقة عليه من التهديد ولا سيما
ما اشتملت عليه من وضع الظاهر موضع المضمر لا شعار ذلك باحاطته بكل شيء يقع منهم مما
يكتمونه ويظهرون به واخباره لهم به ومجازاتهم عليه (سيعلمون بالله انكم اذا انقلبتم
اليهم) ذكر ان هؤلاء المعتذرين بالباطل سيؤكدون ما جاؤا به من الاعتذار الباطلة بالحلف

عند تعالى من املاق قال ابن عباس وقتادة والسدي وغيره هو النقر أي ولا تقتلوه من فقركم الحاصل وقال في سورة عند
الاسراء ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق أي لا تقتلوه خوفا من الفقر في الآجل ولهذا قال هناك نحن نرزقكم وايهاكم فبدا برزقهم
للاهة امهم أي لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله وامانها لما كان الفقرا حاصلا قال نحن نرزقهم وايهاهم لانه الام
ههنا والله أعلم وقوله تعالى ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن كقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
والانتم والبغى بغير الحق وان تشرکوا بالله ما ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وقد تقدم تفسيره في قوله تعالى وذروا

ظاهر الاثم وباطنه وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أحد أغبر من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقال عبد الملك بن عمير عن وراذع بن مولى المغيرة قال قال سعد بن عباد لورايت مع امرأتى رجلا ضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتعجبون من غيرة سعد فوالله لا نأغبر من سعد والله أغبر مني من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن أخرجاه وقال كامل أبو العلاء عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله اننا نغار قال والله اني لا نغار والله أغبر مني ومن غيرته (١٤٩) نهى عن الفواحش رواه ابن مردويه

ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة وهو على شرط الترمذي فقد روى بهذا السند أعماراً متى ما بين الستين الى السبعين وقوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وهذا مما نص تبارك وتعالى عن النبي عنه تأكيده او الألفه وداخل في النهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن فقد جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث النيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة وفي لفظ مسلم والذي لا اله غيره لا يحل دم رجل مسلم وذكره قال الاعمش فحدث به ابراهيم فحدثني عن الاسود عن عائشة بنته وروى أبو داود والنسائي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث خصال زان محصن يرحم ورجل قتل متعمدا فيقتل ورجل يخرج من الاسلام حارب الله ورسوله فيقتل أو يصلب أو ينيق من الارض وهذا لفظ النسائي وعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال وهو محصور سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث رجل كفر بعد اسلامه أو زنى بعد احصانه أو قتل نفسا بغير نفس فوالله ما زينت في جاهلية ولا اسلام ولا تمتيت أن لي بدني بدل الله بعد اذ هداني الله ولا قتلت نفسا فبم تقتلونني رواه الامام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث حسن وقد جاء النهي والجزا الوعيد في قتل المعاهد وهو المستامن من أهل الحرب فروى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا ان قتل معاهدا

عند رجوع المؤمنين اليهم من الغزو وغرضهم من هذا التأكيده (لتعرضوا عنهم) أي يعرض المؤمنون عنهم فلا يؤخروهم ولا يؤاخذونهم بالتخلف ويظنون الرضا عنهم كما يفيد ذلك الرضا من بعد وحذف المحلوف عليه لكون الكلام يدل عليه وهو اعتذارهم الباطل (فأعرضوا عنهم) أي دعوههم وما اختاروا لانفسهم والمراد به تركهم والمهاجرة لهم لا الرضا عنهم والصفح عن ذنوبهم كما يفيد جملة (انهم رجس) الواقعة على اللازم بالاعراض والمعنى انهم في انفسهم رجس لكون جميع أعمالهم نجسة فكانها قد صيرت ذواتهم رجسا وانهم ذوو رجس أي ذوو أعمال قبيحة ومثله انما المشركون نجس وهو لا لما كانوا هكذا كانوا غير متأهلين لقبول الارشاد الى الخير والتحذير من الشرف ليس لهم الا الترك قال أهل المعاني ان هؤلاء طلبوا اعراض الصفح فأعطوا اعراض المقت (وما أوهم جهنم) من تمام التعليل فان من كان من أهل النار لا يجدي فيه الدعاء الى الخير وتعليل مستقل قاله أبو السعود والماوى كل مكان يأوى اليه الشيء ليلاً أو نهاراً وقد أوى فلان الى منزله يأوى (جزاء) أي يجوز جزاء أو مفعول من أجله (بما كانوا يكسبون) الباء للسببية (يخلفون لكم) حذف هنا المحلوف به لكونه معلوماً مسبقاً والمحلوف عليه بمنزل ما تقدم (لترضوا عنهم) بين سبحانه ان مقصدهم بهذا الحلف هو رضا المؤمنين عنهم ثم ذكر ما يفيدانه لا يجوز الرضا عن هؤلاء المعتذرين بالباطل فقال (فان رضوا عنهم) كما هو مطلوبهم مساعده لهم وقبلتم عذرهم فلا ينفعهم رضاكم (فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) تعليل للمعذوف المتقدم واذا كان هذا هو ما يريد الله سبحانه من عدم الرضا عن هؤلاء الفاسقة العصاة فينبغي لكم أي المؤمنون ان لا تفعلوا ذلك بل واجب عليكم ان لا ترضوا عنهم على ان رضاكم عنهم لو وقع لكان غير معتد به ولا مفيد لهم والمقصود من اخبار الله سبحانه بعدم رضاه عنهم هو نهى المؤمنين عن ذلك لان الرضا عن لا يرضى الله عنه مما لا يفعله مؤمن ونكتة العدول لهذا الظاهر التسجيل عليهم حيث وصفهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لمحال بهم من السخط وللإيدان بشمول الحكم لمن شاركهم في ذلك (الاعراب) أي جنسهم لا كل واحد من اسماي (أشد كفرًا ونفاقاً) لما ذكر سبحانه أحوال المنافقين بالمدينة ذكر حال من كان خارجاً عنهم من الاعراب وبين ان كفرهم

لم يرح رائحة الجنة وان ريحها يوجد من مسيرة اربعين عاما وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قتل معاهدا لذمة الله و ذمة رسوله فقد آخف بذيته فلا يرح رائحة الجنة وان ريحها يوجد من مسيرة خمسين خريفا رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح وقوله ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون أي هذا ما وصاكم به لعلكم تعقلون عن الله أمره ونهيه (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفسا الا وسعها واذا قلمتم فاعدوا ولو كان ذاقربي وبعد الله أوفوا ذلكم (١٥٠) وصاكم به لعلكم تذكرون) قال عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن

ابن عباس قال لما نزل الله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن وان الذين يأتون أموال اليتامى ظلما الآية فانطلق من كان عنده يقيم فعزل طعامه من طعامه وشرا به من شرا به فجعل يفضل الشيء فيجيب له حتى يأكله ويفسد اشهد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ويستلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخاطوهم فاخوانكم قال خلطوا طعامهم بطعامهم وشراهم بشراهم رواه أبو داود وقوله تعالى حتى يبلغ أشده قال الشعبي ومالك وغير واحد من السلف يعني حتى يحتمل وقال السدي حتى يبلغ ثلاثين سنة وقيل أربعون سنة وقيل ستون سنة قال وهذا كله بعدهمنا والله أعلم وقوله تعالى وأوفوا الكيل والميزان بالقسط يأمر تعالى بأقامة العدل في الاخذ والاعطاء كما توعد على تركه في قوله تعالى ويل للمطفئين الذين اذا اكالوا على الناس يستوفون واذا كلوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم

ونفاقهم أشد من كفر غيرهم ومن نفاق غيرهم لانهم أقسى قلوبا وأغلظ طباعا وأجفى قولا وأبعد عن سماع كتب الله وما جاءت به رسوله وأوحش فعلا ولان نشأتهم في معزل من مشاهدت العلماء ومفاوضهم وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض افراده كما في قوله تعالى وكان الانسان كثورا اذ ليس كلهم كاذر على ما سخط به خبروا الأعراب هم من سكن البوادي بخلاف العرب فانه عام لهذا النوع من بني آدم سواء سكنوا البوادي أو القرى هكذا قال أهل اللغة ولهذا قال سيبويه ان الأعراب بصيغة جمع وليست بصيغة جمع العرب لئلا يلزم كون الجمع أخص من مندره قال النيسابوري قال أهل اللغة رجل عربي اذا كان نسبه الى العرب ناسبا وجمعه عرب كالجوسى والجوسى واليهودى واليهودى فالعربي اذا قيل له يعر بى فرح واذا قيل للعربي يا عرابى غضب وذلك ان من استوطن القرى العربية فهو عربى ومن نزل البادية فهو عرابى ولهذا لا يجوز ان يقال للمهاجرين والانصار أعراب وانما هم عرب فان قيل انما سمي العرب عربا لان أولاد اسمعيل عليه السلام نشأوا بالعرب وهى من تهامة فنسبوا الى بلدهم وكل من يسكن جزيرة العرب وينطق بلسانهم فهو منهم وقيل لان ألسنتهم معربة عما فى ضمائرهم ولما فى لسانهم من الفصاحة والبلاغة انتهى وفى المصباح واما الأعراب بالفتح فأهل البدو من العرب الواحد أعرابى بالفتح أيضا وهو الذى يكون صاحب نجعة وارتداد للكلاب وزاد الازهرى سواء كان من العرب أو من مواليهم فنزل البادية وجاور البادين وطعن بطعنهم فهم أعراب ومن نزل بلاد الرافى واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ممن انتهى الى العرب فهم عرب وان لم يكونوا فصحاء (وأجدر) معناه أخلق يقال فلان جدير بكذا أى خليق به وأنت جدير أن تفعل كذا وأصله من جدر الحائط وهو رفعه بالبناء يقال هو جدير وأجدر وحقيق وأحق وقن وخليق وأولى بكذا كله بمعنى واحد قال الليث جدر يجدر جدارة فهو جدير ويؤنث ويؤنث ويجمع وقد نبت الرأغب على أصل اشتقاق هذه المادة وانها من الجدار أى الحائط فقال والجدير المنتهى لانتهاء الامر اليه انتهى الشيء الى الجدار والذى يظهر ان اشتقاقه من الجدر وهو أصل الشجرة فكأنه ثابت كنبوت الجدر فى قولك جدير بكذا (ألا يعلموا احدودما نزل الله على رسوله) من الشرائع والاحكام والقرائن وما أمر به من الجهاد لبعدهم عن مواطن الانبياء وديار

التنزيل

يوم يقوم الناس لرب العالمين وقد أهلك الله أمة من الامم كانوا يخسرون الميكال

وفى كتاب الجامع لابن عيسى الترمذى من حديث الحسين بن قيس أبى على الدخى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صحاب الكيل والميزان انكم وليتم أمر اهلكتم فيه الامم السالفة قبلكم ثم قال لانعرفه من فروع الامن حديث الحسين وهو ضعيف فى الحديث وقد روى باسناد صحيح عن ابن عباس موقوفا قلت وقد رواه ابن مردويه فى تفسيره من حديث شريك عن الاعمش عن سالم بن أبى الجعد عن ابن عباس قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم انكم معشر الموالي قد بشركم الله بخصلة ينم اهلكتم القرون المتقدمة الميكال والميزان وقوله تبارك وتعالى لانكف نفسا الاوسعها أى من اجتهدى اداء الحق وأخذته فان أخطأ بعد استفراغ وسعه وبذل جهده فلا حرج عليه وقد روى ابن مردويه من حديث بقيقة عن مبشر بن عبيد عن عمرو بن ميمون بن مهران عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوفوا السكيل والميزان بالقسط لانكف نفسا الاوسعها عن ابن المسيب رفعه في الآية فقال من أوفى على يده في السكيل والميزان والله يعلم صحة نيته بالوفاء فيهم ما لم يؤخذ وذلك تأويل (١٥١) وسعها هذا مرسل غريب وقوله واذا

قلتم فاعدوا لولو كان ذاق ربى كقوله يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط الآية وكذا التي تشبهها في سورة النساء يا مرتضى بالعدل لكل أحد في كل وقت وفي كل حال وقوله وبعهد الله أوفوا قال ابن جرير يقول وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا وافتادوا لذلك بأن تطيعوه فيما أمركم ونهاكم ان تعملوا بكتابه وسنة رسوله وذلك هو الوفاء بعهد الله ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون يقول تعالى هذا وصاكم به وأمركم به وأكد عليكم فيه لعلكم تذكرون أى تعظون وتنتهون مما كنتم فيه قبل هذا وقرأ بعضهم بتشديد الذا لآخر وتخفيفها (وان هذا صراطى مستقيما فتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية في قوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وفي قوله أن أقموا الدين ولا تفرقوا فيه ونحو هذا في القرآن قال أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف

التزويل ومشاهدة المعجزات ومعانية ما ينزل عليه في تضاعيف الكتاب والسنة ووصف العرب بانهم جاهلون لا يتأقن صحة الاحتجاج بالناظرهم وأشعارهم على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم اذ وصفهم بالجهل انما هو في أحكام القرآن لا في ألفاظه ونحن لا نتحج بلغتهم في بيان الاحكام بل في معاني بيان الالفاظ لان القرآن والسنة جا بلغتهم قاله السرخي (والله عليم) بأحوال مخلوقاته على العموم وهو لا منهم (حكيم) فيما يجازيهم به من خير وشر عن السكبي ان هذه الآية نزلت في أسد وعظفان وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي والبيهقي في شعب الايمان عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لانعرفه الا من حديث الثوري وأخرج أبو داود والبيهقي من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بدأ جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى أبواب السلطان افتتن وما ازاد أحد من سلطانه قريبا الا زاد من الله بعدا (ومن الاعراب من يتخذ ما يتفق مغرما) هذا تنويح الجنس الى نوعين الأول هو الأعراب من يؤمن بالله والمغرم الغرم والخسران وهو ثانی مفعولى يتخذ لانه بمعنى الجعل والمعنى انه اعتقد ما يتفق في سبيل الله غرامة وخسرانا وأصل الغرم والغرامة ما ينقعه الرجل وليس بلازم له في اعتقاده ولكنه ينقعه للرياء والتقية وقيل أصل الغرم اللزوم كانه اعتقد أنه يلزمه لامر خارج لا تتبعه النفس قال الخليل يعنى بالمغرم انه لا يرجو له ثوابا عند الله ولا مجازاة وانما يعطى ما يعطى من الصدقات كرها وعن ابن زيد قال هؤلاء المنافقون من الاعراب الذين انما يتفقون رياء اتقاء ان يغزوا ويحاربوا ويقاتلوا ويرون نفقتهم مغرما وهم بنو أسد وعظفان (ويترصد) أى ينتظر (بكم الدوائر) جمع دائرة وهى الحالة المنقلبة عن النعمة الى البلية وأصلها ما يحيط بالنسئ ودوائر الزمان توبه وتصاريفه ودوله وكانها الاتستعمل الآقى المكروه وفي الدائرة مذهبان أظهرهما انها صفة على فاعله كقائمة وقال الفارسي يجوز أن تكون مصدرا كالعاقبة والمعنى ينتظر بكم قلب الزمان وصر وفتها التي تأتي مرة بالخير ومرة بالشر قال يمان بن رباب يعنى يموت الرسول ويظهر المشركون ثم دعا سبحانه عليهم بقوله (عليهم دائرة السوء) وجعل مادعا به عليهم مما نالهم اذ ادوه بالمسلمين والسوء

والفرقة وأخبرهم انه انما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله ونحو هذا قاله مجاهد وغير واحد وقال الامام أحمد بن حنبل حدثنا الاسود بن عامر شاذان حدثنا أبو بكر هو ابن عباس عن عاصم هو ابن أبي النجود عن أبي وائل عن عبد الله هو ابن مسعود رضى الله عنه قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيما وخط عن يمينه وشماله ثم قال هذه السبيل ليس منها سبيل الاعلى شيطان يدعوا اليه ثم قرأ وان هذا صراطى مستقيما فتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وكذا رواه الحماكم عن الاصم عن أحمد بن عبد الجبار عن أبي بكر بن عباس به وقال صحيح ولم يخرجاه وهكذا رواه أبو جعفر الرازي

ورواه عمرو بن أبي قيس عن عاصم عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن ابن مسعود به مرفوعاً نحوه وكذا رواه يزيد بن هرون ومسدود والنسائي عن يحيى بن حبيب بن عربي بن حبان من حديث ابن وهب أربعهم عن حماد بن زيد عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود به وكذا رواه ابن جرير عن المثني عن الحثاني عن حماد بن زيد به ورواه الحارث بن أسد عن أبي بكر بن اسحق عن اسحق القاضي عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد به كذلك وقال صحيح ولم يخبرناه وقد روى هذا الحديث النسائي والحارث بن حكيم حديث أحمد بن عبد الله بن يونس عن أبي بكر (١٥٢) بن عياش عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود به مرفوعاً وكذا

رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث يحيى الحثاني عن أبي بكر بن عياش عن عاصم عن زر به فقد صححه الحارث بن حكيم كما رأيت من الطريقتين ولعل هذا الحديث عند عاصم بن أبي النجود عن زر وعن أبي وائل شقيق بن سلمة كلاهما عن ابن مسعود به والله أعلم وقال الحارث بن عياش هذا الحديث حديث الشعبي عن جابر بن جهم غير معتمد بشير إلى الحديث الذي قال الامام وعبد بن حميد جميعاً واللفظ لا جد حديثاً عند الله بن محمد وهو أبو بكر بن أبي شيبه ثبأنا أبو خالد الأحمر عن مجاهد عن الشعبي عن جابر قال كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطاه هكذا أمامه فقال هذا سبيل الله وخطين عن يمينه وخطين عن شماله وقال هذه سبيل الشيطان ثم وضع يده في الخط الاوسط ثم تلا هذه الآية وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاياكم لعلكم تتقون ورواه أحمد وابن ماجه في كتابه السنه من سننه والبراز عن أبي

عند الجمهور مصدر أضيف اليه الدائرة للملابسة كقولك رجل صدق وهو مصدر في الحقيقة قال أبو البقاء وهو الضرر وقال مكي من فتح السنين: معناه الفساد والرداءة ومن ضمها فمعناه البلاء والضرر وظاهر هذا انهما اسمان لما ذكر ويحتمل أن يكونا مصدرين ثم أطلقا على ما ذكر وقال غيره المضموم العذاب والضرر والمفتوح الذم وقرأ ابن كثير وغيره بضم السين وهو المكروه قال الاخفش عليهم دائرة الهزيمة والشروع وقال الفراء دائرة العذاب والبلاء قال والسوء بالفتح مصدر سؤته سواء وساءة وبالضم اسم لامصدر وهو كقولك دائرة البلاء والمكروه قال الخفاجي وبين الفتح والضم شبه طباق وقال الضحاك الدوائر الهلكات (والله سميع) لما يقوله (عليم) بما يضره ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) هذا النوع الثاني من انواع الاعراب كما تقدم أي منهم من يصدق بهم عن عبد الرحمن بن معقل قال كعشرة ولم يقرن فنزلت هذه الآية فينا وقال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وهم الذين قال الله ولا على الذين اذا ما أتوك لتعلمهم الآية وقال الكبي هم أسلم وغفار وجهينة ومزينة وفي الباب أحاديث بطول ذكرها (ويتخذ ما ينطق قربات) أي سبب قربات (عند الله) وهي جمع قرينة بالضم وهي ما يتقرب به إلى الله سبحانه تقول منه قربت لله قرباً أو أجمع قرب وقربات والمعنى انه يجعل ما ينطقه في سبيل الله سبباً لحصول القربات عند الله (وصلوات الرسول) أي سبب الدعوات الرسول لهم لانه صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو للمتصدقين ومنه قوله وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى وقال ابن عباس استغفار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل انها مذسوقة على ما ينطق أي ويتخذ ما ينطق الرسول قرينة وجوزة ابن عبيد بن كرام أبو البقاء وغيره وظاهر كلام الرخشي أنها نسق على قربات كما تقدم ثم انه سبحانه بين بان ما ينطقه هذا النوع من الاعراب تقرباً إلى الله مقبول واقع على الوجه الذي أرادوه فقال (الانها قرينة لهم) أخبر سبحانه بقبولها خبراً مؤكداً باسمية الجملة وحر في التنبيه والتحقيق وفي هذا من التطيب نحو اطهرهم والطماينة لقلوبهم ما لا يقدر قدره مع ما تضمنه من النعي على من يتخذ ما ينطق مغرماً والتوبيخ له بالبلغ وجهه والضمير في انها راجع إلى ما في ما ينطق وتأنبه باعتبار الخبر وقيل راجع إلى صلوات الرسول والاول أولى ثم فسر سبحانه القرينة بقوله (سبب دخلهم الله

سعيد عبد الله بن سعيد عن خالد الاحمرية قلت ورواه الحافظ ابن مردويه من طريقين عن أبي سعيد الكندي حديثاً أبو خالد عن مجاهد عن الشعبي عن جابر قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً وخط عن يمينه خطاً وخط عن يساره خطاً ووضع يده على الخط الاوسط وتلا هذه الآية وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولكن العهد على حديث ابن مسعود ومع ما فيه من الاختلاف ان كان مؤثراً وقد روى موقوفاً عليه قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن جهم عن معمر بن أبان عن عثمان بن جهم قال قال ابن مسعود ما الصراط المستقيم قال تر كما محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه وطرفه

في الجنة وعن ميمونة جواد وعن يساره جواد ورجال يدعون من مر بهم في أخذ في تلك الجواد انتهت به الى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به الى الجنة ثم قرأ ابن مسعود وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله الآية وقال ابن مردويه حدثنا أبو عمرو وحدثنا محمد بن عبد الوهاب حدثنا آدم حدثنا اسمعيل بن عياش حدثنا أبان بن عياش عن مسلم بن أبي عمران عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أدناه وطرفه في الجنة وقد ذكر تمام الحديث كما تقدم والله أعلم وقد روى من حديث النواس بن سمعان (١٥٣) نحوه قال الامام أحمد حدثني الحسن

ابن سوار أبو العلاء حدثنا ثابث يعني ابن سعد عن معاوية بن صالح ان عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه عن أبيه عن النواس بن سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيماً وعن جنبي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرحاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس هلم ادخلوا الصراط المستقيم جميعاً ولا تفرقوا وادع يدعو من جنوف الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال له ويحك لا تنتهكها فانك ان انتهتك لجهنم فالصراط الاسلام والسوران حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم ورواه الترمذي والنسائي عن علي بن حجر زاد النسائي وعمرو بن عثمان كلاهما عن بقيقة ابن الوليد عن مجير بن سعد عن خالد ابن معدان عن جبير بن نفير عن النواس بن سمعان به وقال الترمذي حسن غريب وقوله تعالى فاتبعوه ولا تتبعوا السبل انحوا وحدثني

في رحمة السنين لتحقيق الوعد وهذه النعمة هي أقصى مرادهم (ان الله غفور) لاهل طاعته (رحيم) بعباده (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) لما ذكر سبحانه أصناف الاعراب ذكر المهاجرين والانصار وبين ان منهم السابقين الى الهجرة وان منهم التابعين لهم وقرأ عمر بن الخطاب الانصار بالرفع عطف على والسابقون وقرأ سائر القراء من الصحابة فن بعدهم بالجر قال الاخفش الخفض في الانصار الوجه لان السابقين منهم يدخلون في قوله والسابقون وفي هذه الآية تفضيل السابقين الاولين من المهاجرين والانصار وهم الذين صلوا للقبليتين في قول سعيد بن المسيب وطائفة والذين شهدوا بيعة الرضوان وهي بيعة الخديبية في قول الشعبي أو أهل بدر في قول محمد بن كعب وعطاء بن يسار ولا مانع من حمل الآية على هذه الاصناف كلها قال محمد بن كعب القرظي هم جميع الصحابة لانهم حصل لهم السابق بعبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أبو منصور البغدادي أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الاربعة ثم الستة السابقون ثم البدريون ثم أصحاب أحد ثم أهل بيعة الرضوان بالخديبية (والذين اتبعوهم) أي اتبعوا السابقين الاولين من المهاجرين والانصار وهم المتأخرون عنهم من الصحابة فن بعدهم الى يوم القيامة وليس المراد بهم التابعين اصطلاحاً وهم كل من أدرك الصحابة ولم يدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل هم من جملة من يدخل تحت الآية فتكون من في قوله من المهاجرين على هذا للتبعيض وقيل انها للبيان فيتناول المدح جميع الصحابة ويكون المراد بالتابعين من بعدهم من الامة الى يوم القيامة كما قال ابن زيدهم من بقي من أهل الاسلام الى أن تقوم الساعة قال جماعة من الصحابة لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا امتي كلهم وليس بعد الرضاء مسخط عن محمد بن زياد قال قلت لمحمد بن كعب القرظي أخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانما أريد القتن قال ان الله قد غفر لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم قلت له وفي أي موضع أوجب الله لهم الجنة في كتابه قال ألا تقرؤن قوله تعالى والسابقون الاولون الآية أو بجمع أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الجنة والرضوان وشرط على التابعين شرطاً لم يشرطه فيهم قلت وما اشترط عليهم قال

(٢٠ - فتح البيان ح) لان الحق واحد ولهذا جاع السبل لتفرقتها وتشعبها كما قال تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الظالمون يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا يزيد بن هرون حدثنا سفيان بن حسين عن الزهري عن أبي ادريس الخولاني عن عباد بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم يباعدني عن ثلاث الايات الثلاث ثم تلا قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم حتى فرغ من ثلاث الايات ثم قال ومن وفيه من فأجره على الله ومن انتقص منهن شيئاً فأدركه الله في الدنيا كانت

عقوبته ومن آخره الى الآخرة كان أمره الى الله ان شاء أخذوه وان شاء عفا عنه (ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن
وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلمهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا العليكم ترجون) قال ابن
جرير ثم آتينا موسى الكتاب تقديره ثم قل يا محمد مخبرنا ان آتينا موسى الكتاب بدلالة قوله قل تعالوا أنزل ما حرم بكم عليكم قلت
وفي هذا نظرو ثم ههنا انما هي لعطف الخبر بعد الخبر لا لترتيب ههنا كما قال الشاعر

قل لمن سادتم ساد أبوه * ثم ساد قبل ذلك جده (١٥٤) وههنا لما أخبر الله سبحانه عن القرآن بقوله وان هذا صراطي

مستقيما فاتبعوه عطف بمسح
التوراة وكثيرا ما يقرن سبحانه بين
الكتابين كقوله تعالى ومن قبله
كتاب موسى اما ما ورثه وهذا
كتاب مصدق لسانا غير ساو قوله أول
هذه السورة قل من أنزل الكتاب
الذي جاء به موسى نورا وهدى
للناس يتبعونه قرطيس بتدونها
وتحقون كثيرا الآية وبعدها
وهذا كتاب أنزلناه مبارك الآية
وقوله تعالى مخبرنا عن المشركين فلما
جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا
أوتى مثل ما أوتى موسى قال تعالى
أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل
قالوا لا نحن انما نكفرنا بل
كافرون وقوله تعالى مخبرنا عن الجن
انهم قالوا يا قومنا انما سمعنا كتابا أنزل
من بعد موسى مصدقا لما بين يديه
يهدى الى الحق الآية وقوله تعالى
تماما على الذي أحسن وتفصيلا على
آتينا الكتاب الذي أنزلناه اليه
تماما كما لا جامع لما يحتاج اليه في
شريعته كقوله وكتبنا له في الاواح
من كل شيء الآية وقوله تعالى على
الذي أحسن أي جزاء على احسانه
في العمل وقيامه باوامرنا واطاعتنا

اشترط عليهم أن يتبعوه وهم باحسان بقول بقره دون بهم في أعمالهم الحسنة ولا يقتدون
بهم في غير ذلك قال أبو صخر فوالله لكان لي لم أقرأها قبل ذلك ولا عرفت نفسي سيرها حتى
قرأها على محمد بن كعب وقوله (باحسان) قيد للتابعين أي والذين اتبعوههم متلبسين
باحسان في الافعال والاقوال اقتداء منهم بالسابقين الاولين (رضى الله عنهم) أي قبل
طاعتهم وتجاوز عنهم ولم يسخط عليهم (ورضوانه) بما أعطاهم من فضله ومع رضائه
عنهم فقد (أعد لهم جنات تجري تحتها الانهار) في الدار الآخرة وفي قراءة بزيادة من
قاله السيوطي وفي الجمل أي سبعة لابن كثير وعلوم ان قراءته الصلة فليست به القارئ
اذ اقرأ بزيادة من اصله الميم في المواضع الثلاثة وهي اتبعوههم وعنهم وأعد لهم لثلاث يقع
في التلخيص وقد تقدم تفسير جري الانهار من تحت الجنات وتفسير الخلود (خالدين فيها
أبد ذلك الفوز العظيم) اختلفوا في أول الناس اسلاما بعد اتفاقهم على أن خديجة أول
الخلق اسلاما على أقوال يطول ذكرها وقال اسحق بن ابراهيم أول من أسلم من الرجال
أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي بن أبي طالب ومن العبيد زيد بن حارثة
فهؤلاء الاربعة سباق الخلق الى الاسلام وأسلم على يد أبي بكر عثمان والزبير وابن عوف
وسعد بن أبي وقاص وطليحة ثم تتابع الناس بعدهم في الدخول في الاسلام فهؤلاء
السابقون الاولون من المهاجرين وامان الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ليله العقبة وهي العقبة الاولى وكانوا خمسة نفر سعد وعوف ورافع
وقطبة وجابر ثم أصحاب العقبة الثانية وكانوا اثني عشر رجلا ثم أصحاب العقبة الثالثة
وكانوا سبعين رجلا فهؤلاء السابقون الانصار وقيل غير ذلك مما ليس في ذكره كئيه فائدة
(ومن حولكم من الاعراب منافقون) هذا عود الى شرح أحوال المنافقين من أهل
المدينة ومن يقرب منهم من الاعراب قيل وهؤلاء الذين هم حول المدينة من المنافقين
هم جهينة وحرينة وأشجع وغفار وأسلم ذكره جمع من المفسرين كالبغوي والواحدي
وابن الجوزي والنسفي والخازن والسيوطي وغيرهم وفيه اشكال لان النبي صلى الله عليه
وآله وسلم دعا هؤلاء القبائل فان صح هذا النقل فتحمل الآية على القليل منهم لان لفظ
من للتبعض ويحمل الدعاء لهم على الاكثر والاعل وبهذا يمكن الجمع بينهما وأطلق
الطبري القول ولم يعين أحدا من القبائل المذكورة بل قال من القوم الذين حول

مدينة بكم

كقوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان وكقوله واذا بتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني

جاءت للناس اما ما وكقوله وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن
أنس ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن يقول أحسن فيما أعطاه الله وقال قتادة من أحسن في الدنيا تم له ذلك في
الآخرة وأختار ابن جرير ان تقديره ثم آتينا موسى الكتاب تماما على احسانه فكأنه جعل الذي مصدره كقيل في قوله تعالى
وخضعت كل ذي خاضوا أي كخوضهم وقال ابن رواحة وثبت الله ما آتانا من حسن * في المرسلين ونصرا كالذي نصرنا

وقال آخرون الذي ههنا يعني الذين قال ابن جرير وذكر عن عبيد الله بن مسعود انه كان يقرأ وهاتما على الذين أحسنوا وقال
ابن أبي شيبة عن مجاهد تاما على الذي أحسن قال علي المؤمنين والمحسنين وكذا قال أبو عبيدة وقال البغوي المحسنون
الانبياء والمؤمنون يعني أظهرنا فضلهم عليهم قلت كقوله تعالى قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ولا يلزم
اصطفاؤه على محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والخليل عليهما السلام لادلة أخرى قال ابن جرير وروى عن عمرو بن
العلاء عن يحيى بن يعمر انه كان يقرأ وهاتما على الذي أحسن رفعا (١٥٥) بتأويل على الذي هو أحسن ثم قال

وهذه قراءة الاستحسان القراءتها
وان كان لها في العربية وجه صحيح
وقيل معناها تماما على احسان الله
اليه حكاه ابن جرير والبغوي ولا
منافاة بينه وبين القول الاول وبه جمع

ابن جرير كما بيناه والله الحمد وقوله
تعالى وتفصيلا لكل شيء وهدي
ورجوة فيه مدح لكتابته الذي أنزله
الله عليه لعلمهم بلقاء ربهم يؤمنون
وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه
واتقوا العلكم ترجون فيه الدعوة
الى اتباع القرآن يرغب سبحانه
عباده في كتابه ويأمرهم بتدبره
والعمل به والدعوة اليه وصفه
بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا
والآخرة لانه حبلى الله المتين
(أن تقولوا انما أنزل الكتاب على
طائفتين من قبلنا وان كآعن
دراستهم لغافلين أو تقولوا لوانا
أنزل علينا الكتاب لكأ أهدي
منهم فقد جاءكم بينة من ربكم
وهدي ورجوة فن أظلم من كذب
بآيات الله وصدف عنها سنجزي
الذين يصدقون عن آياتنا سوء
العذاب بما كانوا يصدفون) قال

مدينةكم أيها المؤمنون من الاعراب منافقون (ومن أهل المدينة) قوم أو ناس (مردوا
على النفاق) قال البغوي أي من الاوس والخزرج وقيل المعنى ومن حولكم من
الاعراب ومن أهل المدينة منافقون مردوا وأصل مردوا قرود اللين والملاسة والتجرد
فكأنهم تجردوا للنفاق ومنه غصن أمر دلا وورق عليه وفرس أمر دلا شعر فيه وغلام
أمر دلا شعر بوجهه وأرض مرداء لانبات فيها وصرح بمرد مجر دملس كما قال
في منزل شيد بنينا * يزل عنه ظفر الطائر

قال المعنى أنهم أقاموا على النفاق وثبتوا عليه ولم ينتوا عنه ولم يتوبوا منه قال ابن زيد
معناه بطوافيه وأبوا غيره قال الخفاجي أصل معنى التمرن أي الاعتياد والتدرب
في الامر حتى يصير ما هرافيه لا يتخاذه صنعة وديد ناله ولذا خفي نفاقهم عليه صلى الله عليه
 وآله وسلم مع كمال فطنته وفراسته وقال الراغب انه من قولهم شجرة مرداء أي لا ورق
عليها أي انهم خلوا من الخير وروى أهل الجنة جرد مردوه وهو محمول على ظاهره أو المراد
انهم خالصون من الشوائب والقبائح وجملة (لا تعلمهم) ميمنة للجملة الاولى وهي مردوا
على النفاق أي ثبتوا عليه ثبتوا شديدا ومهروا فيه حتى خفي أمرهم على رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فكيف سائر المؤمنين والمراد عدم علمه صلى الله عليه وآله وسلم
بأعيانهم لان حيث الجملة فان النفاق دلائل لا تخفى عليه صلى الله عليه وآله وسلم
ولا ينافي هذا قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول لان آية النبي نزلت قبيل آية الاثبات
وهذه الجملة صفة المنافقون أو مستأنفة والعلم هنا ما على بابيه فيتعدي لاثنتين أي لا تعلمهم
منافقين أو عرفاني فيتعدي لواحد قاله أبو البقاء واما قوله (نحن نعلمهم) فلا يجوز أن
يكون الاعلى بابيه وهي مقررة لما قبلها المفهوم من الدلالة على مهارتهم في النفاق ورسوخهم
فيه على وجه يتخفى على البشر ولا يظهر لغير الله سبحانه لعلمه بما يتخفى وما تجتبه الضمائر
وتنطوى عليه السرائر ثم توعدهم سبحانه فقال (سنعذبهم مرتين) قيل المراد بهما عذاب
الدنيا بالقتل والسبي وعذاب الآخرة وقيل الفضيحة بانكشف نفاقهم والعذاب في
الآخرة وقيل المصائب في أموالهم وأولادهم وعذاب القبر قال مجاهد مرتين يعني
بالجوع والقتل وعن أبي مالك قال بالجوع وعذاب القبر وعن قتادة قال عذاب في
القبر وعذاب في النار وقد روى عن جماعة من السلف نحو هذا في تعيين العذابين

ابن جرير ومعناه وهذا كتاب أنزلناه لئلا تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا يعني لينقطع عذركم كقوله تعالى ولولا أن
تصيهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت السائر لولا فنتبع آياتك الآية وقوله تعالى على طائفتين من قبلنا
قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هم اليهود والنصارى وكذا قال مجاهد والسدي وقتادة وغير واحد وقوله وان كآعن
دراستهم لغافلين أي وما كانوا يفقهون لانهم ليسوا بلساننا ونحن في غفلة وشغل مع ذلك عما هم فيه وقوله أو تقولوا
لوانا أنزل علينا الكتاب لكأ أهدي منهم أي وقطعنا نعالكم أن تقولوا لوانا أنزل علينا ما أنزل عليهم لكأ أهدي منهم فيما أتوه

كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم الآية وهكذا قال ههنا فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة يقول فقد جاءكم من الله على لسان محمد صلى الله عليه وسلم النبي العربي قرآن عظيم فيه بيان للعلل والحرام وهدى لما في القلوب ورحمة من الله لعباده الذين يتبعونه ويقتفون ما فيه وقوله تعالى فن أظلم عن كذب آيات الله وصدف عنها أي لم ينتفع بما جاء به الرسول ولا أتبع ما أرسل به ولا ترك غيره بل صدف عن اتباع آيات الله أي صرف الناس وصدفهم عن ذلك قاله السدي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة (١٥٦) وصدف عنها أعرض عنها وقول السدي ههنا فيه قوة لأنه قال فن أظلم

من كذب بآيات الله وصدف عنها كما تقدم في أول السورة وهم ينهون عنه ويتأون عنه وان يهلكون لأنفسهم وقال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب وقال في هذه الآية الكريمة سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون وقد يكون المراد فيما قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة فن أظلم من كذب بآيات الله وصدف عنها أي لا آمن بها ولا عمل بها كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى وغير ذلك من الآيات الدالة على اشتغال الكافر على التكذيب بقلبه وترك العمل بجوارحه ولكن كلام السدي أقوى وأظهر والله أعلم لأن الله قال فن أظلم من كذب بآيات الله وصدف عنها كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يصدفون (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينتفع

وقيل غير ذلك مما يطول ذكره مع عدم الدليل على أنه المراد بعينه والظاهر أن هذا العذاب المكره في الدنيا بما يصدق عليه اسم العذاب وأنهم يعذبون مرة بعد مرة ثم يردون بعد ذلك إلى عذاب الآخرة وهو المراد بقوله (ثم يردون إلى عذاب عظيم) ومن قال أن العذاب في المرة الثانية هو عذاب الآخرة قال معني قوله ثم يردون أنهم يردون بعد عذابهم في النار كسائر الكفار إلى الدرك الأسفل منها أي وأنهم يعذبون في النار عذابا خاصا بهم دون سائر الكفار ثم يردون بعد ذلك إلى العذاب الشامل لهم وسائر الكفار وفي مسند أحمد عن ابن مسعود دخلت بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن منكم منافقين فمن سميتهم فليقم ثم قال قم يا فلان حتى سمى ستة وثلاثين ثم ذكر سبحانه حال طائفة من المسلمين وهم المخطئون في دينهم فقال (و) من حولكم أو من أهل المدينة قوم (آخرون اعترفوا بذنوبهم) المعنى إن هؤلاء الجماعة تختلفوا عن الغزو وبغير عذر مسوغ للتخلف ثم ندمو على ذلك ولم يعتذروا وبالاعذار الكاذبة كما اعتذر المنافقون بل تابوا واعترفوا بالذنوب ورجوا أن يتوب الله عليهم (خطوا وعلوا صلحا وآخر سينا) المراد بالعمل الصالح ما تقدم من إسلامهم وقيامهم بشرائع الإسلام وخرجهم إلى الجهاد في سائر المواطن والمراد بالعمل السيئ هو تختلفهم عن هذه الغزوة وقد أتبعوا هذا العمل السيئ عملا صلحا وهو الاعتراف به والتوبة عنه وأصل الاعتراف الإقرار بالشئ ومجرد الإقرار لا يكون توبة إلا إذا اقترن به الندم على الماضي والعزم على تركه في الحال والاستقبال وقد وقع منهم ما يفيد هذا ومعنى الخلطة أنهم خطوا كل واحد منهم ما بالآخر كقولك خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ذكره غالب المفسرين وأنه ذكره الرازي وقال الواو لطلق الجمع وفيه تنبيه على نفي القول بالخلطة وأنه بقى كل واحد منهما كما كان من غير أن يتأثر أحدهما بالآخر ويجوز أن يكون الواو بمعنى الباء كقولك بعث الشاة ودرهما أي بدرهم وقال الواو أحسن من الباء لأنه أریده بمعنى الجمع لاحقيقة الخلط ألا ترى أن العمل الصالح لا يختلط بالسيئ كما لا يختلط الماء باللبن لكن قد يجمع بينهما وقال التفتازاني وتحقيقه أن الواو للجمع والباء للالصاق والاصاق من قبيل واحد فلك به طريق الاستعارة وقال الزنجشيري كل واحد مخلوط ومخلوط به وفيه ما ليس في الباء وفي قوله (عسى الله أن يتوب عليهم) دليل على أنه قد وقع منهم مع

الاعتراف

نفسا إيمانهم تمكن آمنتم من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا نامتظرون

يقول تعالى متوعد الكافر بن بواخلفين رسوله والمكذبين آياته والصارفين عن سبيله هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك وذلك كما إن يوم القيامة أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينتفع نفسا إيمانها وذلك قبل يوم القيامة كما أن من امارات الساعة وأشرطها حين يرون شيئا من أشرط الساعة كما قال البخاري في تفسيره هذه الآية حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا عمارة حدثنا أبو زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمنوا من عليها فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل حدثنا إسحق حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها وفي لفظ فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ثم قرأ هذه الآية هكذا روى هذا الحديث من هذين الوجهين ومن الوجه الأول أخرجه بقية الجماعة في كتبهم إلا الترمذي من طرق عن عمار بن القعقاع بن شبرمة عن أبي زرعة (١٥٧) بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة واما

الطريق الثاني فرواه عن إسحق غير منسوب وقيل هو ابن منصور الكوسج وقيل إسحق بن نصر والله أعلم وقدرناه مسلم عن محمد بن رافع الخديسي باوري كلاهما عن عبد الرزاق به وقدره هذا الحديث من طرق أخر عن أبي هريرة كما انفرد مسلم بروايته من حديث العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الخرقه عن أبيه عن أبي هريرة وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض ورواه أحمد عن وكيع عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم سلمان عن أبي هريرة به وعنده والدخان ورواه مسلم عن أبي بكر ابن أبي شيبة وزهير بن حرب عن وكيع ورواه أيضا الترمذي من غير وجه عن فضيل بن غزوان به ورواه إسحق بن عبد الله

الاعتراف ما يفيد التوبة أو أن مقدمة التوبة وهي الاعتراف قامت مقام التوبة وحرف الترجي هو عسى في كلام الله سبحانه يفيد تحقق الوقوع لان الاطماع من الله سبحانه ايجاب لكونه أكرم الأكرمين وفي المواهب واتفق المفسرون على ذلك قال القسطلاني وعبر بعسى للاشعار بأن ما يفعله تعالى ليس الاعلى سبيل التفضل منه حتى لا يتكل المرء بل يكون على خوف وحذر (ان الله غفور رحيم) يغفر الذنوب ويتفضل على عباده وهذا يفيد انجاز الوعد عن ابن عباس قال كانوا عشرة رهط تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك فلما حضر رجوع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتوا ثقب سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد وكان ممر النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذ رجع عليهم فلما رأهم قال من هؤلاء الموثقون أنفسهم قالوا هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تطلقهم وتعد ذرهم قال وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم رغبا وعنى وتخلفوا عن الغزوة مع المسلمين فلما بلغهم ذلك قالوا ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله هو الذي يطلقنا فنزلت عسى الله أن يتوب عليهم وقيل الآية تم جميع المسلمين والحل على العموم أولى وان كان السبب مخصوصا بمن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك وروى الطبراني عن أبي عثمان قال ما في القرآن آية أربى عندي لهذه الأمة من هذه الآية (خزمن أموالهم صدقة) اختلف أهل العلم في هذه الصدقة المأمور بها فقيل هي صدقة الفرض وقيل هي مخصوصة بهذه الطائفة المعترفة بنفوسهم بالانهم بعد التوبة عليهم عرضوا أموالهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت هذه الآية كما تقدم ومن التبعض على التفسيرين والآية مطلقة مبينة بالسنة المطهرة والصدقة مأخوذة من الصدق اذ هي دليل على صدق مخرجها في إيمانها (تطهرهم وتزكهم بها) الضمير المرفوع في الفعلين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أي تطهرهم وتزكهم بما أخذ من الصدقة منهم وقيل الضمير في تطهرهم للصدقة والضمير في تزكهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والاول أولى لما في الثاني من الاختلاف في الضميرين في الفعلين المتعاطفين ومعنى التطهير اذ هاب ما يتعلق بهم من أثر الذنوب ومعنى التزكية المبالغة في التطهير قال الزجاج الاجود أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أي فانك يا محمد تطهرهم وتزكهم بها على القطع

القروي مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة وان كان لم يخرج أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه لضعف القروي والله أعلم وقال ابن جرير حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا شعيب بن الليث عن أبيه عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرم عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت آمن الناس كلهم وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل الآية ورواه ابن لهيعة عن الاعرج عن أبي هريرة به ورواه وكيع عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة به أخرجه هذه الطرق كلها الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره

وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن يحيى أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها قبل منه لم يجزعه أحد من أصحاب الكتب الستة (حديث آخر) عن أبي ذر الغفاري في الصحابين وغيرهما من طرق عن إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي عن أبيه عن أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه ولهما عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدرى أين تذهب الشمس إذا غربت قلت لا أدري قال إنما انتهت دون العرش ففخر ساجدة ثم تقوم حتى يقال لها الرجعي فيوشك يا أبا (١٥٨) ذر أن يقال لها الرجعي من حيث دخلت وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها

والاستئناف ويجوز الجزم على جواب الامر والمعنى ان تأخذ من أموالهم صدقة تطهرهم قال السيوطي فأخذت أموالهم وتصدق بها على سبيل الكفارة لذوهم فان كل من أتى ذنبا ليس له التصدق (وصل عليهم) أي ادع لهم بعد أخذك لتلك الصدقة من أموالهم قال النحاس وحكى أهل اللغة جميعا فيما علمناه ان الصلاة في كلام العرب الدعاء ثم علل سبحانه أمره لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة على من يأخذ منه الصدقة فقال (ان صلاتك سكن لهم) السكن ما سكن اليه النفس وتطمئن به وهو فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض والمعنى يسكنون اليها قال ابن عباس استغفر لهم من ذنوبهم التي كانوا أصابوها ان صلاتك راحة لهم وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أتى بصدقة قال اللهم صل على آل فلان فأتاه أبي بصدقة فقال اللهم صل على آل أبي أوفى (والله سمع) لا عترافهم بذنوبهم ودعائهم (عليهم) بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ولما تاب الله سبحانه على هؤلاء المذكورين سابقا قال (ألم يعلموا) أي غير التائبين والتائبون قبل أن يتوب الله عليهم ويقبل صدقاتهم والاستفهام للتقرير وللخصيص والتأكيد ان الله هو يقبل التوبة لاستغناؤه عن طاعة المطيعين وعدم مبالاة به بمعصية العاصين وقرئ بالتاء وهو ما خطاب للتائبين أو الجماعة المؤمنين والمعنى أن ذلك ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصد وجهها (عن عباده) قيل لافرق بين عن ومن قال ابن عطية وكثيرا ما يتوصل في موضع واحد به هذه نحو لاصدقة الا عن غنى ومن غنى وفعل ذلك فلان من أشره وبطره وعن أشره وبطره وقيل بينهما فرق ولعل عن في هذا الموضع أبلغ لان فيه بشيرا لقبول التوبة مع تسهيل سبيلها وقيل لفظه عن تشعر بعد ما تقول جلس عن عين الأمير أي مع نوع من البعد والظاهر ان عن هنا للمجازة واذقلت منه فعنا ابتداء الغاية (ويأخذ الصدقات) أي يتقبلها منهم وفي اسناد الاخذ اليه سبحانه بعد أمره لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأخذها تشرىف عظيم لهذه الطاعة ولمن فعلها وفي ذكر لفظ الاخذ ترغيب في بذل الصدقة واعطائها الفقراء عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما تصدق أحدكم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا أخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمررة

لم تكن آمنت من قبل ولمسلم عن حذيفة بن أسيد بن شريح الغفاري رضي الله عنه قال الامام أحمد بن حنبل حدثنا سفيان بن فرات عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن ننذاكر الساعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم وخروج الدجال وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ونارتخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس بيت معهم حيث باؤوا وتقبل معهم حيث قالوا وهكذا رواه مسلم وأهل السنن الاربعة من حديث فرات القزاز عن أبي الطفيل عاشر بن واثله عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وقال الثوري عن منصور عن ربي عن حذيفة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما آية طلوع الشمس من مغربها فقال النبي صلى الله عليه وسلم تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين فيبينما الذين كانوا يصلون فيها فيعملون كما كانوا يعملون قبلها والنجوم لا ترى قد فارقت مكانها ثم يردون ثم يقومون فيعملون كما كانوا يعملون ثم يردون ثم يقومون فيعملون فتطول (١) عليهم جنوبهم حتى يتناول عليهم الليل فيفرغ الناس ولا يصبحون فيبيناهم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها اذ طلعت من مغربها فاذا رآها الناس آمنوا لم ينقعههم إيمانهم رواه ابن مردويه وليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه والله أعلم (حديث آخر) عن أبي سعيد الخدري واهمه سعد بن مالك بن سنان بن مالك رضي الله عنه

(١) قوله فتطول عليهم جنوبهم كذا في الاصل وحرر الرواية اه صححه فترو

وأرضاه قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا ابن ابي ليلى عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها قال طلوع الشمس من مغربها ورواه الترمذي عن سيفيان بن وكيع عن أبيه وقال غريب ورواه بعضهم ولم يرفعه وفي حديث طلوت بن عباد عن فضال بن جبيرة عن أبي أمامة صدي بن عجلان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول الآيات طلوع الشمس من مغربها وفي حديث عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن صفوان بن غسان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفوان بن (١٥٩) غسان مرفوعا ان الله فتح بابا قبل المغرب

عرضه سبعون عاما للتوبة ثم لا يعلق حتى تطلع الشمس منه رواه الترمذي وصححه النسائي وابن ماجه في حديث طويل (حديث آخر) عن عبد الله بن أبي أوفى قال ابن مردويه حدثنا محمد بن علي بن رحيمة حدثنا أحمد بن حازم حدثنا ضار ابن صرد حدثنا ابن فضيل عن سليمان بن زيد عن عبد الله بن أبي أوفى قال سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول ليا تين على الناس ليله تعدل ثلاث ليال من ليا ليكم هذه فاذا كان ذلك يعرفها المتفلون يقوم أحدهم فيقرأ آخيه ثم ينام ثم يقوم فيقرأ آخيه ثم ينام فينمواهم كذلك اذ صاح الناس بعضهم في بعض فقالوا ما هذا فيمضون الى المساجد فاذا هم بالشمس قد طلعت حتى صارت في وسط السماء ورجعت وطلعت من مظهرها قال حينئذ لا ينفع نفسا إيمانها هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس هو في شيء من الكتب الستة (حديث آخر) عن عبد الله بن عمرو قال الامام أحمد حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنا حبان عن أبي زرعة

قربوني كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربى أحدكم فلوه أو فضيله أخرجه الشيخان وفي الباب أحاديث يطول ذكرها (وان الله هو لتواب الرحيم) أي ان هذا شأنه سبحانه وفي صبغة المبالغة في التواب مع توسط ضمير الفصل والتأكيد من التبشير لعباده والترغيب لهم ما لا يخفى (وقل) لهم أول الناس وهما قولان للمفسرين (اعملوا) ما شئتم من الاعمال الصالحة والسيدة (فسيرى الله عملكم) خيرا كان أو شرا تعليل لما قبله (ورسوله والمؤمنون) فيه تحوير وتهديد للمذنبين أي ان عملكم لا يخفى على الله ولا على رسوله ولا على المؤمنين فسارعوا الى أعمال الخير وأخلصوا أعمالكم لله عز وجل وفيه أيضا ترغيب وتشجيع للمطيعين فان من علم أن عمله لا يخفى سواء كان خيرا أو شرا رغب الى أعمال الخير وتجنب أعمال الشر وما أحسن قول زهير

ومهما يكن عند امرئ من خلقه * وان حالها تخفى على الناس تعلم

فظاهره ترغيب وترهيب والمراد بالرؤية هنا العلم بما يصدر من الاعمال والاستقبال بالنظر للمجازاة والافعال حاصل بالفعل أي فسيجازيكم على عملكم والمجازاة من الله معلومة ومن رسوله والمؤمنين بمعنى النناء عليهم والدعاء لهم قال مجاهد هذا وعيد من الله عز وجل وقال أبو السعود زيادة ترغيب لهم في العمل الصالح وأخرج أحمد وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والبيهقي وغيرهم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لو أن أحدكم يعمل في صحرة صماء ليس لها باب ولا كوة لا يخرج الله عمله للناس كأنما كان ثم جاء سبحانه بوعيد شديد فقال (وستردون) أي بالبعث بعد الموت (الى عالم الغيب والشهادة) أي اليه سبحانه الذي يعلم ما ترونه وما تلمنونه وما تخفونه وما تبدونه وفي تقديم الغيب على الشهادة اشعار بسعة علمه عز وجل وانه لا يخفى عليه شيء ويستوى عنده كل معلوم ثم ذكر سبحانه ما سيكون عقب ردهم اليه فقال (فينبئكم) أي يخبركم (بما كنتم تعملون) في الدنيا فيجازي المحسن باحسانه والمسيء بإساءته ويتفضل على من يشاء من عباده (وآخر من رجون لامر الله) ذكر سبحانه ثلاثة أقسام في المتخلفين الاول المنافقون الذين مردوا على النفاق الثاني التائبون المعترفون بذنوبهم الثالث الذين بقي أمرهم موقوفا في تلك الحال وهم المرجون لامر الله من أرجيته وأرجأته اذا آخرته وهما لغتان والقراءتان أي بالهمز وودونه سبعيتان والمعنى انهم مؤخرون في تلك الحال لا يقطع

عن عمرو بن جرير قال جلس ثلاثة نفر من المسلمين الى مروان بالدينية فسمعوه يقول وهو يحدث عن الآيات يقول ان أولها خروج الدجال قال فانصرفوا الى عبد الله بن عمرو فحدثوه بالذي سمعوه من مروان في الآيات فقال لم يقل مروان شيئا حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروج الشمس من مغربها وخروج الدابة ضحى فأيتها كانت قبل صاحبته افا لاخرى على اثرها ثم قال عبد الله وكان يقرأ الكتب وأظن أولها خروج الشمس من مغربها وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش وسجدت واستأذنت في الرجوع فأذن لها في الرجوع حتى اذا بدا الله أن تطلع من مغربها فعلت

كما كانت تفعل أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الرجوع فلم يرد عليها شيء ثم استأذنت في الرجوع فلا يرد عليها شيء حتى إذا ذهب من الليل ماشاء الله أن يذهب عرفت أنه إذا أذن لها في الرجوع لم تذكر المشرق قالت رب ما أبعد المشرق مني بالناس حتى إذا صار الأفق كأنه طوق استأذنت في الرجوع فيقال لها ما كانك فاطلي فطلعت على الناس من مغربها ثم تلا عبد الله هذه الآية لا يتفح نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل الآية وأخرجه مسلم في صحيحه وأبو داود وابن ماجه في سننهم ما من حديث أبي حيان التميمي واسمه يحيى بن سعيد بن حيان (١٦٠) عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير به (حديث آخر عنه) قال الطبراني حدثنا

أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان الرقي حدثنا إسحاق بن إبراهيم (١) زهير بن الجصى حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار حدثنا ابن لهيعة عن حبي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحجلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا طلعت الشمس من مغربها خسر إبليس ساجدا ينادي ويجهر الهى مررتي أن أجد من شئت قال فيجتمع إليه زبانية فيقولون كلهم ما هذا التضرع فيقول انما سألت ربي أن يتظرنى الى الوقت المعلوم وهذا الوقت المعلوم قال ثم يخرج دابة الارض من صدع في الصفا قال فأول خطوة تضعها بانطا كافتأني إبليس فتلطمه هذا حديث غريب جدا وسنده ضعيف ولعله من الزاملتين اللتين أصابهما عبد الله ابن عمرو يوم اليرموك فاما رفعه فنسكروا لله أعلم (حديث آخر) عن عبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهم أجمعين قال الامام أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا اسمعيل بن عياش عن جهضم

ابن زرعة عن شريح بن عبيد رده الى مالك بن يخامر عن أبي السعدى ولا جد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتقطع الهجرة مادام العدو يقاتل فقال سارية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الهجرة خصلتان احدهما تهاجر السيئات والاخرى تهاجر الى الله ورسوله ولا تتقطع ما تقبل التوبة ولا تزال التوبة تقبل حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت طبع على كل قلب على ما فيه وكفى الناس العمل هذا الحديث حسن الاسناد ولم يخرج له أحد من أصحاب الكتب الستة والله أعلم (حديث آخر) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال عوف (١) قوله إبراهيم زهير بن الجصى كذا بالاصل وحرره اه معصمه

الاعرابي عن محمد بن سيرين حدثني أبو عبيدة عن ابن مسعود أنه كان يقول ماذا كرم من الآيات فقد مضى غير أربع طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض وخروج يأجوج ومأجوج قال وكان يقول الآية التي تختتمها الأعمال طلوع الشمس من مغربها ألم تر أن الله يقول يوم يأتي بعض آيات ربك الآية كلها يعني طلوع الشمس من مغربها حديث ابن عباس رضي الله عنهما رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث عبد المنعم بن ادريس عن أبيه عن وهب بن منبه عن ابن عباس مرفوعاً فذكر حديثاً طويلاً غير يامسك رافعه وفيه ان الشمس والقمر يطلعان (١٦١) يومئذ مقرونين واذا انصفا السما رجعا ثم

عاد الى ما كان عليه وهو حديث غريب جداً بل منكر بل موضوع ان ادعى انه مرفوع فاما وقد على ابن عباس أو وهب بن منبه وهو الاشبه بغيره موضوع والله أعلم وقال سفيان عن منصور عن عامر عن عائشة رضي الله عنها قالت اذا خرج أول الآيات طرحت وحجبت الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال رواه ابن جرير رحمه الله تعالى فتوبه تعالى لا يتقنع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل أي اذا أنشأ الكافر ايماناً يومئذ لم يقبل منه فاما من كان مؤمناً قبل ذلك فان كان مصححاً في عمله فهو بخير عظيم وان لم يكن مصححاً فاحسنت توبة حينئذ لم تقبل منه توبته كما دلت عليه الاحاديث المتقدمة وعليه يحتمل قوله تعالى أو كسبت في ايمانها خيراً أي ولا يقبل منها كسب عمل صالح اذ لم يكن عاملاً به قبل ذلك وقوله تعالى قل اتظنوا انامنظرون تهديد شديداً للكافرين ووعيداً كيداً لمن سوف يايمانه وتوبته الى وقت لا ينفعه ذلك وانما كل الحكيم

بهم المؤمنين (من قبل) أي من قبل أن ينافق هؤلاء وينبوا مسجد الضرار أو المعنى لمن وقع منه الحرب لله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار وليحفظن جواب قسم مقدر أي والله (ان أردنا الا الحسنى) أي ما أردنا بنايته الا انصله أو الارادة الحسنى وهي الرفق بالمسلمين والتوسعة على أهل الضعف والعجز عن الصلاة في مسجد قباء أو مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في المطر والحرفرد الله عليهم بقوله (وان الله يشهد) أي يعلم (انهم لكاذبون) فيما حلفوا عليه وقالوه عن ابن عباس قال هم أناس من الانصار ائتموا مسجد اقبال لهم أبو عامر الراهب والد حفظة غسيل الملائكة ابنوا مسجدكم واستمدوا ما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فاني يجند من الروم فاني خرج محمداً وأصحابه فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا قد فرغنا من بناء مسجدنا فخب ان تصلي فيه وتدعو بالبركة فانزل الله لا تقم فيه أبداً وعنه قال لما نبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسجد قباء خرج رجال من الانصار فبنوا مسجد النفاق فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ياخذج ما أردت الامأرى قال ما أردت الا الحسنى وهو كاذب فصدقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واراد ان يعذره فانزل الله والذين اتخذوا مسجداً ضراراً الآية ثم نهى الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن الصلاة في مسجد الضرار فقال (لا تقم فيه أبداً) أي في وقت من الاوقات فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جماعة هدموا وأحرقوه وجعلوا مكانه كاسية تلقى فيه الجيف والنهي عن القيام فيه يستلزم النهي عن الصلاة فيه وقد يعبر عن الصلاة بالقيام يقال فلان يقوم الليل أي يصلي ومنه الحديث الصحيح من قام رمضان ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ثم ذكر الله سبحانه علة النهي عن القيام بقوله (لمسجد أسس على التقوى) الالام في مسجد الالام القسم وقيل لام الابتداء وفي ذلك تأكيد لضمون الجمل وعلى قيل انها بمعنى مع والابلاغ بقاءها على ظاهرها وجعل التقوى أساساً له وتأسيس البناء تمييزه ورفعته ومعنى تأسيسه على التقوى تأسيسه على الخصال التي لا تبق بها العقوبة واختلف العلماء في هذا المسجد فقالت طائفة هو مسجد قباء كما روى عن ابن عباس والضحاك والحسن والشعبي وغيرهم ووجهه البضاوى لظاهر قوله تعالى من أول يوم اذ لا يراد أول الايام مطلقاً بل أول أيام الهجرة ودخول المدينة المنورة لانه

(٢١ - فتح البيان ح)

كذلك عند طلوع الشمس من مغربها الاقتراب الساعة وظهور اشراتها كما قال فهل يتظنوا الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء اشراتها فاني لهم اذا جاءتهم ذكراهم وقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرت بما كنا مشركين فإنيك يفهم ايمانهم لما رأوا بأسنا الآية (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لم ينفعهم ايمانهم الى الله ثم ينبتهم بما كانوا يفعلون) قال مجاهد وقتادة والضحاك والسدي نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وذلك ان اليهود والنصارى اختلفوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم

فتفرقوا فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أنزل الله عليه ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء الآية وقال ابن جرير حدثني سعيد بن عمر السكوني حدثنا بقمية بن الوليد كتب الى عباد بن كثير حدثني ليث عن طاوس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وليسوا منك هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة لكن هذا السناد لا يصح فان عباد بن كثير متروك الحديث ولم يخترق هذا الحديث ولكنه وهم في رفعه فانه رواه سفيان الثوري (١٦٢) عن ليث وهو ابن أبي سليم عن طاوس عن أبي هريرة في الآية انه قال

بني قبل مسجد المدينة ولقوله فيه رجال يجبون أن يتطهروا واولاؤه أوفق بالمقام لانه بقباء كسجد الضرار وذهب آخرون الى أنه مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أخرج ابن أبي شيبة وأحمد وسلم والترمذي والنسائي وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن خزيمة وابن حبان وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري قال اختلف رجلان رجل من بني خدرة وفي لفظ تمارت أناور رجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى فقال الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال العمري هو مسجد قباء فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن ذلك فقال هو هذا المسجد لمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال في ذلك خير كثير يعني مسجد قباء وأخرج أحمد وغيره عن أبي بن كعب قال سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن المسجد الذي أسس على التقوى قال هو مسجدي هذا وعن زيد بن ثابت مر فوعا مثله عند الطبراني وغيره وفي الباب أحاديث كثيرة وقد جمع الشريف السهوي بين الأحاديث وقال كل منهما مراد لان كلامهما أسس على التقوى من أول يوم تأسيسه والسر في اجابته صلى الله عليه وآله وسلم السؤال عن ذلك مما في الحديث دفع ما يوهمه السائل من اختصاص ذلك بمسجد قباء والتشويه بجزية هذا على ذلك وهو غريب هناك وقد سبقه اليه السهلي في الروض الانف ولا يخفالك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد عين هذا المسجد الذي أسس على التقوى وجزم بأنه مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما تقدم من الأحاديث الصحيحة فلا يقاوم ذلك قول فرد من الصحابة ولا جماعة منهم ولا من غيرهم ولا يصلح لا يراده في مقابلة ما قد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الكرخي والتحقيق ان رواية تزولها في مسجد قباء لا تعارض تنصيصه صلى الله عليه وآله وسلم على انه مسجد المدينة فانها لا تدل على اختصاص أهل قباء بذلك انتهى ولا فائدة في ايراد ما ورد في فضل الصلاة في مسجد قباء فان ذلك لا يستلزم كونه المسجد الذي أسس على التقوى على ان ما ورد في فضائل مسجده صلى الله عليه وآله وسلم أكثر مما ورد في فضل مسجد قباء بلا شك ولا شبهة (من أول يوم) متعلق بأسس أي أسس على التقوى من أول يوم من أيام تأسيسه قال بعض النحاة ان من ههنا بمعنى منذ أي منذ أول يوم ابتدئ بنيانه ووضع أساسه قال السهلي نور الله مراده في الآية من الفتحة صحة ما اتفق عليه

نزلت في هذه الأمة وقال أبو غالب عن أبي أمامة في قوله وكانوا شيعا قال هم الخوارج وروى عنه مرفوعا ولا يصح وقال شعبة عن مجاهد عن الشعبي عن شريح عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا قال هم أصحاب البدع وهذا رواه ابن مردويه وهو غريب أيضا ولا يصح رفعه والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفا له فان الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وشرعه واحدا لا اختلاف فيه ولا افتراق فمن اختلف فيه وكانوا شيعا أي فرقا كان أهلا لذلك كأهل الملل والنحل والاعواء والضلالات فان الله تعالى قد برأ رسوله صلى الله عليه وسلم مما هم فيه وهذه الآية كقوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك الآية وفي الحديث نحن معاشر الانبياء أولاد علات ديننا واحد فهذا هو الصراط المستقيم وهو ما جاءت به

الصحابة

الرسول من عبادة الله وحده لا شريك له والتمسك بشريعة الرسول المتأخر وما خالف ذلك

فضلالات وجهالات وآراء وأهواء والرسول برآ منها كما قال الله تعالى لست منهم في شيء وقوله تعالى انما أمرهم الى الله ثم ينتهم بما كانوا يفعلون كقوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة الآية ثم بين لطفه سبحانه في حكمه وعدله يوم القيامة فقال تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزيه الا مثله وهم لا يظلمون) وهذه الآية الكريمة بفضلها لما أجل في الآية الاخرى وهي قوله من جاء بالحسنة فله خير منها وقد وردت

الاحاديث مطابقة لهذه الآية كما قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا عثمان حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا الجعد أبو
عثمان عن أبي رجا العطاردي عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما روى عن ربه تبارك
وتعالى ان ربكم عز وجل رحيم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر الى سبعمائة الى اضعاف
كثيرة ومن هم بسيدة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له واحدة أو يعجزها الله عز وجل ولا يهلك على الله الا هالك
ورواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث الجعد أبي عثمان به (١٦٣) وقال أحمد أيضا حدثنا أبو معاوية

حدثنا الاعمش عن المعمر بن
سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل من عمل حسنة
فله عشر أمثالها وأزيد من عمل
سيئة جزأ أو هامثلها أو أغفر ومن
عمل قراب الارض خطيئة ثم لقيني
لا يشرك بي شيئا جعلت له مثلها مغفرة
ومن اقترب الى شبرا اقتربت اليه
ذراعا ومن اقترب الى ذراعا اقتربت
اليه سباعا ومن أتاني يمشي أتيته
هرولة ورواه مسلم عن أبي كريب
عن أبي معاوية به وعن أبي بكر بن
أبي شيبه عن وكيع عن الاعمش
به ورواه ابن ماجه عن علي بن
الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا
شيبان حدثنا جاد حدثنا ثابت
عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له
عشر ومن هم بسيدة لم يعملها فلم يكتب
عليه شيء فان عملها كتبت عليه
سيدة واعلم أن تارك السيئة الذي

الصحابه رضوان الله عليهم أجمعين مع عمر رضي الله تعالى عنه حين شاورهم في التاريخ
فاتفق رأيهم على أن يكون من عام الهجرة لانه الوقت الذي عز فيه الاسلام والحين الذي
أمن فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبنيت المساجد وعبد الله كما يجب فوافق رأيهم
هذا ظاهر التنزيل وفهمنا الآن بفعلهم ان قوله تعالى من أول يوم ان ذلك اليوم هو أول
أيام التاريخ الذي يورخ به الآن فان كان الصحابة رضوان الله عليهم أخذوه من هذه
الآية فهو الظن بهم لانهم أعلم الناس بتأويل كتاب الله وأفهمهم بما في القرآن من
الاشارات وان كان ذلك على رأي واجتهاد فقد علمه الله وأشار الى صحته قبل ان يفعل
اذ لا يعقل قول القائل فعلته أول يوم الا بالاضافة الى عام معلوم أو شهر معلوم أو تاريخ
معلوم وليس ههنا اضافة في المعنى الا الى هذا التاريخ المعلوم لعدم القرائن الدالة على غيره
من قرينة لفظ أو حال فتدبره ففقيه معتبر لمن اذكر وعلم لمن رأى بعين فؤاد واستبصر
(أحق أن تقوم فيه) مصليا وأفعل التفضيل على غيرها أو المقاضاة باعتبار زعمهم
أو بالنظر لفي ذاته فان المخطور قصدهم ونيتهم والمعنى لو كان القيام في غيره جائز المكان
هذا أولى بقيامه فيه للصلاة ولذا كراته لكونه أسس على التقوى من أول يوم ولكونه
(فيه رجال يحبون أن يتطهروا) هذه الجملة مستأنفة لبيان أحقية قيامه صلى الله عليه
وآله وسلم فيه أي كان هذا المسجد أولى من جهة المحل فهو أولى من جهة الحال فيه ومعنى
محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحفظون عليه عند عروض موجهه يعنى من الأحداث
والجنائيات وسائر النجاسات وهذا قول أكثر المفسرين وقيل معناه يحبون التطهر
من الذنوب بالتوبة والاستغفار والاول أولى وقال الرازي المراد بها الظهارة من الذنوب
والمعاصي وعينه بوجه ثلاثة وقيل يحبون أن يتطهروا بالمحلى المطهرة للذنوب فمواجمعا
وهذا ضعيف جدا (والله يحب المطهرين) معنى محبة الله لهم الرضا عنهم والاحسان
اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه وأخرج ابن ماجه وابن المنذر وابن أبي حاتم والدارقطني
والحاكم عن أبي أيوب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك ان هذه الآية لما نزلت قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يا معشر الانصار ان الله قد أتى عليكم خيرا في الظهور وفي
ظهوركم هذا قالوا تواضعا للصلاة وتغتسل من الجنابة قال فهل مع ذلك غيره قالوا الا غير ان
أحدنا اذا خرج الى الغائط احب ان يستنجي بالماء قال هو ذلك فعليكم وهو في حديث

لا يعملها على ثلاثة أقسام تارة يتركها لله فهذا يكتب له حسنة على كفه عن الله تعالى وهذا عمل ونية ولهذا جاء انه يكتب
له حسنة كما جاء في بعض ألفاظ الصحيح فانما تركها من جرأتى أى من أجل وتارة يتركها نسيانا أو ذهولا عنها فهذا لا اله
ولا عليه لانه لم ينو خيرا ولا فعل شرا وتارة يتركها عجزا أو كسلا عنها بعد السعي في أسبابها والتلبس بما يقرب منها فهذا بمنزلة
فعلها كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فقاتل والمقتول في النار
قالوا يا رسول الله هذا القاتل فبال المقتول قال انه كان حرا يصاعلى قتل صاحبه قال الامام أبو يعلى الموصلي حدثنا مجاهد

التي تليها وزيادة ثلاثة أيام وذلك لان الله تعالى قال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الدهر كله واه الامام أحمد وهذا الفظه والنسائي وابن ماجه والترمذي وزاد فانزل الله تصديق ذلك في كتابه من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها اليوم بعشرة أيام ثم قال هذا حديث حسن وقال ابن مسعود من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها من جاء بلاه الا الله ومن جاء بالسيئة يقول بالشرك وهكذا جاء عن جماعة من السلف رضي الله عنهم أجمعين فيه حديث مرفوع الله أعلم بصحته لكني لم أراه من وجه ثبت (١٦٥) والاحاديث والآثار في هذا كثيرة جدا

وفيماذ كرفاية ان شاء الله وبه
الثقة (قل اني هداني ربي الى
صراط مستقيم دينا قيما لله
ابراهيم حنيفا وما كان من
المشركين قل ان صلاتي ونسكي
وحياي ومماتي لله رب العالمين
لا شريك له وبذلك أمرت وأنا اول
المسلمين) يقول تعالى أمر انبييه
صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين
أن يخبر بما أنعم الله به عليه من
الهداية الى صراطه المستقيم الذي
لا اعوجاج فيه ولا انحراف دينا قيما
أي ثابتا لله ابراهيم حنيفا وما كان
من المشركين كقوله ومن يرغب
عن ملة ابراهيم الامن سفته نفسه
وقوله وجاهدوا في الله حق جهاده
هو اجتباكم وما جعل عليكم في
الدين من حرج ملة أي بيكم ابراهيم
وقوله ان ابراهيم كان أمة قانتا لله
حنيفا ولم يكن من المشركين شاكرا
لا نعمه اجتباوه وهداه الى صراط
مستقيم وأتينا في الدنيا حسنة
وانه في الآخرة لمن الصالحين ثم
أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم
حنيفا وما كان من المشركين

عند أهل التصريف انتهى جعل الله سبحانه هذا مثلا لما بنوا عليه دينهم الباطل
المضجع بسرعة ثم قال (فانهار) الجرف أو الشفا أو بنيان الباني على شفا جرف هار (به)
أي بالبنيان أو المعنى انه طاح الباطل بالبنا والباني (في نار جهنم) قال ابن عباس صيرهم
تفاهقهم الى النار روى انهم رأوا الدخان حين حفر وأساسه وقال قتادة والله ماتنا هي
بنائهم حتى وقع في النار والباقي به للتعدي أو المصاحبة أي فانهار مصاحبا له وجاء
بالانهيار الذي هو الجرف ترجيحاً للمجاز وسبحان الله ما بلغ هذا الكلام وأقوى ترا كيبه
وأوقع معناه وأفصح مبناه عن جابر بن عبد الله قال لقد رأيت الدخان يخرج من مسجد
الضرار حيث انهار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخرجه الحاكم ومسدود
وابن جرير وغيرهم (والله لا يمدى القوم الظالمين) أي لا يوفقه للخير عقوبة لهم على
تفاهقهم ثم ذكر سبحانه ان بنيانهم هذا موجب لنزير بهم واستمرار ترددهم وشكهم فقال
(لا يزال بنيانهم) مصدر بمعنى اسم المفعول (الذي بنوا ربة في قلوبهم) أي شكوا ونفاقا
أي سبب ريبهم كأنه نفس الريية اما حال بنائه فظاهر واما حال هدمه فلانه رسخ به ما كان
في قلوبهم من الشر وتضعفت آثاره وأحكامه وقيل معنى الريية الحسرة والندامة
لانهم يندموا على بنيانه وقال المبرد أي حراره وغظاظا وقد كان هؤلاء الذين بنوا مسجد
الضرار منافقين شاكين في دينهم ولكنهم ازدادوا بهدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
له نفاقا وتسمي على الكفر ومقتلا للاسلام لما أصابهم من الغيظ الشديد وبدو الغضب
العظيم يهدمه ثم ذكر سبحانه ما يدل على استمرار هذه الريية ودوامها وهو قوله (الآن
تقطع قلوبهم) قطعاً وتفرق أجزاء ما بالموت أو بالسيف وقيل في القبور أو في النار
والمقصود ان هذه الريية دائمة لهم ماداموا أحياء ويجوز أن يكون ذلك التقطع تصوريا
لحلال زوال الريية وقيل معناه الآن يتوبوا توبة يتقطع بها قلوبهم بنداما وأسفعا على
تفريطهم وقرئ تقطع بالتخفيف والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أي الآن تقطع
يا محمد قلوبهم وتمكن منهم كل التمكن وقرئ ولو تقطعت قلوبهم وقرئ شاذا الى أن تقطع
على الغيبة أي لا يزالون كذلك الى أن يموتوا والمستثنى منه محذوف والتقدير في كل وقت
الوقت تقطع قلوبهم أو في كل حال الاحال تقطيعها (والله عليم) بعزائمهم (حكيم)
في جزاء جرائمهم (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) لما شرح

وليس يلزم من كونه أمر باتباع ملة ابراهيم الحنيفية ان يكون ابراهيم أكمل منه فيها لانه عليه السلام قام بها قيما عظيما وأكملت
له اكالاتا لم يسبقه أحد الى هذا الكمال ولهذا قال أنا خاتم الانبياء وسيد ولد آدم على الاطلاق وصاحب المقام المحمود الذي
يرغب اليه الخلق حتى الخليل عليه السلام وقد قال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن حفص حدثنا أحمد بن عصام حدثنا
أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة بن أبي سلمة بن كهيل سمعت زر بن عبد الله الهمداني يحدث عن ابن أبرى عن أبيه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أصبح قال أصبحنا على ملة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا وملة ابراهيم حنيفا وما كان من

المشركين وقال الامام احمد حدثنا يزيد بن اخبرنا محمد بن اسحق عن داود بن الحسين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاديان أحب الى الله تعالى قال الحنيفية السمحة وقال أحمد أيضاً حدثنا سليمان بن داود حدثنا شعيب بن الرجن عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذقني على منكبي لا نظن الى زفن الحبشة حتى كتبت التي ملئت فانصرفت عنه قال عبد الرحمن عن أبيه قال قال لي عروة ان عائشة قالت قال رسول الله (١٦٦) صلى الله عليه وسلم يومئذ يعلم يهودان في ديننا فسبحا اني أرسلت بجنيفية

الله تعالى فضايح المنافقين وقبائحهم بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك وذكراقتسامهم وفرع على كل قسم منها ما هو لا توثق به عاد على بيان فضيلة الجهاد والترغيب فيه وقد بالغ في ذلك على وجه لا مريد عليه حيث عبر عن قبوله أنفسهم وأموالهم التي بذلوه في سبيله وانابته اياهم بمقابلتها بالجنسة بالشراء فذكر الشراء لتمثيل على طريقة الاستعارة التبعية كما في قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ثم جعل المبسح الذي هو العمدة والمقصود أنفس المؤمنين وأموالهم وجعل الثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الا امر على العكس بان يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم ليسدل على ان المقصود في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها وسبيلها اليها اذا ناكل العناية بهم وبأموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قال بان لهم الجنة مبالغة في تقرر وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم كما انه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم وأصل الشراء بين العباد هو اخراج الشيء عن الملك بشيء آخر مثله أو دونه أو أنفع منه فهو لاء المجاهدون باعوا أنفسهم من الله بالجنة التي أعدها الله للمؤمنين أي بان يكونوا من أهل الجنة ومن يسكنها فقد جادوا بأنفسهم وهي أنفس الاعلاق والحدود بها غاية الجود وجاد الله عليهم بالجنة وهي أعظم ما يطلبه العباد ويتوسلون اليه بالاعمال والمراد بالانفس هنا أنفس المجاهدين وبالايمان ما يتقونه في الجهاد وفي جميع وجوه البر والطاعات ويدخل فيها الجهاد دخولا أوليا قال أهل المعاني لا يجوز ان يشتري الله شيئا في الحقيقة لان المشتري انما يشتري ما لا يملكه والاشياء كلها ملك لله عز وجل ولهذا قال الحسن أنفسنا هو خلقها وأموالنا هو رزقنا اياها لسكن جري هذا مجرى التلطف في الدعاء الى الطاعة والجهاد وجعل ذلك استبداداً وشراءً ودخلت الباء هنا على المتروك على بابها او سماها أبو البقاء بباء المقابلة كقولهم بقاء العوض وباء الثمنية وقرأ عمر بن الخطاب بالجنة عن جابر بن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم وهو في المسجد كبر الناس في المسجد فأقبل رجل من الانصار ثانياً يسطر في رداءه على عاتقه فقال يا رسول الله أنزلت هذه الآية قال نعم فقال الانصاري بيع ربيع لا تقبل ولا تستقبل وقد أخرج ابن سعد عن عبادة بن الصامت ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اشترط في بيعة العقبة على من باعوه من الانصار ان يشهدوا أن لا اله الا الله وأنه رسول الله وبقوا الصلوة ويؤتوا

سمحة أصل الحديث مخرج في الصحيحين والزيادة لها شواهد من طرق عدة وقد استقصيت طرقها في شرح البخاري والله الحمد والمنة وقوله تعالى قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين بامر الله تعالى ان يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك فان صلواته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له وهذا كقوله تعالى فصل لربك وانحر أي اخلص له صلواتك وذبحك فان المشركين كانوا يعبدون الاصنام ويذبحون لها فأمره الله تعالى بخالفهم والانحراف عما هم فيه والاقبال بالقصد والنية والعزم على الاخلاص لله تعالى قال مجاهد في قوله ان صلاتي ونسكي النسك الذبح في الحج والعمرة وقال الثوري عن السدي عن سعيد بن جبيرة ونسكي قال ذبحي وكذا قال السدي والفضائل وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف حدثنا أحمد بن خالد الذهبي حدثنا محمد بن اسحق عن يزيد بن

الزكاة

أبي حبيب عن ابن عباس قال ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عيد النحر بكبشين

وقال حين ذبحهما وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض خنيقاً وما أنا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وقوله عز وجل وانأول المسلمين قال قتادة أي من هذه الامة وهو كما قال فان جميع الانبياء قبله كلهم كانت دعوتهم الى الاسلام وأصله عبادة الله وحده لا شريك له كما قال وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون وقد أخبرنا تعالى عن نوح أنه قال لقومه فان توليتهم فاسألتكم من أجران أجرى الاعلى الله

وأمرت أن أكون من المسلمين وقال تعالى ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب بابني أن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون وقال يوسف عليه السلام رب قد آتيتني من الملك وعميتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت إلهي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا وإن كنتم مسلمين فقلوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين وقال تعالى إنا أنزلنا التوراة فيها هدى

ونور يحكمهم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والرايون واليهون والأخبار الآتية وقال تعالى وإذا وحيت إلى الحواريين إن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنوا واشهدنا بما مسلمون فأخبر تعالى أن بعث رسوله بالأسلام والكنهم متفاوتون فيه بحسب شرائعهم الخاصة التي ينسخ بعضها بعضها إلى أن نسخت بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم التي لا تنسخ أبداً بدين ولا تزال قائمة منصوراً وأعلامها منشورة إلى قيام الساعة ولهذا قال عليه السلام نحن معاشر الأنبياء وأولاد علات ديننا واحد فان أولاد العلات هم الأخوة من أب واحد وأمها شتى فالدين واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له وإن تنوعت الشرائع التي هي بمنزلة الأمهات كما أن أخوة الأخياف عكس هذا بنى الأم الواحدة من آباء شتى والأخوة الأعيان والأشقاء من أب واحد وأم واحدة والله أعلم وقد قال الامام احمد حدثنا ابو سعيد حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الماجشون حدثنا عبد الله بن الفضل الهاشمي عن

الزكاة والسمع والطاعة ولا يذعنوا في الأمر أهله ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأهلهم قالوا نعم قال قائل الانصار نعم لك هذا يا رسول الله فقال قال الجنة وأخرج ابن سعد أيضاً من وجه آخر وليس في قصة العقبة ما يدل على انها سبب نزول الآية (يقاتلون في سبيل) استئناف لبيان البيع الذي يقتضيه الاستبراء المذكور للبيان نفس الاستبراء لان قتالهم في سبيل الله ليس باشتراء من الله أنفسهم وأمواهم كما أنه قيل كيف يبيعونها بالجنة فقيل يقاتلون وقيل فيه معنى الأمر أي قاتلوا في سبيله ثم بين هذه المقابلة بقوله (فيقتلون) أعداء الله (ويقتلون) في طاعته والمراد انهم يقدمون على قتل الكفار في الحرب ويذلون أنفسهم في ذلك فان فعلوا فقد استحقوا الجنة وان لم يبع النمل عليهم بعد الإبلاء في الجهاد والتعرض للموت بالاقدم على الكفار وتقديم حالة القتالية على حالة المقتولية للإيدان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقاً لكون القتال بذلاً للنفس وفي قراءة بتقديم المبني للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة في الباب وايدان بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله بل بكونه أحب اليهم من السلامة أي فيقتل بعضهم ويقاتل الباقي يعني لا يشترط اجتماع الأمرين في الشخص الواحد بل يتحقق الفضل العظيم وان لم يوجد واحد من الوصفين كما اذا وجدت المضاربة من غير قتل بل يتحقق الجهاد بمجرد العزم وتكثير السواد (وعدا عليه حقاً) مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف أي وعدهم وعدا وحق ذلك الوعد حقاً أي محقق وثبت اخبار من الله سبحانه بان فريضة الجهاد واستحقاق الجنة بها قد ثبت الوعد من الله (في التوراة والانجيل والقرآن) أي كما وقع في القرآن وفيه وجهان أحدهما انه متعلق بأشترى وعلى هذا فاضحه دليل على ان الأمر بالجهاد موجود في جميع الشرائع ومكتوب على جميع أهل الملل وكل أمة وعهدت عليه بالجنة والثاني انه متعلق بمحذوف والمعنى وعدا مذكورا كما تنافي التوراة وعلى هذا فيكون الوعد بالجنة لهذه الأمة مذكورا في كتب الله المتزلة (ومن أوفى بعهد من الله) في هذا من تأكيدهم للترغيب للجماعدين في الجهاد والتنشيط لهم على بذل الانفس والاموال ما لا يخفى فانه أولاً أخبر بانه قد اشترى منهم أنفسهم وأمواهم بان لهم الجنة وجاءت هذه العبارة التخييمية وهي كون الجنة قد صارت ملكاً لهم ثم أخبر بانها بانه قد وعد بذلك في كتبه المتزلة ثم أخبر بانها بانه وعد هذه الأمة بالجنة الصادق لا بد من حصول الموعد به

الاعرج عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا كبر استفتح ثم قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئاً وما أنا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين الى آخر الآية اللهم انت الملك لا اله الا انت أنت ربّي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً لا يغفر الذنوب الا أنت واهدني لاجناتك لا يمدى لاجناتك الا أنت واصرف عني سيئتها لا يصرف عني سيئتها الا انت تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك ثم ذكر تمام الحديث فيما يقوله في الركوع والسجود والتمهيد وقدرناه مسـلم في صحيحه (قل أعز الله أبعي ربنا وهو رب كل شيء ولا تسكب كل نفس الاعليها ولا تزروا زوراً اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) يقول

تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله في اخلاص العبادة له والتوكل عليه غير الله ابي رباي اطلب يا سواه وهو رب كل شيء يربني ويحفظني ويكافئ ويدبر امرى اى لا اتوكل الا عليه ولا ائيب الا اليه لانه رب كل شيء ومليكه وله الخلق والامر في هذه الآية الامر باخلاص العبادة والتوكل كما تضمنت الآية التي قبلها اخلاص العبادة لا لشريك له وهذا المعنى يقرب بالآخر كثيرا كقوله تعالى فرشد العبادة ان يقولوا اياك نعبد واياك نستعين وقوله فاعبدوه وتوكل عليه وقوله قل هو الرحمن امانه وعليه توكلنا وقوله رب المشرق والمغرب لا اله الا هو (١٦٨) فاتخذوه كيلا واشباه ذلك من الآيات وقوله تعالى ولا تكسب

فانه لا احد اوفى بعهد من الله سبحانه وهو صادق الوعد لا يخلف الميعاد فان اخلاف الوعد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع امكان صدوره منهم فكيف يجنب الخلاق الغنى عن العالمين جل جلاله فالجملة اعتراض مقر بلضنون ما قبله من حقيقة الوعد على نهج المبالغة في كونه اوفى بالعهد من كل وافي ثم زادهم سرورا وحبورا فقال (فاسبئشروا بديعكم) البشارة هي اظهار السرور وظهوره يكون في بشرة الوجه ولذا يقال اسارير الوجه اى التي يظهر فيها السرور والسين ليست للطلب كاستوقدوا وقد بل للمطاوعة وقد تقدم اوضح هذا والفاء لترتيب الاستبشار والاخر به على ما قبله والمعنى اظهروا السرور وافرحو اغاية الفرح بهذا البيع (الذي بايعتم به) الله عز وجل فقد ربيتم فيه رب يحالم يربح احد من الناس الامن فعل مثل فعلكم وفيه انتفات عن الغيبة تشرى فالفهم على تشرى فزيادة تسرورهم على سرور وفيه زيادة فقرير يبعهم واشعار بكونه مغاير السائر البياعات فانه يسع للفاني بالباقي وكلا البدين له سبحانه وتعالى والاشارة بقوله (ذلك) الى الجنة اولى الى نفس المبيع الذي ربحوا فيه الجنة (هو الفوز العظيم) وصف الفوز وهو الظفر بالمطلوب بالعظيم يدل على انه فوز لا فوز مثله قال عمر بن الخطاب ان الله بايعك وجعل الصفقتين لك وقال الحسن اسمعوا الى بيعة تريحه بايع الله بها كل مؤمن وعنده ان الله اعطاك الدنيا فاشتر الجنة ببعضها وقال قتادة نامتهم فاغلى لهم وقال الصادق ليس لابنائكم من الجنة فلا تبغوها الا بها (التائبون) رفع على المدح اى هم التائبون يعنى المؤمنين والتائب الراجع اى هم الراجعون الى طاعة الله عن الحالة المخالفة للطاعة وقال الزجاج عندي ان قوله التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمرا اى التائبون ومن بعدهم الى آخر الآية لهم الجنة ايضا وان لم يجاهدوا وقال وهذا احسن اذ لو كانت هذه اوصاف المؤمنين المذكورين لكان الوعد خاصا بالجاهدين وقد ذهب الى هذا طائفة من المفسرين وقيل ان الخبر قوله الامر وقيل ان التائبون يدل من الضمير المستتر في يقائلون وذهب آخرون الى ان هذه الاوصاف راجعة الى المؤمنين في الآية الاولى وانها على جهة الشرط اى لا يسحق الجنة بتلك المبايعة الا من كان من المؤمنين على هذه الاوصاف وبه قال ابن عطية وقيل غير ذلك وجوز صاحب الكشاف ان يكون التائبون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده اخبار كذلك اى التائبون

كل نفس الاعيان اول تزوارة وزر أخرى اخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله ان النفوس انما تجازى بأعمالها ان خيرا خيرا وان شرا شرا وان لا يحتمل من خطيئة احد على احد وهذا من عدله تعالى كما قال وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى وقوله تعالى فلا يخاف ظمالم ولا هضما قال علماء التفسير اى فلا يظلم بأن يحمل عليه سيئات غيره ولا يهضم بأن ينقص من حسنة انه قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين معناه كل نفس مرتبطة بعمالها السيئة الا اصحاب اليمين فانه قد يعود بركة أعمالهم الصالحة على ذرياتهم (١) بايمان الحقنا بهم ذرياتهم في المنزلة الرفيعة في الجنة وان لم يكونوا قد شاركوهم في الاعمال بل في اصل الايمان وما آلتناهم اى نقصنا اوائلك السادة الرفعاء من أعمالهم شيئا حتى ساويناهم وهؤلاء الذين هم انقص منهم منزلة بل رفعهم تعالى الى منزلة الآباء ببركة أعمالهم بفضله ومنته ثم قال كل امرئ

بما كسب رهين اى من شر وقوله ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اى اعمالوا على مكاتبتكم عن انعاملون على ما كنتم عليه فستعرضون ونعرض عليه وينبئنا واياكم بأعمالنا واعمالكم وما كنا نختلف فيه في الدنيا كقوله قل لا تسئلون عما أجرمتنا ولا نسنئلهما انما نعلمون قل يجمع بيننا وبيننا بالحق وهو الفتاح العليم وقوله تعالى (وهو الذى جعل لكم خلاصا من الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلبواكم فيما آتانا كم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم) (١) قوله على ذرياتهم بايمان الخ هكذا في الاصل ولعل فيه سقطا والاصل على ذرياتهم كما قال تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان الخ ونور اه صححه

يقول تعالى وهو الذي جعل لكم خلائف الارض أى جعلكم تعمرونها جبالا بعد جبال وقرنا بعد قرن وخلفاء بعد سلف قال ابن زيد وغيره كقوله تعالى ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وقوله عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون وقوله ورفع بعضكم فوق بعض درجات أى فاوت بينكم في الارزاق والاخلاق والحاسن والمساوي والمناظر والاشكال والالوان وله الحكمة في ذلك كقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وقوله انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض (١٦٩) وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا

وقوله تعالى ليلوكم فيما آتاكم أى ليختبركم في الذي أنعم به عليكم أى امتحنكم ليختبر الغنى في غناه ويسأله عن شكره والنقير في فقره ويسأله عن صبره وفي صحيح مسلم من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فانظروا ما تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بنى اسرائيل كانت في النساء وقوله تعالى ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم تهيب وترغب ان حسابها وعقابها سريع عن عصاه وخالف رساله وانه لغفور رحيم لمن والاه واتبع رساله فيما جاؤ به من خير وطلب وقال محمد بن اسحق ليرحم العباد على ما فهم رواه ابن أبي حاتم وكثيرا ما يقسرن الله تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين كقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب وقوله نبي عبادي انى أنا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم الى غير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب فتارة يدعو عباده اليه

عن الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وفيه من البعد ما لا يخفى ثم قيل المراد به التوبة عن الشرك والبراءة من النفاق وقيل من كل معصية وقيل من جميع المعاصي لان اللفظ عام يتناول الكل وحاصل ما ذكره اوصاف تسعة الستة الاولى تتعلق بمعاملة الخالق والسابع والثامن يتعلقان بمعاملة المخلوق والتاسع بعم القسيلين قاله الحسنائى وأتى بترتيب هذه الصفات في الذكر على أحسن نظم وهو ظاهر بالتأمل فانه قدم التوبة والأثم ثنى بالعبادة الى آخرها (انعابدون) أى القائلون بما أمروا به من عبادة الله مع الاخلاص (الحامدون) الذين يحمدون الله سبحانه على كل حال في السراء والضراء ويقومون بشكره على جميع نعمه دنيا وأخرى (السائحون) السياحة في اللغة أصلها الذهاب على وجه الارض كما يسبح الماء وهى مما يعين العبد على الطاعة لا تقطاعه عن الخلق ولما يحصل له من الاعتبار بالتفكير في مخلوقات الله سبحانه فالسياحة لها أثر عظيم في تهذيب النفس وتحسين أخلاقها وفي القاموس السياحة بالكسر الذهاب في الارض للعبادة ومنه المسيح بن مريم وذكرت في اشتقاقه خمسين قولاً في شرحي المختصر الجارى والسائح الصائم الملازم للسياحة قيل هم الصائمون واليه ذهب جمهور المفسرين وبه قال ابن مسعود ومنه قوله تعالى عابدات سائحات وانما قيل للصائم سائح لانه يترك اللذات كلها كما يترك السائح في الارض قاله سفيان بن عيينة وقال الازهرى سمي الصائم سائحاً لان الذى يسبح في الارض متعبداً لادامته فكان ممسكاً عن الاكل وكذلك الصائم ممسك عنه قال الزجاج ومذهب الحسن ان السائحين هنا هم الذين يصومون القرض وقيل انهم الذين يديون الصيام وقال عطاء السائحون هم الغزاة والمجاهدون وقال عبد الرحمن ابن زيد هم المهاجرون وقال عكرمة هم الذين يسافرون لطلب الحديث وقيل هم الحائرون بأفكارهم في توحيد ربهم وملكوته وما خلق من العبر وقيل هم طلبة العلم مطلقاً لانهم ينتقلون من بلد الى بلد في طلبه ويسجون في الارض يطلبونه من مظانه ويدخل فيه طالب الحديث دخولاً اولياً (الراكعون الساجدون) معناه المصلون المحافظون على الصلوات وعبر عنها بالانهم معظم أركانها وهيما يتماز المصلي من غيره بخلاف غيرها كالقيام والقعود لانهما حال المصلي وغيره (الأمرون بالمعروف) أى القائلون بأمر الناس بما هو معروف في الشريعة (والناهون عن المنكر) أى القائلون بالانكار على

(٢٢ - فتح البيان ح) بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فمالديه وتارة يدعوهم اليه بالرهبة وذكر النار وانكاليها وعذابها والقيام وأهوالها وتارة بما ليخضع في كل بحسبه جعلنا الله ممن أطاعه فيما أمر وترك ما عنته منى وزجر وصدقه فيما أخبر انه قريب مجيب سميع الدعاء جواد كريم وهاب وقد قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا زهير عن العلاء عن أبيه عن أنى هرة مروان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنسه أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط أحد من الجنة خلق الله مائة درجة فوضع واحدة بين خلقه يتراجون بها وعند الله تسعة وتسعون ورواه الترمذى عن قتيبة عن

عبد العزيز الدراويزدي عن العلامة وقال حسن ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وقتيبة وعلى بن حجر ثلاثتهم عن اسمعيل بن جعفر عن العلامة وعنه أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رجتي تغيب غضبي وعنه أيضا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل في الارض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه رواه مسلم * آخر تفسير سورة الانعام والله الحمد والمنة (١٧٠) * (تفسير سورة الاعراف وهي مكية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتندربه وذكري للمؤمنين اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) قد تقدم الكلام في أول سورة البقرة على ما يتعلق بالحروف وبسببته واختلاف الناس فيه قال ابن جرير حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا أبي عن شريك عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس المص أن الله أفصل وكذا قال سعيد بن جبير كتاب أنزل اليك أي هذا كتاب أنزل اليك أي من ربك فلا يكن في صدرك حرج منه قال مجاهد وقادة والسدى شك منه وقيل لا يخرج به في ابلاغه والاندابه فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولهذا قال لتندربه أي أنزلناه اليك لتندربه الكافرين وذكري للمؤمنين ثم قال تعالى مخاطبا للعالم اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم أي اقتفوا آثار النبي الامي الذي جاءكم بكتاب أنزل اليكم من رب كل شيء ومليكه ولا تتبعوا من دونه أولياء أي لا تتخرجوا عما جاءكم به الرسول الى غيره

من فعل منكر أي شيئا يتكره الشرع قال الحسن اما انهم لم يأمروا الناس بالمعروف حتى كانوا من أهله ولم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه لم يأت بعاطف بين هذه الاوصاف لمناسبتها لبعضها الا في هذين الوصفين للامانة بينهما اذا لا اول طلب فعل والثاني طاب ترك أو كف (والحافظون لحدود الله) أي القائمون بحفظ شرائعه التي أنزلها الله في كتبه وعلى لسان رسوله وقيل بطاعة الله وقال الحسن بن بقرائض الله وهم أهل الوفاء ببيعة الله وقيل بأوامره ونواهيه أو بمعالم الشرع وقيل ان العطف في الصفات يجي بالواو وبغيرها كقوله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وقيل ان الواو زائدة وقيل هي واو الثمانية المعروفة عند النحاة كما في قوله تعالى ثيبات وأبكارا وقوله ففتح أبوابها وقوله سبعة وثامنهم كلبهم وقد انكروا واو الثمانية أبو علي الفارسي وناظره في ذلك ابن خالويه قال الخفاجي وقائل هذا القول يعني كون السبع عددا تاما هو أبو البقاء تبعه غيره من أثبت واو الثمانية وهو قول ضعيف لم يرضه النحاة كما فصله صاحب المغني اه والحافظ بن القيم في البدائع (وبشر المؤمنين) الموصوفين بالصفات السابقة بالجنة عن ابن عباس قال من مات على هذه التسعة فهو في سبيل الله ومن مات وفيه تسعة فهو شهيد وفيه اظهار في مقام الاضمار للتبسيه على عهد الحكم أي سبب استحقاتهم الجنة هو ايمانهم وحذف المشر به خروجه عن حد البيان (ما كان) أي لا يصح ولا ينبغي ولا يجوز (للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) لما بين الله سبحانه في أول السورة وما بعده ان البراءة من المشركين والمنافقين واجبة بين سبحانه ههنا ما يزيد ذلك تأكيذا وصرح بان ذلك متحتم (ولو كانوا أولى قربي) فان القرابة في مثل هذا الحكم لا تأثر لها وقد ذكر أهل التفسير ان ما كان في القرآن يأتي على وجهين الاول على النفي نحو ما كان لنفس ان تموت الا باذن الله والاخر على النهي نحو ما كان لسكم أن تؤذوا رسول الله (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) هذه الجملة تتضمن التعليل للنهي عن الاستغفار والمعنى ان هذا التبين موجب لقطع المواقف ان كان هكذا وعدم الاعتماد بالقرابة لانهم ما توارى على الشرك وقد قال سبحانه ان الله لا يغفر أن يشرك به فطلب المغفرة لهم في حكم المخالفة لوعده الله ووعده عن علي قال أخبرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بموت أبي طالب فبكي فقال اذهب فغسله وكفنه واره غفر الله له ورحمه فقعلت وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستغفر له أياما

فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله الى حكم غيره قليلا ما تذكرون كقوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقوله ولا وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله الآية وقوله وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون (وكم من قرية أهلكناها بخاؤها بأسنا بناتنا وهم قاتلون فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسالن الذين أرسل اليهم ولنسالن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) يقول تعالى وكم من قرية أهلكناها أي بجحافلهم فاعقبهم ذلك خزي الدنيا موصولا بذل الآخرة كما قال تعالى ولقد استترى برسول من قبلك فحاق بالذين يخزوا منهم ما كانوا به يستترزون وكقوله فكأين من قرية هلكناها وهي ظالمة نهى خاوية على عروشها وبتر معطله وقصر مشيد وقال تعالى وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتأفك

مساكنهم تسكن من بعدهم الا قليلا وكما نحن الوارثين وقوله بقاءها بأسنا بيانا وهم قائلون أي فسكان منهم من جاءه أمر الله وبأسه ونقمته بيانا أي لئلا وهم قائلون من القليلة وهي الاستراحة وسط النهار وكلا الوقتين وقت غفلة ولهو وكما قال أفامن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا بيانا وهم نائمون أو آمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا نحى وهم يلعبون وقال أفامن الذين مكر والسبات أن يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في قلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم وقوله فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين (١٧١) أي فما كان قولهم عند مجي العذاب

الا ان اعترفوا بذنوبهم وانهم حقيقون بهذا كقوله تعالى وكم قصصنا من قريته كانت ظالمين الى قوله حامدين قال ابن جرير في هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم حدثنا بذلك ابن حميد حدثنا جرير عن ابن سنان عن عبد الملك بن ميسرة الزراد قال قال عبد الله بن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم قال قلت لعبد الملك كيف يكون ذلك قال فقرا هذه الآية فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين وقوله فلنستأمن الذين أرسل اليهم الآية كقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين وقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب فيسأل الله الامم يوم القيامة عما أجاوبوا رسوله فيما أرسلهم به ويسأل الرسل أيضا عن ابلاغ رسالتهم ولهذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسيره هذه الآية فلنستأمن الذين أرسل اليهم

ولا يخرج من يته حتى نزل عليه ما كان للنبي الآية وقد روى في سبب نزول الآية استغفار النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابي طالب من طرق كثيرة وأصله في الصحيحين وما فيه ما تقدم على ما لم يكن فيها ما على فرض انه صحيح فكيف وهو ضعيف غالبه وقيل ان أريد بطلب المغفرة للكافر هذه الآية للاسلام قبل الموت جازا الاستغفاره وان أريد به ان يغفر ذنبه مع بقاءه على الكفر لم يجز ففهم هذه الآية فيه تفصيل وهذه الآية متضمنة لقطع الموالاته للكفار وتحريم الاستغفار لهم والدعاء بما لا يجوز لمن كان كافرا ولا ينافي هذا ما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيح انه قال يوم أحد حين كسر المشركون ربا عبيته وشجوا وجهه اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون لانه يمكن ان يكون ذلك قبل ان يبلغه تحريم الاستغفار لهم وعلى فرض انه قد كان بلغه كما يفيد سبب النزول فانه قبل يوم أحد مدة طويلة فصددور هذا الاستغفار منه لقومه انما كان على سبيل الحكاية عن تقدمه من الانبياء كافي صحيح مسلم عن عبد الله قال كفى أنظر الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحكي نبيا من الانبياء ضربه قومه وبيع الدم عن وجهه ويقول رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون (وما كان استغفار ابراهيم لايه) بقوله واغفر لابي أي بأن توفقه للايمان وتهديه اليه وجه تعلق هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما بالغ في وجوب الانقطاع عن المشركين الاحياء منهم والاموات بين أن هذا الحكم غير مختص بدين محمد صلى الله عليه وآله وسلم بل هو مشروع أيضا في دين ابراهيم فتكون المبالغة في وجوب الانقطاع أكمل وأقوى (الا عن موعده وعدها اياه) ذكر سبحانه السبب في استغفار ابراهيم لايه انه كان لاجل وعد تقدم من ابراهيم لايه بالاستغفاره والاستثناء مفرغ من أعم العلل أي لم يكن استغفاره لايه ناشئا عن شيء ولا لاجل شيء الا عن موعده مبنية على عدم تبين أمره وعدها اياه أي لاجلها (فلما تبين له انه عدو لله) مصر على العداوة والكفر واستمر عليه وانه غير مستحق للاستغفار بموته على الكفر (تبرأ منه) وترك الاستغفاره وهذا يدل على انه انما وعدته قبل أن يتبين له انه من أهل النار ومن أعداء الله فلا حاجة الى السؤال الذي يورده كثير من المفسرين انه كيف خفي ذلك على ابراهيم فانه لم يخف عليه تحريم الاستغفار لمن أصر على الكفر ومات عليه وهو لم يعلم ذلك الا باخبار الله سبحانه بانه عدو لله فان ثبوت هذه العداوة يدل على الموت على الكفر وكذلك لم يعلم نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بتحرير ذلك

ولنستأمن المرسلين عما بلغوا وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا أبو سعيد الكندي حدثنا الحارثي عن ليث عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالامام يستأمن عن الرجل والرجل يستأمن عن أهله والمرأة تستأمن عن بيت زوجها والعبد يستأمن عن مال سيده قال الليث وحدثني ابن طاوس مثله ثم قرأ فلنستأمن الذين أرسل اليهم ولنستأمن المرسلين وهذا الحديث مخرج في الصحيحين بدون هذه الزيادة وقال ابن عباس في قوله فلنستأمن عليهم يعلم وما كنا غائبين يوضع الكتاب يوم القيامة فيستأمن بما كانوا يعملون وما كنا غائبين يعني انه تعالى يخبر عباده يوم القيامة بما قالوا وبما عملوا من قليل وكثير وجليل وحقيق لانه تعالى الشهيد على كل شيء لا يغيب عنه شيء ولا يغفل عن شيء بل

هو العالم بخاتمة الاعين وما تحق الصدور وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب
مبين (والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا
بآياتنا ينظّمون) يقول تعالى والوزن أى للاعمال يوم القيامة الحق أى لا يظلم تعالى أحدا كقوله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة
فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة
بضاعفها ويؤت من لده أجر اعظما وقال تعالى (١٧٢) فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأما

هاوية وما أدراك ما هية نار حاميه
وقال تعالى فاذا نفخ في الصور فلا
أسباب بينهم يومئذ ولا يتساولون فمن
ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون
ومن خفت موازينه فأولئك الذين
خسروا أنفسهم في جهنم خالدون
* (فصل) والذى يوضع في الميزان
يوم القيامة قيل الاعمال وان
كانت أعراضا الأأن الله تعالى
يقلمها يوم القيامة أجساما قال
البعغوي يروى هذا عن ابن عباس
كما جاء في الصحيح أن البقرة
وآل عمران يأتیان يوم القيامة
كأنهم ما غمما تان أو غيبتان
أو فرقان من طير صواف ومن ذلك
في الصحيح قصة القرآن وأنه يأتي
صاحبه في صورة شاب صاحب
اللون فيقول من أنت فيقول أنا
القرآن الذى أسهيت بالملك وأظلمات
نهارك وفي حديث البراء في قصة
سؤال القبر فيأتى المؤمن شاب
حسن اللون طيب الريح فيقول
من أنت فيقول أنا ملك الصالح
وذكر عكسه في شأن الكافر
والمنافق وقيل يوزن كتاب الاعمال
كما جاء في حديث البطاقة في الرجل
الذى يؤتى به ويوضع له في كفة تسنة

الابعدان أخبره الله بهذه الآيه وهذا حكم انما ثبت بالسمع لا بالعقل وقيل المراد من
استغفار ابراهيم لا يسه دعاءه الى الاسلام وهو ضعيف جدا وقيل المراد به هنا النهى عن
الصلاة على جنائز الكفار فهو وكقوله تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا حاجة الى
تفسير الاستغفار بالصلاة ولا ملحق الى ذلك ثم ختم الله سبحانه هذه الآيه بالنساء العظيم على
ابراهيم فقال (ان ابراهيم) استئناف مسوقا لبيان الحامل له على الاستغفار قبل النبيين
فليس لغيره أن يقتدى به فيه اذ ليس لغيره ماله من الرأفة والرفقة فلا بد من أن يكون غيره
أكثر اجتنابا وتبريا (لا آواه) هو كثير التأوه كما تدل على ذلك صيغة المبالغة وبه قال كعب
الاحبار وهو كناية عن فرط ترجمه ورقة قلبه والتأوه أن يقول الرجل عند الشكاية
والتوجع آه وقد آوه الرجل تأوهم وآووه وآووها إذا قال آووه أى أتوجع وحكى قطرب يقال
آه يؤه كقيام يقوم أوها أوها ونكر النحويون هذا القول عليه وقالوا لا يقال من آوه فعل
ثلاثي وقد اختلف أهل العلم في معنى الاواه فقال ابن مسعود وعبيد بن عمير انه الذى يكثر
الدعاء وقال الحسن وقتادة انه الزعيم بعباد الله وروى عن ابن عباس انه المؤمن
التواب بلغة الحبش وقال الكلبي انه الذى يذكر الله في الارض القفر وروى مثله عن
ابن المسيب وقيل الذى يكثر الذكرك من غير تقييد روى ذلك عن عقبه بن عامر وقيل هو
الذى يكثر التلاوة وقيل انه الفقيه قاله مجاهد والنخعي وقيل المتضرع الخاضع روى
ذلك عن عبد الله بن شداد وقيل الموقن قاله مجاهد وقيل هو الذى اذا ذكر خطايا
استغفراها روى ذلك عن أبي أيوب وقيل هو الشفيق قاله عبد العزيز بن يحيى وقيل
هو المسبح قاله سعيد بن جبير وقال أبو عبيدة هو المتأوه شفقار وفرقا للمتضرع ايقانا
وزن ومالطاعة قال الزجاج انتظم في قول ابى عبيدة جميع ما قيل في الاواه وقيل انه المعلم
للخير وقيل انه الراجع عن كل ما يكرهه الله الخائف من النار قاله عطاء المطابق لمعنى
الاواه لغة أن يقال انه الذى يكثر التأوه من ذنوبه فيقول مثلأه من ذنوبي أمهأ عاقب به
بسيما ونحو ذلك وبه قال الفراء وهو مروي عن أبي ذر وكان ابراهيم عليه السلام يكثر
أن يقول آووه من النار قبل أن لا ينفذ آووه وأصله من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوت من
تنفس الصعداء والفعل منه آووه قال في الصحاح وقد آوه الرجل تأوهم وآووه وآووها
والاسم منه الآه بالمد قال المنقب العبدى

وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يؤتى بذلك البطاقة فيها لا اله الا الله فيقول يارب وما هذه البطاقة مع
هذه السجلات فيقول الله تعالى انك لا تطعم فتوضع تلك البطاقة في كفة الميزان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاشت السجلات
وثقلت البطاقة روى الترمذى بنحو من هذا وصححه وقيل يوزن صاحب العمل كما في الحديث يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين فلا
يزن عند الله جناح بعوضة ثم قرأ فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا وفي مناقب عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أنجبون
من دقة سابقه والذى نفسى بيده لهم ما في الميزان أثقل من أحد وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحا فتارة توزن
الاعمال وتارة يوزن عملها تارة يوزن فاعلمها والله أعلم (ولقد مكأكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون) يقول تعالى

ممتناعي عبده فيما يمكن لهم من أنه جعل الارض قرارا وجعل فيها رواسي وأنهارا وجعل لهم فيها منازل ويوتاوايح لهم منافعها وسخر لهم السحاب لخراج أرزاقهم منها وجعل لهم فيها معاش أي مكاسب وأسبابا يكسبون بها ويتجرون فيها وأكثرهم مع هذا قليل الشكر على ذلك كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظالم كفار وقد قرأ الجميع معاش بلا همز الا عبد الرحمن ابن هرمز الاعرج فانه همزها والصواب الذي عليه الا كثرون بلا همز لان معاش جمع معيشة من عاش يعيش عيشا ومعيشة أصلها معيشة فاستقلبت الكسرة على الباء فنقلت الى العين فصارت معيشة فلما جمعت (١٧٣) رجعت الحركة الى الباء لزوال الاستئصال

فقيل معاش ووزنه مفاعل لان الباء أصلية في الكلمة بخلاف مدائن وصحائف وبصائر جمع مدينة وصحيفة وبصرة من مدن وصحفا وبصرقان المياه فيها زائدة ولهذا تجتمع على فعائل وهم زائد ذلك والله أعلم (واقدم خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين) ينيه تعالى بني آدم بهذا على شرف أبيهم آدم وبين لهم عداوة عدوهم ابليس وما انطوى عليه من الحسد لهم ولا ييهم آدم ليحذروه ولا يتبعوا طرائقه فتعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وهذا كقوله تعالى واذا قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من جاماسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وذلك انه تعالى لما خلق آدم عليه السلام بيده من طين لازب وصوره بشرا ونفخ فيه من روحه أمر الملائكة بالسجود له تعظيما لشأن الرب تعالى جلاله فسمعوا كلهم وأطاعوا الا ابليس لم يكن من الساجدين وقد تقدم الكلام على ابليس في أول تفسير سورة البقرة وهذا الذي قرناه هو

اذا ماقت أرسلها بليل * تاؤه آهة الرجل الحزين

وعن ابن شداد بن الهاد قال قال رجل يارسول الله ما الاواة قال الخاشع المتضرع في الدعاء أخرجه ابن جرير وأبو الشيخ وابن أبي حاتم وفيه شهر بن حوشب فيه الخلاف وهذا ان ثبت وجوب المصير اليه وتقديمه على ما ذكره أهل اللغة في معنى الاواة (حليم) الكثير الخلق كما تفيده صيغة المبالغة وهو الذي يصفح عن الذنوب ويصبر على الاذى ثم يقابله بالاحسان واللطف كما فعل ابراهيم مع أبيه حين قال له لئن لم تنته لارجنك فأجابته بقوله سلام عليك سأستغفر لك ربي وقيل الذي لا يعاقب أحدا قط الا الله قال ابن عباس كان من حمله اذا آذاه الرجل من قومه قال له هداك الله وقيل الحليم السيد (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم) لما نزلت الآية المتقدمة في النهي عن الاستغفار للمشركين خاف جماعة مما كان يستغفر لهم العقوبة من الله بسبب ذلك الاستغفار فأنزله الله هذه الآية أي ان الله سبحانه لا يوقع الضلال على قوم ولا يسيهم ضالا لا بعد ان هداهم الى الاسلام والقيام بشرائعه ما لم يقدموا على شيء من المحرمات بعد ان تبين لهم انه محرم وأما قبل ان تبين لهم ذلك فلا ثم عليهم ولا يؤاخذون به وهذا مثل قوله في آل عمران بعد اذ هديتنا وفيه وجهان أي بعد ان هداهم أو بعد وقت هداهم فيه يعني اذ بمعنى أن أو انظر في معنى وقت (حتى بين لهم ما يتقون) أي ما يجب عليهم اتقاؤه من محرمات الشرع وقال الضحالك ما يأتون وما يذرون وقال مقاتل والسكبي هذافي المنسوخ أي ما كان الله ليبطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى بين الناسخ قال ابن عباس نزلت حين أخذوا الفداء من المشركين يوم الاسارى قال لم يكن لكم ان تأخذوه حتى يؤذن لكم ولا يكن ما كان الله ليعذب قوما بذنوبهم حتى بين لهم ما يتقون أي ينهاهم قبل ذلك وقال مجاهد بيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وبيان لهم في طاعته ومعصيته عامة فافعلوا وأتركوها (ان الله بكل شيء عليم) مما يجعل لعباده ويحرم عليهم ومن سائر الاشياء التي خلقها ومنه مستحق الاضلال والهداية ثم بين لهم (ان الله) سبحانه (له ملك السموات والارض) لا يشاركه في ذلك مشارك ولا يارعه منازع يتصرف في ملكه بما يشاء من التصرفات التي من جملتها انه (يحبى ويميت) من قضت مشيئته باحيائه وباماته (وما لكم) أي عباداه (من دون الله من ولي) يواليهم (ولا نصير)

اختيار ابن جرير ان المراد بذلك كنه آدم عليه السلام وقال سفيان الثوري عن الأعشى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال خلقوا في أصلاب الرجال وصوروا في أرحام النساء واه الحماكم وقال صحيح على شرطهما ولم يخترجاه ونقل ابن جرير عن بعض السلف أيضا ان المراد بخلقناكم ثم صورناكم الذرية وقال الربيع بن أنس والسدي وقناة والضحاك في هذه الآية ولقد خلقناكم ثم صورناكم أي خلقناكم ثم صورناكم الذرية وهذا فيه نظر لانه قال بعده ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فدل على ان المراد بذلك آدم وانما قيل ذلك بالجمع لانه أبو البشر كما يقول تعالى ليني اسراييل الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وظلنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى والمراد بأوهم الذين كانوا في زمن موسى ولا يكن لما كان ذات (٤) قوله أي عباداه وقوله بعد يواليهم كذا في أصله اه

منه على الآباء الذين هم أصل صار به كانه واقع على الابدان وهذا بخلاف قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين الالوة فان المراد آدم والخلق من السلاله ذريته مخلوقون من نطفه وصح هذا لان المراد خلقنا الانسان الجنس لامعينا والله اعلم قال مامنعك ألا تسجد إذا أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال بعض الحنابلة في توجيه قوله تعالى أن لا تسجد إذا أمرتك لا هنا زائدة وقال بعضهم زيدت لتأكيد الجحد كقول الشاعر * ما أن رأيت ولا سمعت بمثله * فأدخل ان وهى للنبي على ما النافمة لتأكيد النبي قالوا وكذا هنا مامنعك أن لا تسجد (١٧٤) مع تقدم قوله لم يكن من الساجدين حكاهما ابن جرير وردهما واختاران

منعك يضمن معنى فعل آخر تقديره ما أحوحك وألزمك واضطرك أن لا تسجد إذا أمرتك ونحو هذا وهذا القول قوى حسن والله أعلم وقول ابليس لعنه الله أنا خير منه من العذر الذي هو أكبر من الذنب كانه امتنع من الطاعة لانه لا يؤمر بالناضل بالسجود للمفضل بعني لعنه الله وأنا خير منه فكيف تأمرني بالسجود له ثم بين انه خير منه بانه خلق من نار والنار أشرف مما خلقت منه وهو الطين فظفر اللعين الى أصل العنصر لم ينظر الى التشريف العظيم وهو ان الله تعالى خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه وقاس قياسا فاسدا في مقابلة نص الله قوله تعالى ففعلوا له ساجدين فشد من بين الملائكة لترك السجود فلماذا أبلس من الرحمة أي أويس من الرحمة فأخطأ في قياسه ودعواه ان النار أشرف من الطين أيضا فان الطين من شأنه الرزاق والحلم والانهاة والتثبت والطين محل النبات والنمو والزيادة والاصلاح والنار من شأنها الاحراق واليطيش والسرعة ولهذا خان ابليس عنصره ونفخ آدم عنصره بالرجوع والابابة والاستكانة والانتقاد

ينصرونهم فلا يستغفرون والمشركون ولو كانوا اولى قرى فان القرابة لا تنفع شيئا ولا تؤثر أثرها بل التصرف في جميع الاشياء لله وحده (لقد تاب الله) أي ادم توبته (على النبي) فيما وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم من الاذن في التخلف وفيما وقع منه من الاستغفار للمشركون وليس من لازم التوبة ان يسبق الذنب ممن وقعت منه اوله لان كل العباد محتاج الى التوبة والاستغفار (١) وقد يكون التوبة بتمنه على النبي من باب انه ترك ما هو الاولى والايق كافي قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم ويجوز ان يكون ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاجل التعريض للمذنبين بان يتجنبوا الذنوب ويتوبوا عمقا قد لا بدوه منها قال أهل المعاني هو مفتاح كلام للتبرك وفيه تشريف لهم في ضم توبتهم الى توبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كإضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله فان لله خمسة وللرسول فهو تشريف له (و) كذلك تاب الله سبحانه على (المهاجرين والانصار) فيما قد اقرهوه من الذنوب ومن هذا القبيل ما صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله ان الله اطع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم والانسان لا يتخلو من زلات وتبعات في مدة عمره اما من باب الصغائر واما من باب ترك الافضل ثم وصف سبحانه المهاجرين والانصار بأنهم (الذين اتبعوه) أي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يتلفوا عنه (في ساعة العسرة) هي غزوة تبوك فانهم كانوا فيها في عسرة شديدة وقد ذكر بعض العلماء أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سار الى تبوك في سبعين ألفا ما بين راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من سائر القبائل فالمراد بالساعة أوقات جميع تلك الغزاة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة صعوبة الامر والشدة والضيق وقد وقع الاتفاق بين الرواة ان ساعة العسرة هي غزوة تبوك وتسمى غزوة العسرة والجيش الذي سار يسمى جيش العسرة لانه كان عليهم عسرة في الزاد والظهر والماء وأخرج ابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم عن ابن عباس انه قال لعمر بن الخطاب حدثنا من شأن ساعة العسرة فقال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى تبوك في قيط شديد فنزلنا من زلا فأصابنا فيه عطش حتى ظننا ان رقابنا ستقطع حتى ان الرجل ليخثر بغيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال أبو بكر الصديق يا رسول الله ان الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع لنا فرجع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فاهطلت ثم سكبت فلو امامهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجد ما

والاستسلام لاهر الله والاعتراف وطلب التوبة والمغفرة وعن عائشة رضی الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم خلقت الملائكة من نور وخلق ابليس من نار وخلق لكم رواد مسلم وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا اسمعيل بن عبد الله بن مسعود حدثنا نعيم بن جاحد حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور والجن من نار وخلق آدم مما وصف لكم قلت لنعيم بن جاحد أين سمعت هذا من عبد الرزاق قال باليمن وفي بعض ألفاظه هذا الحديث في غير الصحيح وخلق الحور العين من الزعفران وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد بن كثير عن ابن شاذب عن مطر قوله (١) وقد يكون التوبة الخ بها مش الاصل مانصه الظاهر ترك ذلك اذ لم يصح انه ترك ما هو الاولى اه

جارت

الوراق عن الحسن في قوله خلقتني من نار وخلقته من طين قال قاس ابليس وهو من أول من قاس اسناده صحيح وقال
حدثني عمر بن مالك حدثنا يحيى بن سليمان الطائفي عن هشام عن ابن سيرين قال أول من قاس ابليس وما عبدت الشمس
والقمر الا بالمقاييس اسناد صحيح أيضا (قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال أنظرنى
الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين) يقول تعالى مخاطبا ابليس بأمر قد رى كوني فاهبط منها أى بسبب عصيانك لا مرمى
ونخرو جك عن طاعتي فما يكون لك أن تتكبر فيها قال كثير من (١٧٥) المفسرين الضمير عائدا الى الجنة ويحتمل أن

يكون عائدا الى المنزلة التي حو فيها
من الملكوت الاعلى فاخرج انك
من الصاغرين أى الذليلين الخبيرين
معاملته له بنقيض قصده وكفاة
لمراد به بضده فعند ذلك استدرك
العين وسأل النظرة الى يوم الدين قال
أنظرنى الى يوم يبعثون قال انك
من المنظرين أجابه تعالى الى ما سأل
لماله في ذلك من الحكمة والاراء
والمشيئة التي لا تخاف ولا تمنع
ولا معقب لحكمه وهو سر بسع
الحساب (قال فبما أغويتني لأقعدن
لهم صراطك المستقيم ثم لا آتينهم
من بين أيديهم ومن خلفهم وعن
أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد
أكثرهم شاكرين) يخبر تعالى
انه لما أنظر ابليس الى يوم يبعثون
واستوثق ابليس بذلك أخذ في
المعابذة والتمرد فقال فبما أغويتني
لأقعدن لهم صراطك المستقيم أى
كما أغويتني قال ابن عباس أضللتني
وقال غيره أهلكتنى لأقعدن
لعبادك الذين تخلقهم من ذرية
هذا الذي أبعدتني بسببه على
صراطك المستقيم أى طريق الحق
وسبيل النجاة ولا ضامنهم عنها التلا

جاوزت العسكر (من بعدما كاد يربغ قلوب فريق منهم) في كاد ضمير الشأن بيان لتناهي
الشدة وبلوغها النهاية ومعنى يربغ يتلف بالجهد والمشقة والشدة وقيل معناه يعيل عن
الحق ويترك المناصرة والممانعة وقيل معناه يهيم بالتخلف عن الغزو لما هم فيه من الشدة
العظيمة وفي قراءة ابن مسعود من بعد ما زاغت وهم المتخفون على هذه القراءة وفي
تكرير التوبة عليهم بقوله (ثم تاب عليهم) تأكيد ظاهر واعنا بشأنها هذا ان كان
الضمير راجعا الى من تقدم ذكر التوبة عنهم وان كان الضمير الى الفريق الثاني فلا تكرار
وذكر التوبة أولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطيبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك
وأردف به ذكر التوبة مرة أخرى تعظيما لشأنهم وإيعابا الله تعالى قد قبل توبتهم وعفاه عنهم
ثم أتبعه بقوله (انه بهم رؤوف رحيم) تأكيديا لذلك أى رفيق بعباده لانه لم يحملهم
مالا يطيقون من العبادات وبين الرؤف والرحيم فرق لطيف وان تقاربا في المعنى قال
الخطابي قد تكون الرحمة مع الكراهة ولا تكاد الرأفة تكون معها وقيل الرأفة عبارة
عن السعي في ازالة الضرر والرحمة عبارة عن السعي في ايصال النفع (و) تاب (على الثلاثة
الذين خلفوا) أى آخر واو لم تقبل توبتهم في الحال كما قبلت توبه أولئك المتخلفين المتقدم
ذكرهم قال ابن جرير معنى خلفوا تركوا كما يقال خلفت فلانا فارقته وقرئ خلفوا
بالتخفيف أى أقاموا وبعدهم ورض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين الى الغزو
وقرئ خلفوا وقيل معنى خلفوا فسدوا وأخوذ من خلف النهم وهو لاء الثلاثة هم كعب
ابن مالك ومرة بن الربيع وأبوزريرة العامري وهلال بن أمية الواقفي وكلهم من
الانصار لم يقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم توبتهم حتى نزل القرآن بأن الله قد تاب عليهم
(حتى إذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) كناية عن شدة التحير وعدم الاطمئنان يعنى
انهم أخروا عن قبول التوبة الى هذه الغاية وهي وقت أن ضاقت عليهم الارض برحبها
لا عراض الناس عنهم وعدم مكالمتهم من كل أحد لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى
الناس أن يكلموهم والرحب الواسع يقال منزل رحب ورحيب وراحم والمضموم مصدر
والمفتوح مكان وفي هذه الآية دليل على جواز هجران أهل المعاصي تأديبا لهم
لينزجروا عن المعاصي (وضاقت عليهم أنفسهم) أى انها ضاقت صدورهم بما نالهم من
الوحشة وبما حصل لهم من الجفوة وشدة الغم والحزن ومجانبة الناس اياهم وترك كلامهم

يعبدون ولا يوحدون بسبب اضلالك اياي وقال بعض النحاة الباء هنا قاسمية كأنه يقول فبما غواتك اياي لأقعدن لهم صراطك
المستقيم يعنى الحق وقال محمد بن سويق عن عون بن عبد الله يعنى طريق مكة قال ابن جرير والصحيح ان الصراط المستقيم أعم من
ذلك (قلت) لما روى الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا أبو عقييل يعنى الثقفى عبد الله بن عقييل حدثنا موسى بن المسيب
أخبرني سالم بن أبي الجعد عن سيرة بن الناقة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد لابن آدم بطرقه
وقعد له بطريق الاسلام فقال أنسلم وتذردتك ودين أبائك قال فعصاه وأسلم قال وقعد له بطريق الهجرة فقال أنهم جروندع أرضك

وسمائه وانما مثل المهاجر كالفرس في الطول فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهاد النفس والمال فقال تقابل فتقتل
فتنكح المرأة ويقسم المال قال فعصاه وجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فن فعل ذلك منهم فمات كان حقا على الله ان يدخله
الجنة او قصته دابة كان حقا على الله ان يدخله الجنة وقوله ثم لا يتبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية قال علي بن أبي طلحة عن
ابن عباس من بين أيديهم أشككهم في آخرتهم ومن خلفهم أرغبهم في دنياهم وعن إيمانهم أشبه عليهم أمر دينهم وعن شمائلهم
أشبه لهم المعاصي وقال ابن أبي طلحة في رواية (١٧٦) والعمري كلاهما عن ابن عباس أما من بين أيديهم فن قبل دنياهم وأما

من خلفهم فأمر آخرتهم وأما عن
إيمانهم فن قبل حسناتهم وأما عن
شمائلهم فن قبل سيئاتهم وقال
سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أنهم
من بين أيديهم فأخبرهم أنه
لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم
من أمر الدنيا بينهم اللهم ودعاهم
اليها وعن إيمانهم من قبل حسناتهم
بطأهم عنها وعن شمائلهم زين لهم
المعاصي ودعاهم اليها وأمرهم بها
آتاك يا ابن آدم من كل وجه غير ان لم
يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول
بينك وبين رحمة الله وكذا روى
عن ابراهيم النخعي والحكم بن
عيسى والسدي وابن جريج الا
انهم قالوا من بين أيديهم الدنيا
ومن خلفهم الآخرة وقال مجاهد
من بين أيديهم وعن إيمانهم من
حيث يصرون ومن خلفهم وعن
شمائلهم حيث لا يصرون واختار
ابن جرير أن المراد جميع طرق الخير
والشر فالخير يصدهم عنه والشر
يحسنه لهم وقال الحكم بن أبان عن
عكرمة عن ابن عباس في قوله ثم
لا يتبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم
وعن إيمانهم وعن شمائلهم ولم يقل

من فوقهم لان الرحمة تنزل من فوقهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولا يتبدأ كثرتهم
شاكرين قال موحدون وقول ابليس هذا انما هو ظن منه وتوهم وقد وافق في هذا الواقع كما قال تعالى ولقد صدق عليهم ابليس
ظنه فاتبعوه الا فرقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان الا ان علم من يؤمن بالآخرة عن هومها في شك وربك على كل شيء
حفيظ ولهذا ورد في الحديث الاستعاذة من تسلط الشيطان على الانسان من جهاته كلها كما قال الحافظ أبو بكر البزار في
مسنده حدثنا نصر بن علي حدثنا عمرو بن مجمع عن يونس بن خباب عن ابن جبير بن مطعم يعني نافع بن جبير عن ابن عباس وحدثناه

هو

فلا يسعها سرور ولا انس وعبر بالظن في قوله (وظنوا) عن العلم أي علموا أو يقنوا (ان لا

ملياً) يلجئون اليه قط (من الله) أي من عذابه أو من سخطه (الا اليه) سبحانه بالتوبة
والاستغفار (ثم تاب) أي رجع (عليهم) بالقبول والرحمة وأزل في القرآن التوبة عليهم
ليستقيموا أو وفقهم للتوبة فيما يستقبل من الزمان ان فرطت منهم خطية (ليتوبوا) عنها
ويرجعوا فيها الى الله ويندموا على ما وقع منهم فيحصلوا التوبة وينشئوها وفضل التعاير
وصح التعليل (ان الله هو التواب) أي الكثير القبول لتوبة التائبين (الرحيم) أي
الكثير الرحمة لمن طلبها من عباده قال أبو بكر الوراق التوبة النصوح ان تضيق على
التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة هؤلاء الثلاثة وفيه دليل على أن
قبول التوبة بمحض الرحمة والكرم والرافقة والاحسان من الله تعالى وأنه لا يجب عليه شيء
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) في مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (وكونوا مع
الصادقين) هذا الامر بالكون مع الصادقين بعد قصة الثلاثة يفيد الاشارة الى أن هؤلاء
الثلاثة حصل لهم بالصدق ما حصل من توبة الله وظاهر الآية الامر للعباد على العموم
قال نافع قيل للثلاثة كونوا مع محمد وأصحابه وقال سعيد بن جبير كونوا مع أبي بكر وعمر
وزاد الضعيف وأصحابهما وعن ابن عباس مع علي بن أبي طالب وعن جعفر قال مع
الثلاثة الذين خلفوا وقال ابن جرير مع المهاجرين وقيل مع الذين خرجوا مع رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم الى تبوك وقيل مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا
بالاعذار الباطلة وهذه الآية تدل على فضيلة الصدق روى أن أبا بكر احتج بهذه الآية
على الانصار في يوم السقيفة حين قال الانصار منا أمير ومنكم أمير فقال ان الله يقول في
كتابه لانفقراء المهاجرين الى قوله أولئك هم الصادقون فن هؤلاء قال الانصار انتم هم
فقال ان الله يقول اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فأمركم ان تكونوا معنا ولم يأمرنا ان
نكون معكم قيل والاية تدل على أن الاجماع حجة لانه أمر بالكون مع الصادقين فلزم
قبول قولهم وقيل مع معنى من أي كونوا منهم والله أعلم (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم
من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) زيادة تأكيدهم لوجوب الغزو مع رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وتحريم التخلف عنه أي ما صبح وما استقام لهم ولمن حولهم كترية
وجهية وأشجع وأسلم وغنار أن يتخلفوا عنه صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك وقيل

عمر بن الخطاب يعني السجستاني حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أيसे عن يونس بن خباب عن ابن جبير بن مطعم عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذعو اللهم اني أسألك العفو والعافية في ديني وديناي وأهلي ومالي اللهم استر عورائي وآمن روعاتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك اللهم ان اغتال من تحتي تغربه البزار وحسنه وقال الامام أحمد حدثنا وكيع بن عباد بن مسلم القزاري حدثني ابن أبي سليمان بن جبير بن مطعم سمعت عبد الله بن عمرو يقول لم يكن رسول صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الدعوات (١٧٧) حين يصبح وحين يمسي اللهم اني أسألك

العافية في الدين والآخرة اللهم اني أسألك العفو والعافية في ديني وديناي وأهلي ومالي اللهم استر عورائي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك ان اغتال من تحتي قال وكيع من تحتي يعني الخسف ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم في صحيحه عباد بن مسلم وقال الحاكم صحيح الاسناد (قال اخرج منها مذوم ما مدح حورا لمن تبعك منهم لا ملئن جهنم منكم أجمعين) أ كد تعالي عليه اللعنة والطرده والابعاد والنفي عن محمل الملا الاعلى بقوله اخرج منها مذوم ما مدح حورا قال ابن جرير أما المذوم فهو العيب والذام غير مشدد العيب يقال ذامه يذامه ذاماً فهو مذوم ويتركون الهمز فيقول ذمته اذيمه ذيمه واذامه والذيم أبلغ في العيب من الذم قال والمدحور المقصي وهو المبعد المطرود وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ما تعرف المذوم والمذوم الا واحداً وقال سفيان الثوري عن ابى اسحق عن التميمي عن ابن عباس اخرج منها

هو عام في كل الأعراب لان اللفظ عام وجه له على العموم أولى وانما خصهم الله سبحانه لانهم قد استنفروا فلم ينقروا بخلاف غيرهم من العرب فانهم لم يستنفروا مع كون هؤلاء لقربهم وجوارهم أحق بالنصرة والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ابن زيد هذا حين كان الاسلام قليلاً لم يكن لاحد ان يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما كثرت الاسلام وفشا قال الله وما كان المؤمنون لينفروا كافة (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أي وما كان لهم ذلك فيشحنون بها ويصونونها ولا يشحنون بنفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويصونونها كما شحوا بأنفسهم وصالونها يقال رغبت عن كذا أي ترفعت عنه وأعرضت والمعنى ولا يجملوا بأنفسهم راغبة معرضة عما ألقى فيه نفسه الكريمة بل واجب عليهم ان يكابدوا معه المشاق ويجاهدوا بين يديه أهل الشقاء ويبدلوا أنفسهم دون نفسه بان يعجبوه على البأساء والضراء علماً بأنها أعز نفوس عند الله وأكرمها عليه فاذا تعرضت مع عزتها وكرامتها للغوض في شدة وهول وجب على سائر النفس ان تنهات فيا تعرضت له ولا يكثر بها أصحابها ولا يقيموا لها وزناً وتكون أخف شيء عليهم وأهون وفي هذا الاخبار معنى الامر لهم مع ما يفيد ابراده على هذه الصيغة من التوبيخ لهم والتقريع الشديد والتوبيخ لهم والازراء عليهم والاشارة بقوله (ذلك) الى ما يفيد السياق من وجوب المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي ذلك الوجوب (بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة) أي بسبب انهم مثابون على أنواع المتاعب وأصناف الشدائد والظمأ العطش والنصب التعب والمخمصة الجماعة الشديدة التي يظهر عند هاضور البطن وتوسيط كلمة لا ههنا للدلالة على استقلال كل واحد منها بالقضية والاعتداد به ومعنى (في سبيل الله) في طاعة الله (ولا يطأون موطئاً يغيظ) بفتح الياء بانفاق السبعة وان كان يجوز لغة ضمها اذ يقال لغة غاظه وأغاظه بمعنى واحد أي يغضب (الكفار) أي لا يدوسون مكاناً من أمكنة الكفار بأقدامهم أو بجوافر خيولهم أو باخفاف روادحهم فيحصل بسبب ذلك الغيظ والنم والحزن للكفار والموطئ اسم مكان ويجوز ان يكون مصدراً وفيه ان المدد يشارك الجيش في الغنمية بعد انقضاء الحرب لان وطء ديارهم مما يغيظهم (ولا ينالون) أي لا يصيبون (من عدو نبلا) أي قتلا واسرا أو هزيمة أو غنمية وأصله من نلت الشيء نال أي أصبت قال الكسائي هو من قولهم أمر

(٢٣ - فتح البيان ع) مذوم ما مدح حورا قال مقبياً وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس صغيراً مقبياً وقال السدي مقبياً مطروداً وقال قتادة لعينا مقبياً وقال مجاهد منقبياً مطروداً وقال الربيع بن أنس مذوم ما منقبياً والمدحور المصغر وقوله تعالي لمن تبعك منهم لا ملئن جهنم منكم أجمعين كتوله قال اذهب فن تبعك منهم فان جهنم جزأؤكم جزأؤم فوراً واستقرز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعددهم وما يعدهم الشيطان الا غروراً ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلام من حيث شئتموا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سواتهما وقال ما منها كمار يكمن عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين

أوتكونا من الخالدين وقاسمهما في ليلتين الناصحين) يذكر تعالى انه أباح لأدم عليه السلام ولزوجته حواء الجنة ان يأكل منها من جميع ثمارها الا الشجرة واحدة وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة فعند ذلك حسدتهما الشيطان وسعى في المكر والوسوسة والخديعة ليسلبهما ما فيه من النعمة واللباس الحسن (١) وقال كذبوا فترءا ما نها كبر بكبا عن هذه الشجرة الآن تكونا ملكين أي ثلاثا تكونا ملكين أو خالدين ههنا ولوأ كذبتما لحصل لكذلك كما كفو له قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يلى أي ثلاثا تكونا ملكين كقوله بين الله (١٧٨) لكم أن تزلوا أي ثلاثا تزلوا وأتى في الارض رواسي أن تيمد بكم وكان ابن

عباس ويحيى بن أبي كثير يقرآن الآن تكونا ملكين بكسر اللام وقراءة الجهور بفتحها وقاسمهما أي حلف لهما بالله اني لملكين الناصحين فاني من قبلكما ههنا وأعلم بهذا المكان وهذا من باب المفاءة له والمراد أحد الطرفين كما قال خالدين زهير بن عم أي ذنب وقاسمها بالله جهد الانتم

الذم السواى اذا ما نشوها أي حلف لهما بالله على ذلك حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله قال قتادة في الآية حلف بالله اني خلقت قبلكما وأنا أعلم منك كما فاتبعان أرشد كما وكان بعض أهل العلم يقول من خدعنا بالله الخدعنا له (فدلاهما بغير ورثنا ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما وطبقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربه ما ألم أنهما كما عن تلك الشجرة وأقل لكان الشيطان لهما عدو ممين فالارباظ لظننا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) قال سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن الحسن عن ابي بن كعب رضى الله عنه قال كان آدم رجلا طوا الا كانه نخله يحرق كثير

من قبل منه وليس هو من تناول انما تناول من نلتها بالعطية قال غيره نلت أنول من العطية ونلتها أنه أدركته (الآ كتب لهم به) أي بكل واحد من الامور الخمسة (عمل صالح) حسنة مقبولة يجازيهم بها وثواب عمل صالح قدر تضاه لهم وقبلة منهم بحكم الوعد الكريم للشواب الجميل ونيل الزلفي قال الاوزاعي وجماعة من الائمة هذه الآية للمسلمين الى أن تقوم الساعة وقال قتادة هذا الحكم خاص برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاول أولى وفي الآية دليل على ان من قصص طاعة الله كان قيامه وعوده ومشيه وحرمة وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله وكان سعيه مشكورا (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) جملة في حكم التعاليل لما سبق مع كونه يشمل كل محسن ويصدق على المذكورين هنا صدقاً ولما والعدول من الاضمار الى الاظهار لاجل مدحهم (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة) أي ولا يقع منهم الانفاق في الحرب أو في سبيل الله وان كان شيئاً حقيراً صغيراً يسيراً كتمرة فسادونها أو أكثر منها حتى علاقة سوط (ولا يقطعون وادياً) مقبلين أو مدبرين فيه وهو في الاصل كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذ السيل والعرب تقول وادوا ودية على غير قياس قال النحاس ولا يعرف فيما علمت فاعل وأفعاله والمراد هنا مطلق الارض قاله الحنفواى (الآ كتب لهم) ذلك الذي عملوه من النفقة والسفر في الجهاد (ليجزئهم الله) به (أحسن) جزاء (ما كانوا يعملون) من الاعمال وقال الرازى الاحسن من صفة أفعالهم وفيها الواجب والمندوب والمباح فالله يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والاولى وقيل يجزيهم على كل واحد جزاء أحسن عمل كان لهم فيلحق مادونه به توفيرا لاجزهم وفي الآية دليل على فضل الجهاد وانه من أحسن أعمال العباد وقد ذهب جماعة الى ان هذه الآية منسوخة بالآية المذكورة بعدها وهي قوله (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) فانها تدل على جواز التخلف من البعض مع القيام بالجهاد من البعض واختلف المفسرون في معنى هذه الآية فذهب جماعة الى انه من بقية أحكام الجهاد لانه سبحانه لما بلغ في الامر بالجهاد والانتداب الى الغزو كان المسلمون اذا بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرية الى الكفار ينفرون جميعا ويركون المدينة خالية فأخبرهم الله سبحانه بانه ما كان لهم ذلك أي ما صح ولا استقام ان ينفروا جميعا (قولوا) تحضيضاً للمعنى على الطلب أي فهل ان نفر من

شعر الرأس فلما وقع فيما وقع فيه من الخطيئة بدت له عورته عند ذلك وكان لا يراها فانطلق هاربا في الجنة فتمعلقت برأسه شجرة كل من شجرة الجنة فقال لها ارسلمي فقالت اني غير مرسلتك فناداهم به عز وجل يا آدم أمنى نفر قال يارب انى استحييت وقد رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق عن الحسن عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مر فوعا والموقوف أصح اسنادا وقال عبد الرزاق أنبأنا سفيان بن عيينة وابن المبارك أنبأنا الحسن بن عمار عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال كانت الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته السنبلة فلما كلامها بدت لهما سواتهما وكان الذي وارى عنهما من سواتهما انظفارا وطبقا يخصفان عليه ما من ورق الجنة ورق التين يلزقان بعضه الى بعض فانطلق آدم عليه السلام موليا في الجنة فتمعلقت برأسه شجرة من الجنة قوله وقال كذبوا فترءا ما نها كبر بكبا الى قوله وكان ابن عباس ويحيى الخ هكذا في الاصل وتكرر العبارة ٥٥ مصححه

فناداه الله يا آدم أمتي تفرق لا ولكني أستحيك يا رب قال أما كان لك فيما تحتك من الجنة وأبجتك منها منذ وحة عما حرمت عليك قال بلى يا رب ولكن وعزتك ما حسبت ان أحدا يحلم بك كذا قال وهو قول الله عز وجل وقاسمهما انى لك الما الناصحين قال فبعزتي لأهبطنك الى الارض ثم لانسال العيش الا كذا قال فاهبط من الجنة وكانا يا كالان منها رغدا فاهبط الى غير غدمن طعام وشراب فعلم صنعة الحديد وأمر بالحرق فحرق وزرع ثم سقى حتى اذا بلغ حصدا ثم داسه ثم ذراه ثم طعنه ثم بعنه ثم خبزه ثم أكه فلم يبلغه حتى بلغ منه ماشاء الله ان يبلغ وقال الثوري عن ابن أبي ليلى (١٧٩) عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن

عباس وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال ورق التين صحیح اليه وقال مجاهد جعلوا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال كهيشة الثوب وقال وهب بن منبه في قوله ينزع عنهما لباسهما قال كان لباس آدم وحواء نوراعلى فروجهما ما لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا فلما أكل من الشجرة بدت لهما سواتهما رواه ابن جرير بسند صحیح اليه وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال قال آدم أى رب أرأيت ان تدب واستغفرت قال اذا أدخلك الجنة وأما إبليس فلم يسأله التوبة وسأله النظر فأعطى كل واحد منهما الذى سأل وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا عباد بن العوام عن سفیان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال لما أكل آدم من الشجرة قيل له لم أكلت من الشجرة التى نهيتك عنها قال حواء أمرتني قال فانى قد أعقبته أن لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها قال فرنت عند ذلك حواء فقيل لها الرنة عايدك وعلى ولدك

كل فرقة منهم طائفة) الطائفة في اللغة الجماعة أى بل ينفر من كل فرقة منهم طائفة من تلك الفرق ويبقى من عدا هذه الطائفة النافرة قالوا ويكون الضمير في قوله (استفقهوا في الدين) عائدا الى الفرقة الباقية والمعنى ان طائفة من هذه الفرقة تخرج الى الغزو ومن بقي من الفرقة يفتون بطلب العلم ويعلمون الغزاة ويذهبون في طلبه الى المكان الذى يجدر فيه من يتعلمون منه لياخذوا عنه الفقه في الدين (واينذروا قومهم) عطف على فقيهه اشارة الى انه ينبغي أن يكون غرض المتعلم الاستقامة وتبليغ الشريعة لا الترفع على العباد والتبسط في البلاد كما هو أدب أبناء الزمان (اذا رجعوا) أى وقت رجوعهم (اليهم) من الغزو وذهب آخرون الى أن هذه الآية ليست من بقية أحكام الجهاد وهى حكم مستقل بنفسه في مشروعية الخروج لطلب العلم والتفقه في الدين جعله الله سبحانه متصلا بما دل على ايجاب الخروج الى الجهاد فيكون السفرون عين الاول سفر الجهاد والثاني السفر لطلب العلم ولا شك ان وجوب الخروج لطلب العلم انما يكون اذا لم يجد الطالب من يتعلم منه في الحضرم غير سفره والفقه هو العلم بالاحكام الشرعية وما يتوصل به الى العلم بهما من اذاعة ونحوه وصرف بيان واصل وقد جعل الله سبحانه الغرض من هذا هو التفقه في الدين وانذار من لم يتفقه فجمع بين المقصدين الصالحين والمطلبين الصالحين وهما تعلم العلم وتعليمه فمن كان غرضه بطلب العلم غير هذين فهو طالب لغرض دينوى لا لغرض دينى (لعلهم يحذرون) التبرج لوقوع الحذر منهم عن التفریط فيما يجب فعله فيتركه أو فيما يجب تركه فيفعل واستدل به على ان أخبار الاحاديث لان عموم كل فرقة يقتضى ان ينفر من كل ثلاثة نفر وابقية طائفة الى التفقه لتسذرفرقها كى تسذركر ووايحذروا فلولم تعتبر الاخبار ما لم تتواتر لم يفقد ذلك (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار) في هذا الفعل اغتتان أكثرهما وليه يلبه بالكسر فيهما والثانية من باب وعدوهى قليلة الاستعمال وجلست مما يليه أى يقاربه وكان الآية جاءت على اللغة الثانية وأصله يلبون أى الاقرب فالاقرب منهم أمر سبحانه المؤمنين بان يجتهدوا في مقاتلة من يلبهم من الكفار في الدار والبلاد والنسب قيل مثل قرينة والنضير وخبير ونحوها قاله ابن عباس وقال ابن عمرهم الروم لانهم كانوا سكان الشام والشام أقرب الى المدينة من العراق وقيل هم الديلم وقال ابن زيد هم العرب فقاتلهم حتى فرغوا منهم ثم أمروا بقتال أهل الكتاب

وقال الضمالي بن مزاحم في قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين هي الكلمات التى تلقاها آدم من ربه (قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) قيل المراد بالخطاب في اهبطوا آدم وحواء وإبليس والحية ومنهم من لم يذكر الحية والله أعلم والعمدة في العداوة آدم وإبليس ولهذا قال تعالى في سورة طه قال اهبطا منها جميعا الآية وحواء تبع لآدم والحية ان كان ذكرا صحیحها فهى تبع لإبليس وقد ذكر المفسرون الاما كن التى هبط فيها كل منهم ويرجع حاصل تلك الاخبار الى الاسرائيليات والله أعلم بصحتها ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم لذكرها الله تعالى في كتابه وأرسوله صلى الله عليه وسلم وقوله ولكم في الارض مستقر

وَمَتَاعِ إِلَى حِينٍ أَيْ قَرَارٍ وَأَعْمَارٍ مُضْرُوبَةٍ إِلَى آجَالٍ مَعْلُومَةٍ قَدْ جَرَى بِهَا الْقَلَمُ وَأَحْصَاهَا الْقَدْرُ وَسَطَرَتْ فِي السِّكِّابِ الْأَوَّلِ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ
مُسْتَقَرَّ الْقُبُورِ وَعِنْدَهُ قَالَ مُسْتَقَرٌّ فَوْقَ الْأَرْضِ وَتَحْتَهَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَقَوْلُهُ قَالَ فِيهَا تَحْيُونَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تَخْرُجُونَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى
مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَمِنْهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ يَجْعَلُ الْأَرْضَ دَارَ الْبَنِيِّ آدَمَ مَدَّةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِيهَا مَحْيَاهُمْ وَفِيهَا
مَمَاتُهُمْ وَقُبُورُهُمْ وَمِنْهَا نُشَوِّرُهُمْ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَيَجْزِي كُلًا بِعَمَلِهِ (بَابُ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ
لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتَكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَى (١٨٠) ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ) يَنْبَغُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِمَا جَعَلَ لَهُمْ

مِنَ اللَّبَاسِ وَالرِّيشِ فَالْبَاسُ سِتْرُ
الْعُورَاتِ وَهِيَ السُّوَاتُ وَالرِّيشُ
وَالرِّيشُ مَا يَتَجَمَّلُ بِهِ ظَاهِرُ الْأَوَّلِ
مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ وَالرِّيشُ مِنْ
التَّكْمَلَاتِ وَالزِّيَادَاتِ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ
الرِّيشُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْأَثَاثُ
وَمَا ظَهَرَ مِنَ الثِّيَابِ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي
طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَحَكَاهُ الْبُخَارِيُّ
عَنْهُ الرِّيشُ الْمَالُ وَهَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ
وَعُرُوبَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَالسُّدَى وَالضَّخَاكُ
وغير واحدٍ وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ الرِّيشُ اللَّبَاسُ وَالْعَيْشُ
وَالنَّعِيمُ وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ
أَسْمَاطٍ الرِّيشُ الْجَمَالُ وَقَالَ الْأَمَامُ
أَحْمَدُ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ هُرُونَ حَدَّثَنَا
أَصْبَغٌ عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ الشَّامِيِّ قَالَ
لِلسُّ أَيْ أَمَامَةٍ ثَوْبٌ بَاجِدِيدٍ الْفَالْبَاسُ
تَرْقُوتُهُ قَالَ الْحَمْدِيُّ الَّذِي كَسَانِي
مَا أُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي وَأَتَجَمَّلُ بِهِ فِي
حَاجَتِي ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ
يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مَنْ اسْتَجَدَّ بِي فَابْلِسَهُ فَقَالَ
حِينَ يَبْلُغُ تَرْقُوتُهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
كَسَانِي مَا أُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي وَأَتَجَمَّلُ

وَجِهَادَهُمْ حَتَّى يُوْمِنُوا أَوْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدِهِمْ صَاحِرُونَ وَهَكَذَا الْمَقْرُوضُ عَلَى أَهْلِ
كُلِّ نَاحِيَةٍ أَنْ يَقَاتِلُوا مِنْ وَلِيِّهِمْ وَأَنْ يَأْخُذُوا فِي حَرْبِهِمْ بِالْغَلْظَةِ وَالشَّدَةِ كَمَا قَالَ (وَلْيَجِدُوا)
أَي لِيُدْرِكُوا (فِيكُمْ غَلْظَةٌ) أَي شِدَّةٌ وَقُوَّةٌ وَشَجَاعَةٌ قَالَ الْخَفَّابِيُّ قَالَوا إِنَّهَا كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ
لِلْجَرَأَةِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْقِتَالِ وَشِدَّةِ الْعِدَاوَةِ وَالْأَنْفِ فِي الْقِتَالِ وَالْأَسْرَ وَظَاهِرُهَا أَمْرُ الْكُفَّارِ
بِأَنْ يَجِدُوا فِي الْمُؤْمِنِينَ غَلْظَةً وَالْمَقْصُودُ أَمْرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالِاتِّصَافِ بِصِفَاتِ كَالصَّبْرِ وَمَا مَعَهُ
حَتَّى يَجِدَهُمُ الْكُفَّارَ الْمُتَصَفِّينَ بِهَا فَهِيَ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِمْ لَا أَرِيَنَّكَ هَهُنَا وَالْغَلْظَةُ بِالْكَسْرِ
ضِدُّ الرِّقَّةِ وَهِيَ لُغَةٌ أُسْدٌ وَالْفَتْخُ لُغَةٌ أَهْلُ الْحِجَازِ وَالضَّمُّ لُغَةٌ تَقِيمُ حِكْمِي أَبُو عَمْرٍو وَاللِّغَاتُ الثَّلَاثُ
وَبِهَاقِرِي لَكِنِ السَّبْعَةُ عَلَى الْكُسْرِ وَالْغَلْظَةُ أَصْلُهَا فِي الْأَجْرَامِ فَاسْتَعْرِبَتْ هُنَا لِلشَّدَةِ
وَالتَّجَلُّدِ وَالصَّبْرِ وَقَالَ الْحَسَنُ صَبْرًا عَلَى جِهَادِهِمْ وَالْجِهَادُ وَاجِبٌ لِكُلِّ الْكُفَّارِ وَإِنْ كَانَ
الْإِسْتِدَاءُ مِنْ يَدِ الْمُجَاهِدِينَ مِنْهُمْ أَهْمٌ وَأَقْدَمُ ثُمَّ الْأَقْرَبُ فَالْأَقْرَبُ وَنُقِلَ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ
أَنَّهُ قَالَ أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَبْلَ الْأَمْرِ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً فَلَمَّا نَزَلَتْ وَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ
كَافَّةً صَارَتْ نَاسِخَةً لِهَذِهِ الْآيَةِ وَقَالَ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ الْعُلَمَاءِ وَلَا وَجْهَ لِلنَّاسِخِ فَإِنَّهُ تَعَالَى
أَمْرُهُمْ بِقِتَالِهِمْ كَافَّةً وَأَرْشَدَهُمُ الطَّرِيقَ الْأَصْوَغَ وَهُوَ أَنْ يَسُدُّوا بِقِتَالِ الْأَقْرَبِ
فَالْأَقْرَبُ قَرِيبًا مَكَانِيًّا أَوْ قَرِيبًا نِسْبِيًّا حَتَّى يَصِلُوا إِلَى الْأَبْعَدِ فَالْأَبْعَدُ وَبِهَذَا الطَّرِيقِ يَحْصُلُ
الْغَرَضُ مِنْ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً لِأَنَّ قِتَالَهُمْ فِي دَفْعَةِ وَاحِدَةٍ لَا يَتَوَصَّرُ وَلِهَذَا السَّبَبُ قَدْ
قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَوْلَادَهُمْ ثُمَّ اتَّقَلَّ مِنْهُمْ إِلَى قِتَالِ سَائِرِ الْعَرَبِ ثُمَّ
إِلَى قِتَالِ أَهْلِ الْكُتَّابِ وَهُمْ قَرِيبَةٌ وَالنَّضِيرُ وَخَيْبَرُ وَفَدَكَ ثُمَّ اتَّقَلَّ إِلَى غَزْوِ الرُّومِ وَالشَّامِ
فَكَانَ قِتَالَهُ فِي زَمَنِ الْعَهْدِ ثُمَّ اتَّقَلَّ إِلَى الْعِرَاقِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى سَائِرِ الْأَمْصَارِ لِأَنَّهُ
إِذَا قَاتَلَ الْأَقْرَبَ أَوْلَا تَقْوَى بِمَا نَالَ مِنْهُمْ مِنَ الْغَنَاءِ عَلَى الْأَبْعَدِ ثُمَّ أَخْبَرَهُمُ اللَّهُ بِمَا يَقْوَى
عِزَّتُهُمْ وَيُثَبِّتُ أقدامَهُمْ فَقَالَ (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) بِالنَّصْرِ لَهُمْ وَتَأْيِيدِهِمْ عَلَى
عِدْوِهِمْ وَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ لَمْ يَقْمَلْ شَيْءٌ (وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً) حِكَايَةٌ مِنْهُ سَبَّحَانَهُ لِبَقِيَّةِ
فَضَائِحِ الْمُنَافِقِينَ أَيْ وَالْحَالِ إِذَا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سُورَةً مِنْ
كُتَابِهِ الْعَزِيزِ (فَمَنْهُمْ) أَيْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ (مَنْ يَقُولُ) لِأَخْوَانِهِمْ مِنْهُمْ (أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ)
السُّورَةُ النَّازِلَةُ (إِيمَانًا) يَقُولُونَ هَذَا اسْتَهْزَاءً بِالْمُؤْمِنِينَ وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَهُ لِمَجْمَعَةٍ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ فَاصْدِرْ بِذَلِكَ صِرْفَهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ وَتَرْهِيْدَهُمْ فِيهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ مَعْنَى السُّورَةِ

اللَّهُ فِي كَيْفِ اللَّهِ حَيَا وَمِيسَا وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ رِوَايَةِ زَيْدِ بْنِ هُرُونَ عَنْ أَصْبَغٍ هُوَ ابْنُ الْجُهَنِيِّ (فَأَمَّا)
وَقَدْ وَثَّقَهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ وَغَيْرُهُ وَشَيْخُهُ أَبُو الْعَلَاءِ الشَّامِيُّ لَا يَعْرِفُ إِلَّا بِهَذَا الْحَدِيثِ وَلَكِنْ لَمْ يَخْرُجْهُ أَحَدٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَالَ الْأَمَامُ أَحْمَدُ
أَيْضًا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمِيدٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ نَافِعِ التَّمَارِيِّ عَنْ أَبِي مَطْرَانَ رَأَى عَلِيَّ بْنَ أَبِي عَمْرٍو قَالَ لَمَّا حَدَّثَنَا فَاشْتَرَى مِنْهُ قِيصًا بِثَلَاثَةِ
دِرَاهِمٍ وَابْسَهُ بَيْنَ الرَّسْغَيْنِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ يَقُولُ حِينَ ابْسَهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَزَقَنِي مِنَ الرِّيشِ مَا أَتَجَمَّلُ بِهِ فِي النَّاسِ وَأُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي
فَقِيلَ هَذَا شَيْءٌ تَرَوِيهِ عَنْ نَفْسِكَ أَوْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَذَا شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عِنْدَ
السُّكُوتِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَزَقَنِي مِنَ الرِّيشِ مَا أَتَجَمَّلُ بِهِ فِي النَّاسِ وَأُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي رَوَاهُ الْأَمَامُ أَحْمَدُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَلِبَاسَ التَّقْوَى

ذلك خير قرأ بعضهم ولباس التقوى بالنصب وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وذلك خير خبره واختلف المفسرون في معناه فقال
 عكرمة يقل هو ما يلبسه المتقون يوم القيامة رواه ابن أبي حاتم وقال زيد بن علي والسدي وقتادة وابن جرير ولباس التقوى الايمان
 وقال العوفي عن ابن عباس العمل الصالح وعنه هو السمت الحسن في الوجه وعن عروة بن الزبير لباس التقوى خشية الله وقال
 عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ولباس التقوى يتق الله فيوارى عورته فذلك لباس التقوى وكلها متقاربة ويؤيد ذلك الحديث الذي
 رواه ابن جرير حيث قال حدثني المنفي حدثنا اسحق بن الجراح حدثني اسحق (١٨١) بن اسمعيل عن سليمان بن أرقم عن الحسن
 قال رأيت عثمان بن عفان رضي

الله عنه على منبر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم عليه قص فوهي
 محلول الزر وسمعته يأمر بقتل
 الكلاب وينهى عن اللعب بالحمام
 ثم قال يا أيها الناس اتقوا الله في
 هذه السر أرفاني سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول والذي
 نفس محمد بيده ما أسر أحد سريرة
 إلا أبسسه الله رداءه أعلنه ان
 خير أخير وان شر أشر ثم قرأ هذه
 الآية ورشوا لباس التقوى ذلك
 خير ذلك من آيات الله قال السمت
 الحسن هكذا رواه ابن جرير من
 رواية سليمان بن أرقم وفيه ضعف وقد
 روى الآية الشافعي وأحمد والبخاري
 في كتاب الادب من طرق صحيحة
 عن الحسن البصري أنه سمع أمير
 المؤمنين عثمان بن عفان يأمر بقتل
 الكلاب وذبح الحمام يوم الجمعة
 على المنبر وأما المرفوع منه فقد روى
 الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه
 الكبير له شاهدان وجه آخر حيث
 قال حدثنا (١)

(فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) حكي الله سبحانه بعدمه قالتم هذه ان المؤمنين زادتهم
 إيماناً الى إيمانهم لتصدقهم بهم والزيادة ضم شيء الى آخر من جنسه مما هو في صفة وقد
 تقدم الكلام على زيادة الايمان (وهم يستبشرون) أي والحال انهم يفرحون مع هذه
 الزيادة بنزول الوحى شيئاً بعد شيء وما يشتمل عليه من المنافع الدينية والدنيوية (وأما الذين
 في قلوبهم مرض) وهم المنافقون والمراد بالمرض هنا الشرك والنفاق (فزادتهم) السورة
 المنزلة (رجسا الى رجسهم) أي خبثاً مضموماً الى خبثهم الذي هم عليه من الكفر وفساد
 الاعتقاد وظاهر غير ما يضره وذلذا عدى بالي وقيل ان اليعنى مع وسمى الكفر رجسا
 لانه أقيح الاشياء وأصل الرجس في اللغة الشيء المستقدر (وما تواتواهم كافرين) أي وثبتوا
 واستمروا عليه الى ان ماتوا كفاراً منافقين وقيل المعنى زادتهم انما الى انهم (أو لا يرون)
 قرئ بالتحسية وبالوقية خطاباً للمؤمنين وقرأ الأعمش المبروا وقرأ طلحة أو لا ترى خطاباً
 للرسول صلى الله عليه وآله وسلم والهزمة على القراءة تأييداً للانكار والتوبيخ وعلى
 الخطاب للتعجب والرؤية قلبية أو بصرية (انهم يفتنون) يختبرون قاله ابن جرير وغيره
 أو يتلهم الله بالقطع والسدة والجوع والسنة قاله مجاهد وقال ابن عطية بالامراض
 والأوجاع وقال قتادة بالغزور والجهاد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال الحسن
 بالعدو (في كل عام مرة أو مرتين) عن أبي سعيد قال كانت لهم في كل عام كذبة أو كذبتان
 قال حديثه في فضل بهائم من الناس كثير وقيل انهم يفتنون باظهار نفاقهم وقيل
 ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون وقيل ينقضون عهدهم في السنة مرة أو مرتين ويرون
 ما وعد الله من النصر (ثم لا يتوبون) بسبب ذلك من النفاق ونقض العهد ولا يرجعون
 الى الله مع ان الابتلاء يقتضى الرجوع والتذكروا للعطف على يرون (ولاهم يذكرون)
 أي لا يرون ولا يتطرون ولا يتوبون وهذا تعجب من الله سبحانه للمؤمنين من حال
 المنافقين وتصلبهم في النفاق واهمالهم للنظر والاعتبار ثم ذكر الله سبحانه ما كانوا يفعلونه
 عند نزول السورة بعد ذلك كما كانوا يقولونه فتال (واذا ما أنزلت سورة) فيها عيب
 المنافقين وذكروهم وتوبيخهم وقرأها النبي صلى الله عليه وآله وسلم (نظر بعضهم) أي بعض
 المنافقين (الى بعض) آخر وتغاضى بالعيون انكاراً لها أو سخرية أو غيظاً لما فيها من
 عيوبهم وحكى ابن جرير عن بعض أهل العلم انه قال نظر في هذه الآية موضوع موضع

لا يقنتنكم الشيطان كما أخرج أبو بكر
 من الجنة يزرع عنهم بالباسم ما
 ليريهما سوأتهم ما انه يراكم
 هو وقبيله من حيث لا ترونهم اناجعنا لشياطين أولياء الذين لا يؤمنون) يحذر تعالى بنى آدم من ابليس وقبيله مبيناً لهم عداوته
 القديمة لآبى البشر آدم عليه السلام في سعيه في إخراجهم من الجنة التي هي دار النعيم الى دار التعب والعناء والتسبب في هتك عورته
 بعدما كانت مستورة عنه وما هذا الا عن عداوة كدرة وهذا كقوله تعالى افتخذونه وذرية أولياء من دوني وهم لكم عدو قبيس
 للظالمين بدلاً (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يعلمون قل أمر
 ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تهودون فر يقاهدى وفر يقا حق عليهم الضلالة انهم
 اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون) قال مجاهد كان المشركون يطوفون بالبيت عمرة يقولون نظرف كما ولدته
 (١) هنا يبايض في الاصل بقدر انصف صميحة وانظر النسخ الصحيحة التامة اه معجمه

أمهاتنا فتضع المرأة على قلبها التسعة أو الشئ وتقول اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدأ منه فلا أحله فانزل الله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها الآية قلت كانت العرب ماعدا قريش لا يطوفون بالبيت في ثيابهم التي لبسوها يتأولون في ذلك أنهم لا يطوفون في ثياب عصا الله فيها وكانت قريش وهم الجنس يطوفون في ثيابهم ومن أعاره أحسى ثوباطاف فيسه ومن معه ثوب جديد طاف فيسه ثم يلقيه فلا يتلكه أحد ومن لم يجد ثوبا جديدا ولا أعاره أحسى ثوباطاف عريانا ورعا كانت امرأة فتطوف عريانة فتجعل على فرجها شيا ستره (١٨٢) بعض السترفقول اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدأ منه فلا أحله وأكثر

ما كان النساء يظفن بالليل وكان هذا شيا قد ابتدعوه من تلقاء أنفسهم واتبعوا فيه آباءهم ويعتقدون أن فعل آباءهم مستند إلى أمر من الله وشرع فانكر الله تعالى عليهم ذلك فقال واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها فقال تعالى ردا عليهم قل أي يا محمد لمن ادعى ذلك ان الله لا يأمر بالفحشاء أي هذا الذي تصنعونه فاحشة منكورة والله لا يأمر بمثل ذلك أتقولون على الله ما لا تعلمون أي أتسندون إلى الله من الأقوال ما لا تعلمون صحته وقوله تعالى قل أمر ربى بالقسط أي بالعدل والاستقامة وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين إلى الدين أي أمركم بالاستقامة في عبادته في محالها وهي متابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات فيما أخبر وأبه عن الله وما جأؤا به من الشرائع وبالاخلاص له في عبادته فانه تعالى لا يقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين ان يكون صوابا موافقا للشرعية وأن يكون خالصا من الشرك وقوله تعالى كابدكم تعودون إلى قوله الضلالة اختلف

قال أي قال بعضهم لبعض (هل يريكم من أحد) من المؤمنين لنصرف عن المقام الذي ينزل فيه الوحي فانه لا صبر لنا على استماعه أو استكلامه بما تريد من الطعن والسخرية والضحك وقيل المعنى واذا أنزلت سورة ذكر الله فيها فاضاخ المنافقين ومخازبهم قال بعض من يحضر مجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم للبعض الآخر منهم هل يراكم من أحد (ثم انصرفوا) إلى منازلهم عن ذلك المجلس أو عما يقتضى الهداية والايان إلى ما يقتضى الكفر والنفاق والتراخي باعتبار وجدان الفرصة والوقوف على عدم رؤية أحد من المؤمنين ثم دعا الله سبحانه عليهم فقال (صرف الله قلوبهم) عن الخير وما فيه الرشد لهم والهداية وهو سبحانه مصرف القلوب ومطلبها وقيل المعنى أنه خذلهم عن قبول الهداية قال الزجاج أضلهم الله مجازاة على فعلهم وقيل هو دعاء لا يراد به وقوع مضمونه كقولهم فأنه الله وقيل اخبار بحالهم ثم ذكر سبحانه السبب الذي لاجله انصرفوا عن مواطن الهداية أو السبب الذي لاجله استحقوا الدعاء عليهم بقوله صرف الله قلوبهم فقال (بأنهم قوم لا يفقهون) ما يسمعون له عدم تدبرهم وانصافهم عن ابن عباس لا تقولوا انصرفنا من الصلاة فان قومنا انصرفوا فصرف الله قلوبهم ولكن قولوا قضينا الصلاة وعن ابن عمر نحوه وأقول انصرفا يكون عن الخير كما يكون عن الشر وليس في اطلاقه هنا على رجوع المنافقين عن مجلس الخير ما يدل على انه لا يطلق الا على نحو ذلك والالزم أن كل لفظ يستعمل في لغة العرب في الامور المتعددة اذا استعمل في القرآن في حكاية ما وقع من الكفار لا يجوز استعماله في حكاية ما وقع عن أهل الخير كالرجوع والذهاب والدخول والخروج والقيام والعود والالزام باطل بالاجماع فاللزم مثله ووجه الملازمة ظاهر لا يخفى ثم حتم الله سبحانه هذه السورة بما يهون عنده بعض ما شتمت عليه من التكليف الشاقة فقال موبخا (لقد جاءكم) يا معشر العرب والخطاب لهم عند جمهور المفسرين وقال الزجاج هي خطاب لجميع العالم أي لقد جاءكم (رسول) أرسله الله اليكم له شأن عظيم (من أنفسكم) أي من جنسكم في كونه عريسا قرشيا مثلكم تعرفون نسبه وحسبه وانه من ولد اسمعيل لامن العجم ولا من الجن ولا من الملك وقرئ أنفسك أفعال تنضيل من التفاسير والمراد الشرف أي أشرفكم وأفضلكم وسيأتي تخريجه (عزيز عليه ما عنت) ما صدرية والعنت التعب اهتم والمشقة

في معنى كابدكم تعودون فقال ابن أبي شيبة عن مجاهد كابدكم تعودون يحيمكم بعد موتكم وقال الحسن البصرى عليهم كابدكم في الدنيا كذلك تعودون يوم القيامة وقال قتادة كابدكم تعودون بدأ خلقهم ولم يكونوا شيئا ثم ذهبوا ثم بعدهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كابدكم أولا كذلك بعدكم آخر او اختار هذا القول أبو جعفر بن جرير وأيد به عمار واه من حديث سفیان الثوري وشعبة بن الجراح كلاهما عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال يا أيها الناس انكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا كابدنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كفا عابدين وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث شعبة وفي حديث البخاري أيضا من حديث الثوري به وقال سعيد بن جبير كابدكم تعودون كابدكم كابدكم تعودون في رواية كابدكم تعودون في رواية كابدكم تعودون في رواية كابدكم تعودون في رواية كابدكم تعودون في رواية كابدكم

تعودون من ابتدأ الله خلقه على الشقوة صار إلى ما ابتدئ علمه خلقه وان عمل بأعمال أهل السعادة ومن ابتدأ خلقه على السعادة صار إلى ما ابتدئ خلقه عليه وان عمل بأعمال أهل الشقاء كما ان السحرة يعملوا بأعمال أهل الشقاء ثم صاروا إلى ما ابتدؤا عليه وقال السدي كما بدأكم فخلقكم فريق مهتدون وفريق ضلال كذلك تعودون وتخرجون من بطون أمهاتكم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله كما بدأكم فخلقكم فكذلك كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم (١٨٣) القيامة كما بدأهم مؤمنا وكافرا قلت ويتأيد وكافرا كما قال هو الذي خلقكم فخلقكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم (١٨٣) القيامة كما بدأهم مؤمنا وكافرا قلت ويتأيد

هذا القول بحديث ابن مسعود في عليهم ولقاء المكروه بعذاب الدنيا بالسيف ونحوه أو بعذاب الآخرة بالنار أو بجموعهما والمعنى شاق عليه عنتكم لكونه من جنسكم ومبعوثا لهدايتكم (حريص) شحيح (عليكم) بأن تدخلوا النار أو حرص على إيمانكم وهدايتكم والاول أولى وبه قال الفراء (بالمؤمنين رؤوف رحيم) قد تقدم بيان معناهما أي هذا الرسول بالمؤمنين الطائعين منكم أيها العرب أو الناس رؤوف رحيم فسماه الله رؤوفا رحيم ولم يجمع لاحد من أنبيائه بين اسمين من أسماءه إلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاله الحسن بن الفضل قريء رؤوف بالمد وبالقصر وهم اقراء نان سبعتان في هذه الكلمة أي ما وقعت في القرآن والرؤوف أخص من الرحيم وانما قدم عليه رعاية للفواصل وعن ابن عباس في هذه الآية ليس من العرب قبيلة الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وآله وسلم مضربها ورعيها ويمانيها وعلى هذا يكون المقصود ترغيب العرب في نصره والايان به فانه تم شرفه ثم يشرفه وعزهم بعزه وفخرهم بفخره فانه من عشائرهم وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال من أنفستكم بفتح الفاء من النفاسة أي من أشرفكم قال لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح وهذا فيه انقطاع ولكنه وصله الخافظ الرامهرمزي في كتابه الفواصل بين الراوي والواحي عن علي بن أبي طالب وزاد من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي وقال علي تامعني من أنفستكم يا رسول الله قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في ولا في أبي من لدن آدم سفاح كانا نكاح وعن ابن عباس ان رسول صلى الله عليه وآله وسلم قرأ من أنفستكم يعني من أعظمكم قدرا وبه قرأ الزهري وفي الباب أحاديث بمعناه ويؤيده ما في صحيح مسلم وغيره من حديث وائل بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم واصطفى من ولد اسمعيل بن كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وأخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله حين خلق الخلق جعلني من خير خلقه ثم حين فرقهم جعلني في خير الفريقين ثم حين خلق القبائل جعلني من خيرهم قبيلة وحين خلق الانس جعلني من خير انفسهم ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم بيتا وخيرهم نفسا وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله

عليهم ولقاء المكروه بعذاب الدنيا بالسيف ونحوه أو بعذاب الآخرة بالنار أو بجموعهما والمعنى شاق عليه عنتكم لكونه من جنسكم ومبعوثا لهدايتكم (حريص) شحيح (عليكم) بأن تدخلوا النار أو حرص على إيمانكم وهدايتكم والاول أولى وبه قال الفراء (بالمؤمنين رؤوف رحيم) قد تقدم بيان معناهما أي هذا الرسول بالمؤمنين الطائعين منكم أيها العرب أو الناس رؤوف رحيم فسماه الله رؤوفا رحيم ولم يجمع لاحد من أنبيائه بين اسمين من أسماءه إلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاله الحسن بن الفضل قريء رؤوف بالمد وبالقصر وهم اقراء نان سبعتان في هذه الكلمة أي ما وقعت في القرآن والرؤوف أخص من الرحيم وانما قدم عليه رعاية للفواصل وعن ابن عباس في هذه الآية ليس من العرب قبيلة الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وآله وسلم مضربها ورعيها ويمانيها وعلى هذا يكون المقصود ترغيب العرب في نصره والايان به فانه تم شرفه ثم يشرفه وعزهم بعزه وفخرهم بفخره فانه من عشائرهم وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال من أنفستكم بفتح الفاء من النفاسة أي من أشرفكم قال لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح وهذا فيه انقطاع ولكنه وصله الخافظ الرامهرمزي في كتابه الفواصل بين الراوي والواحي عن علي بن أبي طالب وزاد من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي وقال علي تامعني من أنفستكم يا رسول الله قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في ولا في أبي من لدن آدم سفاح كانا نكاح وعن ابن عباس ان رسول صلى الله عليه وآله وسلم قرأ من أنفستكم يعني من أعظمكم قدرا وبه قرأ الزهري وفي الباب أحاديث بمعناه ويؤيده ما في صحيح مسلم وغيره من حديث وائل بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم واصطفى من ولد اسمعيل بن كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وأخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله حين خلق الخلق جعلني من خير خلقه ثم حين فرقهم جعلني في خير الفريقين ثم حين خلق القبائل جعلني من خيرهم قبيلة وحين خلق الانس جعلني من خير انفسهم ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم بيتا وخيرهم نفسا وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله

رواه مسلم وابن ماجه من غير وجه عن الاعمش به ولفظه يعث كل عبد على مامات عليه وعن ابن عباس مثله قلت ويتأيد بحديث ابن مسعود قلت ولا بد من الجمع بين هذا القول ان كان هو المراد من الآية وبين قوله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها وما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ففي صحيح مسلم عن عياض بن جاز قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني خلقت عبادي حنفا فإتتهم الشياطين فآتتهم عن دينهم الحديث ووجه الجمع على هذا أنه تعالى خلقهم ليكون منهم مؤمن وكافر في ثاني الحال وان كان قد فطر الخلق كلهم على معرفته وتوحيده والعلم بانه لا اله غيره كما أخذ عليهم الميثاق بذلك (١) عياض بالاصل

وجعله في غيرهم وفطرهم وودع هذا قدران منهم شعبا ومنهم سعيدها هو الذي خلقكم فذكركم كافر ومنكم مؤمن وفي الحديث كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتبها أو موبقها وقدر الله نافذ في ربه فانه هو الذي قدر هدى والذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وفي الصحيحين فأما من كان من اهل السعادة فسييسر لعمل اهل السعادة ومن كان من اهل الشقاوة فسييسر لعمل اهل الشقاوة ولهذا قال تعالى فريقا هدى و فريقا ضلالة ثم علل ذلك فقال انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله الآية قال ابن جرير وهذا من آيين الدلالة على خطا من زعم (١٨٤) ان الله لا يعذب أحدا على معصية ركبتها أو ضلالة اعتقدها الا أن يأتيها بعد علم منه

بصواب وجهها فربكها عند الله
لربه فيها الا انه لو كان كذلك لم يكن بين
فريق الضلالة الذي ضل وهو
يحسب أنه مهتد وفريق الهدى
فرق وقد فرق الله تعالى بين اسمائهما
واحكامهما في هذه الآية (يا بني آدم
خذوا زينتكم عند كل مسجد واكلوا
واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب
المسرفين) هذه الآية الكريمة رد على
المشركين فيما كانوا يعتمدونه من
الطواف بالبيت عراة كإبراهيم مسلم
والنساء وابن جرير واللفظ له من
حديث شعبة عن سلمة بن كهيل عن
مسلم البطيني عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس قال كانوا يطوفون بالبيت
عراة الرجال والنساء الرجال بالنتار
والنساء بالليل وكانت المرأة تقول
اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا
منه فلا أحله فقال الله تعالى خذوا
زينتكم عند كل مسجد وقال
العوفي عن ابن عباس في قوله خذوا
زينتكم عند كل مسجد الآية قال
كان رجال يطوفون بالبيت عراة
فامرهم الله بالزينة والزينة اللباس
وهو ما يوارى السوءة وما سوى ذلك
من جيد البز والمناج فامروا أن
يأخذوا زينتهم عند كل مسجد هكذا قال مجاهد وعطاء و ابراهيم الخنعي وسعيد بن جبير وقتادة والسدي والضحاك كنت
ومالك عن الزهري وغيره واحمد بن ائمة السلف في تفسيرها انها نزلت في طواف المشركين بالبيت عراة وقدرى الخنازب ابن مردويه
من حديث سعيد بن بشير والاوزاعي عن قتادة عن أنس مرفوعا انها نزلت في الصلاة في النعال وفي صحته نظر والله أعلم ولهذه الآية
وما ورد في معناها من السنة يستحب التجميل عند الصلاة ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد والطيب لانه من الزينة والسؤال لانه من
تمام ذلك ومن أفضل اللباس البياض كما قال الامام أحمد حدثنا علي بن عاصم حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير
وصححه عن ابن عباس مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا من ثيابكم البياض فانها من خير ثيابكم وكفوا فيها

وسلم بعثت من خير قرون بن آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت فيه أخرجه
الخزاري وفي الباب أحاديث ثم قال مخاطبا الرسول ومسيله ومشداله الى ما يقوله عند
أن يعصى (فان تولوا) أى أعرضوا عنكم ولم يعملوا بما جئت به ولا قبلوه (فقل) يا محمد
(حسبي) أى كفى (الله سبحانه لا اله الا هو) أى المتفرد بالالوهية وهذه الجملة الخالية
كالدليل لما قبلها (عليه توكلت) أى فوضت جميع أموري اليه الى غيره (وهو رب
العرش العظيم) وصفه بالعظم لانه أعظم المخلوقات قرأ الجمهور بالجر على انه صفة العرش
وقرى بالرفع صفة الرب ورويت هذه القراءة عن ابن كثير قال أبو بكر الاصم وهذه القراءة
أعجب الى لان جعل العظم صفة للرب أولى من جعله صفة للعرش قال ابن عباس انما سمى
العرش عرشا لارتفاعه وقدر وبت أحاديث كثيرة في صفة العرش وما هيته وقدره وقال
السيوطى الكرسى قال الصاوى قوله الكرسى مرور على القول بالتحاد العرش مع
الكرسى وهو خلاف الصحيح ان العرش غير الكرسى انتهى وعبارة الخنازب اعترض
بعضهم على هذا التفسير بأن العرش غير الكرسى وان الكرسى أصغر من العرش فكيف
يفسر به وهو مدفوع بأن المسئلة خلافية والمشهور ما سمعته وقيل انها اسمان لشيء
واحد فالعرش والكرسى معناهما الجسم العظيم المحيط بجميع المخلوقات المسمى بالعرش
على القول المشهور وانتهى وعن أبي بن كعب رضى الله عنه أن آخر ما نزل هاتان الآيتان
ذكره القاضى والمفتى وغيرهما قال السيوطى رواه الحاكم في المستدرک وقال الخفافى
أخرجه أحمد بن حنبل وقوله آخر ما نزل الخنازب رواه الشيخان عن البراء بن عازب
رضى الله تعالى عنه ان آخرة آية نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله وآخر سورة
نزلت براءة وعن ابن عباس رضى الله عنهما آخرة آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى
الله وكان بينهار بين موته صلى الله عليه وآله وسلم ثمانون يوما وقيل تسع ليلال وحاول
بعضهم التوفيق بين هذه الروايات بما لا يخول عن كدر وفي هذه الآية اشكال مشهور فى
كتب الحديث

* (سورة يونس عليه السلام) *

وهي مائة وتسع آيات وهي مكية قاله الحسن وعطاء وكرمة وجابر الا ثلاث آيات فان

بأخذوا زينتهم عند كل مسجد هكذا قال مجاهد وعطاء و ابراهيم الخنعي وسعيد بن جبير وقتادة والسدي والضحاك كنت
ومالك عن الزهري وغيره واحمد بن ائمة السلف في تفسيرها انها نزلت في طواف المشركين بالبيت عراة وقدرى الخنازب ابن مردويه
من حديث سعيد بن بشير والاوزاعي عن قتادة عن أنس مرفوعا انها نزلت في الصلاة في النعال وفي صحته نظر والله أعلم ولهذه الآية
وما ورد في معناها من السنة يستحب التجميل عند الصلاة ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد والطيب لانه من الزينة والسؤال لانه من
تمام ذلك ومن أفضل اللباس البياض كما قال الامام أحمد حدثنا علي بن عاصم حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير
وصححه عن ابن عباس مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا من ثيابكم البياض فانها من خير ثيابكم وكفوا فيها

موتنا كم وان من خيراً كالحكم الامدقانه يجلو البصر وينبت الشعر هذا حديث جيد الاسناد رجاه على شرط مسلم وزواه أبو داود
 والترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم به وقال الترمذى حسن صحيح وللإمام أحمد أيضاً وأهل السنن باسناد
 جيد عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالتياب البيض فالبسوها فانها أطهر وأطيب وكفنها فيها
 موتنا كم وروى الطبراني بسند صحيح عن قتادة عن محمد بن سيرين ان تيمم الداري اشترى رداءً بألف وكان يصلي فيه وقوله تعالى وكلاوا
 واشربوا الآية قال بعض السلف جمع الله الطب كله في نصف آية وكلاوا (١٨٥) واشربوا ولا تسرفوا وقال البخاري قال ابن

عباس كل ماشئت والبس ماشئت
 ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة
 وقال ابن جرير حدثنا محمد بن
 عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور
 عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه
 عن ابن عباس قال أحل الله الأكل
 والشرب ما لم يكن سرفاً أو مخيلة
 اسناده صحيح وقال الامام أحمد
 حدثنا بهز حدثنا همام عن قتادة
 عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن
 جده ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال كواوا شربوا والبسوا
 وتصدقوا من غير مخيلة ولا سرف
 فان الله يحب أن يرى نعمته على
 عبده ورواه النسائي وابن ماجه
 من حديث قتادة عن عمرو بن شعيب
 عن أبيه عن جده عن النبي صلى
 الله عليه وسلم قال كواوا وتصدقوا
 والبسوا في غير اسراف ولا مخيلة
 وقال الامام أحمد حدثنا أبو المغيرة
 حدثنا سليمان بن سليم الكلبى
 حدثنا يحيى بن جابر الطائي سمعت
 المقدم بن معدي كرب الكندي قال
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول ماملأ ابن آدم وعاء شراً من
 بطنه حسب ابن آدم أكلات يقمن

كنت في شك الى آخره قاله ابن عباس وبه قال قتادة وقال مقاتل الآيتين فان كنت
 في شك الى آخره ما وثلاث وقال الكلبى الاقوله ومنهم من يؤمن به الآية فانها نزلت
 بالمدينة وقالت فرقة من أولها نحو من أربعين آية مكي وباقيها مدني قاله القرطبي وقال
 ابن سيرين كانت هذه السورة بعد السابعة وأخرج ابن مردويه عن أنس قال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله أعطاني الرأيات أى الطواسين مكان
 الانجيل وعن الاحنف قال صليت خلف عمر غداة فقراؤيس وهو دود وغيره ما قال
 الصاوى سميت السورة بذلك لذكر اسمها فيها وقصته وقد جرت عادة الله بتسمية السورة
 ببعض أجزائها

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) قال الجلال الله أعلم بمراده بذلك قال الصاوى هذا أحد الاقوال وهو أنها وأسلمها
 انتهى وقد تقدم الكلام مستوفى على هذه الحروف الواقعة في أوائل السور في أول سورة
 البقرة فلان عيده فففيه ما يغنى عن الاعادة وقد قيل ان معنى الر انا الله أرى قال النحاس
 ورأيت أبا إسحق يعيل الى هذا القول لان سيوبه قد حكى مثله عن العرب وقال الحسن
 وعكرمة الر قسم وقال قتادة الر اسم للسورة وقيل غير ذلك مما فيه تكلف لعلم ما سائر
 الله بعلمه وقد اتفق القراء على أن الر ليس بآية وعلى أن طه آية وفي مقنع أبي عمرو الداني
 أن العادين لظه آية هم الكوفيون فقط ولعل الفرق ان الر لا تشا كل مقاطع الآى التي
 بعدها (تلك) أى ما تضمنته السورة من الآيات والتبعية للتبعية وقيل الآيات
 المتقدمة على هذه السورة وقال مجاهد وقتادة أراد التوراة والانجيل وسائر الكتب
 المتقدمة فان تلك اشارة الى غائب مؤنث وقيل تلك بمعنى هذه أى هذه (آيات الكتاب
 الحكيم) وهو القرآن ويؤيد كون اشارة الى القرآن انه لم يجز للكتب المتقدمة ذكر
 وان الحكيم من صفات القرآن لامن صفات غيره والاضافة بمعنى لان هذه السورة
 بعض القرآن والحكيم المحكم بالحلال والحرام والحدود والاحكام قاله أبو عبيدة وغيره
 وقيل الحكيم معناه الحياكم فهو فاعيل بمعنى فاعل كقوله وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين
 الناس وقيل بمعنى المحكوم أى حكم الله فيه بالعدل والاحسان قاله الحسن وغيره وقيل

(٢٤ - فتح البيان ح) صلبه فان كان فاعلا لا محالة فنلت لضعفه وثبت لشرا به وثبت لنفسه ورواه النسائي والترمذى
 من طرق عن يحيى بن جابر به وقال الترمذى حسن وفي نسخة حسن صحيح وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا سويد
 ابن عبد العزيز حدثنا بقة عن يوسف بن أى كثير عن نوح بن ذكوان عن الحسن عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ان من السرف أن تأكل كل ما شهيت ورواه الذارقطنى فى الافراد وقال هذا حديث غريب تفرد به بقة وقال السدى
 كان الذين يطوفون بالبيت عراة يحرمون عليهم الودك ما قاموا فى الموسم فقال الله تعالى لهم كواوا شربوا الآية يقول لا تسرفوا

في التحريم وقال مجاهد أمرهم أن يأكلوا ويشربوا مما رزقهم الله وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ولا تسرفوا يقول ولا تأكلوا حراما ذلك الاسراف وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله وكلاوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يجب المسرفين في الطعام والشراب وقال ابن جرير وقوله انه لا يجب المسرفين يقول الله تعالى ان الله لا يحب المعتدين حده في حلال أو حرام الغالين فيما أحلنا حلال الحرام أو بتعريم الحلال ولكنه يجب أن يحلل ما أحل ويحرم ما حرم وذلك العدل الذي أمر به (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي (١٨٦) للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك تفصل الآيات لقوم

يعلمون) يقول تعالى رداعلى من حرم شيئا من المأكول والمشرب والملابس من تلقاء نفسه من غير شرع من الله قبل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما يحرمون بأرائهم الفاسدة وابتداعهم من حرم زينة الله التي أخرج لعباده الآية أي هي مخلوقة لمن آمن بالله وعبدته في الحياة الدنيا وان شركهم فيها الكفار حسافي الدنيا فهي لهم خاصة يوم القيامة لا يشركهم فيها أحد من الكفار فان الجنة محرمة على الكافرين قال أبو القاسم الطبراني حدثنا أبو حصين محمد بن الحسين القاضي حدثنا يحيى الجاني حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال كانت قريرش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون فانزل الله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده فأمرها بالثياب (قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحلق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) قال الامام أحمد حدثنا

الحكيم ذوالحكمة لاشتماله عليها وقيل الحكيم المنظوم نظم امتقنا لا يعتر به خلل بوجه من الوجوه وقيل الممتنع من الفساد فيكون المعنى لا تغيره الدهور والمراد براهته من الكذب والتناقض والاستفهام في قوله (أكان للناس عجبان أو حيننا) لانكار العجب مع ما يفسيده من التقرع والتوبيخ أي أكان يحاؤونا بعجب الناس والعجب حالة تعترى الانسان من رؤية شيء على خلاف العادة وقيل العجب ما لا يعرف سببه والمراد بالناس هنا أهل مكة يعني قريشا (الى رجل منهم) أي من جنسهم وليس في هذا ما يقتضى العجب فانه لا يلبس الجنس ويرشده ويخبره عن الله سبحانه الا من كان من جنسه ولو كان من غير جنسهم لكان من الملائكة أو من الجن ويتعذر المقصود حينئذ من الارسال لانهم لا يأثسون اليه ولا يشاهدونه ولو فرضنا تشككاهم وظهوره فاما أن يظهر في غير شكل النوع الانساني وذلك أو وحش لقلوبهم وأبعد من انهم وفي الشكل الانساني فلا بد من انكارهم لكونه في الاصل غير انسان هذا ان كان العجب منهم لكونه من جنسهم وان كان لكونه تيمما أو فقيرا فذلك لا يمنع من أن يكون من كان كذلك جامعاً من خصال الخير والشرف ما لا يجتمع غيره وبالغافي كمال الصفات الى حد يقصر عنه من كان غنياً أو غير يقيم وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يصطفيه الله بالرسالة من خصال السكال عند قريش ما هو أشهر من الشمس وأظهر من النهار حتى كانوا يسمونه الامين (ان أنذر الناس) أي خوفهم قيل ان هي المفسرة لان في الايجام معنى القول وقيل مصدرية والانداز اخبار مع تخويف كما ان البشارة اخبار مع سرور (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) من اضافة الموصوف الى الصفة كسجد الجامع وصلاة الاولى وحب الحصيد وفائدة هذه الاضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح التقدم لان كل شيء أضيف الى الصدق فهو مدح ومثله مقعد صدق ومدخل صدق واختلقت عبارات المفسرين وأهل اللغة في معنى قدم صدق فقيل منزل صدق وقال الزجاج درجة عالية وقال ابن الاعرابي القدم المتقدم في الشرف وقال أبو عبيدة والكسائي كل سابق من خير أو شر فهو عند العرب قدم يقال للفلان قدم في الاسلام وله عندى قدم صدق وقدم خير وقدم شر وقال نعلب التقدم كل ما قدمت من خير وقال ابن الانباري القدم كناية عن العمل الذي لا يقع فيه تأخير ولا ابطاء وقال قتادة سلف صدق وقال الربيع والضحك ثواب

صدق

أبو معاوية حدثنا الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا أحد أعز من الله أخرجاه في الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الاعمش عن شقيق أبي وائل عن عبد الله بن مسعود وتقدم الكلام على ما يتعلق بالفواحش ما ظهر منها وما بطن في سورة الانعام وقوله والاثم والبغى بغير الحلق قال السدي أما الاثم فالعصية والبغى أن تبغى على الناس بغير الحق وقال مجاهد الاثم المعاصي كلها وأخبر أن الباغي بغيه كائن على نفسه وحاصل ما فسر به الاثم انه الخطايا المتعلقة بالقاعل نفسه والبغى هو المتعدى الى الناس فحرم الله هذا وهذا وقوله تعالى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا

أى تجعلوا له شركاء فى عبادته وان تقولوا على الله ما لا تعلمون من الافتراء والكذب من دعوى انه ولد ونحو ذلك مما لا علم لكم به كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان الآية (ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يا بنى آدم ايا تاتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يقول تعالى ولكل أمة أى قرن وجيل أجل فاذا جاء أجلهم أى ميقاتهم المقدر لهم لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون ثم أنذر تعالى بنى آدم بانه سيبعث اليهم رسلا (١٨٧) يقصون عليهم آياته وبشر وحذر فقال فمن اتقى وأصلح أى ترك المحرمات وفعل

الطاعات فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أى كذبت بها قلوبهم واستكبروا عن العمل بها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون أى ما كثون فيها مكننا مخلدا (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا ان ما كنتم تدعون من دون الله فالواضوا عنا وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين) يقول فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا وكذب بآياته أى لا أحد أظلم ممن افترى الكذب على الله أو كذب بآياته المتزلة أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اختلف المفسرون فى معناه فقال العوفي عن ابن عباس ينالهم ما كتب عليهم وكتب لمن كذب على الله ان وجهه مسود وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يقول نصيبهم من الاعمال من عمل خيرا جزى به ومن عمل شرا جزى به وقال مجاهد ما وعدوا به من خيرا وشرا وكذا قال قتادة والضحاك

صدق وقال الحسن هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم يشفع لهم ونحوه عن زيد بن أسلم وهو قول قتادة وقال الحكيم الترمذى قدمه صلى الله عليه وآله وسلم فى المقام المحمود وقال مجاهد الاعمال الصالحة صلاحاتهم وصومهم وصدقهم ونسبهم وقيل عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه قاله الحسن وقال الليث وأبو الهيثم القدم السابعة أى سبق لهم عند الله خيرا وقال مقاتل اعمالهم فيها واختاره ابن جرير قال ابن عباس ما سبق لهم من السعادة فى الذكرا اول يعنى اللوح المحفوظ وقال أيضا جراحنا بما قدموا من اعمالهم وعن ابن مسعود قال القدم هو العمل الذى قدموه قال الله سبحانه سنكتب ما قدموا وآثارهم والا آثارهم ما هم قال مشى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين اسطواتين من مسجده ثم قال هذا أثر مكتوب وقيل غير ما تقدم مما لا حاجة الى التظويل بإيراده والروايات من التابعين وغيرهم فى هذا كثيرة وقد قدمنا كثيرا والسبب فى اطلاق لفظ القدم على هذه المعانى أن السعى والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة بالانها تعطى باليد (قال الكافرون ان هذا السحرمين) قرئ لساحر على انهم أرادوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باسم الاشارة وقرئ لسحرم على انهم أرادوا القرآن وقد تقدم معنى السحرم فى البقرة والجملة مستأنفة كانه قيل ماذا صنعوا بعد التعجب وقال القفال فيه اضممار والتقدير فلما أنذرهم قال الكافرون ذلك ثم ان الله سبحانه جاء بكلام يبطل به العجب الذى حصل للكفار من الايحاء الى رجل منهم فقال (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) من أيام الدنيا أى فى قدرها لانه لم يكن ثم شمس ولا قمر ولو شاء خلقهن فى لحظة والعدل عنده لتعليم خلقه التأنى والتسهل فى الامور وتخصيص الستة بالذ كرمع أن التثبت يتأنى بأقل منها ويزيد عليها قد استأثر الله بعلمه والمعنى ان من كان له هذا الاقتدار العظيم الذى تضيق العقول عن تصويره كيف يكون ارساله لرسوله الى الناس من جنسهم محلا للتعجب مع كون الكفار يعترفون بذلك فكيف لا يعترفون بصحة هذه الرسالة لهذا الرسول (ثم استوى على العرش) استواء يليق به وهذه طريقة السلف المفوضين وقد تقدم تفسير هذه الآية فى الاعراف بما فيه كفاية فلان عمده هنا قال السرخى ان الاستواء على العرش صفة له سبحانه بلا كيف انتهى فهذه الصفة يجب الايمان بها و امر ارها على ظاهرها من غير تأويل ولا تكليف

وغير واحد واختاره ابن جرير وقال محمد بن كعب القرظى أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال عمه ورزقه وعمره وكذا قال الربيع ابن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا القول قوى فى المعنى والسياق يدل عليه وهو قوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم ويصير المعنى فى هذه الآية كقوله ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع فى الدنيا ثم ينالون العذاب الشديد بما كانوا يكفرون وقوله ومن كفر فلا يحزنك كفره ينامر جمعهم فنبههم بما عملوا ان الله عليهم بذات الصدور نعتهم قليلا الآية وقوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم الآية يخبر تعالى ان الملائكة اذا توفت المشركين تفزعهم عند الموت وقبض ارواحهم الى الغايب

يقولون لهم أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة الدنيا وتدعونهم وتعبسدهم منهم من دون الله ادعوهم يخلصوك مما أنتم فيه قالوا ضلوا عنا أي ذهبوا عنا فلا نرجو نفعهم ولا خيرهم وشهدوا على أنفسهم أي أقرروا واعترفوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين (قال ادخلوا في أمم قد دخلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا أداركوا فيها جميعا قالت أختهم لا ولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فأتتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت أولاهم لا خراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) (١٨٨) يقول تعالى مخبرا عما يقوله لهؤلاء المشركين به المقترين عليه المكذبين

بآياته ادخلوا في أمم أي من أمم الكرم وعلى صفاتكم قد دخلت من قبلكم أي من الأمم السالفة الكافرة من الجن والإنس في النار يحتمل أن يكون بدلا من قوله في أمم ويحتمل أن يكون في أمم أي مع أمم وقوله كلما دخلت أمة لعنت أختها كما قال الخليل عليه السلام ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض الآية وقوله تعالى اذنبوا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار وقوله حتى إذا أداركوا فيها جميعا أي اجتمعوا فيها كلهم قالت أختهم لا ولاهم أي أختهم دخلا وهم الاتباع لا ولاهم وهم المتبعون لأنهم أشد جرم من أتباعهم فدخلوا قبلهم فيشبهوكوهم الاتباع إلى الله يوم القيامة لأنهم هم الذين أضلواهم عن سواء السبيل فيقولون ربنا هؤلاء أضلونا فأتتهم عذابا ضعفا من النار أي أضعف عليهم العقوبة كما قال

ولا تعطيل ولا تمثيل ليس كمثل شيء وهو السميع البصير وطريقة الخلف المؤولين محجوبة بنصوص الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة وأئمتها وظاهر الآية يدل على أنه تعالى إنما استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض لأن كلمة ثم للتراخي وذلك يدل على أنه تعالى كان قبل العرش غنيا عنه فلما خلقه امتنع أن تنقلب حقيقته وذاته عن الاستغناء إلى الحاجة فوجب أن يبقى بعد خلق العرش غنيا عنه ولكن لما قال هو سبحانه وتعالى باستوائه عليه وجب الإيمان به على ما يليق بالجلالة ثم ذكر ما يدل على من يدقدهته وعظيم شأنه مع ما مر من خلقها تلك الأجرام العظام فقال (يدبر الأمر) وترك العاطف لأن جملة يدبر كالتدبير والتفصيل لما قبلها وأصل التدبير النظر في أديار الأمور وعواقبها لتقع على الوجه المقبول والشكل المحمود وقال مجاهد يقضيه ويقدره وحده على الوجه الاتم لا الكمل وقيل يبعث الأمر وقيل ينزل الأمر وقيل يأمر به ويضيه والمعنى متقارب واشتقاقه من الدبر والأمر الشأن وهو أحوال ملكوت السموات والأرض والعرش وسائر الخلق من الجزئيات الخادثة شيئا فشيئا على أطوار حتى لا تكاد تحصى (ما من شفيح) يشفع عنده يوم القيامة (الامن بعد اذنه) له في الشفاعة لأنه عالم بمصالح عبادته في تدبيرهم فلا يجوز لأحد أن يسأله ما ليس له به علم قال الزجاج إن الكفار الذين خوطبوا بهذه الآية كانوا يقولون إن الأصنام شفعوا ونأخذ الله فرد الله عليهم بأنه ليس لأحد أن يشفع إليه في شيء إلا بعد اذنه لأنه أعلم بموضع الحكمة والصواب وله التصرف المطلق في العالم وقد تقدم معنى الشفاعة في البقرة وفي هذا بيان لاستبداده بالأمور في كل شيء سبحانه وتعالى (ذلكم) أي فاعل هذه الأشياء العظيمة من الخلق والتدبير (الله ربكم) أي سيدكم لأرب لكم سواء وفي هذه الجملة زيادة تأكيده لقوله إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض (فاعبدوه) أمرهم بعبادته بعد أن بين لهم أنه الحقيق بهادون غيره بل يدع صنعته وعظيم اقتداره فكيف تعبثون الجمادات التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر والاستفهام في قوله (أفلاتنكرون) لأنكار والتوبيخ والتقريب لأن من له أدنى تدبير أو إقل اعتبار يعلم بهذا ولا يخفى عليه ثم بين لهم ما يكون آخر أمرهم بعد الحياة الدنيا فقال (اليه مرجعكم جميعا) وفي هذا من التهديد والتخويف ما لا يخفى والمراد بالمرجع الرجوع إليه سبحانه إما بالموت أو بالبعث أو بكل واحد منهم ما وانتصاب (وعدا لله) على المصدر أو وهو منصوب بفعل مقدر ثم أكد ذلك

تعالى يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول وقالوا ربنا أنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السيلا ربنا أتتهم ضعفين من العذاب الآية وقوله قال لكل ضعف الآية أي قد فعلنا ذلك وجازينا كلاب بحسبه كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا الآية وقوله وليحملن أثقالهم وأثقالهم وقوله ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الآية وقالت أولاهم لا خراهم أي قال المتبعون للاتباع فما كان لكم علينا من فضل قال السدي فقد ضلتم كما ضلنا فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون وهذه الحال كما أخبر الله تعالى عنهم في حال محشرهم في قوله تعالى ولوترى أذ الظالمون

الوعد

موقوفون عندهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا والاولا انتم لكم مؤمنين قال الذين استكبروا والذين استضعفوا ونحن صدقناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكروا والليل والنهار اذ تأمرنا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يبل الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين (١٨٩) لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين) قوله

الوعد بقوله (حقاً) فهو تأكيدياً كيدلالتأكيدي فيكون في الكلام من الوكاد ما هو الغاية في ذلك وقرئ وعد الله حق على الاستثناء في مثل سبحانه ما تقدم بقوله (انه) بالكسر استثناءً (يبدأ الخلق) أي ان هذا شأنه يبتدئ خلقه من التراب (ثم يعيده) اليه والخلق بمعنى الخلق والمضارع بمعنى الماضي وعبره استحضار الصورة الغريبة أو معنى الاعادة الجزاء يوم القيامة قال مجاهد ينشئه ثم يميتة ثم يحييه للبعث وقيل ينشئه من الماء ثم يعيده من حال الى حال وقرئ انه بالفتح وهي شاذة أي وعدكم الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده أو التقدير لانه يبدأ الخلق قال أحمد بن يحيى التقدير حقاً ابدأه الخلق وفي الآية دليل على امكان الحشر والنشر والمعاد وصحة وقوعه ورد على منكري البعث ثم ذكر غاية ما يترتب على الاعادة فقال (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) أي بالعدل الذي لا جور فيه أي يجزيهم متلبساً بالقسط أو متلبسين به أو بسبب قسطهم والمراد به هنا الايمان بدليل المقابلة في قوله بما كانوا يكفرون (والذين كفروا) يحتمل وجهين أحدهما أن يكون مرفوعاً بالابتداء وجهه (لهم شراب من حميم وعذاب أليم) خبره والثاني أن يكون منصوباً عطفاً على الموصول قبله وتكون الجملة بعده مبنية لجزائهم وقيل الجملة في محل نصب على الحال أي حال كونهم لهم هذا الشراب وهذا العذاب المؤلم ولكن يشك على ذلك ان هذا الشراب وهذا العذاب الليم هما من الجزاء والحميم الماء الحار الذي قد انتهى حره وكل مسخن عند العرب فهو حميم وتغيير الاسلوب للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الالباب والعذاب وقع بالعرض وانه تعالى يتولى ائابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه وأما عقاب الكفرة فكانت داء ساقه اليهم سوءاً اعتقادهم وسوءاً فعلاً لهم (بما كانوا يكفرون) أي بسبب كفرهم (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا) ذكره هنا بعض نعمة على المكلفين وهو ما يستدل به على وجوده ووحده وقدرته وعلمه وحكمته بان تقان صنعته في هذين النيران المتعاقبين على الدوام بعد ما ذكر قبل هذا ابداعه للسموات والارض واستواءه على العرش وغير ذلك والضياء قيل جمع ضوء كالسياط والسوط والحياض والحوض والاولى أن يكون ضياء مصدراً لاجتماعها ولا بد من تقدير مضاف أي جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذات نور الا ان

الوعد بقوله (حقاً) فهو تأكيدياً كيدلالتأكيدي فيكون في الكلام من الوكاد ما هو الغاية في ذلك وقرئ وعد الله حق على الاستثناء في مثل سبحانه ما تقدم بقوله (انه) بالكسر استثناءً (يبدأ الخلق) أي ان هذا شأنه يبتدئ خلقه من التراب (ثم يعيده) اليه والخلق بمعنى الخلق والمضارع بمعنى الماضي وعبره استحضار الصورة الغريبة أو معنى الاعادة الجزاء يوم القيامة قال مجاهد ينشئه ثم يميتة ثم يحييه للبعث وقيل ينشئه من الماء ثم يعيده من حال الى حال وقرئ انه بالفتح وهي شاذة أي وعدكم الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده أو التقدير لانه يبدأ الخلق قال أحمد بن يحيى التقدير حقاً ابدأه الخلق وفي الآية دليل على امكان الحشر والنشر والمعاد وصحة وقوعه ورد على منكري البعث ثم ذكر غاية ما يترتب على الاعادة فقال (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) أي بالعدل الذي لا جور فيه أي يجزيهم متلبساً بالقسط أو متلبسين به أو بسبب قسطهم والمراد به هنا الايمان بدليل المقابلة في قوله بما كانوا يكفرون (والذين كفروا) يحتمل وجهين أحدهما أن يكون مرفوعاً بالابتداء وجهه (لهم شراب من حميم وعذاب أليم) خبره والثاني أن يكون منصوباً عطفاً على الموصول قبله وتكون الجملة بعده مبنية لجزائهم وقيل الجملة في محل نصب على الحال أي حال كونهم لهم هذا الشراب وهذا العذاب المؤلم ولكن يشك على ذلك ان هذا الشراب وهذا العذاب الليم هما من الجزاء والحميم الماء الحار الذي قد انتهى حره وكل مسخن عند العرب فهو حميم وتغيير الاسلوب للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الالباب والعذاب وقع بالعرض وانه تعالى يتولى ائابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه وأما عقاب الكفرة فكانت داء ساقه اليهم سوءاً اعتقادهم وسوءاً فعلاً لهم (بما كانوا يكفرون) أي بسبب كفرهم (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا) ذكره هنا بعض نعمة على المكلفين وهو ما يستدل به على وجوده ووحده وقدرته وعلمه وحكمته بان تقان صنعته في هذين النيران المتعاقبين على الدوام بعد ما ذكر قبل هذا ابداعه للسموات والارض واستواءه على العرش وغير ذلك والضياء قيل جمع ضوء كالسياط والسوط والحياض والحوض والاولى أن يكون ضياء مصدراً لاجتماعها ولا بد من تقدير مضاف أي جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذات نور الا ان

طويل رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن المنهال بن عمرو به وقد رواه الامام أحمد بطوله فقال حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فاتمينا الى القبر ولما جلد جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأن على رؤسنا الطير وفي يده عود ينسكت به في الارض فرفع رأسه فقال استعبدوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً ثم قال ان العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال الى الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من

حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجي ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس المطمئنة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كالتسيل القطرة من فم السقاء فيأخذها فاذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كاطيب نفحة مسك وجسدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يرون يعني بها على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان بن فلان بأحسن اسمائه التي كانوا يسمونها بها في الدنيا حتى ينتهوا به الى السماء الدنيا فيستفتحون له (١٩٠) فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقر بوها الى السماء التي تليها حتى ينتهي بها الى

يحمل على المبالغة كأنهما جعلتا نفس الضياء والنور قيل الضياء أقوى من النور وقيل هو ما كان بالذات والنور ما كان بالعرض فاقام بالشمس يقال له ضياء وما قام بالقمر يقال له نور ومن هنا قال الحكماء ان نور القمر مستقادم من ضوء الشمس والشمع الفاض من الشمس قيل جوهره وقيل عرض قال الصاوي والحق انه عرض لقيامه بالاجرام وضياءه مفعول ثان ان جعل الجبل بمعنى التصيير وحال ان جعل بمعنى الخلق قال السدي لم يجعل الشمس كهيئة القمر لكي يعرف الليل من النهار وهو قوله فنجونا بآية الليل الآية قال ابن عباس وجوهها ما الى السموات واقفيتهما الى الارض وعن ابن عمرو مثله (وقدره) أي قدر مسير القمر في (منازل) أوقدره ذامنازل وبه يعرف انقضاء الشهر والسنتين وذلك ان الشهر والمعتبر في الشرع مبنية على رؤية الالهة والسنة المعتبرة في الشرع هي القمرية لا الشمسية ومنازله هي المسافة التي يقطعها في يوم وليله بجر كته الخاصة به وجملة ثمانية وعشرون وهي معروفة منقسمة على اثني عشر برجا لكل برج منزلان وثلاث منزل ينزل القمر في كل ليلة منزلا منها الى انقضاء ثمانية وعشرين لا يتخطاه فيبدو وصغيرا في أول منازل ثم يكبر قليلا قليلا حتى يبدو كاملا واذا كان في آخر منازل رقيق واستقوس ثم يستر ليلتين لا يبصر ولا يرى اذا كان الشهر كاملا وليله اذا كان الشهر ناقصا والكلام في هذا يطول وقد جمع الشوكاني فيه رسالة مستقلة جوابا عن سؤال أورده عليه بعض الاعلام وقيل ان الضمير راجع الى كل واحد من الشمس والقمر كما قيل في قوله تعالى واذا رأوا تجارة أولهوا انقضوا اليها وقوله والله رسوله أحق أن يرضوه وقد قدمنا تحقيق هذا فيما سبق من هذا التفسير والاولى رجوع الضمير الى القمر وحده كما في قوله تعالى والقمر قدرناه منازل ثم ذكر بعض المنافع المتعلقة بهذا التقدير فقال (تعلموا) بذلك التقدير (عدد السنين والحساب) أي حساب الشهور والايام والساعات ونقصانها وزيادتها ووقت دخولها وانقضائها فان في العلم بعدد السنين من المصالح الدينية والدنيوية ما لا يحصى وفي العلم بحساب الايام والليالي من ذلك ما لا يخفى ولولا هذا التقدير الذي قدره الله سبحانه لم يعلم الناس بذلك ولا عرفوا ما يتعلق به كثير من مصالحهم والسنة تحصل من اثني عشر شهرا والشهر يتحصل من ثلاثين يوما ان كان كاملا ومن تسع وعشرين يوما ان كان ناقصا واليوم يتحصل من ساعات معلومة هي أربع وعشرون ساعة

السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدى في عليين وأعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربى الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد البصر قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أأبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له من أنت فوجهك اليوم مجيى بالخبر فيقول انا عمك الصالح فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلى ومالى قال وان العبد الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجي ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب قال فيفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فاذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يجعلها في تلك المسوح ويخرج منها كاتن ربح جيفة وجسدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يرون بها على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون فلان بن فلان بأقبح اسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا فيستفتح له فلا يفتح ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء

اليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجي ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب قال فيفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فاذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يجعلها في تلك المسوح ويخرج منها كاتن ربح جيفة وجسدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يرون بها على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون فلان بن فلان بأقبح اسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا فيستفتح له فلا يفتح ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء

ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سبعين في الارض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق فتعادر روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاهاهاه لا أدري فيقولان ما دينك فيقول هاهاهاه لا أدري فيقولان ما هدا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاهاهاه لا أدري فينادى مناد من السماء ان كذب فأفرشوه من النار واقفحوه يا با من النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه (١٩١) قبيح الشباب منتن الريح فيقول ابشر بالذي

يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من أنت فوجهك اليوم يجي بالشرف فيقول اناعلمك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة وقال الامام أحمد أيضا حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن يونس بن خباب عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة فذكروا فيه وفيه حتى اذا خرج روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت له ابواب السماء ليس من أهل باب الا وهم يدعون الله عز وجل أن يعرج بروحه من قبلهم وفي آخره ثم يقبض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة لوضرب بها جبهته كل ترابا فيضربه بضربة فيصير ترابا ثم يعيده الله عز وجل كما كان ويضربه بضربة أخرى فيصبح صحيحة يسعها كل شيء الا الثقلين قال البراء ثم يفتح له باب من النار ويهدله من فرش النار وفي الحديث الذي رواه الامام أحمد والنسائي وابن ماجه وابن جرير واللفظ له من حديث محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة أن

الليل والنهار وقد يكون لكل واحد منهما اثنتا عشرة ساعة في أيام الاستواء وينبدأ أحدهما على الآخر في أيام الزيادة وأيام النقصان والاختلاف بين السنة الشمسية والقمرية معروف ذكرناه في لقطه العجلان وحجج الكرامة (ما خلق الله ذلك) بين سبحانه انه ما خلق الشمس والقمر واختلاف تلك الاحوال (الابالحق) والصواب دون الباطل والعبث والاشارة بقوله ذلك الى المدكور قبله من جعل الشمس ضياء والقمر نورا أو تقديره منازل والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال (يفصل الآيات لقوم يعلمون) معنى التفصيل تبينها والمراد بالآيات التكوينية والتزليلية أو مجموعهما ويدخل هذه الآيات التكوينية المذكورة ههنا دخولا وليا في ذلك قرئ بفصل بالياء والنون وهما سبعيتان وعلى الثانية فيه التفات ثم ذكر سبحانه المنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض من تلك المخلوقات فقال (ان في اختلاف الليل والنهار) أي في تعاقبها ما يكون كل منهما خلفه للاخر بحسب طلوع الشمس وغروبها أو في تفاوتها ما أنفسها ما يزيدا لكل منهما واتقاص الآخر باختلاف حال الشمس بالنسبة اليها فياوبعدا بحسب الأزمنة أو في اختلافها وتفاوتها بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي أيامها الصيفية أطول ولياليها الصيفية أقصر من أيام البلاد البعيدة منه ولياليها وأما في انفسها فان كربة الارض تقتضي أن يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابلة نهارا (وما خلق الله في السموات) من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك (والارض) من حيوان وجمال وبيجار وأنهار وأشجار وغيرها (آيات) دلالات على قدرته تعالى (لقوم يتقون) الله سبحانه ويحبتون معاصيه خضعتهم بهذه الآيات لانهم الذين يعنون النظر والتفكير في مخلوقات الله سبحانه حذر انهم عن الوقوع في شيء مما يخالف مراد الله سبحانه ونظره اقامة أمرهم وما يصلحهم في معادهم قال القائل من تدبر في هذه الاحوال علم ان الدنيا (مخلوقة لبقاء الناس فيها وان خالفتها وحالفهم ما أهملهم بل جعلها لهم دار عمل واذا كان كذلك فلا بد من أمر ونهي عن خلقه العبدى قال لو ان الله تبارك وتعالى لم يعبد الا عن رؤيته ما عبده أحد ولكن المؤمنين تفكروا في محجى هذا الليل اذا جاء قلاء كل شيء وعطى كل شيء وفي محجى سلطان النهار اذا جاء فحسب سلطان الليل وفي السحاب المسخر بين السماء والارض وفي النجوم

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الميت تحضره الملائكة فاذا كان ارجل الصالح قالوا اخرجي أيتها النفس المطمئنة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فيقولون ذلك حتى يعرجهم الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التي سكنت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فيقال لها ذلك حتى ينتهي بها الى السماء التي فيها الله عز وجل واذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وابشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فيقولون ذلك (١) قوله مخلوقة الخ كذا في أصله وحرر العبارة فاعل فيها سقطا اه صححه

حتى يخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقولون لا امر حيا بالنفس الخبيثة كانت في
الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فانه لم يفتح لك ابواب السماء فترسل بين السماء والارض فتصير الى القبر وقد قال ابن جرير في قوله لا تفتح
لهم ابواب السماء لا تفتح لا عملهم ولا لارواحهم وهذا فيه جمع بين القولين والله أعلم وقوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يبل الجبل
في سم الخياط هكذا قرأه الجمهور وفسروه بأنه البعير قال ابن مسعود هو الجبل ابن الناقة وفي رواية تزوج الناقة وقال الحسن
البصري حتى يدخل البعير في خرق الابرة (١٩٢) وكذا قال أبو العالمة والضحاك وكذا روى علي بن أبي طلحة والعمري عن ابن عباس

وفي الشتاء والصيف فوالله ما زال المؤمنون يتفكرون فيما خلق ربهم حتى أيقنت
قلوبهم برهم وقد تقدم تفسير هذه الآية في نظائرها (ان الذين لا يرجون لقاءنا) شرع
الله سبحانه في شرح أحوال من لا يؤمن بالمعاد ومن يؤمن به وقد علم الطائفة التي لم تؤمن
لان الكلام في هذه السورة مع الكفار الذين يعجبون مما لا يعجب فيه ويهملون النظر
والتفكير فيما لا ينبغي اهماله مما هو مساعدا لكل حى طول حياته فيتسبب عن اهمال
النظر والتفكير الصادق عدم الايمان بالمعاد ومعنى الرجاء هنا الخوف وقيل الطمع فالمعنى
على الاول لا يخافون عقابا وعلى الثانى لا يطمعون في ثواب اذ لم يكن المراد باللقاء حقيقة
فان كان المراد به حقيقة كان المعنى لا يخافون رؤيتنا ولا يطمعون في رؤيتنا وقيل
المراد بالرجاء هنا التوقع فيدخل تحته الخوف والطمع فيكون المعنى لا يتوقعون لقاءنا
فهم لا يخافونه ولا يطمعون فيه (ورضوا بالحياة الدنيا) عوضا عن الآخرة فعملوا بها
(واطمأننوا بها) أى وقد سكنت نفوسهم اليها وفرحوا بها (والذين هم عن آياتنا غافلون)
العطف انما هو لتغاير الصفات أى غفلوا عن آياتنا الكونية والشرعية لا يعتبرون بها
ولا يتفكرون فيها قيل المراد بالآيات أدلة التوحيد وقيل محمد والقرآن (أولئك) أى
المتصفون بالصفات السابقة من عدم الرجاء وحصول الرضا والاطمئنان والغفلة
(وأولئك أصحاب الجنة) أى مشواهم ويمكن اقامتهم (بما كانوا) أى بسبب ما كانوا (يكسبون)
من الكفر والتكذيب بالمعاد فهذا حال الذين لا يؤمنون بالمعاد وأما حال الذين يؤمنون به
فقد بينه سبحانه بقوله (ان الذين آمنوا) أى فعلوا الايمان الذى طلبه الله منهم بسبب
ما وقع منهم من التفكير والاعتبار فيما تقدم ذكره من الآيات (وعملوا الصالحات) التى
يقتضها الايمان وهى ما شرعه الله لعباده المؤمنين (يهدىهم ربهم بايمانهم) أى يرزقهم
الهداية بسبب هذا الايمان المضموم اليه العمل الصالح فيصلون بذلك الى الجنة وعبارة
أبى السعود يهدىهم بسبب ايمانهم الى ما وهم ومقصدهم وهى الجنة وانما تذكر
تعالى على ظهورها وانسياق النفس اليها قال القاضى ومفهوم الترتيب وان دل على
ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال
الايمان بالسببية وأن العمل الصالح كالتمة والرديف له انتهى وهذا دل على الكشف من
أن الآيات على أن المعتبر فى الهداية الى الجنة هو المقيد بالعمل الصالح لا المطلق قال

وقال مجاهد وعكرمة عن ابن
عباس انه كان يقول ما يبلغ الجبل في
سم الخياط بضم الجيم وتشديد الميم
يعنى الجبل الغليظ في خرق الابرة
وهذا اختيار سعيد بن جبير في
رواية أنه قرأ حتى يبلغ الجبل يعنى
قلوس السفن وهى الجبال الغلاظ
وقوله لهم من جهنم مهاد قال
القرش ومن فوقهم عواش قال
اللحف وكذا قال الضحاك بن
مزاحم والسدى وكذلك تجزى
الظالمين (والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لانكف نفسا الاوسعها
أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون
ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى
من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله
الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا
ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا
بالحق ونودوا أن تترككم الجنة
أورثتموها بما كنتم تعملون) لما
ذكر تعالى حال الاشقياء عطف بذكر
حال السعداء فقال والذين آمنوا
وعملوا الصالحات أى آمنت قلوبهم
وعملوا الصالحات بجوارحهم
ضد أولئك الذين كفروا بآيات الله
واستكبروا عنها نبه تعالى على أن

الايمان والعمل به سهل لانه تعالى لا يكف نفسا الاوسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما فى صدورهم من غل أى من حسد وبغض كما جاء فى صحيح البخارى من حديث قتادة عن أبى المتوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلص المؤمنون من النار حسبوا بقنطرة بين الجنة والنار فاقصص لهم مظالم كانت بينهم
فى الدنيا حتى اذا هذبوا وتقوا اذن لهم فى دخول الجنة فوالذى نفسى بيده ان أحدهم بمنزلة فى الجنة أدل منه بمسكنه كان فى الدنيا
وقال السدى فى قوله ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار الآية ان أهل الجنة اذا سبقوا الى الجنة وجدوا عند بابها

شجرة في أصل ساقها عيمان فيشربوا من احداهما فينزح ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واعتسلوا من الاخرى
 فغرت عليهم نضرة النعيم فلم يشعشوا ولم يكلموا بعدها أبدا وقد روى أبو اسحق عن عاصم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب نحو ما من
 هذا كما سيأتي في قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ان شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان وقال قتادة قال علي رضي الله
 عنه اني لارجوان أكون أنا وعمتان وطلمحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل رواه ابن جرير وقال
 عبد الرزاق أخبرنا ابن عيينة عن اسراييل قال سمعت الحسن يقول قال علي (١٩٣) فينا والله أهل بدر نزلت ونزعنا ما في صدورهم

من غل وروى النسائي وابن مردويه
 واللفظ له من حديث أبي بكر بن
 عياش عن الاعمش عن أبي صالح
 عن أبي هريرة قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم كل أهل الجنة
 يرى مقعده من النار فيقول لولا ان
 الله هداني فيكون له شكر او كل
 أهل النار يرى مقعده من الجنة
 فيقول لولا ان الله هداني فيكون له
 حسرة ولهذالمأثور ما مقاعد
 أهل النار من الجنة فودوا ان
 تلکم الجنة أو رثتموها بما كنتم
 تعملون أي بسبب أعمالكم نالتكم
 الرحمة فدخلتم الجنة وتبوأتم
 منازلكم بحسب أعمالكم وانما
 وجب الحمل على هذا المأثبات في
 الصحاحين عنه صلى الله عليه وسلم
 انه قال واعلموا ان أحدكم لن يدخله
 عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله
 قال ولا أنا الا أن يتغمديني الله
 برحمة منه وفضل (ونادى أصحاب
 الجنة أصحاب النار ان قد وجدنا
 ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد
 ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم
 ان لعنة الله على الظالمين الذين
 يصدون عن سبيل الله ويغونها

الخفاجي وقد ردهذا بأن الجمع بين العمل الصالح والايان ظاهر في انه ما السبب
 والتصريح بسببية الايمان المضاف الى الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالتنصيص على انه
 ذلك الايمان المقرون بجماعه لا المطلق لكنه ذلك لاصاته وزيادة شرفه فلا استدرالك
 ولادلالة على استقلاله ثم ان النزاع انما هو في سبب الهداية الى طريق الجنة لا الى
 الاستقامة على سلوك السبيل المؤدى الى الثواب وان لا يكون مهتديا الى الجنة
 لا يدخل الجنة مطلقا ومنعه مكابرة فتدبر اه وعبارة أبي السعود وفي النظم الكريم
 اشعار بأن مجرد الايمان والعمل الصالح لا يكفي في الوصول الى الجنة بل لا بد بعد ذلك من
 الهداية الربانية وان الكفر والمعاصي ككافية في دخول النار ثم انه لا نزاع في أن المراد
 بالايمان الذي جعل سببا لتلك الهداية هو ايمانهم الخاص المشفوع بالاعمال الصالحة
 لا الايمان المجرد عنها ولا ما هو أعم منهما الا ان ذلك بمعزل عن الدلالة على خلاف ما عليه
 أهل السنة والجماعة من أن الايمان الخالي عن العمل الصالح يقضى الى الجنة في الجملة
 ولا يخلد صاحبه في النار فان منطوق الآية الكريمة ان الايمان المقرون بالعمل الصالح
 سبب الهداية الى الجنة واما ان كل ما هو سبب لها يجب أن يكون كذلك فلا دلالة لها
 ولا غيرها عليه قطعا كيف لا وقوله عز وجل الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك
 اهدى الامن وهم مهتدون مناد بخلافه فان المراد بالظلم هو الشرك كما اُطبق عليه المفسرون
 والمعنى لم يخلطوا ايمانهم بشرك ولئن حمل على ظاهره أيضا يدخل في الاهتداء من آمن ولم
 يعمل صالحا ثم مات قبل ان ينظم بفعل حرام أو بترك واجب اه وقال النسفي في المدارك
 وهذا دليل على أن الايمان المجرد من حيث قال بايمانهم ولم يضم اليه العمل الصالح
 ولفظ الخازن والمهايمي بايمانهم وبأعمالهم وقال الصاوي أي بسبب أعمالهم أيضا
 فالايان والاعمال الصالحة سببان موصولان لدار السعادة أو المراد بالايمان الكامل
 ليشمل الاعمال والمثله من المعارك ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات (تجري
 من تحتهم الانهار) مستأنفة وأخبرنا ان أوفى محل النصب على الحال والمعنى من تحت
 سياتينهم أو من بين أيديهم لانهم على سرر مرفوعة (في جنات النعيم) خبر آخر وأحال
 أخرى منه أو من الانهار أو متعلق بتجري (دعواهم فيها سبحانك اللهم) أي دعواؤهم
 وندائهم وطلبهم لما يشتهونه في الجنة هذا اللفظ وهو من باب الاسناد اللفظي وقيل هذا من

(٢٥ - فتح البيان ح)

عوجا وهم بالآخرة كافرين) يخبر تعالى بما يخاطب به أهل الجنة أهل النار على
 وجه التقرير والتوبيخ اذا استقر وافي منازلهم ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ان ههنا مفسرة للتقول المحذوف وقد للتحقيق أي
 قالوا لهم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم كما أخبر تعالى في سورة الصافات عن الذي كان له قرين
 من الكفار فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين أفما نحن بمبتلين الامم وقتنا
 الاولى وما نحن بمعذبين أي ينكر عليه مقاتله التي يقولها في الدنيا وبقرة بما صار اليه من العذاب والنكال والملائكة يقولون

لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون أفحس هذا أم أنتم لا تصرون أصلوها فاصبروا وأول تصبر واسوء عليكم انما يجزون ما كنتم تعملون وكذلك قرع رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلى القلب يوم بدر فنادى يا أيا جهل بن هشام ويا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة وسبي رؤسهم هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فاني وجدت ما وعدني ربي حقاً وقال عمر يا رسول الله تخاطب قوماً قد جفوا فقال والذي نفسي بيده ما أنتم بأجمع لما أقول منهم ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا وقوله فأذن مؤذن بينهم أي أعلم معلم ونادى مناد أن لعنة الله على الظالمين أي مستقرة عليهم (١٩٤) ثم وصفهم بقوله الذين يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجاً أي يصدون

الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه وما جاءت به الأنبياء ويغنون أن تكون السبيل معوجة غير مستقيمة حتى لا يتبعها أحد وهم بالآخرة كافرون أي وهم بملقاء الله في الدار الآخرة ككافرون أي جاحدون مكذبون بذلك لا يصدقونه ولا يؤمنون به فلهم هذا لا يبألون فيأتون المنكر من القول والعمل لانهم لا يخافون حساباً عليه ولا عقاباً فهم شر الناس أقوا الأراغمة (و بينهم ما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم و نادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون وإذا صرفت أبصارهم تلقأ أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) لما ذكر تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار أنه أن بين الجنة والنار حجاباً وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة قال ابن جرير وهو السور الذي قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله المعبذب وهو الاعراف الذي قال الله تعالى فيه وعلى الاعراف رجال

باب الاسناد المعنوي فلا يلزم ان يقولوا هذا اللفظ فقط بل يقولونه أو ما يؤدي معناه من جميع صفات التنزيه والتقديس قبل الدعاء بالعبادة كقوله وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وقيل معنى دعواهم هنا الادعاء الكائن بين المتخاصمين والمعنى ان أهل الجنة يدعون في الدنيا والآخرة تنزيه الله سبحانه من المعائب والاقرار له بالالهية وقيل قولهم وكلامهم قال القفال أصله من الدعاء لان الخصم يدع خصمه الى من يحكم بينهم وقيل معناه طريقتهم وسيرتهم وذلك ان المدعى للشيء مواظب عليه فيمكن أن يجعل الدعوى كناية عن الملازمة وان لم يكن في قوله سبحانه اللهم دعوى ولا دعاء وقيل معناه تمنيمهم كقوله ولهم ما يدعون وكان تمنيمهم في الجنة ليس الاتسيع الله وتقديسه وأخرج ابن مردويه عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قالوا سبحانه اللهم أناهم ما اشتروا من الجنة من ربهم وقد روى نحو هذا عن جماعة من التابعين فهذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في احضار الطعام فإذا أرادوه قالوا سبحانه اللهم فيأتوهم به في الوقت على حسب ما يشتهون واضعين له على الموائد في كل صحفة لون من الطعام لا يشبه بعضه بعضاً فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم كما يأتي فترفع الموائد عند ذلك قال الزجاج أعلم الله ان أهل الجنة يدعون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكر الله والتناء عليه وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر في الحديث والمعنى نسجك يا الله تسبيحاً (وتحيتهم فيها سلام) أي تحية بعضهم لبعض فيكون المصدر مضافاً الى الناعل أو تحية الله أو الملائكة لهم فيكون من اضافة المصدر الى المفعول والتحية التكرمة بالحالة الجليلة أصلها أحيالك الله حياة طيبة والسلام السلامة من كل مكروه وقد مضى تفسيره في سورة النساء (وأخر دعواهم) أي وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح في كل مجلس (ن) يقولوا (الحمد لله رب العالمين) وليس معناه انقطاع الحمد فان أقوال أهل الجنة وأحوالها لا آخر لها والدعوى مشهورة في الادعاء لكنها وردت بمعنى الدعاء أيضاً وهو المراد هنا بقريته ما بعده لانه من جنس الدعاء وتكون أيضاً بمعنى العبادة وقد جوز اردته هنا وان كانت الجنة ليست دار تكليف أي لا عبادة لهم غير هذا القول والاول أظهر والناسي أدق والمراد انه عبادة لهم تلذذ الاتكليف فاذا كره الخفافى قال أبو السعد ولا يساعده تعيين الخاتمة اه قال النحاس مذهب الخليل ان هذه مخنفة من الثقيلة والمعنى انه

ثم روى بإسناده عن السدي انه قال في قوله وبينهم ما حجاب هو السور وهو على الاعراف وقال مجاهد الاعراف الحمد حجاب بين الجنة والنار سور له باب قال ابن جرير والاعراف جمع عرف وكل مرتفع من الارض عند العرب يسمى عرفاً وانما قيل لعرف الديك عرفاً لارتفاعه وحديثنا سفيان بن وكيع حديثنا ابن عيينة عن عبد الله بن أبي يزيد مع ابن عباس يقول الاعراف هو الشيء المشرف وقال الثوري عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال الاعراف سور كعرف الديك وفي رواية عنه الاعراف تل بين الجنة والنار حجب عليه أناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار وفي رواية عنه هو سور بين الجنة والنار وكذا قال الضحاك

وغير واحد من علماء التفسير وقال السدي انما هي الاعراف اعراف لان اصحابه يعرفون الناس واختلفت عبارات المفسر في اصحاب الاعراف من هم وكما هاقرية ترجع الى معنى واحد وهو انهم قوم استوت حسنتهم وسيئاتهم نص عليه حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحيم الله وقد جاء في حديث من روى الحافظ أبو بكر من روى به حدثنا عبد الله بن ابي عمير حدثنا عبد بن الحسين حدثنا سليمان حدثنا داود بن النعمان بن عبد السلام حدثنا شيخنا يقول له ابو عباد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله صلى الله (١٩٥) عليه وسلم عن استوت حسنة وسيئة فقال

اولئك اصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطعمون وهذا حديث غريب من هذا الوجه ورواه من وجوه آخر عن سعيد بن سلمة بن ابي الحسام عن محمد بن المنكدر عن رجل من من بنيته قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استوت حسنة وسيئة وعن اصحاب الاعراف فقال انهم قوم خرجوا عصاة بغير اذن آباءهم فقتلوا في سبيل الله وقال سعيد بن منصور حدثنا أبو يعقوب حدثنا يحيى بن شبيل عن يحيى بن عبد الرحمن المزني عن ابيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اصحاب الاعراف قال هم ناس قتلوا في سبيل الله بمصيبة آباءهم فقتلوا من دخول الجنة مصيبة آباءهم ومنعهم من النار قتلهم في سبيل الله ورواه ابن مردويه وابن جرير وابن ابي حاتم من طرق عن ابي يعقوب وكذا رواه ابن ماجه مرفوعا من حديث ابي سعيد الخدري وابن عباس والله اعلم بحقيقة هذه الاخبار المرفوعة وقصارها ان تكون موقوفة وفيه دلالة على ما ذكر

الحمد لله وقال المبرد يجوز ان تعماها خفيفة عملها ثقيلة والرفع اقيس ولم يحك أبو عبيد الا التخفيف قال أبو الهذيل الحمد اول الكلام وآخر الكلام ثم تلا هذه الآية وماذا كراهه سبحانه الوعيد على عدم الايمان بالمعاد ذكر ان هذا العذاب من حقه ان يتأخر عن هذه الحياة الدنيا فقال (ولو يجعل الله للناس الشر) أي اجابة دعائهم بالشر مما لهم فيه مضرة ومكره في نفس أو مال والتعجيل تقديم الشيء قبل وقته وقال القفال لما وصفهم بالغفلة أكد ذلك بان من غاية غفلتهم ان الرسول متى أئذ بهم استجابوا للعذاب فيبين الله سبحانه انه لا مصالحة في اقبال الشر اليهم فلعلهم يتوبون أو يخرج من أصلابهم من يؤمن قيل ومعناه لو جعل الله للناس العقوبة (استجاب لهم بالخير) أي كما يستجابون بالتوب والخير أي استجابا لمثل استجابهم قال مكي وهذا مذهب سيدي به أو تعجيلا لمثل استجابهم وهذا تقدير أي البقاء وهو الظاهر وقال الزمخشري أصله تعجيله لهم بالخير وهو ضعيف جدا وقيل منصوب على اسقاط كاف التشبيه أي كاستجابهم والاستجاب طلب العجلة (لغضى اليهم أجلهم) أي لاهلكهم وقيل معناه لا ميتوا قال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة واعطاء المسئول يقول لو أجابهم الله اذ ادعوه بالشر الذي يستجابون به استجابهم بالخير لفرغ من اهلا كههم ولكن الله عز وجل يفضله وكرمه يستجيب للداعي في الخير ولا يستجيب له في الشر وقال مجاهد في الآية هو قول الانسان لولده وأهله عند الغضب لغضبكم الله لا بارك الله فيكم وقال سعيد بن جبير هو قول الرجل للرجل اللهم اغضب الله لهم اخره وهو يجب أن يستجاب له وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وأهله وماله بما يكره أن يستجاب له فيه وقيل الآية خاصة بالكفار الذين أنكروا البعث وما يترتب عليه وقيل نزلت في النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية وقرئ لغضى على البناء للفاعل وهي قراءة حسنة لمناسبة ذلك لقوله ولو يجعل الله بصورة القياس هكذا لو يجعل الله الشر للناس لاهلكهم لكنه لم يهلكهم بل أمهاتهم فلم يجعل لهم الشر ويدل على هذا القول قوله (فتذر الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يتوقعونه فالقاء للعطف على مقدر يدل عليه الكلام فكانه قيل لكن لا يجعل لهم الشر ولا يقضى اليهم أجلهم فيه ذكرهم أي فيتركهم ويهلكهم

وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن الشعبي عن حذيفة أنه سئل عن اصحاب الاعراف قال فقال هم قوم استوت حسنتهم وسيئاتهم ففعدت بهم سيئاتهم عن الجنة وخلفت بهم حسنتهم عن النار قال فوقوا هاهنا لك على السور حتى يقضى الله فيهم وقد رواه من وجه آخر أبسط من هذا فقال حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا يونس بن ابي اسحق قال قال الشعبي أرسل الى عبد الحميد بن عبد الرحمن وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان مولى قريش فاذا هما قد ذكرا من اصحاب الاعراف ذكرا ليس كما ذكرا فقلت لهما ان شئتما أنبأنا كما بدأنا كحذيفة فقالا هات فتعلمت ان حذيفة ذكرا اصحاب الاعراف فقال

هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقعت بهم سيئاتهم عن الجنة فاذا صرفت ابصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فينصرونهم بذلك اذ طلع عليهم ربك فقال لهم اذهبوا فادخلوا الجنة فاني قد غفرت لكم وقال عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي قال قال سعيد بن جبيرة وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قرأ قول الله فن ثقلت موازينه الآيتين ثم قال الميزان يخف بمنقال حبه ويرج قال ومن (١٩٦) استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الاعراف فوق قوا على الصراط

(في طغيانهم) أي الذي هو عدم رجاء اللقاء وانكار البعث والجزاء وما يتفرع على أعمالهم السيئة ومقالاتهم الشنيعة والطغيان التناول وهو العلو والارتفاع (يعمهون) يعني يتركهم يتخبرون في تطاولهم وتكبرهم وعدم قبولهم للحق استدرجالهم منه سبحانه وخذلانا ثم بين سبحانه انهم كاذبون في استجمال الشر ولو أصابهم ما طلبوه لا ظهر والعجز والجزع فقال (واذا مس الانسان الضر) أي هذا الجنس الصادق عن كل ما يحصل التضرر به كالمرض والفقر (دعانا بالجنبه) اللام للوقت أو بمعنى على أي دعانا مضطجعا (أوقاعا أو قاعا) كانه قال دعانا في جميع الاحوال المذكورة وغيرها وخص المذكورة بالذكر لانها الغالب على الانسان ولا يتخلو عنها إعادة ما عداها نادرا كالركوع والسجود ويجوز أن يراد أنه يدعو الله حال كونه مضطجعا غير قادر على القعود وقاعا غير قادر على القيام وقاعا غير قادر على المشي والاول أولى قال الزجاج ان تعديدا حوال الدعاء أبلغ من تعديدا حوال المضرة لانه اذا كان دعاء على الدوام ثم نسي في وقت الرخاء كان أعجب وعن أبي الدرداء قال ادع الله يوم سرائك يستجاب لك يوم ضرائك وأقول أنا أكثر من شكر الله على السرايل يدفع عن الضراء فان وعدته للشاكرين بزيادة النعم مؤذنا بدفعه عنهم المقم لذهاب حلاوة النعمة عند وجوب مرارة النعمة اللهم اجعل لنا بين جلب النعم وسلب النعم فانا نشكرك عددا ما شكرك الشاكرون ونحمدك عددا ما حمدك الحامدون بكل لسان في كل زمان ومكان (فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضره) أي مضى على طريقته التي كان عليها قبل ان يمسه الضر ونسي حالة الجهد والبلاء والضييق والفقر وأهل جانب الله أو مضى عن موقف الدعاء والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كانه لم يدعنا عند ان يمسه الضر الى كشف ذلك الضر الذي يمسه وقيل معنى مر استمر على كفره مشبها بمن لم يدعنا ولم يشكر ولم يتعظ وهذه الحالة التي ذكرها الله سبحانه للداعي لا يختص بأهل الكفر بل تتفق لكثير من المسلمين تلبسوا بالنعمة بالنعمة وقلوبهم بالخشوع والتذلل عنه لم يزول ما يكرهون بهم فاذا كشفه الله عنهم غفلوا عن التضرع والدعاء وذهلوا عما يجب عليهم من شكر النعمة التي أنعم الله بها عليهم من اجابة دعائهم ورفع منزلتهم من الضر ودفع ما أصابهم من المكروه وهذا مما يدل على ان الآية تم المسلم والكافر كما يشعر به لفظ الناس ولفظ الانسان اللهم أوزعنا شكر نعمك وأذكرنا

تم عرفوا أهل الجنة وأهل النار فاذا نظروا الى أهل الجنة نادوا وسلام عليكم واذا صرفت ابصارهم الى يسارهم نظروا أهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين تعودوا بالله من منازلهم قال فاما أصحاب الحسنات فانهم يعطون نورا يشون به بين أيديهم وبأيديهم ويعطى كل عبد يومئذ نورا وكل أمة نورا فاذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة فلما رأى أهل الجنة مالتى المنافقون قالوا ربنا أتمم لنا نورا وأماما أصحاب الاعراف فان النور كان بأيديهم فلم ينزع فهناك يقول الله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال فقال ابن مسعود على أن العبد اذا عمل حسنة كتب له بها عشر واذا عمل سيئة لم تكتب الا واحدة ثم يقول هلك من غلب واحدة أعشاره رواه ابن جرير وقال أيضا حدثني ابن ربيع حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن منصور عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس قال الاعراف السور الذي بين الجنة

الاحوال

والنار وأصحاب الاعراف بذلك المكان حتى اذا بدا الله أن يعاقبهم انطلق بهم الى نهر يقال له

نهر الحياة حافته قضيب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فالقوافيه حتى تصلح ألوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى اذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال تمتوا ما شئتم فيمتنون حتى اذا انقطعت أمنيتهم قال لهم لكم الذي تمنيتم ومثله سبعون ضعفا فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون مساكين أهل الجنة وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن يحيى بن المغيرة عن ابن جرير بن عبد ربه وقد رواه سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن مجاهد عن عبد الله بن الحارث من قوله

وهذا أصح والله أعلم وهكذا روى عن مجاهد والضحك وغير واحد وقال سنيدين داود حدثني جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير وقال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف قال هم آخر من يفصل بينهم من العباد فإذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد قال أنتم قوم أخرجتكم حسنا تسكن من النار ولم تدخلوا الجنة فأنتم عتقائي فأرعوهم من الجنة حيث شئتم وهذا مرسل حسن وقيل هم أولاد الزنا حكاه القرطبي ورواه الحافظ بن عساكر في ترجمة الوليد بن موسى عن شيبه بن عثمان عن عروة بن رويم عن الحسن بن أنس بن مالك عن النبي صلى الله (١٩٧) عليه وسلم أن مؤمناً من الجن لهم ثواب وعليهم عقاب فسألناه عن ثوابهم وعن مؤمنهم فقال على الاعراف

وليسوا في الجنة مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فسألناه وما الاعراف فقال حائط الجنة تجري فيه الأنهار وتبت فيه الأشجار والثمار ورواه البيهقي عن ابن بشران عن علي بن محمد المصري عن يوسف بن يزيد عن الوليد بن موسى به وقال سفيان الثوري عن خصيف عن مجاهد قال أصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي مجاز في قوله تعالى وبينهم ما يحب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال هم رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار قال ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلونا وهم بطمعون وإذا صرفت أبصارهم تلقا أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال فيقال حين

الاحوال التي مننت عيننا فيها بإجابة الدعاء حتى نستكثر من الشكر الذي لا نطبق سواه ولا نتقدر على غيره وما اغناك عنه وما حوجنا اليه ولئن شكرتم لازيدنكم (كذلك) أي مثل ذلك التزيين العجيب أي كآزين له الدعاء عند الضرر والاعراض عند الرخاء (زين) للمسرفين ما كانوا يعملون) أي عملهم والمسرف في اللغة هو الذي يتفق المال الكثير لأجل الغرض الخسيس والتزين هو ما من جهة الله تعالى على طريق التخليه وعدم اللطف بهم أو من طريق الشيطان بالسوسة أو من طريق النفس الامارة بالسوء والمعنى انه زين لهم الاعراض عن الدعاء والغفلة عن الشكر والاستغفال بالشهوات ثم ذكر سبحانه ما يجري مجرى الردع والزجر عما صنعته هؤلاء فقال (ولقد أهلكنا القرون) يعني الامم الماضية (من قبلكم) أي قبل هؤلاء الكفار المعاصرين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يعني أهلكناهم من قبل زمانكم وقيل الخطاب لأهل مكة على طريق الالتفات للمبالغة في الزجر (لما ظفوا) أي أهلكناهم حين فعلوا الظلم بالكذب والتجاري على الرسل والتطاول في المعاصي من غير تأخير لآهلاكهم كما أخرناهم لآهلاككم وقيل الظلم هنا الشرك أي لما أشركوا (وجاءتهم رسلهم) الذين أرسلناهم اليهم (بالبينات) أي بالآيات الواضحات الدالة على صدق الرسل (وما كانوا يؤمنوا) الجملة اعتراضية واللام لتأكيد النفي أي وما صح لهذه الامم وما استقام أن يؤمنوا برسلهم لعدم استعدادهم لذلك وسلب اللطاف عنهم (كذلك نجزي القوم المجرمين) أي مثل ذلك الجزاء وهو الاستئصال الكلي لكل مجرم وهذا وعيد شديد لمن كان في عصره من الكفار أولئك كفار مكة على الخصوص ثم خاطب سبحانه الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال (ثم جعلناكم خلائق) أي استخلفناكم (في الارض) بعد تلك القرون التي تسمعون اخبارها وتظنون آثارها والخلق جمع خليفة وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة الانعام (لننظر كيف تعملون) اللام لام كي أي لكي ننظر أي عمل تعملونه من أعمال الخير والشر وعلى أي حالة تعملون الاعمال اللاتقة بالاستخلاف وقيل النظر هنا بمعنى العلم أي لنتجرباً أعمالكم كقوله تعالى ليلوكم أي يكمن أحسن عملاً ذكره الواحدى والرازي وقيل لنعامل معاملة من ينظر فهي استعارة تمثيلية والاولى أولى عن أبي سعيد الخدرى أن رسول

يدخل أهل الجنة الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون وهذا صحيح إلى أبي مجاز لاحق بن حميد أحد السابغين وهو غريب من قوله وخلاف الظاهر من السياق وقول الجهور ومقدم على قوله بدلالة الآية على ما ذهبوا اليه وكذا قول مجاهد أنهم قوم صالحون علماء فقهاء فيه غرابة أيضاً والله أعلم وقد حكى القرطبي وغيره فيهم اثني عشر قولاً منها أنهم شهدوا انهم صلحاء تفرعوا من فرع الآخرة وجعلوا يطلعون على أخبار الناس وقيل هم أنبياء وقيل ملائكة وقوله تعالى يعرفون كلا بسيماهم قال على ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه وأهل النار بسواد الوجوه وكذا روى الضحاك عنه وقال

العوفى عن ابن عباس أنزلهم الله تلك المنزلة ليعرفوا من في الجنة واناروا ليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه ويتعذروا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين وهم في ذلك يحبون أهل الجنة بالسلام لم يدخلوها وهم يطعمون أن يدخلوها وهم يطعمون أن يدخلوها ان شاء الله وكذا قال مجاهد والضحك والسدى والحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم وقال معمر عن الحسن انه تلا هذه الآية لم يدخلوها وهم يطعمون قال والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم الا لكرامة يريد بهاهم وقال قتادة أنباكم الله بما كنتم من الطمع وقوله واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين قال الضحاك عن ابن عباس ان أصحاب الاعراف اذا نظروا

الى أهل النار وعرفوهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وقال السدى واذا مروا بهم يعني بأصحاب الاعراف بزمره يذهب بها الى النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وقال عكرمة مجهم وجوههم في النار فاذا رأوا أصحاب الجنة ذهب ذلك عنهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار فرأوا وجوههم مسودة وأعينهم من رقة قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين (ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا تخوف عليكم ولا أنتم تحزنون) يقول الله تعالى اخبارا عن تجميع أهل الاعراف لجال من صناديد المشركين وقادتهم يعرفونهم في النار بسيماهم ما أغنى عنكم جمعكم أى كثرتم وما كنتم تستكبرون أى لا ينفعكم كثرتم ولا جوعكم من عذاب الله بل صرتم الى ما أنتم فيه من العذاب والنكال أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة

الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واخذروا فتمنة النساء آخر جهنم ثم حكى الله سبحانه نوعا ثلثا ثمان تمنتهم وتلا عنهم بآياته فقال (وادتلى عليهم) فيسه التفات عن الخطاب الى الغيبة اعرض عنهم (آياتنا) التى فى الكتاب العزيز أى واذا تلا التالى عليهم آياتنا الدالة على اثبات التوحيد وابطال الشرك حال كونها (بينات) أى واضحات الدلالة على المطلوب (قال الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يخافون البعث وهم المنكرون للمعاد وقال قتادة هم مشركو مكة وقد تقدم تفسيره قريبا أى قالوا لمن يتلوها عليهم وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (انتم بقرآن غير هذا أو بدله) طلبوا منه صلى الله عليه وآله وسلم لما سمعوا ما غاظهم فيما تلا عليهم من القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد الشديد لمن عبدها أحد أمرين اما الاتيان بقرآن غير هذا القرآن مع بقاء هذا القرآن على حاله واما تبديل هذا القرآن بنسخ بعض آياته أو كلها ووضع اخرى مكانها مما يوافق ارادتهم ويلائم غرضهم قال الرازى اقدامهم على هذا الالتباس اما على سبيل السخرية والاستهزاء وعلى سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كاذب في قوله ان هذا القرآن ينزل عليه من عند الله تعالى فأمره الله أن يقول في جوابهم (قل ما يكون) أى ما ينبغي ولا يحل (لئى أن أبده من تلقاء نفسى) فنفى عن نفسه أحد القسمين وهو التبديل لانه الذى يمكنه لو كان ذلك جائزا بخلاف القسم الآخر وهو الاتيان بقرآن آخر فان ذلك ليس بوسع ولا يتعدر عليه وقيل انه صلى الله عليه وآله وسلم لم نفي عن نفسه اسم القسمين ليكون دليلا على نفي اصعبهما بالطريق الاولى وهذا منه صلى الله عليه وآله وسلم من باب مجازاة السنهاء اذ لا يصدر مثل هذا الاقتراح عن العقلاء بعد ان أمره الله سبحانه بذلك وهو اعلم بالصالح عباده ويميدفع الكفار عن هذه الطلبات الساقطة والسؤالات الباردة قال الزجاج سألوه اسقاط ما فيه من ذكر البعث والنشور وقيل سألوه ان يسقط ما فيه من عيب آلهتهم وتسفيه احلامهم وقيل سألوه ان يحول الوعد وعيدا والحرام حلالا والحلال حراما ثم أمره أن يؤكدهما أجاب به عليهم من أنه ما صح له ولا استقام أن يبده من تلقاء نفسه بقوله (ان أتبع الاما يوحى الى) من عند الله سبحانه من غير تبديل ولا تحويل ولا تحريف ولا تحميم فقصر حاله صلى الله عليه وآله وسلم على

اتباع

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يعنى أصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لا تخوف عليكم

ولا أنتم تحزنون وقال ابن جرير حدثني محمد بن سعد حدثني أبى حدثني يحيى حدثني أبى عن ابن عباس قال ما أغنى عنكم جمعكم الآية قال فلما قال لهم الذى قضى الله أن يقولوا يعنى أصحاب الاعراف لاهل الجنة وأهل النار قال الله لاهل التكبر والاموال أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا تخوف عليكم ولا أنتم تحزنون وقال حذيفة ان أصحاب الاعراف قوم تكافئت أعمالهم فقصرت بهم حسنتهم عن الجنة وقصرت بهم سيئاتهم عن النار فجعلوا على الاعراف يعرفون الناس بسيماهم

فما قضى الله بين العباد أذن لهم في طلب الشفاعة فأبوا آدم فقالوا يا آدم أنت أبو ناس فاشفع لنا عند ربك فقال هل تعلمون ان أحدا خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسبقت رحمة الله غضبه وسجدت له الملائكة غيري فيقولون لا فيقول ما علمت كنهه ما أستطيع ان أشفع لكم ولكن اتوا ابني ابراهيم فيأتون ابراهيم صلى الله عليه وسلم فيسألون ان يشفع لهم عند ربهم فيقول تعلمون من أحد اتخذ الله خليلا هل تعلمون أن أحد احرقه قومه بالنار في الله غيري فيقولون لا فيقول ما علمت كنهه ما أستطيع ان أشفع لكم ولكن اتوا ابني موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقول (١٩٩) هل تعلمون من أحد كلمه الله تكليما وقر به نجما غيري فيقولون لا فيقول ما علمت كنهه ما أستطيع ان أشفع لكم ولكن اتوا عيسى فيأتونه عليه السلام فيقولون له اشفع لنا عند ربك فيقول هل تعلمون أحد اخلقه الله من غير آب فيقولون لا فيقول هل تعلمون من أحد كان يبرئ الالكه والابرص ويحيي الموتى باذن الله غيري قال فيقولون لا فيقول أنا صبيح نفسي ما علمت كنهه ما أستطيع ان أشفع لكم ولكن اتوا سجدا صلى الله عليه وسلم فيأتوني فأضرب يدي على صدري ثم أقول أنا لها ثم أمشي حتى أقف بين يدي العرش فأقربني عز وجل فيفتح لي من السماء مالم يسمع السامعون بعثله قط ثم أسجد فيقال لي يا صبيح ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول رب امتي فيقول هم لك فلا يبق نبى مرسل ولا ملك مقرب الا غطيتي بذلك المقام وهو المقام المحمود فأتى بهم الجنة فاستفتح فيفتح لي وله ثم فيذهب بهم الى شهر يقال له شهر الحيوان حاقته اقصب مكل بالؤلؤل ثم ابراه المسك وحصاؤه الياقوت فيغفلون منه فتعود

اتباع ما يوحى اليه ويربما كان. قصد الكفار بهذا السؤال التعريض للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بان القرآن كلامه وانه يقدر على الاتيان بغيره والتبديل له ثم أمره الله سبحانه ان يقول لهم تكلمي للجواب عليهم (انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) فان هذه الجملة كالتعليل لما قدمه من الجواب قبها واليوم العظيم هو يوم القيامة أى انى أخاف ان عصيت ربى بفعل ما تطلبون على تقدير امكانه عذاب يوم القيامة ثم أكد سبحانه كون هذا القرآن من عند الله وانه صلى الله عليه وآله وسلم انما يبلغ اليهم منه ما أمره الله بتبليغه لا يقدر على غير ذلك فقال (قل لو شاء الله) أى ان هذا القرآن المتلوه عليكم هو عشيته الله واراد ان لو شاء الله ان لا تلوه عليكم ولا أبلغكم اياه (ما تلونه عليكم) فالامر كله منوط بعشيته الله ليس فى ذلك شئ (ولا أدراكم به) أى ولو شاء الله ما أدراكم بالقرآن أى ما علمكم به على لسانى يقول دريت الشئ وأدراى الله به هكذا قرأ الجمهور بالالف من أدراه يدر به أعلمه يعلمه وقرأ ابن كثير ولا أدراكم به بغير أنب بين اللام والهزمة والمعنى لا أعلمكم به على لسان غيرى من غير أن تلوه عليكم فيكون اللام لام تأكيد دخلت على ألف أفعل وقد قرئ أدراكم بالهمزة ففيل هي منقلبة عن الالف انكونه ما من واد واحد ويحتمل أن يكون من درأته اذا دفعته وأدراة اذا جعلته داريا والمعنى لا أجعلكم بتلاوته خصماء تدروننى بالجدال وتكذبوننى وقرأ ابن عباس والحسن ولا أدراكم به قال أبو حاتم اصله ولا أدريته بكم به فأبدل من الياء ألفا قال النحاس وهذا غلط والرواية عن الحسن ولا أدراكم به بالهمزة (فقد اثبت فيكم عرمان قبله) تعليل لكون ذلك بعشيته الله ولم يكن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا التبليغ أى أفت فيما بينكم زمانا طويلا من قبل القرآن وهو أربعون سنة تعرفونى بالصدق والامانة لست ممن يقرأ ولا ممن يكتب (أفلا تعقلون) الهمزة للتقرير والتوبيخ أى أفلا تتجرون على ما يقتضيه العقل من عدم تكذبي لما عرفتم من العادة المستمرة الى المدة الطويلة بالصدق والامانة وعدم قرأنى للكتب المنزلة على الرسل وتعلمي لما عند أهلها من العلم ولا طلبى لشيء من هذا الشأن ولا حرصى عليه ثم جئتكم بهذا الكتاب الذى عجزتم عن الاتيان بسورته منه وقصرتم عن معارضته وانتم العرب المشهود لهم بكال الفصاحة المعترف لهم بانهم الباغون فيها الى مبلغ لا يتعلق به

اليهم ألوان أهل الجنة ويرجح فيصرون كأنهم الكواكب الدرية يبقى في صدورهم شامات بيض يعرفون بها يقال مساكين أهل الجنة (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو عمار زقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحمية الدنيا قال يوم ننسأهم كأنسوا القاء يومهم هذا وما كانوا بايتنا يجمعون) يخبر تعالى عن ذلة أهل النار وسؤالهم أهل الجنة من شرابهم وطعامهم وانهم لا يجابون الى ذلك قال السدى ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو عمار زقكم الله يعنى الطعام وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يستطعمونهم ويستسقونهم وقال النورى عن عثمان الثقفى عن سعيد بن جبير فى هذه الآية قال ينادى الرجل أباه أو أخاه فيقول له قد احترقت فأفرض على من الماء فيقال

اهم أجيبوهم فيقولون ان الله حرمهما على الكافر بن وروى من وجه آخر عن سعيد بن عباس مثله وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ان الله حرمهما على الكافرين يعني طهام الجنة وشراها قال ابن أبي طام حدثنا أبي حدثنا نصر بن علي أخبرنا موسى بن المغيرة حدثنا أبو موسى الصفار في دار عمرو بن مسلم قال سألت ابن عباس أو سئل أي الصدقة أفضل فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة الماء ألم تسمع الى أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة قالوا أفمضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله وقال أيضا حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش (٢٠٠) عن أبي صالح قال لما مرض أبو طالب قالوا له لو أرسلت الى ابن أخيك هذا

فيرسل اليك بعنقود من الجنة لعله أن يشفيك به بخاءه الرسول وأبو بكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر ان الله حرمهما على الكافرين ثم وصف تعالى الكافرين بما كانوا يعبدونه في الدنيا بما اتخذهم الدين لهوا ولعبا واعتراهم بالدنيا وزينتها وزخر فيها عماء وبه من العمل للآخرة وقوله فالיום ننسأهم كما نسأ القاء يومهم هذا أي تعاملهم معاملة من نسأهم لانه تعالى لا يشد عن علمه شيء ولا ينسأ كما قال تعالى في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وانما قال تعالى هذا من باب المقابلة كقوله نسأ الله فنسأهم وقال كذلك آتيتنا آياتنا فنسأهم فكذلك اليوم تنسى وقال تعالى وقيل اليوم ننسأكم كما نسأتم لقاء يومكم هذا وقال العوفي عن ابن عباس فالיום ننسأهم كما نسأ القاء يومهم هذا قال نسأهم الله من الخير ولم ينسأهم من الشر وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال تركهم كآثر كوا القاء يومهم هذا وقال مجاهد تركهم في النار وقال السدي تركهم من الرحمة كآثر كوا

غيركم أخرج ابن أبي شيبة والبخاري والترمذي عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة يوم حتى اليه ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة وعن السدي نحوه قال النووي ورد في غيره صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث روايات احداها انه توفي وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهي اصحها واشهرها رواه مسلم من حديث انس وعائشة وابن عباس واتفق العلماء عليها وتأولوا الباقي عليه فرواية ستين سنة اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ورواية الخمس متأولة أيضا بانها حصل فيها اشتباه (فمن أظلم) استفهام فيه معنى الخدأى لأحد أظلم) من افتري على الله كذبا زيادة كذبها مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا لبيان ان هذا مع كونه افتراء على الله هو كذب في نفسه فربما يكون الافتراء كذبا في الاسناد فقط كما اذا سئد ذنب زيد الى عمرو وذكر معنى هذا ابو السعود في تفسيره قيل وهذا من جملة زده صلى الله عليه وآله وسلم على المشركين لمسا طلبوا منه ان يأتي بقرآن غير هذا القرآن أو يبدله فيمن لهم انه لو فعل ذلك لكان من الافتراء على الله ولا ظلم بماثل ذلك وقيل المفتري على الله الكذب هم المشركون (أو كذبا بآياته) وهم أهل الكتاب (انه) أي ان الشأن (لا يفلح المجرمون) تعليل لما قبله أي لا يظفرون بمطوب ولا يفوزون بخير قال عكرمة قال النضر اذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى فازل الله هذه الآية ثم نعي الله سبحانه عليهم عبادة الاصنام وبين انها لا تنفع من عبدها ولا تنصر من لم يعبدها فقال (ويعبدون من دون الله) أي متجاوزين الله سبحانه الى عبادة غيره لا بمعنى ترك عبادة بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وضم عبادة الغير اليها التقرب والشفاعة (مالا يضرهم ولا ينفعهم) أي مالم يضرهم ولا يضرهم من شأنه الضرر ولا النفع ومن حق المعبود أن يكون مشيئا لمن أطاعه معاقبا لمن عصاه وثق الضر والنفع هنا عن الاصنام باعتبار الذات واثباتها مالهافي الحج في قوله يدعون لمن ضره أقرب من نفعه باعتبار السبب فلا منافاة بينهما (ويقولون هولاء شفعاؤنا عند الله) أي زعموا أنهم يشفعون لهم في الآخرة فلا يعذبهم الله بذنوبهم قاله ابن جرير وهذا غاية الجهالة منهم حيث يتظنون الشفاعة في المال ممن لا يوجد منه نفع ولا ضرر في الحال وقيل أرادوا بهذه الشفاعة اصلاح

أحوال

ان الله تعالى يقول للعبيد يوم القيامة ألم أزرؤكم أم أكرمكم

أن يعملوا للقاء يومهم هذا وفي الصحيح ان الله تعالى يقول للعبيد يوم القيامة ألم أزرؤكم أم أكرمكم ألم أخرجلك الخيل والابل وأدرلك ترأس وتربع فيقول بل فيقول أظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول الله تعالى فالיום ننسأكم كما نسأتم (ولقد جئناهم بكتاب فصلناهم على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل يتظنون الا تأويله يقول الذين نسأهم من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نردنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) يقول تعالى مخبرا عن اعذاره الى المشركين بارسال الرسول اليهم بالكتاب الذي جاء به الرسول وانه كتاب مفصل

مبين كقوله كتاب أحكمت آياته ثم فصلت الآية وقوله فصلناه على علم أي على علم مناجمنا فصلناه به كقوله أنزل به علمه قال ابن جرير وهذه الآية مر دودة على قوله كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه الآية ولقد جئناهم بكتاب الآية وهذا الذي قاله فيه نظر فانه قد طال الفصل ولا دليل عليه وانما الامر انه لما أخبر بما صاروا اليه من الخسارة في الآخرة ذكر أنه قد أراح علمهم في الدنيا برسال الرسل وانزال الكتب كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولهذا قال هل ينظرون الا تأويله أي ما وعدوا به من عذابه والجنة والنار قاله مجاهد وغير واحد وقال مالك ثوابه (٢٠١) وقال الربيع لا يزال يحيى ممن تأويله أمر

حتى يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيتم تأويله يومئذ وقوله يوم يأتي تأويله أي يوم القيامة قاله ابن عباس يقول الذين نسوه من قبل أي تركوا العمل به وتناسوه في الدار الدنيا قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أي في خلاصنا مما صرنا اليه أو نردنا الى الدار الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل كقوله ولوترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا زدوا ولا تكذبنا يا ربنا ونكون من المؤمنين بل بدلهم ما كانوا يخفون من قبل ولوردوا العاد والمأنه واعنهم وانهم لكاذبون كما قال ههنا قد خسروا أنفسهم وفضل عنهم ما كانوا يفترون أي ذهب عنهم ما كانوا يعبدونهم من دون الله فلا يشفعون فيهم ولا ينصرونهم ولا يتخذونهم مما هم فيه (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق يخبره تعالى انه خالق العالم سمواته

أحوال دنياهم قاله الحسن أي لانكارهم البعث وما يترتب عليه ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بان يجيب عنهم فقال (قل) لهم تسكيता (أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض) والمعنى اتخبرون الله انه شر كما في ملكه يعبدون كما يعبد أو اتخبرونه لانكم شفعاء بغير اذنه والله سبحانه لا يعلم نفسه شر يكا ولا شفعاء بغير اذنه من جميع مخلوقاته الذين دم في سمواته وفي أرضه وهذا الكلام حاصله عدم وجود من هو كذلك أصلا وفي هذا من التهكم بالكفار ما لا يخفى (سبحانه وتعالى عما يشركون) بالياء والتاء سعيان نزه الله سبحانه نفسه عن اشراكهم وهو يحتمل أن يكون ابتداء كلام غير داخل في الكلام الذي أمر الله سبحانه رسوله بان يجيب به عليهم ويحتمل أن يكون من تمام ما أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقوله لهم جوابا عليهم (وما كان الناس) قد تقدم تفسيره في البقرة والمعنى أن الناس جميعا ما كانوا (الامة واحدة) موحدة لله سبحانه ومؤمنة به من لدن آدم الى نوح وقيل من عهد ابراهيم الى عمرو بن لحي لان التوحيد والاسلام له قديمة اجتمعت عليه الناس قاطبة فطرة وتشريعا وأن الشرك وفرعه جهالات ابتدعتها الغواة (فاختلفوا) أي فصار البعض كافرا وبقى البعض الاخر مؤمنا تخالف بعضهم بعضا وقال الزجاج هم العرب كانوا على الشرك وقال كل مولود يولد على الفطرة فاختلّفوا عند البلوغ والاول أظهر وليس المراد ان كل طائفة أحدثت له من ملل الكفر مخالفة للاخرى بل المراد كفر البعض وبقى البعض على التوحيد كما قد منا وقال ابن مسعود كانوا على هدى وروى انه قرأ هكذا وعن مجاهد قال آدم وحده فاختلّفوا حين قتل احدا بنى آدم أخاه وعن السدي قال اهل دين واحد على دين آدم فكفروا وقيل ليس في الآية ما يدل على اي دين كانوا من ايمان او كفر فهو ووقوف على دليل من خارج وقيل كانوا في الكفر وهو منقول عن جماعة من المفسرين والاول اولى (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهي انه سبحانه لا يقضى بينهم فيما اختلفوا فيه الا يوم القيامة (للقى بينهم) في الدنيا نزول العذاب وتجييل العقوبة للمكذابين وكان ذلك فصلا بينهم (فيما فيه يختلفون) لكنه قد امتنع ذلك بالكلمة التي لا تختلف وقيل المعنى للقى بينهم باقامة الساعة عليهم وقيل لفرغ من هلاكهم وقيل الكلمة ان الله أمهل هذه الامة فلا

(٢٦ - فتح البيان ح) وأرضه وما بين ذلك في ستة أيام كما أخبر بذلك في غير ما آية من القرآن والستة الايام الاحد والاشين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة وفيه اجتمع الخلق كله وفيه خلق آدم عليه السلام واختلفوا في هذه الايام هل كل يوم منها كهذه الايام كما هو المتبادر الى الازهان أو كل يوم كالف سنة كما نص على ذلك مجاهد والامام أحمد بن حنبل وروى من رواية الضحاك عن ابن عباس فأما يوم السبت فلم يقع فيه خلق لانه اليوم السابع ومنه سمى السبت وهو القطع فأما الحديث الذي رواه الامام أحمد في مسنده حيث قال حدثنا جاج حدثنا ابن جريج أخبرني اسمعيل بن أمية عن أيوب بن خالد

عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الأحد وخلق الشجر فيها يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل فقدر واهم مسلم بن الحجاج في صحيحه والنسائي من غير وجه عن حجاج وهو ابن محمد الأعور عن ابن جريح وفيه استيعاب الأيام السبعة والله تعالى قد قال في ستة أيام ولهذا تكلم البخاري وغير واحد (٢٠٢) من الحفاظ في هذا الحديث وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب

يهلكهم بالعذاب في الدنيا قاله الكلبى وقيل الحكمة انه لا يأخذ أحد الا بحجة وهي ارسال الرسل كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقيل الحكمة قوله سبقت رحمتى غضبي وعبر بالمضارع عن الماضي حكاية للعالم الماضية (ويقولون) ذكر سبحانه ههنا نوعا ربعا من مخازيمهم وجاء بالمضارع لاستحضار صورة ما قالوه قيل والقائلون هم أهل مكة كأنهم لم يعتدوا بما قد نزل على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة التي لو لم يكن منها الا القرآن لكنى به دليلا يبيننا ومصداقا لعماد (لولا) أى هلا (أنزل عليه آية) من الآيات التي تقترحها عليه ونطلبها منه كاحياء الاموات وجعل الجبال ذهبا ونحو ذلك (من ربه) كما كان للانبياء من الناقة والعصا واليد ثم أمره الله سبحانه أن يجيب عنهم فقال (فقل انما الغيب لله) أى ان نزول الآية غيب والله هو المحيط بعلمه المستأثر به لا علمي ولا لكم ولا لسا ثم مخلوقاته وانما على التبليغ (فاتظروا) نزول ما اقترحتوه من الآيات (انى معكم من المنتظرين) لتزولها وقيل المعنى انتظروا قضاء الله بيني وبينكم باظهار الحق على الباطل وقال الربيع خوفهم عذابه وعقوبته ان لم يؤمنوا (واذا أدقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذ الهم مكر في آياتنا) لما بين سبحانه في الآية المتقدمة انهم طلبوا آية عندا ومكروا بالحاجا كذالك بما ذكره ههنا من انه سبحانه اذا اذقهم رحمة منه من بعد ان مستهم الضراء فعلا ومقابل هذه النعمة العظيمة المكرمهم في آيات الله والمراد باذا اذقهم رحمة سبحانه انه وسع عليهم في الارزاق وأدر عليهم النعم بالمطر والخصب وصلاح الثمار بعد ان مستهم الضرب بالجدب وضيق المعاش فما شكروا نعمته ولا قدروها حتى قدرها بل اضا فوها الى اصنامهم التي لا تنفع ولا تضر وطعنوا في آيات الله واحتملوا في دفعها بكل حيلة وهو معنى المكر فيها واذا الاولى شرطية وجوابها اذ الهم مكر وهي جائية ذكر معنى ذلك الخليل وسيبويه ويستفاد منه السرعة لان المعنى انهم فاجوا المكر أى اوقعوه على جهة الفجاءة والسرعة وقال مجاهد في الآية استهزاء وتكذيب وهذا تفسير مرادوا الافاصل المكر اخفاء الخليل والمكاييد وقال مقاتل لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقيننا بنوء كذا وكذا ثم أمر الله سبحانه رسوله ان يجيب عنهم فقال (قل الله أسرع مكر) أى أجعل عقوبة وأشد أخذاً وأقدر على الجزاء من سرعة مكرهم وقد دل افعال التفضيل على ان مكرهم كان سريرا وعاولا لكن مكر الله

الاحبار ليس مرفوعا والله أعلم وأما قوله تعالى ثم استوى على العرش فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها وانما يسأل في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والاوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد واحق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا وهو امرها كما جاءت من غير تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل والظاهر المتبادر الى اذهان المشبهين منق عن الله فان الله لا يشبهه شيء من خلقه وليس كذلك شيء وهو السميع البصير بل الامر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حجاج الخزاعي شيخ البخاري قال من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه فمن أثبت لله ما وردت به الآيات الصريحة والاحبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بحلال الله وتوفي عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى وقوله تعالى يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا أى يذهب ظلام هذا بضياء هذا وضياء هذا بظلام هذا وكل منهما يطلب الآخر طلبا

أسرع

حينما أى سريرا لا يتأخر عنه بل اذا ذهب هذا جاء هذا وعكسه كقوله وآية لهم الليل نسلخ منه

النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون فقوله ولا الليل سابق النهار أى لا يفوته بوقت يتأخر عنه بل هو في أثره بلا واسطة بينهما ولهذا قال يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره منهم من نصب ومنهم من رفع وكلاهما قريب المعنى أى الجميع تحت قهره وتسخيره ومشيئته ولهذا قال منها آله الخلق والامر أى له الملك والتصرف تبارك

الله رب العالمين كقوله تبارك الذي جعل في السماء بروجا والآية قال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا إسحاق حدثنا هشام أبو عبد
الرحمن حدثنا بقة بن الوليد حدثنا عبد الغفار بن عبد العزيز الأنصاري عن عبد العزيز الشامي عن أبيه وكانت له حجة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحمدا الله على ما عمل من عمل صالح وجد نفسه فقد كفر وحبط عمله ومن زعم ان الله جعل
للعباد من الامر شيئا فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه لقوله أله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وفي الدعاء المأثور عن أبي
الرداء وروى مرفوعا اللهم لك الملك كله ولك الحمد كله واليك يرجع الامر كله (٢٠٣) أسألك من الخير كله وأعوذ بك من الشر

أسرع منه وتسمية عقوبة الله سبحانه مكرام من باب المشاكلة كما قرر في مواطن من
عبارات الكتاب العزيز (ان رسلنا) أي الملائكة يكتبون ما تمكرون) قرئ بالتاء والياء
والاولى سبعة والثانية عشرة أي لا يخفى ذلك على الملائكة الذين هم الحفظة فكيف
يخفى على العليم الخبير وفي هذا وعيد لهم شديد وتحقيق للاتقان منهم وهذه الجملة تعليل
للتى قبلها فان مكرهم اذا كان ظاهرا لا يخفى فعقوبة الله كأنه لا محالة ومعنى هذه الآية
قريب من معنى الآية المتقدمة وهي اذا مس الانسان الضر وفي هذه الآية زيادة وهي
انهم لا يقتصرون على مجرد الاعراض بل يطلبون الغوائل لايات الله بما يدبرونه من المكر
(هو الذي يسيركم في البر والبحر) ضرب سبحانه لهؤلاء مثلا حتى ينكشف المراد انكشافا
تام وهو كلام مستأنف ومعنى تسيرهم في البر انهم يمشون على أقدامهم التي خلقها
لهم لينتفعوا بها ويركبون على ما خلقه الله لركوبهم من الدواب ومعنى تسيرهم في
البحر انه ألهمهم لعمل السفائن التي يركبون فيها فيلج البحر ويسر ذلك لهم ورفح عنهم
أسباب الهلاك وقد قرأ ابن عاشر وهو الذي ينشركم في البر والبحر بالنون من النشر كما في
قوله تعالى فاتشروا في الارض أي ينشرهم سبحانه في البحر فينفي من يشاء ويعرق من يشاء
(حتى) غاية للسير في البحر والغاية مضمون الجملة الشرطية بكاملها (اذا كنتم في الفلك)
يقع على الواحد والجمع ويذكر ويؤنث والحركات فيه بينها تغاير اعتباري (وجرين) أي
السفن (بهم) أي بالراكبين عليها والقائدة في صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة
المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليجيبهم منها ويستدعي منهم مزيد الانكار والتوبيخ قاله
الرحمشمري وقيل ان مخاطبة الله لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة الخبر
عن الغائب وكل من أقام الغائب مقام المخاطب حسن منه ان يرده الى الغائب وقيل هذا
الاتفات فيه امتنان واظهار نعمة المخاطبين والمسيرون في البحر مؤمنون وكفار
والخطاب شامل فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح الشكرو ولعل الطالح يتذكر هذه
النعمة ولما كان في آخر الآية ما يقتضى انهم اذا انحوا بغوا في الارض عدل عن خطابهم
بذلك الى الغيبة لئلا يخاطب المؤمن بما لا يليق صدوره منهم وهو البغي بغير الحق قاله
السمين وقيل ان الاتفات في الكلام من الغيبة الى الحضور وبالعكس من فصيح كلام
العرب وقال الرازي الاتقال من مقام الخطاب الى مقام الغيبة في هذا المقام دليل المقت

كله (ادعوا ربكم تضرعا وخفية
انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا
في الارض بعد اصلاحها وادعوه
خوقا وطمعا ان رحمة الله قريب
من المحسنين) أرشد تبارك
وتعالى عباده الى دعائه الذي هو
صلاحهم في دنياهم وآخراهم فقال
ادعوا ربكم تضرعا وخفية قيل
معناه تذلا واستكانة وخفية كقوله
واذ كر ربك في نفسك الآية وفي
الصحيحين عن أبي موسى الأشعري
قال رفع الناس أصواتهم بالدعاء فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
أيها الناس اربعوا على أنفسكم
فانكم لاتدعون اصم ولا غابسا
ان الذي تدعون سميع قريب
الحديث وقال ابن جرير عطاء
الخراساني عن ابن عباس في قوله تضرعا
وخفية قال السر وقال ابن جرير
تضرعا تذلا واستكانة لطاقته
وخفية يقول بخشوع قلوبكم وصحة
اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما
ينسكتم وينه لاجهارة مرا آ وقال
عبد الله بن المبارك عن مبارك بن فضالة
عن الحسن قال ان كان الرجل لقد جمع
القرآن وما يشعر به الناس وان كان
الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر
به الناس وان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزور وما يشعر به ولة أدركا أقواما كان على الارض من عمل
يقدر ان يعملوه في السر فيكون علانية أبدأ ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الهمسا بينهم وبين
ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وذلك ان الله ذكروا عبد الصالح تضرعا وخفية فقال اذ نادى ربه ندا خفيا وقال
ابن جرير يكره رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء ويؤمر بالتضرع والاستكانة ثم روى عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في
قوله انه لا يحب المعتدين في الدعاء ولا في غيره وقال أبو مجلز انه لا يحب المعتدين لا يستل منازل الانبياء وقال أحمد حدثنا عبد الرحمن بن

مهدي حدثنا شعبة عن زياد بن مخرق سمعت أبا نعام عن مولى أسعد أن سمع ابنه يدعو وهو يقول اللهم اني أسألك الجنة ونعيمها واستبرقها ونحوها من هذا وعوذك من النار وسلاسلها وغللها فقال لقد سألت الله خيرا كثيرا وتعوذت به من شرك كثير واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه سيكون قوم يعتدون في الدعاء وفي لفظ يعتدون في الطهور والدعاء وقرأ هذه الآية ادعوا ربكم تضرعا لاية وان بحسبك أن تقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول أو عمل ورواه أبو داود (٢٠٤) من حديث شعبة عن زياد بن مخرق عن أبي نعام عن مولى أسعد فذكره والله

أعلم وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا الجريري عن أبي نعام أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم اني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة اذا دخلتها فقال يا بني سل الله الجنة وعذبه من النار فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن عفان به وأخرجه أبو داود عن موسى بن اسمعيل عن حماد بن سلمة عن سعيد بن اياس الجريري عن أبي نعام واسمه قيس ابن عباية الخنفي البصري وهو اسناد حسن لا بأس به والله أعلم وقوله تعالى ولا تفسدوا في الارض بعد اصاب الاحياء ينهى تعالى عن الافساد في الارض وما أضره بعد اصلاح فانه اذا كانت الامور ماشية على السداد ثم وقع الفساد بعد ذلك كان أضرا ما يكون على العباد فنهى تعالى عن ذلك وأمر بعبادته ودعائه والتضرع اليه والتذلل لديه فقال وادعوه خوفا وطمعا أي خوفا مما عنده ومن وييل

والتباعد كما أن عكس ذلك في قوله اياك بعد دليل الرضا والتقريب (بريح طيبة) أي ساكنة لينة الهبوب الى جهة المقصد والبناء للسمية واللحال (وفرحوا بها) أي بريح السفينة فالقيود المعبرة في الشرط ثلاثة اولها الكون في الفلك والثاني جريها بهم بالريح الطيبة التي ليست بعاصفة وثالثها فرحهم والقيود المعبرة في الجزء الثلاثة الاول (جاءتها) أي جاءت النلك وعارضته وقابلته وجاءت الريح الطيبة أي تلقته (ريح عاصف) أي ذات عصف وهو من باب النسب كلابن ونامر وهو مما يستوى فيه المذكر والمؤنث كما صرحوا به والعصوف شدة هبوب الريح وهي الهوا بين السماء والارض والجمع أرواح ورياح وقيل أرياح على لفظ الواحد وغلطه أبو حاتم وهي مؤنثة على الاكثر وقد تدكر على معنى الهوا نقله أبو زيد وقال ابن الانباري الريح مؤنثة لانه لا علامة فيها وكذلك سائر أسماء الا الاعصار فانه مذكر وراح اليوم بروح وحا من باب قال وفي لغة من باب خاف اذا اشتدت ريحه فهو رائج والثاني (وجاءهم) أي ركبان السفينة (الموج من كل مكان) أي من جميع الجوانب للفلك والموج ما ارتفع من غوارب الماء وعلافوق البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه (و) الثالث (ظنوا أنهم أحيط بهم) أي غلب على ظنونهم الهلاك وأصله من احاطة العدو بقوم أو يلد فجعل هذه الاحاطة مثلا في الهلاك وان كان بغير العدو كما هنا وهو استعارة تبعية وقيل الظن هنا اليقين أي ايقنوا أنه الهلاك وقيل بل المراد المقاربة من الهلاك والدون منه والاشراف عليه وقوله (دعوا الله) بدل من ظنوا لكون هذا الدعاء الواقع منهم انما كان عند ظن الهلاك وهو الباعث عليه فكان بدلا منه بدل اشتمال لاشتماله عليه ويمكن أن يكون جملة مستأنفة كأنه قيل ماذا صنعوا فاقبل

كما

دعوا الله (مخلصين له الدين) أي لم يشعروا بدعاءهم بشيء من الشوائب كما جرت عادتهم في غير هذا الموطن انهم بشر كون أصنامهم في الدعاء وليس هذا الاجل الايمان بالله وحده بل لاجل أن ينجيهم مما شارفوه من الهلاك لعلمهم انه لا ينجيهم الا الله سبحانه وفي هذا دليل على أن الخلق جبالوا على الرجوع الى الله في الشدائد وان المضطر يجاب دعائه وان كان كافرا وفي هذه الآية بيان ان هؤلاء المشركين كانوا لا يلتفتون الى أصنامهم في هذه الحالة وما شابهها فيا عجب لما حدث في الاسلام من طوائف يعتقدون في الاموات فاذا عرضت لهم في البحر مثل هذه الحالة دعوا الاموات ولم يخلصوا الدعاء الله كما فعله المشركون

والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون) لماذا كرتعالى
 أنه خالق السموات والارض وأنه المتصرف الخ كما المدبر المسخر وأرشد الى دعائه لانه على ما يشاء قادر ربه تعالى على أنه الرزاق وأنه
 يعيد الموتى يوم القيامة فقال وهو الذي يرسل الرياح ينشر أي بشر منتشرة بين يدي السحاب الحامل للمطر ومنهم من قرأ كقوله
 ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وقوله بين يدي رحمة أي بين يدي المطر كما قال وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر
 رحمة وهو الولي الحميد وقال فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض (٢٠٥) بعد موتها ان ذلك يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير

وقوله حتى اذا اقلت سحابا نقلا أي
 حملت الرياح سحابا نقلا أي من كثرة
 ما فيها من الماء تكون ثقيله قريبة
 من الارض مدلهمة كما قال زبدين
 عمرو بن نفيل رحمه الله

وأسلت وجهي لمن أسلمت
 له المزن تحمل عذابا لالا
 وأسلمت وجهي لمن أسلمت

له الارض تحمل صخرات نقلا

وقوله سقناه لبلد ميت أي لارض

ميتة مجدية لانبات فيها كقوله وآية

لهم الارض الميتة احييناها الآية

ولهذا قال فاخرجنا به من كل الثمرات

كذلك يخرج الموتى أي كما احيينا

هذه الارض بعد موتها كذلك يحيي

الاجساد بعد صيرورتها رمما يوم

القيامة ينزل الله سبحانه وتعالى ماء

من السماء فتمطر الارض اربعين يوما

فقتبت منفسه الاجساد في قبورها

كما ينبت الحب في الارض وهذا المعنى

كثير في القرآن يضرب الله مثلا

ليوم القيامة باحياء الارض بعد

موتها ولهذا قال لعلمكم تذكرون

وقوله والبلد الطيب يخرج نباته

بأذن ربه أي والارض الطيبة يخرج

نباتها سريرا يحاسنا كقوله وانبتنا

نباتا حسنا والذي خبث لا يخرج الا نكدا

مثل ضربه الله للمؤمن والكافر وقال البخاري حدثنا محمد بن العلاء حدثنا حماد بن أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن ابي

موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت منها

نقصة قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشرى واوسقوا وزرعوا

وأصاب منها طائفة اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فذلكت مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعمل وعلم ومثل

كما تواتر ذلك النباتا تواتر يحصل به القطع فانظر هداك الله ما فعلت هذه الاعتقادات
 الشيطانية وأين وصل بها أهلها والى أين رمى بهم الشيطان وكيف اقتادهم وتسلط عليهم
 حتى انقادوا له انقيادا ما كان يطمع في مثله ولا في بعضه من عباد الاصنام فان الله وانا اليه
 راجعون واللام في (لئن أشجيتنا) هي الموطئة للقسم المحذوف على ارادة القول أي دعوا
 قائلين ذلك ويجوز أن يجري دعوا الله مجرى قالوا لان الدعاء بمعنى القول اذ هو نوع من
 أنواعه فتحكى به الجملة وهو مذهب كوفي والاول هو الاول لاستدعاء الثاني لاقتصار
 دعائهم على ذلك فقط (من هذه) أي ما وقعوا فيه من مشاركة الهلاك في البحر من الرياح
 العاصفة والامواج الشديدة (لنكونن) في كل حال (من الشاكرين) أي ممن يشكر
 نعم الله التي أنعمت بهم اعلمنا منها هذه النعمة (١) التي نحن بصدد سؤالك أن تفرحها عنا
 وتخيينا منها وهذا جواب القسم وفيه من المبالغة في الدلالة على كونهم ثابتين في الشكر
 مشاكرين عليه منتظمين في سلك المنعوتين بالشكر الراغبين فيه ما ليس في أن يقال
 لنشكرون (فلما أشجاهم) الله من هذه المحنة التي وقعوا فيها وأجاب دعاءهم لم يفوا بما
 وعدوا من أنفسهم بل فعلوا فعل الجاحدين لا فعل الشاكرين وجعلوا البغي في الارض
 بغير الحق مكان الشكر (اذا هم يبغون) أي فاجروا البغي والفساد وساروا اليه والبغي
 هو الفساد من قولهم بغي الجرح اذا تراه في الفساد وقيل هو الشرك وزيادة (في الارض)
 للدلالة على ان فسادهم هذا شامل لاقطار الارض والبغي وان كان يشاقق أن يكون بحق
 بل لا يكون الا بالباطل لكن زيادة (بغير الحق) اشارة الى أنهم فعلوا ذلك بغير شبهة عندهم
 بل عتروا وعناد انهم قد يفعلون ذلك لشبهة يعتقدونها مع كونها باطلة وقيل البغي
 مجاوزة الحد وهو محمود ان كان من العدل الى الاحسان ومن الفرض الى التطوع
 ومذموم ان كان من الحق الى الباطل أو الى الشبهة وقال الرنخسري البغي قد يكون بحق
 وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع أشجارهم
 كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببني قريظة وهذا فائدة تقييده بغير الحق
 (يا أيها الناس انما بغيتكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا) لماذا كرت سبحانه ان هؤلاء
 المتقدم ذكرهم يبغون في الارض بغير الحق ذكر عاقبة البغي وسوء مغيبته قريئ ينصب

نباتا حسنا والذي خبث لا يخرج الا نكدا قال مجاهد وغيره كاستباخ ونحوها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية هذا
 مثل ضربه الله للمؤمن والكافر وقال البخاري حدثنا محمد بن العلاء حدثنا حماد بن أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن ابي
 موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت منها
 نقصة قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشرى واوسقوا وزرعوا
 وأصاب منها طائفة اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فذلكت مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعمل وعلم ومثل

(١) قوله التي نحن بصدد الخ كذا في أصله والمراد ظاهر على ما في العبارة فتأمل اه

من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به رواه مسلم والنسائي من طرق عن أبي اسامة جاد بن أسامة به (لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملائكة من قومه انالترالك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون) لما ذكر تعالى قصة آدم في أول السورة وما يتعلق بذلك وما يتصل به وفرغ منه شرع في قصص الانبياء عليهم السلام الأول فالأول فابتدأ بذكر نوح عليه السلام فإنه أول رسول الى أهل الارض (٢٠٦) بعد آدم عليه السلام وهو نوح بن ملث بن متوشلح بن اخنوخ وهو ادريس عليه

السلام فيما يزعمون وهو أول من خط بالقلم ابن برد بن مهليل بن قنين بن يانث بن شيث بن آدم عليه السلام هكذا نسب ابن اسحق وغير واحد من أئمة النسب قال محمد بن اسحق ولم يلق نبي من قومه من الاذى مثل نوح الابن قبل وقال يزيد الرقاشي انما سمى نوحا لكثرة ما نوح على نفسه وقد كان بين آدم الى زمن نوح عليه السلام عشرة قرون كلهم على الاسلام قال عبد الله بن عباس وغير واحد من علماء التفسير وكان أول ما عبدت الاصنام ان قوما صالحين ما توافيتي قومهم عليهم مساجد وصور وصور أولئك فيها يتذكروا حالهم وعبادتهم فيتشبهوا بهم فلما طال الزمان جعلوا أجساد اعلی تلك الصور فلما تبادى الزمان عبدوا تلك الاصنام وسموها بأسماء أولئك الصالحين وذا وسواها ويعوث ويعوق ونسرا فلما تقام الامر بعث الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة رسوله نوحا فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم أي من عذاب يوم القيامة اذ القيم الله وانتم مشركون به قال الملائكة من قومه أي الجمهور والسادة والقادة تقديم والكبر ائمتهم انالترالك في ضلال مبين أي في دعوتك ايانا الى ترك عبادة هذه الاصنام التي وجدنا عليها آباءنا وهكذا حال الفجار انما يرون الابرا في ضلالة كقوله واذا رآوهم قالوا ان هؤلاء لاضالون وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذا لم يهتدوا به فسيقولون هدا افك قديم الى غير ذلك من الآيات قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين أي ما أناضال ولكن أنا رسول من رب كل شئ ومليك ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون وهذا شأن الرسول ان

متاع على أنه مصدر مؤ كد لفعل مقدر بطريق الاستئناف أي بغيركم وبال على أنفسكم تتمتعون متاع الحياة الدنيا وقيل على انه ظرف زمان نحو متاع الحاج أي زمن متاع الحياة الدنيا وقيل على انه مفعول له أي لاجل متاع الحياة الدنيا وقيل منصوب على نزع الخافض أي كمتاع وقيل على الحال على انه مصدر يعنى المفعول أي تمتعين وقيل على انه مفعول انفعول دل عليه المصدر أي تبغون متاع الحياة الدنيا وقد نوقش غالب هذه الاقوال في توجيه النص والحق الذي تقتضيه جزالة التنزيل انما هو الوجه الاول أما من قرأ برفع متاع فيجعله خبر المبتدأ أي بغيركم متاع الحياة الدنيا ويكون على أنفسكم متعلقا بالمصدر والتقدير انما بغيركم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم متاع الحياة الدنيا ومنفعتها التي لا يبقاؤها فكيف يكون المراد بأنفسكم على هذا الوجه أبناء جنسهم وعبر عنهم بالانفس استعارة لما يدركه الجنس على جنسه من الشفقة وقيل ارتفاع متاع على انه خبر ثان وقيل على انه خبر لمبتدأ محذوف أي هو متاع كما في قوله تعالى الاساعة من نهار بلاغ أي هذا بلاغ وقد نوقش أيضا بعض هذه الوجوه في توجيه الرفع بما يطول به البحث في غير طائل والخاصل انه اذا جعل خبر المبتدأ على أنفسكم فالمعنى ان ما يقع من البغي على الغير هو بغي على نفس الباغى باعتبار ما يؤل اليه الامر من الانتقام منه مجازاة على بغيه وان جعل الخبر متاعا فالمراد ان بغي هذا الجنس الانساني على بعضه بعضا هو سريع الزوال قريب الاضمحلال كسائر امتعة الحياة الدنيا فانها ذاهبة عن قريب متلاشية بسرعة ليس لذلك كثير فائدة ولا عظيم جدوى وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه وأبو نعيم والخطيب في تاريخه عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث هن رواجع على أهلها المكرو والنكث والبغى ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما بغيركم على أنفسكم ولا يحق المكرو السبى الا بأهلها ومن نكث فانما ينكث على نفسه وعن مكحول ثلاث من كن فيه كن عليه المكرو والبغى والنكث أقول أنا وبغى ان يلحق بهذه الثلاث التي دل القرآن على انها تعود على فاعلها الخدع فان الله يقول يتخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو بغى جبل على جبل لاندك الباغى منهما ثم ذكر سبحانه ما يكون على ذلك البغى من انجازة يوم القيامة مع وعيد شديد فقال (تم اليس امر جمعكم)

عظيم أي من عذاب يوم القيامة اذ القيم الله وانتم مشركون به قال الملائكة من قومه أي الجمهور والسادة والقادة تقديم والكبر ائمتهم انالترالك في ضلال مبين أي في دعوتك ايانا الى ترك عبادة هذه الاصنام التي وجدنا عليها آباءنا وهكذا حال الفجار انما يرون الابرا في ضلالة كقوله واذا رآوهم قالوا ان هؤلاء لاضالون وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذا لم يهتدوا به فسيقولون هدا افك قديم الى غير ذلك من الآيات قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين أي ما أناضال ولكن أنا رسول من رب كل شئ ومليك ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون وهذا شأن الرسول ان

يكون مبلغاً فصيحاً ناصحاً بما لا يدركهم أحد من خلق الله في هذه الصفات كما جاء في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم عرفته وهم أوفروا كانوا أكثر رجعا أيها الناس انكم مسؤلون عني فمأنتم قائلون قالوا نشهد انك قد بلغت وأديت ونصحت فجعل يرفع اصبعه الى السماء وينكسها عليهم ويقول اللهم اشهد اللهم اشهد (أو عجبتم ان جاءكم من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحون فكذبوه فأخبرناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا هم كانوا قوما عيين) يقول تعالى اخبارا عن نوح انه قال لقومه أو عجبتم الآية أي لا تعجبوا (٢٠٧) من هذا فان هذا ليس بعجب ان يوحى الله الى

رجل منكم رحمة بكم ولطفوا واحسانا اليكم لينذركم ولتتقوا نعمة الله ولا تشركوا به ولعلكم ترحون قال الله تعالى فكذبوه أي عمادوا على تكذيبه ومخالفته وما آمن معه منهم الا قليل كإنيص عليه في موضع آخر فأخبرناه والذين معه في الفلك أي السفينة وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا كما قال ما خطاياهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً وقوله انهم كانوا قوما عيين أي عن الحق لا يصرونه ولا يهتدون له فبين تعالى في هذه القصة انه اتقسم لاوليائه من أعدائه وأنجي رسوله والمؤمنين وأهلك أعداءهم الكافرين كقوله انا لنصررسلنا الآية وهذه سنة الله في عباده في الدنيا والآخرة ان العاقبة للمتقين والظفر والغلب لهم كما أهلك قوم نوح بالغرق ونجي نوحاً واصحابه المؤمنين وقال مالك عن زيد بن أسلم كان قوم نوح قد ضاق بهم السهل والجبل وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ما عذب الله قوم نوح الا والارض ملائمتهم وليس بقعة من الارض الا ولها

قديم الخبر للدلالة على الثبات والقصر والمعنى انكم بعد هذه الحياة الدنيا ومتاعها ترجعون الى الله فيجازي المسيء بأساً به والمحسن باحسانه (فنبئكم بما كنتم تعملون) في الدنيا من خير وشر والمراد بذلك المجازاة كما تقول لمن أساء سأخبرك بما صنعت وفيه أشد وعيد وأقطع تهدي ثم لما ذكر سبحانه ما تقدم من متاع الدنيا جاء بكلام مستأنف يتضمن بيان حالها وسرعة تقضيها وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود به بعد ان تلاء الاعين برزوقها وتخلب النفوس بهجتها وتحمل أهلها على أن يسفكوا دماء بعضهم بعضاً ويهتكوا حرهم حبالها وعشاق الجالها الظاهري وتكالب على التمتع بها وتمهاتها على نيل ما تشتهي الانفس منها بضرب من التشبيه المركب المحجب البديع المثال المنتظم في سلك الامثال فقال (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) أي ان مثلها في سرعة الذهاب والانصاف بوصف يضاد ما كانت عليه ويبين مثل ما على الارض من أنواع النبات في زوال رونقه وذهاب بهجته وسرعة تقضيه بعد ان كان غضاً مخضراً ياقظاً تعانقت أغصانه المتمايلة وزهت أوراقه المتصافحة وتلاآت أنوار نوره وحاكت الزهر أنواع زهره وانما ليست للحصر لانه تعالى ضرب الحياة الدنيا أمثالا غير هذا وليس المشبه به هو مادخله الكافي في قوله كما بل ما يفهم من الكلام (فأختلط به) أي بسببه (نبات الارض) بان اشتبك بعضه ببعض لكثرة حتى بلغ الى حد الكلال ويحتمل ان يراد ان النبات كان في أول بروزه ومبدأ حدوثه غير مهتز ولا مترعرع فاذا نزل الماء عليه اهتز ورباحتى اختلط بعض الانواع ببعض (مما يأك كل الناس والانعام) أي كائنات من الحبوب والثمار والكلاب والاسباب (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) قال في الصحاح الزخرف الذهب ثم يشبه به كل مموه من زواجر وفي القاموس الزخرف بالضم الذهب وكال حسن الشيء ومن القول حسنه ومن الارض ألوان نباتها والمعنى ان الارض استوفت واستكملت ألونها الحسن المشابه بعضه للون الذهب وبعضه للون الفضة وبعضه للون الياقوت وبعضه للون الزمرد وحتى غاية الخدوف أي ما زال يتم ويزهو حتى أخذت حسنها ونضارتها وبعجتها وأظهرت ألوان زهرها من أبيض وأخضر وأحمر وأصفر وغير ذلك (وازيت) أي تزينت به وقرئ أزينت على وزن أفعلت أي ازينت بالزينة التي عليها شبهها بالعروس التي تلبس الثياب الجميدة المتلونة ألوانا كثيرة ففي الكلام استعارة

مالك وحائز وقال ابن وهب بلغني عن ابن عباس انه نجامع نوح في السفينة ثمانون رجلاً أحدهم جرحهم وكان لسانه عرياً يارواه ابن أبي حاتم وروى متصلاً من وجه آخر عن ابن عباس رضى الله عنهما (والى عاد أخاهم هوذا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون قال الملا الذين كفروا من قومه ان انزلناك في سفاهة وانما ننظرك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكن رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين أو عجبتم ان جاءكم من ربكم على رجل منكم لينذركم واذا كروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذا كروا الآلهة لعلكم تفلحون) يقول تعالى وكأرسلنا الى قوم نوح

نوحا كذلك أرسلنا الى اعدائهم هودا قال محمد بن اسحق هم ولد عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح (قلت) هو لاهم عاد الاولى الذين ذكرهم الله وهم اولاد عاد بن ارم الذين كانوا يابسون الى العمدة البر كما قال تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وذلك لشدة بأسهم وقوتهم كما قال تعالى فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون وقد كانت مساكنهم باليمن بالاحقاف وهي حبال الرمل قال ابن اسحق عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزازي عن أبي الطفيل (٢٠٨) عامر بن وائل سمعت عليا يقول لرجل من حضرموت هل رأيت كنيبا

أحجر يخالطه مدرة حجارة ازاها الراب
وسدر كثير بناحية كذا وكذا من
أرض حضرموت هل رأيت قال
نعم يا أمير المؤمنين والله انك لتنعته
نعت رجل قد رآه قال لا ولكني
قد حدثت عنه فقال الحضرمي وما
شأنه يا أمير المؤمنين قال فيه قبر هود
عليه السلام رواه ابن جرير وهذا فيه
فائدة ان مساكنهم كانت باليمن فان
هود اعلمه السلام دفن هناك وقد
كان من أشرف قومه نسباً لان
الرسول انما بعثهم الله من أفضل
القبائل وأشرفهم ولكن كان قومه
كباش سد دخلقهم شدد على قلوبهم
وكانوا من أشد الامم تكذيباً للحق
ولهذا دعاهم هود عليه السلام الى
عبادة الله وحده لا شريك له والى
طاعته وتوقاه قال الملا الذين كفروا
من قومه والملا هم الجمهور والسادة
والقادة منهم انالرتك في سفاهة وانا
انظرك من الكاذبين أي في ضلالة
حيث تدعوننا الى ترك عبادة الاصنام
والاقبال على عبادة الله وحده كما
تعجب الملا من فريش من الدعوة
الى اله واحد فقالوا اجعل الالهة
الهوا واحد الالهة قال يا قوم ليس
بي سفاهة ولكني رسول من رب

مكنية (وطن أهلها) أي أهل تلك الارض الاخذة زخرفها (انهم قادرون عليها) أي غلب
على ظنونهم أو يتقوا أنهم قادرون على حصادها والانتفاع بها يحصلون لثرتها رافعون
لغلتها متمسكون على جدها وقطافها والضمير في عليها للارض والمراد السبات الذي هو
عليها (أناها) أي جاءها (أمرنا) باهلا كلها واستنصها وضربها ببعض العاهات (ليلا
أونها) أو للتسوية أي نارة يأتي قضاؤها ونبالها وتارة يأتي نهارها (جعلناها حصيدا)
أي جعلنا زرعها شيبها بالحصود في قطعته من أصوله قال أبو عبيدة الحصيد المستأصل
وقيل المقطوع بالمنجل (كان لم تغن بالامس) أي كان لم يكن زرعها موجودا فم بالامس
مخضرا طريا من غنى بالمكان بالكسر يعنى بالفتح اذا قام قال البيضاوي أي لم تلبث أي
لم تقم ولم تمكث وقيل لم تكن ولم توجد وفي القاموس ما يقتضي ان غنى يأتي بمعنى كان
ووحده كقوله غنيت دارنا بتمامة أي كانت بها والمراد بالامس الوقت القريب والزمن
الماضي لخصوص اليوم الذي قبل يومك قاله الكرخي والمعاني في اللغة المنازل وقال
قتادة كان لم نعم وقرأ لم يغن بالتحسية يراجع الضمير الى الزخرف وقرأ من عداه تغن
بالفوقية يراجع الضمير الى الارض (كذلك) أي مثل ذلك التفصيل البديع (تفصل
الآيات) القرآنية التي من جملتها هذه الآية المنبهة على احوال الدنيا ويجوز ان يراد
الآيات التكوينية (لقوم يتفكرون) فيما اشتملت عليه عن أبي مجلز قال كان كتبوا
في سورة يونس الى جنب هذه الآية ولولأن لابن آدم وادين من مال لمتى نالنا ولا يشبع
نفس ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب فحيت قال النسفي في الآية وهذا من
التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال
نبات الارض في جفافه وذهابها عظاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرتها
ورفيفه والتشبيه على حكمة التشبيه أن الحياة صفوها شيبتها وكدرها شيبتها كما ان صفو
الماء في أعلى الاناء

ألم تر أن العمر كاس سلافة * فأوله صفو وآخره كدر

وحقيقته تزيين جنة الطين بمصالح الدنيا والدين كاختلاط النبات على اختلاف التلوين
فالطينة الطيبة تنبت بساتين الانس ورياحين الروح وزهرة الزهد وكروم الكرم وحبوب

العالمين أي لست كما تزعمون بل جنتكم بالحق من الله الذي خلق كل شيء فهو رب كل شيء ومليكه بلغكم
رسالاتي وأنا بالكم ناصح أمين وهذه الصفات التي اتصف بها الرسل البلاغ والنصح والامانة أو عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم
على رجل منكم لينذركم أي لا تعجبوا أن بعث الله اليكم رسولا من أنفسكم لينذركم أيام الله ولقاءه بل احمدا والله على ذاكم
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح أي اذ كروا نعمته عليكم في جعلكم من ذرية نوح الذي أهلك الله أهل الارض بدعوتة
لما خانوه وكذبوه وزادكم في الخلق بسطة أي زاد طولكم على الناس بسطة أي جعلكم أطول من أبناء جنسكم كقوله في قصة

الحب

طلوت وزاده بسطة في العلم والجسم واذكروا آلاء الله أي نعمه ومنمنه عليكم لعلكم تفلحون (قالوا أجبنا لعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأنتنابا بعدنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلوني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بهما من سلطان فاتتظروا اني معكم من المنتظرين فأنجيانهم والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين) يخبر تعالى عن تمردهم وطغيانهم وعنادهم وانكارهم على هود عليه السلام قالوا أجبنا لعبد الله وحده الآية كقول الكفار من قريش اللهم ان كان (٢٠٩) هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة

من السماء أو آتتنا بعذاب أليم وقد ذكر محمد بن اسحق وغيره انهم كانوا يعبدون أصناما فصفها يقال له صعدا وآخر يقال له صمودا وآخر يقال له هبا ولهذا قال عليه السلام قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أي قد وجب عليكم بمقاتلتكم هذه من ربكم رجس قيل هو مقلوب من رجز وعن ابن عباس معناه سخط وغضب أتجادلوني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم أي أتجادلوني في هذه الاصنام التي سميتموها أنتم وآباؤكم آلهة وهي لا تضر ولا تنفع ولا جعل الله لكم على عبادتها حجة ولا دليلا ولهذا قال ما أنزل الله بهما من سلطان فاتتظروا اني معكم من المنتظرين وهذا تمديد وعيد من الرسول لقومه ولهذا اعتقبه بقوله فأنجيانهم والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين وقد ذكر الله سبحانه صفة اهلاكم في أماكن أخر من القرآن بأنه أرسل عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كاره سين كما قال في الآية الأخرى

الحب وحدائق الحقيقة وشقائق الطريقة والخبيثة تخرج خلاف الخلف وتمام الاثم وشوك الشرك وشيخ الشيع وحطب العطب ولعاع اللعب ثم يدعوه معاده كما يحين للعرث حصاده فتزايله الحياة مغترا كما يهيج النبات تصفرا فتغيب جثته في الرمس كأن لم تغن بالامس الى أن يعود ربيع البعث وموعد العرض والبعث وكذلك حال الدنيا كالماء ينقع قلبه ويهلك كثيره ولا بد من ترك ما زاد كما لا بد من أخذ الزاد وأخذ المال لا يخولون زلة كما أن خائض الماء لا ينجو من بهته وجعه وامساكه تلف صاحبه واهلاكه فادون النصاب كفضاح ماء يجاوز بلا احتماء والنصاب كنهرائل بين الجمتاز والجواز الى المفازل لا يمكن الا بقنطرة وهي الزكاة وعمارتهابذل الصلابة فتخت القنطرة غرقته أمواج القناطر المقنطرة وكذا المال يساعد الاوعاد دون الامجاد كما أن الماء يجتمع في الوهاد دون النجاد وكذلك المال لا يجتمع الا بكثرة البخل كما أن الماء لا يجتمع الا بسد المسيل ثم يقف ويتلف ولا يبقى كالماء في الكف انتهى (والله يدعوا الى دار السلام) لما نذر عباده عن الميل الى الدنيا بما حضر به لهم من المثل السابق رغبتهم في الدار الآخرة بما خبارهم بهذه الدعوة منه عز وجل الى دار السلام قال الحسن وقتادة السلام هو الله تعالى وداره الجنة وقال الزجاج المعنى والله يدعوا الى دار السلامة ومعنى السلام والسلامة واحدا كالرضاع والرضاعة وقيل أراد دار السلام الذي هو التحيمة لان أهلها ينالون من الله السلام بمعنى التحيمة كما في قوله تحيتم فيها سلام وقيل السلام اسم لاحد الجنان السبع أحدها دار السلام والثانية دار الجلال والثالثة جنة عدن والرابعة جنة المأوى والخامسة جنة الخلد والسادسة جنة الفردوس والسابعة جنة النعيم وقيل المراد دار السلام الواقع من المؤمنين بعضهم على بعض في الجنة وقد اتفقوا على أن دار السلام هي الجنة وانما اختلفوا في سبب التسمية بدار السلام (ويهدي من يشاء) هدايته قال أبو العالية يهديهم للخروج من الشبهات والفتن والضلالات (الى صراط مستقيم) دين الاسلام جعل سبحانه الدعوة الى دار السلام عامة والهداية خاصة بمن يشاء أن يهديه تكملا للعجبة واظهار اللامستغناء عن خلقه أخر جابر بن جبر والحسبك وصححه وابن مردويه والبيهقي عن أبي جعفر محمد بن علي قال حدثني جابر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما فقال اني رأيت في المنام كان جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي

(٢٧ - فتح البيان ع) وأما عاذا هلكوا بریح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليل وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية لما تمردوا وعتوا أهلهم الله بريح عاتية فكانت تحمل الرجل منهم فترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتنخل رأسه حتى تبينه من جثته ولهذا قال كأنهم أعجاز نخل خاوية وقال محمد بن اسحق كانوا يسكنون باليمن من عمان وحضرموت وكانوا مع ذلك قد فشا في الارض وقهرها أهلها بفضله صلى الله عليه وآله وكانوا أصحاب أو ثابن يعبدونها من دون الله فبعث الله اليهم هودا عليه السلام وهو من أو سطهم نسبا وأفضلهم موضعا فأمرهم أن يوحدوا الله

ولا يجعلوا معه الها غير ه وان يكتوا عن ظلم الناس فابوا عليه وكذبوه وقالوا من أشد مناقرة واتبعه منهم ناس وهم يسير يكتمون
 ايمانهم فلما عتت عاد على الله وكذبوا نبيه واكثروا في الارض الفساد وتجبروا وبنوا بابل ربيع آية عتبا بغير نرفع كلهم هو دفن قال
 أتبنون بكل ربيع آية تعشون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون قالوا يا هود
 ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الاعتراف بعض آلهتنا بسوء أى يجنون قال انى أشهد
 الله واشهد وانى برىء مما تشركون من دونه (٢١٠) فكيدونى جميعا ثم لا تنتظرون انى توكلت على الله ربى وربكم ما من

داية الا هو آخذ بذنبا صيتها ان ربى
 على صراط مستقيم قال محمد بن
 اسحق فلما أبوا الا الكفر به أمسك
 الله عنهم القطر ثلاث سنين فيما
 يزعمون حتى جهدهم ذلك قال
 وكان الناس اذا جهدهم أمر
 فى ذلك الزمان وطلبوا من الله الفرج
 فيه انما يطلبونه بجرمه ومكانه
 وبيته وكان معروفان عند الملل وبه
 العماليق مقيمون وهم من سلالة
 عمليق بن آدم بن سام بن نوح وكان
 سيدهم اذ ذاك رجلا يقال له
 معاوية بن بكر وكانت له أم
 من قوم عاد واسمها جاهدة ابنة
 الخبيري قال فبعثت عاد وقد اقرىبا
 من سبعين رجلا الى الحرم ليستسقوا
 لهم عند الحرم فروا بمعاوية بن بكر
 بظواهر مكة فترلوا عليه فقاموا عنده
 شهرا يشربون الخمر وتغنيهم
 الجرادتان قبتان لمعاوية وكانوا قد
 وصلوا اليه فى شهر فلما طال مقامهم
 عنده وأخذته شهقة على قومه
 واستحي منهم أن يأمرهم بالانصراف
 عمل شعرا يعرض لهم بالانصراف
 وأمر القينتين أن تغنيهم به فقال
 الايا قيل ويحك قم فغنيهم

يقول أحدهما صاحبه اضرب له مثلا فقال اسمع سمعت أذنك واعقل عقل قلبك انما
 مثلك ومثل أمتك مثل ملك اتخذ دارا ثم فيها بيتا ثم جعل فيها مآدبه ثم بعث رسولا يدعو
 الناس الى طعامه فهم من أجبوا الرسول ومنهم من تركه فأنه هو الملك والدار الاسلام
 والبيت الجنة وأنت يا محمد رسول فن أجابك دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل الجنة
 ومن دخل الجنة أكل منها وقد روى معنى هذا من طرق ثم قسم سبحانه أهل الدعوة الى
 قسمين وبين طال كل طائفة فقال (الذين أحسنوا) بالقيام بما أوجبه الله عليهم من الايمان
 والأعمال والكف عما نهاهم عنه من المعاصى وقيل للذين شهدوا أن لا اله الا الله
 (الحسنى) أى المثوبة الحسنى وان كان معه ذنوب فعصاة المؤمنين داخلون فى هذا قال
 ابن الانبارى الحسنى فى اللغة تأنيت الاحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الخصلة
 المحبوبة المرغوب فيها ولذلك تركه موصوفا وقيل المراد بالحسنى الجنة (وزيادة) قيل
 المراد بها ما يزيد على المثوبة من التفضل كقوله ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله
 وقيل الزيادة النظر الى وجهه الكريم وبه قال جماعة من الصحابة منهم أبو بكر الصديق
 وحذيفة وأبو موسى الأشعري وعبادة بن الصامت وبه قال الحسن وعكرمة والضحاك
 ومقاتل والسدى وقيل الزيادة هى مضاعفة الحسنة الى عشر أمثالها الى سبع مائة
 ضعف وقيل الزيادة عرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب قاله على بن أبى طالب وقيل
 الزيادة مغفرة من الله ورضوان قاله جاهد وقيل هى ما يعطيهم سبحانه فى الدنيا من فضله
 لا يحاسبهم عليه يوم القيامة قاله ابن زيد وقيل غير ذلك مما لا فائدة فى ذكره وأخرج
 أحمد ومسلم والترمذى وابن ماجه وابن خزيمة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو
 الشيخ وغيرهم عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلا هذه الآية قال اذا
 دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناديا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا
 يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو ألم يتقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة
 ويزخرنا عن النار قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا
 أحب اليهم من النظر اليه ولا أقرل أعينهم وفى لفظ من حديث أبى موسى من فوعا الحسنى
 الجنة والزيادة النظر الى وجه الرحمن أخرجه الدارقطنى وابن جرير وغيرهما وروى مثله
 عن جماعة من الصحابة من فوعا بطرق وقد روى عن التابعين ومن بعدهم روايات فى

لعل الله يبعثنا غماما
 من العرش الشديد فيليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
 وان الوحش تأتيهم جهارا * ولا تخشى لعداى سهاما
 فقم وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التهمة والسلاما

فيسقى أرض عادان عادا * قد أمسوا لا يبينون الكلاما
 وقد كانت نسأؤهم بخير * فقد أمست نسأؤهم غياى
 وأنتم ههنا فيما اشتهم * نهركم وليلكم التماما
 قال فعند ذلك ننبه القوم لما جاؤا له فنهضوا الى الحرم ودعوا ودعوا لقمومهم فدعا داعيهم وهو قيل بن عفران فأنشأ الله سبحانه ثلاثا يرضاء

وسوداء وجرء ثم ناداه مناد اخترت رماداً رمداً لا يبق من عاداً حداً ولا والد أتراك ولا ولداً إلا جعلته همداً الابن اللويذية
 مهندا قال وبنو اللويذية بطن من عاد مقبون بمكة فلم يصبهم ما أصاب قومهم قال وهم من بقي من أنسهم وذرارهم عاد الآخرة
 قال وساق الله أصحابه السوداء فيما يذكرون التي اختارها قيل بن عزيم فيها من النعمة إلى عاد حتى تخرج عليهم من وادي يقال له
 المغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض مطرنا يقول بل هو ما استجلمتم به ربح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء فكان
 أول من أبصر ما فيها وعرف أنهار ربح فيما يذكرون امرأة من (٢١١) عاد يقال لها ميمى فلما تبينت ما فيها

صاحت ثم صعدت فلما أفافت
 قالوا ما رأيت بما يمد قالت ربحها فيها
 شبه النار ما مهار رجال يقودونها
 فسخرها الله عليهم سبع ليل
 وعشائة أيام حسوماً كما قال الله
 تعالى والحسوم الداعة فلم تدع من
 عاد أحداً إلا الهلك واعتزل هود عليه
 السلام فيما ذكر لي ومن معه من
 المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن
 معه الاماتين عليه الجلود وتلد
 النفس وانها تفر على عاد بالظعن
 ما بين السماء والارض وتدمغهم
 بالحجارة وذكريم القصص بطولها
 وهو سباق غريب فيه فوائد كثيرة
 وقد قال الله تعالى ولما جاء أمرنا
 نجينا هوداً والذين آمنوا معه
 برحمة منا ونجيناهم من عذاب
 غليظ وقال الامام أحمد حدثنا
 زيد بن الحباب حدثني أبو المنذر
 سلام بن سليمان النخوي حدثنا
 عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل
 عن الحارث البكري قال خرجت
 أشبه وكواله من الحضرمي إلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فررت بالبدنة فاذا بعجوز من بني تميم
 قال فحملتها فأتيت المدينة فاذا
 هل ينسكهم وبين تميم شيء قلت نعم
 وكانت لنا الدائرة عليهم ومررت بعجوز من
 بني تميم منقطع بها فساألتني ان أحملها اليك
 وهاهي بالبواب فاذا نزلت فقلت يا رسول الله ان رأيت ان تجعل بيننا وبين تميم حاجراً فاجعل
 الدهن فحمت العجوز واستوفزت

تفسير الزيادة عما لها أنهما النظر إلى وجه الله سبحانه وقد ثبت التفسير بذلك من قول رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يبق حينئذ لقاتل مقال ولا التفات إلى المجادلات الواقعة
 بين المتمدنية الذين لا يعرفون من السنة المطهرة ما ينتفعون به فانهم لو عرفوا ذلك لكانوا
 عن كثير من هذيانهم والله المستعان (ولا يرهق) الرهق الغشيان وقيل أصله المقاربة وقيل
 معناه يلحق ومنه قيل غلام مرهق إذا لحق بالرجال وقيل يعلو والمعاني متقاربة والمعنى
 لا يغشى (وجوههم قتر) هو غبار معه سواد وقيل سواد الوجه وواحدة قتره وقيل هو
 الدخان ومنه غبار القدر وقيل التقليل ومنه ولم يقتره وامنه على المقتردره وقيل الكفاية
 (ولا ذلة) هي ما يظهر على الوجه من الخضوع والانكسار والهوان بمعنى لا يعلو وجوههم
 غبرة ولا يظهر فيها هوان وقال مجاهد في الآية خزى وعن صهيب عنه صلى الله عليه وآله
 وسلم قال هذا بعد نظرهم إليه عز وجل أخرجه أبو الشيخ والجملة مستأنفة أوفى محل نصب
 على الحال قاله أبو البقاء وهذا ليس بجائز لان المضارع متى وقع حالاً منقياً بلا امتنع
 دخول واو الحال عليه كالمثبت أوفى محل الرفع نسقاً على الحسنى والتقدير وان لا يرهق
 أى وعدم رهقهم (أولئك) أى المتصفون بالصفات السابقة هم (أصحاب الجنة هم فيها
 خالدون) أى المتعممون بأنواع نعمها لا يخرجون منها أبداً (والذين كسبوا السيئات جزاء
 سيئة بمثلها) أى يجازى سيئة واحدة بسيئة واحدة لا يزداد عليها كما يزداد في الحسنه وهذا
 أولى مما عده وفيه سبعة أوجه قررهما السمين لان طول بذكرها والمراد بالسيئة اما الشرك
 أو المعاصى التى ليست بشرك وهى ما يلبس به العصاة من المعاصى قال ابن كيسان الباء
 زائدة والمعنى جزاء سيئة مثلها وقيل جزاء سيئة كأن بمثلها وقيل التقدير فلهم جزاء سيئة
 وفيه التنبه على الفرق بين الحسنات والسيئات لان الحسنات يضاعف ثوابها عما لها
 من الواحدة إلى العشرة إلى السبع مائة إلى الضعاف كثيرة نقض الامنه سبحانه وتكرما
 وأما السيئات فانه يجازى فاعلمها علمها بمثلها عدل الامنه سبحانه (وترهقهم) أى تغشاهم
 (ذلة) أى هوان وخزى وقال ابن عباس ذلة وشدة (مالهم من الله من عاصم) أى
 لا يعصمهم أحد كأن من كان من سخط الله وعذابه أو مالهم من جهة الله ومن عذبه من
 يعصمهم كما يكون للمؤمنين والاولى (كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً)
 القطع بفتح الطاء جمع قطعة وبأسكانها جزاء وهم اقراء تان سبعيتان قال ابن السكت

منقطع بها فقالت لى يا عبد الله ان لى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة فهل أنت مبلغى اياه قال فحملتها فأتيت المدينة فاذا
 المسجد غاص بأهله واذا راية سوداء تتحقق واذا بالال متقلد سيما بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ماشان الناس
 قالوا يريد أن يعث عمرو بن العاص وجها قال فخلست فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فأذن لى فدخلت وسلمت فقال
 هل ينسكهم وبين تميم شيء قلت نعم وكانت لنا الدائرة عليهم ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها فساألتني ان أحملها اليك وهاهي
 بالبواب فاذا نزلت فقلت يا رسول الله ان رأيت ان تجعل بيننا وبين تميم حاجراً فاجعل الدهن فحمت العجوز واستوفزت

وقالت يا رسول الله فإلى أين يضطر مضطرك قال قلت ان مثلي مثل ما قال الاول معزى حملت حتمها حملت هذه ولا أشعرانها كانت
 لي خصماً أعوذ بالله وبرسوله ان أكون كوافد عاد قال لي وما وافد عاد وهو أعلم بالحديث منه ولكن يسطع عمه قلت ان عاداً
 قحطوا فبعثوا وافد اللهم يقال له قيل فربما عاوية بن بكر فأقام عنده شهر رايسه قسه النجر ونغميه جارتان يقال لهما الجرادتان
 فلما مضى الشهر خرج الى جبال مهرة فقال اللهم انك تعلم اني لم أجد الى مرضى فادأويه ولا الى أسير فافاديه اللهم اسق عاداً ما
 كنت تسقيه فمرت به سخبات سود (٢١٢) فنودي منها اختر فأوما الى صحابة منها سوداء فنودي منها اخذها

رماداً رمداً لا تبق من عاداً أحداً
 قال فباعث الله عليهم من الريح
 الا قدر ما يجري في خاتمي هذا حتى
 هلكوا قال أبو وائل وصدق قال وكانت
 المرأة والزجل اذا بعثوا وافد اللهم
 قالوا لا تكن كوافد عاد هكذا رواه
 الامام احمد في المسند ورواه
 الترمذي عن عبد بن حميد عن زيد
 ابن الحباب بن نحو ورواه النسائي
 من حديث سلام بن المنذر عن
 عاصم وهو ابن بهدلة ومن طريقه
 رواه ابن ماجه أيضاً عن ابى وائل
 عن الحرث بن حسان البكري به
 ورواه ابن جرير عن ابى كريب عن زيد
 ابن حباب به ووقع عنده عن الحرث
 ابن يزيد البكري فذكره ورواه أيضاً
 عن ابى كريب عن ابى بكر بن عياش
 عن عاصم عن الحرث بن حسان
 البكري فذكره ولم أرفى النسخة أباً
 وائل والله أعلم (والى عود أخاهم
 صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم
 من الله غيره قد جاء تكلم بينه من
 ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها
 تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء
 فإياخذكم عذاب أليم واذكروا اذ
 جعلكم خلقاً من بعد عاد وبواكم

القطع طائفة من الليل وقيل ظلمة آخر الليل وقال الاخفش سواد الليل والجملة حاليتها أو
 مستأنفة أى أعشيت والبست وجوههم قطعاً وسواد من الليل في حال ظلمته (أوائلك)
 أى الموصوفون بهذه الصفات الذميمة (أصحاب النار هم فيها خالدون) اطلاق الخلود هنا
 مقيس بما تواتر في السنة من خروج عصاة الموحدين (ويوم نحشهم جميعاً) الحشر
 الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد وقال مجاهد الحشر الموت ويوم منصوب
 على المنعولية بضم أى انذرهم يوم نحشهم لموقف الحساب والجملة مستأنفة لبيان
 بعض أحوالهم القبيحة والمعنى ان الله سبحانه يحشر العابد والمعبود أسوأ لهم يوم
 القيامة (ثم نقول) في حالة الحشر ووقت الجمع (للذين أشركوا) تقرير يعالهم على رؤس
 الأشهاد وتوابعهم مع حضورهم في العبادات وحضور معبوداتهم (مكانكم)
 أى الزموا مكانكم واثبتوا فيه ووقفوا في موضعكم ولا تنفكوا منه ولا تبرحوا عنه حتى
 تسئلوا وتمنظروا ما يفعل بكم ونصب مكانكم على انه في الاصل ظرف لفعل أقيم مقامه
 لاعلى انه اسم فعل وحر كته حركة بناء كما هو رأى الفارسي قاله أبو السعود قال الخفاجي
 وهذا كله تكلف قال الدماميني لا أدري ما الداعي الى جعل هذا الظرف اسم فعل اما
 لازماً واما متعدياً وهلا جعلوا ظرفاً على بابيه ولم يختر جوهه عن أصله أى اثبت مكانك انتهى
 وفيه بحث والضمير في قوله (أنتم) تأكل كما يدل الضمير الذي في مكانكم لسده مسد الزموا
 (وشركاؤكم) عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه وفي هذا وعيد تهديد للعابدين
 والمعبودين والمراد بالشركاء هنا الملائكة وقيل الشياطين وقيل الاصنام وان الله سبحانه
 ينطقها في هذا الوقت وقيل المسيح وعزير والظاهر انه كل معبود للمشركين كما سماه كان
 (فزيلنا) أى فرقنا وبقطعنا ما كان (بينهم) من التواصل في الدنيا يقال زيلته فتريل
 أى فرقته فترق والمزايله المفارقة والتزايل التباين قال السيبوطي ميزنا بينهم وبين
 المؤمنين كما في آية وامتازوا اليوم أيها المجرمون انتهى وفيه مسامحة قال القرطبي هذا
 التفسير بعمد من سابقه ولا حقه اذهب ما في الكلام على المشركين ومعبوداتهم فالاولى
 القول الآخر الذي جرى عليه غيره كما يضاوى والخازن ونص الخطيب بينهم أى بين
 المشركين ومشركاؤهم وذلك حين يتبرأ كل معبود عن عبده وهذا أنسب بقوله (وقال

شركاؤهم
 في الارض تتخذون من سواها قصوراً تتحتمون الجبال بيوتاً فاذا كروا لآله الله ولا تعشوا في
 الارض مفسدين قال الملاء الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا من آمن منهم أتعلمون ان صالحاً من ربه قالوا انما
 أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انابا الذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح اتنا بما تعدنا ان
 كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جامعين قال علماء التفسير والنسب عمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وهو
 أخو جد يس بن عابر وكذلك قبيلة طسم كل هؤلاء كانوا أحياء من العرب العاربة قبل ابراهيم الخليل عليه السلام وكانت عود بعد عاد

ومسأكتهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام الى وادي القرى وما حوله وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ديارهم ومسأكتهم وهو
ذاهب الى تبوك في سنة تسع قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا خنبر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر قال لما نزل رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالناس على تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الابار التي كانت تشرب منها ثم دفنوا منها ونصبوا منها
القدور فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم فأهراقوا القدور وعلفوا العجيين الابل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب
منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا وقال اني أخشى أن (٢١٣) يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم وقال أحمد

أيضا حدثنا عفان حدثنا عبد العزيز
ابن مسلم حدثنا عبد الله بن دينار عن
عبد الله بن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونوا الحجر لا تدخلوا
على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين
فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم
أن يصيبكم مثل ما أصابهم وأصل
هذا الحديث مخرج في الصحيحين
من غير وجه وقال الامام أحمد
أيضا حدثنا يزيد بن هرون المسعودي
عن اسمعيل بن واسط عن محمد بن أبي
كبشة الأعمري عن أبيه قال لما
كان في غزوة تبوك تسارع
الناس الى أهل الحجر يدخلون عليهم
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنادى في الناس الصلاة
جامعة قال فأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو مسك بعنزة وهو
يقول ما تدخلون على قوم غضب
الله عليهم فناداه رجل منهم نجيب
منهم يا رسول الله قال أفلا ينبئكم
بأعجب من ذلك رجل من أنفسكم
ينبئكم بما كان قبلكم وبما هو
كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا فان
الله لا يعذبكم بما صنعتم وما ينجيكم
لا يدفعون عن أنفسكم شيئا لم يخرجوه

شركاؤهم) الذين عبدوهم وجعلوهم شركاء لله سبحانه وانما أضاف الشركاء اليهم مع انهم
جعلوهم شركاء لله سبحانه لكونهم جعلوا لهم نصيبا من أموالهم فهم شركاؤهم في أموالهم
من هذه الخبيثة وقيل لكونهم شركاءهم في هذا الخطاب والاضافة لادنى ملازمة
(ما كنتم ايانا تعبدون) في الحقيقة ونفس الامر وانما عبادتكم هوكم ووضلالكم
وشياطينكم الذين أغووك لانها الآمرة لكم بالاشراك على حد قوله قالوا سبحانه أنت
ولينا من دونهم الآية وهذا الجحد من الشركاء وان كان مخالفا لما قد وقع من المشركين
من عبادتهم فمعناه انكار عبادتهم اياهم عن أمرهم لهم بالعبادة وتقديم المنعول للفاصلة
(فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم) ان كأمرناكم بعبادتنا أو رضينا ذلك منكم (ان كنا
عن عبادتكم لغافلين) القائل لهذا الكلام هم المعبودون قالوا لمن عبدهم من المشركين
والمراد بانغفله هنا عدم الرضا بما فعله المشركون من العبادة لهم أو عدم علمهم بها أو كل
من الامرين وفي هذا دليل على ان هؤلاء المعبودين غير الساطين لانهم رضون بما فعله
المشركون من عبادتهم قال أبو السعدي هذا من كلام الاصنام كما علمت انتهى قلت ويمكن
أن يكونوا من الشياطين ويحمل هذا الجحد منهم على انهم لم يجبروهم على عبادتهم ولا
أكرهوهم عليها (هنالك) أي في ذلك المكان الدهش أو في ذلك الموقف الدحض أو في
ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تبلو) أي تختبر وتذوق (كل نفس) مؤمنة
كانت أو كافرة سعيدة أو شقية جراء (ما أسلفت) من العمل وتعاينه بكنهه متبعة لا تاره
من نفع أو ضرر وخيرا أو شرفا وتختبر وتذوق وتختبر وقيل تعلم وقيل تتبع فهو من التلو وهو ذا
على القراءة بالفوقية باسناد الفعل الى كل نفس واما على القراءة بالنون فالمعنى ان الله يتلى
كل نفس ويختبرها وانه يعاملها معاملة من يختبرها ويتفقد أحوالها ويجوز أن يراد
يصيب بالبلاء أي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر والبليّة والبلاء
والبلوى واحد والجمع البلايا ومعنى الكل الاختبار اخرج ابن مردويه عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمثل لهم يوم القيامة ما كانوا يعبدون من
دون الله فيتعبدونهم حتى يؤذوهم النار ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هنالك
تبلوا الآية وعن ابن زيد قال تعان كل نفس ما علمت وقرئ من التلاوة أي تقرأ كل نفس

أحمد بن أسحاب السنز وأبو كبشة اسمه عمر بن سعد ويقال عامر بن سعد والله أعلم وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر
عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألتها
قوم صالح فكانت يعني الناقة ترد من هذا الفج وتصد من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فمقرروها وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون
لبنها يوما ففقرت وها فأخذتهم صيحة أخذ الله من تحت أديم السماء منهم الرجل واحد ا كان في حرم الله فقالوا من هو يا رسول الله قال
أبو نعال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة وهو على شرط مسلم قوله تعالى والى
ثمود أي ولقد أرسلنا الى قبيلة ثمود صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غير ذي جبر مع الرسل يدعون الى عبادة الله وحده

لا شريك له كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقال ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقوله قد جاء تكلم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية أي قد جاءكم حجة من الله على صدق ما جئتمكم به وكانوا هم الذين سألو اوصال الحان يأتيهم بآية واقترحوا عليه بأن يخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكتابة فطلبوا منه أن يخرج لهم منها ناقة عشرة أعشرا تخض فأخذ عليهم صالح العهد والمواثيق لئن أجابهم الله الى سؤالهم وأجابهم الى طلبتهم ليؤمنن به (٢١٤) ولتبعنه فلما أعطوه على ذلك عهدهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام الى صلته ودعا الله عز وجل فتمركت

الى صلته ودعا الله عز وجل فتمركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنبها بين جنبها كما سألو افعند ذلك آمن رئيسهم جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره وأراد بقية أشراف عمود أن يؤمنوا فصددهم ذؤيب بن عمرو بن لبيد والخباب صاحب أو ثانهم ورباب ابن صعمر بن جلمس وكان جندع بن عمرو ابن عم له شهاب بن خليفه بن محلاة بن لسيد بن جواس وكان من أشراف عمود وأفاضلها فأراد أن يسلم أيضا فنهاه أولئك الرهط فأطاعهم فقال في ذلك رجل من مؤمنى عمود يقال له مهوش بن عمة بن الزميل رجه الله وكانت عصبته من آل عمرو

الى دين النبي دعوا شهابا عزيز عمود كلهم جعجا فهم بأن يجيب فلوا أجابا لاصبح صالح فينا عزيزا وما عدلوا بصاحبهم ذؤيبا ولكن الغواة من آل حجر تولوا بعد ردهم ذؤيبا وأقامت الناقة وفصلها بعد ما وضعته بين أظهرهم مدة تشرب من بئرها يوما وتدعه لهم يوما وكانوا يشربون

صحيفة عملها من خير أو شر (وردوا) أي الذين أشركوا (الى الله) أي الى جزائه وما أعد لهم من عقابه والرد عبارة عن صرف الشيء الى الموضع الذي جاء منه (مولاهم) ربهم وما لكهم (الحق) صفة له أي الصادق الربوبية دون ما اتخذوه من المعبودات الباطلة وقرئ بالنصب على المدح كقولهم الحمد لله أهل الحمد (وضل عنهم) أي ضاع وبطل وذهب في الموقف (ما كانوا يفترون) عليه من أن الآلهة التي لهم حقيقة بالعبادة تشفع لهم الى الله وتقر بهم اليه والحاصل أن هؤلاء المشركين يرجعون في ذلك المقام الى الحق ويعترفون به ويقررون بطلان ما كانوا يعبدونه ويجعلونه لها ولكن حين لا يشفعهم ذلك وعن السدي قال نسخها قوله بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم ثم لما بين الله سبحانه فضائح المشركين اتبعها يا ارحم الراحمين الدامغة من أحوال الرزق والحواس والموت والحياة والابتداء والاعادة والارشاد والهدى وبني سبحانه الحجج على الاستفهام وتقويض الجواب الى المسؤولين ليكون أبلغ في الزام الحجة وأوقع في النفوس فقال (قل) يا محمد للمشركين احتجابا لحقيقة التوحيد وبطلان ما هم عليه من الشرك وهذه أسئلة ثمانية جواب الخمسة الاولى منها منهم وجواب الاثنى بعدها منه صلى الله عليه وآله وسلم بتعليم الله اياه لعدم قدرتهم عليه وجواب الاخير لم يذكر شهرته والعلم به (من رزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات والمعادن فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد أرضية أو من كل واحدة منها توسعة عليكم ومن لا ابتداء الغاية فان اعترفوا حصل المطلوب وان لم يعترفوا بان الله هو الذي خلقهما فقل (أم من يملك السمع والابصار) أم هي المنقطعة بمعنى بل وفي هذا الاضراب انتقال انتقال من سؤال الى سؤال على القاعدة المقررة في القرآن لا اضراب ابطال أي من يستطيع خلقهما وتسويتهما أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من أدنى شيء وحقيقة الملك معرفة ويزمها الاستطاعة لان المالك لشيء يستطيع التصرف فيه والحفظ له والحماية ولذلك تجوز به عن كل منهما وخصهما بالذكري لما فيهما من الصنعة العجيبة والخلقة الغريبة حتى ينفعوا بهما هذا الاتساع العظيم ويصلون بهما من النوائد ما لا يدخل تحت حصر الحاصرين ثم اتقل الى حجة الثالثة فقال (ومن يخرج الحي من الميت) أي الانسان من النطفة والظير من البيضة والنبات من الحبة أو المؤمن من الكافر والاولى أقرب الى الحقيقة

ليوم شربها ويومها فيلون ماشا ومن أو عيتهم وأوانهم كما قال في الآية الاخرى ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب (ويخرج محتضرا وقال تعالى هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وكانت تسرح في بعض تلك الودية ترد من فيج وتصدر من غيره ليسعها لانها كانت تتلصق من الماء وكانت على ما ذكر خلقها ثلاثا ومنظر ارائع اذا امرت بانعامهم نفرت منها فلما طال عليهم ذلك واشتد تكذيبهم لصالح النبي عليه السلام عزمو على قتلها ليستأثر وبالالماء كل يوم فيقال انهم اتفقوا كلهم على قتلها قال قتادة بلغني أن الذي قتلها طاف عليهم كلهم انهم راضون بقتلها حتى على النساء في خدورهن وعلى الصبيان قلت وهذا هو الظاهر لقوله تعالى فكذبوه

ففقروها فقدم عليهم ربهم بذنوبهم فسواها وقالوا آتينا محمد الناقة مبصرة فظلموا بها وقال فقروا الناقة فأسند ذلك الى مجموع القيس له فدل على رضيه جميعهم بذلك والله أعلم وذكر الامام أبو جعفر بن جرير وغيره من علماء التفسير ان سبب قتلها ان امرأته منهم يقال لها عنيزة بنسبة غنم بن مجلز وتكنى أم عثمان كانت عجوزا كافرة وكانت من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام وكانت لها بنتان حسان ومال بن زبل وكان زوجها ذو اب بن عمرو وأحد رؤساء عمود و امرأته أخرى يقال لها صدقة بنت الحميان زهير بن المختار ذات حسب ومال وجمال وكانت تحت رجل مسلم من عمود (٢١٥) فقارفته فكاتبها بعلان لمن التزم لهما بقتل

الناقة فدعت صدقة رجلا يقال له الحباب فعرضت عليه نفسها ان هو عقر الناقة فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهران ابن الحميان فأجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم فأجابها ودعت العجوز قد ار بن سالف بن جدع وكان رجلا أحر قصيرا أزرق برعمون انه ولد زينة وانه لم يكن من أيه الذي ينسب اليه سالف وانما هو من رجل يقال له صبيان ولكن واد على فراش سالف وقالت له أعطيك اي بنتي شئت على أن تعقر الناقة فعند ذلك انطلق قد ار بن سالف ومصدع بن مهران فاستغويا غواة من عمود فأتبعهما سبعة نفر اقصار واتسعة رهط وهم الذين قال الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون وكان رؤساء في قومهم فاستمالوا القبيلة الكافرة بكها لفاطوا وعتم على ذلك فانطلقوا فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كن لها قد ار بن سالف في أصل صخرة على طريقها وكن لها مصدع في أصل أخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضه ساقها وخرجت أم غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجهها فسفرت عن وجهها الققدار وزمرته وشدها عليها قد ار بالسيف فكشف عن عرقها فخرت ساقطة الى الارض ورغت رعاة واحدة تحذر سقمها ثم طعن في لبتها فخرها وانطلق سقمها وهو فصلها حتى أتى جبلا منيعا فعدا على صخرة فيه ورغا فروى عبد الرزاق عن معمر بن سفيان البصري انه قال يارب أين أمي ويقال انه رغا ثلاث مرات وانه دخل في صخرة فغاب فيها ويقال انهم اتبعوه ففقروه مع أمه فانه أعلم فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة وبلغ الخبر صالحا عليه السلام فجاءهم وهم يجمعون فلما رأى الناقة بكى وقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام الآية وكان قتلها

(ويخرج الميت من الحيا) أي النطفة من الانسان والكافر من المؤمن أو البیضة من الطائر الحيا والمراد بهذا الاستفهام عن يحيى ويميت وهذه حجة رابعة ثم انتقل الى حجة خامسة فقال (ومن يدبر الامر) بين الخلائق أي يقدره ويقضيه وهذا من عطف العام على الخاص لانه قد علم ما تقدم وغيره (فسيقولون الله) أي سيكون قولهم في جواب هذه الاستفهامات الخمس أن الفاعل لهذه الامور هو الله سبحانه ان انصفوا وعلموا على ما يوجبها الفكر الصحيح والعقل السليم والمعنى الله يفعل ذلك (فقل) أمره أن يقول لهم ذلك وعظاوتك كيراعدان يجيبوا بهذا الجواب (أفلا تتقون) الاستفهام للانكار والفاء للعطف على مقدر أي تعلمون ذلك أفلا تتقون وتفعلون ما يوجب هذه العلم من تقوى الله الذي يفعل هذه الافعال وتعدون هذه الاموات والاصنام التي لا تقدر على شيء من هذه الامور بل ولا تعلم به وفي البيضاوي أفلا تتقون عقابه باسرا ككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك (فذا لكم) الذي يفعل هذه الافعال (الله) وهو (ربكم) المنصف بانه (الحق) لا ما جعلتموهم شركاء له من الموثق والاصنام والاستفهام في قوله (فذا بعد الحق الا الضلال) للتوبيخ والتوبيخ ان كانت ما استفهامية لان كانت نافية كما يحتملها الكلام والمعنى أي شيء بعد الحق الا الضلال فان ثبوت ربوبية الرب سبحانه حق باقرارهم وكان غيره باطلا لان واجب الوجود يجب أن يكون واحدا في ذاته وصفاته (فأني تصرفون) أي كيف تستخيزون العبدول عن الحق الظاهر وتقعون في الضلال اذ لا واسطة بينهما فمن تخطى أحدهما وقع في الآخر والاستفهام للانكار والاستبعاد والتعجب (كذلك) أي كما ثبت ان الحق ليس بعده الا الضلال أو كما حق انهم مصروفون عن الحق كذلك (حقك كلف ربك) أي حق حكمه وقضاه (على الذين فسقوا) خرجوا من الحق الى الباطل وتعدوا في كفرهم عنادا ومكابرة قال الزمخشري أي مثل ذلك الحق حقت وقال الزجاج أي حقت عليهم هذه الكلمة ووجبت وهي (انهم لا يؤمنون) أي عدم ايمانهم بدل كل من كل أو المعنى لانهم لا يؤمنون فيكون تعليلا للحقيقة عليهم (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده) أورد سبحانه في هذا حجة سادسة على المشركين وأمر بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول لهما اللهم وهم وان كانوا لا يعترفون

الناقة يوم الأربعاء فلما أسي أولئك التسعة الرهط عزموا على قتل صالح وقالوا ان كان صادقا فاجلناه قبلنا وان كان كاذبا فالحقناه
 بناقته فتقاموا بالله لنبيته وأهله ثم انقولن لوليه ما شهدنا مهلا أهلنا وانا لصادقون ومكر وامكر او مكرنا مكر او مكرنا مكر وهم لا يشعرون
 فانظر كيف كان عاقبة مكرهم الآية فلما عزموا على ذلك ونواطوا عليه وجأوا من اليميل ليفتكو بنبي الله فأرسل الله سبحانه
 وتعالى وله العزة ولرسوله عليهم حجارة فرضختهم سلفا وتجييسا قبل يومهم وأصبح ثود يوم الخميس وهو اليوم الاول من أيام
 النظرة ووجوههم مصفرة كما وعدهم (٢١٦) صالح عليه السلام وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل

وهو يوم الجمعة ووجوههم حمرة
 وأصبحوا في اليوم الثالث من
 أيام المتاع وهو يوم السبت ووجوههم
 مسودة فلما أصبحوا من يوم
 الاحد وقد تحنطوا وقعدوا
 ينظرون تقسمه الله وعذابه عيادا
 بالله من ذلك لا يدرون ماذا يفعل
 بهم ولا كيف بأنهم العذاب
 وأشرق الشمس جاءتهم صيحة
 من السماء ورجفة شديدة من أسفل
 منهم ففاضت الارواح وزهقت
 النفوس في ساعة واحدة فأصبحوا
 في ديارهم جاثمين أى صرعى لأرواح
 فيهم ولم يفلت منهم أحدا لصغير ولا
 كبير ولا ذكر ولا أنثى قالوا الاجارية
 كانت مقعدة واسمها كلب ابنة
 السلق ويقال لها الزريقة وكانت
 كافرة شديدة العداوة لصالح عليه
 السلام فلما رأته مارات من العذاب
 أطلقت رجلاها فقامت تسعي
 كاسرع شئ فأتت حيا من الاحياء
 فأخبرتهم بمارات وما حل بقومها
 ثم استسقتهم من الماء فلما شربت
 ماتت قال علماء التفسير ولم يبق
 من ذرية ثودأ أحد سوى صالح
 عليه السلام ومن تبعه رضى الله

بالمعاد لكنه لما كان أمر اظاها رينا وقد أقام الأدلة عليه في هذه السورة على صورة
 لا يمكن دفعها عند من أنصف ولم يكابر كان كالمسلم عندهم الذي لا يجده ولا انكار فيه
 والمعنى هل من هذه الاصنام والاموات التي تزعمون انها آلهة من يقدر على أن ينشئ
 الخلق من العدم على غير مثال سبق ثم يعيده بعد الموت في القيامة كهيئته أول مرة للجزاء
 وهذا السؤال استفهام انكار وانما لم يعطف على ما قبله اذ انابا باستقلاله في اثبات
 المطلوب وعبرة أنى السعد وهذا احتجاج آخر على حقية التوحيد وبطلان الاشرار
 باظهار كون شركائهم بعزل عن استحقاق الألوهية ببيان اختصاص خواصها من بدء
 الخلق واعادته به تعالى اه والحاصل انه لا يقال ان الكفار ينكرون الاعادة والبعث
 فكيف يحتج عليهم بهم لان الزام الخصم كما يصح بما يعترف به يصح أيضا بما تبينت وثبتت
 حقيسته لقوة برهانه فلذا جعل الاعادة كالبدء في الازام بها الظهور برهانها وان لم يعترفوا
 بها ولذلك أمر الرسول ان ينوب عنهم في الجواب كما قال سبحانه (قل الله يبدأ الخلق ثم
 يعيده) أى هو الذى يفعل ذلك لا غيره وهذا القول الذى قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 عن أمر الله سبحانه له نيابة عن المشركين في الجواب كما تقدم اما على طريق التلقين لهم
 وتعرف يفهم كيف يجيبون وارشادهم الى ما يقولون واما لكون هذا المعنى قد باغى في
 الوضوح الى غاية لا يحتاج معها الى اقرار الخصم ومعرفة مآلديه واما لكون المشركين
 لا ينطقون بما هو الصواب في هذا الجواب فرارا منهم عن ان تلزمهم الحجة أو ان يسجل
 عليهم بالمكابرة ان حادوا عن الحق (فأنى تؤفكون) أى فكيف تصرفون عن الحق
 وتقبلون منه الى غيره والمراد التعجب من أحوالهم ثم أمره الله سبحانه ان يورد عليهم حجة
 سابعة فقال (قل هل من شركائكم) الاستفهام ههنا كالاتفهامات السابقة (من
 يهدى الى الحق) الاستدلال بالهداية بعد الاستدلال بالخلق وقع كثيرا في القرآن كقوله
 الذى خلقنى فهو يهدين وقوله الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقوله الذى خلق فسوى
 والذى قدر فهدى وفعل الهداية ينجى متعديا باللام والى وهم اجمعى واحدا روى ذلك عن
 الزجاج وقيل كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية
 الهداية والمعنى متقارب وقد يحذف الحرف تحقيقا وقد جمع بين المتعديين هنا بحرف
 الجر فعدى الاول والثالث بالى والثانى باللام والتعدي بهذين الحرفين من باب التفتن في

عنهم الان رجال يقال له أبو رغال كان لما وقعت النجمة بقومه مقبلا اذ ذلك
 في الحرم فلم يصبه شئ فلما خرج في بعض الايام الى الحل جاءه حجر من السماء فقتله وقد تقدم في أول القصة حديث جابر بن
 عبد الله في ذلك وذكره وأن أبارغال هذا هو الوثقيف الذين كانوا يسكنون الطائف قال عبد الرزاق عن معمر أخبرني
 اسمعيل بن أمية أن النبي صلى الله عليه وسلم هم بقبر أبي رغال فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا قبر أبي رغال
 رجل من ثود كان في حرم الله فنهجه حرم الله عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب

البلاغة

فقتل القوم فاستدروه بأسيافهم فمخثوا عنه فاستخرجوا الغصن وقال عبد الرزاق قال معمر قال الزهري أبو رغال أبو ثقيف هذا
 مرسل من هذا الوجه وقد روى متصل من وجه آخر كما قال محمد بن أبي اسحق عن اسمعيل بن أمية عن يحيى بن
 أبي بجير قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه إلى الطائف فرزنا بقبر
 فقال هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم فدفع عنه فلما خرج أصابته النقمة التي أصابت قومه
 بهذا المكان فدفن في فيه وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب أنتم (٢١٧) نبستم عنه أصقبوه فابتدروا الناس فاستخرجوا
 منه الغصن وهكذا رواه أبو داود

عن يحيى بن معين عن وهب بن جرير
 ابن حازم عن أبيه عن أبي اسحق قال
 شيخنا أبو الحجاج المزني وهو حديث
 حسن عزيز (قلت) تفرد بوجه بغير
 ابن أبي بجير هذا وهو شيخ لا يعرف
 إلا بهذا الحديث قال يحيى بن معين
 ولم أسمع أحدا روى عنه غير اسمعيل
 ابن أمية (قلت) وعلى هذا فيخشى
 أن يكون وهم في رفع هذا الحديث
 وإنما يكون من كلام عبد الله بن
 عمرو مما أخذ من الزاملتين قال
 شيخنا أبو الحجاج بعد أن عرضت
 عليه ذلك وهذا محتمل والله أعلم
 (فتولى عنهم وقال يا قوم لقد
 أبلغتكم رسالة ربِّي ونصحت لكم
 ولكن لا تحبون الناصحين) هذا
 تقرير من صالح عليه السلام
 لقومه لما أهلكهم الله بخالفتهم إياه
 وتردهم على الله وأبائهم عن قبول
 الحق واعراضهم عن الهدى إلى
 العمى قال لهم صالح ذلك بعد
 هلاكهم تقر يعاوتو يخاؤهم
 يسمعون ذلك كما ثبت في الصحيحين
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما

البلاغة ولذلك قال الزحشري هذه اللعق والحق بجمع بين اللغتين والمراد بالحق في
 المواضع الثلاثة ضد الباطل ولما كانوا جاهلين بالجواب الحق في ذلك أو معاندين أمر الله
 رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجيب بقوله (قل) لهم (الله) الذي له الاحاطة
 الكاملة (يهدي للعق) من يشاء دون غيره ممن زعموه هم شركاء وذلك ما تقدم من
 الأدلة الدالة على اختصاصه سبحانه بهذا وهداية الله سبحانه لعباده إلى الحق هي بما نصبه
 لهم من الآيات في المخلوقات وارساله للرسول وازالة الكتب وخلقها لما يتوصل به العباد
 إلى ذلك من العقول والافهام والاسماع والابصار والاستفهام في قوله (أفئن) للتقرير
 والزمام الحجة والقاء لترتيبه على ما سبق وهو برهان تام لم يذكر جوابه في الآية والمعنى
 أفئن (يهدي) الناس (إلى الحق) وهو الله سبحانه (أحق أن يتبع) ويقتدى (أم من
 لا يهدي) أي أم الاحق بأن يتبع ويقتدى به من لا يهدي نفسه (الآن يهدي)
 الاستثناء مفرغ من أعم الاحوال أي لا يهدي في حال من الاحوال الا في حال هدى
 الغير اياه وكان مقتضى المقابلة ان يقال أم من لا يهدي وإنما خولف إشارة إلى أنه اذا لم
 يهدت نفسه لا يهدي غيره وقال النحاس الاستثناء منقطع كما تقول فلان لا يسمع غيره
 الا ان يسمع أي لكنه يحتاج أن يسمع فعني الآن يهدي أي لكنه يحتاج أن يهدي (قفا
 لكم كيف تحكمون) هذا تعجب من حالهم باستفهامين متوالين أي أي شيء ثبت لكم
 في هذه الحالة فهذا جملة مستقلة وكيف تحكمون أي باتخاذ هؤلاء شركاء لله وهي جملة
 أخرى مستقلة وكلا الاستفهامين للتقرير والتوبيخ ثم بين سبحانه ما هو لاء عليه في أمر
 دينهم وعلى أي شيء بنوه وبأي شيء أتبعوا هذا الدين الباطل وهو الشرك فقال (وما يتبع
 أكثرهم الا الظن) هذا كلام مبتدأ غير داخل في الاوامر السابقة والمعنى ما يتبع هؤلاء
 المشركون في اثرا كههم بالله وجعلهم له أندادا بمجرد الظن والتخمين والتحدس ولم يكن
 ذلك عن بصيرة والتفات إلى فرد من أفراد العلم فضلا عن ان يسلكوا مسالك الأدلة
 الصحيحة الهادية إلى الحق المبينة على المقدمات اليقينية الصادقة فيفهموا مضمونها
 ويقفوا على مقتضاها وبطلان ما يخالفها بل ظن من ظن من سلفهم ان هذه المعبودات
 تقر بهم إلى الله وانها تشفع لهم ولم يكن ظنه هذا المستند قط بل مجرد خيال محتدل وحدهس
 باطل فقلدوا فيه آباءهم ولعل تنكير الظن هنا للتحقير أي الاظنا ضعيفا واهيا لا يستند إلى

(٢٨ - فتح البيان ح)

ظهر على أهل بدر أقام هناك ثلاثا ثم أمر براحلته فشدت بعد ثلاث من آخر الليل
 فركبها ثم سار حتى وقف على القلب قلب بدر فجعل يقول يا أبا جهل بن هشام يا عبثة بن ربيعة يا شيبه بن ربيعة يا فلان بن فلان هل
 وجدت ما وعدتكم حقا فاني وجدت ما وعدتني ربي حقا فقال له عمر يا رسول الله ما تكلم من أقوام قد جيفوا فقال والذي نفسي
 بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون وفي السيرة أنه عليه السلام قال تبس عشرة النبي كنتم لتبئكم كذبتموني وصدقني
 الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس فبأس عشرة انبي كنتم لتبئكم وهذا صلح عليه السلام قال لقومه

لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم أي فلم تنتفعوا بذلك لأنكم لا تحبون الحق ولا تتبعون ناصحا ولهذا قال والله لا يحبون الناصحين وقد ذكر بعض المفسرين أن كل نبي هلك أمته كان يذهب فيقيم في الحرم حرم مكة والله أعلم وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا زعم بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي عسفان حين حج قال يا أيها الكفار أي وادهذا قال هذا وادي عسفان قال لقد مر به هو ووصال عليه السلام على بكرات خطمهن الليف أزهرهم العباء وأردتهم (٢١٨) النار يلبون بمججون البيت العتيق هذا حديث غريب من هذا

الوجه لم يخزجه أحد منهم (ولو طأ)
اذ قال لقومه أن أتون الفاحشة
ما سبقكم به من أحد من العالمين
أنتم لتأتون الرجال شهوة من دون
النساء بل أنتم قوم مسرفون يقول
تعالى ولقد أرسلنا لوطا أو تقديره
واذ كر لوطا اذ قال لقومه ولو ط هو
ابن هاران بن أزر وهو ابن أخي
ابراهيم الخليل عليهما السلام وكان
قد آمن مع ابراهيم عليه السلام
وهاجر معه الى أرض الشام فبعثه
الله الى أهل سدوم وما حولها من
القرى يدعوهم الى الله عز وجل
ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما
كانوا يرتكبونه من المأثم والمحارم
والفواحش التي اخترعوها
لم يسبقهم بها أحد من بني آدم
ولا غيره وهو اتيان الذكور وهذا
شيء لم يكن ينوعه دمه ولا تألفه
ولا يخطر ببالهم حتى صنعه
أهل سدوم عليهم لعائن الله قال عمرو
ابن دينار في قوله ما سبقكم به من
أحد من العالمين قال ما نزل على
ذكري حتى كان قوم لوط وقال الوليد
ابن عبد الملك الخليفة الاموي ياتي
جامع دمشق لولا أن الله عز وجل قص

ما استند اليه سائر الظنون وقيل المراد بالآية انه ما يتبع أكثرهم في الايمان بالله والاقرار
به الاظنا والاقول أو وقيل المراد بالآية ان جميعهم يتبعون الظن في دعواهم ان
الاصنام تشفع لهم قال الكرخي وفيه دليل على ان تخصيص العلم في الاصول واجب
والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز وقيل المراد بالآية ان الرؤساء ثم أخبرنا الله سبحانه
(ان الظن لا يغني من الحق شيئا) لان أمر الدين انما ينبغي عن العلم وبه يتضح الحق من
الباطل والظن لا يقوم مقام العلم ولا يدرك به الحق ولا يغني عن الحق في شيء من الأشياء
والجمله مستأنفة ليسان شأن الظن وبطلانه ومن يعنى عن والحق بمعنى العلم (ان الله علم
بما يفعلون) من الافعال القبيحة الصادرة لاعن برهان فيندرج تحتها ما حكى عنهم من
الاعراض عن البراهين القاطعة والاتباع للظنون الفاسدة اندراجا وليا (وما كان هذا
القرآن أن يفترى) قيل ان بمعنى اللام أي ليفترى وقيل بمعنى لا أي لا يفترى لما فرغ سبحانه
من دلائل التوحيد وحججه شرعية في تثبيت أمر النبوة أي وما صح وما استقام أن يكون هذا
القرآن المشتمل على الحجج البينة والبراهين الواضحة مفترى من الخلق (من دون الله) وانما هو
من عند الله عز وجل وكيف يصح أن يكون مفترى على سبيل الافتعال والاختلاق وقد عجز
عن الايمان بسورة منه القوم الذين هم أفصح العرب لسانا وأدقهم اذها نأ قال القرء ومعنى
الآية وما ينبغي لهذا القرآن ان يفترى كقوله وما كان لبي ان يغفل وما كان المؤمنون
ليفتروا كافة يعني ليس وصف القرآن وصف شيء يمكن ان يفترى به على الله لان المفترى
هو الذي يأتي به البشر وانه مبرأ عن الافتراء والكذب (ولكن) كان هذا القرآن ووقعت
لكن هنا أحسن موقع اذ هي بين تقيضين وهما الكذب والصدق المضمن للتصديق وفيه
أوجه أحدها العطف على خبر كان الثاني أنه خبر لكان مضرة وتقدم تقديره واليه ذهب
الكسائي والفراء وابن سعدان والزجاج وهذا كالذي قبله في المعنى الثالث تقديره وما كان
هذا القرآن أن يفترى ولكن أنزل للتصديق والرابع تقديره ولكن يصدق الذي قاله السمين
(تصديق الذي بين يديه) أي أمامه من الكتب الالهية المنزلة على الانبياء قبل أي انما قد
بشرت به قبل نزوله فجاء مصداقها ونفس هذا التصديق محجزة. نقلة لان أقاصصه
موافقة لما في الكتب المتقدمة مع ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يطلع على ذلك ولا تعلمه
ولاسأل عنه ولا اتصل عن له علم بذلك وقيل المعنى ولكن تصديق النبي الذي بين يدي القرآن

وهو علينا خبر قوم لوط ما ظننت أن ذكرا يعلو ذكرا ولهذا قال لهم لوط عليه السلام أتأتون
الفاحشة ما سبقكم به من أحد من العالمين أنتم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء أي عدلتم عن النساء وما خلق لكم ربيكم
منهن الى الرجال وهذا اسراف منكم وجهل لانه وضع الشيء في غير محله ولهذا قال لهم في الآية الاخرى قال هؤلاء بناتي ان كنتم
فاعلين فأرشدكم الى نساءهم فاعتذروا اليه بأنهم لا يشتمونهن قالوا لقد علمت ما لتأني بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد أي لقد علمت
انه لأرب لتأني النساء ولا ارادة وانك لتعلم مرادنا من أضيافك وذكرا المتسرون أن الرجال كانوا قد استغنى بعضهم ببعض وكذلك

نسأؤهم قد استغنى بعضهم ببعض أيضا (وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم أنهم أناس يتطهرون) أي ما أجابوا الوط إلا أن هموا باخراجه ونفيه ومن معه من بين أظهرهم فأخرجه الله تعالى سالما وأهلا بهم في أرضهم صاغرين مهانين وقوله تعالى أنهم أناس يتطهرون قال قتادة عابوهم بغير عيب وقال مجاهد أنهم أناس يتطهرون من أدبار الرجال وأدبار النساء وروى مثله عن ابن عباس أيضا (فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فأنظر كيف كان عقابنا لغير من) يقول تعالى فأنجيناهم لو طار أهله ولم يؤمن به أحد منهم سوى أهل بيته فقط (٢١٩) كما قال تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين

فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
الامرأة فأنهم لم تؤمن به بل كانت
على دين قومها تألمهم عليه وتعلمهم
عن يقدم عليه من ضيفانه بإشارات
بينها وبينهم ولهذا الماء أمر لوط عليه
السلام ليسرى بأهله امرأ أن لا يعلمها
ولا يخرجها من البلد ومنهم من يقول
بل اتبعتم فلما جاء العذاب التفتت
هي فأصابها ما أصابهم والأظهر أنها
لم تخرج من البلد ولا أعلمها لوط بل
بقيت معهم ولها ذاقا لها هنا إلا
امرأة كانت من الغابرين أي
الباقيات وقيل من المهاكين وهو
تفسير باللائم وقوله وأمطرنا عليهم
مطرا مفسر بقوله وأمطرنا عليها
حجارة من سجيل منضود مسومة
عند ربك وما هي من الظالمين يعبده
ولهذا قال فأنظر كيف كان عقابنا
لغير من أي أنظر يا محمد كيف كان
عقابنا من يجترئ على معاصي الله
عز وجل ويكذب رسله وقد ذهب
الامام أبو حنيفة روجه الله إلى أن
اللائم يلقى من شاقق ويتبع بالحجارة
كما فعل يقوم لوط وذهب آخرون
من العلماء إلى أنه رجم سواء كان
محصنا أو غير محصن وهو أحد قولي

وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم شاهدوه قبل أن يسعوا منه القرآن (وتنصبل
الكتاب) التفصيل التبيين أي بين ما في كتب الله المتقدمة والالف واللام في الكتاب
للجنس وقيل أراد ما بين في القرآن من الأحكام فيكون المراد بالكتاب القرآن وقيل اللوح
المحفوظ (لأريب فيه) الضمير عائد إلى القرآن وهو داخل في حكم الاستدراك وهو خبر
ثالث أو حال من الكتاب أي مستفيا عنه الريب أو مستأنف أو معترض بين تصديق وبين
(من رب العالمين) أي كائن منه خبر رابع أو حال ثانية أو متعلق بتصديق أو بتفصيل أو
التقدير أنزل للتصديق من رب العالمين (أم يقولون افتراء) الاستفهام للانكار عليهم مع
تقرير ثبوت الحق وأم هي المنقطعة التي بمعنى بل والهمزة أي بل أي يقولون افتراء واختلقه
وقال أبو عبيدة أم بمعنى الواو أي ويقولون وقيل الميم زائدة أي أي يقولون والاستفهام
للتقريع والتوبيخ والانسكار والاستبعاد أي هذا القول منهم في غاية البعد والسنة
وقيل التقدير أي يقولون به أم يقولون ثم أمره الله سبحانه أن يتحدثهم حتى يظهر عجزهم
ويتبين ضعفهم فقال (قل) تكفيتمهم واطهار البطلان مقاتلهم الفاسدة (فأولئك) أي ان كان
الامر كالتعميم من أن محمد افتراء فأولئك أنتم على جهة الافتراء (بسورة مثله) في البلاغة
وجودة الصناعة فأنتم مثله في معرفة لغة العرب وفصاحة الالسن وحسن النظم وبلاغة
الكلام والمراد مثل هذه السورة لأنها أقرب ما يمكن أن يشار إليه هكذا قال الرازي وهي
مكية والأولى التناول لجميع السور فإنهم لا يقدرون أن يأثروا بقصر سورة (وادعوا)
بمظاهر يكفهم ومعاونيتكم (من استظعم) دعاه والاستعانة به من قبائل العرب ومن
آلهتكم التي تجعلونوا شركاء لله (من دون الله) أي من سوى الله من خلقه (ان
كنتم صادقين) في دعواكم أن هذا القرآن مفترى فان ذلك مستلزم لامكان الاتيان
بمثله وهو أيضا مستلزم لقدركم عليه وسبحان الله العظيم ما أقوى هذه الحججة وأوضحها
وأظهرها للعقول فإنهم لما نسبوا الافتراء إلى واحد منهم في البشرية والعربية قال لهم
هذا الذي نسبوه إلى وأنا واحد منكم ليس عليكم إلا أن تأثروا وأنتم الجمع الجمل بسورة
مماثلة لسورة من سورته واستعينوا بمن شئتم من أهل هذه اللسان العربية على كثرتهم
وتباين مساكنهم أو من غيرهم من بني آدم ومن الجن أو من الأصنام فان فعلهم هذا بعد
التساؤل التي فأنتم صادقون فيما نسبتموه إلى وألصقتموه لي فلم يأثروا عند سماع هذا الكلام

الشافعي روجه الله والحجة مارواه الامام احمد وابوداود والترمذي وابن ماجه من حديث الدراوردي عن عمرو بن ابي عمرو عن عكرمة
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وقال آخرون هو
كل اني فان كان محصنا رجم وان لم يكن محصنا جلد مائة جلدة وهو القول الآخر للشافعي واما اتيان النساء في الادبار فهو اللوطية
الصغرى وهو حرام باجماع العلماء الا قول شاذ لبعض السلف وقد ورد في النهي عنه أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد تقدم الكلام عليها في سورة البقرة (والى مدين آحاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الله غيرة قد جاءكم من ربكم

فأوفوا الكيل والميزان ولا تجسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد ما أحل لكم خيرا لكم إن كنتم مؤمنين) قال محمد بن اسحق هم من سلاله مدين بن ابراهيم وشعيب هو ابن ميكيل بن يشجر قال واسمه بالسريانية بثرون (قلت) مدين تطلق على القبيلة وعلى المدينة وهي التي بقرب معان من طريق الحجاز قال الله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون وهم أصحاب الايكة كما سئد ذكره ان شاء الله وبه الثقة قال يا قوم اعبدوا الله ما عبدوا من قبله من غير هذه دعوة الرسل كلهم قد جاء تسكين بينة من ربكم أي قد أقام الله الحجج (٢٢٠) والبيئات على صدق ما جئتمكم به ثم وعظهم في معاملتهم الناس بأن يوفوا

الكيل والميزان ولا يجسوا الناس أشياءهم أي لا يخونوا الناس في أموالهم ويأخذوها على وجه الخس وهو نقص المكيال والميزان خفية وتديسا كما قال تعالى ويل للمطففين إلى قوله لرب العالمين وهذا تمديد شديد ووعيد أكد نسأل الله العافية منه ثم قال تعالى اخبرنا عن شعيب الذي يقال له خطيب الانبياء لفصاحة عبارته وجزالة مواعظه (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصعدون عن سبيل الله من آمن به وتغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثرتكم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين) ينهاهم شعيب عليه السلام عن قطع الطريق الخسّي والمعنوي بقوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون أي توعدون الناس بالقتل ان لم يعطوكم أموالهم قال السدي وغيره كانوا عشارين وعن ابن عباس ومجاهد وغير واحد لا تقعدوا

المنصف والتنزل البالغ بكلمة ولا تفسدوا في الأرض بعد ما أحل لكم خيرا لكم ان كنتم مؤمنين) قال العناد البارود والمكابرة المجردة عن الحجة وذلك مما لا يجوز عنه مبطل ومراتب تحدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن أربعة أولها انه تحداهم بكل القرآن كما قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بعثل هذا القرآن ثانيا انه تحداهم بعشر سور قال تعالى قل فأتوا بعشر سور مثله مقتريات ثالثا انه تحداهم بسورة واحدة كما قال تعالى فأتوا بسورة مثله رابعا انه تحداهم بحديث مثله كما قال تعالى فليأتوا بحديث مثله فهذا مجموع الدلائل التي ذكرها الله في اثبات ان القرآن معجز ثم ان الله تعالى ذكر السبب الذي لاجله كذبوا بالقرآن وأتى به عقب هذا التحدى البالغ فقال (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) فاضرب عن الكلام الاوّل وانتقل الى بيان انهم سارعوا الى تكذيب القرآن قبل ان يتدبروه ويفهموا معانيه وما اشتمل عليه وهكذا صنع من تصلب في التقليد ولم يبال بما جاء به من دعا الى الحق وتمسك بذنوب الانصاف بل يرد بمجرد كونه لم يوافق هواه ولا جاء على طبق دعواه قبل ان يعرف معناه ويعلم منبأه كما تراه عيانا وتعلمه وحدها والحاصل ان من كذب بالحجة النيرة والبرهان الواضح قبل ان يحيط بعلمه فهو لم يتمسك بشيء في هذا التكذيب الا بمجرد كونه جاهلا انما كذب به غير عالم به فكان بهذا التكذيب مناديا على نفسه بالجهل بأعلى صوت ومسجلا بقصوره عن تعقل الحجج بأبلغ تسجيل وليس على الحجة ولا على من جاء بها من تكذيبه شيء

ما يبلغ الاعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه

(ولما يأتهم تأويله) أي بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم تأويله أي كذبوا به حال كونهم لم يفهموا تأويل ما كذبوا به ولا بلغت عقولهم ولا وصلت اذهانهم معانيه الرائقة المنبثة عن علو شأنه والمعنى أن التكذيب وقع منهم قبل الاطاعة بعلمه وقبل ان يعرفوا ما يؤل اليه من صدق ما اشتمل عليه من حكاية ما سلف من اخبار الرسل المتقدمين والائمه السابقين ومن حكايات ما سجدت من الامور المستقبلة التي اخبر عنها قبل كونها أو قبل ان يفهموه حق الفهم وتتعلقه عقولهم فانهم لو تدبروه كل التدبر لفهموه كما ينبغي وعرفوا ما اشتمل عليه من الامور الدالة بأبلغ دلالة على أنه كلام الله وعلى هذا المعنى تأويله ما يؤل اليه من تدبره من المعاني الرشيقه والطائفة الانيقة وكلمة التوقع أظهر في المعنى الاوّل والمعنى

والمعنى

بكل صراط توعدون أي توعدون المؤمنين الاتيين الى شعيب ليتبعوه والاوّل

أظهر لانه قال بكل صراط وهو الطريق وهذا الثاني هو قوله وتصعدون عن سبيل الله من آمن به وتغونها عوجا أي توعدون ان تكون سبيل الله عوجا مائلة واذكروا اذ كنتم قليلا فكثرتكم أي كنتم مستضعفين لقلتهم فصرتم أعزة لكثرة عددكم فاذا كانوا عمة الله عليكم في ذلك وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين أي من الامم الخالية والقرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال باجترائهم على معاصي الله وتكذيب رسوله وقوله وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا أي قد اختلفتم

على قاصبر وأي انتظروا حتى يحكم الله بيننا وبينكم أي يفصل وهو خير الحاكمين فإنه سيجعل العاقبة للمتقين والدمار على الكافرين
(قال الملائكة الذين استكبروا من قومه لتخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين قد
افتري بنا على الله كذبان عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما
على الله توكلنا ربنا افتخ بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) هذا خبر من الله تعالى عما واجهت به الكفار نبيه شعيبا ومن
معهم من المؤمنين في بوعدهم آياه ومن معه من المؤمنين بالنبي عن القرية (٢٢١) أو الأكرام على الرجوع في ملتهم والنخول

معهم فيما هم فيه وهذا خطاب مع
الرسول والمراد أتباعه الذين كانوا
معهم على المسئلة وقوله أولو كنا
كارهين يقول أو أنتم فاعل ذلك ولو
كنا كارهين ما ندعونا إليه فإنا ان
رجعنا إلى ملتكم ودخلنا معكم
فيما أنتم فيه فقد أعظمنا القرية
على الله في جعل الشرك معه أندادا
وهذا تنفير منه عن اتباعهم وما
يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء
الله ربنا وهذا رد إلى الله مستقيم
فإنه يعلم كل شيء وقد أحاط بكل
شيء علما على الله توكلنا أي في
أمرنا ما نأتي منها وما نذر ربنا افتخ
بيننا وبين قومنا بالحق أي احكم
بيننا وبين قومنا وانصرنا عليهم
وأنت خير الفاتحين أي خير
الحاكمين فانك العادل الذي لا يجور
أبدا (وقال الملائكة الذين كفروا من
قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا
لخاسرون فأخذتهم الرجفة
فأصبحوا في دارهم جاثمين الذين
كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيما
الذين كذبوا شعيبا كانوا هم
الخاسرين) يخبر تعالى عن شدة
كفرهم وتوردهم وعتوهم وما هم فيه
من الضلال وما جبت عليه قلوبهم من المخالفة للحق ولهذا أقسموا وقالوا لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون فلماذا عقبه بقوله
فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين أخبر تعالى هنا أنهم أخذتهم الرجفة كما أرجفوا شعيبا وأصحابه وتوعدوهم بالخلاء كما أخبر
عنهم في سورة هود فقال ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين
والمناسبة هناك والله أعلم أنهم لما تكلموا به في قولهم أصلا نك تأمرنا الآية فجأت الصيحة فأسكتتهم وقال تعالى أخبارا عنهم في
الشعراء فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة أنه كان عذاب يوم عظيم وما ذلك إلا لأنهم قالوا له في سياق القصة فأسقط علينا كسنا من

والمعنى ان القرآن مجتزأ من جهة النظم ومن جهة المعنى من حيث الاخبار بالغيب
(كذلك) أي مثل ذلك التكذيب (كذب الذين من قبلهم) من الأمم عند ان جاعتهم
الرسول بجمع الله وبراهينه فانهم كذبوا به قبل أن يحيطوا بعلمه وقبل أن يأتيهم تأويله
(فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) من الأمم السالفة من سوء العاقبة بالخسف والمسوخ
ونحو ذلك من العقوبات التي حلت بهم كما حكى ذلك القرآن عنهم واشتمت عليه كتب الله
المنزلة عليهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول لكل فرد من الناس والجملة في
قوة فأهلكناهم (ومنهم) أي ومن هؤلاء الذين كذبوا بالقرآن (من يؤمن به) في نفسه
ويعلم انه صدق وحق ولكنه كذب مكابرة وعنادا وقيل المراد منهم من يؤمن به في
المستقبل وان كذب به في الحال (ومنهم من لا يؤمن به) ولا يصدق في نفسه بل كذب
به جهلا وتقليدا أو لا يؤمن به في المستقبل بل يبقى على سجوده واصراره وقيل الضمير في
الموضعين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد قيل ان هذا التقسيم خاص بأهل مكة وقيل
عام في جميع الكفار (وربك أعلم بالمفسدين) فيجازيهم بأعمالهم والمراد بهم المصررون
المعاندون (وان كذبوا فقل) أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقول
لهم ان أصرواعلى تكذيبه واستمرواعليه (لى) جزاء (عملى ولكم عملكم) أي جزاؤه
فقدأبلغت اليكم ما أمرت بالبلاغه وليس على غير ذلك ثم كذبوا (أنتم بريئون مما
أعمل وأنا بري مما يعملون) أي لا تؤاخذون بعملى ولا تؤخذ بعملكم وفيه توكلنا
أفادته لام الاختصاص من عدم تعدى أجر العمل الى غير عامله وقد قيل ان هذا
منسوخ بآية السيف لما فيه من إيهام الاعراض عنهم وتخليه سبيلهم كما ذهب اليه
جماعة من المفسرين منهم مقاتل والكلبي وعن ابن زيد قال أمره الله به هذا ثم نسخه
فأمره بجهادهم قال الرازى وهو بعيد لان شرط النسخ أن يكون رافعا للحكم المنسوخ
ومدلول الآية اختصاص كل واحد بأفعاله وبثمرات أفعاله من الثواب والعقاب وآية
القتال مارفعت شيئا من مدلولات هذه الآية بل هو باق فكان القول بالنسخ باطلا (ومنهم
من يستمعون اليك) بين الله سبحانه في هذا أن في أولئك الكفار من بلغت حاله في النفرة
والعداوة الى هذا الحد وهى أنهم يستمعون الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا قرأ القرآن

من الضلال وما جبت عليه قلوبهم من المخالفة للحق ولهذا أقسموا وقالوا لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون فلماذا عقبه بقوله
فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين أخبر تعالى هنا أنهم أخذتهم الرجفة كما أرجفوا شعيبا وأصحابه وتوعدوهم بالخلاء كما أخبر
عنهم في سورة هود فقال ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين
والمناسبة هناك والله أعلم أنهم لما تكلموا به في قولهم أصلا نك تأمرنا الآية فجأت الصيحة فأسكتتهم وقال تعالى أخبارا عنهم في
الشعراء فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة أنه كان عذاب يوم عظيم وما ذلك إلا لأنهم قالوا له في سياق القصة فأسقط علينا كسنا من

السماء الآية فأخبرانه أصابهم عذاب يوم الظلة وقد اجتمع عليهم ذلك كله أصابهم عذاب يوم الظلة وهي صحابة أظلمتهم فيها شر من نار ولهب ووهج عظيم ثم جاءتهم صحبة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم فزهقت الأرواح وفاضت النفوس وخذت الأجسام فأصبحوا في دارهم جاثمين ثم قال تعالى كأن لم بغضوا فيها أي كأنهم لما أصابتهم النعمة لم يقيموا بديارهم التي أرادوا إجلاء الرسول وصحبه منها ثم قال تعالى مقابلاً لقليلهم الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين (فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالاتي ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم (٢٢٢) كافرين) أي فتولى عنهم شعيب عليه السلام بعدما أصابهم ما أصابهم

وعلم الشرائع في الظاهر واكتنهم لا يسمعون في الحقيقة. لعدم حصول أثر السماع وهو حصول القبول والعمل بما يسمعون به وجمع الضمير في يسمعون جملا على معنى من وأفرده في ومنهم من يتظر جملا على لفظه قيل والنكتة كثرة المسموعين بالنسبة إلى الناظرين لأن الاستماع لا يتوقف على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة والتقاء الحائل وانفصال الشعاع والنور الموافق لنور البصر والتقدير في قوله ومنهم من يسمعون ومنهم من يتظر ومنهم ناس يسمعون ومنهم بعض يتظر (أفأنت تسمع الصم) الهمزة للانكار يعني أن هؤلاء وان استمعوا في الظاهر فهم صم والصمم مانع من سماعهم فكيف يطمع منهم في ذلك مع حصول المانع وهو الصمم فكيف إذا انضم إلى ذلك (ولو كانوا لا يعقلون) فإن من كان أصم غير عاقل لا يفهم شيئا ولا يسمع ما يقال له والقاء عاطنة وفيه تنبيه على أن حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا توصف به البهائم وهو لا يتأتى إلا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مريضة بعارضضة الوهم ومتابعة الألف والتقليد تعذر أفهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسر الدالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق والكلام في (ومنهم من يتظر اليك أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون) كالكلام فيما تقدم لأن العمى مانع فكيف يطمع من صاحبه في النظر وقد انضم إلى فقد البصر فقد البصيرة لأن الاعى الذي له في قلبه بصيرة قد يكون له من الحدس الصحيح ما يفهم به في بعض الأحوال فهما يقوم مقام النظر وكذلك الأصم العاقل قد يتحدس تحدسا يفيد به بعض فائدة بخلاف من جمع له بين عى البصر والبصيرة فقد تعذر عليه الإدراك وكذا من جمع له بين الصمم وذهاب العقل فقد انسد عليه باب الهدى والمقصود من هذا الكلام تسليط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن الطيب إذا رأى مريضا لا يقبل العلاج أصلا عرض عنه واستراح من الاشتغال به والهمزة للانكار (ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون) ذكر هذا عقب ما تقدم من عدم الاهتداء بالاسماع والأبصار لبيان أن ذلك لم يكن لأجل نقص فيما خلقه الله لهم من السمع والعقل والبصر والبصيرة بل لأجل ما صار في طبائعهم من التعصب والمكابرة للعق والمجادلة بالباطل والاصرار على الكفر فهم الذين ظلموا أنفسهم بذلك ولم يظلمهم الله شيئا من الأشياء بل خلقهم وجعل لهم من المشاعر ما يدركون به أكمل

من العذاب والنعمة والنكال وقال مقرر عالمهم وموجباً يا قوم لقد أبلغتكم رسالاتي ربى ونصحت لكم أي قد أدبت اليكم ما أرسلت به فلا آسف عليكم وقد كفرتم بما جئتكم به فلهذا قال فكيف آسى على قوم كافرين (وما أرسلتنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم بضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عرفوا قالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بعتة وهم لا يشعرون) يقول تعالى محضرا عما اختبر به الأمم الماضية الذين أرسل اليهم الأنبياء بالبأساء والضراء يعني بالبأساء ما يصيبهم في أبدانهم من أمراض واسقام والضراء ما يصيبهم من فقر وحاجة ونحو ذلك لعلهم بضرعون أي يدعون ويخشعون ويتهللون إلى الله تعالى في كشف ما نزل بهم وتقدير الكلام أنه ابتلاهم بأشددة ليتضرعوا لغيره فاعلوا شيئا من الذي أراد منهم فقبل عليهم الحال إلى الرخاء ليختبرهم فيه ولهذا قال ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة أي حوّلنا الحال من شدة إلى رخاء ومن

ادراك

مرض وسقم إلى صحة وعافية ومن فقر إلى غنى ليسكروا على ذلك فاعلوا وقوله حتى عرفوا أي

كثروا وكثرت أموالهم وأولادهم يقال عرفوا الشيء إذا كثروا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بعتة وهم لا يشعرون يقول تعالى ابتليناهم بهذا وهذا ليتضرعوا وينسبوا إلى الله فاجمع فيهم لاهذا ولا هذا ولا أنتوا بهذا ولا بهذا وقالوا قد مسنا من البأساء والضراء ثم بعدهم من الرخاء مثل ما أصاب آباءنا في قديم الزمان والدهر وانما هو الدهر تارات وتارات ولم يتفطنوا الأمر الله فيهم ولا استشعروا ابتلاء الله لهم في الحالين وهذا بخلاف حال المؤمنين الذين يشكرون الله على السراء والبسراء على الضراء كما ثبت

في الصحيحين بحسب المؤمن لا يقضى الله له قضاء الا كان خيرا له ان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له وان اصابته سرا شكر فكان خيرا له فالمؤمن من يتغنن لما ابتلاه الله به من الضراء والسراء ولهذا جاء في الحديث لا يزال اليبلاء بالمؤمن حتى يخرج نقيما من ذنوبه والمنافق مثله كمثل الجمار لا يدري فيم ربطه أهله ولا فيم أرسلوه أو كما قال ولهذا عقب هذه الصفة بقوله فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون أي أخذناهم بالعقوبة بغتة أي على بغتة وعدم شعور منهم أي أخذناهم فجأة كما في الحديث موت الفجأة رجسة للمؤمن وأخذة أسف للكافر (ولوان أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم (٢٢٢) بركات من السماء والارض ولكن كذبوا

فأخذناهم بما كانوا يكسبون فأمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم ناعون أو أمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون فأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) يخبر تعالى عن قلة ايمان أهل القرى الذين أرسل فيهم الرسل كقوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين أي ما آمنت قرية بتمامها الا قوم يونس فانهم آمنوا وذلك بعد ما عانوا العذاب كما قال تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين وقال تعالى وما أرسلنا في قرية من نذير الا آية وقوله تعالى ولوان أهل القرى آمنوا واتقوا أي آمنت قلوبهم بما جاء به الرسل وصدقته واتبعوه واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض أي قطر السماء ونبات الارض قال تعالى ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا

ادراك وركب فيهم من الحواس ما يصلون به الى ما يريدون ووفر مصالحتهم الدنياوية عليهم وخلي بينهم وبين مصالحتهم الدينية * فعلى نفسها اراقت يحيى * قيل والنكتة في وضع الظاهر موضع المضمرة زيادة اليقين والتقريب وتقديم المفعول على الفعل لافادة القصر أو مجرد الاهتمام مع مراعاة الفاصلة (و) اذ كر (يوم نحشرهم) أي المشركين المنكرين للبعث لموقف الحساب وأصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم من مكانهم أي احياءهم من القبور (كان) أي كانوا (لم يلبثوا) أي مشبهين بمن لم يلبث (الاساعة من النهار) أي شيئا قليلا والمراد باللبث هو اللبث في الدنيا وقيل في القبور واستقروا المدة الطويلة اما لانهم ضيعوا أعمارهم في الدنيا فخلوا وجودها كالعدم أو استقصروا اللذات والحيرة أو لظول وقوفهم في الحشر أو لشدة ما هم فيه من العذاب نسوا ذات الدنيا وكانهم لم تكن ومثل هذا قولهم لبثنا يوما أو بعض يوم أو لان مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الآخرة قليل جدا والمقصود من هذا التشبيه كما قاله أبو السعود بيان كمال سهولة الحشر بالنسبة اليه تعالى ولو بعد دهر طويل واطهار بطلان استبعادهم وانكارهم له بقولهم أئذ امتنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ونحو ذلك أو بيان تمام الموافقة بين النشأتين في الاشكال والصور فان اللبث اليسير يلزمه عدم التبدل والتغير والمراد بالساعة الزمن القليل فانها مثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار لان ساعاته أعرف حالامن ساعات الليل (بتعارفون بينهم) أي يعرف بعضهم بعضا كانوا لم يتعارفوا الا قليلا بيان وتقدير لما سبق وذلك يقع في الحشر الذي هو الاجتماع أي في ابتدائه وينقطع في آثائه وقيل عند خروجه من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لما بين أيديهم من الامور المدهشة للعقول المذهلة للافهام وأما البعث فلا تعارف فيه لعدم الاجتماع الذي هو لازمه وهذا أحد وجهين في المقام ذكره البيضاوي وأبو البقاء وغالب المفسرين على خلافه وهو تفسير الحشر بالبعث من القبور وبحرى على هذا أبو السعود والخازن والقرطبي وقيل ان هذا التعارف هو تعارف التوبيخ والتقريع يقول بعضهم لبعض أنت أضللتني وأغويتني لا تعارف شفقة ورأفة كما قال تعالى ولا يسأل جيم جيماً وقوله فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فيجمع بان المراد بالتعارف هو تعارف التوبيخ وعليه يحمل قوله ولوترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول وقوله تعالى كلما دخلت أمة الاية وقوله ربنا انا

يكسبون أي ولكن كذبوا رسالهم فعاقبتناهم بالهلاك على ما كسبوا من المآثم والمحارم ثم قال تعالى محذرا ومحذرا من مخالفة أوامره والتجربى على زواجره فأمن أهل القرى أي الكفرة ان يأتيهم بأسنا أي عذابنا ونكالنا بياتا أي ليلا وهم ناعون أو أمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أي في حال شغلهم وغفلتهم فأمنوا مكر الله أي بأسه ونقمته وقدرته عليهم وأخذة اياهم في حال سهوهم وغفلتهم فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولهذا قال الحسن البصرى رحمه الله المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف والفاجر يعمل بالمعاصى وهو آمن (أولم يهد الذين يرون الارض من بعد أهلها ان لو نشاء أصبناهم بذنوبهم

ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون) قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أو لم تبين لهم أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم وكذلك قال مجاهد وغيره وقال أبو جعفر فر بن جري في نفسه يراها يقول تعالى أو لم تبين للذين يستخفون في الأرض من بعد اهلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها فساروا سيرتهم وعملوا أعمالهم وعتوا على ربهم أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم يقول ان لو نشاء فعناهم كما فعلنا بن قبلهم ونطبع على قلوبهم يقول ونختم على قلوبهم فهم لا يسمعون موعظة ولا تذكيرا (قلت) وهكذا قال تعالى (٢٢٤) أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يشون في مساكنهم ان في ذلك

آيات لا ولي النبي وقال تعالى أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يشون في مساكنهم ان في ذلك آيات أفلا يسمعون وقال أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم الآية وقال تعالى وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركز أي هل ترى لهم شخصا أو تسمع لهم صوتا وقال تعالى ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكاهم في الأرض ما لم نمكن لهم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا النهار نجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين وقال تعالى بعد ذلك ذكره اهلاكا عاد فأصبحوا اليرى الامساكنهم كذلك تجزى القوم المجرمين ولقد مكاهم فيما ان مكاهم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فأنغى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يحسدون آيات الله وحاق بهم ما كانوا يستهزؤن ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون

أطعنا سادتنا الآية قال القرطبي وهو الصحيح وقد جمع بين الآيات المختلفة في مثل هذا وغيره بان المواقيت يوم القيامة مختلفة فقد يكون في بعض المواقيت ما لا يكون في الآخر (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله) هذا تسجيل من الله سبحانه عليهم بالخسران وتجبب منه ولذا أتى بحرف التحقيق والمراد باللقاء يوم القيامة عند الحساب والجزاء أي من باع آخرته الباقية بدينه الفانية قد خسر لأنه أثر الغاني على الباقي والجملة مستأنفة أو في محل نصب باضمار قول أي قائلين قد خسر (وما كانوا مهتدين) نفى عنهم أن يكونوا من جنس المهتدين لجهلهم وعدم طلبهم لما ينجيهم وينفعهم ويصلحهم (واما نرى لك بعض الذي نعدهم) أصله ان ترك وما يزيد لتأكيدهم على الشرط ولا يجله زيدت نون التأكيدهم خلافا لسيبويه والمعنى ان حصلت منا الآراء تلك بعض الذي وعدناهم من اظهار دينك في حياتك بقتلهم واسرهم وجواب الشرط محذوف والتقدير فتراه أو فذلك وجهله (أو توفينك) معطوفة على ما قبلها المعنى أو لا نرى نيك ذلك في حياتك بل نتوفينك قبل ذلك (فأليس امر جمعهم) فعند ذلك نعدهم في الآخرة فنريك عذابهم فيها وجواب أو توفينك محذوف ايضا والتقدير او نتوفينك قبل الآراء فنحن نريك ذلك في الآخرة وقيل انه جواب للشرط وما عطف عليه اذ معناه صالح لذلك والى هذا ذهب العوفي وابن عطية وقيل ان جواب أو توفينك هو قوله فأليس امر جمعهم دلالة على ما هو المراد من آراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم تعذيبهم في الآخرة وقيل العدول في الموضوعين الى صيغة المستقبل لاستحضار الصورة والاصل اربناك أو توفينك وفيه نظر فان آراءه صلى الله عليه وآله وسلم لبعض ما وعد الله المشركين من العذاب لم تكن قد وقعت كلوفاة وحاصل معنى هذه الآية ان لم تنتقم منهم عاجلا انتقمنا منهم آجلا وقد اراد الله سبحانه قتلهم واسرهم وذاهب عزمهم وانكسار سورة كبرهم بما أصابهم به في يوم بدر وما بعده من المواطن فله الحمد (ثم الله شهيد على ما يفعلون) من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم أشد العذاب وجاء بتم الدالة على التبعيد مع كون الله سبحانه شهيدا على ما يفعله في الدارين للدلالة على ان المراد به هذه الأفعال ما ترتب عليها من الجزاء أو ما يحصل من انطاق الجوارح بالشهادة عليهم يوم القيامة فجعل ذلك بمنزلة شهادة الله عليهم كما ذكره النيسابوري وفي السمين ثم هنالبت للترتيب الزمني بل هي لترتيب الاخبار

لا

وقال تعالى وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان تكبير

وقال تعالى ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان تكبير وقال تعالى فكأن من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال تعالى ولقد استهزؤا برسول من قبلك فخافوا بالذين سخر وامنهم ما كانوا يستهزؤن الى غير ذلك من الآيات الدالة على حلول نعمه بأعدائه وحصول نعمه لاوليائه ولهذا عقب ذلك بقوله وهو أصدق القائلين ورب العالمين

(ثالث القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا الا اكثرهم من عهدوان وجدنا اكثرهم لفاسيقين) لما قص تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم خبر قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وما كان من اهلاك الكافرين وانجائهم المؤمنين وأنه تعالى أعذر اليهم بان بين لهم الحق بال الحجج على السنة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين قال تعالى تلك القرى نقص عليك أي يا محمد من انبائها أي من اخبارها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات أي الحجج على صدقهم فيما أخبروهم به كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث (٢٢٥) رسولا وقال تعالى ذلك من انباء القرى نقصه

عليك منها قائم وحصيد وما ظنناهم وان ظنوا أنفسهم وقوله تعالى فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا من قبل الباء سببية أي فما كانوا يؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم من حكاية ابن عطية رحمه الله وهو متجه حسن كقوله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما يؤمنوا به أول مرة الآية ولهذا قال هنا كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا الا اكثرهم أي لا اكثر الامم الماضية من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسيقين أي ولقد وجدنا اكثرهم لفاسيقين خارجين عن الطاعة والامتثال والعهد الذي أخذوه من قبلهم عليه وفطرهم عليه وأخذ عليهم في الاصلاب أنه بهم ومليكهم وأنه لا اله الا هو وأقروا بذلك وشهدوا على أنفسهم به وخالفوه وتركوه وراء ظهورهم وعبدوا مع الله غيره بلا دليل ولا حجة لا من عقل ولا شرع وفي الفطر السليمة خلاف ذلك وجاءت الرسل الكرام من أولهم الى آخرهم بالنهي عن ذلك

لا لترتيب القصص في نفسها كقولك زيد عالم ثم هو كرم وقال الزمخشري ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وتنجيها وهو العقاب كانه قيل ثم الله معاقب على ما يفعلون وفيه وعيد لهم وتهديد شديد (ولكل أمة) من الامم الخالية في وقت من الاوقات (رسول) يرسله الله اليهم بين لهم ما شرعه الله لهم من الاحكام على حسب ما تقتضيه المصلحة (فاذا جاء رسولهم) اليهم وبلغهم ما أرسله الله به فكذبوه جميعا (قضى بينهم) أي بين الامة ورسولها (بالقسط) أي العدل فنجى الرسول وهلك المكذبون له فيكون ما يعذبون به عدلا لا ظلما كما قال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ويجوز ان يراد بالضمير في بينهم الامة على تقدير أنه كذب بعضهم وصدق البعض الاخر فيهلك المكذبون وينجو المصدقون وفي وقت هذا القضاء قولان أحدهما أنه في الدنيا والاخر انه في الاخرة والاول أولى (وهم لا يظلمون) في ذلك القضاء فلا يعذبون بغير ذنب ولا يؤخذون بغير حجة ومنه قوله تعالى وحي بالبينين والشهادة وقضى بينهم وقوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد والمراد المبالغه في اظهار العدل والنصفه بين العباد ثم ذكر سبحانه شبهة أخرى من شبه الكفار (وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان كلما هددهم بنزول العذاب كانوا يقولون متى هذا الوعد) والاستفهام منهم لانكار والاستبعاد وللقدر في النبوة لا طلبة التعمين وقت مجيئه على وجه الالتزام كما في سورة الملك فان المطلوب هناك تعيين الوقت (ان كنتم صادقين) خطابا منهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين ويحتمل أن يراد بالقائلين هذه المقالة جميع الامم الذين لم يسلموا رسلهم الذين أرسلهم الله اليهم ثم أمر الله سبحانه رسوله أن يجيب عليهم بما يحسم مادة الشبهة ويقطع الجراح فقال (قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا) أي لا أقدر على جلب نفع لها ولا دفع ضرعنها فكيف أقدر على ان أملك ذلك لغيري وقدم الضر لان السياق لاظهار المعجز عن ظهور الوعد الذي استعملوه واستبعدوه والاستثناء في قوله (الاماشاء الله) منقطع كاذكره أئمة التفسير وبه قال الزمخشري أي ولكن ماشاء الله من ذلك كان فكيف أقدر على ان أملك لنفسي ضرا ونفعا وقيل متصل تقديره الا ماشاء الله ان أملكه وأقدر عليه والاول أولى وفي هذا أعظم واعظ وأبلغ زاجر لمن صار دينه وهجيره المناداة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاستعانة به عند نزول النوازل

(٢٩ - فتح البيان ح)

كجاء في صحيح مسلم يقول الله اني خلقت عبادة خفاء عنهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم وفي الصحيحين كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه الحديث وقال تعالى في كتابه العزيز وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وقال تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أ جعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت الى غير ذلك من الآيات وقد قيل في نفسه يقره تعالى فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا من قبل ما روى أبو جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن أبي

العالية عن أبي بن كعب في قوله فما كانوا اليؤمنوا بما كذبوا من قبل قال كان في علمه تعالى يوم أقرؤا له بالميثاق أي فما كانوا ليؤمنوا العلم الله منهم ذلك وكذا قال الربيع بن أنس واختاره ابن جرير وقال السدي فما كانوا اليؤمنوا بما كذبوا من قبل قال ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فأمنوا كرها وقال مجاهد في قوله فما كانوا اليؤمنوا بما كذبوا من قبل هذا كقولهم ولوردوا العادوا الآية (ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يقول تعالى ثم بعثنا من بعدهم أي الرسل المتقدم ذكرهم كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب (٢٢٦) صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر أنبياء الله أجمعين موسى بآياتنا أي

التي لا يقدر على دفعها إلا الله سبحانه وكذلك من صار يطلب من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما لا يقدر على تحصيله إلا الله سبحانه فان هذا مقام رب العالمين الذي خلق الانبياء والصالحين وجميع المخلوقين ورزقهم وأحياهم وميتهم فكيف يطلب من نبي من الانبياء أو ملك من الملائكة أو صالح من الصالحين ما هو عاجز عنه غير قادر عليه ويترك الطلب لرب الارباب القادر على كل شيء الخالق الرزاق المعطي المانع وحسبك بما في هذه الآية موعظة فان هذا سيد ولد آدم وخاتم الرسل يأمره الله بان يقول لعباده لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف يملكه غيره وكيف يملكه غيره ممن رتبته دون رتبته ومنزله لا تبلغ إلى منزله لنفسه فضلا عن أن يملكه غيره فيما عدا القوم يعكفون على قبور الاموات الذين قد صاروا تحت اطباق الثرى ويطلبون منهم من الخواص ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل كيف لا يتيقظون لما وقعوا فيه من الشرك ولا يستبهون لما حل بهم من المخالفة لمعنى لا اله إلا الله ومدلول قل هو الله أحد وأعجب من هذا اطلاع أهل العلم على ما يقع من هؤلاء ولا ينكرون عليهم ولا يحولون بينهم وبين الرجوع إلى الجاهلية الأولى بل إلى ما هو أشد منها فان أولئك يعترفون بان الله سبحانه هو الخالق الرزاق المحيي المميت الضار النافع وانما يجعلون أصنامهم شفعاء لهم عند الله ومقر بين لهم اليه وهؤلاء يجعلون لهم قدرة على الضر والنفع وينادونهم تارة على الاستقلال وتارة مع ذى الجلال وكفالك من شر سماعة والله ناصر دينه ومظهر شريعته من أضرار الشرك وادناس الكفر ولقد توسل الشيطان اخراه الله بهذه الذريعة إلى ما تقر به عينه وينتج به صدره من كفر كثير من هذه الامة المباركة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ان الله وانا اليه راجعون ثم بين سبحانه ان لكل طائفة حدا محدودا لا يتجاوزونه فلا وجه لاستجمال العذاب فقال (لكل أمة) ممن قضى بينهم وبين رسولهم أو بين بعضهم لبعض (أجل) أي وقت خاص ومدة مضر وبه يحل بهم ما يريده الله سبحانه لهم عند حلوله ولاجل يطلق على مدة العمر وعلى آخر جزئ منه والمراد هنا الثاني كما يؤخذ من التفاسير (فاذا جاء أجلهم) أي اجل كل امة قال ابو العودان جعل الاجل عبارة عن حد معين من الزمان فبمعنى ظاهرا وان اريد به ما امتد من الزمان فبمعنى عبارة عن انقضائه اذ هناك يتحقق مجيئه بتمامه (فلا يستأخرون) عن ذلك الاجل المعين (ساعة) أي شيئا قليلا من الزمان (ولا يستقدمون) منه ومثله قوله تعالى

بجحنا واولئنا البينة إلى فرعون وهو لك مصر في زمن موسى وملئه أي قومه فظلموا بها أي جحدوا وكفروا بها ظلمناهم وعنادا كقوله تعالى وجحدوا بها واستمعنتها انفسهم ظلموا علوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين أي الذين صدوا عن سبيل الله وكذبوا رساله أي انظر يا محمد كيف فعلنا بهم وأغرقناهم عن آخرهم عبر أي من موسى وقومه وهذا أبلغ في النكال بفرعون وقومه واشقى لقلوب اولياء الله موسى وقومه من المؤمنين به (وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لا أقول على الله الا الحق قد جئتكم بينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين) يخبر تعالى عن مناظرة موسى وفرعون والجمامة اياه بالحجة واطهاره الآيات البينات بحضرة فرعون وقومه من قبط مصر فقال تعالى وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين أي أرسلني الذي هو خالق كل شيء وربهم وملكه حقيق على ان

لا أقول على الله الا الحق فقال بعضهم معناه حقيق بأن لا أقول على الله الا الحق أي جدير بذلك وحري به قالوا والباء وعلى يتعاقبان يقال رميت بالقوس وعلى القوس وجاء على حال حسنة وبجمل حسنة وقال بعض المفسرين معناه حريص على ان لا أقول على الله الا الحق وقرأ آخرون من أهل المدينة حقيق على بمعنى واجب وحق على ذلك أن لا أخبر عنه الا بما هو حق وصدق لما علم من عز جلاله وعظيم شأنه قد جئتكم بينة من ربكم أي بحجة قاطعة من الله اعطانيها دليل على صدق فيما جئتكم به فارسل معي بني اسرائيل أي أطلقهم من أسرك وقهرك ودعهم

ما

وعبادة ربك ورجيم فانهم من سلالة نبي كريم اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين أي قال فرعون لست بمصدقك فيما قلت ولا بطيعك فيما طلبت فان كانت معن حجة فاطهرها التراها ان كنت صادقا فيما ادعيت (فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مابين وزع عيده فاذا هي يضاء للناظرين) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ثعبان مابين الحية الذكرو وكذا قال السدي والنخلك وفي حديث الفتون من رواية يزيد بن هرون بن الاصبع ابن زيد عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (٢٢٧) قال ألقى عصاه فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها

مسرعة الى فرعون فلما رآها فرعون انها قاصدة اليه اقتحم عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل وقال قتادة تحولت حية عظيمة مثل المدينة وقال السدي في قوله فاذا هي ثعبان مابين الثعبان الذكرو من الحيات فاتحة فاها واضعة لحياها الاسفل في الارض والاعلى على سور القصر ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه فلما رآها ذعر منها ووثب وأحدث ولم يكن يحدث قبل ذلك وصاح يا موسى خذها وانا أو من بك وارسل معك بنى اسرايل فأخذها موسى عليه السلام فعادت عصا وروى عن عكرمة عن ابن عباس نحو هذا وقال وهب بن منبه لما دخل موسى على فرعون قال له فرعون أعرفك قال نعم قال ألم تر بك فينا وليدا قال فرد اليه موسى الذي رد فقال فرعون خذوه فبادر موسى فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مابين فحملت على الناس فانهم زوموا منها فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا وقام فرعون منهزما حتى دخل البيت رواه ابن جرير والامام أحمد في كتابه الزهد وابن أبي حاتم

ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون والسين زائدة فيهما والكلام على هذه الآية المذكورة هنا قد تقدم في تفسير الآية التي في أول الاعراف فلان عيده (قل أرأيتم ان أنا كم عذابه) هذا منه سبحانه تزييف لراى الكفار في استجمال العذاب بعد التزييف الاول أي اخبروني عن عذاب الله ان أنا كم أي شيء يستعملون منه وليس شيء من العذاب يستعمله العاقل اذ العذاب كله مر مذاق وجب لنفاس الطبع منه فتكون جملة الاستفهام جاءت على سبيل التلطف بهم والتبسيه لهم على ان العذاب لا ينبغي ان يستعمل او جاءت على سبيل التعجب والتعويل للعذاب أي أي شيء شديد يستعملون منه أي ما أشد وما أهول ما تستعملون من العذاب قاله ابو حيان (بيانا) أي وقت يات والمراد به الوقت الذي يبيتون فيه وينامون ويغفلون عن التحرز والبيات بمعنى التبيت اسم مصدر كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله (أو نهارا) أي وقت الاشتغال بطلب المعاش والكسب والاستفهام في قوله (ماذا يستعمل منه المجرمون) للانكار المتضمن للنهي كما في قوله أي أمر الله فلا تستعملوه ووجه الانكار عليهم في استجمالهم ان العذاب مكره تنفر منه القلوب وتأباه الطبائع فما مقتضى لاستجمالهم له وضمر منه راجع الى العذاب وقيل الى الله والجملة جواب الشرط بحذف الفاء وقيل ان الجواب محذوف والمعنى ان أنا كم عذابه تندموا على الاستجمال أو تعرفوا الخطأ منكم فيه وقيل ان الجواب قوله اثم اذا ما وقع ويكون جملة ماذا يستعمل اعتراضا والمعنى ان أنا كم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان والاول أولى قال الحفناوى ولم يقل يستعملون منه للدلالة على ما يوجب ترك الاستجمال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف من العذاب على اجرامه وان يهلك فرعا من مجيئه وان أبطأ فكيف يستعمله ودخول الهمزة الاستفهامية في (أثم اذا ما وقع آمنتم به) لانكار ايمانهم حيث لا ينفع الايمان وذلك بعد نزول العذاب وهو يتضمن معنى التهويل عليهم وتقطيع ما فعلوه في غير وقته مع تركهم له في وقته الذي يحصل به النفع والدفع وهذه الجملة داخله تحت القول المأمور به ووجه بكلمة ثم التي للتراخي دلالة على الاستبعاد ووجه ما دامع زيادة ما للتأكيده دلالة على تحقق وقوع الايمان منهم في غير وقته ليكون في ذلك زيادة استجمال لهم والمعنى أبعث ما وقع عذاب الله عليكم وحل بكم سخطه وانقامه آمنتم حين لا ينفعكم هذا الايمان شيئا ولا يدفع عنكم ضرا وقيل ان هذه الجملة ليست داخله تحت

وفيه غرابة في سياقه والله أعلم وقوله وزع عيده فاذا هي يضاء للناظرين أي أخرج عيده من درعه بعد ما أدخلها فيه فاذا هي يضاء تتلألأ من غير برص ولا مرض كما قال تعالى وأدخل يدك في جيبك تخرج يضا من غير سوء يعني من غير برص ثم أعادها الى كه فعادت الى لونها الاول وكذا قال مجاهد وغير واحد (قال الملا من قوم فرعون ان هذا الساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فاذا تأمرون) أي قال الملا وهم الجمهور والسادة من قوم فرعون موافقين لقول فرعون فيه بعد ما رجع اليه روعهم واستقر على سير يملكه بعد ذلك قال للملاحول ان هذا الساحر عليم فوافقوه وقالوا كذبت له وتشاورا

في أمره كيف يصنعون في أمره وكيف تكون حيلتهم في اطفاء نوره واجتاد كلمته وظهور كذبه واقترانه وتخوفوا ان يعيل الناس اليه بسحره فيما يعتقدون فيكون ذلك سببا لظهوره عليهم واخر اجبه اياهم من أرضهم والذي خافوا منه وقعوا فيه كما قال تعالى وزى فرعون وهامان وجنودهم ما منهم ما كانوا يحذرون فلما تشاوروا في شأنه وانتمروا فيه اتفق رأيهم على ما حكاه الله تعالى عنهم في قوله تعالى (قالوا أرجه وأخاه وارسل في المدائن حاشرين يأوتك بكل ساحر عليهم) قال ابن عباس أرجه آخره وقال قتادة احبسه وأرسل أي ابعث في المدائن أي (٢٢٨) في الاقاليم ومدائن ملكك حاشرين أي من يحشرك السحرة من سائر البلاد

ويجمعهم وقد كان السحري في زمانهم غالباً كثير اظاهر واعتقد من اعتمده منهم وأوهم من أوهم منهم ان ماجه موسى به عليه السلام من قبيل ما تشعبه سحرتهم فلهذا جمعوا له السحرة ليعارضوه بتطير ما أراه من البنات كما أخبر تعالى عن فرعون حيث قال اجئتنا نحن من أرضنا بسحرك يا موسى فلما تبينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك وعدا لا تخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدهم يوم الزينة وان يحشر الناس نحى فتولى فرعون فجمع كيدته ثم أتى وقال تعالى ههنا (وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا اجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين) يخبر تعالى عما تشارط عليه فرعون والسحرة الذين استدعاهم ليعارضوه موسى عليه السلام ان غلبوا موسى ليثبتهم وليعطيهم عطاء جزيلاً فوعدهم ومناهم انه يعطيهم ما أرادوا ويعملونهم من جلسائه والمقربين عنده فلما توثقوا من فرعون لعنه الله قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان تكون نحن الملقين قال أقوا فلما

القول المأمور به وانها من قول الملائكة استنزاهم وازراء عليهم والاول أولى وقيل ثم هنا بنسخ الشاء بمعنى هناك والاول أولى (الآن) بهمزة تين الاولى همزة الاستفهام والثانية همزة ال المعرفة واذا اجتمع هاتان الهمزتان وجب في الثانية أحد امرين تسهيلها من غير ألف بينها وبين الاولى وابدالها ما يقدر ثلاث ألفات وقد وقع في القرآن الكريم من هذا القيسل ستة مواضع اثنان في الانعام وهما الذكرين وثلاثة في هذه السورة لفظ آلآن ههنا وفيما سياتى ولفظ آذن لكم واحدا في النمل آله خير فلا يجوز في هذه المواضع الستة تحقيق الهمزتين بل يجب أحد الامرين اللذين قد عرفتم ما قيل هو استئناف بتقدير القول غير داخل تحت القول الذي أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقوله لهم أي قيل لهم عند ايمانهم بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به (و) الحال انكم (قد كنتم به) أي العذاب تستعجلون) يعني تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والاستنزاهة ويكون المقصود بأمره صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول لهم هذا القول على سبيل التوبيخ لهم والازراء عليهم (ثم قيل للذين ظلموا) أنفسهم بالكفر وعدم الايمان (ذوقوا عذاب الخلد) أي العذاب الدائم الذي لا ينقطع وهو عطف على ما قدر قبل الآن والمراد منه التقريع والتوبيخ لهم يوم القيامة على سبيل الالهانة أي قيل لهم ان هذا الذي تطلبونه ضرر محض عار عن النفع من كل وجه والعاقلة لا يطلب ذلك والقائل لهم هذه المقالة قيل هم خزنة جهنم ولا يعبدون ان يكون القائل لذلك هم الانبياء على الخصوص أو المؤمنون على العموم (هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) في الحياة الدنيا من الكفر والمعاصي والاعمال والاستفهام للتقرير والاستثناء مفرغ وكانه يقال لهم هذا القول عند استغاثتهم من العذاب وحلول النقمة بهم ثم حكي الله سبحانه عنهم بعد هذه البيانات البالغة والجوابات عن أقوالهم الباطلة انهم استفهموا تارة أخرى عن تحقق العذاب فقال (ويستنبونك) أي يستخبرونك على جهة الاستنزاهة منهم والانتكار (أحق هو) أي ما تعدنا به من العذاب في العاجل والاجل وهذا السؤال منهم جهل محض وظلمات بعضها فوق بعض فقد تقدم ذكره عنهم مع الجواب عليه فصنيعهم في هذا التكرير صنيع من لا يعقل ما يقول ولا ما يقال له وقيل المراد بهذا الاستخبار منهم هو عن

حقيقة

ألقوا سحرهم وأعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) هذه مبارزة

من السحرة لموسى عليه السلام في قولهم اما ان تلقى واما ان تكون نحن الملقين قبلك أي كما قال في الآية الاخرى واما ان تكون أول من ألقى فقال لهم موسى عليه السلام القوا أي أنتم أول قيل الحكمة في هذا والله أعلم ليرى الناس صنيعهم ويتأملوه فاذا فرغوا من بهرجتهم ومحالهم جاءهم الحق الواضح الجلي بعد التطلب له والانتظار لبحيثة فيكون أوقع في النفوس وكذا كان ولهذا قال تعالى فلما القوا سحرهم وأعين الناس واسترهبوهم أي خيلوا الى الابصار ان ما فعلوه له حقيقة في الخارج ولم يكن الا مجرد صفة

وخيال كما قال تعالى فاذا جبالهم وعصبيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعي فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الاعلى والحق ما في عينك تلقف ما صنعوا ان ما صنعوا كيد ساحر ولا يقلع الساحر حيث أتى قال سفيان بن عيينة حدثنا أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس ألقوا جبالا غلاظا وخبثا طوبا الأقال فأقبلت يخيل اليه من سحرهم انها تسعي وقال محمد بن اسحق صف خمسة عشر ألف ساحر مع كل ساحر جباله وعصبيه وخرج موسى عليه السلام معه أخاه يتيكى على عصاه حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه مع اشرف أهل مملكته ثم قال السحر قيا موسى امان تلتقى (٢٢٩) واما ان تكون أول من أتى قال بل ألقوا

فاذا جبالهم وعصبيهم فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون ثم أبصار الناس بعد ثم ألقى كل رجل ما في يده من الجبال والعصى فاذا حيات كما مثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا وقال السدي كانوا بضعا وثلاثين ألف رجل ليس رجل منهم الا ومعه جبل وعصا فلما ألقوا سحر وأعين الناس واسترهبوهوم يقول فرقومهم أي من الفرق وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية عن هشام الدستواي حدثنا القاسم بن أبي بزة قال جمع فرعون سبعين ألف ساحر فلقوا سبعين ألف جبل وسبعين ألف عصا حتى جعل يخيل اليه من سحرهم انها تسعي ولهذا قال تعالى وجاءوا بسحر عظيم (وأوحينا الى موسى ان ألق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هناك وانقلبوا صاغرين وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنابر العالمين رب موسى وهرون) يخبر تعالى انه أوحى الى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك الموقف العظيم الذي فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل يأمر به ان يلقى ما في يمينه وهي عصاه فاذا هي تلقف أي تأكل ما يأفكون أي ما يلتقونه ويوهمون انه حق وهو باطل قال ابن عباس فجعلت لا تمر بشيء من جبالهم ولا من خشبهم الا التقمته ففرقت السحرة ان هذا أمر من السماء ليس هذا بسحر فخر واسجدوا وقالوا آمنابر العالمين رب موسى وهرون وقال محمد بن اسحق جعلت تنبع تلك الجبال والعصى واحدة واحدة حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا ثم أخذها موسى فاذا هي عصا في يده كما كانت ووقع السحرة سجدا قالوا آمنابر العالمين رب موسى وهرون لو كان هذا ساحرا ما غلبنا وقال القاسم بن أبي بزة أوحى الله اليه ان

حقيقة القرآن (قل) أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقول لهم في جواب استنفهاهم الخارج مخرج الاستهزاء أي قل لهم يا محمد غير ملتفت الى ما هو مقصودهم من الاستهزاء (أي أي نعم وربى انه) أي ان ما أعدكم به من العذاب (لحق) ثابت كائن لا محالة وفي هذا الجواب تأكيده من وجوه الاول القسم مع دخول الحرف الخاص بالقسم الواقع موقع نعم الثاني دخول ان المؤكدة الثالث اللام في لحق الرابع اسمية الجملة وذلك يدل على انهم قد بلغوا في الانكار والتمرد الى الغاية التي ليس وراءها غاية ثم توعدهم بأشد توعدورهمهم بأعظم تهيب فقال (وما أنتم بمعجزين) أي فائتين العذاب بالهرب والتعصبل الذي لا ينفع والمكابرة التي لا تدفع من قضاء الله شيئا بل هو مدر ككم ولا بد وهذه الجملة امام عطفوفة على جملة جواب القسم أو مستأنفة لبيان عدم خلوصهم عن عذاب الله بوجه من الوجوه ثم زاد في التأكيده فقال (ولو) امتناعية على ما هو الكثير فيها (ان لكل نفس) من الانفس المتصفة بانها (ظلمت) نفسها بالكفر بالله وعدم الايمان به (ما في الارض) من كل شيء من الاشياء التي تشتمل عليها من الاموال النفيسة والذخائر الفاتكة (لافتدت به) أي جعلته فدية لها من العذاب يوم القيامة لا ينفعها الفداء ولا يقبل منها ومثله قوله تعالى ان الذين كفروا وما اتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم مالا الارض ذهبوا لو افتدى به ويجوز ان يكون الافتداء متعديا وان يكون قاصرا فاذا كان مطاوعا لم تعد كان قاصرا فتقول فديته فافتدى وان لم يكن مطاوعا يكون بمعنى فدى فيتعدي لواحد والفاعل يحتمل الوجهين فان جعلنا متعديا ففعوله محذوف تقديره لا فتدت به نفسها وهو من المجاز كقوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها (وأسروا الندامة) الضمير راجع الى الكفار الذين سياق الكلام معهم وقيل راجع الى الانفس المدلول عليها بكل نفس وان كان المراد خصوص الرؤساء منهم ومعنى أسروا أخفوا أي لم يظهروا الندامة على ترك الايمان بل أخفوها لما قد شاهدوه في ذلك الموطن مما سلب عقولهم وذهب بتجلدهم ويمكن انه بقي فيهم وهم على تلك الحالة عرق بنزوعهم الى العصية التي كانوا عليها في الدنيا فأسروا الندامة لتلايشت بهم المؤمنون وقيل أسرها الرؤساء فيما بينهم دون أسباعهم خوفا من توابعهم لهم لكونهم هم الذين أضلوهم وحالوا بينهم وبين الاسلام وقيل معنى أسروا أظهروا الان أسروا من الاضداد ومعنى الاول

أق عصا فاذا هي ثعبان ممين فاغر فاه يتلع جبالهم وعصيم فأتى السحرة عند ذلك سجدا فغار فغار رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها (قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم ان هذا المكر مكروه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فاسوف تعلمون لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لا صلبنكم أجمعين قالوا اننا الى ربنا منقلبون وما نتقم منا الا ان آمننا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا ففرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) يجبر تعالى عما توعد به فرعون لعنه الله السحرة لما آمنوا بعيسى عليه السلام وما أظهره للناس من كيدهم ومكرهم في قوله ان هذا المكر مكروه في المدينة (٢٣٠) لتخرجوا منها أهلها أي ان غلبته لكم في يومكم هذا انما كان عن تشاور

منكم ورضانكم لذلك كقوله في الآية الاخرى انه لكبيركم الذي علمكم السحر وهو يعلم وكل من له لب ان هذا الذي قاله من ابطال الباطل فان موسى عليه السلام بمجرد ما جاء من مدين دعا فرعون الى الله وأظهر المعجزات الباهرة والحجج القاطعة على صدق ما جاء به فعند ذلك ارسل فرعون في مداثر ملكه ومعاملته سلطنة جمع سحرة متفرقين من ساير الاقاليم ببلاد مصر ممن اختار هو والملا من قومه واحضرهم عنده ووعدهم بالعباء الجزيل ولهذا قد كانوا من احرص الناس على ذلك وعلى الظهور في مقامهم ذلك والتقدم عند فرعون وموسى عليه السلام لا يعرف احد منهم ولا رآه ولا اجتمع به وفرعون يعلم ذلك وانما قال هذا تسترا وتدليسا على رعا ع دولته وجهلتهم كما قال تعالى فاستخف قومه فاطاعوه فان قومه صدقوه في قوله انار بكم الاعلى من اجهل خلق الله وأضلهم وقال السدي في تفسيره باسناده المشهور عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما من الصحابة في قوله تعالى ان هذا المكر

هو المشهور في اللغة وهو في الآية يحتمل الوجهين وقيل وجدوا ألم الحسرة في قلوبهم لان الندامة لا يمكن اظهارها واذ كرا المبرد في ذلك وجهين الاول انها بدت في وجوههم اسرة الندامة وهي الانكسار واحدها سرار وجمعها أسارير والثاني ما تقدم وقيل معنى أسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها قيل انه ماض على بابه قد وقع وقيل بل هو بمعنى المستقبل (لما) ظرف بمعنى حين أي حين (رأوا العذاب) أي وقوع هذا منهم كان عند رؤية العذاب ومعانيته وما بعد الدخول فيه فهم الذين قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا (وقضى بينهم بالقسط) أي العدل مستأنفة وهو الظاهر ومعطوفة على رأوا أي قضى الله بين المؤمنين وبين الكافرين أو بين الرؤساء والاتباع أو بين الظالمين من الكفار والمظلومين بالعدل وقيل معنى القضاء بينهم انزال العقوبة عليهم (وهم لا يظلمون) أي لا يظلمهم الله فيما فعله بهم من العذاب الذي حل بهم فانه بسبب ما كسبوا وجعله (الا ان الله ما في السموات والارض) مسوقة لتقرير كمال قدرته لان من ملأ ما في السموات والارض يتصرف به كيف يشاء وغلب غير العتلاء لانهم أكثر الخلق قات قتل لما ذكر سبحانه اقتداء الكفار بما في الارض لو كان لهم ذلك بين أن الاشياء كلها لله وليس لهم شيء يتكئون من الاقتداء به وقيل لما قسم على حقيقة ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد ان يحجب في ذلك بدليل البرهان البين بان ما في العالم على اختلاف أنواعه ملكه يتصرف به كيف يشاء وفي تصدير الجملة بحرف التنبيه اتيه للغافلين وايقاظ للذاهلين ثم أكد ما سبق بقوله (الا ان وعد الله حق) أي كائن لا محالة وهو عام بندرج فيه ما استجلبوه من العذاب اندراجاً وليسا وتصدير الجملة بحرف التنبيه كقولنا في التي قبلها مع الدلالة على تحقق مضمون الجملة وتقرير ما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضار المحافظة عليه (ولكن أكثرهم) أي أكثر الناس يعني الكفار (لا يعلمون) ما فيه صلاحهم فيعملون به وما فيه فسادهم فيجتنبونه لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم (هو يحيى ويميت) أي يهب الحياة ويسلبها (واليه ترجعون) في الدار الآخرة فيجازي كل بما يستحقه ويتفضل على من يشاء من عباده (يا أيها الناس) قيل أراد قرشا وقيل هو على العموم وهو الاولى واختاره الطبري وفيه التفات ورجوع الى اسمائهم عقب تحذيرهم من غوائل الضلال وشروع في بيان أدلة الرسالة بعد بيان أدلة التوحيد (قد جاءكم

مكروه في المدينة قال التقي موسى عليه السلام وأمير السحرة فقال له موسى أرايت ان غلبت ان تؤمن بي وتشهد موعدة) أن ما حثت به حق قال الساحر لا تبين غدا بسحر لا يغلبه سحر فوالله لئن غلبتني لا ومنزلك ولا شهد انك حق وفرعون ينظر اليهما قالوا فلهذا قال ما قال وقوله لتخرجوا منها أهلها أي تجتمعوا أنتم وهو وكون لكم دولة وصوله وتخرجوا منها الاكابر والرؤساء وتكون الدولة والتصرف لكم فسوف تعلمون أي ما صنع بكم ثم فسر هذا الوعيد بقوله لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف يعني يقطع يد الرجل اليمنى ورجله اليسرى أو بالعكس ولا صلبنكم أجمعين وقال في الآية الاخرى في جدوع النخل أي على الجذوع

قال ابن عباس وكان أول من صلب وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون وقول السحرة أنا إلى ربنا منقلبون أي قد
تحققنا أنا إليه راجعون وعذابه أشد من عذابك ونكاله على ما تدعوننا إليه اليوم وأكرهتنا عليه من السحرة أعظم من نكالك
فلنصبر اليوم على عذابك لخاص من عذاب الله ولهذا قالوا ربنا افرغ علينا صبرا أي عذابا صبرا على دينك والثبات عليه وتوقنا
مسلمين أي متابعين لنبيك موسى عليه السلام وقالوا لفرعون فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا أنا منابر بنا ليغفر
لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى انه من يأت (٢٣١) ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى

ومن يات به مؤمنا قد عمل الصالحات
فأولئك لهم الدرجات العلى فكانوا
في أول النهار بحرة وكانوا في آخره
شهداء بررة قال ابن عباس وعبيد
ابن عمير وقتادة وابن جريح كانوا
في أول النهار بحرة وفي آخره شهداء
(وقال الملا من قوم فرعون
أندرو موسى وقوميه ليفسدوا
في الأرض ويذرك وآلهتمك قال
سنتقتل أبناءهم ونستحيي
نساءهم وانا فوقهم قاهرون قال
موسى لقوميه استمعينوا بالله
واصبروا ان الأرض لله ربها من
يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
قالوا أؤذي نيمان من قبل ان تأتينا ومن
بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان
يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض
فينظر كيف تعملون) يخبر تعالى عما
تألا عليه فرعون وملؤه وما أضروا
لموسى عليه السلام وقومه من الأذى
والغصة وقال الملا من قوم فرعون
أي لفرعون أندرو موسى وقومه
أي أندعهم ليفسدوا في الأرض
أي يفسدوا أهل رعيته ويدعوهم
الى عبادة ربهم دونك يا الله العجب
صار هؤلاء يشفقون من افساد

موعظة) يعنى القرآن فيما يعظ به من قرأه وعرف معناه والوعظ في الاصل هو التذكير
بالعواقب سواء كان بالترغيب أو التهيب والواعظ هو كاطبيب ينهى المريض عما
ضره وقيل الوعظ زجر مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب
(من ربكم) من لا بداء الغاية وهو مجازا وللتبعض أي موعظة كائنة من مواظبكم
(وشفاء لما في الصدور) من الشكوك التي تعترى بعض المرتابين لوجود ما يستفاد منه
فيه من العقائد الحقة واشتماله على تزييف العقائد الباطلة عن أبي سعيد الخدري قال
جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال انى أشسكى صدرى فقال اقرأ
القرآن يقول الله شفاء لما في الصدور وأخرج ابن المنذر وابن مردويه وأخرج البيهقي
في شعب الايمان عن وائل بن الاسقع ان رجلا شك الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجع
حلقه قال عليك بقراءة القرآن والعسل قال قرآن شفاء لما في الصدور والعسل شفاء من
كل داء والشفاء في الاصل مصدر جعل وصفه بالغلة أو هو اسم لما يشفي به أي يتداوى فهو
كالدواء لما يدوى به وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه وهو أعز موضع
في بدن الانسان لمكان القلب فيه وداء الجهل أضرم للقلب من داء المرض للبدن والقرآن
مزيل لأمراض القلب كلها (وهدى ورحمة للمؤمنين) بانجائهم من الضلال نزل بالعطف
تغاير الصفات منزلة تغاير الذات والهدى الارشاد لمن اتبع القرآن وتفكر فيه وتدبر
معانيه الى الطريق الموصل الى الجنة والرحمة هي ما يوجد في الكتاب العزيز من الامور
التي يرحم بها عباده فيطلبها من أراد ذلك حتى ينالها فالقرآن العظيم مشتمل على هذه
الامور جامع لهذه الاشياء كلها قال الكرخي والحاصل أن الموعظة اشارة الى تطهير
ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريرة والشفاء اشارة الى تطهير الباطن عن العقائد
الفاسدة والاخلاق الذميمة وهو الطريقة والهدى اشارة الى ظهور نور الحق في قلوب
الصديقين وهو الحقيقة والرحمة اشارة الى كونها بالغة في الكمال والاشراق الى حيث تصير
مكمله لتناقضين وهي النبوة فهذه درجات عقلية ومراتب برهانية مدلول عليها بهذه
الالفاظ القرآنية لا يمكن تأخير ما تقدم ذكره اه تم أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم
وجعل الخطاب معه بعد خطابه للناس على العموم فقال (قل بفضل الله وبرحمته) المراد
بالفضل من الله سبحانه هو تفضله على عباده في الاتجمل والعاجل بما لا يحيط به الحصر

موسى وقومه الا ان فرعون وقومه هم المفسدون ولكن لا يشعرون ولهذا قالوا ويذرك وآلهتمك أي
أندروهم وقوميه يفسدون في الأرض وقد تركت عبادتك وقرأ ذلك أبي بن كعب وقد تركوك أن يعبدوا آلهتمك حكاية ابن جرير وقال
آخرون هي عاطفة أي أندعهم يصنعون من الفساد ما قد أقررتهم عليه وعلى ترك آلهتمك وقرأ بعضهم آلهتمك أي عبادتك وروى
ذلك عن ابن عباس ومجاهد وغيره وعلى القراءة الاولى قال بعضهم كان لفرعون اله يعبد به
في السر وقال في رواية أخرى كان له حنائة في عنقه معلقة يسجد لها وقال السدي في قوله تعالى ويذرك وآلهتمك والهة

فما زعم ابن عباس كانوا اذاروا او بقرة حسناء اهرهم فرعون أن يعبدوها فلذلك أخرج لهم عجلا جسدا له خوارفا جا بهم فرعون
فما سألوا بقوله سقتل أبناءهم ونسختي نساءهم وهذا أمر نان بهذا الصنيع وكان قد نكل بهم به قبل ولادة موسى عليه السلام
حذرا من وجوده فكان خلاف مارامه وضد ما قصد فرعون وهكذا عومل في صنيعه هذا أيضا لما أراد اذلال بني اسرائيل وقهرهم
جاء الامر على خلاف ما أراد اعزهم الله وأذله وأرغم أنفه وأغرقه وجنوده ولما صم فرعون على ما ذكره من المساءة لبني اسرائيل
قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا (٢٣٢) ووعدهم بالعاقبة وان الدار ستصير لهم في قوله ان الارض لله يورثها من يشاء

من عباده والعاقبة للمتقين قالوا
أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما
جئتنا أي قد فعلوا بنا مثل ما رأيت
من الهوان والاذلال من قبل ما جئت
يا موسى ومن بعد ذلك فقال منها
لهم على حالهم الحاضر وما يصرون
اليه في ثاني الحال عسى ربكم أن
يهلك عدوكم الآية وهذا تحضيض
لهم على العزم على الشكر عند
حلول النعم وزوال النقم (ولقد
أخذنا آل فرعون بالنسب ونقص
من الثمرات لعلمهم بذكورن فاذا
جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان
تصهم سيئة يطير باموسي ومن معه
الانما طائرهم عند الله ولكن
أكثرهم لا يعلمون) يقول تعالى ولقد
أخذنا آل فرعون أي اختبرناهم
وامتحانهم وابتليناهم بالنسب
وهي سنين الجوع بسبب قلة
الزرع ونقص من الثمرات قال
مجاهد وهو دون ذلك وقال أنواسحق
عن رجاء بن حيوة كانت النخلة
لا تحمل الا ثمرة واحدة لعلمهم بذكورن
فاذا جاءتهم الحسنة أي من الخصب
والرزق قالوا لنا هذه أي هذا النابعا
نستحقه وان تصهم سيئة أي جذب

والرحمة رحمة لهم وروى عن ابن عباس أنه قال فضل الله القرآن ورحمته الاسلام وعن
الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة أن فضل الله الايمان ورحمته القرآن وعن أنس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضل الله القرآن ورحمته ان جعلكم من أهله
رواه أبو الشيخ وابن مردويه وقد روى عن جماعة من التابعين نحو هذه الروايات المتقدمة
والاولى حمل الفضل والرحمة على العموم ويدخل في ذلك ما في القرآن منهم ما دخل اوليا
وتكرير الباء في رحمة للدلالة على أن كل واحد من الفضل والرحمة سبب مستقل في
القرح وأصل الكلام قل بفضل الله وبرحمته فذفر حواثم حذف هذا الفعل لدلالة الثاني
عليه في قوله (فبذلك فليفرحوا) وقيل ان فرحوا بشئ فليخصوا فضل الله ورحمته
بالفرح وهو اللذة في القلب بسبب ادراك المطلوب وتقديم الظرف على الفعل لافادة
الحصر والتكثير للتأكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون
ما عداها من فوائد الدنيا وفيها في الفاتين أو وجه ذكرها في الجمل وقد ذم الله سبحانه
الفرح في مواطن كقوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وجوزة في قوله فرحين بما
آتاهم الله من فضله وكما في هذه الآية وقيل التقدير جاء تكلم موعظة بفضل الله ورحمته
فبذلك أي فبجمعيتهم ما ليل فرحوا (هو خير) أي ان هذا خير لهم (بما يجمعون) من
حطام الدنيا ولذاتها الفانية قرى بالياء والتاء وهما سبعين ثم أشار سبحانه بقوله (قل
أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا) الى طريق أخرى غير ما تقدم
في اثبات النبوة وتقرير ذلك ما حاصله انكم تحكمون بتحميل البعض وتحريم البعض
فان كان مجرد التنهي والهوى فهو مجبور باتفاق العقلاء مسلمهم وكافرهم وان كان
لاعتقادكم انه حكم الله فيكم وفيما رزقكم فلا تعرفون ذلك الا بطريق موصلة الى الله
ولا طريق يتبين بها الحلال من الحرام الا من جهة الرسل الذين أرسلهم الله الى عباده
والمعنى أخبروني الذي أنزل الله اليكم من رزق أي زرع وضرع وغيرهما فجعلتم بعضه
حراما كالبحيرة والسائبة وبعضه حلالا كالسنة وذلك كما كانوا يفعلونه في الانعام والحراث
حسبما سبق حكايته ذلك عنهم في سورة الانعام من الكتاب العزيز وقيل ما استسهلتموه
واليه ذهب الحوفي والزمخشري والظاهر أنها موصولة كما تقدم لان فيه بقاء رأيت
على بابها ومعنى انزال الرزق كون المطر ينزل من جهة العلو وقال الزجاج أنزل بمعنى

وتقط يطير باموسي ومن معه أي هذا بسببهم وما جاؤ به الانما طائرهم عند الله
قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الانما طائرهم عند الله مصائبهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون وقال ابن جرير عن ابن
عباس قال الانما طائرهم عند الله قال أي من قبل الله (وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فأرسلنا عليهم
الطوفان والجرادوا لقمم والضفادع والدم آيات فصلا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع
لناربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك واترسان معك بن اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه

خلق

اذا هم يتكثرون) هو اخبار من الله عز وجل عن ترد قوم فرعون وعموهم وعنادهم للحق واصرارهم على الباطل وقولهم مهماتنا به من آية لتسحرنا بما افانحن للكبوة منين يقولون أى آية جئتنا بها ودلالة وجة أقمها رددناها فلا نقبلها منك ولا تؤمن بك ولا تهاجرت به قال الله تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان اختلفوا فى معناه فعن ابن عباس فى روايات كثيرة الامطار المغرقة للمتلفة للزروع والثمار وبه قال الضحاك بن مزاحم وعن ابن عباس فى رواية أخرى هو كثرة الموت وكذا قال عطاء وقال مجاهد الطوفان الماء والطاعون على كل حال وقال ابن جرير حدثنا ابن هشام الرافعى حدثنا يحيى بن سمان (١) حدثنا المنهال (٢٣٣) بن خليفة عن الحجاج عن الحكم بن مينا عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم الطوفان الموت وكذا رواه من مرويه من حديث يحيى بن سمان به وهو حديث غريب وقال ابن عباس فى رواية أخرى هو أمر من الله طاف بهم ثم قرأ طاف عليها طائف من ربك وهم نائمون وأما الجراد فعرف مشهور وهو ما كولى المائت فى الصحاح عن أى يعفور قال سألت عبد الله بن أى أوفى عن الجراد فقال غزو نامع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ناكل الجراد وروى الشافعى وأحمد بن حنبل وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن أبيه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أحلت لنا ميتتان ودمان الحوت والجراد والكبد والطحال ورواه أبو القاسم البغوى عن داود بن رشيد عن سويد بن عبد العزيز عن أى تمام الابن عن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعا مثله وروى أبو داود عن محمد بن الفرج عن محمد بن زبير قال الأهوازى عن سليمان التيمى عن أى عثمان عن سلمان قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

خلق كما قال وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد (قل آله أذن لكم) فى هذا التحليل والتحرير والهزمة للانسكار (أم على الله تفترون) أم منقطة بمعنى بل كما فى الكشاف والظاهر أنها متصلة كما قال السفاحى أى آله أذن لكم أم تكذبون عليه فى نسبة الاذن اليه قال الكرخى وكفى به زاجر المن أفتى بغير اتقان كبعض فقهاء هذا الزمان اه واطهار الاسم الشريف وتقديمه على الفعل للدلالة على كمال قبج الاقتراء قلت وفى هذه الآية الشريفة ما يصدق مسامح المتصدين للافتاء لعباد الله فى شريعته بالتحليل والتحرير والجواز وعدمه مع كونهم من المقادير الذين لا يعقلون حجج الله ولا يفهمون ولا يدرون ما هى ومبلغهم من العلم الحكاية لقول قائل من هذه الامة قد قلدهم فى دينهم وجعلهم اشراراً ما علم به من الكتاب والسنة فهو المعمول به عندهم وما لم يبلغه أو باغوه ولم يفهمه حق فهمه وأخطأ الصواب فى اجتهاده وترجيحه فهو فى حكم المنسوخ عندهم المرفوع حكمه عن العباد مع كونهم من قلدوه متعبداً بهذه الشريعة كما هم متعبدون بها ومحكوموا بحكامها كما هم محكوم عليهم بها وقد اجتهد رأيه وادى ما عليه وفاز بأجر ين مع الاصابة وأجر مع الخطا انما الشأن فى جعلهم رأيه الذى أخطأ به شريعة مستقلة ودالماً معه ولا به وقد أخطوا فى هذا خطأ ينافى وغلطوا غلطا فاحشا فان الترخيص للجهت فى اجتهاد رأيه يخصه وحده ولا قائل من أهل الاسلام المعتد بأقوالهم انه يجوز غيره أن يعمل به تقليداً واقتداء به وما جاء به المقلدة فى تقوم هذا الباطل فهو من الجهل العاطل اللهم كما رزقنا من العلم ما نميز به بين الحق والباطل فأرزقنا من الانصاف ما نظفر عنده بما هو الحق عندك يا واهب الخير قال النسفى الآية زاجرة عن التجوز فيما يسئل من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول أحد فى شىء جائز أو غير جائز الا بعد ايقان واتقان والافه ومفتر على الدين ثم قال (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) أى اى شى ظنهم فى هذا اليوم وما يصنع بهم فيه اى لا ينبغى هذا الحسبان ولا صحة له بوجه من الوجوه وهذه الجملة الاستغفامية المتضمنة لتعظيم الوعيد لهم غير داخل تحت القول الذى أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقوله لهم بل مبتدأة مسوقة لبسبان ما سيجل بهم من عذاب الله وذكرا للكذب بعد الافتراء مع ان الافتراء لا يكون الا كذباً لزيادة التأكيد (ان الله لذو فضل على

(٣٠ - فتح البيان ح) الجراد فقال أكثر جنود الله لا آكله ولا أحرمه واتماتركه عليه السلام لانه كان يعافه كما عافت نفسه الشريفة كل الضب وأذن فيه وقد روى الحافظ ابن عساكر فى جزءه فى الجراد من حديث أبى سعيد الحسن بن على العدوى حدثنا نصر بن يحيى بن سعيد حدثنا يحيى بن خالد عن ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياكل الجراد ولا الكوتين ولا الضب من غير أن يجرمها اما الجراد فبرجز وعذاب وأما الكوتان فلقر بهما من البول وأما الضب فقال أخوف أن يكون مسخاً ثم قال غريب لم أكتبه الا من هذا الوجه وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشتميه ويحبه (١) قوله يحيى بن سمان كذا بالاصل وجره اه

فروى عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب عن الجراد فقال ليت أن عندنا منه قفعة أو قفعتين فأكله وروى ابن ماجه حدثنا أحمد ابن منيع عن سفيان بن عيينة عن أبي سعد معيد بن المرزبان البقال سمع أنس بن مالك يقول كن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يتهادين الجراد على الأطباق وقال أبو القاسم البغوي حدثنا داود بن رشيد حدثنا بقية بن الوليد عن يحيى بن زيد القتيبي حدثني أبي عن صدي بن بجلان عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن امرئ سمع بنت عمران عليها السلام سألت ربها عز وجل أن يطعمها الحمالا دم له فأطعمها (١٣٤) الجراد فقلت اللهم أعشه بغير رضاع وتابع بنه بغير شياخ وقال غيره

الشياع الصوت وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا أبو نعي هشام بن عبد الملك المزني حدثنا بقية بن الوليد حدثنا اسمعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي زهير النميري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقناتوا الجراد فإنه جنبه الله الا عظم غريب جدا وقال ابن أبي شيبة عن مجاهد في قوله تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد قال كانت تأكل مسامير أبيهم وتدع الخشب وروى ابن عساکر من حديث علي بن زيد الخزازي عن محمد بن كثير سمعت الاوزاعي يقول خرجت الى الصحراء فاذا أنا برجل من جراد في السماء فاذا برجل راكب على جرادة منها وهو شاك في الحديد وكما قال بيده هكذا مال الجراد مع يده وهو يقول الدنيا باطل باطل ما فيها الدنيا باطل باطل ما فيها الدنيا باطل باطل ما فيها وروى الحافظ أبو الفرج المعافى بن زكريا الحريري حدثنا محمد بن الحسن بن زياد حدثنا أحمد بن عبد الرحيم أخبرنا وكيع عن

الناس) يتفضل عليهم بأنواع النعيم في الدنيا والآخرة ومنه بعثة الرسل وانزال الكتب لبيان الحلال والحرام وبقاء الكتاب والسنة الى آخر الدهر والزمان (ولكن أكثرهم لا يشكرون) الله على نعمه الواصلة اليهم منه سبحانه في كل وقت من الاوقات وطرفة من الطرقات ولا يصرفون مشاعرهم الى ما خلقت له (وما تكون في شأن) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما نافية والشأن الامر بمعنى القصد وجعله شؤنا قال الاخفش تقول العرب ما سأنت شأنه اي ما عملت عمله وما قصدت قصده فهو مصدر بمعنى المفعول (وما تلو منه من قرآن) قال الفراء والزجاج الضمير يعود على الشأن والجار والمجرور صفة لمصدر محذوف اي تلاوة كأنه منه اذ التلاوة للقرآن من أعظم شؤنه صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى أنه يتلو من أجل الشأن الذي حدث القرآن فيعلم كيف حكمه أو يتلو القرآن الذي ينزل في ذلك الشأن وقال ابن جرير الطبري الضمير في منه عائد الى الكتاب اي ما يكون من كتاب الله من قرآن واعاده تفخيما له كقوله اني أنا الله وقيل ما تلو من الله من قرآن نازل عليك فن الثانية زائدة والاولى امانة ليلية أو ابتدائية بحسب الوجهين المتقدمين والخطاب في (ولا تعملون من عمل) لرسول الله وللأمة وقيل الخطاب لكفار قريش (الا تكفلكم شهودا) استثناء مفرغ من أعم الاحوال للخطابين بالافعال الثلاثة اي ما تلابسون بشئ منها في حال من الاحوال الا في حال كوننا رقباء مطعين عليه حافظين له يقال شهدتم على الشيء اطلعت عليه فانا شاهد وشهيد والجمع اشهاد وشهود والضمير في (ادققضون فيه) عائد على العمل يقال أفاض فلان في الحديث والعمل اذا دفع فيه وقال الضحاك الضمير في فيه عائد على القرآن والمعنى اذ تشبهون في القرآن الكذب والافاضة الدخول في العمل على جهة الاتصاف بالسوء والانتساب فمسه قال ابن الأنباري اذ تدفعون فيه وتبسطون في ذكره وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج تنشرون فيه وقيل تحوضون فيه وقيل تأخذون أي تشرعون فيه والمعاني متقاربة (وما يعزيب) أي يغيب ويحفي وقيل يبعد وقال ابن كيسان يذهب وهذه المعاني متقاربة قري بضم الزاي وبكسر هاء سبعين وهما لغتان فصيحتان (عن ربك) اي عن علمه ومن في (من منقالت ذرة) زائدة للتأكيد أي وزن ذرة اي نغلة حراء وهي خفيفة الوزن جدا (في الارض ولا في السماء) اي في دائرة

الوجود

الجراد فقال قبح الله الجراد في خلقه سبعة

جبارة رأها من رأس فرس وعضها عنق ثور وصدرها صدر أسد وجناحها جناح نسر ورجلها رجل جمل وذنبها ذنب حية وبطنها بطن عقرب وقد مننا عند قوله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة حديث حماد بن سلمة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حج أو عمرة فاستقمانا رجل جراد فجعلنا نضربها بالعصا ونحن محرمون فأنار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا بأس بصيد البحر وروى ابن ماجه عن هرون الجعاني عن هشام بن القاسم عن زياد بن عبد الله بن علاثة عن أبي المهزم عن أبي هريرة عن موسى بن أبي محمد بن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أنس وجابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا دعا على

الجراد قال اللهم اهلك بكاره واقتل صغاره وافسد بيضه واقطع دابره وخذ بأفواهه عن معايشنا وارزقنا انك سمع الدعاء فقال له جابر يا رسول الله أتدعو علي جن من أجناد الله يقطع دابرة فقال انما هو نثره حوت في البحر قال هاشم أخبرني زياد أنه أخبره من رآه ينثره الحوت قال من حقق ذلك ان السمك اذا باض في ساحل البحر فصب الماء عنه وبد الشمس انه يفتس كله جراد طيارا وقد منا عند قوله الأعمى أمثالكم حديث عمر رضي الله عنه ان الله خلق ألف أمة ستمائة في البحر وأربع مائة في البر وان أولها هلاك الجراد وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا يزيد بن المبارك حدثنا (٢٣٥) عبد الرحمن بن قيس سالم بن سالم حدثنا أبو المغيرة

الجوزجاني محمد بن مالك عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا دمع السيف ولا الخماص الجراد حديث غريب وأما القمل فعن ابن عباس هو السوس الذي يخرج من الخنطة وعنه أنه الدباء وهو الجراد الصغار الذي لا يخنطه له وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة وعن الحسن وسعيد بن جبيرة القمل دواب سود صغار وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القمل البراغيث وقال ابن جرير القمل جمع واحدتها قملة وهي دابة تشبه القمل تأكل الابل فيما بلغني وهي التي عناها العشي بقوله قوم تقابح قلا وسلا سلا (٣)

أجدوا بابا موصدا قال وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن القمل عند العرب الجنان واحدتها جنانة وهي صغار القردان فوق القمه قامة وقال الامام أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن جميل الرازي حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبيرة قال لما أتى موسى عليه السلام فرعون قال له ارسل معي في

الوجود والامكان وانما عبر عنهم بما مع أنه سبحانه لا يغيب عنه شيء لا فيهم - ما ولا فيما هو خارج عنهم - ما لان الناس لا يشاهدون سواهما وسوى ما فيهم - ما من المخلوقات وقدم الارض على السماء لانها محل استقرار العالم فهم يشاهدون ما فيهم من قرب (ولا أصغر من ذلك) أي من مثقال ذرة كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية للجنس (ولا أكبر منها) (الآ) وهو (في كتاب مبین) فكيف يغيب عنه وهو الكتاب الذي عند الله يعني اللوح المحفوظ قاله السدي وقد أورد على توجيهه النصب والرفع في أصغروا أكبر على العطف على لفظ مثقال ومحموله أوعلى لفظ ذرة اشكال وهو أنه بصير تقدير الآية لا يعزب عنه شيء في الارض ولا في السماء الا في كتاب ويلزم منه أن يكون ذلك الشيء الذي في الكتاب خارجا عن علم الله وهو محال وقد أجيب عن هذا الاشكال بأن الاشياء المخلوقة قسمان قسم أوجده الله ابتداء من غير واسطة كخلق الملائكة والسموات والارض وقسم آخر أوجده بواسطة القسم الاول من حوادث عالم الكون والفساد ولا شك أن هذا القسم الثاني متباعد في السلسلة العلية عن مرتبة الاول فالمراد من الآية أنه لا يعبد عن مرتبة وجوده سبحانه شيء في الارض ولا في السماء الا وهو في كتاب مبین أثبت فيه صورة تلك المعلومات والغرض الرد على من يزعم أنه غير عالم بالجزئيات وأجيب أيضا بأن الاستثناء منقطع أي لكن هو في كتاب مبین وذ كر أبو علي الجرجاني ان الابعثي الواو أي وهو أيضا في كتاب مبین والعرب قد تضع الاموضع الواو منه قوله تعالى اني لا يخاف لدى المرسلون الامن ظلم يعني ومن ظلم وقوله لتسلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا أي والذين ظلموا وقد رهو بعد الواو التي جاءت الابعثها كما في قوله وقولوا حطسة أي هي حطة قال الكرخي وهذا الوجه فيه تعسف ومثله قوله ولا تقولوا ثلاثه وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبین وجوز الكواشي كونه متصلا مستثنى من يعزب على أن معناه مبین ويصدر والمعنى لا يصدر عن الله شيء بعد خلقه الا وهو في كتاب وقال السكبي قد حاول الرازي جعله متصلا بعبارة طويلة لم يحصلها أنه جعله استثناء مفرغا وهو حال من أصغروا أكبر وهو في قوة المتصل ولا يقال فيه متصل ولا منقطع ثم لما بين سبحانه احاطته بجميع الاشياء وكان في ذلك تقوية لقلوب المطيعين وكسر لقلوب العاصين ذكر حال المطيعين فقال (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم) الولي

اسرائيل فأرسل الله عليهم الطوفان وهو المطرف صب عليهم منه شيئا أخفوا أن يكون عذابا فقلوا موسى ادع لنا ربك فيكشف عنا المطرف فنؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا ربه فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى اسرائيل فأنبت لهم في تلك السنة شيئا لم ينبتة قبل ذلك من الزروع والثمار والكلا فقالوا هذا ما كنا نتنى فأرسل الله عليهم الجراد فسلطه على الكلا فلما رأوا أثره على الكلا عرفوا أنه لا يبقى الزرع فقالوا يا موسى ادع لنا ربك فيكشف عن الجراد فنؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الجراد فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى اسرائيل فداسوا وأحرزوا في البيوت فقالوا قد أحرزنا فأرسل الله عليهم القمل وهو السوس الذي يخرج (٣) قوله قوم تقابح البيت هو هكذا في الاصل وحرره اه صححه

منه فكان الرجل يخرج عشرة أجرة إلى الرعي فلا يرد منها ثلاثة أقنزة فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل فنؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعاه به فكشف عنهم فأبوا أن يرسلوا معه بنى اسرائيل فيبينما هو جالس عند فرعون اذ سمع نعيق الضفدع فقالوا الفرعون ما تلتقي أنت وقومك من هذا فقال وما عسى أن يكون كيد هذا فما آمنوا حتى كان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع ويهم ان يتكلم فتهب الضفدع في فيه فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع فنؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فلم يؤمنوا وأرسل الله

(٢٣٦)

في اللغة ضد العدو وهو المحب ومحبة العباد لله طاعتهم له ومحبة لهم اكرامه اياهم وعلى الاول يكون فاعيل بمعنى فاعل وعلى الثاني بمعنى مفعول فهو مشترك بينهما وتركيب الواو واللام والياء يدل على معنى القرب فولى كل شيء هو الذي يكون قريبا منه والمراد بالاولياء خالص المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته والمراد بنبي الخوف عنهم انهم لا يخافون أبدا كما يخاف غيرهم لانهم قد قاموا بما أوجب الله عليهم وانتهوا عن المعاصي التي نهاهم عنها فهم على ثقة من أنفسهم وحسن ظن بربهم وكذلك (ولا هم يحزنون) على فوت مطلب من المطالب لانهم يعلمون ان ذلك بقضاء الله وقدره فيسلمون للقضاء والقدر ويريحون قلوبهم عن الهم والكدر فصدورهم منسرحة وجوارحهم نشطة وقلوبهم مسرورة وقد فسر سبحانه هؤلاء الاولياء بقوله (الذين آمنوا وكانوا يتقون) أي يؤمنون بما يجب الايمان به ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي الله سبحانه قال أبو السعود والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقى عن الشرك التي يفيدها الايمان أيضا ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك أعنى تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبطل اليه بالكلية وهي التقوى الحقيقية المأمور به في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حتى تقانه وبه يحصل الشهود والحضور والقرب الذي عليه يدور اطلاق الاسم عليه فذلك أمر الولاية هو التقوى المذكور فأولياء الله هم المؤمنون المتقون وعن سعيد بن جبيرة قال هم الذين اذا رأوا ذكرا لله وعن ابن عباس قال اذا رأوا ويدا ذكرا لله لرؤيتهم وقال أبو حنيفة والشافعي اذا لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي قال النووي وذلك في العالم العامل بعلمه وقد أكثر أهل العلم من المتكلمين والصوفية وغيرهم في تعريف الولي ووصفه وأطالوا المقالات في ذلك بما لا حاجة اليه وهذه الآية تغني عنها فانه اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل والحاصل أن ولي الله من كان آتيا بالا عمقاد الصحيح المبني على الدليل وبالاعمال الصالحة على وفق ما وردت به السنة المطهرة لان الايمان مبني على العزيمة والعمل ومقام التقوى هو ان يبقى العبد كل ما نهى الله عنه وعن عروب بن الجوح أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا يحق العبد حتى صريح الايمان حتى يحب لله ويغض لله فاذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاية من الله وان أولياي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين

أوعيتهم وجدوه دما عبيطافشكوا الى فرعون فقالوا ان اقادا بلبينا بالدم وليس لنا شراب فقال انه قد سحركم فقالوا من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئا من الماء الا وجدناه دما عبيطافأتوه وقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى اسرائيل وقد روى نحوه هذا عن ابن عباس والسدي وقتادة وغير واحد من علماء السلف وقال محمد بن اسحق ابن يسار رجه الله فرجع عدو الله فرعون حين آمنت السحرة مغلوبا مغلوبا ثم أبي الا اقامة على الكفر والتماذي في الشرف تابع الله عليه الآيات فأخذها بالسنتين وأرسل عليه الطوفان ثم الجراد ثم القمل ثم الضفادع ثم الدم آيات مفصلات فأرسل الطوفان وهو الماء ففاض على وجه الارض ثم ركد لا يقدر على أن يمشوا ولا يعملوا شيئا حتى جهدوا جوعا فلما بلغهم ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن

لك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يفواله بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم الجراد فاكل الشجر فيما بلغني حتى ان كان لا يابا كل مسامير الابواب من الخلد حتى تقع دورهم ومساكنهم فقالوا مثل ما قالوا فدعاه به فكشف عنهم فلم يفواله بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم القمل فذكر لي أن موسى عليه السلام أمر أن يمشى الى كتيب حتى يضربه بعصاه فمشى الى كتيب أهيل عظيم فضر به بها فأسال عليهم قلا حتى غلب على البيوت والاطعمة ومنعهم النوم والقرار فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا فدعاه فكشف عنهم فلم يفواله بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم الضفادع فلات البيوت

بذكرون

والاطعمة والانية فلا يكشف أحد ثوبه ولا طعام الا وجد فيه الضفادع قد غلب عليه فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا فاسأل
ربه فكشف عنهم فلم يفعله بشي مما قالوا فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دما لا يستقون من بئر ولا نهر ولا يغترفون
من اناه الا عاددما عبيطا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور المرزوي أنبأنا النضر أنبأنا سرائيل أنبأنا جبر بن يزيد عن
عكرمة عن عبيد الله بن عمرو قال لا تقتلوا الضفادع فانها المأرسلت على قوم فرعون انطلق ضفدع منها فوقع في تنور فيه نار يطلب
بذلك مرضاة الله فأبدلهن الله من هذا بردشي يعلم من الماء جعل نقيقهن (٢٣٧) التسيح وروى عن طريق عكرمة عن

ابن عباس نحو ذلك وقال زيد بن أسلم
يعني بالدم الرعاف رواه ابن أبي حاتم
(فاتقمتما منهم فأعرقناهم في اليم
بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها
غافلين وأورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها التي باركنا فيها وقت كلمة
ربك الحسنى على بني اسرائيل بما
صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون
وقومه وما كانوا يعرشون) يخبر تعالى
أنهم لما اعتوا وتعدوا مع ابائهم
اياهم بالآيات المتواترة واحدة
بعد واحدة انتقم منهم باغراقه
اياهم في اليم وهو البحر الذي فرقه
لموسى فخاوزه وبنا اسرائيل معه
ثم ورد فرعون وجنوده على اثرهم
فلما استكملوا فيه النظم عليهم
فغرقوا عن آخرهم وذلك بسبب
تكذيبهم بآيات الله وتغافلهم عنها
وأخبر تعالى انه اورث القوم الذين
كانوا يستضعفون وهم بنو اسرائيل
مشارق الارض ومغاربها كما قال
تعالى وزيد أن غن على الذين
استضعفوا في الارض وتجعلهم
أئمة وتجعلهم الوارثين وتمكن لهم
في الارض ونرى فرعون وهامان

يذكرون بذكرى واذا كربذكرهم
أخرجه أحمد وغيره وأخرج أحمد عن عبد الرحمن بن غنم
يلغبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم خيار عباد الله الذين اذا راوا ذاكر الله وشرار عباده
المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون البراءة العنت وعن ابن عمرو بن العاص
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خياركم من ذكركم الله رؤيته وزاد في علمكم
منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله أخرجه الحكيم الترمذي وعن ابن عمر مر فوعان الله
عباد الله وابائهم ولا شهداء بعبطهم النيون والشهداء يوم القيامة بقرتهم ومجلسهم منه
خفي اعرابي على ركبته فقال يا رسول الله صفهم لنا حلهم لنا قال قوم من أفتاء الناس من
نزاع القبائل تصافوا في الله وتحابوا في الله يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم
يخاف الناس ولا يخافونهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أخرجه الحاكم
وصححه وأخرج أبو داود وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن عمر بن الخطاب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر نحوه قال ابن كثير واسناده جيد وروى
بطريق عن جماعة من الصحابة وقد ورد في فضل المتحابين في الله أحاديث ليس فيها أنهم
المرادون بالآية (لهم البشرية في الحياة الدنيا وفي الآخرة) تفسير يعني كونهم أولياء الله
أى لهم البشرية من الله ماداموا في الحياة بما يوحى به الى أنبيائه وينزل في كتبه من كون
حال المؤمنين عنده هو ادخالهم الجنة ورضوانه عنهم كما وقع كثير من البشارات للمؤمنين
في القرآن الكريم وكذلك ما يحصل لهم من الرؤيا الصالحة وما يتفضل الله به عليهم من
اجابة دعائهم وما يشاهدون من التبشير لهم عند حضور آجالهم تنزل الملائكة عليهم
فالتين لهم لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة قاله الزهري وقتاده واما البشرية في الآخرة
فتلقى الملائكة لهم مبشرين بالنور بالنعيم والسلامة من العذاب والبشرى مصدر أريد به
المبشيرة والمراد حال كونهم في الدنيا وحال كونهم في الآخرة وأخرج أحمد والترمذي
وحسنه وابن جرير والبيهقي وغيرهم عن رجل من أهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن
معنى قوله لهم البشرية فقال ما سألتني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فقال ما سألتني عنها أحد غيرك منذ أنزلت على هي الرؤيا الصالحة براها المسلم أو ترى له
فهى بشره في الحياة الدنيا وبشره في الآخرة الجنة وفي اسناده هذا الرجل المجهول
وعن عبادة بن الصامت مر فوعا مثله عند أحمد والدارمي والترمذي وابن ماجه وأخرج

وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقال تعالى كم تركوا من جنات وعميون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك
وأورثناها قوما آخرين وعن الحسن البصرى وقتاده في قوله مشارق الارض ومغاربها يعني الشام التي باركنا فيها وقوله وقت كلمة ربك
الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال مجاهد وابن جرير وهى قوله تعالى ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقوله ودمرنا ما كان يصنع
فرعون وقومه وما كانوا يعرشون قال ابن عباس ومجاهد يعرشون يبنون (وجاوزنا بني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على

أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الهة كالهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون) يخبر تعالى عما قاله جهلة بني اسرائيل لموسى عليه السلام حين جاوزوا البحر وقدر أمان آيات الله وعظيم سلطانه ماراً وافتوا أي فرّوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قال بعض المنسرين كانوا من الكنعانيين وتميل كانوا من لحم قال ابن جرير وكانوا يعبدون أصناما على صور البقر فلهذا أثر ذلك شبهة لهم في عبادتهم العجل بعد ذلك فقالوا يا موسى اجعل لنا الهة كالهم آلهة قال انكم قوم تجهلون أي تجهلون عظمة الله وجلاله وما يجب ان (٢٣٨) ينزه عنه من الشريك والمثيل ان هؤلاء متبر ما هم فيه أي هالك وباطل ما كانوا

يعملون وروى الامام أبو جعفر ابن جرير في تفسير هذه الآية من حديث محمد بن اسحق وعقيل ومعمر كلهم عن الزهري عن سنان ابن أبي سنان عن أبي واقد الليثي انهم خرجوا من مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين قال وكان للكندار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط قال ثرثربا سدرة خضراء عظيمة قال فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كالهة ذات أنواط فقال قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا الهة كالهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن سنان ابن أبي سنان عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين فمرنا بسدرة فقلت يا بني الله اجعل لنا هذه ذات أنواط كالهة الكفار ذات أنواط وكان الكفار ينوطون أسلحتهم بسدرة ويعكفون حولها فقال النبي

أحمد والبيهقي عن ابن عمر مرفوعاً قال الرؤيا الصالحة يبشر بها المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة فن رأى ذلك فليخبر بها الحديث وفي الباب أحاديث وقد وردت أحاديث صحيحة بأن الرؤيا الصالحة من المبشرات وأنهم اجزء من اجزاء النبوة ولكنها لم تقيد بتفسير هذه الآية وقد روى عن ابن عباس أن المراد بالبشرى في الآية هي قوله وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا وعنه أنها قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقيل البشرية في الحياة الدنيا هي الثناء الحسن وفي الآخرة الجنة وعن أبي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس علمه قال تلك عاجل بشرى المؤمن أخرجه مسلم قال أهل العلم وهي دليل للبشرى المؤخرة في الآخرة وهذه البشرية المحجلة دليل على رضا الله عنه وقيل غير ذلك واللفظ أوسع من ذلك (لا تبديل لكلمات الله) أي لا تغيير لاقواله ولا خلف لمواعيده على العموم فيدخل فيها ما وعد به عباده الصالحين دخولا أوليا (ذلك) أي المذكور قبله من كونهم مبشرين بالشارتين في الدارين (هو الفوز العظيم) الذي لا يقادر قدره ولا يماثله غيره والجلتان اعتراض في آخر الكلام عند من يجوز وفائدتهما تحقيق البشر به وتعظيم شأنه والاولى اعتراضية والشانسة تذييلية (ولا يحزنك قولهم) نهي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الحزن من قول الكفار المتضمن للطعن عليه وتكذيبه والقدح في دينه والمقصود تسليته صلى الله عليه وآله وسلم عما كان يلقيه من جهتهم من الاذية الناشئة عن مقالاتهم الموحشة وتبشير له بأنه تعالى نصره ثم استأنف سبحانه الكلام مع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مع اللاماذكره من النهي فقال (ان العزة لله جميعا) أي الغلبة والقدرة والقهر له في مملكته وسلطانه ليست لاحد من عباده واذا كان ذلك كما له فكيف يتقدرون عليك حتى تحزن لاقوالهم الكاذبة وهم لا يملكون من الغلبة شيئا ولا ينافي هذا ما في سورة المنافقين والله العزة ورسوله وللمؤمنين لان كل عزة بالله فهي كلها لله حقيقة لكن قد يظهرها على يد رسوله وعلى أيدي المؤمنين تكريما وتعظيما لهم ومنه قوله كتب الله لاغلبنا أو رسلنا اننا لننصر رسلنا (هو السميع) لما يقولون (العليم) بما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك (الا ان الله من السموات ومن في الارض) ومن جملتهم هؤلاء المشركون المعاصرون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم واذا كانوا في ملكه يتصرف فيهم

صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الهة كالهم آلهة انكم تركبون ستن كيف من قبلكم أو رده ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه جده مرفوعاً قال أغرب الله أبعيكم الها وهو فضلكم على العالمين واذا تخيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك لكم بلاء من ربكم عظيم) يذكركم موسى عليه السلام ذم الله عليهم من انقاذهم من أسر فرعون وقهره وما كانوا فيه من الهوان والذلة وما صاروا اليه من العزة والاشتهاء من عدوهم والنظر اليه في حال هو انه وهلا كه وغرقة ودماره وقد تقدم

تفسيرها في البقرة (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هرون اخلقني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) يقول تعالى تمتنا على بني اسرائيل بما حصل لهم من الهداية بتكليم موسى عليه السلام واعطائه التوراة وفيها أحكامهم وتفصيل شرعهم فذكر تعالى انه واعد موسى ثلاثين ليلة قال المفسرون فصامها موسى عليه السلام فلما أتم الميقات استألك بلخاء شجرة فأمره الله تعالى أن يكمل بعشرة أربعين وقد اختلف المفسرون في هذه العشر ما هي فالأكثر على ان الثلاثين هي ذوالقعدة والعشر عشر ذي الحجة قاله (٢٣٩) مجاهد ومسروق وابن جرير وروى عن

ابن عباس وغيره فعلى هذا يكون قد كمل الميقات يوم النحر وحصل فيه التكليم لموسى عليه السلام وفيه أكمل الله الدين لحمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليك نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً فلما تم الميقات وعزم موسى على الذهاب الى الطور كما قال تعالى يا بني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن الآية فحينئذ استخلف موسى على بني اسرائيل أخاه هرون وأوصاه بالاصلاح وعدم الافساد وهذا تنبيه وتذكير والافهرون عليه السلام نبى شريف كريم على الله وله وجاهة وجمالة صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الانبياء (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر اليك قال ان تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين) يخبر تعالى عن موسى عليه السلام انه جاء لميقات الله

كيف يشاء فكيف يستطيعون أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما لا يأذن الله به وألا كلمة تنبيه معناه انه لا ملك لاحد فيهم ما الا الله عز وجل فهو مالك ما فيها ما وقال في الآية الاولى ما وفي هذه من فجموعه ما دل على ان الله مالك جميع كل شئ وفيه ما من العقلاء وغيرهم وأغلب العقلاء على غيرهم لكونهم أشرف وفي الآية نعى على عباد البشر والملائكة والجمادات لانهم عبدوا المملوك وتركو المالك وذلك مخالف لما يوجب العقل ولهذا عقبه بقوله (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) ما نافية وشركاء مفعول يتبع وعلى هذا يكون مفعول يدعون محذوف والاصل وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء في الحقيقة انما هي أسماء الامسيات لها حذف أحد هـ ما دلالة المذكور عليه ويجوز أن يكون المذكور مفعول يدعون وحذف مفعول يتبع لدلالة المذكور عليه يعنى انهم وان سواهم عبوداتهم شركاء لله فليس شركاء له على الحقيقة لان ذلك محال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا وقيل ما استفهامية أى شئ يتبع الذين يدعون وعلى هذا شركاء منصوب يدعون والكلام خارج مخرج التوبيخ لهم والازراء عليهم وقيل موصولة والمعنى ان الله مالك المعبوداتهم لكونها من جملة من في السموات ومن في الارض ثم زاد سبحانه في تأكيدهم الرد عليهم والدفع لاقوالهم فقال (ان يتبعون الا الظن) أى ما يتبعون يقيننا انما يتبعون ظناً ويطنون انهم آلهة تشفع لهم وان الظن لا يعنى من الحق شيئاً (وانهم الا يخرسون) أصل معنى الخرس الحزب بتقديم الزاء على الراء أى التخمين والتقدير ويستعمل بمعنى الكذب لغلبته في منله والاسم الخرس بالكسر أى يقدرون انهم شركاء تقديراً باطلا وكذباً مجتماً وقد تدمت هذه الآية في الانعام ثم ذكر سبحانه طرفان آثار قدرته مع الامتنان على عباده ببعض نعمه فقال (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً) الجعل ان كان بمعنى الابداع والخلق فبمصر حال وان كان بمعنى التصيير فهو والمفعول الثانى أى جعل لعبادة الزمان منقسم الى قسمين أحدهما مظلم وهو الليل لاجل ان يسكن العباد فيه عن الحركة والتعب ويريحون أنفسهم عن الكد والكسب والآخر مبصر لاجل ان يسعوا فيه بما يعود على نفعهم وتوفير معاشهم ويحصلون ما يحتاجون اليه في وقت مضى؛ نير لا يخفى عليهم كبير ولا حقير وجعله سبحانه للنهار مبصراً مجاز والمعنى انه مبصر صاحبه كنه ولهم نهار صائم وقال قطرب تقول العرب أظلم الليل وابصر النهار

تعالى وحصل له التكليم من الله تعالى ان ينظر اليه فقال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني وقد أشكل حرف لن ههنا على كثير من العلماء لانها موضوعة لنفى التأنيد فاستدل به على المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة وهذا أضعف الاقوال لانه قد تواترت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بان المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة كما سنوردها عند قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقوله تعالى اخبارا عن الكفار كلال انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقيل انها لنفى التأنيدي الذي اجابا بين هذه الآية وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة وقيل ان هذا الكلام في هذا المقام كالكلام في قوله تعالى لا تدركه الابصار

وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وقد تقدم ذلك في الانعام وفي الكتب المتقدمة ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام يا موسى انه لا يراني حتى الامات ولا يابس الا تدهده ولهذا قال تعالى فلما تجلجى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا قال أبو جعفر بن جرير الطبري في تفسير هذه الآية حدثنا أحمد بن سهل الواسطي حدثنا قرة بن عيسى حدثنا الاعمش عن رجل عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلجى ربه للجبل أشار باصبعه فجعله دكا وأرانا أبو اسماعيل باصبعه السبابة هذا الاسناد فيه رجل مهم لم يسم ثم قال حدثني المنثي حدثنا حجاج بن منهال (٢٤٠) حدثنا حماد بن عمار عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية

فلما تجلجى ربه للجبل جعله دكا قال هكذا باصبعه ووضع النبي صلى الله عليه وسلم اصبعه الابهام على المقصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل هكذا وقع في هذه الرواية حماد بن سلمة عن ليث عن أنس والمشهور حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس كما قال ابن جرير حدثني المنثي حدثنا هدي بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما تجلجى ربه للجبل جعله دكا وقال ووضع الابهام قريبا من طرف خنصره قال فساخ الجبل قال حميد بن ثابت يقول هذا فرغ ثابت يده فضرب صدر حميد وقال يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقوله أنس وأنا أقسمه وهكذا رواه الامام أحمد في مسنده حدثنا أبو المنثي معاذ بن معاذ العنبري حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله فلما تجلجى ربه للجبل قال قال هكذا يعني أنه أخرج طرف الخنصر فقال له حميد الطويل ماتريد الى هذا فضرب صدره

بمعنى صار ذائلمة وذائضاء وفي الكلام شبه احتياك حيث حذف من كل ما أثبتته أو مقابله في الآخر حذف مظهرا للدلالة مبصرا عليه وحذف لتحر كوالدلالة لتسكنوا عليه وهذا أفصح الكلام (ان في ذلك) الجعل المذكور (لايات) بجمية كثيرة (لقوم يسهون) ما يسهون عليهم من الايات التنزيلية المنبهة على الايات التكوينية مما ذكره الله سبحانه ههنا منها ومن غيرها مما لم يذكره فعند السماع منهم لذلك يتفكرون ويعتبرون ويعلمون ان الذي خلق هذه الاشياء كلها هو الله المتفرد بالوحدانية في الوجود فيكون ذلك من أعظم أسباب الايمان (قالوا اتخذ الله ولدا) هذا نوع آخر من أباطيل المشركين وأهل الكتاب التي كانوا يتكلمون بها وهو زعمهم بان الله سبحانه اتخذ وتبنى ولدا فرد ذلك عليهم بقوله (سبحانه) فتنزهه جل وعلا عما نسبوه اليه من هذا الباطل العيين وكلمتهم الحقا وبين أنه (هو الغني) عن ذلك وان الولد انما يطلب لاجل الحاجة والغنى المطلق لا حاجة له حتى يكون له ولي يقضها واذا انتقت الحاجة اتبني الولد وأيضا انما يحتاج الى الولد من يكون بصدد الانقراض ليقوم بالوفاة مقامه والازل القديم لا ينمقر الى ذلك وقد تقدم تفسير الآية في البقرة ثم بالغ في الرد عليهم بما هم كالبرهان فقال (له ما في السموات وما في الارض) واذا كان الكمال له وفي ملكه فلا يصح أن يكون شيء مما فيه ما ولد له المناقاة بين الملك والنبوة والابوة ثم زيف دعواهم الباطلة وبين انها بلا دليل فقال (ان) أي ما (عندكم من سلطان) حجة وبرهان (بهذا) القول الذي تقولونه ومن زائدة للتأكيد ثم وجههم على هذا القول العاطل عن الدليل الباطل عند العقلاء (أقولون على الله ما لا تعلمون) استفهام توبيخ ويستفاد من هذا ان كل قول لا دليل عليه ليس هو من العلم في شيء بل من الجهل المحض ثم أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقول لهم قول لا يدل على أن ما قالوه كذب وان من كذب على الله لا يفلح فقال (قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) أي كل مفتر هذا شأنه ويدخل فيه فائل هذا القول دخولا أو ليا وذكرا الكذب مع الافتراء للتأكد كما سبق في مواضع من الكتاب العزيز والمعنى أن هؤلاء الذين يكذبون على ربهم لا يفوزون بمطلب من المطالب ولا يسعدون وان اغتروا بطول السلامة والبقاء في النعمة ثم بين سبحانه ان هذا الافتراء وان فاز صاحبه بشيء من المطالب العاجلة فهو

(متاع)

ضربة شديدة وقال من أنت يا حميد وما أنت يا حميد حدثني به أنس بن

مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول ماتريد اليه وهكذا رواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن عبد الوهاب بن الحكم الوراق عن معاذ بن معاذ بن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة قال هذا حديث حسن صحيح غريب لانعرفه الا من حديث حماد وهكذا رواه الحاكم في مستدرکه من طرق عن حماد بن سلمة وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخبر جاره ورواه أبو محمد الحسن بن محمد الخلال عن محمد بن علي بن سويد عن أبي القاسم البغوي عن هدي بن خالد عن حماد بن

سلمة فذكره وقال هذا اسناد صحيح لاعلا فيه وقد رواه اود بن المجر عن شعبة عن ثابت عن أنس مرفوعا بنحوه وأسنده ابن مردويه من طريقين عن سعد بن أبي عروة عن قتادة عن أنس مرفوعا ولا يصح أيضا رواه الترمذي وصححه الحاكم وقال على شرط مسلم وقال السدي عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله تعالى فلما تجبل ربه للجبل قال ما تجبل منه الا قدر الخنصر جعله دكا قال ترياوخر موسى صعقا قال معشيا عليه رواه ابن جرير وقال قتادة وخر موسى صعقا قال ميتا وقال سفيان الثوري ساخ الجبل في الارض حتى وقع في البحر فهو يذهب معه وقال سنيدي عن حجاج بن محمد الا عور عن أبي بكر الهذلي فلما تجبل ربه للجبل جعله دكا فتنفخ فدخل تحت الارض فلا يظهر الى يوم القيامة وجاء في بعض الاخبار انه ساخ في الارض فهو يموي فيها الى يوم القيامة رواه ابن مردويه وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن منبه حدثنا محمد بن يحيى أبو عسان الكاكي حدثنا عبد العزيز بن عمران عن معاوية بن عبد الله عن الجلبدين أيوب بن قرة عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجبل الله للجبال طارت لعظمته ستة اجبل فوقت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة بالمدينة أحد وورقان ورضوى ووقع بمكة حرا وثير وثور وهذا حديث غريب بل منكر وقال ابن أبي حاتم ذكر عن محمد بن عبد الله بن ابي البلخ حدثنا الهيثم بن خارجة (٢٤١) حدثنا عثمان بن حصين بن العلاف عن عروة

ابن زويم قال كانت الجبال قبل أن يتجلى الله لموسى على الطور صما ملاء فلما تجلى الله لموسى على الطور دك و تنفطرت الجبال فصارت الشقوق والكهوف وقال الربيع ابن أنس فلما تجبل ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وذلك ان الجبل حين كشف الغطاء ورأى النور صار مثل ذلك من الدكا وقال بعضهم جعله دكا أي قننة وقال مجاهد في قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترائي فانه أكبر منك وأشد خلقا فلما تجلى ربه للجبل فنظر الى الجبل لا يتمالك وأقبل الجبل فدك على أوله ورأى موسى ما يبسنع الجبل فخر صعقا وقال عكرمة جعله دكا قال نظر الله

(متاع) قليل (في الدنيا) ثم يتعقبه الموت والرجوع الى الله فيعذب المفترى عذابا مؤبدا والجملة مستأنفة لبيان ان ما يحصل للمفترى بافتراءه وما يتراى فيه بحسب الظاهر من نيل المطالب والحظوظ الدنيوية بمنزل أن يكون من جنس الفلاح وليس بفائدة يعتد بها بل هو متاع يسير في الدنيا يتعقبه الموت والعذاب الشديد بسبب الكفر الحاصل باسباب من جملتها الكذب على الله وليس بنافع في الآخرة وقال الاخفش ان التقدير لهم متاع في الدنيا وقال الكسائي ذلك متاع أو هو متاع (ثم الينا مرجعهم) بعد الموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد بما) أي بسبب ما كانوا يكفرون أي يجحدون في الدنيا من نعمة الله عليهم ويصفون به بما لا يليق بجلاله ولما بالغ سبحانه في تقرير البراهين الواضحة ودفع الشبهة المتناهية شرع في ذكر قصص الانبياء وما جرى لهم مع أممهم لما في ذلك من التسليمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاشوة بمن سلف من الانبياء ولما كان قوم نوح أول الامم هلاكا وأعظمهم كفرا وجودا ذكر الله قصتهم وأنه أهلكهم بالغرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال (واتل عليهم) أي على الكفار المعاصرين لك المعارضين لما جئت به بأقوالهم الباطلة (تبا نوح) أي خبره والنبأ هو الخبر الذي له خطر وشأن والمراد بعض ماجرى له مع قومه الذين كفروا بما جاء به كما فعله كفار قريش وأمثالهم (اذ) أي وقتان (قال لقومه) اللام لام التبليغ (يا قوم ان كان كبير) أي عظيم وثقل (عليكم

(٢٤١ - فتح البيان ح) الى الجبل فصار صخر اترابا وقد قرأ بهذه القراءة بعض القراء واختارها ابن جرير وقد ورد فيها حديث مرفوع رواه ابن مردويه والمعروف ان الصعق هو الغشى ههنا كما فسره ابن عباس وغيره لا كما فسره قتادة بالموت وان كان ذلك صحيحا في اللغة كقوله تعالى وتنفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون فان هنالك قرينة تدل على الموت كما ان هنالك قرينة تدل على الغشى وهي قوله فلما أفاق فانها لا تكون الا عن غشى قال سبحانه تنزيها وتعظيما واجلالا أن يراه أحد في الدنيا الامات وقوله تبت اليك قال مجاهد أن أسألك الرؤية وأنا أول المؤمنين قال ابن عباس ومجاهد من بنى اسرائيل واختاره ابن جرير وفي رواية أخرى عن ابن عباس وأنا أول المؤمنين أنه لا يراك أحد وكذا قال أبو العالية قد كان قبله مؤمنون ولكن يقول أنا اول من آمن بك انه لا يراك أحد من خلقك الى يوم القيامة وهذا قول حسن له اتجاه وقد ذكر محمد ابن جرير في تفسيره ههنا اثر اطوي بالافيه غرائب ومجائب عن محمد بن اسحق بن يسار و كانه تلقاه من الاسرائيليات والله أعلم وقوله وخر موسى صعقا فيه أبو سعيد وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فأما حديث أبي سعيد فأسنده البخاري في صحيحه ههنا فقال حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان بن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال جاء رجل من

اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم قد لطم وجهه وقال يا محمد ان رجلا من اصحابك من الانصار لطم في وجهي قال ادعوه فدعوه
 قال لم تلمت وجهه قال يا رسول الله اني مررت باليهودي فسمعته يقول والذي اصب طفني موسى على البشر قال فقلت وعلى محمد
 واخذتني غضبة فلطمته قال لا تخبروني من بين الانبياء فان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فاذا أنا بموسى
 آخذة بآئمة من قوائم العرش فلا أدري افاق قبلي أم جوزى بصعقة الطور وقد رواه البخارى في أما كن كثيرة من صحبته ومسلم في
 أحاديث الانبياء من صحبته وأبو داود في كتاب السنة من سننه من طرق عن عمرو بن يحيى بن عمار بن أبي الحسن المازني الانصاري
 المدني عن أبيه عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سمان الخدرى به وأما حديث أبي هريرة فقال الامام أحمد في مسنده حدثنا أبو
 كامل حدثنا ابراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعبد الرحمن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
 استب رجلان رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم والذي اصطفى محمدا على العالمين فقال اليهودي والذي اصطفى
 موسى على العالمين فغضب المسلم على اليهودي فلطمه فأتى اليهودي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فأخبره فدعا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فاعترف بذلك فقال (٢٤٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخبروني على موسى فان الناس

يصعقون يوم القيامة فأكون
 أول من يفيق فاذا موسى ممسكا
 بجنايب العرش فلا أدري أكان ممن
 صعق فأفاق قبلي أم كان ممن استثنى
 الله عز وجل أخرجه في الصحابين
 من حديث الزهري به وقد روى
 الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا رحمه
 الله ان الذي لطم اليهودي في هذه
 القضية هو أبو بكر الصديق رضي
 الله عنه ولكن تقدم في الصحابين
 انه رجل من الانصار وهذا هو أصح
 وأصح والله أعلم والكلام في قوله
 عليه السلام لا تخبروني على موسى
 كالكلام على قوله لا تفضلوني على
 الانبياء ولا على يونس بن متى قيل
 من باب التواضع وقيل قبل أن يعلم

مقامي) من باب الاسناد المجازي كقولهم نقل على ظله والمقام بفتح الميم الموضع الذي يقام
 فيه وبالضم مكان الإقامة أو الإقامة نفسها وقد اتفق القراء هنا على الفتح وقرأ أبو برة
 وأبو مجلز وابن الجوزي بالضم قال ابن عطية ولم يقرأ هنا بالضم وكأنه لم يطلع على قراءة
 هؤلاء وكفى بالمقام عن نفسه كما يقال فعلته لمكان فلان أي لاجله ومنه لمن خاف مقام
 ربه أي خاف ربه ويجوز أن يراد بالمقام المكث أي شق عليكم مكثي بين أظهركم لانه مكث
 فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ويجوز أن يراد بالمقام القيام لان الواعظ يقوم حال وعظه
 والمعنى ان كان كبير عليكم قيامي بالوعظ في مواطن اجتماعكم (و) كبير عليكم (تذ كبرى
 لكم) (بايات الله) التكوينية والتزيينية (فعلى الله توكلت) أي دمت على تخصيص
 التوكل به تعالى وهذه الجملة جواب الشرط والمعنى اني لأقابل ذلك منكم الابالتوكل
 على الله فان ذلك دأبى الذي انا عليه قد عاودنا ويجوز أن يراد احداث مرتبة
 مخصوصة من مراتب التوكل ويجوز أن يكون جواب الشرط فأجمعوا كما يأتي قاله
 الاكثرون والجملة اعتراض كقولك ان كنت أنكرت على شيا فألله حسبي وثقتى وقيل
 (فأجمعوا أمركم) عطف على الجواب وحزم السفاقي بان جوابه محذوف اي فافعلوا
 ما شئتم والمعنى اعزموا عليه من أجمع الامر اذا نواه وعزم عليه قاله القراء وروى عنه أجمع
 الشئ أعده وقال مؤرخ السدوسي أجمع الامر أفصح من أجمع عليه وقال أبو الهيثم أجمع

أمره

بوجه الغضب والتعصب وقيل على وجه القول بمجرد الرأى

والتشهي والله أعلم وقوله فان الناس يصعقون يوم القيامة الظاهر أن هذا الصعق يكون في عرصات القيامة يحصل أمر يصعقون
 منه والله أعلم به وقد يكون ذلك اذا جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء وتجلي للتلائق الملك الديان كما صعق موسى من تجلي الرب
 تبارك وتعالى ولهذا قال عليه السلام فلا أدري افاق قبلي أم جوزى بصعقة الطور وقد روى القاضى عياض في أوائل كتابه الشفاء
 بسنده عن محمد بن محمد بن مرزوق حدثنا قتادة حدثنا الحسن بن عباد بن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يصير الخلة على الصفا في الدلة الظلمة مسيرة عشرة فراسخ ثم قال ولا يبعد على هذا
 أن يختص نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والخطوة بما رأى من آيات ربه الكبرى انتهى ما قاله وكانه صحح هذا الحديث
 وفي صحته نظر ولا تخلوا رجال اسناده من مجاهيل لا يعرفون ومثل هذا انما يقبل من رواية العدل الضابط عن مثله حتى ينتهى الى
 منتهاه والله أعلم (قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له في
 الاواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين) يذكر تعالى انه

خاطب موسى بانه اصطفاه على اهل زمانه برسالاته وبكلامه تعالى ولا شك ان محمد صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم من الاولين
والاخرين ولهذا اختصه الله تعالى بان جعله خاتم الانبياء والمرسلين الذي تستقر شرعته الى قيام الساعة وآتاه اياه اكثر من اتباع
سائر الانبياء والمرسلين كلهم وبعده في الشرف والفضل ابراهيم الخليل عليه السلام ثم موسى كليم الرحمن عليه السلام ولهذا قال
تعالى له فخذ ما آتيتك اى من الكلام والمناجاة وكن من الشاكرين اى على ذلك ولا تطلب ما لا طاقة لك به ثم اخبر تعالى انه كتب
له في الاواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء قيل ان الاواح كانت من جوهر وانه تعالى كتب فيها مواظوا وحكما
مفصلة مبينة للعلل من الحرام وكانت هذه الاواح مشتملة على التوراة التى قال الله فيها اولقدا آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا
القرون الاولى بصائر للناس وقيل الاواح اعطياها موسى قبل التوراة فالتة اعلم وعلى كل تقدير كانت كالتعويض له عما سأل من
الرؤية ومنع منه والله اعلم وقوله فخذها بقوة اى بعزم على الطاعة وامر قومك ياخذوا باحسنها قال سفيان بن عيينة حدثنا ابو سعيد
عن عكرمة عن ابن عباس قال امر موسى عليه السلام ان ياخذها بشدأمر قوموه وقوله سأريكم دار الفاسقين اى سترون عاقبة
من خالف أمرى وخرج عن طاعتي كيف يصير الى الهلاك والدمار (٤٣٢) والتباب وقال ابن جرير وانما قال سأريكم دار الفاسقين

كما يقول القائل لمن يخاطبه سأريك
غدا الى ما يصير اليه حال من خالفنى
على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه
وخالف أمره ثم نقل معنى ذلك عن
مجاهد والحسن البصرى وقيل معناه
سأريكم دار الفاسقين اى من اهل
الشام واعظيكم اياها وقيل منازل
قوم فرعون والاول اولى والله اعلم لان
هذا كان بعد انفصال موسى وقومه
عن بلاد مصر وهو خطاب لبنى
اسرائيل قبل دخولهم التبة والله
اعلم (سأصرف عن آياتي الذين
يتكبرون فى الارض بغير الحق وان
يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا
سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا وان
يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك
بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها

أمره جعله جميعا بعدما كان متفرقا وتفرقه ان يقول مرة أفعل كذا ومرة أفعل كذا فلما
عزم على أمر واحد فقد جمعه اى جعله جميعا فلهذا هو الاصل فى الاجماع ثم صار يعنى العزم
والتصميم يقال أجمع فى المعانى وجمع فى الايمان وقد يستعمل كل واحد مكان الآخر وفى
التزويل جمع كيدته قال ابن البارى المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير
لا تدعوا من أمرهم شىء الا حضرتموه (وشركاءكم) اى ادعواهم انصرتكم قاله الكسائى
والفراء وقال الزجاج والفارسي والمعنى مع شركائكم ولم يذكروا شركائهم غير هذا وقيل
أجمعوا شركاءكم وفى مصحف أبى وادعوا شركاءكم قال النحاس وغيره وقراءة الرفع بعيدة
وقال الهذلي يجوز رفع الشركاء بالابتداء وان لم يجر محذوف اى وشركاؤكم ليجمعوا
أمرهم ونسبة ذلك الى الشركاء مع كون الاصنام لا تعقل لقصد التوبيخ والتقريع لمن
عبدها (ثم لا يكن أمرهم عليكم غممة) اى خفيا والغمة التغطية من قولهم غم الهلال اذا
استتر اى ليكن أمرهم كما ظهر اتمكشفا قاله الزجاج وقال الهيثم معناه لا يكن أمرهم
مبهما وقيل ان الغمة ضيق الامر كذا روى عن أبى عبيدة والمعنى لا يكن أمرهم عليكم
بصاحبتى والجمالة لى ضيقا شديد ابل ادفعوا هذا الضيق والشدة بما شئتم وقدرتم عليه
وعلى الوجهين الاولين يكون المراد بالامر الثانى هو الامر الاول وعلى الثالث يكون
المراد غيرهما وانما نسب عدم الاستراذى هو عدم الغمة الى الامر بالغمة (ثم اقضوا الى ذلك

غافلين والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجوزون الاما كانوا يعملون) يقول تعالى سأصرف عن آياتي الذين
يتكبرون الاية اى سأمنع فهم الحجج والادلة الدالة على عظمتى وشريعتى وأحكى قلوب المتكبرين عن طاعتي ويتكبرون على الناس
بغير حق اى كما استكبروا بغير حق اذ لهم الله بالجهل كقوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وقوله تعالى فلما
زاغوا زأغ الله قلوبهم وقال بعض أهل العلم لا ينال العلم حى ولا مستكبر وقال آخر من لم يصبر على ذل التعلم ساعة بقي فى ذل الجهل
أبدا وقال سفيان بن عيينة فى قوله سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق يقول انزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم
عن آياتي قال ابن جرير وهذا يدل على انه خطاب لهذه الامة قلت ليس هذا بل لازم لان ابن عيينة انما أراد ان هذا ما طرف فى حق
كل أمة ولا فرق بين أحدوا وحدي فى هذا والله اعلم وقوله وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها كقوله تعالى ان الذى حققت عليهم كلمة ربك
لا يؤمنون الاية وقوله وان يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا اى وان ظهر لهم سبيل الرشداى طريق النجاة لا يسلكونها وان
ظهر لهم طريق الهلاك والضلال يتخذوه سبيلا ثم علل مصيرهم الى هذه الحال بقوله ذلك بانهم كذبوا باياتنا اى كذبت بها
قلوبهم وكانوا عنها غافلين اى لا يعملون بما فيها وقوله والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم اى من فعل ذلك

منهم واستمر عليه الى الممات حبط عمله وقوله هل يجوزون الاما كانوا يعملون أى انما تجاوزهم بحسب أعمالهم التى اسلفوها ان خيرا
 نغير وان شرافشر وكاتدين تدان (واتخذ قوم موسى من بعدهم من حلهم بجلا جسد الخوار لم ير والله لا يكلمهم ولا يهدى سبيلا
 اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرجنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين) يخبر تعالى عن
 ضلال من ضل من بنى اسرائيل في عبادتهم العجل الذى اتخذوه لهم السامرى من حلى القبط الذى كانوا يستعارونه منهم فشكل لهم
 منه عجلا ثم اتى فيه القبضة من التراب التى أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام فصارت عجلا جسدا له خوار وانوار صوت البقر
 وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى ليقابته تعالى واعلمه الله تعالى بذلك وهو على الطور حيث يقول تعالى اخبارا عن نفسه الكريمة
 فان اقدفتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى وقد اختلف المفسرون في هذا العجل هل صار لحمارا وماله خوارا واستمر على كونه من
 ذهب الا أنه يدخل فيه الهوا فيصوت كالقر على قولين والله أعلم ويقال انهم لما صوت لهم العجل رقصوا وحوله واقتنوا به وقال
 هذا الهكم واله موسى فسمى فقال الله تعالى أفلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا وقال في هذه الآية الكريمة
 ألم يروا انه لا يكلمهم ولا ينكر تعالى عليهم (٢٤٤) في ضلالهم العجل وذوهم عن خالق السموات والارض ورب كل شى ومليكه أن

عبدوا معه بجلا جسد الخوار لا يكلمهم ولا يرشدهم الى خير ولكن
 عطى على عين بصائرهم عمى الجهل
 والضلال كما تقدم من رواية الامام
 أحمد وأبي داود عن أبي الدرداء قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حبل الشئ يعصى ويصم وقوله
 ولما سقط في أيديهم أى ندموا على
 على ما فعلوا ورأوا أنهم قد ضلوا
 قالوا لئن لم يرجنا ربنا ويغفر لنا
 لنكونن من الخاسرين وقرأ بعضهم
 لان لم تغفر لنا بالتاء المشناة من فوق
 ربنا منادى وتغفر لنا لنكونن من
 الخاسرين أى من الهالكين هذا
 اعتراف منهم بذنبهم والتجاء الى الله
 عز وجل (ولما رجع موسى الى قومه
 غضبان أسفا قال بئسما خلقتمونى

الامر الذى تريدونه بي وأصل اقضوا من القضاء وهو الاحكام والمعنى احكموا ذلك الامر
 قال الاخفش والكسائى هو مثل وقضينا اليه ذلك الامر أى أنه يناله اليه وأبلغناه اياه
 وقيل معناه ثم امضوا الى قال الخاسر هذا قول صحيح في اللغة ومنه قضى الميت مضى وعن
 بعض القراء ثم اقضوا بالقاء أى توجهوا (ولا تنتظرون) أى ثم اتاهلوني ولا تؤخروني بل
 عملوا أمركم ونفذوا واصنعوا ما بدمكم وفي هذا الكلام من نوح عليه السلام ما يدل
 على وثوقه بنصره وعدم ميله اليه بما يتوعد به قومه ثم بين لهم ان كل ما اتى به اليهم من
 الاعذار والانداز وتبليغ الشريعة عن الله ليس هو اطمع دينوى ولا لغرض خسيس
 فقال (فان توليتم) أى ان اعرضتم عن العمل بصحى اكم وتذكري اياكم والنساء لترتيب
 ما بعدها على ما قبلها (فاسألتكم) في مقابلة ذلك عليه (من أجر) تؤذونه الى حتى تهمنى
 فيما جئت به والقاء جزائية (ان أجرى) أى ما أتوا به في النصيح والتذكير (الاعلى الله)
 سبحانه فهو يثيبى آمنتم او توليتم (وامرت أن أكون من المسلمين) المتقادين لحكم الله
 الذين يجعلون أعمالهم خالصة لله سبحانه لا يأخذون عليها أجر ولا يطعمون في عاجل أو من
 المستسلمين لكل ما يصعب من البلاء (فكذبوه) أى استمروا على تكذيبه واصرروا على
 ذلك وليس المراد احدثوا تكذيبه بعد أن لم يكن (فنجينا) أى نوحا عليه السلام (ومن
 معه) أى من قدا جابه وصار على دينه وكانوا ثمانين أربعين رجلا وأربعين امرأة (في القلک)

من بعدى أعلمتم امر ربكم رأى الاواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال ابن أم ان القوم استضعفوني وكادوا
 يقتلونى فلا تشمت بي الاعداء ولا تتجلى مع القوم الظالمين قال رب اغفر لى ولا تخى وادخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين) يخبر
 تعالى ان موسى عليه السلام لما رجع الى قومه من مناجاة رب تعالى وهو غضبان أسف قال أبو الدرداء الأسف أشد الغضب قال
 بئسما خلقتمونى من بعدى يقول بئسما صنعتم في عبادتكم العجل بعد أن ذهبت وتركتكم وقوله أعلمتم امر ربكم أى استجلمتم
 بحجى اكم وهو مقدر من الله وقوله وألقى الاواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قيل كانت الاواح من زمر ذو قيل من ياقوت وقيل
 من برد وقيل من سدرو فى هذا دلالة على ما جاء فى الحديث ليس الخبز كالعامة ثم ظاهر السياق انه انما اتى الاواح غضبا على قومه
 وهذا قول الجمهور سلفا وخلفا وروى ابن جرير عن قتادة فى هذا قولاً غريباً لا يصح اسناده الى حكاية قتادة وقد رده ابن عطية وغير
 واحد من العلماء وهو جدير بالرد كما أنه تلقاه قتادة عن بعض اهل الكتاب يفهم كذا بون ووضعون وأفا كون وزنا ذقة وقوله وأخذ
 برأس أخيه يجره اليه خوفاً ان يكون قد قصر في فهمهم كما قال فى الآية الأخرى قال ياهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت
 أمرى قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم تر قب قولى وقال ههنا ابن أم ان القوم
 استضعفوني وكادوا يقتلونى فلا تشمت بي الاعداء ولا تتجلى مع القوم الظالمين أى لا تسقنى مساقهم ولا تخططنى معهم وانما قال ابن أم

ليكون ارق وأنجع عنده والافهوشيقه لاسيه وامة فلما تحقق موسى عليه السلام براءة ساحه هرون قال كما قال تعالى ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما قد نتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى فعند ذلك قال موسى رب اغفرلى ولا تخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين قال ابن ابي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرحم الله موسى ليس المعادين كالخبر أخبره به عز وجل ان قومه فتسوا بعده فلم يبق الا الواح فلما رآهم وعيايتهم ألقى الواح (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها الغفور الرحيم) اما الغضب الذى نال بنى اسرائيل فى عبادة العجل فهو ان الله تعالى لم يقبل لهم توبة حتى قتل بعضهم بعضا كما تقدم فى سورة البقرة فتبوا الى بارئكم فاقبلوا أنفسكم ذاكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم واما الذلة فأعقبهم ذلك ذللا وصغارا فى الحياة الدنيا وقوله وكذلك نجزي المفترين ناله لكل من افترى بدعة فان ذل البدعة ومخالفة الرسالة منفصلة من قلبه على كتفيه كما قال الحسن البصرى ان ذل البدعة على أكتافهم وان هم لجت بهم البغال وطقطقت بهم البراذين (٢٤٥) وهكذا روى أيوب عن أبي قلابة الجرمى انه قرأ هذه الآية وكذلك نجزي المفترين قال

أى السفينة والمفرد على وزن قفل والجمع على وزن أسد والمراد هنا المفرد (وجعلناهم) أى الذين نجباهم معه فى الفلك جلا على معنى من (خلائف) جمع خليفة والمعنى انه سبحانه جعلهم خلفاء يسكنون الارض التى كانت لله ملكين بالغرق ويخلفونهم فيها (وأغرقنا) بالظوفان (الذين كذبوا بآياتنا) من الكفار المعاندين لنوح الذين لم يؤمنوا به تأخيره عن ذكر الانجاء والاستخلاف حسبما وقع فى قوله تعالى ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا الآية لاظهار كمال العناية بشأن المتمدن ولتجميل المسرة للسامعين وللايدان بسبق الرحمة التى هى من مقتضيات الربوبية على الغضب الذى هو من مستتبعات جرائم المجرمين (فانتظر كيف كان عاقبة المذنبين) من اهلا كههم فكذلك نفعل عن كذبك فيه تسليمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتمديد للمشركين وتمويل عليهم (ثم بعثنا من بعده) أى من بعد نوح عليه السلام (رسلا الى قومهم) لم يسم هنامن كان بعد نوح من الرسل وقد كان بعده هود وصالح و ابراهيم ولوط وشعيب (بخافهم بالبينات) أى بالمعجزات الباهرات والدلالات الواضحات وبما أرسلهم الله به من الشرائع التى شرعها للقوم كل نبى (فما كانوا يؤمنوا) اى فما أحدثوا الايمان بل استمروا على الكفر وأصرواعليه والمعنى انه ما صح ولا استقام للقوم من أولئك الاقوام الذين أرسل الله اليهم رسله ان يؤمنوا فى وقت من الاوقات (بما كذبوا به من قبل) أى من قبل تكذيبهم الواقع منهم عند مجئ الرسل اليهم والمعنى ان كل قوم من العالم

هى والله لكل مفتر الى يوم القيامة وقال سفيان بن عيينة كل صاحب بدعة ذليل ثم نبه تعالى عباده وأرشدهم الى انه يقبل التوبة من أى ذنب كان حتى ولو كان من كفر أو شرك أو نفاق أو شقاق ولهذا عقب هذه القصة بقوله والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك أى يا محمد يا رسول الرحمة ونبي النور من بعدها أى من بعد تلك الفعلة لغفور رحيم وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا ابيان حدثنا قتادة عن عروة عن الحسن العربى عن علقمة عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن

ذلك يعنى عن الرجل يرنى بالمرأة ثم يتزوجها فتلا هذه الآية والذين عملوا السيئات الآية فتلاها عبد الله عشر مرات فلم يأمرهم بها ولم ينههم عنها (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) يقول تعالى ولما سكت أى سكن عن موسى الغضب أى غضبه على قومه أخذ الواح أى التى كان ألقاها من شدة الغضب على عبادتهم العجل غيرة لله وغضبا له وفى نسختها هدى ورحمة يقول كثير من المفسرين انه لما ألقاها تكسرت ثم جمعها بعد ذلك ولهذا قال بعض السلف فوجدت فيها هدى ورحمة وأما التفصيل فذهب وزعموا ان رضاهم لم يزل موجودا فى خزائن الملوكة من بنى اسرائيل الى الدولة الاسلامية والله أعلم بصحة ذلك وما الدليل القاطع على انها تكسرت حين ألقاها وهى من جوهر من الجنة وقد أخبر تعالى انه لما أخذها بعد ما ألقاها وجد فيها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ضمن الرهبة معنى الخضوع ولهذا اعداها باللام وقال قتادة فى قوله تعالى أخذ الواح قال رب انى أجد فى الواح أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أجد فى الواح أمة هم الآخرون السابقون أى آخرون فى الخلق سابقون فى دخولهم الجنة رب اجعلهم أمتى قال تلك أمة أجد قال رب انى أجد فى الواح أمة انا جعلهم فى صدورهم يقرؤونها وكان من قبلهم يقرؤون كتابهم

نظرا حتى اذ ارفعوا هالم يحفظوا شيئا ولم يعرفوه وان الله اعطاكم ايها الامة من الحفظ شيئا لم يعطه احد من الامم قال رب اجعلهم
 امي قال تلك امة اجدد قال رب اني اجدد في الاواح امة يؤمنون بالكتاب الاول وبالكتاب الاخر يقا تلون أهل الضلالة حتى
 يقا تلوا الاعور الكذاب فاجعلهم امي قال تلك امة اجدد قال رب اني اجدد في الاواح امة صدقاتهم يا كلونها في بطونهم ويؤجرون
 عليهم او كان من قبلهم من الامم اذ تصدق بصدقة فقبات منه بعث الله عليهم انارافا كانه وان ردت عليهم تركت فتا كلها السباع
 والطيور وان الله اخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم قال رب اجعلهم امي قال تلك امة اجدد قال رب اني اجدد في الاواح امة اذا هم
 احدهم بحسنة لم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر امثالها الى سبع مائة رب اجعلهم امي قال تلك امة اجدد قال
 رب اني اجدد في الاواح امة هم يشفعون والمشفوع لهم فاجعلهم امي قال تلك امة اجدد قال رب اني اجدد في الاواح امة اذا هم
 عليه السلام اخذ الاواح وقال اللهم اجعلني من امة احمد (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال
 رب لو شئت اهلكتهم من قبل وياي اهل الكتاب ما فعل السفهاء منا ان هي الافتتكت تضل بهم ان تشاء وتهدى من تشاء انت ولينا
 فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين (٢٤٦) واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال علي بن ابي

طالحة عن ابن عباس في تفسير هذه
 الآية ان الله امره ان يختار من
 قومه سبعين رجلا فاختر سبعين
 رجلا فوفد بهم ليدعوا ربهم وكان
 فيما دعوا الله ان قالوا اللهم اعطنا
 ما لم تعطه احد من قبلنا ولا تعطه
 احد بعدنا ففكره الله ذلك من
 دعائهم فاخذتهم الرجفة قال
 موسى رب لو شئت اهلكتهم الآية
 وقال السدي ان الله تعالى امر موسى
 ان ياتي به في اناس من بني اسرائيل
 يعتذرون اليه من عبادة العجل
 ووعدهم موعدا فاختر موسى من
 قومه سبعين رجلا على عينه ثم ذهب
 بهم ليعتذروا فلما اتوا ذلك المكان
 قالوا لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى

لم يؤمنوا عند ان ارسل الله اليهم الرسول المبعوث اليهم على الخصوص بما كانوا مكذبين به
 من قبل مجيئه اليهم لانهم كانوا غير مؤمنين بل مكذبين بالدين ولو كانوا مؤمنين لم يبعث اليهم
 رسولا وهذا مبني على ان الضمير في كانوا وكذبوا راجع الى القوم المذكورين في قوله الى
 قومه وقيل ضمير كذبوا راجع الى قوم نوح اى فا كان قوم الرسل يؤمنوا بما كذب به قوم
 نوح وقيل المعنى بما كذبوا به من قبل اى في عالم النذر (كذلك) اى مثل ذلك الطبع العظيم
 المحكم (نطبع) بنون العظمة وقرئ بالياء على ان الضمير لله (على قلوب المعتدين) اى
 المتجاوزين للحدود والمعهود في الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق
 الرشاد وذلك بخذلانهم وتخليبهم وشأنهم لانهم كهم في الغي والضلال وقد تقدم تفسير
 هذا في غير موضع (ثم بعثنا من بعدهم) اى بعد الرسل المتقدم ذكرهم وخص (موسى
 وهرون) بالذ كرمع دخولهما تحت الرسل لمزيد شرفهما وخطر شأن ماجرى بينهما وبين
 فرعون (الى فرعون وملئه) المراد بالمللا الاشراف هكذا قرر به بعض المفسرين وقرر
 بعضهم ان المراد بالمللا هنا مطلق القوم من استعمال الخاص في العام وهو ظاهر صنيع
 السيوطي في الجلالين (باياتنا) اى محصورين بالمعجزات وهى التسع المذكورة في الكتاب
 العزيز (فاستكبروا) عن قبولها ولم يتواضعوا لها ولم يدعوا لها اشتملت عليه من المعجزات
 الموجبة تصديق من جاءها والاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة وقيل

الله جهره فانك قد كلمته فارناه تاخذتهم الصاعقة فأتوا مقام موسى يبكي

عن

ويقول يارب ماذا اقول لبني اسرائيل اذ القيمة وقد اهلكت خياريهم رب لو شئت اهلكتهم من قبل وياي وقال محمد بن اسحق
 اختر موسى من بني اسرائيل سبعين رجلا الخير فخير وقال انطلقوا الى الله فتمتوا اليه مما صنعتهم واسألوه التوبة على من تركتم
 وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا واطهروا ثيابكم فخرج بهم الى طور سيناء فقبات وقته له ربه وكان لا ياتيه الا باذن منه وعلم فقال
 له السبعون فيما ذ كر لي حين صنعوا ما امرهم به وخرجوا معه للقائه لموسى اطلب لنا سمع كلام ربنا فقال افعلى فلما نادى موسى
 من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى غشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنووا وكان موسى اذا كلمه الله وقع على
 جبهة موسى نور ساطع لا يستطيع احد من بني آدم ان ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا
 سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يا امره وينهاه افعلى ولا تفعل فلما فرغ اليه من امره وانكشف عن موسى الغمام اقبل اليهم فقالوا
 لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره فاخذتهم الرجفة وهى الصاعقة فالتقت ارواحهم فأتوا مقام موسى يناشد ربه
 ويدعوه ويرغب اليه ويقول رب لو شئت اهلكتهم من قبل وياي قد سفهوا واتهمك من ورائى من بنى اسرائيل وقال سفيان الثوري

حدثني ابو اسحق عن عمارة بن عبد السلولى عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه قال انطلق موسى وهرون وشبير وشبير فانطلقوا الى
 سفح جبل فقام هرون على سرير فتوفاه الله عز وجل فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا له أين هرون قال توفاه الله عز وجل فلما
 رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا انت قتلتهم حسداً على خلقه ووليتهم أو كلمة نحوها قال فاخترنا ومن شئتم قال فاخترنا واسبعين
 رجلاً قال فذلك قوله تعالى واخترنا موسى قومه سبعين رجلاً فلما انتهبوا اليه قالوا يا هرون من قتلنا قال ما قتلنى ولكن توفانى الله
 قالوا يا موسى ان تعصى بعد اليوم قال فاخذتهم الرجفة قال فرجع موسى عليه السلام يرجع عينا وشمالا وقال يا رب لو شئت
 أهلكهم من قبل واياي أتهلك كما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تفضل بهم ان تشاء وتهدى من تشاء قال فأحياهم الله وجعلهم
 انبياء كلهم هذا اثر غريب جدا وعمارة بن عبد هذا لا أعرفه وقد رواه شعبة عن ابى اسحق عن رجل من بني سلول فذكره وقال ابن
 عباس وقناة ومجاهد وابن جرير انما أخذتهم الرجفة لانهم لم يزيلاوا قومهم في عبادتهم العجل ولا نوهوهم ويتوجه هذا القول
 بقول موسى أتهلك كما فعل السفهاء منا وقوله ان هي الا فتنتك اى ابتلاك واختبارك وامتحانك قاله ابن عباس وسعيد بن جبير
 وأبو العالية والربيع بن انس وغير واحد من علماء السلف والخلف (٢٤٧) ولا معنى له غير ذلك يقول ان الامر الا امرك وان

الحكم الا لك فاشئت كان تفضل من
 تشاء وتهدى من تشاء ولا هادى
 لمن أضلت ولا مضل لمن هدى ولا
 معطى لما منعت ولا مانع لما اعطيت
 فالملك كله لك والحكم كله لك لك
 الخلق والامر وقوله أنت ولينا
 فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين
 الغفر هو الاستر وتترك المؤاخذه
 بالذنب والرجة اذا قرنت مع الغفر
 يراد بها أن لا يوقعه في مثله في المستقبل
 وانت خير الغافرين اى لا يغفر
 الذنوب الا انت واكتب لنا فى هذه
 الدنيا حسنة وفى الآخرة هناك
 الفصل الاول من الدعاء رفع المحذير
 وهذا التحصيل المتصود واكتب
 لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة

عن الايمان موسى وهرون والاول اولى (وكانوا قومًا مجرمين) اى كانوا ذوى اجرام عظام
 وآثام كبيرة فيسبب ذلك جبر وأعلى ردها لأن الذنوب تحول بين صاحبها وبين ادراك
 الحق وابصار الصواب قيل وهذه الجملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها (فلما جاءهم) اى
 فرعون وملاؤه (الحق) اى المعجزات التسع (من عندنا قالوا ان هذا سحر من اى لم
 يؤمنوا بما بل جلاها على السحر مكابرة منهم (قال موسى) اى جلا ثلاثا الاولى (أتقولون
 للحق لما جاءكم) قيل فى الكلام حذف والتقدير أتقولون للحق سحر فلا تقولوا ذلك ثم
 استأنف انكارا آخر من جهة نفسه فقال (أسحر هذا) وهى الثانية والمجئى الى هذا أنهم
 لم يستفهموه عن السحر حتى يحكى ما قالوه بقوله أسحر هذا بل هم قوم قاطعون بانه سحر
 لانهم قالوا ان هذا الاسحار من خيئتد لا يكون قوله أسحر هذا من قولهم وقال الاخفش
 هو قولهم وفيه نظر لما قدمنا وقيل معنى أتقولون أتعيبون الحق وتطعنون فيه وكان
 عليكم أن تدعوا له ثم قال أسحر هذا منكر لما قالوه والاستفهام للتقرير والتوبيخ
 بعد الجملة الاولى المستأنفة والمعنى أتقولون للحق لما جاءكم ان هذا السحر مبین وهو أبعد
 شى من السحر ثم انكر عليهم وقرعهم ووجعهم فقال أسحر هذا فخا موسى عليه السلام
 بانكار بعد انكار وتوبيخ بعد توبيخ وتجهيل بعد تجهيل والثالثة (ولا يفلح الساحرون)
 اى والحال كذا فلا يظفرون بطلوب ولا يفوزون بخير ولا ينجون من مكروه فكيف

اى اوجب لنا واثبت لنا فيها حسنة وقد تقدم تفسير الحسنة فى سورة البقرة انا هدانا اليك اى تبنا ورجعنا وانبنا اليك قاله ابن
 عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وأبو العالية والبخاري وابراهيم التيمي والسدي وقناة وغير واحد وهو كذلك لغة وقال ابن جرير
 حدثنا ابن وكيع حدثنا ابى عن شريك عن جابر عن عبد الله بن يحيى عن علي قال انما سميت اليهود لانهم قالوا انا هدانا اليك جابر
 هو ابن يزيد الجعفي ضعيف (قال عبد ابى أصيب به من اشاء ورجتى وسعت كل شى ففسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم
 بآياتنا يؤمنون) يقول تعالى مجيبا لموسى فى قوله ان هي الا فتنتك الآية قال عبد ابى أصيب به من اشاء ورجتى وسعت كل شى اى
 أفعل ما أشاء وأحكم ما أريدولى الحكمة والعهد فى كل ذلك سبحانه لا اله الا هو وقوله تعالى ورجتى وسعت كل شى آية عظيمة
 الشمول والعموم كقوله تعالى اخبارا عن جملة العرش ومن حوله انهم يقولون ربنا وسعت كل شى رحمة وعلمنا وقال الامام أحمد
 حدثنا عبد الصمد حدثنا ابى حدثنا الحريري عن ابى عبد الله الجشمي حدثنا جندب هو ابن عبد الله الجبلي رضى الله عنه قال جاء
 اعرابي فاناخ راحلته ثم عقلاها ثم صلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى راحلته فأطلق
 عقلاها ثم ركبها ثم نادى اللهم ارجنى ومحمد اولاً وتشرك فى رحمتنا أحدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتقولون هذا أضل أم

بعبره ألم تسمعوا ما قال قالوا بلى قال لقد حجرت رجة واسعة ان الله عز وجل خلق مائة رجة فأرزل رجة سعاطف بها الخلق جنها وأنسها وبها تمها وأخر عنده تسعاً وتسعين رجة تقولون هو أفضل أم بعبره رواه أحمد وأبو داود وعن علي بن نصر عن عبد الصمد بن عبد الوارث به وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا يحيى بن سعيد عن سليمان بن أبي عثمان عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله عز وجل مائة رجة فمنها رجة يتراحم بها الخلق وبها تعطف الوحوش على أولادها وأخر تسعة وتسعين الى يوم القيامة تفرد بإخراجه مسلم فرواه من حديث سليمان بن طرخان وداد بن أبي هند كلاهما عن أبي عثمان واسمه عبد الرحمن بن مل عن سلمان الفارسي وقال الامام أحمد حدثنا عفان بن حماد عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله مائة رجة عنده تسعة وتسعون وجعل عندكم واحدة تتراحون بها بين الجن والانس وبين الخلق فاذا كان يوم القيامة ضمها اليه تفرد به أحمد من هذا الوجه وقال أحمد حدثنا عثمان حدثنا عبد الواحد حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله مائة رجة فقسّم منها جزءاً واحداً بين الخلق يتراحم الناس والوحش والطير ورواه ابن ماجه من حديث أبي معاوية عن الاعمش به (٢٤٨) وقال الحافظ أبو القاسم الطبري حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا

يقع في هذا من هو مرسل من عند الله وقد أيده بالمعجزات والبراهين الواضحة وحاصل السحر تعويبه وتخييل وصاحب ذلك لا يفتح أبداً (قالوا أجنتمنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا) مستأنفة قال مجاهد تلويها وتصرفنا وقال السدي لتصدنا عن آلهتنا وفي هذا ما يدل على انهم انقطعوا عن الدليل وعزوا عن ابراز الحجّة ولم يجدوا ما يجيبون به عما أورده عليهم بل لجؤا الى ما يلجأ اليه أهل الجهل والبلادة وهو الاحتجاج بما كان عليه آبؤهم من الكفر وضموا الى ذلك ما هو غرضهم وغاية مطلبهم وسبب مكابرتهم للحق وجحودهم للايات البينة وهو الرياسة الدنيوية التي خافوا عليها وظنوا انها ستذهب عنهم ان آمنوا وتم بقى على الباطل وهو يعلم انه باطل بهذه الزريعة من طوائف هذا العالم في سابق الدهور ولا حجة ففهم من حبسه ذلك عن الخروج من الكفر ومنهم من حبسه عن الخروج الى السنة من البدعة والى الرواية الصحيحة من الرأى البحت قال أبو السعود استئناف بياني مسوق لبيان انه عليه السلام ألتمهم الخرج فأنقطعوا عن الاتيان بكلام له تعلق بكلامه صلى الله عليه وآله وسلم فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا الى التثبت بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز محجوج وديدن كل عاند لدود انتهى واللفت والقتل اخوان وكلاهما من باب ضرب يقال لفته لفتنا اذا صرفه عن الشيء ولواه عنه وفي السمين اللفت اللى والصرف يقال لفته عن رأيه اذا صرفه ولواه عنه الى ذات اليمين أو الشمال

أحمد بن يونس حدثنا سعد أبو عمران الشيباني عن حماد بن أبي سليمان عن ابراهيم عن صلة بن زفر عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده لا يدخلن الفاجر في دينه الا جق في معيشته والذي نفسى بيده لا يدخلن الجنة الذي قد (١) كمنه النار يدينه والذي نفسى بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة يتناول لها ابليس رجاء أن تصيبه هذا حديث غريب جدا وسعد هذا الأعرافه وقوله فسا كتبها للذين يتقون الآية يعنى فساوجب حصول رجاتى منه منى واحسانا اليهم كما قال تعالى

وقال

كبر ربكم على نفسهم الرجة وقوله للذين يتقون أى ساجعها للمتمتعين بهذه الصفات وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يتقون أى للشرك والعظام من الذنوب قوله ويؤتون الزكاة قيل زكاة النفوس وقيل الاموال ويحتمل أن تكون عامة لهما فان الآية مكية والذين هم بآياتنا يؤمنون أى يصدقون (الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يجدهونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يا مرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يجدهونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل وهذه صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى كتب الانبياء بشر وأممهم ببعثه وأمرهم بما بعثه ولم تزل صفاته موجودة فى كتبهم يعرفها علماءهم وأخبارهم كما روى الامام أحمد حدثنا اسمعيل عن الجريري عن أبي نضر العقيلي حدثني رجل من الاعراب قال جابت حلوة الى المدينة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغت من بيعي قلت لاقين هذا الرجل فلا سمع منة قال فلتقاني بين أبى بكر وعمر يشون قبيحهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها يعزى بها نفسه عن ابن له فى الموت كما جمل القتيان وأحسنها (١) قوله كمنه كذا بالانسخة التى بأيدينا وليحرف لفظ الحديث اه

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي فقال برأسه هكذا أي لا فقال
 ابنه أي والذي أنزل التوراة أنا نجد في كتابنا صفتك ومخرجك واني أشهد أن لا إله الا الله وانك رسول الله فقال أقوم اليهودي عن
 أخيكم ثم تولى كفته والصلاة عليه هذا حديث جيد قوي له شاهد في الصحيح عن أنس وقال الحاكم صاحب المستدرک أخبرنا محمد
 ابن عبد الله بن اسحق البغوي حدثنا ابراهيم بن الهيثم البلدي حدثنا عبد العزيز بن مسلم بن ادریس عن شرحبيل بن مسلم عن أبي
 أمامة الباهلي عن هشام بن العاص الاموي قال بعثت أنا ورجل آخر الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فخر جناحتي وقدمنا
 الغرطة يعني غوطة دمشق فنزلنا على جبله بن الايهم الغساني فدخلنا عليه فاذا هو على سريره فأرسل الينا رسول نكلمه فقلنا
 والله لا نكلم رسولنا انما بعثنا الى الملك فان أذن لنا كئنا والالم نكلم الرسول فرجع اليه الرسول فاخبره بذلك قال فأذن لنا فقال
 تكلموا فكلهم هشام بن العاص ودعاه الى الاسلام فاذا علمه شياب سود فقال له هشام وما هذه التي عليك فقال لبستها وحلفت أن
 لا أزعها حتى أخرجكم من الشام قلنا ومجسك هذا والله لتأخذنه منك ولتأخذن ملك الملك الاعظم ان شاء الله أخبرنا بذلك نينا
 محمد صلى الله عليه وسلم قال لستم بهم بل هم قوم يصومون بالنهار (٢٤٩) ويقومون بالليل فكيف صومكم فأخبرنا فغلي

وجهه سوادا فقال قوموا وبعث
 معنار رسولنا الى الملك فخر جناحتي
 اذا تكافريين من المدينة قال لنا
 الذي معنا ان دوابكم هذه
 لا تدخل مدينة الملك فان شئتم
 حملناكم على براذين من بغال قلنا
 والله لا ندخل الاعليها فأرسلوا الى
 الملك انهم يأبون ذلك فأمرهم أن
 ندخل على رواجنا فدخلنا عليها
 متقلدين سبوقنا حتى انتهينا الى
 غرفة له فأنشأنا في أصلها وهو يتظر
 الينا فقلنا لا إله الا الله والله أكبر
 فالتهم يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى
 صارت كأنها عذق تصفقه الرياح
 قال فأرسل الينا ليس لكم ان
 تجهروا علينا بدينكم وأرسل الينا

وقال الازهرى لفت الشئ وفتله لواه وهذا من المقلوب قلت ولا يدعى فيه قاب حتى يرجح
 أحد اللفظين في الاستعمال على الآخر أي تريد ان تصر فناعن الشئ الذي وجدنا عليه
 آباءنا وهو عبادة الاصنام (وتكون لك) أي لموسى وهرون (الكبرياء) مصدر على وزن
 فعليا ومعناها العظمة والملك والسلطان (في الارض) أي مصر وفيه خمسة أوجه
 جوزها أبو البقاء أحدها أن يكون متعلقا بنفس الكبرياء الثاني أن يتعلق بنفس تكون
 الثالث أن يتعلق بالاستقرار في لكونه خيرا الرابع أن يكون حال من الكبرياء الخامس
 أن يكون حال من الضمير في لكونه لآباءه قال الزجاج سمي الملك كبرياء لأنه أكبر ما يطلب
 من أمور الدنيا وقيل سمي بذلك لان الملك يتكبر والحاصل انهم علوا عدم قبولهم دعوة
 موسى بأمرين التمسك بالتقليد للآباء والحرص على الرياسة الدنيوية لانهم اذا أجابوا
 النبي وصدقوه صارت مقابله امرأته ولم يبق للملك رياسة تامه لان التدبير للناس
 بالدين يرفع تدبير الملوك لهم بالسياسات والعادات ثم قالوا (وما نحن لك بعباد منين) تصرح بما
 منهم بالتكذيب وقطعا للطمع في ايمانهم وقد أفردوا الخطاب لموسى في قولهم أجمتنا
 لتلفظنا ثم جمعوا بينه وبين هرون في الخطابين الاخيرين ووجه ذلك انهم استندوا الى
 والصراف عن طريق آباءهم الى موسى لكونه المقصود بالرسالة المبلغ عن الله ما شرع لهم
 وجمعوا بينه مافي الضميرين الاخرين لان الكبرياء شامل له مافي زعمهم ولا يكون ترك

(٣٢ - فتح البيان ع)

أن ادخلوا فدخلنا عليه وهو على فراش له وعنده بطارقة من الروم وكل شئ في مجلسه
 أجر وما حوله حجرة وعليه ثياب من الحررة فدونا منه فضحك فقال ما عليكم لوجهتموني بتحييتكم فيما بينكم واذا عنده رجل فصيح
 بالعربية كثير الكلام فقلنا ان تحيتنا فيما بيننا لا تحل لك وتحيتك التي تحياها لا يحل لنا ان نحيدك بها قال كيف تحيتكم فيما
 بينكم قلنا السلام عليك قال فكيف تحيون ملككم قلنا بها قال فكيف يدعوا عليكم قلنا بها قال فأتأعظكم كلامكم قلنا لا إله الا الله
 والله أكبر قلنا تكلمنا به والله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى رفع رأسه اليها فقال هذه الكلمة التي قلتوها حدث تنفضت الغرفة
 أكلما قلتوها في بيوتكم انتفضت عليكم غرفكم قلنا لا مارأيناها فقلت هذا قاطع الاعندك قال لو ددت انكم تكلمنا فتمتنع كل
 شئ عليكم واني قد خرجت من نصف ملكي قلنا لم قال لانه كان أيسر لشأنها وأجدر ان لا تكون من أمر التوبة وانها تكون من
 حيل الناس ثم سألتنا عما أراد فأخبرنا ثم قال كيف صلاتكم ووصومكم فأخبرناه فقال قوموا فأمر لنا بمنزل حسن ونزل كثير فأقنا
 ثلاثا فأرسل الينا لئلا ندخلنا عليه فاستعاد قوتنا فأعدناه ثم دعابشئ كهيسة البعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب
 ففتح بيتا ووقفه لا فاستخرج حريرة سوداء فنشرناها فاذا فيها صورة جراء واذا فيها رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم أر مثل طول

عنه وإذا ليست له حية واذاله صغيرتان أحسن ما خلق الله فقال تعرفون هذا قلنا لا قال هذا آدم عليه السلام وإذا هو أكثر الناس شعرا ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حرة سوداء وإذا فيها صورة بيضاء وإذا له شعر القلط أحر العينين ضخيم الهامة حسن اللحية فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج حرة سوداء وإذا فيها رجل شديد البياض حسن العينين صلت الجبين طويل الخد أبيض اللحية كأنه يتبسّم فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا إبراهيم عليه السلام ثم فتح بابا آخر فإذا فيه صورة بيضاء وإذا والله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتعرفون هذا قلنا نعم هذا محمد صلى الله عليه وسلم قال وبكنا قال والله يعلم أنه قام فأعاش ثم جلس وقال والله أنه لهو قلنا نعم أنه لهو كأنك تنظر إليه فامسك ساعة ينظر إليها ثم قال أمانه كان آخر البيوت ولكني علمته لكم لأنظر ما عندكم ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حرة سوداء فإذا فيها صورة آدم عليه وسلم وإذا رجل بعد قطف غار العينين حديد النظر عباس متراكب الأسنان غلظ الشفة كأنه غضبان فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا موسى عليه السلام وإلى جانبه صورة تشبهه إلا أنه مدهان الرأس عريض الجبين في عيذه قبل فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا هرون بن عمران عليه السلام ثم فتح بابا آخر (٢٥٠) فاستخرج منه حرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل آدم سبط ربعة كأنه غضبان فقال هل تعرفون هذا قلنا

لا قال هذا لوط عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل أبيض مشرب سحرة أفتى خفيف العارضين حسن الوجه فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا اسحق عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حرة بيضاء فإذا فيها صورة تشبه اسحق إلا أنه على شفته خال فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا يعقوب عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حرة سوداء فيها صورة رجل أبيض حسن الوجه أفتى الأنف حسن القامة يعالو وجهه نور يعرف في وجهه الخشوع يضرب

الإيمان بموسى يستلزم ترك الإيمان بهرون وقد هرت القصة في الاعراف (وقال فرعون) لما رأى اليد البيضاء والعصا (أتوني بكل ساحر عليم) لأنه اعتقد أنهم ما من السحرة فأمر قومه بأن يأووا بكل ساحر أراد أن يعارض معجزة موسى بأنواع من التليس ليظهر أن ما أتى به موسى سحر وقد تقدم الكلام على هذا في الاعراف وقرئ السحار على صيغة المبالغة أي كثير السحر كثير العلم بعمله وأنواعه (فلما جاء السحرة) في الكلام حذف أي فأتوا بهم إليه فلما جاء السحرة (قال لهم موسى) بعد أن قالوا له أمان تلقى وأمان نكون نحن الملقين (ألقوا ما أنتم ملقون) أي اطرحوا على الأرض ما معكم من حبالكم وعصيكم ليظهر الحق ويطل الباطل ويبين أن ما أتوا به فاسد زاهق (فلما ألقوا) ما ألقوه من ذلك الحبال والعصى (قال لهم موسى ما جئتم به) ما موصولة مبتدأ أو (السحر) خبره والمعنى أنه سحر لأنه آية من آيات الله كما سماه فرعون وقومه أو هو من جنس السحر يريد بهم أن حاله بين لا يعاب به كأنه قال ما جئتم به بما لا ينبغي أن يجاب به وقرئ السحرة على الاستفهام فما الاستفهامية أي شئ جئتم به أو هو السحر الذي يعرف حاله كل أحد ولا يتصدى له عاقل وقرئ ما جئتم به سحر وقرئ ما أتتم به سحر ودلالتها على المعنى الثاني في القراءة المشهورة أظهر وأجازا القراءة وغيره نصب السحر بجئتم وما شرطية والجزاء (إن الله سيبطله) على

إلى الحجر قال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا اسمعيل جد نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حرة بيضاء فإذا فيها صورة كصورة آدم كأن وجهه الشمس فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا يوسف عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل أحر جش الساقين أخفش العينين ضخيم البطن ربعة متقلد سيفا فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا داود عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل ضخم اليتسين طويل الرجلين راكب فرسا فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا سليمان بن داود عليهما السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حرة سوداء فيها صورة بيضاء وإذا شاب شديد السواد اللحية كثير الشعر حسن العينين حسن الوجه فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا عيسى ابن مريم عليه السلام قلنا من أين لك هذه الصورة لا نعلم أنها على ما صورت عليه إلا أنباء عليهم السلام لا نأريها صورة تيننا عليه السلام مثله فقال إن آدم عليه السلام سأل ربه أن يرهبه إلا أنباء من ولده فأزل عليه صورهم فكانت في خزانه آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها إلى دانيال ثم قال أمان والله إن نفسي طابت بالخروج من ملكي

تقدير

وإني كنت عبد الأثرم ملكة حتى أموت ثم أجازنا فأحسن جأرتنا وسمي حنا فلما أتينا أبا بكر الصديق رضي الله عنه فحدثناه بما أرانا
وبما قال لنا وما أجازنا قال فيكي أبو بكر وقال مسكين لو أراد الله به خير الفعل ثم قال أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم
واليهود يجذبون نعت محمد صلى الله عليه وسلم عندهم وهكذا أوردته الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتاب دلائل النبوة عن
الحاكم إجازة فذكره واسناده لا بأس به وقال ابن جرير حدثنا المشي حدثنا عثمان بن عمرو حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن
يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال أجل والله أنه لم يوصف في
التوراة كصفته في القرآن يا أيها النبي أنا أرسلنا شاهدا ومبشرا ونذيرا وحزلا لاميين أنت عبدى ورسولى اسمك المتوكل ليس
بفظ ولا غليظ وإن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء إن يقولوا لا اله الا الله ويفتح قلوبنا غلظا وأذا ناصمنا وأعيننا عما قال عطاء ثم
لقيت كعبا فسألته عن ذلك فما اختلف حرفا الا ان كعبا قال بلغته قال قلوبنا غلظا وأذا ناصمنا وأعيننا عما قال عطاء ثم
البخارى في صحيحه عن محمد بن سنان عن فليح عن هلال بن علي فذكره باسناده نحوه وزاد بعد قوله ليس بفظ ولا غليظ ولا يخاب في
الاسواق ولا يجزى بالسبيئة السبيئة ولكن يعفو ويصفح وذكر حديث (٢٥١) عبد الله بن عمرو ثم قال ويقع في كلام كثير من

السلف اطلاق التوراة على كتب
أهل الكتاب وقد ورد في بعض
الاحاديث مما يشبه هذا والله أعلم
وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني
حدثنا موسى بن هرون حدثنا محمد
ابن ادريس بن الحميدى حدثنا محمد
ابن عمر بن ابراهيم من ولد جبير بن
مطعم قال حدثني أم عثمان بنت
سعيد وهى جدتي عن أبيها سعيد
ابن محمد بن جبير عن أبيه محمد بن
جبير عن أبيه جبير بن مطعم قال
خرجت تاجر الى الشام فلما كنت
بأدنى الشام تقيني رجل من أهل
الكتاب فقال هل عندكم رجل نبيسا
قلت نعم قال هل تعرف صورته اذا
رأيتها قلت نعم فأدخلني بيتا فيه

تقدير الفاء أى سمي معقه بالكلية وبه ملكه فيصير باطلا بما يظهره على يدي من الآيات
والمعجزة فلا يبقى له أثر والسين للتأكيد (إن الله لا يصلح عمل المفسدين) أى عمل هذا
الجنس فيشمل كل من يصدق عليه أنه مفسد ويدخل فيه السحر والسحر ودخول أوليا
والجملة تعديل لما قبلها أو علمكم فيكون من باب وضع المظهر ووضع المضمحل للتسجيل عليهم
بالافساد والاشعار بعله الحكم (ويحق الله الحق) أى يبينه ويوضحه (بكلماته) التى أنزلها
فى كتبه على أنبيائه لاشتمالها على الحجج والبراهين أو بوعده الصادق لموسى أنه يظهره
أو بما سبق من فضائه وقدره لموسى أنه يغلب السحرة أو بأوامره وأحكامه والاول أولى
(ولو كره المجرمون) من آل فرعون أو المجرمون على العموم ويدخل تحتهم آل فرعون
دخولا وأوليا والاحرام الآثام (فيا من لموسى الأذرية) اسم يقع على القليل من القوم
وقيل المراد به التصغير وقوله العدد (من قومه) أى من قوم موسى وهم طائفة من ذرارى
بنى اسرائيل وقيل المراد طائفة من ذرارى فرعون فيكون الضمير عائدا على فرعون
قيل ومنهم مؤمن آل فرعون وامرأته وما شطبة ابنته وامرأة خازنه وقيل هم قوم آباؤهم
من القبط وأمماتهم من بنى اسرائيل روى هذا عن القراء كما يقال لاولاد فارس الذين
نقلوا الى اليمن الابناء لان أمماتهم من غير جنس الآباء (على) أى مع (خوف من
فرعون وملائمهم) الضمير لفرعون وجمع لانه لما كان جبارا جمعوا ضميره تعظيما له وقيل ان

صور فلم أر صورة النبي صلى الله عليه وسلم فبينما أنا كذلك اذ دخل رجل منهم علينا فقال فيم أتم فأخبرناه فذهب بنا الى منزله فساعة
مادخلت نظرت الى صورة النبي صلى الله عليه وسلم واذا رجل أخذ بعقب النبي صلى الله عليه وسلم قلت من هذا الرجل القابض
على عقبه قال انه لم يكن نبى الا كان بعده نبى الا هذا النبي فانه لا نبى بعده وهذا الخليفة بعده واذا صفة أبى بكر رضى الله عنه قال
أبو داود حدثنا عمر بن حفص أبو عمرو والضري حدثنا جاد بن سلمة ان سعيد بن اياس الجري أخبرهم عن عبد الله بن شقيق
العقبى عن الاقرع مؤذن عمر بن الخطاب قال بعثنى عمر الى الاسقف فدعوته فقال له عمر هل تجدنى فى الكتاب قال نعم قال
كيف تجدنى قال أجدك قرنا فرغ عمر الدرة وقال قرن مه قال قرن حديد أمير شديدا قال فكيف تجد الذى بعدى قال أجد خليفة
صالحا غير انه يؤثر قرابته قال عمر يرحم الله عثمان ثلاثا قال كيف تجد الذى بعده قال أجد صدى حديد قال فوضع عمر يده
على رأسه وقال يا دفرا ما يدفراه قال يا أمير المؤمنين انه خليفة صالح ولكنه يستخلف حين يستخلف والسيف مسلول والدم مهراق
وقوله تعالى يا مرمهم بالمعروف وبنهاهم عن المنكر هذه صفة الرسول صلى الله عليه وسلم فى الكتب المتقدمة وهى كذا
كانت حاله عليه السلام لا يأمر الا بخير ولا ينهى الا عن شر كما قال عبد الله بن مسعود اذا سمعت الله يقول يا أيها الذين آمنوا

فأرعاها سمعتك فإنه خير توهم به أو شتر تنهى عنه ومن أهم ذلك وأعظمه ما بعثه الله به من الأمر بعبادته وحده لا شريك له والنهي عن عبادة من سواه كما أرسل به جميع الرسل قبله كما قال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال الامام أحمد حدثنا أبو عامر هو العقدي عبد الملك بن عمرو حدثنا سليمان هو ابن بلال عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن عبد الملك بن سعد عن أبي حمزة عن أبي أسيد رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم الحديث عنى تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وتزرون انه منكم قريب فأنأولاكم به واذا سمعتم الحديث عنى تنكروه قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وتزرون انه منكم بعيد فأنأبعدكم منه رواه الامام أحمد رضي الله عنه باسناد جيد ولم يخرج به أحد من أصحاب الكتب وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الامام عمن عن عمرو بن مرة عن أبي الجحتر عن علي رضي الله عنه قال اذا سمعتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فظنوا به الذي هو أهدي والذي هو أهنى والذي هو أتقى ثم رواه عن يحيى بن ابن سعيد عن مسعر بن عمرو بن مرة عن أبي الجحتر عن أبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال اذا حدثتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فظنوا به الذي هو أهده وأخناه (١٥٢) وأتقاه وقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث أى يحل لهم

ما كانوا حرموه على أنفسهم من البحار والسوايل والوصائل والحام ونحو ذلك مما كانوا ضيقوا به على أنفسهم ويحرم عليهم الخبائث قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كلهم الخنزير والربا وما كانوا يستحلونه من المحرمات من المأكول التي حرمها الله تعالى قال بعض العلماء فكل ما أحل الله تعالى من المأكول فهو طيب نافع في البدن والدين وكل ما حرمه فهو خبيث ضار في البدن والدين وقد تمسك بهذه الآية الكريمة من يرى التحسين والتقيح العقليين وأجيب عن ذلك بما لا يتسع هذا الموضوع وكذا احتج بها من ذهب من العلماء الى

قوم فرعون سموا فرعون مثل غود فرجع الضمير اليهم بهذا الاعتبار وقيل انه عائد على مضاف محذوف أى على خوف من آل فرعون روى هذا عن القراء ومنعه الخليل وسيبويه وروى عن الاخفش ان الضمير يعود على الذرية وقوادح التماس (أن يفتمهم) أى يصرفهم عن دينهم بالعباد الذي كان ينزلهم وهو بدل اشتمال أو مفعول للمصدر أو مفعول له بعد حذف اللام والضمير عائد لفرعون وأفراد ولم يقل ان يقتنوهم أى فرعون والملا للدلالة على ان الخوف من الملا كان بسبب فرعون وتجبيره من حيث استعانتهم به (وان فرعون لعال في الارض) أى عات متكبر متعجب على أرض مصر اعتراض تذييلي مؤكدمضمون ماسبق (وانه لمن المسرفين) الجاوزين الحد في الكفر وما يفعلونه من القتل والصلب وتنويع العقوبات أولانه كان عبدا فادعى الربوبية (وقال موسى يا قوم) تظمينا لقلوبهم وازالة للخوف عنهم وسماعهم قومه من حيث ايمانهم به والافهم من قوم فرعون أو المراد به بنو اسرائيل أو مطلق من آمن به ولومن القبط (ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) قيل ان هذا من باب التكرير للشرط فشرط في التوكل على الله الايمان به وبالاسلام أى الاستسلام لقضائه وقدره وبه قال الكرخي وقيل ان هذا ليس من تعليق الحكم بشرطين بل المعلق بالايمان هو وجوب التوكل والمشروط بالاسلام حصوله ووجوده فانه لا يوجد مع التخليط والمعنى أن يسلموا أنفسهم لله أى يجعلوها له سالمة

خالصة

ان المرجع في حل المأكول التي لم ينص على تحليلها ولا تحريمها الى ما استطابته العرب

في حال رفاهيتها وكذا في جانب التحريم الى ما استخبتته وفيه كلام طويل أيضا وقوله ويضع عنهم اصرهم والاعلال التي كانت عليهم أى انه جاء بالتيسير والسماحة كما ورد الحديث من طرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت بالحنيفية السمحة وقال صلى الله عليه وسلم لا امر به معاذ وأبي موسى الاشعري لما بعثت ما الى اليمن بشر او لا تنفروا بسر او لا تعسروا وتطاولوا ولا تختلفوا وقال صاحب ابوبرة الاسلمي انى صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت تيسيره وقد كانت الامم الذين كانوا قبلنا في شرائعهم مشقة عليهم فوسع الله على هذه الامة أمورها وسهلها لهم ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتى ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تعمل أو أخطأ نار بنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا رونا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين وثبت في صحيح مسلم ان الله تعالى قال بعد كل سؤال من هذه قد فعلت قد فعلت وقوله فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه أى عظموه ووقروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أى القرآن والوحي الذي جاء به

أولئك هم المفلحون أي في الدنيا والآخرة (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) يقول تعالى لنبية ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد يا أيها الناس وعذبا خطاب للاجرو والاسود والعربي والعجمي اني رسول الله اليكم جميعا أي جميعكم وهذا من شرفه وعظمته صلى الله عليه وسلم انه خاتم النبيين وانه مبعوث الى الناس كافة كما قال الله تعالى قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ وقال تعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده وقال تعالى وقل للذين آمنوا واثقوا الكتاب والاميين أسلمت فان أسلوا فقد اهتدوا وان تولوا فاعلموا انكم كاذبون والاعيان في هذا كثيرة كما ان الاحاديث في هذا أكثر من ان تحصر وهو معلوم من دين الاسلام ضرورة انه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله الى الناس كلهم قال البخاري رحمه الله في تفسير هذه الآية حدثنا عبد الله حدثنا سليمان بن عبد الرحمن وموسى بن هرون قالوا حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الله بن العلاء بن زبير حدثني بسر بن عبيد الله حدثني أبو ادريس الخولاني قال سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه يقول كانت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما محاوراة فأغضب أبو بكر عرفانصر ف عنه عمر مغضبا فاتبعه أبو بكر (٢٥٢) يسأله ان يستغفر له فلم يفعل حتى أغلق بابيه في وجهه فأقبل أبو بكر الى رسول

خالصة لاحظ للشيطان فيما ان التوكل لا يكون مع التخليط قال الكازروني المعنى ان كنتم آمنتم وجب عليكم التوكل وان كنتم مسلمين توكلتم عليه (فقالوا) أي قوم موسى مجيبين له (على الله توكلنا) أي اعتمدنا على غيره ثم دعوا الله مخلصين فقالوا (ربنا لا تجعلنا قسمة) أي موضع قسمة (للقوم الظالمين) والمعنى لانساطهم علينا فيه عذبونا حتى يقتنونا عن ديننا قاله مجاهد وألا تجعلنا قسمة لهم يقتنونا بغيرنا فيقولون لهم لو كان هؤلاء على حق لما سلطنا عليهم وعذبناهم قاله مجاهد أيضا وعلى المعنى الاول تكون القسمة بمعنى المقفون ولما قدموا النضرع الى الله سبحانه ان يصون دينهم عن الفساد اتبعوه بسؤال عصاة أنفسهم فقالوا (ويجناب رحمتك من القوم الكافرين) أي من أيديهم وفي هذا دليل على انه كان لهم اهتمام بأمر الدين فوق اهتمامهم بسلامة أنفسهم (وأوحينا الى موسى وأخيه ان توبا لقومك بمصر يوتبا) قيل هي الاسكندرية وقيل هي مصر المعروفة لا الاسكندرية وأن هي المقسرة لان في الايحاء معنى القول أي اتخذنا لقومك يقال بوات زيد مكانا وبوات لزيد مكانا والمبوء المنزل المزوم ومنه بوات الله منزلا أي ألزمه اياه وأسكنه فيه ومنه حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار والتبوء النزول والرجوع واللام زائدة أي بوات قومك وقيل غير زائدة (واجعلوا بيوتكم قبلة) أي متوجهة الى جهة القبلة قال قتادة ذلك حين منعهم فرعون الصلاة فأمره وأن

الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو الدرداء ونحن عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما صاحبكم هذا فقد غامر أي غاضب وحاقد قال ويندم عمر على ما كان منه فأقبل حتى سلم وجلس الى النبي صلى الله عليه وسلم وقصص على رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر قال أبو الدرداء وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل أبو بكر يقول والله يا رسول الله لانا كنت أظلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أنتم تاركوني صاحبني اني قلت يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا فقلتم كذبت وقال أبو بكر

صدقت انفرده البخاري وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس مر فوعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي ولا أقوله لغيري بعثت الى الناس كافة الاجر والاسود ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً وأعطيت الشفاعة فأخبرت الامم في هي لمن لا يشرك بالله شيئاً اسناد جيد ولم يخرجوه وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا بكر بن مضر عن أبي الهادي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك قام من الليل فاضطلع وراءه رجال من أصحابه يجرسونه حتى اذا صلى انصرف اليهم فقال لهم لقد أعطيت اللذة خمساً ما أعطين احد قبلي اما أنا فارسلت الى الناس كلهم عامة وكان من قبلي انما يرسل الى قومه ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر لملئ مني رعباً وأحلت لي الغنائم كلها وكان من قبلي يعظمون ذلك انما كانوا يصلون في بيعهم وكأنتهم والخامسة هي ماهي قيل لي سئل فان كل نبي قد سأل فأخبرت مسألتي الى يوم القيامة فهي لكم ولن شهد أن لا اله الا الله اسناد جيد قوي أيضاً ولم يخرجوه وقال أيضاً حدثنا محمد بن

جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمعني من أمي أو يهودي أو نصراني فلم يؤمن بي لم يدخل الجنة وهذا الحديث في صحيح مسلم من وجه آخر عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو يونس وهو سليمان بن جبير عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار تقرّ دبه أحمد وقال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا اسرايل عن أبي اسحق عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمساً بعثت إلى الأجر والاسود وجعلت في الأرض مسجداً وطهوراً وأحلت لي الغنائم ولم نحل لمن كان قبلي ونصرت بالرعب شهراً وأعطيت الشفاعة وليس من نبي إلا وقد سأل الشفاعة واني قد أخبرت شعاعتي ثم جعلت لمن مات من أمي لم يشر له بالثياب وهذا أيضاً سند صحيح ولم أرهم خرجوه والله أعلم وله مثله من حديث ابن عمر بسند جيد أيضاً وهذا الحديث ثابت في الصحيحين أيضاً من حديث جابر بن (٢٥٤) عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمساً يعطهن أحد من

الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فإيما رجع من أمي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة وقوله الذي له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيي ويميت صفة الله تعالى في قول رسول الله أي الذي أرسلني هو خالق كل شيء وربهم وليك الذي بيده الملك والاحياء والاموات وله الحكم وقوله فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي أخبرهم انه رسول الله اليهم ثم أمرهم بتباعه والايان به النبي الامي أي الذي وعدهم به وبشرتم

يجعلوا مساجدهم في بيوتهم وان يوجهوا نحو القبلة وعن مجاهد قال كانوا لا يصلون الا في البيع حتى خافوا من آل فرعون فأمر وأن يصلوا في بيوتهم وعن ابن عباس نحوه وقيل المراد بالبيوت هنا المساجد واليه ذهب جماعة من السلف وقيل التي يسكنون فيها أمرها بان يجعلوها مقابلة بعضها بعضا والمراد بالقبلة على القول الاقول هي جهة بيت المقدس وهو قبلة اليهود الى اليوم وقيل جهة الكعبة وانها كانت قبلة موسى ومن معه قال أبو سنان ان آدم فن بعده كانوا يصلون قبل الكعبة وظاهر القرآن لا يدل على تعيينها وقيل انهم يجعلون بيوتهم مستقبلة للقبلة ليصلوا فيها اسرا لئلا يصيبهم من الكفار معرفة بسبب الصلاة وما يؤيد هذا قوله (وأقيموا الصلاة) أي التي أمركم الله باقامتها فإنه يفيد ان القبلة هي قبلة الصلاة اما في المساجد وفي البيوت لاجل البيوت متقابلة وقيل أمر الله موسى وهرون وقومهما باتخاذ المساجد على رغبم الأعداء وتكفل بان يصونهم عن شر الأعداء ذكره الخطيب وانما جعل الخطاب في أول الكلام مع موسى وهرون ثم جعله لهما ولقومهما في قوله واجعلوا أو اقيموا ثم أقردهم موسى بالخطاب بعد ذلك فقال (وبشر المؤمنين) أي بالنصر والجنة لان اختيار المكان مفوض الى الانبياء ثم جعل عاماني استقبال القبلة واقامة الصلاة لان ذلك واجب على الجميع لا يختص بالانبياء ثم جعل خاصا بموسى لانه الاصل في الرسالة وهرون تابع له فكان ذلك تعظيماً للبشارة وللمبشر

به في الكتب المتقدمة فانه منعوت بذلك في كتبهم ولهذا قال النبي الامي وقوله الذي يؤمن بالله وكلماته أي يصدق بقوله عمله وهو يؤمن بما أنزل اليه من ربه واتبعه أي اسلكوا طريقه واقفوا أثره لعلكم تتقون أي الى الصراط المستقيم (ومن قوم موسى أممية يهدون بالحق وبه يعدلون) يقول تعالى مخبراً عن بني اسرايل ان منهم طائفة يتبعون الحق ويعدلون به كما قال تعالى من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله اناء الليل وهم يسجدون وقال تعالى وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون آيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب وقال تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذيتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتوا أجرهم مرتين بما صبروا والاية وقال تعالى الذين آتيناهم الكتاب يتلون حق تلاوته أولئك يؤمنون به الاية وقال تعالى ان الذين أتوا العلم من قبله اذيتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولاً ويخرون للاذقان يكونون ويزيدهم خشوعاً وقد ذكر ابن جرير في تفسيرها خبراً عجيباً فقال حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا حجاج عن ابن جريج قوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال بلغني ان بني اسرايل لما قتلوا انبياءهم وكفروا كانوا اثني عشر سبطاً نبأ

سبط منهم مما صنعوا واعتدروا وسألو الله عز وجل ان يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمين يستقبلون قلوبنا قال ابن جرير قال ابن عباس فذلك قوله وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لغنما ووعدا الآخرة عيسى بن مريم قال ابن جرير قال ابن عباس ساروا في السرب سنة ونصفا وقال ابن عيينة عن صدقة أبي الهزبل عن السدي ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال قوم بينكم وبينهم نهر من شهد (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما وأوحينا الى موسى اذا استسقا قومها أن اضرب بعصاك الحجر فانجست منهُ اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشر بهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجلا من السماء بما كانوا يظلمون) تقدم تفسير هذا كله في سورة البقرة وهى مدينة وهذا السياق مكي ونهنا على الفرق بين هذا السياق وذلك بما أغنى عن اعادته هنا والله الحمد والمنة (وسألهم عن القرية التي كانت (٢٥٥) حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتهم

حيث تأتهم يوم سبتهم شرعا ويوم يسبتون لا تأتهم كذلك نبأهم بما كانوا يفسقون) هذا السياق هو بسط لقوله تعالى ولقد علمت الذين اعتدوا منكم في السبت الآية يقول تعالى لئذ يسهلوا الله وسلامه عليه وأسألهم أى وأسأل هؤلاء اليهود بحضورك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله ففجأتهم نقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتيالهم في الخالفة وحذر هؤلاء من كتمان صفتك التي يجذونها في كتبهم لئلا يحل بهم ما حل باخوانهم وسلفهم وهذه القرية هى أيلة وهى على شاطئ بحر القلزم قال محمد بن اسحق عن

بها وقيل ان الخطاب في وبشر المؤمنين لئسنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على طريقة الالتفات والاعتراض والاول اولى (و) لما بالغ موسى عليه السلام في اظهار المعجزات واقامة الحجج البينات ولم يكن لذلك تأثير فيهم أرسل اليهم دعا عليهم بعد ان بين سبب اصرارهم على الكفر وتسكهم بالجحود والعناد (قال موسى) مينا للسبب أولا (ربنا انك آتيت فرعون وملائته زينة وآمالا في الحياة الدنيا) قد تقدم أن الملاءم الاشراف والزينة اسم لكل ما يتزين به من ملبوس ومركوب وحلية وفرش وسلاح وغير ذلك والمال ما زاد على هذه الاشياء من الصامت ونحوه ثم كرر النداء لئلا كيد فقال (ربنا ليضلوا عن سبيلك) قال الخليل وسببويه انها لام العاقبة والصيرورة والمعنى أنه لما كان عاقبة أمرهم الضلال صار كأنه سبحانه أعطاهم ما أعطاهم من النعم ليضلوا وقيل انها لام كي قاله الفراء أى أعطيتهم لكي يضلوا وقال قوم ان المعنى أعطيتهم ذلك لئلا يضلوا فحذف لا كما قال سبحانه يبين الله لكم أن يضلوا قال النحاس ظاهر هذا الجواب حسن لأن العرب لا تحذف لا لامع أن فوه صاحب هذا التأويل بالاستدلال بقوله تعالى المتقدم وقيل اللام للدعاء عليهم والمعنى ابتلهم بالهلاك عن سبيلك قاله ابن الانبارى واستدل بقوله سبحانه بعد هذا اطمس واشدد واليه ذهب الحسن البصرى وقيل انها لام العلة والمعنى انك آتيتهم ما آتيتهم على سبيل الاستدراج فكان الايتاء لهذه العلة وقد أطل صاحب

داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى وأسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر قال هى قرية يقال لها ايلة بين مدين والطور وكذا قال عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي وقال عبد الله بن كثير القارى سمعنا انها ايلة وقيل هى مدين وهورواية عن ابن عباس وقال ابن زيد هى قرية يقال لها مدينا بين مدين وعينونا وقوله اذ يعدون في السبت أى يعدون فيه ويخالفون أمر الله فيه لهم بالوصاية اذ ذلك اذ تأتهم حيث تأتهم يوم سبتهم شرعا قال الضحاك عن ابن عباس أى ظاهرة على الماء وقال العوفي عن ابن عباس ظاهرة من كل مكان وقوله ويوم لا يسببون لا تأتهم كذلك نبأهم أى تختبرهم باظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده واخفاؤها عنهم في اليوم الحلال لهم صيده كذلك نبأهم تختبرهم بما كانوا يفسقون يقول بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها وهؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محارم الله بما تعاطوا من الاسباب الظاهرة التي معناها في الباطن تعاطى الحرام وقد قال الفقيه الامام أبو عبد الله بن بطه رحمه الله حدثنا أحمد بن محمد بن مسلم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تركبوا ما تركبتم اليهود فاستحلوا محارم الله بأدنى الخيل وهذا اسناد

جيد فان أحمد بن محمد بن مسلم هذا ذكره الخطيب في تاريخه ووثقه وباقي رجاله مشهورون ثقاة ويصح الترمذي بمثل هذا الاسناد كثيرا (واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلمهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) يخبر تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا الى ثلاث فرق فرقة ارتكبت المحذور واحتالوا على اصطباذ السمك يوم السبت كما تقدم بيانه في سورة البقرة وفرقة نهت عن ذلك واعتزلتهم وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه ولكنها قالت للمنكرة لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا أي لم تنهون هؤلاء وقد علمتم أنهم قد هلكوا واستحقوا العقوبة من الله فلا فائدة في نهيتكم ايهاهم قالت لهم المنكرة مع ذرة الى ربكم قرأ بكم قرأ بكم بالرفع كأنه على تقدير هذا معذرة وقرأ آخرون بالنصب أي نفعل ذلك معذرة الى ربكم أي فيما أخذنا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولعلمهم يتقون يقولون ولعل لهذا الانكار يتقون ما هم فيه ويتركونه ويرجعون الى الله تائبين فاذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم فلما نسوا ما ذكروا به أي فلما أتى الفاعلون قبول النصيحة أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا (٢٥٦) أي ارتكبو المعصية بعذاب بئيس فنص على نجاته الناهين وهلاك الظالمين

وسكت عن الساكتين لان الجزاء من جنس العمل فهم لا يستحقون مدحا فيمدحوا ولا ارتكبا عظيما فيذموا مع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم هل كانوا من الهالكين أو من الناجين على قولين وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس واذا قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا هي قرية على شاطئ البحر بين مصر والمدينة يقال لها يله تخرم الله عليهم الخيتان يوم سبتهم وكانت ساحل البحر فاذا مضى يوم السبت لم يقدروا عليه اغضى على ذلك ماشاء الله ثم ان طائفة منهم أخذوا

الكشاف في تقريره هذا بما لا طائل تحته والقول الاول هو الاول وقرئ ليضلوبضم الباء أي يوقعوا الاضلال على غيرهم وقرئ البا قون بالفتح أي يضلون في أنفسهم (ربنا اطمس على أموالهم) أي امسحها وأزل صورها قال الزجاج طمس الشيء اذ هابه عن صورته وازالة أثر الشيء بالمحو قال مجاهد اهلكها وقال أكثر المفسرين امسحها وغيرها عن هيأتها والمعنى الدعاء عليهم بأن يمحق الله أموالهم ويهلكها وقرئ بضم الميم من اطمس وقرئ من قتادة ان أموالهم حروهم وزرعهم وجواهرهم ودراهمهم ودنانيرهم تحوات حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا واثنان قيل ان عمر بن عبد العزيز دعا بخرطة فيها شيء من بقايا آل فرعون فأخرج منها البيضة منقوشة والخرطة مشقوقة وهي حجارة قال السدي مسح الله أموالهم حجارة والنخل والنار والدقيق والاطعمة وقال القرظي صارت صورهم حجارة وفيه ضعف لان موسى دعا على أموالهم ولم يدع على أنفسهم بالمشح وهذا الطمس هو أحد الآيات التسع التي أوتيت موسى عليه السلام (واشدد على قلوبهم) أي اربط عليها واجعلها قاسية مطبوعة حتى لا تقبل الحق ولا تنشرح للإيمان ولاتلين قال الواحدى وهذا دليل على ان الله تعالى يفعل ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لما جسر موسى على هذا السؤال (فلا يؤمنوا) أي آتيتهم نعم ليضلوا ولا يؤمنوا قاله المبرد والزجاج وقال الفراء والكسائي وأبو عبيدة هو دعاء بلفظ النهي

والنقد

الخيتان يوم سبتهم فنهتهم طائفة وقالوا تأخذونها وقد حرمها الله عليكم يوم سبتكم فلم

يزدادوا الاغيا وعتوا وجعلت طائفة أخرى نهماهم فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من النهاية تعلمون ان هؤلاء قوم حق عليهم العذاب لم تعظون قوما الله مهلكهم وكانوا أشد غضبا لله من الطائفة الأخرى فقالوا معذرة الى ربكم ولعلمهم يتقون وكل قد كانوا ينهون فلما وقع عليهم غضب الله نجت الطائفتان اللتان قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم والذين قالوا معذرة الى ربكم وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الخيتان فجعلهم قردة وروى العوفي عنه قريمان هذا وقال حماد بن زيد عن داود بن الحسين عن عكرمة عن ابن عباس في الآية قال ما أدري أنجنا الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أم لا قال فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا فلما سألني قال وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج حدثني رجل عن عكرمة قال جئت ابن عباس يوما وهو يبكي واذا المصحف في حجره فأعظمت ان أدنوا ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست فقلت ما يبكيك يا أبا عباس جعلني الله فداك قال فقال هؤلاء الورقات قال واذا في سورة الاعراف قال تعرف اليه قلت نعم قال فانه كان بها حتى من اليهود سميت الخيتان اليهم يوم السبت ثم عاصت لا يقدرون عليهم حتى يفضوا بعد كد وموتة شديدة كانت تأتيم يوم السبت شرعا بيضاء مما نأكلها الخاض تنقطع ظهورها

لبطونها بأفئنتهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم ان الشيطان أوحى اليهم فقال انما نهيتمكم عن أكلها يوم السبت فخذوها فيه وكوهافي غيره من الايام فقالت ذلك طائفة منهم وقالت طائفة بل نهيتم عن أكلها وأخذها وصيدها يوم السبت فكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة المقبلة فعدت طائفة بأنفسها وأبناؤها ونساءها واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت وقال الايمانون الله ينهاكم عن ان لا تعترضوا لعقوبة الله وقال الايسرون لم تعظون قوما الله مهلكهم وأعد عذابا شديدا قال الايمانون معذرة الى ربكم ولعلمهم يتقون أي ينتهون فهو أحب الينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا وان لم ينتهوا فمعذرة الى ربكم فغضوا على الخطيئة وقال الايمانون فقد فعلتم يا أعداء الله والله لنا ينكمم اليله في مدينتكم والله ما نراكم تصبحون حتى يصبحكم الله بخسفاً وقذف أو بعض ما عنده من العذاب فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا فلم يجابوا فوضعوا أسلما وعلوا سور المدينة رجلا فالقت اليهم فقال أي عباد الله قرده والله تعاوى لها أذنان قال ففتحوا فدخلوا عليهم فعرفت القرد وأنسابها من الانس ولا تعرف الانس أنسابها من القردة فجعلت القرد يأتها نسيبها من الانس فقتل نسيبها وتبكي فتقول لهم ألم نهيكم عن كذا فتقول برأسها أي نعم ثم قرأ ابن عباس فلما نسوا ما ذكرناه أنجينا (٢٥٧) الذين ينهون عن سوء وأخذنا الذين ظلموا

بعباد بئس قال قارئ الذين نهوا قد نجوا ولا أرى الآخر من ذكروا ونحن نرى أشياء منكرها ولا يقول فيها قال قلت اي جعلني الله فداك الأتري أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم قال فأمرني فكسيت ثوبين غليظين وكذا روى مجاهد عنه وقال ابن جرير حدثنا يونس أخبرنا أشهب بن عبد العزيز عن مالك قال قال زعم ابن رومان ان قوله تعالى تأتيتهم حيثما هم يوم سببتهم شرعا ويوم لا يستبشرون لتأتيتهم قال كانت تأتيتهم يوم السبت فاذا كان الماء ذهب فلا يرى منه شيء الى يوم السبت الآخر فاتخذ لذلك رجلا

والتقدير اللهم فلا يؤمنوا وقال الاخفش انه جواب الامر أي اطمس واشدد فلا يؤمنوا (حتى يروا العذاب الاليم) أي فلا يحصل منهم الايمان الامع المعانيمة لما يعذبهم الله به وعند ذلك لا ينفع ايمانهم قال ابن عباس العذاب هو الغرق وقد استشكل بعض أهل العلم ما في هذه الآية من الدعاء على هؤلاء وقال ان الرسل انما تطلب هداية قومهم وايمانهم وأجيب بأنه لا يجوز لنبى أن يدعو على قومه الا باذن الله سبحانه وانما يذن الله بذلك لعلمه بأنه ليس فيهم من يؤمن ولهذا لما علم الله نوحا عليه السلام بأنه من يؤمن من قومه الامن قد آمن قال رب لا تذر على الارض من الكافر بنديارا (قال) الله تعالى (قد أجيب دعوتك) جعل الدعوة ههنا مضافة الى موسى وهرون وفيما تقدم أضافها الى موسى وحده فقبيل ان هرون كان يؤمن على دعاء موسى فسمى ههنا داعيا وان كان الداعي موسى وحده ففي أول الكلام أضاف الدعاء الى موسى لكونه الداعي وههنا أضافه اليهما قزيلا للمؤمن منزلة الداعي ويجوز أن يكونا جميعا داعيين ولكن أضاف الدعاء الى موسى في أول الكلام لاصلته في الرسالة قال النحاس سمعت علي بن سليمان يقول الدليل على أن الدعاء لهم ما قول موسى ربنا ولم يقل رب وقرى دعاء كما قال ابن عباس فاستجاب له وحال بين فرعون وبين الايمان ويزعمون أن فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة لحكمة يعلمها هو وعن ابن جرير ومجاهد نحوه (فأستقيما) أي

(٢٣ - فتح البيان ح) خيطا ووندا فربط حوتانها في الماء يوم السبت حتى اذا أتوا ليلة الاحد أخذها فاشتوا فوجد الناس ريحها فتأوه فسألوه عن ذلك فحجدهم فلم يزلوا به حتى قال لهم فانه جلد حوت وجدناه فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك ولا أدري لعله قال ربط حوتين فلما أسى من ليلة الاحد أخذها فاشتوا فوجدوا راحة فجاؤا فسألوه فقال لهم لو شئتم صنعتم كما صنع فقالوا له وما صنعت فأخبرهم ففعلوا مثل ما فعل حتى كثر ذلك وكانت لهم مدينة لهار بض يغلقونها عليهم فأصابهم من المسخ ما أصابهم فعدوا عليهم جيرانهم ممن كانوا حوله لم يطلبون منهم ما يطلب الناس فوجدوا المدينة مغلقة عليهم فنادوا فلم يجيبوهم فنسوروا عليهم فاذا هم قرده فجعل القرد يدنو يتمسح بمن كان يعرف قبل ذلك ويدنونه ويتمسح به وقد قدمنا في سورة البقرة من الآثار في خبر هذه القرية ما فيه مقنع وكفاية والله الحمد والمنة القول الثاني ان الساكتين كانوا من الهالكين قال محمد بن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس انه قال استدعوا السبت فابتلوا فيه فخرمت عليهم فيه الحيتان فكانوا اذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان يتظرون اليها في البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم ترحي السبت المقبل فاذا جاء السبت جاءت شرعا فمكثوا ما شاء الله ان يمكثوا كذلك ثم ان رجلا منهم أخذ حوتا فخرم الله ثم ضرب له وتد في الساحل

وربطه وتر كفي الماء فلما كان الغد أخذ فشواه فأكله ففعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون ولا ينهونهم منهم أحد الا عصبة منهم
 فهو حتى ظهر ذلك في الاسواق ففعل علانية قال فقالت طائفة من الذين ينهونهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا
 شديدا قالوا معذرة الى ربكم قالوا لست اظنهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به الى قوله قرودة خاسئين قال ابن عباس كانوا
 اثلا نائلا ثم اوثقت قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلث اصحاب الخطيئة فاما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم وهذا السناد
 جيد عن ابن عباس ولكن رجوعه الى قول عكرمة في نجات الساكنين اولى من القول بهذا لانه بين حالهم بعد ذلك والله أعلم وقوله
 تعالى وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فيه دلالة بالفهوم على ان الذين بقوا نجوا وبئس فيه قرأت كثيرة ومعناه في قول مجاهد
 الشديد وفي رواية أليم وقال قتادة موجه والكل متقارب والله أعلم وقوله خاسئين أي ذليلين حقيرين نهانين (واذ تأذن ربك
 ليعنن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم) تأذن تفعل من الادان أي أعلم
 قاله مجاهد وقال غيره أمر وفي قوة الكلام ما يفيد معنى القسم من هذه اللفظة ولهذا تليت باللام في قوله ليعنن عليهم أي على
 اليهود الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب (٢٥٨) أي بسبب عصيانهم ومخالفتهم وأمر الله وشرعه واحتياهم على المحارم

ويقال ان موسى عليه السلام
 ضرب عليهم الخراج سبع سنين
 وقيل ثلاث عشرة سنة وكان أول
 من ضرب الخراج ثم كانوا في قهر
 الملوك اليونانيين والكسريين
 والكلدانيين ثم صاروا في قهر
 النصارى واذلهم اياهم وأخذهم
 منهم الجزية والخراج ثم جاء
 الاسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم
 فكانوا تحت قهره وذمته وودون
 الخراج والجزية قال العوفي وعن
 ابن عباس في تفسير هذه الآية قال
 هي المكنة وأخذ الجزية منهم بالمدينة
 وقال علي بن أبي طلحة عنه هي
 الجزية والذي يسومهم سوء العذاب
 محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

امضيا لامرى ودوما على الاستقامة قاله ابن عباس والاستقامة الثبات على ما هما
 عليه من الدعاء الى الله قال الفراء وغيره أمر بالاستقامة على أمرهما والثبات عليه وعلى
 دعاهن وقومه الى الايمان الى ان يأتيهما تأويل الاجابة أربعين سنة ثم أهلكتا وقيل
 معنى الاستقامة ترك الاستجمال وازوم السكنية والرضا والتسليم لما يقضى الله به سبحانه
 (ولاتبعان) قرئ بتشديد النون للتأكيدهم بتخفيفها على النفي لاعلى النهى أو انه نفي في
 معنى النهى أي لا تسلكا (سبل الذين لا يعلمون) حكمة تأخير المطلب نهاهما عن سلوك
 طريقة من لا يعلم بعبادة الله سبحانه في اجراء الامور على ما تقتضيه المصالح تحميلا وتأجيلا
 وقيل انه خبر محض مستأنف لا تعلق له بما قبله والمعنى أنهم ما أخبرا بتبعان الا بتبعان وأما
 تشديد التاء وتخفيفها فلغتان من اتبع يتبع وتبع وهما بمعنى واحد يقال تبعه أي
 مشى خلفه واتبعه كذلك الا انه حاذاه في المشى واتبعه لحقه قال الرازي وهذا النهى
 لا يدل على أن ذلك قد صدر من موسى وهرون كما أن قوله لئن أشركت ليحبطن عملك لا يدل
 على صدور الشرك منه (وجاوزنا بني اسرائيل البحر) هو من جاوز المكان اذا خلفه
 وتخطاه والباء للتعبية أي جعلناهم مجاوزين البحر حتى بلغوا الشط لان الله سبحانه جعل
 البحر يسافروا فيه حتى خرجوا منه الى البر والمراد بحر القلزم وهو بحر السويس وكانوا
 ستمائة ألف قاله الخطيب وفي الخازن قال أهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف

وأتمه الى يوم القيامة وكذا قال سعيد بن جبير وابن جرير والسدي وقتادة
 وقال عبد الرزاق عن معمر بن عبد الكريم الخزري عن سعيد بن المسيب قال يستحب ان تبعث الانباط في الجزية قلت
 ثم آخر أمرهم انهم يخرجون أنصارا للدجال فيقتلهم المسلمون مع عيسى بن مريم عليه السلام وذلك آخر الزمان وقوله ان ربك
 لسريع العقاب أي لمن عصاه وخالف شرعه وانه لغفور رحيم أي لمن تاب اليه وأتاب وهذا من باب قرن الرحمة مع العقوبة
 لئلا يحصل اليأس فيقرن تعالى بين الترغيب والترهيب كثير التبعي النفوس بين الرجاء والخوف (وقطعناهم في الارض أمماتهم
 الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون) تخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض
 هذا الدني ويقولون سيغفرلنا وان يأتيهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم مشاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الحق ودرسوا
 ما فيه والدار الآخرة خبر للذين يتقون أفلا تعقلون والذين يسكنون بالكتاب وأقاموا الصلاة انالانضبع أجز المصلحين) يذكر
 تعالى انه فرقهم في الارض أممات أي طوائف وفرقا كما قال وقتلنا من بعده لبي اسرائيل اسكنوا الارض فاداء وعد الآخرة جثنا
 بكم لفيها منهم الصالحون ومنهم دون ذلك أي فيهم الصالح وغير ذلك كقول الجن وانامنا الصالحون ومنادون ذلك كأطراثي قددا

وبلواهم أي اختبرناهم بالحسنات والسيئات أي بالرءاء والشدة والرغبة والرهبنة والعافية والبلاء لعلهم يرجعون ثم قال تعالى
 خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى الآية يقول تعالى خلف من بعد ذلك الجيل الذي فهمهم الصالح
 والطالح خلف آخر لا خير فيهم وقد ورثوا دراسة الكتاب وهو التوراة وقال مجاهد فيهم النصارى وقد يكون أعم من ذلك يأخذون
 عرض هذا الأدنى أي يعتناضون عن بذل الحق ونشره بعرض الحياة الدنيا ويسوفون أنفسهم ويعدون بها بالتوبة وكلما لاح لهم
 مثل الأول أخذوه ولهذا قال وإن يأتيهم عرض مثله يأخذوه كما قال سعيد بن جبير يعملون الذنب ثم يستغفرون الله منه ويعترفون
 لله فان عرض ذلك الذنب أخذوه وقال مجاهد في قوله تعالى يأخذون عرض هذا الأدنى قال لا يشرف لهم شيء من الدنيا إلا أخذوه
 حلالا كان أو حراما ويتمنون المغفرة ويقولون سيغفر لنا وإن وجدوا عرضا مثله يأخذوه وقال قتادة في الآية أي والله خلف
 سوء ورثوا الكتاب بعد أن نبأهم ورسلمهم أو رثهم الله وعهد إليهم وقال الله تعالى في أخرى خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة
 الآية قال يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا متناوعا على الله أمانى وغرة يغترون بها وإن يأتيهم عرض مثله يأخذوه
 لا يشغلهم شيء عن شيء ولا ينههم شيء عن ذلك كلما هف لهم شيء من (٢٥٩) الدنيا كلوه لا يباليون حلالا كان أو حراما وقال

السدي قوله خلف من بعدهم خلف
 إلى قوله ودرسوا ما فيه قال كانت بنو
 إسرائيل لا يستقضون قاضيا إلا
 ارتشى في الحكمم وإن خيارهم
 أجمعوا فأخذ بعضهم على بعض
 العهود أن لا يفتعلوا ولا يرتشوا
 فجعل الرجل منهم إذا استقضى
 ارتشى فيقال له ماشأك ترتشى في
 الحكمم فيقول سيغفر لي فيطعن
 عليه بالقبصة الآخر من بنى
 إسرائيل فيما صنع فإذا مات
 أوزع وجعل مكانه رجل ممن كان
 يطعن عليه فترشى يقول وإن يأت
 الآخر من عرض الدنيا يأخذوه
 قال الله تعالى ألم يؤخذ عليهم ميثاق
 الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق

وهم اثنا وتسعون وخرج بنوه مع موسى من مصر في الوقت المعلوم وهم ستمائة ألف وقد
 تقدم نفسير هذا في سورة البقرة في قوله سبحانه وأذفرقنا بكم البحر وقرأ الحسن وجوزنا
 وهما الغتان والآية دليل على خلق الأفعال (فأتبعهم فرعون وجنوده) يقال تبع
 واتبع بمعنى واحد إذا لحقه وقال الأصمعي يقال أتبعه بقطع الألف إذا لحقه وأدركه
 واتبعه بوصل الألف إذا تبع أثره أدركه ولم يدركه وكذا قال أبو زيد وقال أبو عمرو واتبعه
 بالوصل اقتدى به وفي المختار تبعه من باب طرب إذا مشى خلفه أو مر به فضى معه وكذا
 أتبعه وهو افتعل واتبعه على الفعل إذا كان قد سبقه فلحقه وقال الاخفش تبعه واتبعه
 بمعنى مثل ردفه وأردفه (بعيا) ظلما (عدوا) اعتداء أي لاجلهم أو باغين معتدين
 وقرأ الحسن عدوا بضم العين والدال وتشديد الواو وقيل إن البغي الاستعلاء في القول
 بغير حق والعدو في الفعل قال عكرمة العدو والعتو والعلو في كتاب الله التعبير (حتى إذا
 أدركه الغرق) أي ناله ووصله وألججه غاية لاتباعه وذلك أن موسى خرج ببني إسرائيل على
 حين غفله من فرعون فلما سمع فرعون بذلك لحقهم بجنوده ففرق الله البحر لموسى وبني
 إسرائيل فمشوا فيه حتى خرجوا من الجانب الآخر وتبعهم فرعون والبحر باق على الحالة
 التي كان عليها عند مضى موسى ومن معه فلما تكامل دخول جنود فرعون وكادوا أن
 يخرجوا من الجانب الآخر انطبق عليهم فغرقوا كما حكى الله سبحانه ذلك (قال آمنت أنه

الآية يقول تعالى منكر عليهم في صنعهم هذا مع ما أخذ عليهم من الميثاق ليسين الحق للناس ولا يكتفونه فنبذوه وراء ظهورهم
 واشترىوا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون كقوله وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الآية وقال
 ابن جرير قال ابن عباس ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق قال فيما يتمنون على الله من غفران
 ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها وقوله تعالى والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون يرغبهم في جزيل ثوابه
 ويحذرهم من وبيل عقابه أي وثوابي وخير ما عندى خير لمن اتقى المحارم وترك هوى نفسه وأقبل على طاعة ربه أفلا تعقلون
 يقول أفليس لهؤلاء الذين اعتاضوا بعرض الدنيا عما عندى عقل يردعهم عما هم فيه من السفه والتبذير ثم أتى تعالى على من
 تمسك بكتاب الذي يقوده إلى اتباع رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما هو مكتوب فيه فقال تعالى والذين يسكنون بالكتاب أي
 اعتمسوا به واقعدوا بأوامره وتركوا زواجره وأقاموا الصلاة لا انضع أجر المصلين (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه
 ظله وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله واذ نتقنا
 الجبل فوقهم يقول رفعناه وهو قوله ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقال سفيان الثوري عن الأعمش عن سعيد بن جبيرة

عن ابن عباس رفعته الملائكة فوق رؤسهم وهو قوله ورفعنا فوقهم الطور وقال القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال ثم سار بهم موسى عليه السلام الى الارض المقدسة وأخذ الألواح بعد ما سكت عنه الغضب وأمرهم بالذي أمر الله أن يبلغهم من الوظائف فنقلت عليهم وأبوا أن يقرروا بها حتى تنق الله الجبل فوقهم كما نه ظلة قال رفعته الملائكة فوق رؤسهم رواه النسائي بطوله وقال سنين بن داود في تفسيره عن ججاج بن محمد عن أبي بكر بن عبد الله قال هذا كتاب أتقبلونه بما فيه فان فيه بيان ما أحل لكم وما حرم عليكم وما أمركم وما نهىكم قالوا انشر علينا ما فيها فان كانت فرائضها وحدودها يسيرة قبلنا ما قالوا قبلوها بما فيها قالوا الاحق نعلم ما فيها كيف حدودها ورائضها فراجعوه مرارا فأوحى الله الى الجبل فانقلع فارتفع في السماء حتى اذا كان بين رؤسهم وبين السماء قال لهم موسى ألا ترون ما يقول ربي عز وجل لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لارميتكم بهذا الحيط قال حدثني الحسن البصري قال لما نظر والى الجبل خر كل رجل ساجدا على حاجبه الا يسر ونظر بعينه العيني الى الجبل فرقامن أن يسقط عليهم فكذلك ليس اليوم في الارض يهودى يسجد الا على حاجبه الا يسر يقولون هذه السجدة التي رفعت بها (٢٦٠) العقوبة قال أبو بكر فلما انشر الألواح فيها كتاب الله كتبه بيده لم يبق على وجه

الارض جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتر فليس اليوم يهودى على وجه الارض صغير ولا كبير يقرأ عليه التوراة الا اهتر ونفض لها رأسه والله أعلم (واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا انما أشركنا آبائنا من قبل وكذرية من بعدهم أفنتهم كتابنا لما فعل المبطلون وكذلك فصل الآيات ولعلمهم يرجعون) يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بنى آدم من اصلاهم شاهدين على أنفسهم ان الله ربهم ومليكهم وأنه لا اله الا هو كما أنه تعالى فطرهم على

لا اله الا الذي آمنتم به بنوا اسرائيل) اي صدقت ولم ينفعه هذا الايمان لانه وقع منه بعد ادراك الغرق له كما تقدم في النساء ولم يقل اللعين آمنتم بالله أو برب العالمين بل قال ما تقدم لانه بقي فيه عرق من دعوى الالهية (وآمن المسلمون) اي المستسلمين لامر الله المنقدين له الذين يوحدهونه وينفون ما سواه فان قيل انه آمن ثلاث مرات كما في هذه الآية فما السبب في عدم القبول قيل انه آمن عند نزول العذاب والايمان والتوبة عنده غير مقبول ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وان الايمان انما يتم بالاقرار بالتوحيد والنبوة وفرعون لم يقر بالنبوة فلم يصب ايمانه وقيل غير ذلك ذكره الخطيب أخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أغرق الله فرعون فقال آمنتم الآية قال جبريل يا محمد لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة والمعنى دس جبريل في فيه بأمر الله فلا اعتراض عليه وقد روى هذا الحديث الترمذي من غير وجه وقال صحيح حسن غريب وصححه أيضا الحافظ ابن عباس من طرق أخرى واسناده على شرط البخاري وليس في روايتهم ما تمهم وان كان فيهم من هوسى الخلف فقد تابعه عليه غيره وقد أطال الخازن في جواب ما اعتراض به الرازي وأشكله في هذا الحديث بما يطول ذكره وأخرج الطبراني في الاوسط عن أبي هريرة عن

النبي

ذلك وجبلهم عليه قال تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها

لا تبدل خلق الله وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وفي رواية على هذه الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كالأولاد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء وفي صحيح مسلم عن عياض بن جمار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله اني خلقت عبادة حنفاء فباعتهم الشياطين فآخذتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم وقال الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني السري ابن يحيى أن الحسن بن أبي الحسن حدثهم عن الاسود بن سريع من بني سعد قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع غزوات قال فقتلوا القوم الذرية بعد ما قتلوا مقاتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد عليه ثم قال ما بال أقوام يتناولون الذرية فقال رجل يا رسول الله أليسوا أبناء المشركين فقال ان خياركم أبناء المشركين الا انها ليست تسمية تولد الا ولدت على الفطرة فآزال عليها حتى يبين عنها سائنها فأبواها يهودانها وينصرانها قال الحسن والله لقد قال الله في كتابه واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم الآية وقد رواه الامام أحمد عن اسمعيل بن عيسى عن يونس بن عبيد عن الحسن البصري به

وأخرجه النسائي في سننه من حديث هشيم بن يونس بن عبيد عن الحسن قال حدثني الاسود بن سريح فذكره ولم يذكر قول الحسن البصري واستحضاره الآية عند ذلك وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام وغيرهم إلى أصحاب اليمن وأصحاب الشمال وفي بعضها الاستشهاد عليهم بأن الله ربهم قال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن أنس بن مالك عن ابن عمر بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرايت لو كان لك ما على من شيء أكنت مفلسا ياب قال فيقول نعم فيقول قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي أخرجه في الصحيحين من حديث شعبة به (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا جابر بن يعنى ابن حازم عن كنفوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فترها بين يديه ثم كلمهم فتلا قال ألتستبر بكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا الى قوله المبطون وقد روى هذا الحديث النسائي في كتاب التفسير من سننه عن محمد بن عبد الرحيم عن صاعقة عن حسين بن محمد المروزي به ورواه ابن (٢٦١) جريروا بن أبي حاتم من حديث حسين بن محمد به إلا أن ابن أبي حاتم جعله

موقوفا وأخرجه الحافظ في مستدركه من حديث حسين بن محمد وغيره عن جريروا بن حازم عن كنفوم بن جبير به وقال صحيح الاسناد ولم يخبره وقد احتج مسلم بكثوم ابن جبير هكذا قال وقد رواه عبد الوارث عن كنفوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فوقفه وكذا رواه اسمعيل بن علي وكيع عن ربيعة بن كنفوم عن جبير به وكذا رواه عطاء بن السائب وحبيب بن أبي ثابت وعلي بن زينة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله وكذا رواه الوفي وعلي ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال أخرجه الله

النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال قال لي جبريل ما كان على الارض يعنى أبعض الى من فرعون فلما آمن جعلت أحشوا فاه حاة وأنا أعطه خشية أن تدركه الرحمة وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر فروعا نحوه وأبو الشيخ عن أبي أمامة نحوه أيضا وفي اسناد حديث أبي هريرة رجل مجبول وباقي رجاله ثقات والعجب كل العجب ممن لا علم له بفن الرواية من المفسرين ولا يكاد يميز بين أصح الصحيح من الحديث وأكذب الكذب منه كيف يتجاري على الكلام في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والحكم بطلان ما صح منها ويرسل لسانه وقلبه بالجهل البحت والقصور الفاضح الذي يضحك منه كل من له أدنى ممارسة بفن الحديث فيما مسكين مالك ولهذا الشأن الذي لست فيه في شيء ألا تستر نفسك وتربع على ضلعك وتعرف بانك بهذا العلم من أجهل الجاهلين وتشتغل بما هو عليك الذي لا تتجاوزوه وحاصل الذي ليس لك غيره وهو علم اللغة وتوابعه من العلوم الآلية ولقد صار صاحب الكشاف عن الله عنه بسبب ما يتعرض له في تفسيره من علم الحديث الذي ليس هو منه في ورد ولا صدر سخره للساخرين وعبرة للمعتبرين فنارة يروى في كتابه الموضوعات وهو لا يدري أنه منها وتارة يتعرض لرد ما صح ويحزم بانهم من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والبهت عليه وقد يكون في الصحيحين وغيرهما مما يلتحق بهما من رواية جماعة من الصحابة بأسانيد كلها أئمة ثقات حجج اثبات وأدنى نصيب من عقل

أكثر وأثبت والله أعلم وقال ابن جريروا حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن أبي هلال عن أبي حمزة الضبي عن ابن عباس قال أخرجه الله ذرية آدم من ظهره كهية الذر وهو في أدنى من الماء وقال أيضا حدثنا علي بن سهل حدثنا حمزة بن ربيعة حدثنا أبو مسعود عن جويبر مات ابن الخياط بن مزاحم ابن ستة أيام قال فقال يا جابر إذا أنت وضعت ابني في الحدة فأبرز وجهه وحل عنه عقدة فان ابني مجلس ومسؤل ففعلت به الذي أمر فلما فرغت قلت يرحمك الله عما يسئل ابنت من يسأله اياه قال بسئلت عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم قلت يا أبا القاسم وما هذا الميثاق الذي أقر به في صلب آدم قال حدثني ابن عباس ان الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهمم بالارزاق ثم أعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ فن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفسه الميثاق الاول ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يقرب به لم يتبعه الميثاق الاول ومن مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الاول على الفطرة فهذه الطرق كلها مما تقوى ووقف هذا على ابن عباس والله أعلم (حديث آخر) قال ابن جريروا حدثنا عبد الرحمن بن الوليد حدثنا أحمد بن أبي طيبة عن سفيان بن سعيد عن الأجلح عن النخاع عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو وقال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم واذا اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال اخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم ألسنت بر بكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أحمد بن أبي طيبة هذا هو أبو محمد الجرجاني قاضي قرميس كان أحد الزهاد أخرجه النسائي في سننه وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه وقال ابن عدى حدثت بأحد حديث كثيرة غرائب وقد روى هذا الحديث عبد الرحمن بن حمزة بن مهدي عن سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قوله وكذا رواه جرير عن منصور به وهذا أصح والله أعلم (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا روح هو ابن عبادة حدثنا مالك وحدثنا اسحق بن مالك عن زيد بن أبي أنيسة أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية واذا اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بر بكم قالوا بلى الآية فقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال ان الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون فقال يا رسول الله فقيم العمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلق الله العبد للجنة استعمله بأعمال أهل الجنة (٢٦٢) حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد

لنار استعمله بأعمال أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار وهكذا رواه أبو داود عن القسبي والنسائي عن قتيبة والترمذي عن اسحق بن موسى عن معن وابن أبي حاتم عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب وابن جرير من حديث روح بن عبادة وسعيد بن عبد الحميد بن جعفر وأخرجه ابن حبان في صحيحه من رواية أبي مصعب الزبيرى كلهم عن الامام مالك بن أنس به قال الترمذي وهذا حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع عمر وكذا قاله أبو حاتم وأبو زرعة زاد أبو حاتم وبينهما نعيم بن ربيعة وهذا

يحجر صاحبه عن التكلم في علم لا يعلم ولا يدري به اقل دراية وان كان ذلك العلم من علوم الاصطلاح التي يتواضع عليها طائفة من الناس ويصطلحون على أمور فيما بينهم فما بالك بعلم السنة الذي هو قسيم كتاب الله وقائله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورواه عنه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وكل حرف من حرفه وكلمة من كلماته ثبت بها شرع عام لجميع أهل الاسلام (آلآن) أى فقيل له أتؤمن الآن وقد اختلفت من القائل لفرعون بهذه المقالة فقيل هي من قول الله سبحانه وقيل من قول جرير بل وقيل من قول ميكائيل وقيل من قول فرعون قال ذلك في نفسه لنفسه والمعنى انكار الايمان منه عند ان ألقى الغرق والمقصود التقرُّب والتوبيخ له قال ابن عباس لم يقبل الله ايمانه عند نزول العذاب به وقد كان في مهل والايان والتوبة عند اليأس لا يقبل (وقد عصيت قبل) تأ كيد لهذا المقصود والحالة حاله أى وقد آيست من نفسك ولم يبق لك اختيار والايان في هذه الحالة لا يفيد معنى آلآن تتوب وقد ضيعت التوبة في وقتها وأثرت دنياك الفانية على الآخرة الباقية (وكنتم من المفسدين) في الارض بضلالك عن الحق واضلالك لغيرك (فاليوم نجيتك) أى نخرجك من البحر ونلقيك عن الشط وذلك ان بنى اسرائيل لم يصدقوا ان فرعون غرق وقالوا هو أعظم شأننا من ذلك فالتقاء الله على فجوة من الارض أى مكان مر تفع حتى شاهدوه أحر قصيرا كأنه ثور ثم أعاده الى البحر ثانياً في ذلك الوقت

الذي قاله أبو حاتم رواه أبو داود في سننه عن محمد بن مصفى عن ببيعة عن عمرو بن جهم القرشي عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار الجهني عن نعيم بن ربيعة قال كنت عند عمر بن الخطاب وقد سئل عن هذه الآية واذا اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم فدكره وقال الحافظ الدارقطني وقد تابع عمرو بن جهم بن زيد بن سنان أبو فررة الرهاوى وقولهما أولى بالصواب من قول مالك والله أعلم قلت الظاهر ان الامام مالك انما أسقط ذكر نعيم بن ربيعة عند المساجيل حال نعيم ولم يعرفه فانه غير معروف الا في هذا الحديث ولذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهم ولهذا يرسل كثير من المرفوعات ويقطع كثير من الموصولات والله أعلم (حديث آخر) قال الترمذي عند تفسير هذه الآية حدثنا عبد بن حميد حدثنا أبو نعيم حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل انسان منهم وبينهم نور ثم عرضهم على آدم فقال أى رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجالهم فأنجبهم وبيص عينيه قال أى رب من هذا قال هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود قال رب وكم جعلت عمره قال ستين سنة قال أى رب قد وهبت له من عمرى أربعين سنة فلما انقضى عمر آدم جاءه

ملك الموت قال أولم يبق من عمري أربعون سنة قال أولم تعطها ابنك داود قال فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته
 وخطى آدم فخطت ذريته ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
 وسلم ورواه الحاكم في مستدركه من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين به وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ورواه ابن أبي حاتم في
 نفسه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه أنه حدثه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فذكر نحو ما تقدم إلى أن قال ثم عرضهم على آدم فقال يا آدم هؤلاء ذريتك وإذا فهم الأجسام والابص والاعشى
 وأنواع الاسقام فقال آدم يا رب لم فعلت هذا بذريتي قال كذا كذا نعمتي وقال آدم يا رب من هؤلاء الذين أراهم أظهر الناس نورا
 قال هؤلاء الأنبياء يا آدم من ذريتك ثم ذكر قصة داود كنحو ما تقدم (حديث آخر) قال عبد الرحمن بن قنادة النضري عن أبيه عن
 هشام بن حكيم رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ابتداء الأعمال أم قد قضى القضاء قال فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم ثم أشهدهم على أنفسهم ثم أقاض بهم في كفيه ثم قال هؤلاء في
 الجنة وهؤلاء في النار فأهل الجنة ليسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار ليسرون لعمل أهل النار رواه ابن جرير

وابن مردويه من طريق عنه
 (حديث آخر) روى جعفر بن
 الزبير وهو ضعيف عن القاسم عن
 أبي أمامة قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لما خلق الله
 الخلق وقضى القضية أخذ أهل
 المين يمينه وأهل الشمال بشماله
 فقال يا أصحاب المين فقالوا اليسك
 وسعديك قال ألت بر بكم قالوا
 بلى ثم خلط بينهم فقال قائل له يا رب
 لم خلطت بينهم قال لهم أعمال من
 دون ذلك لهم لهاعاملون أن يقولوا
 يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين ثم
 ردهم في صلب آدم رواه ابن مردويه
 (أثر آخر) قال أبو جعفر الرازي عن
 الربيع بن أنس عن أبي العالبيه عن

لا يقبل الماء ميتا أبدا قاله الخازن وقيل المعنى فخرجك مما وقع فيه قومك من الرسوب في قعر
 البحر ونجعت طافيا ليشاهدوك ميتا بالغرق وقرئ بالخاء المهملة من التخيبة أي نظرك
 على ناحية من الأرض وقد اختلف المفسرون في معنى (بيدك) فقيل معناه بجسدك
 بعد سلب الروح منه لا كما هو مطلوبك فهو تخييب له وحسم لطمعه والباء للمصاحبة وقيل
 معناه بدرعك والدرع تسمى يدنا والابدان الدروع قاله أبو عبيدة ورجح الاخفش الاول
 وقرأ أبو حنيفة رحمه الله بابدانك وهو مثل قولهم هو باجر أمة أي بيدك كما هو افتيا باجرائه
 وقيل عربا لا شئ عليه وقيل الباء سببية لأن بدنه سبب في تخييبه (لتكون لمن خلفك آية)
 هذا تعديل لتخييبه بدنه وفي ذلك دليل على أنه لم يظهر جسده دون قومه الالهة العلة
 لا سوى والمراد بالآية العلامة أي لتكون علامة يعرفون بها هلا كل وانك لست كما تدعى
 ويندفع عنهم الشك في كونك قد صرت ميتا بالغرق وقيل المراد ليكون طرحتك على
 الساحل وحده دون المغرقين من قومك آية من آيات الله يعتبر بها الناس أو يعتبر بها من
 سيأتى من الأمم اذا سمعوا ذلك حتى يحذروا من التكبر والتجبر والتمرد على الله سبحانه فان
 هذا الذي بلغ الخ ما بلغ اليه من دعوى الالهية واستمر على ذلك دهر اطويلا كانت له هذه
 العاقبة القبيحة وقرئ لمن خلفك على صيغة الماضي أي لمن يأتي بعدك من القرون أو من
 خلفك في الرياسة أو في السكن في المسكن الذي كنت تسكنه وهذا آخر مقول جبريل

أبي بن كعب في قوله تعالى واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم الآيات قال جمعهم له يومئذ جمع ما هو كائن منه إلى
 يوم القيامة فجعلهم في صورهم ثم استطقتهم فتسكاهوا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألت بر بكم قالوا بلى
 الآية قال فأنى أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم ان تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا اعلموا
 أنه لا اله غيري ولا رب غيري ولا تشركوا بي شيا واني سأرسل اليكم رسلا لينذروا عنكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتيبا قالوا
 نعم ما نكر بنا والهنالرب لنا غيرك فأقر والله يومئذ بالطاعة ورفع أباهم آدم فنظر اليهم فرأى فيهم الغنى والفقير وحسن الصورة
 ودون ذلك فقال يا رب لوسويت بين عبادك قال انى أحببت ان أشكر وراى فيهم الانبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا
 بميثاق آخر من الرسالة والنبوته فهو الذي يقول تعالى واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم الآية وهو الذي يقول فأجهك للدين
 حنيفا فطرت الله الآية ومن ذلك قال هذا نذير من النذر الاولى ومن ذلك قال وما وجدنا الا اكثرهم من عهدنا الآية رواه عبد الله
 ابن الامام أحمد في مسنده أبيه ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه في تفاسيرهم من رواية ابن جعفر الرازي به وروى
 عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقنادة والسدى وغير واحد من السلف سياقات توافق هذه الاحاديث اكتفينا

بارادها عن التطويل في تلك الآثار كما هو والله المستعان فهذه الاحاديث دالة على ان الله عز وجل استخرج ذرية آدم من صلبه
 وميز بين أهل الجنة وأهل النار وأما الأشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فها هو الا في حديث كاثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن
 عباس وفي حديث عبد الله بن عمرو وقد بينا انهم موقوفان لاهر فوعان كما تقدم ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف ان
 المراد بهذا الشهادة انما هو فطرهم على التوحيد كما تقدم في حديث أبي هريرة وعياض بن جمار الجاشعي ومن رواية الحسن
 البصري عن الاسود بن سريج وقد فسّر الحسن الآية بذلك قالوا ولهذا قال واذا خذربك من بني آدم ولم يقل من آدم من ظهورهم
 ولم يقل من ظهره ذريتهم أي جعل نسلهم جيلا بعد جيلا وقربا بعد قرن كقوله تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الارض وقال
 ويجعلكم خلفاء الارض وقال كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ثم قال وأشهدهم على أنفسهم ألا تلبسوا البيوت من قبلها
 أو وجدهم شاهدين بذلك قائلين له حالا وقالوا والشهادة تارة تكون بالقول كقوله قالوا شهدنا على أنفسنا الآية وتارة تكون حالا
 كقوله تعالى ما كان للمشركين أن يعبدوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أي حالهم شاهد عليهم بذلك لانهم قائلون
 ذلك وكذا قوله تعالى والله على ذلك لشهيد (٢٦٤) كأن السؤال تارة يكون بالقول وتارة يكون بالحال كقوله وآتاكم من

كل ما سألتهم قالوا وما يدل على ان
 المراد بهذا ان جعل هذا
 الاشهاد حجة عليهم في الاشراف
 كان قد وقع هذا كما قاله من قال
 لكان كل أحد يذكره ليكون حجة
 عليه فان قيل اخبار الرسول صلى
 الله عليه وسلم به كاف في وجوده
 فالجواب ان المكذبين من
 المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم
 به الرسل من هذا وغيره وهذا جعل
 حجة مستقلة عليهم فدل على انه على
 الفطرة التي فطرنا عليها من الاقرار
 بالتوحيد ولهذا قال ان يقولوا أي
 لتسلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن
 هذا غافلين أي التوحيد غافلين
 أو يقولوا انما أشرك آباؤنا الآية

عليه السلام (وان كثيرا من الناس عن آياتنا) التي توجب الاعتبار والتفكير وتوقف
 من سنة الغفلة (لغا فلون) عما توجبه تلك الآيات وهذه الجملة تذييلية تجيء بها عقب
 الحكاية تقرير الكلام المحكي (ولقد نبأ نبي اسرائيل مبعوثا صدق) هذا من جملة ما عدده
 الله سبحانه من النعم التي أنعمها عليهم ومعنى نبأ أناسا سكنا يقال نبأ أن زيداً منزلاً أسكنته
 فيه والمبوء اسم مكان أو مصدر وواضفته الى الصدق على ما جرت عليه قاعدة العرب
 فانهم كانوا اذا مدحوا شيئا أضافوه الى الصدق والمراد به هنا المنزل المحمود الصالح المختار
 المرضي قيل هو أرض مصر قاله الضحاك وقيل جميع ما كان تحت أيدي فرعون وقومه
 من ناطق وصامت وزرع وغيره وقيل الاردن وفلسطين وقيل الشام قاله قتادة وقيل
 بيت المقدس لانها بلاد الخصب والخير والبركة (ورزقناهم من الطيبات) أي المستلذات
 من الرزق (فما اختلفوا) في أمر دينهم وتشعبوا فيه شعبا بعدما كانوا على طريقة واحدة
 غير مختلفة (حتى جاءهم العلم) أي لم يقع منهم هذا الاختلاف في الدين الا بعدما جاءهم
 العلم بقراءتهم التوراة وعلمهم بأحكامها وما اشتملت عليه من الاخبار بنبوته محمد صلى الله
 عليه وآله وسلم وقيل العلم هو القرآن المنزل على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فاختلفوا
 فيه وفي صفته وآمن به من آمن منهم وكفروا به من كفروا قال ابن زيد يعني كتاب الله الذي أنزل
 وأمره الذي أمرهم به وانما سمي القرآن علما لانه سبب العلم فيكون المراد بالمختلفين على

القول

فكان من الغاوين ولوشنا

(واتل عليهم نبأ الذي آتيناها آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولوشنا
 لرفعناها بها وليكنه آخرا الى الارض واتبعوا ما هم فيها على يهت أو تتركه يلهت ذلك مثل القوم الذين
 كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون) قال عبد الرزاق
 عن سفیان الثوري عن الاعمش ومنصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في قوله تعالى
 واتل عليهم نبأ الذي آتيناها آياتنا فانسلخ منها الآية قال هو رجل من بني اسرائيل يقال له بلعم بن باعوراء وكذا رواه شعبة
 وغير واحد عن منصور بن وهب وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن ابن عباس هو صيفي بن الراهب قال قتادة وقال كعب كان
 رجلا من أهل البلقاء وكان يعلم الاسم الاكبر وكان مقبلا بيت المقدس مع الجبارين وقال العوفي عن ابن عباس هو رجل من
 أهل اليمن يقال له بلعم آتاه الله آياته فتركها وقال مالك بن دينار كان من علماء بني اسرائيل وكان مجاب الدعوة بقدمونه
 في الشدا تدبعته نبي الله موسى الى الملك فدين يدعوها الى الله فاقطعها واعطاه فتسبع دينه وترك دين موسى عليه السلام
 وقال سفیان بن عيينة عن حصين عن عمران بن الحرث عن ابن عباس هو بلعم بن باعوراء وكذا قال مجاهد ودعوه كرمه وقال

ابن جرير حدثني الحرث حدثنا عبد العزيز حدثنا اسرائيل عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال هو بلعام وقالت ثقيف هو أمية
 ابن أبي الصلت وقال شعبة عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو في قوله واتل عليهم نبأ الذي آتينا آياتنا الآية
 قال هو صاحبكم أمية بن أبي الصلت وقدرى من غير وجه عنه وهو صحيح اليه وكانه إنما أراد أن أمية بن أبي الصلت يشبهه فإنه
 كان قد اتصل إليه علم كثير من علم الشرائع المتقدمة ولكنه لم ينتفع بعلمه فإنه أدرك زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغته اعلامه
 وآياته ومعجزاته وظهرت لكل من له بصيرة ومع هذا اجتمع به ولم يتبعه وصار الى موالاة المشركين ومناصرتهم وامتداحهم ورأى أهل
 بدر من المشركين عمرة بلغة قبجة الله وقد جافى بعض الاحاديث انه من آمن لسانه ولم يؤمن قلبه فان له اشعارا رباية وحكايا فصاحة
 ولكنه لم يشرح الله صدره للاسلام وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان عن أبي سعيد الاعور عن عكرمة عن
 ابن عباس في قوله واتل عليهم نبأ الذي آتينا آياتنا فانسلخ منها قال هو رجل أعطى ثلاث دعوات يستجاب له فيهن وكانت له امرأة له
 منها ولد فقالت اجعل لي منها واحدة قال فلك واحدة فما الذي تريد ان ادع الله أن يجعلني اجل امرأة في بني اسرائيل فدعا الله
 فجعلها اجل امرأة في بني اسرائيل فلما علمت ان ليس فيهم مثلها رغبت (٢٦٥) عنه وأرادت شيئا آخر فدعا الله أن يجعلها كلبه
 فصارت كلبه فذهبت دعواته فجاء

بنوه وافسألوا ليس بنا على هذا اقرار
 قد صارت أمنا كلبه يعيرنا الناس
 بها فادع الله أن يرد هالي الخلال التي
 كانت عليها فدعا الله فعدت كما
 كانت وذهبت الدعوات الثلاث
 وتسمى البسوس غريب وأما المشهور
 في سبب نزول هذه الآية الكريمة
 فانما هو رجل من المتقدمين في زمن
 بني اسرائيل كما قال ابن مسعود وغيره
 من السلف وقال علي بن أبي طلحة
 عن ابن عباس هو رجل من مدينة
 الجبارين يقال له بلعام وكان يعلم
 اسم الله الاكبر وقال عبد الرحمن
 ابن زيد بن أسلم وغيره من علماء
 السلف كان محجاب الدعوة ولا يسأل

القول الاول هم اليهود بعد أن أنزلت عليهم التوراة وعلموا بها وعلى القول الثاني هم اليهود
 المعاصرون لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقدرى في الحديث أن اليهود اختلفوا على
 احدي وسبعين فرقة وان النصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الامة
 على ثلاث وسبعين فرقة وهو في السنن والمسائيد والكلام فيه يطول (ان ربك يقضى بينهم
 يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين بانجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين
 فيجازي المحسن باحسانه والمسي باساءته والمحق بعمله بالحق والمبطل بعمله بالمطل (فان
 كنت) يا محمد (في شك) هو في أصل اللغة ضم الشيء بعضه الى بعض ومنه شك الجوهر في
 العقد والشك كأنه يضم الى ما توهمه شيئا آخر خلافة فيتردد ويحير والخطاب للنبي
 صلى الله عليه وآله وسلم والمراد غيره كما ورد في القرآن في غير موضع وعن ابن عباس قال
 لم يشك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يسأل ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن
 البصرى وعن قتادة قال ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا أشك
 ولا أسأل وهو مرسل (عما) أى في شك ناشئ عما (أنزلنا اليك) بأن تشك فيه ومن لا ابتداء
 أو انها بمعنى في من أول الامر قال القاضي عياض في الشفاء احذر ثبوت الله قلبك أن يخطر
 ببالك ما ذكره بعض المفسرين من اثبات شك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما أوحى اليه
 فمثل هذا لا يجوز عليه اه وقال نعلب والمبرد أى قل يا محمد لا كافر فان كنت في شك

(٣٤ - فتح البياح) الله شيئا إلا أعطاه اياه واغرب بل أبعد بل اخطأ من قال كان قد أوتى النبوة فانسلخ منها حكاية
 ابن جرير عن بعضهم ولا يصح وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لما نزل موسى بهم يعنى بالجبارين ومن معه أنه يعنى بلعام بنو
 عمه وقومه فقالوا ان موسى رجل حديد ومعهم جنود كثيرة وأنه ان يظهر علينا لم يكفادع الله أن يرد موسى ومن معه عنا قال انى ان
 دعوت الله ان يرد موسى ومن معه ذهبت دنياى وآخرى فلم ير الوابى حتى دعا عليهم فسلخه الله ما كان عليه فذلك قوله تعالى فانسلخ منها
 فاتبعه الشيطان الآية وقال السدى لما انقضت الاربعون السنة التي قال الله فانها محرمة عليهم أربعين سنة بعث يوشع بن نون نبيا
 فدعا بنى اسرائيل فأخبرهم انه تبي وان الله أمره ان يقتل الجبارين فبايعوه وصدقوه وانطلق رجل من بنى اسرائيل يقال له بلعام
 وكان عالما يعلم الاسم الاعظم فكفر لعنه الله واتى الجبارين وقال لهم لا ترهبوا بنى اسرائيل فانى اذا خرجتم تقابلوهم ادعوا عليهم
 دعوة فيهلكون وكان عندهم فيما شاء من الدنيا غير انه كان لا يستطيع ان يأتى النساء يعظمن فكان ينكح أانا له وهو الذى قال الله
 تعالى فانسلخ منها وقوله تعالى فاتبعه الشيطان أى استحوذ عليه وعلى أمره فهما أمره امثله ولهذا قال فكان من الغاوين أى من
 الهالكين الحائرين البائسين وقد ورد في معنى هذه الآية حديث رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى في مسنده حيث قال حدثنا محمد بن

هرزوق حدثنا محمد بن بكر عن الصلت بن بهرام حدثنا الحسن حدثنا جندب الجبلي في هذا المسجد ان حذيفة يعني ابن اليمان رضى الله عنه حدثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما تخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى اذا رثيت به حجتة عليه وكان ردأوه الاسلام اعتراه الى ماشاء الله انسلخ منه ونبذوه ورافطه وسعى على جاره بالسيف ورامه بالشرك قال قلت يا بنى الله أيهم ما أوى بالشرك المرعى أو الرامى قال بل الرامى هذا اسناد جيد والصلت بن بهرام كان من ثقات الكوفيين ولم يرم بشئ سوى الارحاء وقد وثقه الامام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما وقوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها واتبعه هو ايقول تعالى ولو شئنا لرفعناه بها لى لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التى آتيناها اياها ولكنها أخذت الى الارض أى مال الى الرينة الدنيا وزهرتها واقبل على لذاتها ونعيمها وغرنه كما غرت غيره من غير أوى البصائر والنهى وقال أبو الراهوي في قوله تعالى ولكنها أخذت الى الارض قال ترأبها الشيطان على علوة قنطرة بانياس فسجدت الحمار لله وسجدت بلعام للشيطان وكذا قال عبد الرحمن بن جبير بن نفير وغير واحد وقال الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله وكان من قصة هذا الرجل ما حدثنا محمد بن عبد الاعلى حدثنا المعتمر عن أبيه أنه سئل عن هذه الآية واتل عليهم نبأ الذى آتيناها آياتنا فخذت (٢٦٦) عن يسار أنه كان رجلا يقال له بلعام وكان محباب الدعوة قال وان موسى

أقبل فى بنى اسرائيل يريد الارض التى فيها بلعام أو قال الشام قال فرعب الناس منه رعبا شديدا فأثوا بلعام فقالوا ادع الله على هذا الرجل وجيشه قال حتى أو امر ربى أو حتى أو امر قال فواهر بالدعاء عليهم فقيل لا تدع عليهم فانهم عبادى وفيهم نبهم قال فقال لقومه انى قد و امرت ربى فى الدعاء عليهم و انى قد منيت فأهدوا له هدية تقبلها ثم راجعوه فقالوا ادع عليهم فقال حتى أو امر ربى فواهر فلم يوح اليه شئ فقال قد و امرت ولم يجب رالى شئ قال فقالوا لوكره ربك أن تدعو عليهم لهنالك كما هنالك المرة الاولى قال فأخذ يدعو عليهم فاذا دعا عليهم

(فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) يعنى مسلمى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأمثاله وقد كان عبدة الاوثان يعترفون لليهود بالعلم ويقررون بأنهم أعلم منهم فأمر الله سبحانه نبيه أن يرشد السالكين فيما أنزله الله اليه من القرآن أن يسألوا أهل الكتاب الذين قد أسلموا فأنتهم سيخبرونهم بأنه كتاب الله حق وان هذارسوله وان التوراة شاهدة بذلك ناطقة به فان ذلك محقق عندهم ثابت فى كتبهم والمراد اظهار نبوته عليه السلام بشهادة الاخبار وفى هذا الوجه مع حسنة مخالفة لظاهره قال الزجاج ان الله خاطب الرسول وهو شامل للخلق وهذا وجه حسن أيضا لكن فيه بعد لان الرسول متى كان داخل فى هذا الخطاب كان الايراد موجودا والاعتراض وارادا وقيل ان فى قوله فان للنبي أى ما أتت فى شك حتى تسأل وهذا أبعد وقال القتيبي المراد بهذه الآية من كان من الكفار غير قاطع بتكذيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا بتصديقه بل كان فى شك وقيل المراد بالخطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا غيره والمعنى لو كنت ممن يلحقه الشك فيما أخبرناك به فسألت أهل الكتاب لازلوا عنك الشك وقيل الشك هو ضيق الصدر أى ان ضاق صدرك بكفر هؤلاء فاصبر واسأل يخبرونك بصبر من قبلك من الانبياء على أذى قومهم وقيل معنى الآية الفرض والتقدير كأنه قال له فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فاسأل فانهم سيخبرونك عن نبوتك وما نزل عليك ويعترفون بذلك لانهم يجدونه

مكتوبا جرى على لسانه الدعاء على قومه واذا أراد أن يفتح لقومه دعاء ان يفتح لموسى وجيشه أو نحو من ذلك ان شاء الله قال فقالوا ما نراك تدعوا الاعلىنا قال ما يجرى على لسانى الا هكذا ولودعوت عليه أيضا ما استجب لى ولكن سأدلكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم ان الله يبغض الزنا وانهم ان وقعوا فى الزنا هل كوا ورجوت أن يهلكهم الله فأخرجوا النساء تسبيلهم فانهم قوم مسافرون فعسى أن يزنا فيهلكوا قال ففعلوا فأخرجوا النساء تسبيلهم قال وكان للملك ابنة فذكر من عظمها ماشاء الله قال فقال ابوهاو بلعام لا يمكنى نفسك الامن موسى وأوقعوا فى الزنا قال فأناها رأس سبط من اسباط بنى اسرائيل فأرادها على نفسها قال فقالت ما أنا بممكنة نفسى الامن موسى فقال ان منزلتى كذا وكذا وان من حالى كذا وكذا قال فأرسلت الى ابيها تسأمره قال فقال لها فأمكنه قال وياتيهم ما راجل من بنى هرون ومعهم الرمح فيقطعن ما قال وايداه الله بقوة فاتظمها جميعا ورفعهما على رحمة قرأهما الناس أو كما حدث قال وسلط الله عليهم الطاعون فمات منهم سبعون الفا قال المعتمر حدثنى سياران بلعاما ركب جارة له حتى أتى العولى (١) أو قال طر يقامن العولى جعل يضر بها ولا تقدم وقامت عليه فقالت علام تضر بنى أماترى هذا الذى بين يديك فاذا الشيطان بين يديه قال فنزل وسجد له قال الله تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناها آياتنا فانسلخ منها الى قوله لعلمهم (١) قوله اتى العولى الخ هكذا فى الاصل وحرر اه

ففي بلعام بن باعور انزل الله وائل عليهم نبأ الذي آتيناها آياتنا فانسلخ منها الى قوله لعلمهم يتفكرون وقوله تعالى فغله كمثل الكلب ان يحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث اختلف المفسرون في معناه فعلى سياق ابن اسحق عن سالم أبي النضر ان بلعاما اندلع لسانه على صدره فتشبهه بالكلب في لهثه في كتابه ان زجر وان ترك ظاهر وقيل معناه فصار مثله في ضلاله واستمراره فيه وعدم انتفاعه بالدعاء الى الايمان وعدم الدعاء كالكلب في لهثه في حالته ان حملت عليه يلهث وان تركته هو يلهث في الحالين فكذلك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة الى الايمان ولا عدمه كما قال تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم ان يغفر الله لهم ونحو ذلك وقيل معناه ان قلب الكافر والمنافق والضال ضعيف فارغ من الهدى فهو كثير الوجيب فعبر عن هذا بما نقل نحوه عن الحسن البصري وغيره وقوله تعالى فاقصص القصص لعلمهم يتفكرون يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاقصص القصص لعلمهم أي لعلى بن اسرائيل العالمين بحال بلعام وما جرى له في اضلال الله اياه وابعاده من رحمته بسبب انه استعمل نعمته الله عليه في تعليمه الاسم الاعظم الذي اذا سئل به أعطى واذا دعي به أجاب في غير طاعة ربه بل دعا به على حزب الرحمن وشعب الايمان اتباع عبده ورسوله في ذلك الزمان كليم الله موسى بن عمران (٢٦٨) ولهذا قال لعلمهم يتفكرون أي فيمجدروا ان

يكونوا مثله فان الله قد اعطاهم علما وميزهم على من عداهم من الاعراب وجعل بأيديهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم يعرفونها كما يعرفون أبناءهم فهم أحق الناس واولاهم باتباعه ومناصرته وموازنته كما أخبرتهم أنبياءهم بذلك وأمرتهم به ولهذا من خالف منهم ما في كتابه وكتبه فلم يعلم به العباد احل الله به ذل في الدنيا موصولا بل الآخرة وقوله ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا يقول تعالى ساء مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآياتناى ساء مثلهم ان شبهوا بالكلاب الذين لاهمة لهم الا في تخصصيل أكلة او شهوة فن خرج عن حيز العلم والهدى

الآيات التكوينية والتنزيلية فان ذلك لا ينفعهم لان الله سبحانه قد طبع على قلوبهم وحق منه القول عليهم (حق يروا العذاب الاليم) فيقع منهم ما صورته صورة الايمان وليس بايمان ولا يترتب عليه شيء من أحكامه (فلولا كانت قرية آمنت) لولا هذه هي التخصيصية التي بمعنى هلا كما قال الاخفش والكسائي وغيرهما ويدل على ذلك ما في مصحف أبي وابن مسعود فهلا قرية وفي هذا التخصيص معنى التوبيخ والنفي فويح الله أهل القرى المهلكة قبل يونس على عدم ايمانهم قبل نزول العذاب بهم والمعنى فهلا قرية واحدة من هذه القرى التي أهلكتها آمنت ايماناً معتداً به نافعاً وذلك بأن يكون خالصاً لله قبل معارضة عذابه ولم تؤخره كما أخره فرعون (فنفخها ايمانها) في حال البأس (الاقوم يونس) استثناء منقطع من القرى لان المراد أهلها والمعنى لكن قوم يونس وقد قال بان هذا الاستثناء منقطع جماعة من الائمة منهم الكسائي والاخفش والقراء وقيل متصل والجملة في معنى النفي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى المهلكة الا قوم يونس قال ابن جرير خص قوم يونس من بين الامم بأن تيب عليهم من بعد معارضة العذاب وحكى ذلك عن جماعة من المفسرين وقال الزجاج انه لم يقع العذاب وانما رأوا العلامة التي تدل على العذاب ولورأوا عين العذاب لما تفهم الايمان وهذا أولى من قول ابن جرير (لما آمنوا) ايماناً معتداً به قبل معارضة العذاب حين رؤيته اماراته أو عند أول المعارضة

واقبل على شهوة نفسه واتبع هواه صار شبهه بالكلب وبس المثل مثله ولهذا ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس لنا مثل السوء العائذ في هيبته كالكلب يعود في قيمته وقوله وانفسهم كانوا يظلمون أي ما ظلمهم الله ولكن هم ظلموا انفسهم باعراضهم عن اتباع الهدى وطاعة المولى الى الركون الى دار البلى والاقبال على تخصصيل اللذات ومواقفة الهوى (من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فالولئك هم الخاسرون) يقول تعالى من هداه الله فانه لا مضل له ومن اضله فقد خاب وخسر وفضل لا محالة فانه تعالى ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ولهذا جاء في حديث ابن مسعود ان الحد لله حمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرورنا نفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله الحديث تمامه رواه الامام أحمد وأهل السنن وغيرهم (ولقد ذرأنا الجهنم كثيراً من الجن والانس اهلهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم اضل أولئك هم الغافلون) يقول تعالى ولقد ذرأنا الجهنم أي خلقنا وجعلنا الجهنم كثيراً من الجن والانس أي هيئناهم لها وبعمل أهلها يعملون فانه تعالى لما أراد ان يخلق الخلق علم ما هم عاملون قبل كونهم فكاتب ذلك عنده في كتاب قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة كما ورد في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله

قدر مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء وفي صحيح مسلم ايضا من حديث عائشة بنت طلحة عن خالتها عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها انها قالت دعى النبي صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقلت يا رسول الله طوبى له بعصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال رسول صلى الله عليه وسلم أو غير ذلك يا عائشة ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم وخلق النار وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود ثم يبعث الله اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أم سعيد وتقدم ان الله لما استخرج ذرية آدم من صلبه وجعلهم فريقين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال قال هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي والاحاديث في هذا كثيرة ومسئلة القدر كبيرة ليس هذا موضع بسطها وقوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها يعني ليس يتفقهون بشئ من هذه الجوارح التي جعلها الله سببا للهداية كما قال تعالى وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفقدنا أعيانهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفقدناهم من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله الآية وقال تعالى صم بكم عني فهم لا يرجعون هذا في حق المنافقين وقال في حق الكافرين صم بكم عني فهم لا يعقلون ولم يكونوا صما ولا بكميا (٢٦٩) ولا عيما الا عن الهدى كما قال تعالى ولو علم الله

فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون وقال فانها لا تعمى الابصار ولا تكتمى القلوب التي في الصدور وقال ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون وقوله تعالى اولئك كالانعام أي هؤلاء الذين لا يسمعون الحق ولا يعون ولا يبصرون الهدى كالانعام السارحة التي لا تتفقه بهذه اخواس منها الا في الذي يقينها في ظاهرها الحياة الدنيا كقوله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذين ينعق بما لا يسمع الادعاء ونداء أي ومثلهم في حال دعائهم الى الايمان كمثل الانعام اذ ادعاهم اراعيها لا تسمع

قبل حلولة بهم (كشفتنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) هو العذاب الذي كان قد وعدهم يونس انه سينزل عليهم ولم يروه أو الذي قد راوا وعلامته دون عينه (ومتعناهم الى حين) أي بعد كشف العذاب عنهم متعمهم الله في الدنيا الى حين معلوم قدره لهم أي الى وقت انقضاء آجالهم قال قتادة لم يكن هذا في الامم قبل قوم يونس لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين عاينت العذاب الا قوم يونس وذو كرنا ان قومه كانوا يبنونى من أرض الموصل فلما فقدوا نبيهم قذف الله في قلوبهم التوبة وبجحت في ذلك الرجح فقال انه لم يقع بهم العذاب وانما رآوا علامته ولورأوا عين العذاب لما نفعهم الايمان قال القرطبي وهو كلام حسن فان المعاينة التي لا ينفع معها الايمان هي التلبس بالعذاب كقصة فرعون وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان يونس دعا قومه فلما أبوا أن يجيبوه وعدهم العذاب فقال انكم بآيتكم يوم كذا وكذا ثم خرج عنهم وكانت الانبياء اذا وعدت قومها العذاب خرجت فلما أظلمهم العذاب خرجوا ففرقوا بين المرأة وولدها والسخلة وولدها وخرجوا ينجون الى الله وعلم الله منهم الصدق فتاب عليهم وصرف عنهم العذاب وقعد يونس في الطريق يسأل عن الخبر فربه رجل فقال ما فعل قوم يونس فحدثه بما صنع فعرفه فقال لا أرجع الى قوم قد كذبتم وانطلق مغاضبا يعني مرانما وعن سعيد بن جبيرة قال غشى قوم يونس العذاب كما يغشى القبر بالثوب اذا

الاصوته ولا تفقه ما يقول ولهذا قال في هؤلاء بل هم أضل أي من الدواب لانها قد تستجيب مع ذلك لراعيها اذا أبس بها وان لم تفقه كلامه بخلاف هؤلاء ولا نها تفضل ما خلقت له اما بطبعها واما بتسخيرها بخلاف الكافر فانه انما خلق ليعبد الله ويوحده فكفر بالله وأشرك به ولهذا من أطاع الله من البشر كان أشرف من مثله من الملائكة في معاده ومن كفر به من البشر كانت الدواب أتم منه ولهذا قال تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعا وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الاعرج عنه ورواه البخاري عن أبي اليمان عن شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد به وأخرجه الترمذي عن الجوزجاني عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب فذكره بسنده مثله وزاد به صدق قوله يحب الوتر هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرفع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت

الحسب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود الجميد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى المتين الولي الحميد المحصي
 المبدئ المعيد المحي المميت الحى القيوم الواحد الماجد الواحد الاحد الفرد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الاخر
 الظاهر الباطن الوالى المتعالى البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغنى المغنى المانع
 الضار النافع النور الهادى البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور ثم قال الترمذى هذا حديث غريب وقد روى من غير وجه عن
 أبي هريرة ولا نعلم فى كثير من الروايات ذكر الاسماء الا فى هذا الحديث ورواه ابن حبان فى صحيحه من طريق صفوان به وقد رواه
 ابن ماجه فى سننه من طريق آخر عن موسى بن عقبه عن الاعرج عن أبي هريرة مرفوعا فى سرد الاسماء كنعوما تقدم بزيادة ونقصان
 والذى عول عليه جماعة من الحفاظ ان سرد الاسماء فى هذا الحديث مدرج فيه وانما ذلك كإرواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن
 محمد الصنعانى عن زهير بن محمد انه بلغه عن غير واحد من أهل العلم انهم قالوا ذلك أى انهم جمعوهما من القرآن كما روى عن جعفر بن
 محمد وسفيان بن عيينة وأبى زيد اللغوى والله أعلم ثم يعلم ان الاسماء الحسنى غير منحصرة فى تسعة وتسعين بدليل ما رواه الامام أحمد
 فى مسنده عن يزيد بن هرون عن فضيل (٢٧٠) بن مرزوق عن أبى سلمة الجهنى عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله

ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم انه قال
 ما أصاب أحد اذ قطه هم ولا حزن
 فقال اللهم انى عبدك ابن عبدك ابن
 أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك
 عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو
 لك سميت به نفسك وأنت له فى كتابك
 أو علمته أحد اذ من خلقك أو استأثرت به
 فى علم الغيب عندك ان تجعل القرآن
 العظیم ربيع قلبى ونور صدرى
 وجلاء حزنى وذهاب همى الأذهب
 الله حزنه وههمه وأبدل مكانه فرحا
 فقيل يا رسول الله أفلا تتعلمها فقال
 بلى ينبغى لكل من سمعها ان يتعلمها
 وقد أخرجه الامام أبو حاتم بن حبان
 البستي فى صحيحه بمثله وذكره الفقيه

دخل فيه صاحبه ومطرت السماء وما عن ابن عباس ان العذاب كان هبط على قوم
 يونس لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثي ميل فلما دعوا كشفه الله عنهم وقال قتادة قدر ميل
 وقال وهب غامت السماء غما سودها ثلثي اذ دخل دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم
 واسودت أسطحهم فتابوا وأخلصوا النية فرجهم ربهم وكشف ما نزل بهم من العذاب
 بعدما أظلمهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة قبيل انهم قالوا يا حتى لا حتى
 ويا حتى يحيى الموتى ويا حتى لا اله الا أنت وقيل قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت
 وأنت أعظم وأجل فافعل بنا ما أنت أهل له ولا تفعل بنا ما نحن أهل له قاله الفضيل بن عياض
 والله أعلم ما قالوه ثم بين سبحانه ان الايمان وضده كلاهما بمشيئة الله وتقديره فقال (ولو شاء
 ربك لا آمن من فى الارض كلهم) بحيث لا يخرج عنهم أحد (جميعا) مجتمعين على الايمان
 لا يتفرقون فيه ويحتفلون وانه لم يشأ ذلك لكونه مخالفا للمصلحة التى أرادها الله
 سبحانه قال الاخفش جاء بقوله جميعا بعد كلهم للثأ كيد كقوله لا تتخذوا الهين اثنين
 وقيل أى به مع ان كلامهما يفيد الاحاطة والشمول للدلالة على ان وجود الايمان منهم
 بصفة الاجتماع الذى لا يدل عليه كلهم ذكره الكرخى ولما كان النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم حريصا على ايمان جميع الناس أخبره الله بان ذلك لا يكون لان مشيئته الجارية
 على الحكمة البالغة والمصالح الراجحة لا تقتضى ذلك فقال (أفأنت تكفره الناس)

الامام أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية فى كتابه الاحوذى فى شرح الترمذى ان بعضهم جمع من الكتاب استفهام
 والسنة من أسماء الله ألف اسم فأنه أعلم وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى وذروا الذين يلحدون فى أسمائه قال اشتقوا اللات
 من الله واشتقوا العزى من العزير وقال قتادة يلحدون يشركون فى أسمائه وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس الاحاد التكذيب
 وأصل الاحاد فى كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف ومنها اللحد فى القبر لانحرافه الى جهة القبلة عن
 سمت الحفر (ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) يقول تعالى ومن خلقنا أى بعض الامم قاعة بالحق قولوا وعملوا يهدون
 بالحق يقولونه ويدعون اليه وبه يعدلون يعملون ويقضون وقد جاء فى الآثار ان المراد بهذه الامم المذكورة فى الآية هى هذه الامم
 المحمدية قال سعيد بن قتادة فى تفسير هذه الآية بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قرأ هذه الآية هذه لكم وقد أعطى
 القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس فى قوله تعالى
 ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أمتى قوم اعلى الحق حتى ينزل عيسى بن
 مريم متى ما نزل وفى الصحيحين عن معاوية بن أبى سفيان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتى على الحق

ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة وفي رواية حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وفي رواية وهم بالشام
 (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأمل لهم ان كيدى متين) يقول تعالى والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم
 من حيث لا يعلمون ومعناه انه يفتح لهم أبواب الرزق ووجوه المعاش في الدنيا حتى يغتروا بما هم فيه ويعتقدون انهم على شيء كما قال
 تعالى فلما نسوا ما ذكروا به نتجنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين
 ظلموا والحمد لله رب العالمين ولهذا قال تعالى وأمل لهم أى وسأمل لهم أى أطول لهم ما هم فيه ان كيدى متين أى قوى شديد (أولم
 يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الاذير ميم) يقول تعالى أولم يتفكروا هؤلاء المكذبون بآياتنا ما بصاحبهم يعنى محمد صلى
 الله عليه وسلم من جنة أى ليس به جنون بل هو رسول الله حقا ودعا الى حق ان هو الاذير ميم أى ظاهر لمن كان له لب وقلب يعقل
 به ويعنى به كما قال تعالى وما صاحبكم بمجنون وقال تعالى قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم
 من جنة ان هو الاذير لكم بين يدي عذاب شديد يقول انما اطلب منكم ان تقوموا لله قياما خالصا لله ليس فيه تعصب
 ولا عناد مثنى وفرادى أى مجتمعين ومتفرقين ثم تتفكروا فى هذا الذى (٢٧١) جاءكم بالرسالة من الله انه جنون أم لا فانكم
 اذا فعلتم ذلك بان لكم وظهور لكم

استفهام تأديب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أى أتكرههم عالم يشأه الله منهم (حتى
 يكونوا مؤمنين) فان ذلك ليس فى وسعك يا محمد ولاداخل تحت قدرتك وفى هذا تسلية له
 صلى الله عليه وآله وسلم ودفع لما يضييق به صدره من طلب صلاح الكل الذى لو كان لم
 يكن صلاحا محققا بل يكون الى الفساد اقرب والله الحكمة البالغة وايبلاء الاسم حرف
 الاستفهام للاعلام بان الاكرام ممكن مقدور عليه وانما الشأن فى المكره من هو وما هو
 الا هو وحده لا يشارك فيه لانه هو القادر على ان يخلق فى قلوبهم ما يضطرون عنده الى
 الايمان وذلك غير مستطاع للبشر ثم بين سبحانه ما تقدم بقوله (وما كان) أى ما صح وما
 استقام (لنفس) من الانفس (ان تؤمن الا باذن الله) أى تسهيله وتيسيره ومشيتته لذلك
 فلا يقع غير ما يشأه كما انما كان (ويجعل الرجس) بكسر الراء وضمها الغتان أى العذاب
 أو السخط أو الكفر أو الخذلان الذى هو سبب العذاب وهذا معطوف على محذوف
 كأنه قيل فيما ذنوب بعضهم فى الايمان ويجعل الخ والمضارع فى المعطوف والمعطوف عليه
 يعنى الماضى والمراد بقوله (على الذين لا يعقلون) هم الكفار الذين لا يعقلون حجج الله
 ولا يتفكرون فى آياته ولا يتدبرون فيما نصبه لهم من الأدلة (قل انظروا) بضم اللام
 وكسر هاء جعيتان (ماذا فى السموات والارض) لما بين سبحانه ان الايمان لا يحصل

اذا فعلتم ذلك بان لكم وظهور لكم
 انه رسول الله حقا وصدقا وقال
 قتادة بن دعامة ذكرونا ان نبي الله
 صلى الله عليه وسلم كان على الصفا
 فدعا قريشا فجعل يفخذهم فخذ اخذا
 يا بنى فلان يا بنى فلان فخذهم باس
 الله ووقائع الله فقتال قائلهم ان
 صاحبكم هذ المجنون بات يصوت
 الى الصباح أو حتى أصبح فانزل الله
 تعالى أولم يتفكروا ما بصاحبهم من
 جنة ان هو الاذير ميم (أولم ينظروا
 فى ملكوت السموات والارض وما
 خلق الله من شيء وان عسى ان يكون
 قد اقترب آجالهم فبأى حديث بعده
 يؤمنون) يقول تعالى أولم ينظروا
 هؤلاء المكذبون بآياتنا فى ملك الله

وسلطانه فى السموات والارض وفيما خلق من شيء فيه ما فيتدبروا ذلك ويعتبروا به ويعلموا ان ذلك لمن لا نظيره ولا شبهه ومن فعل
 من لا ينبغي أن تكون العبادة والدين الخالص الاله فيؤمنوا به ويصدقوا رسوله وينميوا الى طاعته ويحلج الانداد والاورثان ويحذروا
 أن تكون آجالهم قد اقتربت فيهلكوا على كثرهم ويصبروا الى عذاب الله وأليم عقابه وقوله فبأى حديث بعده يؤمنون يقول فبأى
 تخويف وتحذير وترهيب بعد تحذير محمد صلى الله عليه وسلم وترهيبه الذى آتاهم به من عند الله أى كتاب يصدقون ان لم يصدقوا
 بهذا الحديث الذى جاءهم به محمد من عند الله عز وجل وقدرى الامام أحمد عن حسن بن موسى وعثمان بن مسلم وعبد الصمد بن
 عبد الوارث كلهم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي الصلت عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 رأيت ليله أسرى بي كذا فلما انتهيت الى السماء السابعة فنظرت فوقى فاذا النار عدو برق وصواعق قال وأنت على قوم بطونهم
 كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أكلة الربا فلما نزلت الى السماء الدنيا فنظرت الى
 أسفل منى فاذا نبي برهيج ودخان وأصوات فقلت ما هذا يا جبريل قال هؤلاء الشياطين يحومون على أعين بنى آدم ان لا يتفكروا فى
 ملكوت السموات والارض ولولا ذلك لرأوا العجائب على بن زيد بن جدعان له منكرات ثم قال تعالى (من يضل الله فلا هادى له

يتبايعان الثوب فيما يتبايعانه حتى تقوم الساعة والرجل يلوط حوضه فما يصد رحى تقوم وقوله يسألونك كأنك حفي عنها
 اختلف المفسرون في معناه فقيل معناه كما قال العوفي عن ابن عباس يسألونك كأنك حفي عنها يقول كأن ينك وبينهم مودة كأنك
 صديق لهم قال ابن عباس لما سأل الناس النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة سألوه سؤال قوم كأنهم يرون أن محمد حفي بهم فأوحى
 الله اليه انما علمها عنده استأثر به فلم يطع الله عليهما ملكا مكرها ولا رسولا وقال قتادة قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم ان بيننا
 وبينك قرابة فأشر الينا متى الساعة فقال الله عز وجل يسألونك كأنك حفي عنها وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وأبي مالك والسدي
 وهذا قول الصحيح عن مجاهد من رواية ابن أبي نجيح وغيره يسألونك كأنك حفي عنها قال استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقتها
 وكذا قال الضمالي عن ابن عباس يسألونك كأنك حفي عنها يقول كأنك عالمهم الست تعلمها قل انما علمها عند الله وقال معمر عن
 بعضهم كأنك حفي عنها كأنك عالمهم اذ حفي الله عليهما على خلقه وقرأ أن الله عنده علم الساعة الآية وهذا القول أرجح في المعنى
 من الاقول والله أعلم ولهذا قال قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولهذا لما جاء جبريل عليه السلام في صورة
 اعرابي ليعلم الناس أمر دينهم فجلس من رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٧٢) مجلس السائل المستتر شد وسأله صلى الله

عليه وسلم عن الاسلام ثم عن الايمان
 ثم عن الاحسان ثم قال فتى الساعة
 قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ما المسئول عنها بأعلم من السائل
 أي لست أعلم بهامنك ولا أحد أعلم
 بهامن أحد ثم قرأ النبي صلى الله
 عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة
 الآية وفي رواية فسأله عن اشراط
 الساعة فبين له اشراط الساعة ثم
 قال في خمس لا يعلمن الا الله وقرأ
 هذه الآية وفي هذا كله يقول له بعد كل
 جواب صدقت ولهذا يحب الصحابة
 من هذا السائل يسأله ويصدقه ثم
 لما انصرف قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم هذا جبريل أنا كم يعلمكم
 دينكم وفي رواية قال وما أتاني في

شديد ووعيد بالغ بانه سينزل بهؤلاء ما نزل بأولئك من الالهالك (ثم نجي) بالتشديد باتفاق
 العشرة وقرئ بالتخفيف وهما لغتان فصيحتان أنجي بنجي انجاء ونجي بنجي تخيبة بمعنى واحد
 وشم للعطف على مقدر يدل عليه ما قبله كأنه قيل أهلكا الامم ثم نجينا (رسنا) المرسلين اليهم
 (و) نجينا (الذين آمنوا) والتعبير بالفظ النعل المستقبل لاستحضار صورة الحال الماضية
 تهويلا امرها (كذلك) صفة لمصدر محذوف أي انجاء مثل ذلك الانجاء وقوله (حقا
 علينا) اعتراض أي حق ذلك علينا حقا أي وجب وتحتهم مقتضى الفضل والكرم (نجي)
 بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان (المؤمنين) من عذابنا للكفار والمراد بالمؤمنين
 الجنس فيدخل في ذلك الرسل واتباعهم أو يكون خاصا بالمؤمنين وهم اتباع الرسل لان
 الرسل داخلون في ذلك بالاولى وقال السيموطي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه
 حين تعذيب المشركين (قل يا أيها الناس) أمر سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم
 بأن يظهر التباين بين طريقته وطريقته المشركين مخاطبا لجميع الناس أو للكفار منهم
 أو لاهل مكة على الخصوص بقوله (ان كنتم في شك من ديني) الذي انا عليه وهو عبادة الله
 وحده لا شريك له ولم تعلموا بحقيقته ولا عرفتم صحته وانه الدين الحق الذي لا دين غيره
 فاعلموا اني بري من أديانكم التي أنتم عليها (فلا تعبدوا الذين تعبدون من دون الله)

(٢٥ - فتح البيان ع) صورة الاعرفته فيها الاصورته هذه وقد ذكرت هذا الحديث بطرقه وألفاظه من الصحاح
 والحسان والمسانيد في أول شرح البخاري والله الحمد والمنة ولما سأله ذلك الاعرابي وناداه بصوت جهوري فقال يا محمد قال له رسول
 الله صلى الله عليه وسلم هاؤم على نحو من صوته قال يا محمد متى الساعة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويح ان الساعة آتية
 فما أعددت لها قال ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولكني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم المر مع من
 أحب فافرح المسلمون بشي فرحهم بهذا الحديث وهذا له طرق متعددة في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم انه قال المر مع من أحب وهي متواترة عند كثير من الحفاظ المقتنين ففقهه انه عليه السلام انه كان اذا سئل
 عن هذا الذي لا يحتاجون الى علمه أرسدهم الى ما هو الاله في حقهم وهو الاستعداد لوقوع ذلك والتبؤ له قبل نزوله وان لم يعرفوا
 تعيين وقته ولهذا قال مسلم في صحيحه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قال حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي
 الله عنها قالت كانت الاعراب اذا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه عن الساعة متى الساعة فينظر الى أحدث انسان
 منهم فيقول ان يعش هذا لم يدركه الهرم حتى قامت ساعتكم يعني بذلك موتهم الذي يفضى بهم الى الحصول في برزخ الدار الآخرة ثم

قال مسلم وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يونس بن محمد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعش هذا الغلام فعسى أن لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة اتفر به مسلم وحدثني حجاج بن الشاعر حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد حدثنا سعيد بن أبي حلال المصري عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال متى الساعة فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيهة ثم نظر الى غلام بين يديه من أزد شنوءة فقال ان عمر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة قال أنس ذلك الغلام من أترابي وقال حدثنا هرون بن عبد الله حدثنا عفان بن مسلم حدثنا همام حدثنا قتادة عن أنس قال مر غلام للمغيرة بن شعبة وكان من ابن أبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان ياخر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة قال أنس ذلك الغلام الى ورواه البخاري في كتاب الادب من صحيحه عن عمرو بن عاصم عن همام بن يحيى عن قتادة عن أنس ان رجلا من أهل البادية قال يا رسول الله متى الساعة فذكر الحديث وفي آخره فرغ غلام للمغيرة بن شعبة وذكره وهذا الاطلاق في هذه الروايات محمول على التقييد بساعتكم في حديث عائشة رضي الله عنها وقال ابن جرير في صحيحه (٢٧٤) أبو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول قبل أن يموت بشهر قال تسألوني عن الساعة وانما علمها عند الله وأقسم بالله ما على ظهر الارض اليوم من نفس منقوسة تأتى عليها مائة سنة رواء مسلم وفي الصحيحين عن ابن عمر مثله قال ابن عمر وانما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم انخرام ذلك في القرن وقال الامام أحمد حدثنا هشيم بن أبان العوام عن جبهلة بن سحيم عن موثر بن عقارة عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اقيت ليلة أسرى بي ابراهيم وموسى وعيسى قال فتذاكروا أمر الساعة قال فردوا أمرهم الى ابراهيم عليه السلام فقال لا علم لي

في حال من الاحوال (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) أي أخصه بالعبادة لا أعبد غيره من معبوداتكم من الاصنام وغيرها وخص صفة التوفى من بين الصفات لما في ذلك من التهديد لهم أي أعبد الله الذي يتوفاكم فيفعل بكم ما يفعل من العذاب الشديد ولكونه يدل على الخلق أولا وعلى الاعادة ثانيا ولكونه أشد الاحوال ههنا في القلوب ولكونه قد تقدم ذكر الاهلاك والوقائع النازلة بالكفار من الامم السابقة فكانه قال أعبد الله الذي وعدني باهلا ككم ولما ذكر انه لا يعبد الا الله بين ما مور بالايان فقال (وأمرت ان أكون من المؤمنين) أي بأن أكون من جنس من آمن بالله وأخلص له الدين (وان أقم وجهك للدين) المعنى ان الله سبحانه أمره بالاستقامة في الدين والنيات فيه وعدم التزلزل عنه بحال من الاحوال وخص الوجه لانه أشرف الاعضاء وأمره باستقبال القبلة في الصلاة وعدم التحول عنها (حنيفا) أي ما لا عن كل دين من الاديان الى دين الاسلام مستقيما عليه غير معوج عنه الى دين آخر ثم كذا الامر المتقدم بالنهي عن ضده فقال (ولا تكونن من المشركين) عطف على اقم داخل تحت الامر وهو من باب التعريض لغيره صلى الله عليه وآله وسلم (ولا تدع من دون الله) على حال من الاحوال (مالا ينفعن ولا يضرن) بشئ من النفع والضرن دعونه ودعاء من كان هكذا لا يجب نفعها

ولا

بها فردوا أمرهم الى موسى فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم الى عيسى فقال عيسى أما وجبتها

فلا يعلم بها أحد الا الله عز وجل وفيما عهد الى ربي عز وجل ان الدجال خارج قال ومعنى قضيبان فاذا رأني ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله عز وجل اذا رأني حتى ان الشجر والحجر يقول يا مسلم ان تحتي كافر اقمه قال فاقبله قال فيهلكهم الله عز وجل ثم يرجع الناس الى بلادهم وأوطانهم قال فعند ذلك يخرج بأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطؤون بلادهم لا يأتون على شيء الا أهل كوه ولا يرون على ماء الا شربوه قال ثم يرجع الناس الى قبيس كونهم فادعوا الله عز وجل عليهم فيهلكهم ويعيبتهم حتى تجبوا الارض من تنين ريجهم أي تنين قال فينزل الله عز وجل المطر فيقتلهم أجسادهم حتى تقذفهم في البحر قال الامام أحمد قال يزيد بن هرون ثم تنسف الجبال وتهد الارض مد الاديم ثم يرجع الى حديث هشيم قال فقيم عهد الى ربي عز وجل ان ذلك اذا كان كذلك فان الساعة كالحامل المم لا يدري أهلها متى تنفجأهم بولادتها الميلا أو نهارا ورواه ابن ماجه عن بنه عن يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب بسنده نحوه فهو له أكبر وأولى العزم من المرسلين ليس عندهم علم بوقت الساعة على التعيين وانما ردوا الامر الى عيسى عليه السلام فتسكلم على اشراطها لانه ينزل في آخر هذه الامة منقذ الاحكام رسول الله صلى الله عليه

وسلم ويقتل المسيح الدجال ويجعل الله هلاكك يا جوج وما جوج ببركة دعائه فأخبر بما علمه الله تعالى به وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن بكير حدثنا عبد الله بن زياد بن لقيط قال سمعت أبي يذكر عن حذيفة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال علمها عند ربي عز وجل لا يجليها الوقتها الا هو ولكن سأخبركم بمشار يطها وما يكون بين يديها ان بين يديها فتنة وهرجا قالوا يا رسول الله الفتنة قد عرفناها فماها قال الهرج قال بلسان الحبشة انقتل قال ويلي بين الناس التناكر فلا يكاد أحد يعرف أحد الم يروه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه وقال وكيع حدثنا ابن أبي خالد عن طارق بن شهاب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت يسألونك عن الساعة أيان مر ساها الاية ورواه النسائي من حديث عيسى بن يونس عن اسمعيل بن أبي خالد به وهذا اسناد جيد قوي فهذا النبي الامي سيد الرسل و خاتمهم صلوات الله عليه وسلامه نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الخيمة والعاقب والمقني والحاشر الذي تحشر الناس على قدميه مع قوله فيما ثبت عنه في الصحيح من حديث أنس ومهمل ابن سعد رضي الله عنهما بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين اصبعيه السبابة والتي تليها قد أمره الله ان يرد علم وقت الساعة اليه اذا سئل عنها فقال قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٢٧٥) قل لأملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ماشاء

الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الانذير وبشير لقوم يؤمنون) أمره الله تعالى أن يفوض الامور اليه وان يخبر عن نفسه انه لا يعلم الغيب المستقبل ولا اطلاع له على شيء من ذلك الا ما أطلع به الله عليه كما قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد الاية وقوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير قال عبد الرزاق عن الثوري عن منصور عن مجاهد ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير قال لو كنت أعلم متى أموت لعملت عملا صالحا وكذا روى ابن أبي نجیح عن مجاهد وقال من له ابن

ولا يقدر على ضرر ضائع لا يفعله عاقل على تقدير انه لا يوجد من يقدر على النفع والضرر غيره فكيف اذا كان موجودا فان العدول عن دعاء القادر الى دعاء غير القادر اقمح واقبح (فان فعلت) اي فان دعوت ولكنك كني عن القول بالفعل (فانك اذا من الظالمين) هذا جزاء الشرط اي فانك في عداد الظالمين لانفسهم والمقصود من هذا الخطاب التعريض لغيره صلى الله عليه وآله وسلم (و) بجملة (ان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو) مقرر لمضمون ما قبلها والمعنى ان الله سبحانه هو الضار النافع فان انزل بعبده ضرا لم يستطع احدا أن يكشفه كما نمان كان بل هو المختص بكشفه كما هو المختص بانزاله (وان يردك بخير) اي خير كان لم يستطع احدا أن يدفعه عنك ويحول بينك وبينه كما نمان كان هو من القلب وأصله ان يردك بخير ولكن لما تعلق كل واحد منهم بما بالآخر جازان يكون كل واحد منهم مامكان الآخر قال النيسابوري وفي تخصيص الارادة بجواب الخير والمس بجانب الشر دليل على أن الخير يصدر عنه سبحانه بالذات والشر بالعرض قلت وفي هذا نظر فان المس هو أمر وراء الارادة فهو مستلزم لها وقيل ان الضرا انما مسهم لا بالقصد الاقول والمعنى متقارب (فلا راد لفضله) أي لا دافع لما أرادك به من الخير ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه مفضل بما يريد بهم من الخير لاستحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله تعالى لا يمكن رده واردة الله قديمة لا تتغير بخلاف

جريح وفيه نظر لان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ديمية وفي رواية كان اذا عمل عملا أثبتته فجميع عمله كان على منوال واحد كما أنه ينظر الى الله عز وجل في جميع أحواله اللهم الا أن يكون المراد أن يرشد غيره الى الاستعداد لذلك والله أعلم والاحسن في هذا ما رواه الضمالي عن ابن عباس ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير أي من المال وفي رواية لعلمت اذا اشتريت شيئا ما أربح فيه فلا يبيع شيئا الا ربحت فيه ولا يبيعني النقر وقال ابن جرير وقال آخرون معنى ذلك لو كنت أعلم الغيب لا عدت للسنة المجذبة من الخصبه ولو وقت الغلاء من الرخص وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وما مسني السوء قال لا اجتنبت ما يكون من الشر قبل ان يكون واقتيته ثم أخبرانه انما هو نذير وبشير أي نذير من العذاب وبشير للمؤمنين بالجنات كما قال تعالى فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا غمرت به فلما أنقلت دعوا الله ربهما ان اتينا صا لخالصين من الشاكرين فلما آتاها صا لخالصا جعله شر كما فيها آتاها فتعالى الله عما يشركون) ينبه تعالى على انه خلق جميع الناس من آدم عليه السلام وانه خلق منه زوجته حتى ثم انتشر الناس منها كما قال تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكروا نثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم وقال تعالى

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها أزواجها الآية وقال في هذه الآية الكريمة وجعل منها زوجها ليسكن اليها أي ليألفها ويسكن بها كقوله تعالى ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة فلا ألفة بين زوجين أعظم مما بين الزوجين ولهذا ذكر تعالى أن الساحر بما توصل بكيدته إلى التفرقة بين المرء وزوجه فلما تغشاها أي وطئها حلت جلا خفيفا وذلك أول الحمل لا تجد المرأة ألمها إنما هي النطفة ثم العلقة ثم المضغة وقوله فزت به قال مجاهد استمرت عليه وروى عن الحسن وابراهيم النخعي والسدي نحووه وقال ميمون بن مهران عن أبيه استخفته وقال أيوب سألت الحسن عن قوله فزت به قال لو كنت رجلا عبرت بالعرف ما هي انما هي استمرت به وقال قتادة فزت به استبان حملها وقال ابن جرير معناه استمرت بالماء قامت به وقعت وقال العوفي عن ابن عباس استمرت به فشكت أم حملت أم لا فلما أثقلت أي صارت ذات ثقل بحملها وقال السدي كبر الولد في بطنه ادعوا الله ربهما لمن آتينا صالحا أي بشر أسويا كما قال النخعي عن ابن عباس أشفقان يكون بهيمة وكذلك قال أبو بصير وأبو مالك أشفقان لا يكون انسانا وقال الحسن البصري لئن آتينا غلاما لانه يكون من الشاكرين فلما آتاها ما صالحا جعله شر كما فيها آتاها (٢٧٦) فتعالى الله عما يشركون ذكر المفسرون ههنا آثارا وأدبا حيث سأورد ههنا وأبين

ما فيها ثم تبسح ذلك ببيان الصحيح في ذلك ان شاء الله وبه الثقة قال الامام أحمد في مسنده حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن ابراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فانه يعيش فسميته عبد الحارث فحاش وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار عن بندار عن عبد الصمد بن عبد الوارث به ورواه الترمذي في تفسيره هذه الآية عن محمد بن المثني عن عبد الصمد به وقال هذا حديث حسن

مس الضرفانه صفة فعل (يصيب به) أي بفضله أو بكل واحد من الخير والضر (من يشاء من عباده) وجملة (وهو الغفور الرحيم) نذرية عن عامر بن قيس قال ثلاث آيات في كتاب الله اكتفيت بهن عن جميع الخلائق أولهن ان يمسسك الله الآية والثانية ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسسك فلا مرسس له والثالثة وما من دابة في الارض الا على الله رزقها أخرجه البيهقي في الشعب وأخرج أبو الشيخ عن الحسن نحوه ثم ختم هذه السورة بما يستدل به على قضاؤه وقدره فقال (قل يا أيها الناس) لاجل أن تنقطع معذرتهم فهذا نهي الامر (قد جاءكم الحق من ربكم) أي القرآن أو الاسلام أو محمد صلى الله عليه وآله وسلم (فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) أي منفعة اهتدائه مختصة به (ومن ضل فانما يضل عليها) أي ضرر كفره مقصور عليه لا يتعداه وليس لله حاجة في شيء من ذلك ولا غرض يعود اليه ومن في الموضوعين يجوز أن تكون شرطية والقائه واجبة الدخول وان تكون موصولة والنساء جائزته (وما أنا عليكم بوكيل) أي بحفظي بحفظ أمركم وتوكل اليه انما أنا بشير ونذير ثم أمره الله سبحانه ان يتبع ما أوامره والنواهي التي شرعها الله له ولا تمته فقال (واتبع ما يوحى اليك) ثم أمره بالصبر على أذى الكفار وما يلاقيه من مشاق التبليغ وما يعاينه من تلون أخلاق المشركين وتنجرفهم فقال (واصبر) وجعل ذلك الصبر ممتدا إلى غاية هي قوله (حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين)

غريب لانعرفه الامن حديث عمر بن ابراهيم ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه ورواه الحاكم في مستدرکه من حديث عبد الصمد فروعا ثم قال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ورواه الامام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرازي عن هلال بن فياض عن عمر بن ابراهيم به فروعا وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث شاذ بن فياض عن عمر بن ابراهيم به فروعا قلت وشاذ هو هلال وشاذ لقبه والغرض ان هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه أحدها ان عمر بن ابراهيم هذا هو المصري وقدر ثقة ابن معين ولكن قال أبو حاتم الرازي لا يحتج به ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة فروعا قال الله أعلم الثاني انه قد روى من قول سمرة نفسه ليس فروعا كما قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعمر عن أبيه حدثنا بكر بن عبد الله عن سليمان التيمي عن عبد الأعلى بن الشخير عن سمرة بن جندب قال سمى آدم ابنه عبد الحارث الثالث أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا فلو كان هذا عنده عن سمرة فروعا لما عدل عنه قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل بن يوسف عن عمرو بن الحسن جعله شر كما فيها آتاها قال كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بأدم وحدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال

الحسن عنى بهاذرية آدم ومن أشرك منهم بعده يعنى جعله لاله شركاء فيما آتاها وحديثنا بشر حدثننا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادافهؤودواونصروا وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضى الله عنه انه فسر الآية بذلك وهو من أحسن التفسير وأولى ما جلت عليه الآية ولو كان هذا الحديث عنده محفوظا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عدل عنه هو ولا غيره لاسيما مع تقوا الله وورعه فهذا يدل على انه موقوف على الصحابي ويحتمل انه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما كما سيأتى بيانه ان شاء الله ألا انما برئنا من عهددة المرفوع والله أعلم فأما الآثار فقال محمد بن اسحق بن يسار عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولاد فيعبدونهم لله ويسمهم عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك فيصيبهم الموت فأتاهما ابليس فقال انك لوسميتاهم بغير الذى تسميانه به لعاش قال فولدت له رجلا فسماه عبد الحارث فقيهه أنزل الله يقول الله هو الذى خلقكم من نفس واحدة الى قوله جعله لاله شركاء فيما آتاها الى آخر الآية وقال العوفي عن ابن عباس قوله فى آدم هو الذى خلقتكم من نفس واحدة الى قوله فخرت به شككت اجملت أم لفلما انقلت دعوا الله ربهم لئن آتيتنا صالحا لنكونن (٢٧٧) من الشاكرين فأتاهما الشيطان

فقال هل تدري ان ما يولد لك أم هل تدري ان ما يكون أبهم أم لا وزين لهما الباطل انه غوى مبين وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فأتاها فقال لهما الشيطان انك ان لم تسميها بي لم يخرج سويا ومات كما مات الأول فسميها ولدها ما عبد الحارث فذلك قول الله فلما آتاها صالحا جعله لاله شركاء فيما آتاها الآية وقال عبد الله بن المبارك عن شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله فلما آتاها صالحا جعله لاله شركاء فيما آتاها قال قال الله تعالى هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليدسكن اليها فلما

أخا كين) أى يحكم الله بينه وبينهم فى الدنيا بالنصر له عليهم وفى الآخرة بعد اذ بهم بالنار وهم يشاهدونه صلى الله عليه وآله وسلم هو وأمه المتبعون له المؤمنون به العاملون بما يأمرهم به المنتمون عما ينهون عنه ينقلبون فى نعيم الجنة الذى لا ينفد ولا يمكن وصفه ولا يوقف على أدنى مزايه وقال مجاهد هذا منسوخ بأمره بجهادهم والغلظة عليهم وبه قال ابن عباس قال السبوطى وقد صدق حتى حكم على المشركين بالقتال وأهل الكتاب بالحزبية اه وأشار بهذا الى قول مجاهد قاله الكرخي

(سورة هود عليه السلام وهى مائة وثلاث وعشرون آية) *

وهى مكية فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ومجاهد وابن زيد وقال ابن عباس وقاتدة الآية وهى قوله وأقم الصلاة طرى فى النهار وقال مقاتل أو الأفلحك تارك الآية وأولئك يؤمنون به الآية والحاصل ان المدنى عند ابن عباس آية واحدة وعند مقاتل آيتان وعن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقرؤا هود يوم الجمعة أخرجه الدارمى وأبو داود والبيهقى وغيرهم وعن أبى بكر الصديق قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما الذى قال الله تعالى وإذا الشمس كورت أخرجه الشيب فقال شيتنى هود والواقعة والمرسلات وعم تساءلون وإذا الشمس كورت أخرجه الطبرانى والترمذى وحسنه وعن أنس مرفوعا وهل أتاك حديث العاشية رواه البراز وقد روى بطرق عن جمع من الصحابة قال بعض العلماء بسبب شيبه من هذه السور ما فيها

تغشاها آدم حات فأتاهما ابليس لعنه الله فقال انى صاحبك الذى أخرجتك من الجنة لتطيعنى أولا جعلان له قرنى ايل فيخرج من بطنك فيشقه ولا فعلن ولا فعلن يخوفهما فسمياه عبد الحارث فأيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حلت الثانية فأتاهما أيضا فقال أنا صاحبك الذى فعلت ما فعلت لتفعلن أو لا فعلن يخوفهما فأيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حلت الثالثة فأتاهما أيضا فاذ كرلهما فأدر كهما حب الولد فسمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى جعله لاله شركاء فيما آتاها رواه ابن أبى حاتم وقد تلقى هذا الاثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه كجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومن الطبقة الثانية قتادة والسدى وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف ومن المفسرين من المتأخرين جماعة لا يحصون كثرة وكانه والله أعلم أصله مأخوذ من أهل الكتاب فان ابن عباس رواه عن أبى ابن كعب كما رواه ابن أبى حاتم حدثنا ابى حدثنا ابى الجاهر حدثنا سعيد يعنى ابن بشر عن عتبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبى بن كعب قال لما جلت حواء آتاها الشيطان فقال لها تطيعينى ويسلم لك ولولدك سميه عبد الحارث فلم تفعل فولدت فبات ثم حلت فقال لها مثل ذلك فلم تفعل ثم حلت الثالثة فجاءها فقال ان تطيعينى يسلم والافانه يكون بهيمة فهميها فإطاعا وهذه الآثار يظهر علم الله أعلم انها من آثار أهل الكتاب وقد صرح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا حدثكم أهل

التكاثف فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ثم أخبرهم على ثلاثة أقسام فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ومنها ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضاً ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقوله عليه السلام حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وهذا الاثر هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر فاما من حدث به من صحابي أو تابعي فإنه يراه من القسم الثالث واما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ولهذا قال الله فتعالى الله عما يشركون ثم قال فذكره آدم وحواء أولاً كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين وهو كالأستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس كقوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح الآية ومعلوم أن المصابيح هي النجوم التي زينت بها السماء ليست هي التي يرمى بها وإنما هذا الاستطراد من شخص المصابيح إلى جنسها ولهذا نظر في القرآن والله أعلم (أبشركون ما لا يخلق شياً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أم تدعوهم أم أنتم صامتون ان الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم (٢٧٨) ان كنتم صادقين ألهم ارجل يشون بها أم لهم أيدي يطشون بها أم لهم أعين

من ذكر القيامة والبعث والحساب والجنة والنار والله أعلم بما عرادرسوله صلى الله عليه وآله وسلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) ان كان مسروداً على سبيل التعديد كما في سائر فواتح السور فلا محمل له وان كان اسم السورة فهو في محمل الرفع على انه مبتدأ وما بعده خبره أو خبر مبتدأ محذوف وهو الاظهر أو في محمل النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذ كرأ وقرأ وقوله (كتاب) خبر لمبتدأ محذوف أي هذا كتاب ويدل على ذلك قوله في آية أخرى ذلك الكتاب والاشارة اما إلى بعض القرآن أو إلى مجموعهم ومعنى (أحكمت آياته) صارت محكمة متقنة لانقص فيها ولا نقض لها كالبناء المحكم المرصوف وقيل معناها انها لم تنسخ بخلاف التوراة والانجيل وعلى هذا فيكون هذا الوصف للكتاب باعتبار الغالب وهو المحكم الذي لم ينسخ وقيل معناها أحكمت آياته بالامر والنهي والآيات المراد بها حقيقتها وهي الجملة من السور المنقصة لبعضها عن بعض أي نظمت نظاماً متقناً لا يعتبر به خلل بوجه من الوجوه وقيل معنى احكامها ان لا فساد فيها أخذاً من قولهم أحكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجحاح (ثم فصلت) بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وقيل

ينصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها اقل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنتظرون ان ولى الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوها وتراهم ينظرون اليك وهم لا يصرون) هذا النكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الانداد والاصنام والاوثان وهي مخلوقة لله مربوطه مصنوعة لا تملك شيئاً من الامر ولا تضرو ولا تنفع ولا تبصر ولا تتصر لعابديها بل هي جاد لا تتحرك ولا تسمع ولا تبصر وعابدها كل منها يسمعون

وبصرهم وبطشهم ولهذا قال أبشركون ما لا يخلق شياً وهم يخلقون أي أشركون به من المعبودات أحكمها

وما لا يخلق شياً ولا يستطيع ذلك كقوله تعالى يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدره الله حق قدره ان الله لقوى عزيز أخبر تعالى ان الهتهم لو اجتمعوا كلهم ما استطاعوا خلق ذبابة بل لو سلبتهم الذبابة شيئاً من حنجر المطاعم وطارت لما استطاعوا انقاذها منها فمن هذه صفة وحاله كيف يعبد ليرزق ويستنصر ولهذا قال تعالى لا يخلقون شياً وهم يخلقون أي بل هم مخلوقون مصنوعون كما قال الخليل أتعبدون ما نتخبون الآية ثم قال تعالى ولا يستطيعون لهم نصراً أي لعابديهم ولا انفسهم ينصرون يعني ولا انفسهم ينصرون ممن أرادهم بسوء كما كان الخليل عليه الصلاة والسلام يكسر أصنام قومهم ويهينها غاية الأمانة كما أخبر تعالى عنه في قوله فراغ عليهم ضرباً باليمين وقال تعالى فجعلهم جذاذاً الا كبير ألهم لهم اليه يرجعون وكما كان معاذ بن عمرو بن الجوح ومعاذ ابن جبل رضى الله عنهما وكانا شابين قداماً لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فكانا يعبدون في الليل على أصنام المشركين يكسراهما ويتلفناهما ويتخذانهما حطباً للارامل ليعتبر قومهم ما بذلك ويرتاؤا انفسهم فكان لعمر بن الجوح وكان سيداً

في قومه صمن بعدته ويطيبه فكانا يجيئان في الليل فينكسانه على رأسه ويلطخانه بالعدرة فيجبي عمرو بن الجوح فيرى ما صنع به فيغسله ويطيبه ويضع عنده سيفاً ويقول له انتصر ثم يعودان لمثل ذلك ويعود الى صنعته أيضاً حتى أخذاه مرة فقررنا مع كلب ميت وديار في جبل في بئر هناك فلما جاء عمرو بن الجوح ورأى ذلك نظر فعلم ان ما كان عليه من الدين باطل وقال
 والله لو كنت الهامستدن * لم تك والكلب جميعاً في قرن ثم أسلم حسن اسلامه وقتل يوماً أحد شهيد ارضى الله عنه وأرضاه وجعل جنة الفردوس مأواه وقوله وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوك الآية يعني أن هذه الاصنام لا تسمع دعاء من دعاها وسواء لذيها من دعاها ومن دعاها كما قال ابراهيم يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ثم ذكر تعالى انها عبيد مثل عابديها أي مخلوقات مثلهم بل الاناس أكل منها لانهم تسمع وتبصر وتبسط وتلك لا تفعل شيئاً من ذلك وقوله قل ادعوا شركاءكم الآية أي استنصروا بها على قلاتوخروني طرفة عين واجهدوا جهدكم أن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين أي الله حسبي وكافي وهو نصري وعليه متكلى واليه الجأ وهو ولي في الدنيا والآخرة وهو ولي كل صالح بعدى وهذا كما قال هو وعليه السلام لما قال له قومه ان نقول الاعتراب بعض آلهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء (٢٧٩) مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون

اني نوكت على الله ربي وربكم مامن دابة الا هو أخذ بناصيتنا ان ربي على صراط مستقيم وكقول الخليل أفرأيت ما كنتم تعبدون أنستم وآباءكم الاقدمون فانهم عدول لى الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدينى الايات وكقوله لا يبيعه وقومه انى براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سميع عليم وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون وقوله والذين تدعون من دونه الى آخر الآية مؤكداً لما تقدم الا انه بصيغة الخطاب وذلك بصيغة الغيبة ولهذا قال لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وقوله وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعون وتراهم ينظرون

أحكامها الله من الباطل ثم فصلها بالحلل والحرام وقيل أحكمت جملته ثم فصلت آياته وقيل جمعت في اللوح المحفوظ ثم فصلت بالوحى وقيل أيدت بالحج القاطعة الدالة على كونها من عند الله والتراخي المستفاد من ثم اما زمانى ان فسر التفصيل بالتعظيم على حسب المصالح ومارتبي ان فسر بغيره مما تقدم واليه ذهب المخشري وقال هي محكمة أحسن الاحكام ثم فصله أحسن التفصيل كما يقال فلان كريم الاصل ثم كريم الفعل (من لدن حكيم خبير) فيه طباق حسن لان المعنى أحكمها حكيم وفصلها خبير عالم بمواقع الامور وقيل صفة ثانية لكتاب أو خبر بان واليه نجا المخشري وقيل غير ذلك (أن لا تعبدوا الا الله) قال الكسائى والقرءاء التقدير أحكمت بأن وقال الزجاج أحكمت ثم فصلت لثلاثا تعبدوا وقيل لتعليل للفعلين قبله أى لاجل ان تتركوا عبادة غير الله وتعبدوا الله فأخذ الترك من لا النافية والاثبات من الاستثناء وقيل تقديره ان لا تعبدوا وقيل ان مقسرة لما في التفصيل من معنى القول أى قال لا تعبدوا أو أمركم ان لا تعبدوا وهذا أظهر الاقوال لانه لا يجوز الى اضممار وما ذكره من شأن الكتاب ذكر أن من جاءه امر من الله لتسليخ أحكامه فقال (اننى لكم منه نذير وبشير) أى ينذرهم ويخوفهم من عذابه لمن عصاه ويبشرهم بالجنة والرضوان لمن أطاعه والضمير في منه راجع الى الله سبحانه أى كأن من جهة الله وهذا على ظاهره ليس بجيد لان الصفة لا تتقدم على الموصوف فكيف تجعل

الملك وهم لا يصرون كقوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعون دعاءكم الآية وقوله وتراهم ينظرون الملك وهم لا يصرون كقوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعون دعاءكم الآية وقوله وتراهم ينظرون الملك أى يقابلونك بعيون مصورة كأنها ناظرة وهي جناد ولهذا عاملهم معاملته من يعقل لانها على صور مصورة كالانسان وتراهم ينظرون الملك فعبث عنها بضمير من يعقل وقال السدى المراد بهذا المشركون وروى عن مجاهد نحوه والاولى وهو اختيار ابن جرير وقوله قتادة (خذ العنقوا) أمر بالعنقوا وأعرض عن الجاهلين واما ما نزعك من الشيطان نزع فاستعذ بالله انه سميع عليم قال علي بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله خذ العنقوا يعنى خذ ما عنى لك من اموالهم وما تولك به من شئ فخذه وكان هذا قبل ان تنزل براءة بقرائض الصدقات وتفصيلها واما انتهت اليه الصدقات قاله السدى وقال الضحالك عن ابن عباس خذ العنقوا نطق الفضل وقال سعد بن جبيرة عن ابن عباس خذ العنقوا قال الفضل وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله خذ العنقوا مرة الله بالعنقوا والصفح عن المشركين عشر سنين ثم أمره بالغلظ عليهم واختر هذا القول ابن جرير وقال غير واحد عن مجاهد في قوله تعالى خذ العنقوا قال من اخلاق الناس وأعمالهم بغير تجسس وقال هشام بن عروة عن ابيه امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يأخذ العنقوا من اخلاق الناس وفي رواية قال خذ ما عنى لك من اخلاقهم وفي صحيح البخارى عن هشام عن ابيه عروة عن اخيه عبد الله بن الزبير قال انما نزل خذ العنقوا من اخلاق الناس وفي رواية لغيره عن هشام عن ابيه عن ابن عمر وفي رواية عن هشام عن ابيه عن عائشة انها قال المثل ذلك والله اعلم

وفي رواية سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن هشام عن وهب بن كيسان عن أبي الزبير خذ العفو قال من اخلاق الناس والله لا خذنه منهم ما يحبهم وهذا شهر الاقوال ويشهد له مارواه ابن جرير وابن أبي حاتم جميعا حديثا يونس حدثنا سفيان هو ابن عيينة عن ابي قال لما أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم لم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل قال ان الله امرك ان تعفو عن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك وقدر واه ابن أبي حاتم أيضا عن ابي يزيد القراطيسي كتابه عن اصمبع بن القريح عن سفيان بن عيينة عن الشعبي نحوه وهذا امر سهل على كل حال وقدرى له شواهد من وجوه آخر وقدرى مرفوعا عن جابر وقيس بن سعد بن عباد عن النبي صلى الله عليه وسلم لم أسندهما ابن مردويه وقال الامام أحمد حديثا أبو المغيرة حديثا معاذ بن رفاعه حديثا علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة الباهلي عن عقبه ابن عامر رضى الله عنه قال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأته فآخذت بيده فقلت يا رسول الله اخبرني بفواضل الاعمال فقال يا عقبه صل من قطعك وأعط من حرمك وأعرض عن ظلمك وروى الترمذي نحوه من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد به وقال حسن قلت ولكن علي بن يزيد وشيخه (٢٨٠) القاسم ابو عبد الرحمن فيه ما ضعف وقال البخاري خذ العفو وأمر بالعرف

وأعرض عن الجاهل العرف المعروف حديثا ابو اليمان حديثا شعيب عن الزهري اخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ان ابن عباس رضى الله عنهما قال قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فترى علي ابن أخيه الحز بن قيس وكان من النفر الذين يدينهم عمرو وكان القراء أصحاب مجالس عمرو ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا فقال عيينة لابن أخيه يا ابن أخي لك وجه عنده هذا الأمير فاستأذن لي عليه قال سأستأذن لك عليه قال ابن عباس فاستأذن الحز لعيينة فاذن له عمر فلما دخل عليه قال هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكمن بيننا بالعدل فغضب عمر حتى هم ان يوقع به فقال له الحز

صفة لنذير وكأنه يريد أنه صفة في الاصل لو تأخر ولكن لما تقدم صار حال الصرح به أبو البقاء فصوابه كأنه من جهته وقيل يعود على الكتاب أى نذير لكم من مخالفتهم وبشير منهم لمن آمن وعمل صالحا وقدم الانذار لان التوبة لهم اذ يحصل به الانزجار وقيل هو من كلام الله سبحانه كقوله ويحذركم الله نفسه (وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) تقدم الارشاد الى الاستغفار على التوبة لكونه وسيلة اليها وقيل ان التوبة من مسمات الاستغفار وقيل معنى استغفروا توبوا ومعنى توبوا اخلصوا التوبة واستقيموا عليها وقيل استغفروا من سالف الذنوب ثم توبوا من لاحتها وقيل استغفروا من الشرك ثم رجعوا اليه بالطاعة قال الفراء ثم ههنا معنى الواو أى وتوبوا اليه لان الاستغفار هو التوبة والتوبة هي الاستغفار فذكرهما للتأكيد وقيل انما تقدم ذكر الاستغفار لان المغفرة هي الغرض المطلوب والتوبة هي السبب اليها وما كان آخر افي الحصول كان أولا في الطلب وقيل استغفروا في الصغائر وتوبوا اليه في البكائر ثم رتب على ما تقدم أمرين الاول (باعتكم متاعا حسبا) أصل المتاع الاطالة ومنه امتع الله بك فعنى الآية تطول نفعكم في الدنيا بمتاع حسنة مرضية موسعة للرزق ورغد العيش وقيل هو الرضا بالميسور والصبر على المقدور (الى أجل مسمى) الى وقت مقدر عند الله وهو الموت وقيل القيامة وقيل دخول الجنة والاول أولى والاخر الثانى قوله (ويؤت كل ذى فضل) في الطاعة والعمل (فضله) أى

يا أمير المؤمنين ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل وان هذا جزء من الجاهلين والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقفا عند كتاب الله عز وجل ان فرد باخراجه البخاري وقال ابن أبي حاتم حديثا يونس بن عبد الاعلى قراءة اخبرنا ابن وهب اخبرني مالك عن ابن أنس عن عبد الله بن نافع ان سالم بن عبد الله بن عمر مر على غير لاهل الشام وفيها جرس فقال انه هذا ينهى عن الجرس فقالوا نحن أعلم بهذا منك انما يكره الجبل الكبير فأما مثل هذا فلا بأس به فسكت سالم وقال وأعرض عن الجاهلين وقول البخاري العرف المعروف نص عليه عروة بن الزبير والسدى وقتادة وابن جرير وغير واحد وحكى ابن جرير أنه يقال أوامته معروفة وأعارفا وعارفة كل ذلك بمعنى المعروف قال وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يأمر عباده بالمعروف ويذخر في ذلك جميع الطاعات وبالاعراض عن الجاهلين وذلك ان كان أمر النبي صلى الله عليه وسلم فانه تأديب خلقه باحتمال من ظلمهم واعتمدى عليهم لا بالاعراض عن جهل الحق الواجب من حق الله ولا بالصريح عن كفر بالله وجهل وحدانيته وهو للمسلمين حرب وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال هذه اخلاق أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ودله عليه وقد أخذ بعض الحكماء هذا المعنى فسبك في بيتين فهما اجناس فقال

خذ العفو وأمر بالعرف كما * أمرت وأعرض عن الجاهلين ولن في الكلام لكل الأنام * فمستحسن من ذوى الجاهلين
 وقال بعض العلماء الناس رجلان فرجل محسن فخدم عفاك من احسانه ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يحرجه وأما مستسى فمجره
 لمعرف فان تمدى على ضلاله واستعصى عليك واستمر في جهله فأعرض عنه ففعل ذلك أن يركب كيدك كما قال تعالى ادفع بالتي هي أحسن
 فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم أى هذه الوصية وما ينزغ عنك من
 الشيطان نزع فاستعد بالله انه هو السميع العليم فهذه الآيات الثلاث في الاعراف والمؤمنون وحم السجدة لارابع لهم فانه تعالى يرشد
 فبهن الى معاملة العاصي من الامر بالمعروف بالتي هي أحسن فان ذلك يكفه عما هو فيه من التردد بذنه تعالى ثم أرشد تعالى الى
 الاستعاذه به من شيطان الخان فانه لا يكفه عنك الاحسان وانما يريد هلاكك ودمارك بالكيفية فانه عدو مبین لك ولا يسك من قبلك قال
 ابن جرير في تفسير قوله وما ينزغ عنك من الشيطان نزع وما يغضبك من الشيطان غضب يصدك عن الاعراض عن الجاهل ويحملك
 على مجازاتهم فاستعد بالله يقول فاستجب بالله من نزع انه سميع عليم سميع لجهل الجاهل عليك والاستعاذه به من نزع وبغير ذلك
 من الكلام لخلق لا يخفى عليه منه شئ عليم بما يذهب عنك نزع الشيطان (٢٨١) وغير ذلك من أمور خلقه وقال عبد الرحمن

ابن زيد بن أسلم لما نزلت خذ العفو
 وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين
 قال يارب كيف بالغضب فأنزله الله
 وما ينزغ عنك من الشيطان نزع
 فاستعد بالله انه سميع عليم قلت وقد
 تقدم في أول الاستعاذه حديث
 الرجلين اللذين تسابا بحضرة النبي
 صلى الله عليه وسلم فغضب أحدهما
 حتى جعل أنفه يترغ غضبا فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم
 كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد أعوذ
 بالله من الشيطان الرجيم فقبل له
 فقال ما من جنون وأصل النزغ
 الفساد اما بالغضب أو غيره قال الله
 تعالى وقل لعبادى يقولوا التى هى
 أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم

جزاءه ما فى الدنيا وفى الآخرة وفيها جميعا والضمير راجع الى كل ذى فضل وقيل
 راجع الى الله سبحانه على معنى ان الله يعطى كل من فضلت حسنا تفضله الذى يتفضل به
 على عباده عن ابن مسعود قال من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة
 كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التى علمها فى الدنيا بقيت له عشر حسنات
 وان لم يعاقب به فى الدنيا أخذ من الحسنات العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات
 ثم يقول هلك من غلب آحاده أشاره وقال أبو العباس من كثرت طاعاته فى الدنيا
 زادت حسناته ودرجاته فى الجنة ثم توعدهم الى مخالفة الامر فقال (وان تولوا)
 أى تعرضوا عن الاخلاص فى العبادة والاستغفار والتوبة (فانى أخاف عليكم
 عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة ووصفه بالكبر لما فيه من الاهوال وقيل اليوم
 الكبير يوم بدر وقيل صفة لعذاب فهو منصوب وانما خض على الجوار ثم بين
 سبحانه عذاب اليوم الكبير بقوله (الى الله مرجعكم) أى رجوعكم اليه بالموت ثم
 البعث ثم الجزاء الا الى غيره (وهو على كل شئ قدير) ومن ذلك عذابكم على عدم الامثال
 وهذه الجملة مقررة لما قبلها ثم أخبر الله سبحانه بان هذا الانذار والتحذير والتوعيد لم ينفع
 فيهم ولا لانت له قلوبهم بل هم مصرون على العناد مصممون على الكفر فقال مصدر
 لهذا الاخبار بكلمة التنبيه الذال على التعجب من حالهم وانه امر ينبغى أن يتنبه له

(٣٦ - فتح البياح) والعباد الاتعاء والاستناد والاستجارة من الشر وأما الملاذ فى طلب الخير
 كما قال الحسن بن هانى فى شعره
 لا يجبر الناس عظما أنت كاسره * ولا يهضون عظما أنت جابره
 وقد قدمنا فى حديث الاستعاذه فى أول التفسير بما أغنى عن
 اعادته ههنا ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يدعونهم فى الغي ثم لا يقصرون) يخبر
 تعالى عن المتقين من عباده الذين أطاعوه فيما أمر وتركو ما عندهم من جرائمهم اذا مسهم أى أصابهم طيف وقرأ الآخرون طائف وقد
 جاء فيه حديث وهم اقراء نان مشهور نان فقيل بمعنى واحد وقيل بينهما فرق ومنهم من فسر ذلك بالغضب ومنهم من فسر به بس
 الشيطان بالصرع ونحوه ومنهم من فسر به الهيم بالذنب ومنهم من فسر به باصاية الذنب وقوله تذكروا أى عقاب الله وجزيل ثوابه
 ووعده ووعيدته فتأبوا أو تابوا واستعادوا بالله ورجعوا اليه من قريب فاذا هم مبصرون أى قد استقاموا وصحوا كما كانوا فيه
 وقد ورد الحافظ أبو بكر بن مردويه ههنا حديث محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله عنه قال جاءت امرأة الى
 النبي صلى الله عليه وسلم وبها طيف فقالت يا رسول الله ادع الله أن يشفي فقال ان شئت دعوت الله فشفاك وان شئت فاصبرى

ولاحساب عليك فقالت بل أصبر ولا حساب علي ورواه غيره واحدا من أهل السنن وعندهم قالت يا رسول الله اني أصرع
 وأنكشف فادع الله أن يشفيني فقال ان شئت دعوت الله أن يشفيك وان شئت صبرت ولك الجنة فقالت بل أصبر ولي الجنة
 ولكن ادع الله أن لا تكشف فدعا لها فكانت لا تكشف وأخرجه الحاشي في مستدركه وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقد
 ذكره الحافظ بن عساكر في ترجمة عمرو بن جامع من تاريخه ان شابا كان يتعبد في المسجد فهو يته امرأة فدعته الى نفسها فغارت
 به حتى كاد يدخل معها المنزل فذكر هذه الآية ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فخر مغشيا
 عليه ثم افاق فأعادها فمات فجاء عمر فعزى فيه أباه وكان قد دفن ليلا فذهب فصلى على قبره بن معه ثم ناداه عمر فقال يا فتى ولما خاف
 مقامه به جنتنا فاجابه الفتى من داخل القبر يا عمر قد أعطانيهما ربي عز وجل في الجنة هرتين وقوله تعالى واخوانهم أي واخوان
 الشياطين من الانس كقوله ان المبشرين كانوا اخوان الشياطين من الانس وهم اتباعهم المستمعون لهم القابلون لا وامرهم
 يدونهم في الغي أي تساعدهم الشياطين على المعاصي وتسملها عليهم وتحسنها لهم وقال ابن كثير المدا لزيادة يعني بن يدونهم في الغي
 يعني الجهل والسفه ثم لا يقصرون قيل (٢٨٢) ان معناه ان الشياطين تمد الانس لانه تصرف في أعمالهم بذلك كما قال علي

ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله
 واخوانهم يدونهم في الغي ثم
 لا يقصرون الآية قال لا الانس
 يقصرون عما يعملون ولا الشياطين
 تمسك عنهم وقيل معناه كما رواه
 العوفي عن ابن عباس في قوله يدونهم
 في الغي ثم لا يقصرون قال هم الجن
 يوحون الى أوليائهم من الانس ثم
 لا يقصرون يقول لا يسمعون وكذا
 قال السدي وغيره يعني ان
 الشياطين يدون أوليائهم من
 الانس ولا تنام من امدادهم من
 الشر لان ذلك طبيعة لهم وسجية
 ولا تقربيه ولا تبطل عنه كما قال
 تعالى ألم تر اننا أرسلنا الشياطين على
 الكافرين تؤزهم اذ قال ابن عباس

العقلاء ويفهموه (ألا انهم يثنون صدورهم) يقال ثنى صدره عن الشيء اذا زور
 وانحرف عنه فيكون في الكلام كناية عن الاعراض لان من عارض عن الشيء ثنى عنه
 صدره وطوى عنه كشيء وقيل معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر
 والاعراض عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحيث يكون ذلك مخفيا
 مستورا فيها كما تعطف الثياب على ما فيها من الاشياء المستورة فيكون في الكلام كناية
 عن الاخفاء لما يعتقده من الكفر كما كان دأب المنافقين والوجه الثاني أولى ويؤيده
 قوله (ليستخفوا منه) أي من الله فلا يطلع عليه رسوله والمؤمنين أو من رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم ثم كرر كلمة التثنية مبينا للوقت الذي يثنون فيه صدورهم فقال
 (الآحين يستغشون ثيابهم) أي يستخفون في وقت استغشاء الثياب وهو التغطى بها
 وقد كانوا يقولون اذا أغلقنا أبوابنا واستغشينا ثيابنا وثينا صدورنا على عداوة محمد صلى
 الله عليه وآله وسلم فن يعلم بنا وقيل معناه يأوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم وقيل
 انه حقيقة وذلك ان بعض الكفار كان اذا امر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثنى
 صدره وولى ظهره واستغشى ثيابه لئلا يسمع كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 وقال البخاري عن ابن عباس يعطون رؤسهم وروى عنه أيضا قال يعني به الشك في الله
 وعمل السيئات وكذا روى عن مجاهد والحسن وغيرهما أي انهم كانوا يثنون صدورهم

وغيره تزجهم الى المعاصي ازعاجا (واذالم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الى من ربي هذا بصائر اذا
 من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى قالوا لولا اجتبيتها يقول لولا تلقينها وقال
 مرة أخرى لولا أحدثها فأنشأها وقال ابن جرير عن عبد الله بن كثير عن مجاهد في قوله واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قال
 لولا اقتضيتها قالوا وتخرجها من نفسك وكذا قال قتادة والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير وقال العوفي عن ابن
 عباس لولا اجتبيتها يقول تلقينها من الله تعالى وقال الضحاک لولا اجتبيتها يقول لولا أخذتها أنت فحمت بها من السماء ومعنى قوله
 تعالى واذا لم تأتهم بآية أي معجزة وخلق كقوله تعالى ان نشأنا نزل عليهم من السماء آية قظلت اعناقهم لها خاضعين يقولون للرسول
 صلى الله عليه وسلم لا تجهد نفسك في طلب الآيات من الله حتى نراها ونؤمن بها قال الله تعالى له قل انما اتبع ما يوحى الى من
 ربي أي انالأتقدم اليه تعالى في شيء وانما اتبع ما أمرني به فامتثل ما يوحى به الى فان بعث آية قبلتها وان منعها لم أسأله ابتداء
 ايها الا أن يأذن لي في ذلك فانه حكيم علم ثم أرشدهم الى ان هذا القرآن هو أعظم المعجزات وأبين الدلالات وأصدق الحجج والبيانات
 فقال هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون) لماذا كرتعالى

ان القرآن بصائر للناس وهدي ورحمة أمر تعالى بالانصات عند تلاوته واعظامه واحترامه لا كما يعتمده كفارق ريش المشركون في قولهم لا تسمعوا هذا القرآن والغوا فيه الآية ولكن يتأكد ذلك في الصلاة المكتوبة اذا جهر الامام بالقراءة كما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا قرأ فاقصوا وكذا رواه أهل السنن من حديث أبي هريرة أيضا وصححه مسلم بن الحجاج أيضا ولم يخرج في كتابه وقال ابراهيم بن مسلم الهجري عن أبي عياض عن أبي هريرة قال كانوا يتكلمون في الصلاة فلما نزلت هذه الآية واذا قرئ القرآن فاستمعوا له والآية الاخرى أمرها بالانصات قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر بن عمار عن عاصم عن المسيب بن رافع قال ابن مسعود كذا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة فبأقر القرآن واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا العلكم ترجمون وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا البخاري عن داود بن أبي هند عن بشير بن جابر قال صلى ابن مسعود فسمع ناسا يقولون مع الامام فلما انصرف قال أما أن لكم أن تفهموا أما أن لكم أن تعقلوا واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا كما أمركم الله قال وحدثني أبو السائب حدثنا حفص عن أشعث عن الزهري قال نزلت هذه الآية في فتى من الانصار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٨٣) كلما قرأ شيئا قرأه فنزلت واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا وقدروى الامام أحد

اذا قالوا شيئا وعمه فيظنون أنهم سيخفون من الله بذلك فأعلمهم سبحانه انه حين يستغشون ثيابهم عند منامهم في ظلمة الليل يعلم سرهم وعلايتهم وعن عبد الله بن شداد قال كان المنافقون اذا مرأ أحدهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ثنى صدره وتغشى ثوبه لكيلا يراه فنزلت وعن الحسن قال في ظلمة الليل في أجواف بيوتهم وعن قتادة قال كانوا يخفون صدورهم لكيلا يسمعوا كتاب الله وجلة (يعلم ما يسرون وما يعلنون) مستأنفه لبيان انه لا فائدة لهم في الاستخفاء لان الله سبحانه يعلم ما يسرونه في أنفسهم وفي ذات بينهم وما يظهرونه فالظاهر والباطن عنده سواء والسر والجمهور سيات (انه يعلم بدات الصدور) تليل لما قبله وتقريره وذات الصدور هي الضمائر التي تشمل عليها الصدور وقيل هي القلوب والمعنى انه يعلم بجميع الضمائر وأعلم بالقلوب وأحوالها في الاسرار والاطهار فلا يخفى عليه شيء من ذلك ثم أكد كونه عالما بكل المعلومات بما فيه غاية الامتنان ونهاية الاحسان فقال (وما من دابة) هي كل حيوان يدب على وجه الارض وتطلق على كل ذي أربع من الحيوان على سبيل العرف والمراد منه الاطلاق فيدخل فيه الآدمي وغيره من جميع الحيوان وفي المصباح دب الصغير يدب من باب ضرب اذا مشى ودب الجديش ديبا أيضا سار ومن زائدة للتأكيدي ما من حيوان وغيره (في الارض الاعلى الله رزقها) أي الرزق الذي يحتاج اليه من الغذاء اللائق بالحيوان على

وأهل السنن من حديث الزهري عن أبي أكمة الليثي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة فقال هل قرأ أحد منكم معي آتفا قال رجل نعم يا رسول الله قال انى أقول ما لى أنازع القرآن قال فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جهر فيه بالقراءة من الصلاة حين سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الترمذي هذا حديث حسن وصححه أبو حاتم الرازي وقال عبد الله بن المبارك عن يونس عن الزهري قال لا يقرأ من وراء الامام فيما يجهر به الامام تكفيهم قراءة الامام وان لم يسمعهم صوته ولكنهم يقرؤن فيما لا يجهر به سرا في أنفسهم ولا يصلح لاحد خلفه أن يقرأ معه فيما يجهر به سرا ولا علانية فان الله تعالى قال واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا العلكم ترجمون قلت هذا مذهب طائفة من العلماء ان المأموم لا يجب عليه في الصلاة الجهرية قراءة فيما جهر فيه الامام لا الفاتحة ولا غيرها وهو احدث قول الشافعي وهو القديم كذهب مالك ورواية عن أحمد بن حنبل لما ذكرناه من الأدلة المتقدمة قال في الجديدي يقرأ الفاتحة فقط في سكات الامام وهو قول طائفة من الصحابة والتابعين فن بعدهم وقال أبو حنيفة وأحمد بن حنبل لا يجب على المأموم قراءة أصلا في السرية ولا الجهرية بما ورد في الحديث من كان له امام فقرأه فقرأه له وهذا الحديث رواه الامام أحمد في مسنده عن جابر مرفوعا وهو في موطن مالك عن وهب بن كيسان عن جابر موقوف وهذا أصبح وهذه المسئلة تبسوط في غير هذا الموضوع وقد أقردها الامام أبو عبد الله البخاري مصنفا على حدة واختار وجوب القراءة خلف الامام في السرية والجهرية أيضا والله أعلم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا يعني في الصلاة المنروضة وكذا روى عن عبد الله بن المغفل وقال ابن جرير حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا بشر بن المفضل حدثنا الحريري عن طلحة بن عبيد الله بن كزير قال رأيت عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح

يحدثان والاقاص يقص فقلت ألا تسمعون الى الذكروستوجبان الموعود قال فنظر الى ثم أقبل على حديثهما قال فأعدت فنظرا الى وأقبل على حديثهما قال فأعدت الثالثة قال فنظر الى فقال لا بما ذلك في الصلاة واذ قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا وكذلك قال سفيان الثوري عن أبي هاشم اسمعيل بن كثير عن مجاهد في قوله واذ قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال في الصلاة وكذا رواه غير واحد عن مجاهد وقال عبد الرزاق عن الثوري عن ليث عن مجاهد قال لا بأس اذا قرأ الرجل في غير الصلاة ان يتكلم وكذا قال سعيد ابن جبير والضحاك وابراهيم النخعي وقتادة والشعبي والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ان المراد بذلك في الصلاة وقال شعبة عن منصور سمعت ابراهيم بن أبي حمزة يحدث انه سمع مجاهدا يقول في هذه الآية واذ قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال في الصلاة والخطبة يوم الجمعة وكذا روى ابن جرير عن عطاء مثله وقال هشيم بن الربيع بن صبيح عن الحسن قال في الصلاة وعند الذكرو قال ابن المبارك عن بقیة سمعت ثابت بن عجلان يقول سمعت سعيد بن جبیر يقول في قوله واذ قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال الانصات يوم الاضحى ويوم النفر ويوم الجمعة وفيما يجهر به الامام من الصلاة وهذا الخبر ابن جرير ان المراد من ذلك الانصات في الصلاة وفي الخطبة كما جاء من الامر بالانصات خلف (٢٨٤) الامام وحال الخطبة وقال عبد الرزاق عن الثوري عن ليث عن مجاهد

أخلاف أنواعه تفضلا منه واحسانا وانما جى به على طريق الوجوب كما تشعره كلمة على اعتبارا بسبق الوعد به منه وقيل ان على على باهما والله عليه من باب الفضل لا الوجوب لانه لا يجب عليه شيء والحاصل أن المراد بالوجوب وجوب اختيار لا وجوب الزام فهو موكول الى مشيئة ان شاء رزقها وان شاء لم يرزقها وقيل ان على بمعنى من أى من الله رزقها أى ما يقوم به رزقها وتعيش به قال مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها فتوت جوعا ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله ان الله سبحانه لما كان لا يغفل عن كل حيوان باعتبار ما قسمه له من الرزق فكيف يغفل عن أحواله وأقواله وأفعاله (ويعلم مستقرها) أى محل استقرارها في الارض أو محل قرارها في الاصلاب (ومستودعها) موضعها في الارحام وما يجرى مجراها كالبيضة ونحوها وقال الفراء مستقرها حيث تأوى اليميليا أو نهارا ومستودعها موضعها الذي تموت فيه وقد مر تمام الاقوال في سورة الانعام ووجه تقديم المستقر على المستودع على قول القراء نفاها وأما على القول الاقول فلعل وجه ذلك ان المستقر أنسب باعتبار ما على عليه حال كونها دابة والمعنى وما من دابة الا يرزقها الله حيث كانت من أما كتب بعد كونها دابة وقيل كونها دابة وذلك حيث تكون في الرحم ونحوه وفي البيضاوى أما كنهانها في الحياة وفي الممات أو الاصلاب والارحام أو ما كنهانها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقارحين

أنه كره اذا امر الامام بآية خوف أو بآية رجاء أن يقول أحد من خلفه شيئا قال السكوت وقال مبارك بن فضالة عن الحسن اذا جلست الى القرآن فانصت له وقال الامام أحمد حدثنا ابن سعيد مولى بنى هاشم حدثنا عباد بن ميسرة عن الحسن عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استمع الى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة من تلاها كانت له نورا يوم القيامة تفرد به الامام أحمد رحمه الله تعالى (واذ كر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالعدو والآصال ولا تكن من الغافلين ان الذين

كانت

عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) يأمر تعالى بذلك في أول النهار

وآخره كثيرا كما أمر به تعالى في هاتين الآيتين وفي قوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وقد كان هذا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الامراء وهذه الآية مكية وقال ههنا بالغسد وهو أول النهار والآصال جمع أصيل كما ان الايمان جمع عين واما قوله تضرعا وخيفة أى اذ كر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ورهبة وبالقول لا جهرأ ولهذا قال ودون الجهر من القول ولهذا يستحب أن يكون الذي لا يكون نداء وجهه ابلغا ولهذا الماسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أقرب ربنا فمتناجيه أم بعيد فمتناجيه فأمر الله عز وجل واذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال رفع الناس أصواتهم بالدعاء في بعض الاسفار فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا أن الذي تدعونه سميع قريب أقرب الى أحدكم من عنق راحلته وقد يكون المراد من هذه الآية كما في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سيلا فان المشركين كانوا اذا سمعوا القرآن سبوه وسبوا من أنزله وسبوا من جاء به فأمره الله تعالى أن لا يجهر به لئلا ينال منه المشركون ولا يخافت به عن أصحابه فلا يسمعونهم وليتخذ سيلا بين

الجهر والاسرار وكذا قال في هذه الآية الكريمة ودون الجهر من القول بالغدق والآصال ولا تمكن من الغافلين وقد زعم ابن جرير
 وقوله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ان المراد بها أمر السامع للقرآن في حال استماعه بالذكري على هذه الصفة وهذا بعد مناف للانصات
 المأمورية ثم ان المراد بذلك في الصلاة كما تقدم أو في الصلاة والخطبة ومعلوم أن الانصات اذ ذلك أفضل من الذكري باللسان سواء
 كان سرا أو جهرافهذ الذي قاله لم يتابع عليه بل المراد الحضر على كثرة الذكري من العباد بالغدق والآصال لئلا يكونوا من الغافلين
 ولهذا مدح الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون فقال ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الآية وانما ذكروهم
 بهذا ليقتدى بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم ولهذا شرع لنا السجود ههنا لما ذكر سجودهم لله عز وجل كما جاء في الحديث ألا تصفون
 كما تصف الملائكة عند ربها يتنون الصغوف الاول فالاول ويقراصون في الصف وهذه أول سجدة في القرآن مما يشرع لتسليها
 ومستعملها السجود بالاجماع وقد ورد في حديث رواه ابن ماجه عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه عدها في سجديات
 القرآن آخر تفسير سورة الاعراف والله الحمد والمئة * (تفسير سورة الانفال وهي مدينية آياتها أربعون وست آيات
 كلماتها ألف كلمة وستمائة كلمة واحد وثلاثون كلمة حرفها خمسة آلاف (٢٨٥) ومائتان وأربعة وتسعون حرفا والله أعلم) *

كانت بعد بالقوة اه والمراد كالمنى والعلقة والمقار كالصلب والرحم وعن ابن مسعود
 قال مستقرها في الارحام ومستودعها حيث تموت ويؤيد هذا التفسير ما أخرجه الحاكم
 وصححه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا كان أجل أحدكم بأرض
 أتيت له اليها حاجة حتى اذا بلغ أقصى أثره منها فيقبض فقول الارض يوم القيامة هذا
 ما استودعني ثم ختم الآية بقوله (كل في كتاب مبين) أى كل مما تقدم ذكره من الدواب
 ومستقرتها ومستودعها ورزقها في اللوح المحفوظ أى مثبت فيه قبل خلقها ثم أكد
 دلائل قدرته بالتعرض لذكر خلق السموات والارض وكيف كان الحال قبل خلقها
 فقال (وهو الذى خلق السموات والارض) وما بينهما (في ستة أيام) الكلام على التوزيع
 فكان خلق السموات في يومين والارضين في يومين وما عليهما من أنواع الحيوان والنبات
 والاقوات والجمادات في يومين والمراد بالايام هنا الاوقات أى في ستة اوقات كما في قوله
 ومن يولهم يومئذ برة وقيل مقدار ستة أيام وقبل المراد هنا الايام المعروفة وهى المقابلة
 لليالى اولها الاحد وآخرها الجمعة ولا يستقيم ذلك لانه لم تكن حينئذ ارض ولا سماء وليس
 اليوم الاعبارة عن مدة كون الشمس فوق الارض وفى الجمل وهذا مشكل جدا اذ لا يتعين
 الاحد ولا غيره من الايام الا عند وجودها بالفعل وفى تلك الحال لم يكن زمان قط فضلا
 عن تفصيله أياما فضلا عن تخصيص كل يوم باسمه والجواب عن هذا الاشكال ان المراد

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *
 (يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فانقوا الله وأصلحوا
 ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله
 ان كنتم مؤمنين) قال البخارى
 قال ابن عباس الانفال المغنم
 حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا
 سعيد بن سليمان أخبرنا هشيم أخبرنا
 أبو بشر عن سعيد بن جبير قال قلت لابن
 عباس رضى الله عنهما سورة الانفال
 قال زلت في بدر أماما علقه عن ابن
 عباس فكذلك رواه علي بن أبي
 طلحة عن ابن عباس انه قال الانفال
 الغنائم كانت لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم خالصة ليس لاحد فيها
 شئ وكذا قال مجاهد وعكرمة
 وعطاء والضحاك وقتادة وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد انها المغنم وقال الكلبي عن
 أبي صالح عن ابن عباس انه قال الانفال الغنائم قال فيها اليد ان تقوى ربنا خير نفل * وبأذن الله ربى وبجمل وقال ابن جرير
 حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني مالك بن أنس عن ابن شهاب عن القاسم بن محمد قال سمعت رجلا يسأل ابن عباس عن الانفال
 فقال ابن عباس رضى الله عنهما ما الفرس من النفل والسلب من النفل ثم عاذه سئله فقال ابن عباس ذلك أيضا ثم قال الرجل
 الانفال التى قال الله فى كتابه ما هى قال القاسم فلم يزل يسأله حتى كاد يخرجه فقال ابن عباس أنذرون ما مثل هذا مثل صبيغ
 الذى ضرب به عمر بن الخطاب وقال عبد الرزاق أخبرنا عمر بن الزهرى عن القاسم بن محمد قال قال ابن عباس كان عمر بن الخطاب
 رضى الله عنه اذا سئل عن شئ قال لا أمر له ولا أنهاك ثم قال ابن عباس والله ما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم الا اجرا أمرا
 محملا محرما قال القاسم فسلط على ابن عباس رجل فسأله عن الانفال فقال ابن عباس كان الرجل ينقل فرس الرجل وسلاحه
 فأعاد عليه الرجل فقال له مثل ذلك ثم أعاد عليه حتى أغضبته فقال ابن عباس أنذرون ما مثل هذا مثل صبيغ الذى ضرب به عمر بن
 الخطاب حتى سألت الدماء على عقبه أو على رجله فقال الرجل أما أنت فقد اتتكم الله لعمر منكم وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس انه

فسر النقل بما ينقله الامام لبعض الاشخاص من سلب أو نحوه بعد قسم أصل المغنم وهو المتبادر الى فهم كثير من الفقهاء من لفظ النقل والله أعلم وقال ابن أبي نجيج عن مجاهد أنهم سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخمس بعد الاربعة من الاخماس فنزلت يسألونك عن الانفال وقال ابن مسعود ومسروق لا نقل يوم الزحف انما النقل قبل التقاء الصفوف رواه ابن أبي حاتم عنهما وقال ابن المبارك وغير واحد عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح في الآية يسألونك عن الانفال قال يسألونك فيما شئتم من المشركين الى المسلمين في غير قتال من دابة أو عبد أو أمة أو متاع فهو ونقل للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع به ما يشاء وهذا يقتضى أنه فسر الانفال بالنبي وهو ما أخذ من الكفار من غير قتال قال ابن جرير وقال آخر ون هي أنفال السرايا حدثني الحرث حدثنا عبد العزيز حدثنا علي بن صالح بن يحيى قال بلغني في قوله تعالى يسألونك عن الانفال قال السرايا ومعنى هذا ما ينقله الامام لبعض السرايا زيادة على قسمتهم مع بقية الجيش وقد صرح بذلك الشعبي واختار ابن جرير أنها الزيادة على القسم ويشهد لذلك ما ورد في سبب نزول الآية وهو ما رواه الامام أحمد حدث قال حدثنا أبو معاذ وعنه حدثنا أبو اسحق الشيباني عن محمد بن عبيد الله الثقفي عن سعد بن أبي وقاص قال لما كان يوم بدر وقتل أخى عمير (٢٨٦) قتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيبة فأتيته

النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذهب فاطر حه في القبض قال فرجعت وى ما لا يعلمه الا الله من قتل أخى وأخذ سلمي قال فما جاوزت الا يسيرا حتى نزلت سورة الانفال فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فخذ سلبك وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا أسود بن عامر أخبرنا أبو بكر عن عاصم بن أبي النجود عن مصعب بن سعد عن سعد بن مالك قال قتلت يارسول الله قد شفاني الله اليوم من المشركين فهب لى هذا السيف فقال ان هذا السيف لالك والى وضعه قال فوضعتة ثم رجعت فقلت عسى أن يعطى هذا السيف اليوم

مقدار ستة أيام لا يدفع هذا الاشكال انما يدفع الاشكال الآخر وهو انه لم يكن ثم زمان اه (وكان عرشه) قبل خلقهما (على الماء) ليس تحتة شى غيره سواء كان بينهما فرجة أو كان موضوعا على متنه فلا دلالة فيه على امكان الخلاء كيف لا ولودل لى على وجوده لاعلى امكانه فقط ولا على كون الماء أول ما حدث في العالم بعد العرش وانما يدل على ان خلقهما أقدم من خلق السموات والارض من غير تعرض للنسبة بينهما قلت وكونه قبل خلقهما مأخوذ من كان لان المعنى المستفاد منها بالنسبة الحكم للتسليم وهو خلق السموات والارض وهذا ظاهر سواء كانت الجملة معطوفة أو حالية بتقدير قد ونقل عن السلف انه كان على الماء وهو الآن على ما كان عليه وعبارة سليمان الجميل بل هو فى مكانه الذى هو فيه الآن وهو ما فوق السموات السبع والماء فى المكان الذى هو فيه الآن وهو ما تحت الارض السبع انتهى عن ابن عباس انه سئل على أى شى كان الماء قال على متن الريح وعن أبي رزين العقيلي قال قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه قال كان فى عماء ما فوقه هواء وما تحتة هواء وخلق عرشه على الماء أخرجه الترمذى قال أحمد بن زيد بالعماء انه ليس معه شى قال البيهقى العماء ان كان مدودا فعماءه سحب رقيق والمعنى فوق سحب مدبر اله والى اعليه وان كان مقصورا فعماءه لاشى ثابت لانه مما سمى عن الخلق لكونه غير شى ونحوه قال جمع من أهل العلم قال الازهرى فبحن نؤمن به

من لا يلى بلانى قال اذا رجل يدعونى من ورائى قال قلت قد أنزل الله فى شىأ قال كنت سألتنى السيف ولا وليس هو لى وانه قد وهب لى فهو لك قال وأنزل الله هذه الآية يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من طرق عن أبي بكر بن عياش به وقال الترمذى حسن صحيح وهكذا رواه أبو داود الطيالسى أخبرنا شعبة أخبرنا مالك بن حرب قال سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد قال نزلت فى أربع آيات أصبت سيفا يوم بدر فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت نقلنيه فقال وضعه من حيث أخذته مرتين ثم عاودته فقال النبي صلى الله عليه وسلم وضعه من حيث أخذته فنزلت هذه الآية يسألونك عن الانفال الآية وعلم الحديث فى نزول ووطينا الانسان بالديه حسنا وقوله تعالى انما الخمر والميسر وآية الوصية وقد رواه مسلم فى صحيحه من حديث شعبة به وقال محمد بن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض بنى ساعدة قال سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة يقول أصبت سيف بن عاتذ يوم بدر وكان السيف يدعى بالمزبان فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يردوا ما فى أيديهم من النقل أقبلت به فلقمته فى النقل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شىأ يسئله فرآه الارقم بن أبي الارقم المخزومى فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه اياه ورواه ابن جرير من وجه آخر (سبب آخر فى نزول

الاية) وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن سلمة عن ابن اسحق عن عبد الرحمن بن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبي امامة قال سألت عبادَةَ عن الانفال قال فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فاترعه الله من أيدينا وجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بواء يقول عن سواء وقال الامام أحمد ايضا حدثنا أبو معاوية بن عمر أخبرنا أبو اسحق عن عبد الرحمن بن الحرث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن سليمان بن موسى عن أبي سلام عن أبي امامة عن عبادَةَ بن الصامت قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدت معه بدر فالتقى الناس فهزم الله تعالى العدو فانطلقت طائفة في آثارهم همزمون ويقتلون وأقبلت طائفة على العسكر يحوزونه ويحجمونه وأحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب العدو منه غرة حتى اذا كان الليل وفي الناس بعضهم الى بعض قال الذين جمعوا الغنائم نحن حويناها فلم يصب احد فيها نصيب وقال الذين خرجوا في طلب العدو سلمت بأحق به منا نحن منعنا عنه العدو وهزمناهم وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خفننا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به فنزلت يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين وكان رسول الله صلى

ولا نكيف صفتها وقد وردت أحاديث كثيرة في صفة العرش وفي كيفية خلق السموات والارض ليس هذا موضع ذكرها (ليبلاكم) أي خلق هذه الخلقوات ليتولى عباده بالاعتبار والتفكير والاستدلال على كمال قدرته وعلى البعث والجزاء (أيكم أحسن عملا) فيما أمر به ونهى عنه من غيره ويدخل في العمل الاعتقاد لانه من أعمال القلب وقيل المراد بالاحسن عملا الاتم عقلا وقيل الازهد في الدنيا وقيل الاكثر شكرا وقيل الاتقى لله وجزاء تعليق فعل البلوى لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له (ولئن قلت) اللام موطئة للقسم فقد اجتمع في الكلام شرط وقسم والقاعدة أن يحذف جواب المتأخر ويذكر جواب المتقدم فقوله ليقولان جواب القسم وجواب الشرط محذوف وكذا في قوله ولئن أخرنا وقوله ولئن أدقنا الانسان وقوله ولئن أدقناه فالمواضع أربعة ولما كان الابتلاء يتضمن حديث البعث أتبع ذلك بذكره والمعنى لئن قلت لهم بما محمد على ما توجهه قضية الابتلاء انكم مبعوثون من بعد الموت) فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باسائه ته قيل انكم بمعنى لعلكم على ان الرجاء باعتبار حال مخاطبين أي توقعوا ذلك ولا تبشوا القول بانكاره (ليقولن الذين كفروا) من الناس (ان هذا) الذي تقوله يا محمد (الاسحرميين) أي كالسحر أو باطل كبطان السحر وخدع كخدعه فالكلام من باب التشبيه المبالغ ويجوز أن تكون الاشارة بهذا الى القرآن لانه المشقل على الاخبار بالبعث وقرئ ساحر يعنى النبي

الله علمه وسلم اذا أغار في أرض العدو فنزل الربع فاذا أقبيل راجعا نفل الثلث وكان يكره الانفال ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفیان الثوري عن عبد الرحمن بن الحرث بن عجمه قال الترمذي هذا حديث حسن ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدرکه من حديث عبد الرحمن بن الحرث وقال الحاكم صحيح الاسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه وروى أبو داود والنسائي وابن جرير وابن مردويه واللفظ له وابن حبان والحاكم من طرق عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا فتسارع في ذلك شبان القوم وبقي الشيوخ تحت الرايات فلما كانت المغامر جاؤا يطلبون الذي جعل لهم فقال الشيوخ لا تستأثروا علينا فانا كآرد ألكم لو انكسفت لثبتم اليها فتنازعوا فانزل الله تعالى يسألونك عن الانفال الى قوله وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين وقال الثوري عن الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله كذا وكذا ومن أتى بأسير فله كذا وكذا فجاء أبو اليسر بأسيرين فقال يا رسول الله صلى الله عليك أنت وعدتنا فقام سعد بن عبادَةَ فقال يا رسول الله انك لو أعطيت هؤلاء لم يبق لاصحابك شيء وان لم تمنعنا هذا زهادة في الاجر ولا جبن عن العدو وانما قنا هذا المقام محافضة عليك مخافة ان يأوتوك من ورائك فتساجر واوزل القرآن يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول قال ونزل القرآن واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة الى آخر الآية وقال الامام أبو عبيد الله القاسم بن سلام رحمه الله في كتاب الاموال الشرعية وبيان جهاتهم ومصارفها اما الانفال فهي المغامر وكل نيل ناله المسلمون من أموال أهل الحرب فكانت الانفال الاولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فقسمها يوم بدر على ما أراه الله من غير ان يخمسها على ما ذكرناه في حديث سعد بن زيد عن ذلك آية الخس فنسخت الاولى قلت هكذا روى على

ابن أبي طلحة عن ابن عباس سواه وبه قال مجاهد وعكرمة والسدي وقال ابن زيد ليست منسوخة بل هي محكمة قال أبو عبيد في ذلك آثار والانتقال أصلها جماع الغنائم إلا أن الخمس منها مخصوص لأهله على ما نزل به الكتاب وجرت به السنة ومعنى الانتقال في كلام العرب كل إحسان فعله فاعل تفضلا من غير أن يجب ذلك عليه فذلك النفل الذي أحله الله للمؤمنين من أموال عدوهم وإنما هو شيء خصهم الله به تطولا لأنه عليهم بعد أن كانت الغنائم محرمة على الأمم قبلهم فنقلها الله تعالى هذه الأمة فهذا أصل النفل قلت شاهد هذا ما في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي فذكر الحديث إلى أن قال وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وذكر تمام الحديث ثم قال أبو عبيد ولهذا سمي ما جعله الإمام للمقاتلة تفضلا وهو تفضيل بعض الجيش على بعض بشيء سوى سهامهم يفعل ذلك بهم على قدر الغنائم عن الإسلام والذكاء في العدو وفي النفل الذي ينقله الإمام سنن أربع لكل واحدة منهن موضع غير موضع الأخرى فإحداهن في النفل لا خمس فيه وذلك الساب والثانية النفل الذي يكون من الغنمية بعد إخراج الخمس وهو أن يوجهه الإمام السرايا في أرض الحرب فتأقي بالغنائم فيكون للسرية مما جاءت به الربع أو الثلث (٢٨٨) والثالثة في النفل من الخمس نفسه وهو أن تعاز الغنمية كلها ثم خمس

فإذا صار الخمس في يد الإمام نفل منه على قدر ما يرى والرابعة في النفل في جهة الغنمية قبل أن يخمس منها شيء وهو أن يعطى الأدياء ورعاة المشايخ والسواق لها وفي كل ذلك اختلاف قال الربيع قال الشافعي الانتقال أن لا يخرج من رأس الغنمية قبل الخمس شيء غير الساب قال أبو عبيد والوجه الثاني من النفل هو شيء يزيد وغيره الذي كان لهم وذلك من خمس النبي صلى الله عليه وسلم فإن له خمس الخمس من كل غنمية فينبغي للإمام أن يحتسب فإذا كثر العدو واشتدت شوكتهم وقل من يقاتلهم من المسلمين نفل منه أتباع السنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

عنه وسلم وإذا لم يكن ذلك لم ينقل والوجه الثالث من النفل إذا بعث الإمام سرية أو جيشا فقال لهم قبل اللقاء من غنم شيئا فهو له بعد الخمس فهو لهم على ما شرط الإمام لأنهم على ذلك غزوا وبه رضوا انتهى كلامه وفيما تقدم من كلامه وهو قوله إن غنائم بدر لم تخمس نظر ويرد عليه حديث علي بن أبي طالب في شارق فيه اللذين حصل له من الخمس يوم بدر وقد ثبت ذلك في كتاب السيرة بياناً شافياً والله الحمد والمنة وقوله تعالى فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم أي اتقوا الله في أموركم وأصلحوا فيما بينكم ولا تظالموا ولا تتخاصموا ولا تشاجروا وإنما أتاكم الله من الهدى والعلم خيراً مما تحتصمون بسببه وأطيعوا الله ورسوله أي في قسمه بينكم على ما أراه الله فإنه إنما قسمه كما أمره الله من العدل والإنصاف وقال ابن عباس هذا التحريم من الله ورسوله إن اتقوا ويصلحوا ذات بينهم وكذا قال مجاهد وقال السدي فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم أي لا تستبوا ولتذكر ههنا حديثاً أورده الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي رحمه الله في مسنده فإنه قال حدثنا مجاهد بن موسى حدثنا عبد الله بن بكير حدثنا عبد بن شيبه الحنظلي عن سعد بن أنس عن أنس رضي الله عنه قال يبار رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيتناه خيلاً حتى بدت شياهاه فقال عمر ما أضحكك يا رسول الله بأي أنت وأمي فقال رجلان من أمية بن جنيب بن يدي رب العزة

صلى الله عليه وآله وسلم (ولئن أخرنا عنهم العذاب) أي الذي يستعجلونه استهزاء وهو ما تقدم ذكره في قوله عذاب يوم كبير وقيل عذاب يوم القيامة وما بعده وقيل عذاب يوم بدر (إلى أمة معدودة) أي إلى طائفة من الأيام قليلة لأن ما يحصره العذليل والأمة اشتقاقها من الأهم وهو القصد وادبها الوقت المقصود لا يقع العذاب وقيل هي في الأصل الجماعة من الناس وقد يسمى الحين باسم ما يحصل فيه كقولك كنت عند فلان صلاة العصر أي في ذلك الحين فالمراد على هذا إلى حين تنقضي أمة معدودة من الناس (ليقولن ما يحبسهم) أي أي شيء يمنعهم من التزول استعجالاً له على جهة الاستهزاء والتكذيب والسخرية فاجابهم الله بقوله (آلا) أداة استفتاح داخله على ليس في المعنى (يوم يأتيهم) أي العذاب (ليس مصر وفاقاً) أي محبوساً عنهم بل واقع بهم لا محالة ويوم منصوب بخبر ليس مقدماً عليه وهو دليل البصريين على جواز تقديم خبرها عليها إذا المعمول تابع للعامل فلا يتبع إلا حيث يقع متبوعه ولا يلزم تقديم الفرع على أصله وردبان الطرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعاً ويبنى الأمر فيه على التسامح فيه وبأنه قد يقدم المعمول حيث لا مجال لتقدم العامل كما في قوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر فإن اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين الجزويين قد تقدمتا على الالتهامية مع امتناع تقدم الفعلين عليهما قال أبو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم

معموله

تبارك وتعالى فقال أحدهما يا رب خذني مظلمتي من أخي قال الله تعالى أعطأ أحلك من ألمته قال يا رب لم يبق من حسناتي شيء قال رب
 فليحمل عني من أوزاري قال ففاضت عين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى من
 يتمم عملهم عنهم من أوزارهم فقال الله تعالى للطالب ارفع بصرك وانظر في الجنان فرفع رأسه فقال يا رب أرى مدائن من فضة وقصورا
 من ذهب مكاله بالؤلؤلأى تبى هذا لى صدريق هذا لى شهيد هذا قال هذا لمن أعطى ثمنه قال يا رب ومن علك ثمنه قال أنت تملكه
 قال ما ذا يا رب قال تعفون عن أخي مظلمته قال يا رب فاني قد عفوت عنه قال الله تعالى خذ سيدا أخيك فادخل الجنة ثم قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
 قلوبهم واذا تأملت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ويؤتوا الزكاة وهم بتفقون أولئك هم المؤمنون
 حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
 قلوبهم قال المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ولا يتوكلون ولا يصلون اذا
 غابوا ولا يؤدون زكاة أموالهم فاخبر الله تعالى انهم ليسوا بمؤمنين ثم وصف الله (٢٨٩) المؤمنين فقال انما المؤمنون الذين اذا
 ذكر الله وجلت قلوبهم فادوا

معموله الاما دل عليه ظاهر هذه الآية وقول الشاعر
 فبأبي فايزداد الحاجة * وكنت أيا في الجنة لست أقدم
 قلت وهذا الخلاف بينهم في تقديم الخبر على ليس لاعلى اسمها فانه جائز بلاخلاف
 والكلام فيه وفي أدلته مفصل في كتب النحو (وحن) أى أحاط بهم ما كانوا به
 يستهزئون أى العذاب الذى كانوا يستهزئون به استهزاء منهم ووضع هذا مكان يستهزئون
 لان استهزأهم كان استهزاء منهم وعبر بلفظ الماضى تنبيها على تحقق وقوعه فكأنه قد
 حاق بهم (ولئن أدقنا الانسان) أى الجنس فيشمل المؤمن والكافر ويدل على ذلك
 الاستثناء الآتى قبل المراد به جنس الكفار ويؤيده أن اليأس والكفران والفروح
 والفخرهى أوصاف أهل الكفر لا أهل الاسلام فى الغالب وقيل المراد بالانسان الوليد
 ابن المغيرة وقيل عبد الله بن أمية الخزومي (منارحة) أى نعمة من توفير الرزق والصحة
 والسلامة من المحن وسعة العيش والرخاء (ثم زعناها منه) أى سلبناه اياها وأخذناها قهرا
 عليه وايراد الزع لاشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها (انه ليوس) أى آيس من الرحمة
 شديد القنوط من عودها وأمثالها قلته صبره وعدم ثقته بالله (كثور) عظيم الكفران
 وهو الجحود لها قاله ابن الاعرابى وفي ايراد صـ يغنى المبالغة ما يدل على أن الانسان كثير
 اليأس وكثير الجحود عند أن يسلبه الله بعض نعمه فلا يرجو عودها ولا يشكر ما قد سلف له

فرائضه واذا تأملت عليهم آياته زادتهم
 ايمانا يقول زادتهم تصديقا وعلى
 ربهم يتوكلون يقول لا يرجون غيره
 وقال مجاهد - وجلت قلوبهم فرقت
 أى فرغت وخافت وكذا قال السدى
 وغير واحد وهذه صفة المؤمن حق
 المؤمن الذى اذا ذكر الله وجلت
 قلبه أى خاف منه ففعل أو امره
 وترك زواجه كقوله تعالى والذين
 اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم
 ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم
 ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا
 على ما فعلوا وهم يعلمون وكقوله تعالى
 وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس
 عن الهوى فان الجنة هى المأوى
 ولهذا قال سنيان الثورى سمعت

(٢٧ - فتح البيان ح) السدى يقول فى قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال هو الرجل
 يريد أن يظلم أو قال بهم معصية فيقال له اتق الله فيجبل قلبه وقال الثورى أيضا عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن شهر بن حوشب
 عن أم الدرداء فى قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال الوجل فى القلب كحراق السعفة أما مجرده كقوله قال
 بلى قالت اذا وجدت ذلك فادع الله عند ذلك فان الدعاء يذهب ذلك قوله واذا تأملت عليهم آياته زادتهم ايمانا كقوله واذا ما أنزات
 سورة فمنهم من يقول أنكم زادت هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقد استدل البخارى وغيره من الأئمة بهذه
 الآية واشباهها على زيادة الايمان وتفاضله فى القلوب كما هو مذهب جمهور الأمة قبل قدحى الاجماع عليه غير واحد كالشافعى وأحمد
 ابن حنبل وأبى عبيد كما بينا ذلك مستقصى فى أول شرح البخارى والله الحد والمثمة وعلى ربهم يتوكلون أى لا يرجون سواه ولا يقصدون
 الاياه ولا يؤذون الايمان به ولا يطلبون الحوائج الا منه ولا يرغبون الا اليه ويعلمون انه ماشاء كان وما لم يشاء لم يكن وانه المتصرف فى
 الملك وحده لا شريك له ولا معقب لحكمه رهوسريع الحساب ولهذا قال سعيد بن جبيرة التوكل على الله جماع الايمان وقوله الذين
 يقيمون الصلاة ويؤتوا الزكاة وهم بتفقون يتفقون بنبه تعالى بذلك على أعمالهم بعدما ذكر اعتقادهم وهذه الاعمال تشمل أنواع الخير كلها وهو

اقامة الصلاة وهو حق الله تعالى وقال قتادة اقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها وقال مقاتل بن حيان اقامتها المحافظة على مواقيتها واسباغ الطهور ومنها وتام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هذا اقامتها والانفاق مما رزقهم الله يشمل الخراج الزكاة وسائر الحقوق للعباد من واجب ومستحب والخلق كلهم عيال الله فأحبهم الى الله أنفعهم لخلقهم قال قتادة في قوله وعما رزقناهم ينفقون فانفقوا مما رزقكم الله فانما هذه الاموال عوارى وودائع عندك يا ابن آدم أو شكت أن تفارقها وقوله أو لئن هم المؤمنون حقا أي المتصفون بهذه الصفات هم المؤمنون حق الايمان وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الرحمن الحضرمي حدثنا أبو بكر يرب حدثنا يزيد بن الحباب حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن يزيد السكسكي عن سعيد بن أبي هلال عن محمد بن أبي الجهم عن الحرث بن مالك الانصاري أنه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كيف أصبحت يا حارثة قال أصبحت يا حارثة قال أصبحت مؤمنا حقا قال انظر ماذا تقول فان لكل شئ حقيقة فاحقيقة ايمانك فتعال عزفت نسي عن الدنيا فاهتت ليلى وأظلمات نهاري وكأني أنظر الى عرش ربي بارزا وكأني أنظر الى أهل الجنة يتزاوون فيها وكأني أنظر الى أهل النار يتضاغون (٢٩٠) فيها فقال يا حارثة عرفت فالزم ثلاثا وقال عمرو بن مرة في قوله تعالى أولئك هم المؤمنون حقا انما أنزل القرآن

بلسان العرب كقولك فلان سيد حقاق وفي القوم سادة وفلان تاجر حقاق وفي القوم تجار وفلان شاعر حقاق وفي القوم شعراء وقوله لهم درجات عند ربهم أي منازل ومقامات درجات في الجنة كما قال تعالى هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون ومغفرة أي يغفر لهم السيئات ويشكر لهم الحسنات وقال الضحلي في قوله لهم درجات عند ربهم أهل الجنة بعضهم فوق بعض فبى الذى هو فوق فضله على الذى هو أسفل منه ولا يرى الذى هو أسفل انه فضل عليه أحد ولهذا جاء في الصحيحين ان رسول الله صلى

منها وفي التعبير بالذوق ما يدل على أنه يكون منه ذلك عند سلب أدنى نعمة ينعم الله به عليه لان الازاقة والذوق أقل ما يوجد به الطعم (ولئن أدقناه نعما بعد ضراء مسته) والنعما انعام يظهر أثره على صاحبه والضراء ظهور أثر الاضرار على من أصيب به والمعنى انه ان أذاق الله سبحانه العبد نعما من الصحة والسلامة والغنى بعد ان كان في ضر من فقر أو مرض أو خوف لم يقابل ذلك بما يليق به من الشكر لله سبحانه وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى (ليقولن) أي بل يقول (ذهب السيئات عني) أي المصائب التي ساءت به من الضر والفقر والخوف والمرض عنه وزال أثرها غير شاكر لله ولا مثن عليه بنعمه (انه لفرح خور) أي كثير الفرح بطرا وأثرا كثيرا الفرح على الناس بتعدد المناقب والتطاول عليهم بما يفضله الله به عليه من النعم والفرح لذة تحصل في القلب بذيل المراد المشتبه وفي التعبير عن ملاسة الصرله بالمس مناسبة للتعبير في جانب النعم بالازاقة فان كلهما لادنى ما يطلق عليه اسم الملافة كما تقدم (الا الذين صبروا) فان عادتهم الصبر عند نزول المحن والشكر عند حصول المنن قال الاخفش هو استثناء منقطع يعنى ولكن الذين صبروا فانهم ليسوا كذلك وقيل متصل اذا المراد بالانسان الجنس لا واحد بعينه قاله القراء (وعملوا الصالحات) في حالة النعمة والنعمة (أو لئنك) إشارة الى الموصول باعتبار انصافه بالصبر وعمل الصالحات (لهم مغفرة) لذنوبهم وان جت (وأجر) يؤجرون به على أعمالهم الحسنة

(كبير)

الله عليه وسلم قال ان أهل عليين إبراهيم من أسفل منهم كاترون الكوكب الغبر في افق

من آفاق السماء قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يسألها غيرهم فقال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وفي الحديث الآخر الذي رواه الامام أحمد وأهل السنن من حديث عطية عن أنى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة يترءون أهل الدرجات العلى كاترا ون الكوكب الغابر في افق السماء وان أبابكر وعمر منهن وانعما (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقان من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون واذا بعد كم الله احدى الطائفتين انهما لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) قال الامام أبو جعفر الطبري اختلف المفسرون في السبب الخالب لهذه الكاف في قوله كما أخرجك ربك فقال بعضهم شبهه في الصلاح للمؤمنين اتقاؤهم ربهم واصلحهم ذات بينهم وطاعتهم لله ورسوله ثم روى عن عكرمة نحو هذا ومعنى هذا ان الله تعالى يقول كما انكم لما اختلفتم في المعامر وتشاحتم فيها فانتزعها الله منكم وجعلها الى قسمة وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسما على العدل والتسوية فكان هذا هو المصلحة التامة لكم وكذلك

لما كرهتم الخروج الى الاعداء من قتال ذات الشوكة وهو النفر الذين خرجوا النصر دينهم واحراز غيرهم فكان عاقبة كراهتكم للقتال بان قدره لكم وجمع به بينكم وبين عدوكم على غير ما عاهدوا وهدى ونصر او فتحا كما قال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون قال ابن جرير وقال آخرون معنى ذلك كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره من فريق من المؤمنين كذلك هم كارهون للقتال فهم يجادلونك فيه بعدما تبين لهم ثم روى نحوه عن مجاهد أنه قال كما أخرجك ربك قال كذلك يجادلونك في الحق وقال السدي أنزل الله في خروجه الى بدر ومجادلتهم اياه فقال كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين الكارهون لطلب المشركين يجادلونك في الحق بعدما تبين وقال بعضهم يسألونك عن الانفال مجادلة كما جادلوك يوم بدر فقالوا أخرجنا للعبور ولم تعلمنا قتالا فنستعد له قلت رسول الله صلى الله عليه وسلم انما اخرج من المدينة طالبا للعبور ابي سفيان التي بلغه خبرها انها صادرة من الشام فيها أموال جزيلة لقريش فاستنفض رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين من خف منهم فخرج في ثمانمائة وبضعة عشر رجلا وطلب نحو الساحل من على طريق بدر يعلم أبو سفيان بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه فبعث ضمضم بن عمرو بنديرا الى أهل مكة فتمضوا (٢٩١) في قريب من ألف دنقع ما بين التسعمائة الى الالف وثمانين أبو سفيان بالعبور الى سيف

البحر فنجبا وجاء النفر فورردا وما بدر وجمع الله المسلمين والكافرين على غير معاد لما يريد الله تعالى من اعلاء كلمة المسلمين ونصرهم على عدوهم والتفرقة بين الحق والباطل كما سيأتي بيانه والغرض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه خروج النفر أوحى الله اليه يعده احدى الطائفتين اما العير واما النفر ورجب كثير من المسلمين الى العير لانه كسب بلا قتال كما قال تعالى وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين قال الحافظ أبو بكر ابن مردويه في تفسيره حدثنا

(كبير) متناه في الكبر وهو الجنة ووصف الاجر به لما احتوى عليه من النعيم السرمدى ودفع التكليف والامن من عذاب الله والنظر الى وجهه الكريم واختياره على العظيم له لرعاية الفواصل ثم سلى الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقال (فاعلمك) اعظم ماتر منهم من الكفر والتكذيب واقتراح الآيات التي يقترحونها عليك على حسب هواهم وتعنتهم (تارك بعض ما يوحى اليك) مما أنزله الله عليك وأمرك بتبليغه مما يشق عليهم سماعه أو يستشقون العمل به كسب الهتهم وأمرهم بالايان بالله وحده وقيل هذا الكلام خارج مخرج الاستفهام أى هل أنت تارك وقيل هو فى معنى النفي مع الاستبعاد أى لا يكون منك ذلك بل تبلغهم جميع ما أنزل الله عليك أجوا ذلك أم كرهوا شيئا أم أبوا (وضائق به صدرك) الضمير راجع الى ما والى بعض وعبر بضائق دون ضيق لان اسم الفاعل فيه معنى الحدوث والعروض والصفة المشبهة فيها معنى اللزوم (أن يقولوا) أى كراهة أو مخافة أو لاجل أن أبوا بأن لا وقال أبو البقاء لان يقولوا (لولا) أى هلا (أنزل عليه كنز) أى مال مكنوز مخزون ينتفع به ويستغنى به (أوجاء معه ملاء) بصدقه وبين لنا صحة رسالته ثم بين سبحانه ان حاله صلى الله عليه وآله وسلم مقصور على النذارة فقال (انما أنت نذير) ليس عليك الا الانذار بما أوحى اليك وليس عليك حصول مطلوبهم واييجاد

سليمان بن أحمد الطبراني حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم بن عمر انه حدثه أنه سمع أبا أيوب الانصارى يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ونحن بالمدينة الى اخبرت عن غير أبي سفيان انها مقبلة فهل لكم ان تخرج قبل هذه العير لعلى الله ان يغنمناها فقلنا نعم فخرج وخرجنا فلما سرنا يوما ويومين قال لنا ما ترون في قتال القوم فانهم قد أخبروا بخروجكم فقلنا لا والله ما لنا طاقة بقتال العدو ولكننا أردنا العير ثم قال ما ترون في قتال القوم فقلنا مثل ذلك فقال المقداد بن عمرو اذا تقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون قال فقمينا معشر الانصار ان لو قلنا كما قال المقداد أحب اليئامن أن يكون لنا مال عظيم قال فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين الكارهون وذ كر تمام الحديث ورواه ابن أبي حاتم من حديث ابن لهيعة بنحوه وروى ابن مردويه أيضا من حديث محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى عن أبيه عن جده قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر حتى اذا كان بالروحاء خطب الناس فقال كيف ترون فقال أبو بكر يا رسول الله بلغنا أنهم يمكن كذا وكذا قال ثم خطب الناس فقال كيف ترون فقال عمر مثل قول أبي بكر ثم خطب الناس فقال كيف ترون فقال سعد بن معاذ يا رسول الله

ايانا تريد فوالذي اكرمك و انزل عليك الكتاب ما سلكته ما قط ولا لي به اعلم ولئن سرت حتى تأتي برك الغمام من ذي يمن لنسيرن معك ولا تكون كالذين قالوا موسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا فاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون واعلمك ان تكون خرجت لاهرو واحدث الله اليك غيره فانظر الذي احدث الله اليك فامض له فصل جبال من شئت واقطع جبال من شئت وعادم من شئت وسالم من شئت وخد من اموالنا ما شئت فنزل القرآن على قول سعد كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون الايات وقال العوفي عن ابن عباس لما ساءر النبي صلى الله عليه وسلم في لقاء العدو وقال له سعد ابن عباد ما قال وذلك يوم بدر امر الناس ان يتهيؤوا للقتال و امرهم بالشوكة فذكره ذلك اهل الايمان فأنزل الله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين لك انما يساقون الى الموت وهم ينظرون وقال مجاهد يجادلونك في الحق في القتال وقال ابن اسحق يجادلونك في الحق أي كراهية للقاء المشركين وانكار المسير قرئش حين ذكروا لهم وقال السدي يجادلونك في الحق بعد ما تبين أي بعد ما تبين لهم انك لا تنفع عمل الامم امرك الله به قال ابن جرير وقال آخرون عني بذلك المشركين حدثنا يونس انبأنا (٢٩٢) ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تعالى يجادلونك في الحق بعد ما تبين

كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون قال هؤلاء المشركون جادلوه في الحق كأنما يساقون الى الموت حين يدعون الى الاسلام وهم ينظرون قال وايس هذامن صفة الاخرين هذه صفة مبتدأة لاهل الكفر ثم قال ابن جرير ولا معنى لما قاله لان الذي قبل قوله يجادلونك في الحق خبر عن اهل الايمان والذي يتلوه خبر عنهم والصواب قول ابن عباس وابن اسحق انه خبر عن المؤمنين وهذا الذي نصره ابن جرير هو الحق وهو الذي يدل عليه سياق الكلام والله أعلم وقال الامام احمد رحمه الله حدثنا يحيى بن بكير وعبد الرزاق قالوا حدثنا اسرائيل

مقترحاتهم (والله على كل شيء وكيل) يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل (أم يقولون افتراء) أم هي المنقطعة بمعنى بل والهزة أضرب عما تقدم منها ونهم بالوحي وعدم قنوعهم بما جاء به من المعجزات الظاهرة وشرع في ذكر ارتكابهم لما هو واضح من ذلك وهو افتراء وهم عليه بأنه افتراء والاستفهام للتقريع والتوبيخ والضمير المستتر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والبارز لما يوحى ثم أمره الله سبحانه أن يجيب عليهم بما يقطعهم ويبين كذبهم ويظهر به مجزهم فقال (قل فاتوا بعشر سور مثله) أي مماثلة له في البلاغة وحسن النظم وجزالة اللفظ وغمامة المعنى ووصف السور بما يوصف به المفرد فقال مثله ولم يقل أمثاله لان المراد مماثلة كل واحدة من السور ولقصد الایاء الى أن وجه الشبه ومداره المماثلة في شيء واحد وهو البلاغة البالغة الى حد الإعجاز وهذا الغما هو على القول بان المطابقة في الجمع والتننية والافراد شرط وقيل لفظة مثل وان كانت بلفظ الافراد فانها يوصف بها المثني والجمع والمؤنث كقوله تعالى أنؤمن لبشر ين مثلنا وتجوز المطابقة قال تعالى وحور عين كأمثال اللؤلؤ وقال تعالى ثم لا يكونوا أمثالكم والهاء في مثله تعود لما يوحى ثم وصف السور بصفة أخرى فقال (مفتريات) جمع مفتراة كصطفيات في مصطفاة فانقلبت الالفاء كالتننية قاله السهيني أي مختلقات حيث قالوا له افتريت هذا القرآن من عند نفسك وليس هو من عند الله فتحدهم وأرخی لهم العنان

وقاؤهم

عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم

حين فرغ من بدر عليك بالغير ليس دونها شيء فناداه العباس بن عبد المطلب قال عبد الرزاق وهو أسير في وثاقه انه لا يصلح لك قال ولم قال لان الله عز وجل اتموا عدك احدى الطائفتين وقد أعطاك الله ما وعدك اسناد جيد ولم يخبره ومعنى قوله تعالى وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم أي يحبون ان الطائفة التي لاحد لها ولا منعة ولا قتال تكون لهم وهي العير ويريد الله ان يحق الحق بكلماته أي هو يريد ان يجمع بينكم وبين الطائفة التي لها الشوكة والقتال ليظفركم بهم وينصركم عليهم ويظهر دينه ويرفع كلمة الاسلام ويجعله عالما على الاديان وهو أعلم بعواقب الامور وهو الذي يدبركم بحسن تدبيره وان كان العباد يحبون خلاف ذلك فيما يظهر لهم كقوله تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وقال محمد بن اسحق رحمه الله حدثني محمد بن مسلم الزهري وعادم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علماءنا عن عبد الله بن عباس كل قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قالوا لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين اليهم وقال هذه عير قرئش فيها أموالهم فاخرجوا

اليها عمل الله ان ينقلكموهما فانتدب الناس نخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك انهم لم يظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى
 حربا وكان اباوس فيان قد استنفر حين دنا من الحجاز يجسس الاخبار ويسأل من لقي من الركب ان تخوفوا على امر الناس حتى اصاب
 خبرا من بعض الركب ان محمدا قد استنفر اصحابه لك ولعيرك فخذر عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى اهل مكة وامره
 ان ياتي قريشا فيستنفرهم الى اموالهم ويخبرهم ان محمدا قد عرض لها في اصحابه فخرج ضمضم بن عمرو سرا الى مكة وخرج رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى بلغ واديا يقال له ذفران فخرج منه حتى اذا كان ببعضه نزل واناه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا
 عنهم فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس واخبرهم عن قريش فقام ابو بكر رضي الله عنه فقال فاحسن ثم قام عمر رضي الله
 عنه فقال فاحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما امرك الله به فتحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل
 لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا فاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا
 الى برك العمداء يعني مدينة الحبشة لخالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا وادعاه ليجري ثم قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم اسير واعلى ايها الناس وانما يريد الانصار وذلك (٢٩٣) انهم كانوا عدد الناس وذلك انهم حين يابغوه

وفاوضهم على مثل دعواهم وقال مفسريات في مقابله قولهم افتراء ولما اتحداهم بهذا
 الكلام امره بان يقول لهم (وادعوا) للاستظهار على المعارضة بالعشر السور (من
 استطعم) دعاءه وقدرتم على الاستعانة به من هذا النوع الانساني و(من دون الله) أي من
 تعبدونه وتبعوا لونه بشر يكالته سبحانه أي ادعوا من استطعمت تجاوزين الله سبحانه (ان كنتم
 صادقين) فيما تزعمون من افتراءي له (فالم) تكتب بغيرون كافي خط المعحف وهذا في
 خصوص هذا الموضوع (بستحيبوا لكم) أي فان لم يفعلوا ما طلبته منهم وتحديتهم به من
 الايمان بعشر سور مثله ولا استجابوا الى المعارضة المطلوبة منهم ويكون الضمير في لكم
 لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين والنبى صلى الله عليه وآله وسلم وحده
 وجمع تعظيم او تنجيما (فاعلموا) امر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين
 اوللرسول وحده على التأويل الذي سلف قريبا ومعنى امرهم بالعلم امرهم بالثبات عليه
 لانهم عالمون بذلك من قبل بحز الكفار عن الايمان بعشر سور مثله والمراد بالامر بالعلم
 الامر بالازدياد منه الى حد لا يشوبه شك ولا تخالطه شبهة وهو علم اليقين والاول اولى (انما
 أنزل) متلبسا (بعلم الله) المختص به الذي لا تطلع على كنهه العقول ولا تستوضح معناه
 الافهام لما اشتمل عليه من الاجاز الخارج عن طوق البشر وليس مفترى على الله وانما اداة
 حصر ويجوز في ما ان تكون موصولة اسمية او حرفية تقديره فاعلموا ان تنزيله وان الذي

فامض يا رسول الله لما امرك الله فالذي بعثك بالحق ان استعرضت بنا هذا البحر فخضته فخضناه معك ما يتخلف منا رجل واحد
 وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا انال صبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونسبته ذلك ثم قال سير واعلى بركة الله وابشر وافان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله
 لكأني الآن انظر الى مصارع القوم وروى العوفي عن ابن عباس نحو هذا وكذلك قال السدي وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم
 وغير واحد من علماء السلف والخلف اختصرنا في قولهم اكتبوا بسياق محمد بن اسحق (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم
 بالآل من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) قال الامام احمد
 حدثنا ابو نوح قراد حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا سالم الخنفي ابو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
 لما كان يوم بدر نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى اصحابه وهم ثلثمائة وثيف ونظر الى المشركين فاذا هم آلف وزيادة فاستقبل النبي صلى
 الله عليه وسلم القبلة وعليه رداؤه وازاره ثم قال اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تلك هذه العصابة من اهل
 الاسلام فلا تعبدني الارض ابدا قال فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فانا ابو بكر فاخذ رداؤه فرداه
 ثم التزمه من ورائه ثم قال ياي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب

لكم اني محمد كرم الف من الملائكة مردين فلما كان يومئذ التقوا فهزم الله المشركين فقتل منهم سبعون رجلا وامر منهم سبعون رجلا واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وعمر وعليما فقال ابو بكر يارسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان واني ارى ان تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار وعسى ان يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت والله ما ارى ما ارى ابو بكر ولكني ارى ان تمكنني من فلان قريب لعمرفاضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حزمة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله ان ايس في قلوبنا هو اداة للمشركين هؤلاء صناديدهم وأمتهم وقادتهم فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يوافق وأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد قال عمر فغدوت الى النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وهما يبكيان فقلت يارسول الله ما يبكيك أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تما كيت لبكائك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة شجرة قريبة من النبي صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عز وجل ما كان النبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا (٢٩٤) طيبا فاحل لهم الغنائم فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما

صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وقرأ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم وكسرت ربا عيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه فانزل الله أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثلها قلتم ائني هذا قل هو من عند أنفسكم ان الله على كل شئ قدير بأخذكم الفداء ورواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن جرير وابن مردويه من طريق عن عكرمة بن عمار به وصححه علي بن المسدي والترمذي وقال لا يعرف الامن حديث عكرمة بن عمار اليماني وهكذا روى علي بن أبي طلحة

أثره متلبس بعلم الله (وأن لا اله الا هو) أي واعلموا ان الله هو المتفرد بالالوهية لا شريك له ولا يقدر غيره على ما يقدر عليه ثم ختم الآية بقوله (فهل أنتم مسلمون) أي يأتون على الاسلام راخون فيه مخلصون له اذا تحقق عندهم اعجازه عن مجاهدات الخطاب لاصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم أي هل أنتم مزداون من الطاعات لانه قد حصل لكم بعجز الكفار عن الايمان بمثل عشر سور من هذا الكتاب طمانينة فوق ما كنتم عليه وبصيرة زائدة وان كنتم مسلمين من قبل هذا فان النبوت عليه وزيادة البصيرة فيه والطمانينة به مطلوب منكم وقيل المعنى فان لم يستجب لكم من دعوتهم للمعاوضة والمناصرة على الايمان بعشر سور من سائر الكفار ومن تعبدوهم وترعون انهم يضررون وينفعون فاعلموا ان هذا القرآن الذي أنزله الله على هذا الرسول خارج عن قدرة غيره سبحانه وتعالى لما اشتمل عليه من الاعجاز الذي يتقاصر عنه قوة المخلوقين وانه أنزل بعلم الله الذي لا تحيط به العقول ولا تبلغه الافهام واعلموا انه المنفرد بالالوهية لا شريك له فهل أنتم بعد هذا مسلمون أي داخلون في الاسلام متبعون لاحكامه مقتدون بشرايعه بعد قيام الحجّة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتبنيه على قيام الموجب وزوال العذر وهذا الوجه أقوى من الوجه الاول من جهة وأضعف منه من جهة فاما جهة قوته فلا تنساق الضمائر وناسبها وعدم احتياج بعضها

الى

والعوفى عن ابن عباس ان هذه الآية الكريمة قوله اذ تستغيثون ربكم في دعاء

النبي صلى الله عليه وسلم وكذا قال يزيد بن تبيع والسدّي وابن جرير و قال ابو بكر بن عياش عن ابى حصين عن ابى صالح قال لما كان يوم بدر جعل النبي صلى الله عليه وسلم يناشده به أشد المناشدة يدعوا فأتاه عمر بن الخطاب فقال يارسول الله بعض مناشدتك فوالله ليفين الله لك بما وعدك قال البخاري في كتاب المغازي باب قول الله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم الى قوله فان الله شديد العقاب حدثنا ابو نعيم حدثنا اسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال سمعت ابن مسعود يقول شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لان أكون صاحبه أحب الى مما عدل به أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعوا على المشركين فقال لانقول كما قال قوم موسى اذهب أنت وربك فقاتلا ولنا كنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسره يعني قوله حدثني محمد بن عبد الله بن حوشب حدثنا عبد الوهاب حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر اللهم أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد فأخذ ابو بكر بيده فقال حسبيك فخرج وهو يقول سيزم الجمع ويولون الدهر ورواه النسائي عن بندار عن عبد الوهاب عن عبد الحميد الثقفي

وقوله تعالى بالآفة من الملائكة هر دفين أي يردف بعضهم بعضا كما قال هرون بن هبيرة عن ابن عباس هر دفين متتابعين ويحتمل أن المراد هر دفين لكم أي نجدة لكم كما قال العوفي عن ابن عباس هر دفين يقول المدد كما تقول أنت للرجل زده كذا وكذا وهكذا قال مجاهد وابن كثير القاري وابن زيد هر دفين مدين وقال أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس يدكم يدكم ربكم بألف من الملائكة هر دفين قال وراء كل ملك ملك وفي رواية بهذا الاسناد هر دفين قال بعضهم على اثر بعض وكذا قال أبو ظبيان والضحك وقبادة وقال ابن جرير حدثني المثني حدثنا اسحق حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثني عبد العزيز بن عمران عن الزبيعي عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير عن علي رضي الله عنه قال نزل جبريل في ألف من الملائكة عن ميمنة النبي صلى الله عليه وسلم وفيها أبو بكر ونزل ميكائيل في ألف من الملائكة عن ميسرة النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الميسرة وهذا يقتضي أن صح اسناده ان الالف هر دفة بمثلها ولهذا أقر بعضهم هر دفين بفتح الدال والله أعلم والمشهور مارواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال وامتد الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بألف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة وميكائيل في خمسمائة مجنبة وروى الامام أبو جعفر بن جرير ومسلم من حديث عكرمة بن عمار عن ابي زميل (٢٩٥) سالم بن وليد الحنفي عن ابن عباس عن

عمر الحديث المتقدم ثم قال أبو زميل حدثني ابن عباس قال ينادرجل من المسلمين يشتمني اثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه فخر مستلقيا قال فنظر اليه فاذا هو قد دحطم وشق وجهه كضربة السوط فاحضر ذلك اجمع فشاء الانصاري حدث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسر واسبعين وقال البخاري باب شهود الملائكة بدرا حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا جبرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة

الى تأويل وأما ضعفه فلما في ترتيب الامر بالعلم على عدم الاستجابة ممن دعوههم واستعانوا بهم من الخفاء واحتياجه الى تكلف وهو أن يقال ان عدم استجابة ممن دعوههم واستعانوا بهم من الكفار والآلهة مع حرصهم على نصرهم ومعاضدتهم ومباغتهم في عدم ايمانهم واستمرارهم على الكفر بقيد حصول العلم لهؤلاء الكفار بان هذا القرآن من عند الله وان الله سبحانه هو الاله وحده لا شريك له وذلك يجب دخولهم في الاسلام واعلم انه قد اختلف التحدى للكفار بمعارضة القرآن فتارة وقع بمجموع القرآن كقوله لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله وبعض سور كما في هذه الآية وذلك لان العشرة أول عقد من العقود وبسورة منه كما تقدم في البقرة ويونس وذلك لان السورة أقل طائفة منه ثم ان الله سبحانه توعد من كان مقصورا لهمة على الدنيا لا يطلب غيرها ولا يريد سواها فقال (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) واختلاف أهل التفسير في هذه الآية فقال الضحاك نزلت في الكفار وأهل الشرك واختاره النحاس بدليل الآية التي بعدها أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وقال أنس نزلت في اليهود والنصارى وعن الحسن مثله وقيل نزلت في المنافقين وقيل الآية واردة في الناس على العموم كافرهم ومسلمهم والحل على العموم أولى والمعنى ان من كان يريد بعمله حظ الدنيا كما فأن ذلك وليس المراد مجرد الارادة والمراد بنيتها ما ينهوا ويحسبها من الصحة والامن والسعة في

ابن رافع الزرقى عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماتعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال وكذلك من شهد بدر من الملائكة انشردباخراجه البخاري وقدر واه الطبراني في المعجم الكبير من حديث رافع بن خديج وهو خطأ والصواب رواية البخاري والله أعلم وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر لما شاوره في قتل حاطب بن أبي بلتعجة انه قد شهد بدر وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعلموا ما شئتم فقد غفرت لكم وقوله تعالى وما جعله الله الا بشري الآتية أي وما جعل الله بعث الملائكة واعلامه اياكم هم الا بشري ولتطمئن به قلوبكم والافهوتعالى قادر على نصركم على أعدائكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله اي بدون ذلك ولهذا قال وما النصر الا من عند الله كما قال تعالى فاذا القيمت الذين كفروا فاضرب الرقاب حتى اذا اثخنهوهم فشدوا الوثاق فاما منابعدوا ما فدا حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن لا يبوء بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهد بهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقال تعالى وتلك الايام نداء لها يدين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وللمحس الله الذين آمنوا ويعيق الكافرين فهذه حكم شرع الله جهاد الكفار بأيدي المؤمنين لاجلها وقد كان تعالى انما يعاقب الامم السالفة المكذبة

للانبياء بالقوارع التي تم تلك الامم المكذبة كما هلك قوم نوح بالطوفان وعاد الاولي بالدبور وعود بالصيحة وقوم لوط بالخسف والقلب
 وجمارة السجيل وقوم شعيب يوم الظلة فلما بعث الله تعالى موسى وأهلك عدوه فرعون وقومه بالغرق في الهم ثم أنزل على موسى التوراة
 شرع فيها فقال الكفار استقر الحكم في بقية الشرايع بعده على ذلك كما قال تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعدما هلكوا القرون
 الاولي بصائر وقتل المؤمنين للكافرين أشد اهانة للكافرين واشقى لصدور المؤمنين كما قال تعالى للمؤمنين من هذه الامة فانلوهم
 يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ولهذا كان قتل صناديد قريش بأيدي اعدائهم الذين
 يتظرون اليهم بأعين ازدراءهم انكي لهم واشقى لصدور حزب الايمان كقتل ابي جهل في معركة القتال وحرمة الوغى أشد اهانة له من
 موته على فراشه بقارعة أوصاعة أو نحو ذلك كما مات أبو لهب لعنه الله بالعدسة بحيث لم يقربه أحد من قاربه وانما غسله بالماء
 قد فاق من يميدور جوه حتى دفنوه ولهذا قال تعالى ان الله عزيز أي له العزة ورسوله وللامؤمنين بهما في الدنيا والاخرة كقوله
 تعالى انالنفصررسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد حكيم فيما شرع عنه من قتال الكفار مع القدرة على دمارهم
 واهلاكهم بحوله وقوته سبحانه وتعالى (٢٩٦) اذ يغشاكم العاص امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب

عنكم رجز الشيطان ويربط على
 قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يوحى
 ربك الى الملائكة انى معكم فنذروا
 الذين آمنوا سألني في قلوب الذين
 كفروا والرعب فاضر بوا فوق
 الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك
 بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق
 الله ورسوله فان الله شديد العقاب
 ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب
 النار يذكركم الله تعالى بما أنعم به
 عليهم من القائه النعاس عليهم أما ما
 أمنهم به من خوفهم الذي حصل لهم
 من كثرة عدوهم وقلة عددهم وكذلك
 فعل تعالى بهم يوم أحد كما قال تعالى
 ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعماما
 يغشى طائفة منكم وطائفة قد

الرزق وارتشاع الحظ ونفاذ القول وكثرة الاولاد والرياسة ونحو ذلك وادخال كان في الآية
 يفيد أنهم مستمرون على ارادة الدنيا باعمالهم لا يكادون يريدون الاخرة ولهذا قيل انهم
 مع اعطائهم حظوظ الدنيا يعذبون في الاخرة لانهم جردوا قصدتهم الى الدنيا ولم يعلموا
 للاخرة وظاهر قوله (نوف اليهم أعمالهم فيها) ان من أراد بعبادته الدنيا حصل له الجزاء
 الدنيوي لا محالة ولو كان الواقع في الخارج يخالف ذلك فليس كل ممتن ينال من الدنيا
 أمنته وان عمل لها وأرادها فلا بد من تقييد ذلك بشيئة الله سبحانه عن ابن عباس قال
 يعني من عمل صالحا التماس الدنيا صوما أو صلاة أو تهجد بالليل لا بعبادته الا لذلك قال
 القرطبي ذهب أكثر العلماء الى أن هذه الآية مطلقة وكذلك الآية التي في الشورى ومن
 كان يريد حرث الدنيا نؤته منها كذلك ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها وفي حديثها وفسرتها
 التي في سبحان من كان يريد العاجلة بمجئها فيها ما شاء من نريد (وعنه فيها لا يخشون)
 أي وهؤلاء المريدون بأعمالهم الدنيا هم في الدنيا لا يتقصون من جزائهم فيها بحسب
 أعمالهم لها وذلك في الغالب وليس بمطرد بل ان قفت به مشيئة سبحانه ورجحته حكمته
 الباطنة وقال القاسمي معنى الآية من كان يريد بعبادته الخير الحياة الدنيا وزينتها ونوف
 اليهم أعمالهم وافية كاملة من غير بخش في الدنيا وهو ما ينالون من الصحة والكتف
 وسائر اللذات والطيبات والمنافع فخص الجزاء بمنزل ما ذكره وهو حاصل لكل عامل للدنيا

أهمتهم أنفسهم الآية قال أبو طلحة كنت ممن أصابه النعاس يوم أحد ولقد سقط السيف من يدي
 وول
 مر اربسقط وأخذه ويسقط وأخذه ولقد نظرت اليهم عيرون وهم تحت الخجف وقال الحافظ أبو بعلج
 عن شعبة عن أبي اسحق عن حارثة بن مضر بن عن علي رضي الله عنه قال ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد واقدرأيتنا وما فينا
 الا نائم الارسل الله صلى الله عليه وسلم بصلى تحت شجرة ويكي حتى أصبح وقال سنيان الثوري عن عاصم عن ابي رزين عن عبد الله
 ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة من الشيطان وقال قتادة النعاس في الرأس والنوم
 في القلب قلت أما النعاس فقد أصابهم يوم أحد وأمر ذلك مشهور وجدوا ما يؤم بدر فهذه الآية الشريفة انما هي في سياق قصة بدر
 وهي دالة على وقوع ذلك أيضا وكان ذلك كائن للمؤمنين عند شدة البأس تكون قلوبهم أمنة مطمئنة بنصر الله وهذا من
 فضل الله ورجحته بهم ونعمته عليهم وكما قال تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا ولهذا جاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق رضي الله عنه وهما يدعوان أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من النوم ثم
 استيقظ متبسما فقال بشريا بأبا بكره ذاجير بل على ثناياه النقع ثم خرج من باب العريش وهو يتلو قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون

شرباطهور أى مطهر الماء كان من غل أو حسداً وتباغض وهو زينة الباطن وطهارته ولا يربط على قلوبكم أى بالصبر والاقدام على مجادة الاعداء وهو شجاعة الباطن ويثبت به الاقدام وهو شجاعة الظاهر والله أعلم وقوله اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم ليشكروه عليها وهو أنه تعالى وتقدس وتبارك وتجد وأوحى الى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين يوحى اليهم فيما بينهم وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا قال ابن اسحق وازروهم وقال غيره قاتلوا معهم وقيل كثروا سوادهم وقيل كان ذلك بأن الملك كان يأتى الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيقول سمعت هؤلاء القوم يعنى المشركين يقولون والله لئن جئوا علينا لننكشفن فيحدث المسلمون بعضهم بعضاً بذلك فتقوى أنفسهم حكاه ابن جرير وهذا النظم بحرفه وقوله سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب أى ثبتوا أى أتم المؤمنون وقوا أنفسهم عن أعدائهم عن أمرى لكم بذلك سألقى الرعب والذلة والصغار على من خاف أمرى وكذب رسولى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان أى اضربوا الهام فقلقوها واضربوا الرقاب فقطعوها وقطعوا الاطراف منهم وهى أيديهم وأرجلهم وقد اختلف المفسرون فى معنى فوق الاعناق فقيل معناه اضربوا الرؤس (٢٩٨) قاله عكرمة وقيل معناه أى على الاعناق وهى الرقاب قاله الضحاك

وعطية العوفى ويشهد لهذا المعنى ان الله تعالى أرشد المؤمنين الى هذا فى قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق وقال وكيع عن المسعودى عن القاسم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم انى لم أبعث لأعذب بعذاب الله انما بعثت بضرب الرقاب وشد الوثاق واختار ابن جرير انها قد تدل على ضرب الرقاب وفتلق الهام قلت وفى مغازى الاموى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يرب بين القتلى يوم بدر فيقول يفتلق هاماً فيقول أبو بكر من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلماً

صلى الله عليه وآله وسلم من تعلم علم الغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار أخرجه الترمذى وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قال الله تعالى انا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه أخرجه مسلم وفى الباب أحاديث بمعناه والرياء هو الشرك الأصغر كما ورد فى الحديث وهذا هو أحد الاقوال والذي قد تبصره جزالة النظم الكريمة ان المراد به مطلق الكفرة بحيث يندرج فيهم القادحون فى القرآن العظيم اندراجاً وليا فإنه عز وعلا لما أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بان يزدادوا اعمالاً ويقتنابوا القرآن منزل بعلم الله وبان لا قدرة لغيره على شئ أصلاً وهيجهم على الثبات على الاسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون الله عن المعارضة وتبين انهم ليسوا على شئ أصلاً اقتضى الحال ان يتعرض لبعض شؤونهم الموهمة لكونهم على شئ فى الجملة من ينلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم على المطالب الدنيوية ويبيان ان ذلك بعزل عن الدلالة عليه ولقد بين ذلك أى بيان ثم بين سبحانه ان بين من كان طالباً للدنيا فقط ومن كان طالباً للآخرة تفاوتاً عظيماً وتبايناً بعيداً فقال (أفئن كان على بينة) برهان يدل على الحق (من ربه) فى اتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم والايمان بالله كغيره ممن يريد الحياة الدنيا وزينتها وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وآله وسلم أى أفئن كان معه بيان من الله ومجزة

فيتدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأول البيت ويستظم أباً بكر رضى الله عنه انشاد آخره لانه كان كالقرآن

لا يحسن انشاد الشعر كما قال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقال الربيع بن أنس كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة بمن قتلوهم بضرب فوق الاعناق وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به وقوله واضربوا منهم كل بنان قال ابن جرير معناه واضربوا من عدوكم أيها المؤمنون كل طرف ومفصل من أطراف أيديهم وأرجلهم والبنان جمع بنانه كما قال الشاعر
ألا ليتنى قطعت منى بنانه * ولا فيته فى البيت يقظان جادراً

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس واضربوا منهم كل بنان يعنى البنان الاطراف وكذلك قال الضحاك وابن جرير وقال السدى البنان الاطراف ويقال كل مفصل وقال عكرمة وعطية العوفى والضحاك فى رواية أخرى كل مفصل وقال الاوزاعى فى قوله تعالى واضربوا منهم كل بنان قال اضرب منه الوجه والعين وارمه بشهاب من نار فاذا أخذته حرم ذلك كله عليك وقال العوفى عن ابن عباس فذكر قصة بدرالى أن قال فقال أبو جهل لا تقتلوهم قتلاً ولا ولكن خذوهم أخذاً حتى تعرفوهم الذى صنعوا من طعنهم فى دينكم ورجبتهم عن اللات والعزى فأوحى الله الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين

كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان الآية فقتل أبو جهل لعنه الله في تسعة وستين رجلاً وأسرع عتبة بن أبي معيط فقتل صبراً فوق ذلك سبعين يعني قبيلاً ولهذا قال تعالى ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله أي خالفوه ما فاسرأوا في شق وتر كوا الشرع والایمان به واتباعه في شق ومأخوذاً أيضاً من شق العصا وهو جعلها فرقتين ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب أي هو الطالب الغالب لمن خالفه وناواه ولا يفوته شيء ولا يقوم لغضبه شيء تبارك وتعالى لا اله غيره ولا رب سواه ذلكم فدوقوه وان للكافرين عذاب النار هذا خطاب للكفار أي ذوقوا هذا العذاب والنكال في الدنيا واعلموا أيضاً ان للكافرين عذاب النار في الآخرة (يا أيها الذين آمنوا اذ القيمم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ بده الامتحان فالقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير) يقول تعالى متوعداً على القرار من الزحف بالنار لمن فعل ذلك يا أيها الذين آمنوا اذ القيمم الذين كفروا زحفاً أي تقاربتم منهم ودنوتهم منهم فلا تولوهم الادبار أي تقربوا وتر كوا أصحابكم ومن يولهم يومئذ بده الامتحان فالقتال أي يفر بين يدي قرنه مكيدة ليريه انه قد خاف منه فيتبعه ثم يكر عليه فيقتله فلا بأس عليه في ذلك نص عليه سعيد بن جبير والسدي وقال الضحاك أن يتقدم عن أصحابه (٢٩٩) ليرى غرة من العدو فيصيدها أو متحيزاً الى فئة أي فر من ههنا الى فئة أخرى

كالقرآن ومعه شاهد كبير بل وقد بشرت به الكتب السابقة لمن كان يريد الحياة الدنيا وزينتها والضمير في (ويتلوه شاهد) راجع الى البينة باعتبار ما قبلها بالبرهان أي يؤيده ويشدده ويقويه والضمير في (منه) راجع الى القرآن لانه تقدم ذكره في قوله أم يقولون افتراء أو راجع الى الله تعالى والمعنى ويتلوا البرهان الذي هو البينة شاهد يشهد بصدقه من القرآن أو من الله سبحانه والشاهد هو العجائب الكائن في القرآن أو المعجزات التي ظهرت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان ذلك من الشواهد التابعة للقرآن وقال الفراء قال بعضهم ويتلوه شاهد منه الانجيل وان كان قبله فهو يتلوا القرآن في التصديق والهاء في منه لله عز وجل وقيل المراد بمن كان على بينة من ربه هم مؤمنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وعن علي بن أبي طالب قال ما من رجل من قريش انزل فيه طائفة من القرآن فقال له رجل ما نزل فيك قال أما تقرأ سورة هود أم كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينة من ربه وأنا شاهد منه أخرجه أبو نعيم وابن أبي حاتم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتلوه شاهد منه على أخرجه ابن عساکر وعنه ووددت اني أنا هو ولكنه لسان محمد وعن ابن عباس ان الشاهد جبريل ووافقته سعيد بن جبير وعلقمة وابراهيم ومجاهد والضحاك وأكثر المفسرين وقال الحسن وقتادة هو لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووجه ذلك

أحمد حدثنا حسن حدثنا زهير
حدثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن
ابن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر رضی
الله عنهم ما قال كنت في سرية من
سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم
خاص الناس حصة فكنت فيمن
خاص فقلنا كيف نصنع وقد فرنا
من الزحف وبؤنا بالغضب ثم قلنا
لودخلنا المدينة فبئنا ثم قلنا لو عرضنا
أنفسنا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فان كانت لنا توبة والا

ذهبنا فأتيناها قبل صلاة الغداة فخرج فقال من القوم فقلنا نحن الفرارون فقال لا بل أنتم العكارون نافقتكم وأنافثة المسلمين قال فأتيناها حتى قبلنا يده وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق عن يزيد بن أبي زياد وقال الترمذي حسن لا نعرفه الا من حديث ابن أبي زياد ورواه ابن أبي حاتم من حديث يزيد بن أبي زياد به وزاد في آخره وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية أو متحيزاً الى فئة قال أهل العلم معنى قوله العكارون أي العفافون وكذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن أبي عبيد لما قتل على الجسر بارض فارس لكثرة الجش من ناحية الجوس فقال عمر لو تحيز الى لكتبت له فئة هكذا رواه محمد بن سيرين عنه وفي رواية أبي عثمان النهدي عن عمر قال لما قتل أبو عبيد قال عمر أيها الناس أنافئتكم وقال مجاهد قال عمر أنافثة كل مسلم وقال عبد الملك بن عمير عن عمر أيها الناس لا تغرنكم هذه الآية فانما كانت يوم بدر وأنافثة لكل مسلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حسان ابن عبد الله المصري حدثنا خالد بن سليمان الحضرمي حدثنا نافع أنه سأل ابن عمر قلت ان ثبت عند قتال عدونا ولا ندرى من الفئة امامنا أو عسكرنا فقال ان الفئة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله يقول اذ القيمم الذين كفروا زحفاً الآية فقال انما أنزلت هذه الآية في يوم بدر لاقبلها ولا بعدها وقال الضحاك في قوله أو متحيزاً الى فئة المتحيز الفار الى النبي وأصحابه وكذلك من فر اليوم الى أميره أو أصحابه فأما ان كان الفرار لا عن سبب من هذه الاسباب فانه حرام وكبيرة من الكبائر لما رواه البخاري ومسلم في الصحيحين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الاباحق وكل الربا وكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وله شواهد من وجوه أخر ولهذا قال تعالى فقد بآء أي رجع بغضب من الله وما آواه أي مصيره ومنقلبه يوم ميعاده وما آواه جهنم وبئس المصير قال الامام أحمد حدثنا زكريا بن عدى حدثنا عبيد الله بن عمر الرقي عن زيد بن أبي أييسة حدثنا جلبة بن سحيم عن ابي المثني العبدى سمعت السدوسي يعني ابن الخصاصية وهو بشير بن معبد قال آيت النبي صلى الله عليه وسلم لا يابعه فاشترط على شهادة ان لا اله الا الله وان محمد اعبدته ورسوله وان اقيم الصلاة وان اؤدى الزكاة وان اُحج حجة الاسلام وان اصوم شهر رمضان وان اجاهد في سبيل الله فقالت يا رسول الله اما انتان فوالله لا اطيعهما الجهاد فانهم زعموا انه من ولي الدبر فقد بآء بغضب من الله فاحاف ان حضرت ذلك خشعت نفسي وكر هت الموت والصدقة فوالله مالي الاغنيمة وعشر ذودهن رسل اهلتي وجولتهم فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم حرك يده ثم قال فلا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة اذن قلت يا رسول الله انا ابايعك فبايعته عليهم كلهن هذا (٣٠٠) حديث غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه في الكتب الستة وقال الحافظ أبو

القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة حدثنا اسحق ابن ابراهيم أبو النضر حدثنا زيد ابن ربيعة حدثنا أبو الاشعث عن ثوبان مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يتفجع معهن عمل الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وهذا أيضا حديث غريب جدا وقال الطبراني أيضا حدثنا العباس بن المفضل الاسفاطى حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حفص بن عمر السني حدثني عمرو بن مرة قال سمعت بلال بن يسار بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت ابي يحدث عن جدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان اللسان لما كان يعرب عمافي الجنان ويظهره جعل كالشاهد له لانه آية الفضل والبيان وبه يتلى القرآن وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويسدده والاول اولى (ومن قبله) أي القرآن (كتاب موسى) عطف على شاهد والتقدير ويتلو الشاهد وشاهد آخر وهو كتاب موسى فهو وان كان متقدما في النزول فهو يتلو الشاهد في الشهادة وانما قدم الشاهد على كتاب موسى مع كونه متأخرا في الوجود لكونه وصفا لازما غير مفارق فكان أعرق في الوصفية من كتاب موسى ومعنى شهادة كتاب موسى وهو التوراة انه بشر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأخبر بأنه رسول من الله قال الزجاج والمعنى ويتلو من قبله كتاب موسى لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم موصوف في كتاب موسى يجده مكنونا بعندهم في التوراة والانجيل وقرى كتاب موسى بالنصب أي يتلو كتاب موسى جبريل (امام اورجة) الامام هو الذي يؤتم به في أمور الدين ويقتهى به في الاحكام والشرايع والرحمة النعمة العظيمة التي أنعم الله بها على من أنزله عليهم وعلى من بعدهم الى يوم القيامة باعتبار ما اشتمل عليه من الاحكام الشرعية الموافقة لحكم القرآن (أولئك) أي المتصفون بتلك الصفة الفاضلة وهو الكون على البينة من الله (يؤمنون به) أي يصدقون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بالقرآن (ومن يكفر به) أي بالنبي أو بالقرآن (من الاحزاب) وهم المتخزون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من

من قال أستغفر الله الذي لا اله الا هو وأتوب اليه غفر له وان كان قد فر من الزحف وهكذا أهل

رواه أبو داود عن موسى بن اسمعيل به والترمذي وقال غريب لانعرفه الا من هذا الوجه قلت ولا يعرف لزيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم عنه سواء وقد ذهب ذاهبون الى ان الفرار عما كان حراما على الصحابة لانه كان فرض عين عليهم وقيل على الانصار خاصة لانهم يابغوا على السمع والطاعة في المنشط والمكروه وقيل المراد بهذه الآية أهل بدر خاصة يروى هذا عن عمرو بن عمرو بن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد وأبي نصره ونافع مولى بن عمرو وسعيد بن جبير والحسن البصري وعكرمة وقنادة والضحاك وغيرهم وحجتهم في هذا انه لم تكن عصاة لها شوكة يفتنون اليها الا عصايتهم تلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ان تملك هذه العصاة لا تعبدني الا أرض ولهذا قال عبد الله بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن في قوله ومن يوالهم يومئذ برة قال ذلك يوم بدر فاما اليوم فان انحاز الى فئة أو مصرأ حسبه قال فلا بأس عليه وقال ابن المبارك أيضا عن ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب قال أوجب الله تعالى لمن فر يوم بدر النار قال ومن يوالهم يومئذ برة لا تمحرفا لقتال أو تمحيزا الى فئة فقد بآء بغضب من الله فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال ان الذين تولوا منكم يوم التقي الجعان الى قوله ولقد عفا الله عنهم ثم كان يوم حنين بعد ذلك بسبع سنين قال ثم وليتم مدبرين ثم

يُوب الله من بعد ذلك على من يشاء وفي سنن أبي داود والنسائي ومستدرک الحاكم وتفسير ابن جرير وابن مردويه من حديث داود ابن أبي هند عن أبي بصرة عن أبي سعيد أنه قال في هذه الآية ومن يؤلمهم يومئذ برة انما أنزلت في أهل بدر وهذا كله لا ينفي أن يكون القرار من الزحف حراما على غيرهم وان كان سبب نزول الآية فيهم كما دل عليه حديث أبي هريرة المتقدم من ان القرار من الزحف من المواقف كما هو مذهب الجماهير والله أعلم (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين) بين تعالى انه خالق افعال العباد وانه الخجود على جميع ماصدر منهم من خير لانه هو الذي وقتهم له وأعانهم عليه ولهذا قال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم اي ليس بحولكم وقوتكم قتلتم أعداءكم مع كثرة عددهم وقلة عددكم اي بل هو الذي أظفركم عليهم كما قال ولقد نصركم الله بيدروا وتم أدلة الآية وقال تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعببتكم كثيركم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين يعلم تبارك وتعالى ان النصر ليس على كثرة العدد ولا بلبس الائمة والعدد وانما النصر من عنده تعالى كقوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين (٣٠١) ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أيضا في شأن القبضة من التراب التي

أهل مكة وغيرهم أو المتحيزون من أهل الأديان كلها قال قتادة الكفار حزاب كلهم على الكفر (فالنار موعده) أي هو من أهل النار لا محالة وفي جعل النار موعدا الشعاب بأن فيها ما لا يحيط بها الوصف من أفانين العذاب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة لا يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به الا كان من أصحاب النار اخرج به البغوي بسنده قال سعيد بن جبيرة ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه في كتاب الله حتى بلغني هذا الحديث فقلت أين هذا في كتاب الله حتى أتيت على هذه الآية (فلان في مربة منه) أي في شك من كون القرآن نازلا من عند الله وفيه تعريض بغيره صلى الله عليه وآله وسلم لانه معصوم عن الشك في القرآن وفي شك من الموعد والمرية بالكسر والضم والاول لغة الجواز وبها قرأ جماهير الناس والثانية لغة أسد وتميم وبها قرأ السلمي وغيره (انه الحق من ربك) فلا مدخل للشك منه بحال من الاحوال (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بذلك مع وجوب الايمان به وظهور الدلائل الموجبة له ولأنهم يعاندون مع علمهم بكونه حقا وقد طبخ على قلوبهم فلا يفقهون انه الحق أصلا (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أي لا أحد أظلم منهم لانفسهم لانهم افترى واعلمه سبحانه كذبا بقولهم لاصنامهم هو لا شفعاؤنا عند الله وقولهم الملائكة بنات الله وأضافوا كلامه

حصبها وجوه الكافرين يوم بدر حين خرج من العريش بعد دعائه وتضرعه واستكاثه فرماهم بها وقال شامت الوجوه ثم أمر أصحابه أن يصدقوا الجملة اثرها فنفعلوا فاوصل الله تلك الحصباء الى أعين المشركين فلم يبق أحد منهم الا ناله منها ما شغله عن حاله ولهذا قال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى أي هو الذي بلغ ذلك اليهم وكبتهم بها لا أنت قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه يعني يوم بدر فقال يارب ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الارض أبدا فقال له

جبريل خذ قبضة من التراب فارم بها في وجوههم فأخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم فامن المشركين أحد الا أصاب عينيه ومخض به وفيه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين وقال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه يوم بدر أعطني حصبا من الارض فنأولته حصبا عليه تراب فرمى به في وجوه القوم فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء ودفنهم المؤمنون يقتلونهم ويأسروهم وأنزل الله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقال أبو معشر المدني عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي قال لما دنا القوم بعضهم من بعض أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فرمى بها في وجوه القوم وقال شامت الوجوه فدخلت في أعينهم كلهم وأقبل أصحاب رسول الله يقتلونهم ويأسروهم وكانت هزيمتهم في رمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث حصبات فرمى بحصبات ميمنة القوم وحصبات في ميسرة القوم وحصبات بين أظهرهم وقال شامت الوجوه فانهم زموا وقدر في هذه القصة عن عروة وبجاهد وعكرمة وقاتدة وغيره احدث من الائمة أنها نزلت في رمية النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وان كان قد فعل ذلك يوم حنين أيضا وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا أحمد بن منصور

حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا عبد العزيز بن عمران حدثنا موسى بن يعقوب بن عبد الله بن ربيعة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حنيفة عن حكيم بن حزام قال لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت في طست ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية فانهزمتنا غريب من هذا الوجه وههنا قولان آخران غريبان جدا أحدهما قال ابن جرير حدثني محمد بن عوف الطائي حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان بن عمرو حدثنا عبد الرحمن بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ابن أبي الحقيق بخيبر دعا بقوس فأتى بقوس طويلة وقال جيتوني بقوس غيرها جفاؤه بقوس كبير فرمى النبي صلى الله عليه وسلم الحصن فأقبل السهم يهوى حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو في فراشه فأُنزل الله عز وجل وما رميت أذريت ولكن الله رمى وهذا غريب واستناده جيد إلى عبد الرحمن بن جبير بن نفير وعلله اشتبه عليه وأنه أراد أن الآية تعم هذا كله والافساق الآية في سورة الانفال في قصة بدر لا محالة وهذا مما لا يخفى على أئمة العلم والله أعلم والثاني روى ابن جرير أيضا والحكم في مستدركه باسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب والزهرى أنهم ما قالوا أنزلت في رمية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد أي من خلف بالحرية وهو في الأمتة فغذسه في ترقوته فجعل يتأدأ عن فرسه مرار حتى كانت (٣٠٢) وفاته بعد أيام فأسى فيها العذاب الاليم موصولا بعذاب البرزخ المتصل

بعذاب الآخرة وهذا القول عن هذين الامامين غريب أيضا جدا ولعلهما أرادان الآية تتناوله بعمومها لانها نزلت فيه خاصة كما تقدم والله أعلم وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير في قوله وليسبلى المؤمنين منه بلاءا حسنا أي يعرف المؤمنين من نعمته عليهم من اظهارهم على عدوهم مع كثرة عدوهم وقلة عددهم ليعرفوا بذلك حقه فيشكروه وهكذا افسره ابن جرير أيضا وفي الحديث وكل بلاء حسن ابلاؤنا وقوله ان الله سميع عليم أي سميع الدعاء عليهم عن يستحق النصر والغلب وقوله ذلكم وان الله

سبحانه الى غيره واللفظ وان كان لا يقتضى الاثني وجود من هو أظلم منهم كما يفيد الاستفهام الانكارى فالمراد بقوله في المساوى لهم في انظلم فالعنى على هذا ألا أحد منهم في الظلم فضلا عن ان يوجد من هو أظلم منهم وذكر لهم هنا من أوصافهم أربعة عشر وصفا أولها افتراء الكذب وآخرها كونهم في الآخرة أخسر من غيرهم (أولئك) أي الموصوفون بالظلم المتبالغ (يعرضون على ربهم) يوم القيامة فيحاسبهم على أعمالهم أو المراد بعرضهم عرض أعمالهم عرضا تظهر به فضيحتهم (ويقول الشهداء) جمع شهيد ورجحه أبو علي بكثرة ورود شهيد في القرآن كقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقيل هو جمع شاهد كالحجاب وصاحب قال مجاهد الملائكة الحفظة وقيل المرسلون قاله ابن عباس وقيل الملائكة والمرسلون والعلماء الذين بلغوا ما أمرهم الله ببلاغه وقيل جميع الخلائق قاله قتادة والمعنى انه يقول هؤلاء الشهداء عند العرض (هؤلاء) المعروفون أو المعروفون أعمالهم (الذين كذبوا على ربهم) في الدنيا بما نسبوه اليه ولم يبصر حواجا كذبوا به كانه كان أمر معلوما عند أهل ذلك الموقف (ألا لعنة الله على الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بالافتراء هذا من تمام كلام الشهداء أي يقولون ألا لعنة الله الخ ويجوز أن يكون من كلام الله سبحانه قاله بعدما قال الشهداء وفي الصحيحين وغيرهما عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله

مؤمن كيد الكافرين هذه بشارة أخرى مع ما حصل من النصر انه أعلمهم تعالى بانه مضعف كيد الكافرين فيما يدنى يستقبل مصغرا أمرهم وانهم كل مالهم في تبارود ما روت الله الحد والمنمة (ان تستمقوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتمكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين) يقول تعالى للكفار ان تستمقوا أي تستنصروا وتستمقوا الله وتستحكموه وان يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين فقد جاءكم ما سألتكم كما قال محمد بن اسحق وعروة الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة بن صعيان أن أباهم قال يوم بدر اللهم أيننا كان أقطع للرحم وأنى بما لا يعرف فاحنه الغداة وكان ذلك استفتنا حاننه فنزلت ان تستمقوا فقد جاءكم الفتح الى آخر الآية وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن عيسى بن هرون بن أبان بن محمد بن اسحق حدثني الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة ان أباهم قال حين اتى القوم اللهم أيننا كان أقطع للرحم وأنى بما لا يعرف فاحنه الغداة فكان المستفتح واخرجه النسائي في التفسير من حديث صالح بن كيسان عن الزهرى به وكذا رواه الحاكم في مستدركه من طريق الزهرى به وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وروى نحو هذا عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة يزيد بن رومان وغير واحد وقال السدي كان المشركون حين خرجوا من مكة الى بدر أخذوا باستار الكعبة فاستنصروا الله وقالوا اللهم انصرنا على الجندين وأكرم القميتين وخيرا القبيلتين

فقال الله ان تستفتحو فقد جاءكم الفتح يقول قد نصرت ما قلتم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هو قوله تعالى اخبار عنهم واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وقوله وان تنتموا أي عما أنتم فيه من الكفر بالله والتكذيب لرسوله فهو خير لكم أي في الدنيا والآخرة وقوله تعالى وان تعودوا نعد بقوله وان عدتم عدنا معناه وان عدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والضلالة نعد لكم بمثل هذه الوقعة وقال السدي وان تعودوا أي إلى الاستفتاح نعد أي إلى الفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم والنصر له وتظفيره على أعدائه والاقول أقوى وان تغني عنكم فنتسكم شيئا ولو كثرت أي ولو جمعتم من الجوع ما عسى أن تجمعوها فان من كان الله معه فلا غالب له فان الله مع المؤمنين وهم الحزب النبوي والحزب المصطفوي (بأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنهم وأنتم سمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) يأمر تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ويزجرهم عن مخالفته والتشبهه بالكافرين به المعاندين له ولهذا قال ولا تولوا عنه أي تتركوا طاعته وامتنال أو امره وتركوا واجرهم وأنتم سمعون أي بعد ما علمتم ما دعاكم إليه (٣٠٣) ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون قيل

المراد المنركون واختاره ابن جرير وقال ابن اسحق هم المنافقون فانهم يظهرون انهم قد سمعوا واستجابوا وليسوا كذلك ثم أخبر تعالى ان هذا الضرب من بني آدم شر الخلق والخلقة فقال ان شر الدواب عند الله الصم أي عن سماع الحق البكم عن فهمه ولهذا قال الذين لا يعقلون فهو لا شر السبيرة لان كل دابة مما سواهم مطيعة لله فيما خلقها له وهؤلاء خلقوا للعبادة فكفروا ولهذا شبههم بالانعام في قوله ومن الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الادعاء ونداء الآية وقال في الآية الاخرى أولئك كالانعام بل هم اضل أولئك هم الغافلون وقيل

يدني المؤمن حتى يضع كنفه ويستتره من الناس ويقره بذنوبه ويقول له اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب كذا فيقول رب اعرف حتى اذا قره بذنوبه ورأى في نفسه انه قد هلك قال فاني سترتها عليك في الدنيا وانا اغترها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسنته وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد اني قوله الظالمين والنسأئدة في قول الأشهاد بهذه المقالة المبالغية في فضيحة الكفار والتقريع لهم على رؤس الأشهاد ثم وصف هؤلاء الظالمين الذين لعنوا بانهم (الذين يصدون عن سبيل الله) أي يمنعون من قدر واعلى منعه عن دين الله والدخول فيه وقال السدي عن محمد صدق قريش عنه الناس (ويغونها عوجا) أي يصفونها بالا عوجا تنفيرا للناس عنها أو ينعون أهلها أن يكونوا معوجين بالخروج عنها إلى الكفر يقال بغيتك شرا أي طلبته لك وقال أبو مالك يعني يرجون بكمه غير الاسلام ديننا (وهم) أي والحال أنهم هم بالآخرة (كافرون) أي غير مصدقين فكيف يصدون الناس عن طريق الحق وهم على الباطل الجحش وتكرير الضمير لتأكيدهم كفرهم واختصاصهم به حتى كان كفر غيرهم غير معتد به بالنسبة إلى عظيم كفرهم (أولئك) الموصوفون بتلك الصفات (لم يكونوا معجزين في الأرض) أي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا أن أراد عقوبتهم وقيل معناه سابقين وقيل فائتين وقيل مفلتين أنفسهم من أخذه لو أرادوا ذلك في الأرض مع سعتها وان هربوا فيها كل مهرب (وما كان لهم من دون الله من أولياء) يدفعون عنهم ما يريد الله سبحانه من عقوبتهم

المراد هؤلاء المذكورين نفر من بني عبد الدار من قريش روى عن ابن عباس ومجاهد واختاره ابن جرير وقال محمد بن اسحق هم المنافقون قلت ولا منافاة بين المشركين والمنافقين في هذا الان كلامهم مسلوب الفهم الصحيح والقصد إلى العمل الصالح ثم أخبر تعالى بانهم لا يفهم لهم صحيح ولا قصد لهم صحيح لو فرض ان لهم فهما فقال ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم أي لا يفهمهم وتقدير الكلام ولا يكن لا خير فيهم فلم نشههم لانه يعلم انه لو أسمعهم أي أفهمهم لتولوا عن ذلك قصدوا عنادا بعد فهمهم ذلك وهم معرضون عنه (بأيها الذين آمنوا استجبوا واستجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون) قال البخاري استجبوا واجيبوا لما يحييكم لما يحييكم حدثني اسحق حدثنا روح حدثنا شعبة عن خبيب بن عبد الرحمن قال سمعت حفص بن عاصم يحدث عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال كنت أصلي فمرى النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فلم آتبه حتى صليت ثم آتته فقال ما منعك ان تأتيني ألم يقل الله يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ثم قال لا علمت أعظم سورة في القرآن قبل ان أخرج فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرج فذكر له وقال معاذ حدثنا شعبة عن خبيب بن عبد الرحمن سمع حفص بن عاصم سمع أبا سعيد رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بهذا وقال الحمد لله رب العالمين هي السبع

المثنى هذا الفظه بحروفه وقد تقدم الكلام على هذا الحديث بذكر طرقة في أول تفسير الفاتحة وقال مجاهد في قوله لما يحييكم قال الحق وقال قتادة لما يحييكم قال هو هذا القرآن فيه الحياة والتقاة والحياة وقال السدي لما يحييكم الاسلام في احياءهم بعد موتهم بالكفر وقال محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم أي للحرب التي أعزكم الله تعالى بها بعد الذل وقواكم بها بعد الضعف ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم وقوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه قال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفرو وبين الكافرو وبين الايمان رواه الحاكم في مستدركه موقوفا وقال صحيح ولم يخرجاه ورواه ابن مردويه من وجه آخر مرفوعا ولا يصح لضعف اسناده والموقوف أصح وكذا قال مجاهد وسعد وعكرمة والبخاري وأبو صالح وعطية ومقاتل بن حيان والسدي وفي رواية عن مجاهد في قوله يحول بين المرء وقلبه أي حتى يتركه لا يعقل وقال السدي يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر الا بذنه وقال قتادة هو كقوله ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وقد وردت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يناسب هذه الآية وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش (٣٠٤) عن أبي سفيان عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه

وسلم يكثر أن يقول يا مقاب القلوب ثبت قلبي على دينك قال فقلنا يا رسول الله آمننا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من أصابع الله تعالى يقلمها وهكذارواه الترمذي في كتاب القدر من جامعه عن هناد ابن السري عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير عن الاعمش واسمه سليمان بن مهران عن أبي سفيان واسمه طلحة بن نافع عن أنس ثم قال حسن وهكذاروى عن غيره واحد عن الاعمش ورواه بعضهم عنه عن أبي سفيان عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم وحديث أبي سفيان عن أنس أصح (حديث آخر)

وانزال بأسه بهم ومن زائدة (يضاعف) وقرئ يضعف بالتشديد لهم العذاب في الآخرة مستأنفة لبيان أن تأخير العذاب والتراخي عن تعجيله لهم ليكون عذابا مضاعفا بسبب صدهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت وقال السيوطي باضلالهم غيرهم قال الصاوي حاصله (١) ان المضاعفة مخصوصة بالحسنات وأما السيئات فلا تضاعف قال تعالى ومن جاء بالسيسة فلا يجزى الا مثلها فمعنى المضاعفة الشدة لانهم يعذبون عذابا على ضلالهم في أنفسهم وعذابا على اضلالهم غيرهم (ما كانوا يستطيعون السمع) أي افرطوا في اعراضهم عن الحق وبغضهم له حتى كانوا لا يقدرون على السمع للحق وهذا تعليل لمضاعفة العذاب (وما كانوا يصرون) أي ولا يقدرون على الابصار لفرط تعاميمهم عن الصواب ويجوز ان يراد بقوله وما كانوا لهم من دون الله من أولياء انهم جعلوا آلهتهم أولياء من دون الله ولا ينفعهم ذلك فما كانوا أولياء يستطيعون السمع وما كانوا يصرون فكيف ينفعونهم فيجب ان لهم نفعوا ويدفعون عنهم ضرا وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهم نفعيا عليهم من اول الامر سوء العاقبة ويجوز أن يكون ماهي المدة والمعنى انه يضاعف لهم العذاب مدة استطاعتهم السمع والبصر وقال الفراء لا يستطيعون السمع لان الله أضلهم في اللوح المحفوظ وقال الزجاج لبغضهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعدوتهم له لا يستطيعون ان يسمعو امنه ولا يفهموا عنه قال النحاس

قال الامام أحمد في مسنده حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا شعبة عن الحكم عن ابن أبي ليلى هذا عن بلال رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو يا مقاب القلوب ثبت قلبي على دينك هذا حديث جيد الاسناد لان فيه انقطاعا وهو مع ذلك على شرط أهل السنن ولم يخرجوه (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم قال سمعت ابن جابر يقول حدثنا بشر بن عبد الله الحضرمي انه سمع أبا بدر يس الخولاني يقول سمعت النواس بن سمعان الكلابي رضى الله عنه يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من قلب الا هو بين اصبعين من أصابع الرحمن رب العالمين اذا شاء أن يقمه اقامه واذا شاء أن يزيغه أزاغه وكان يقول يا مقاب القلوب ثبت قلبي على دينك قال والميزان بين يدي الرحمن يخفضه ويرفعه وهكذارواه الثاني وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر فذكره مثله (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا نونس حدثنا جاد بن زيد عن المعلى بن زياد عن الحسن ان عائشة قالت دعوات كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بها يا مقاب القلوب ثبت قلبي على دينك قالت فقلت يا رسول الله انك تكثرت دعوات تدعو بهذا الدعاء فقال ان قلب الآدمي بين اصبعين من أصابع الله فاذا شاء أزاغه واذا شاء اقامه (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا هاشم حدثنا عبد الحميد حدثني شهر سمعت ام سلمة تحدث ان رسول الله (١) قوله حاصله أي حاصل قول السيوطي ٥١ منه

صلى الله عليه وسلم لم يكن يكثر في دعائه يقول اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالت فقلت يا رسول الله أو ان القلوب لتقلب قال نعم ما خلق الله من بشر من بنى آدم إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل فان شاء أقامه وان شاء أزاغه فنسأل الله ربنا أن لا يبع قلوبنا بعد اذهدنا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب قالت فقلت يا رسول الله ألا تعلمني دعوات ادعو بها لنفسى قال بلى قولى اللهم رب النبي محمد اغفر لى ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرنى من مضلات الفتن مأ حميتنى (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أخبرنى أبو هانئ أنه سمع أبا عبد الرحمن الجبلى أنه سمع عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصر فيها كيف شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا الى طاعتك انقر بياخراجه مسلم عن البخارى فرواه مع النسائى من حديث حيوة ابن شريح المصرى به (واقفاقنة لاتصين الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب) يحذر تعالى عباده المؤمنين قسنة أى اختبأوا ومحنة يم بها المسى وغيره لا يخص بها أهل المعاصى ولا من باشر الذنب بل بعهها حيث لم تدفع وترفع كما قال الامام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا شاذان بن سعيد حدثنا غيلان بن جرير (٣٠٥) عن مطرف قال قلنا لزيد بن أبي عبد الله

ما جاء بكم ضيعتم الخليفة الذى قتل ثم جئتم تطلبون بدمه فقال الزبير رضى الله عنه ان اقرأنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم واقفاقنة لاتصين الذين ظلموا منكم خاصة لم نكن نحسب ان أهلها حتى وقعت منا حيث وقعت وقدر واه البزار من حديث مطرف عن الزبير وقال لانعرف مطرفا روى عن الزبير غير هذا الحديث وقدر روى النسائى من حديث جابر بن حازم عن الحسن عن الزبير نحو هذا وروى ابن جرير حدثنى الحرث حدثنا عبد العزيز حدثنا مبارك بن فضالة عن الحسن قال قال الزبير لقد خوفنا يعنى قوله

هذا معروف فى كلام العرب يقال فلان لا يستطيع أن ينظر الى فلان اذا كان ثقبلا عليه (أولئك) المتصفون بتلك الصفات (الدين خسروا أنفسهم) بعبادة غير الله والمعنى اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرا منهم فى تجارتهم أعظم خسرا (وضل) أى ذهب وضاع (عنهم ما كانوا يعترفون) من الآلهة التى يدعون انها تشفع لهم ولم يبق بأيديهم الا الخسران (لاجرم انهم فى الآخرة هم الا خسرون) قال الخليل وسيبويه لاجرم بمعنى حق فهى عندهما بمنزلة كلمة واحدة وبه قال الفراء وروى عن الخليل والفراء انها بمنزلة قولك لا بد ولا محالة ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا وقال الزجاج ان جرم بمعنى كسب وفاعله مضمراى كسب ذلك الفعل لهم الخسران وان منصوبه بيجرم قال الأزهرى وهذا من أحسن ما نقل فى هذه اللغة وقال الكسائى معنى لاجرم لاصد ولا منع وقال جماعة من النحويين ان معنى لاجرم لا قطع قاطع قالوا والجرم القطع وقد جرم الخيل واجترمه أى قطعه ووردت هذه اللفظة فى القرآن فى خمسة مواضع متلوقة بان واسمها ولم يجى بعد هاء فعل ويقال فى كل واحد منها ما قبل هنا وفيه لغات بكسر الجيم وبضمها والجرم يجرم الميم ولان ذاجر م ولا ذجر م ولا ذجر م وغير ذلك وفى هذه الآية بيان انهم قد بلغوا فى الخسران الى حد يتقاصر عنه غيرهم ولا يبلغ اليه وهذه الآيات مقررة لما سبق من نفي المماثلة بين من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها وبين من كان على بينة من ربه (ان الذين آمنوا)

(٣٩ - فتح البيان ع) تعالى واقفاقنة لاتصين الذين ظلموا منكم خاصة وشحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ظننا ان اخصصنا بها خاصة وكذا رواه حميد عن الحسن عن الزبير رضى الله عنه وقال داود بن أبى هند عن الحسن فى هذه الآية قال نزلت فى على وعمار وطخمة والزبير رضى الله عنهم وقال سفيان الثورى عن الصلت بن دينار عن عقبه بن صهبان سمعت الزبير يقول لقد قرأت هذه الآية زمانا وما أرا نا من أهلها فاذا نحن المعنيون بها واقفاقنة لاتصين الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب وقدر روى من غير وجه عن الزبير بن العوام وقال السدى نزلت فى أهل بدر خاصة فأصابهم يوم الجمل فاقتلوا وقال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى واقفاقنة لاتصين الذين ظلموا منكم خاصة يعنى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وقال وفى رواية له عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية أمر الله المؤمنين ان لا يقرؤا المنكر بين ظهرانيهم فيعصمهم الله بالعذاب وهذا تفسير حسن جدا ولهذا قال مجاهد فى قوله تعالى واقفاقنة لاتصين الذين ظلموا منكم خاصة هى أيضا لكم وكذا قال الضحاك وزيد بن أبى حبيب وغير واحد وقال ابن مسعود ما منكم من أحد الا وهو مشتمل على قسنة ان الله تعالى يقول انما أموالكم وأولادكم قسنة فأياكم استعاذ فلا يستعذبنا الله من مضلات الفتن رواه ابن جرير والقول بان هذا التحذير يع الصحابة وغيرهم وان كان الخطاب معهم

هو الصحيح ويدل عليه الاحاديث الواردة في التحذير من القتن ولذلك كذب مستعمل بوضع فيه ان شاء الله تعالى كما فعله الأئمة وافردوه بالتصنيف ومن أخص ما يذكرونه ما رواه الامام أحمد حديث قال حدثنا أحمد بن الحجاج أنبأنا عبد الله يعني ابن المبارك أنبأنا سيف بن أبي سليمان سمعت عدى بن عدى الكندي يقول حدثني مولى لنا انه سمع جدي يعني عدى بن عميرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى ير والمنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة فيه رجل مبهم ولم يخبر جوه في الكتب الستة ولا واحد منهم والله أعلم (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا سليمان الهاشمي حدثنا اسمعيل يعني ابن جعفر أخبرني عمرو بن أبي عمرو عن عبد الله بن عبد الرحمن الاشهل عن حذيفة بن اليمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعونه فلا يستجيب لكم ورواه عن أبي سعيد عن اسمعيل بن جعفر وقال أولي بعث الله عليكم قوما ثم تدعونهم فلا يستجيب لكم وقال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن عمر قال حدثنا زر بن حبيش الجهني حدثني أبو الرقاد قال خرجت مع مولاى فدفعتم الى حذيفة (٣٠٦) وهو يقول ان كان الرجل يستكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير منافقا وانى لا يصحها

من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتخاضن على الخير أو ليوثرن عليكم شراركم ثم يدعو خباركم فلا يستجاب لهم (حديث آخر) قال الامام أحمد أيضا حدثنا يحيى بن سعيد عن زكريا حدثنا عامر بنى الله عنه قال سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنه يخطب يقول وأما بأصابعه الى أذنيه يقول مثل انقام على حدود الله والواقع فيها والمداهن فيها كمثل قوم ركبو اسقىنة فأصاب بعضهم أسفلها وأوعرها وشرها وأصاب بعضهم أعلاها فكان الذين في

أى صدقوا بكل ما يجب عليهم التصديق به من كون القرآن من عند الله وغير ذلك من خصال الايمان (وعملوا الصالحات) أراد بها جميع أعمال الجوارح (وأخبتوا الى ربهم) أى أنابوا اليه وسكنوا وقيل خشعوا وقيل خضعوا وقيل خافوا قاله ابن عباس وقيل اطمانوا قاله مجاهد وهذا الاشارة الى أعمال التلويح وقيل وأصل الاخبات الاستواء في الخبث وهو الارض المستوية الواسعة فيناسب معنى الخشوع والاطمئنان قال الفراء الى ربهم ولربهم واحد وقيل لفظ الاخبات يتعدى باللام والى فاذا قلت أخبت فلان الى كذا فعناه اطمان اليه واذا قلت له فعناه خشع وخضع (أولئك) الموصوفون بتلك الصفات الصالحة (أصحاب الجنة هم فيها خالدون) لا انقطاع لنعيمها ولا زوال لاهلها (مثل الفريقين كالاعى والاصم والبصير والسميع) ضرب للفريقين مثلا وهو تشبيه فريق الكافرين بالاغى والاصم وتشبيه فريق المؤمنين بالبصير والسميع على ان كل فريق يشبه بشيئين أو شبهة عن جمع بين الشيين فالكافر شبهة عن جمع بين العمى والصمم والمؤمن شبهة عن جمع بين السمع والبصر وعلى هذا يكون الواو في والاصم وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة (هل يستويان مثلا) أى حالوا صفة (أفلاتن كرون) في عدم استوائهما وفيما بينهما من التفاوت الظاهر لا يخفى على من له تدكر وعنده تفكر وتأمل والهيمزة لانكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن المخاطبين ولما أوردت سبحانه على الكفار

أسفلها اذا استقوا الماء من اعلى من فوقهم فأذوهم فقالوا لو خر قناني نصيبنا خر قاناستقينا منه المعاصرين ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وأمرهم هلكوا جميعا وان أخذوا على أيديهم نجوا جميعا انقربا خراج البخارى دون مسلم فر واهى الشركة والشهادات والترمذى في القتن من غير وجه عن سليمان بن مهران الاعمش عن عامر بن شراحيل الشعبي به (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا حسين حدثنا خلف بن خليفة عن ابيث عن علقمة بن مرثد عن المعمر بن سويد عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ظهرت المعاصى فى أمتى عمهم الله بعذاب من عنده فقلت يا رسول الله أما فيهم أناس صالحون قال بلى قالت فكيف يصنع أولئك قال يصيبهم ما أصاب الناس ثم يصيرون الى مغفرة من الله ورضوان (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا حجاج بن محمد حدثنا شريك عن أبي اسحق عن المنذر بن جبر عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يعملون المعاصى وفيهم رجل أعز منهم وأمنع لا يغيره الا عمهم الله بعقاب أو أصابهم العقاب ورواه أبو داز عن مسدد عن أبي الاحوص عن أبي اسحق به وقال الامام أحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت ابا اسحق يحدث عن عبيد الله بن جبر عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى هم أعز وأكثر ممن يعدهم لو لم يثلم

يعبروه الاجمعهم الله بعقاب ثم رواه أيضا عن وكيع عن اسرايل وعن عبد الرزاق عن معمر وعن أسود عن شريك ويونس كلهم عن أبي اسحق السبيعي به وأخرجه ابن ماجه عن علي بن محمد عن وكيع به وقال الامام أحمد حدثنا سفيان حدثنا جامع بن أبي راشد عن منذر عن حسن بن محمد عن امرأته عن عائشة تبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم اذا ظهر السوء في الارض أنزل الله بأهل الارض بأسه قلت وفيهم أهل طاعة الله قال نعم ثم يصرون الى رحمة الله (واذ كروا اذا أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره وورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون) ينه تعالى عباده المؤمنين على نعمه عليهم واحسانه اليهم حيث كانوا قليلين فكثروهم ومستضعفين خائفين فقواهم ونصرهم وفقراء عالة فرزقهم من الطيبات واستشكرهم فاطاعوه وامتلأوا بجميع ما أمرهم وهذا كان حال المؤمنين حال مقامهم بحكمة قليلين مستخفين مضطربين يخافون أن يتخطفهم الناس من سائر بلاد الله من مشرك ومجوسي ورومي كلهم أعداء لهم لقلتهم وعدم قوتهم فلم يزل ذلك دأبهم حتى أذن الله لهم في الهجرة الى المدينة فأوهم اليها وقبض لهم أهلها أو وانصر ويوم بدر وغيره وواسوا بالموالمة وبذلوا ما همجهم في طاعة الله وطاعة رسوله قال قتادة بن دعامة السدوسي رحمة الله في قوله تعالى واذ كروا اذا أنتم قليل (٣٠٧) مستضعفون في الارض قال كان هذا الحى من

العرب أذل الناس ذلا وأشقاء عبثا وأجوعه بطونا وأعداء جلودا وأثبتته ضلالا من عاش منهم عاش شقيا ومن مات منهم ردى في النار يؤكلون ولا يابأ كلون والله مانع قبيلا من حاضر أهل الارض يومئذ كانوا أشمر منزلا منهم حتى جاء الله بالاسلام فكان به في البلاد ووسع به في الرزق وجعلهم به ملوكا على رقاب الناس وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا الله على نعمه فان ربكم منعم يحب الشكر وأهل الشكر في مزيد من الله (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا ايمانناكم وأنتم تعلمون واعلموا انما أموالكم وأولادكم تنه وان الله

المعاصر بن محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنواع الدلائل التي هي أوضح من الشمس أكد ذلك بذكر القصص على طريقة الافتنان في الكلام ونقله من اسلوب الى اسلوب لتكون الموعدة أظهر والحجة أبين والقبول أتم فقال (ولقد) الواو للابتداء واللام هي الموطئة للقسم (أرسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين) بالكسر على ارادة القول أى فقال أرفائلا وقرئ بالفتح على اضمار حرف الجر أى أرسلناه متلبسا بذلك الكلام وهو اني لكم واقتصر على النذارة دون البشارة لان دعوته كانت مجرد الانذار ولو لم يعملوا بما بشرهم به وفي هذه السور قد ذكر أنواع من القصص الاولى قصة نوح الثانية قصة هود الثالثة قصة صالح الرابعة قصة ابراهيم الخامسة قصة لوط السادسة قصة شعيب السابعة قصة موسى وهي آخر القصص على الترتيب الزمني (أن لا تعبدوا الا الله) أن مصدرية أو منسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير أو مبين ولانهاية (انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) تعليلية والمعنى تهيبتكم عن عبادة غير الله لاني أخاف عليكم وفيها تحقيق لمعنى الانذار واليوم هو يوم القيامة أو يوم الطوفان ووصفه بالايام من باب الاستناد المجازى مبالغة ثم ذكر ما أجاب به قومه عليه وهذا الجواب يتضمن الطعن منهم في نوته من ثلاث جهات (فقال الملا الذين كفروا من قومه) الملا الأشراف كما تقدم غير مرة ووصفهم بالكفر ذمالمهم وفيه دليل على ان بعض اشراف قومه لم يكونوا كفرة (مازال الا بشرنا مثلنا)

عنده أبحر عظيم) قال عبد الرزاق بن أبي قتادة والزهرى أنزلت في أبي لباية بن عبد المنذر حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة لينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروه في ذلك فأشار عليهم بذلك وأشار بيده الى حلقته أى انه الذبح ثم فطن أبو لباية ورأى انه قد خان الله ورسوله خلف لا يذوق ذوا فاحتى يموت أو يتوب الله عليه وانطلق الى مسجد المدينة فربط نفسه في سار به فكفت كذلك تسعة أيام حتى كان يحرم غشا عليه من الجهد حتى أنزل الله توبته على رسوله بخاء الناس يبشرونه بتوبة الله عليه وأرادوا أن يحلوه من السار به خلف لا يحلوه منها الا الرسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فحله فقال يا رسول الله انى كنت نذرت ان أنتخلك من مالى صدقة فقال يجزيك الثلث ان تصدق به وقال ابن جرير حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا يونس بن الحارث الطائفي حدثنا محمد بن عبد الله بن عون الثقفي عن المغيرة بن شعبة قال نزلت هذه الآية في قتل عثمان رضى الله عنه ما أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول الآية وقال ابن جرير أيضا حدثنا القاسم بن بشر بن معروف حدثنا شيبان بن بصير حدثنا محمد بن الحارث قال لقيت عطاء بن أبي رباح فحدثني قال حدثني جابر بن عبد الله ان أباسفيان خرج من مكة فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان أباسفيان يمكن كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أباسفيان في موضع

كذا وكذا فانخرجوا اليه واكتفوا فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمد ايريدكم فخذوا حذركم فانزل الله عز وجل لا تخونوا الله
والرسول وتخونوا اماناتكم الية هذا حديث غريب جدا وفي سنده وسياقه نظر وفي الصحيحين قصة طاب بن ابي بلعة انه
كتب الى قريش يعلمهم بقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم عام النخ فاطلع الله رسوله على ذلك فبعث في اثر الكتاب فاسترجعه
واستحضر حاطبا فقرأ بما صنع وفيها مقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله الا ضرب عنقه فانه قد خان الله ورسوله والمؤمنين
فقال دعه فانه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعلموا ما شئتم فقد غفرت لكم قلت والصحيح ان الية عامة
وان صح انها وردت على سبب خاص فالأخذ بع عموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجاهل من العلماء والحياة تعم الذنوب
الصغار والسيئات اللازمة والمعصية وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس وتخونوا اماناتكم الامانة الاعمال التي اتقن الله عليها
العباد يعني الفريضة يقول لا تخونوا لا تنصوها وقال في رواية لا تخونوا الله والرسول يقول ترك سنته وارتكاب معصيته وقال
محمد بن اسحق حدثني محمد بن جعفر الزبير عن عروة بن الزبير في هذه الية أي لا تظهروا له من الحق ما يرضى به منكم ثم تخالفوه
في السراي غير فان ذلك هلاك لاماناتكم (٣٠٨) وخيانة لانفسكم وقال السدي اذا خانوا الله والرسول فقد خانوا اماناتهم

وقال أيضا كانوا يسمعون من النبي
صلى الله عليه وسلم الحديث
فيفشونه حتى يبلغ المشركين وقال
عبد الرحمن بن زيد بن جهم ان تخونوا
الله والرسول كما صنع المنافقون
وقوله واعلموا انما أموالكم
وأولادكم فتنة أي اختبار وامتحان
منه لكم اذا أعطاكم كمال العلم
أشكروا وطيعوه فيها وتشتملون
بها عنسه وتعتاضون بها منه كما قال
تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة
والله عنده أجر عظيم وقال ونبأكم
بالشر والخير فتنة وقال تعالى يا أيها
الذين آمنوا اتلوا لكم أموالكم
ولأولادكم عن ذكر الله ومن يفعل
ذلك فأولئك هم الخاسرون وقال

هذه الجهة الاولى من جهات طعنهم في نبوته اي نحن وأنت مشركون في البشرية فلم
تكن لك علينا حزية تستحق بها النبوة دوننا والجهة الثانية (وما تراك اتبعك الا الذين هم
أرادلنا) أي ولم يتبعك أحد من الاشراف فليس لك حزية علينا با تبايع هؤلاء الاراذل لك
والاراذل جمع أرذل بضم ال والاراذل جمع أرذل بضم ال والاراذل جمع أرذل بضم ال والاراذل جمع أرذل بضم ال
جمع الجمع وقيل الاراذل جمع أرذل كالاسود جمع أسود وهم السفلة كالحاكة والاسا كفة
والارذل الادون من كل شئ فقال النخاسم الاراذل الفقراء والذين لا حسب لهم والحسب
الصناعات قال الزجاج نسبهم الى الحياكة ولم يعلموا ان الصناعات لا أثر لها في الديانة لان
الرفعة في الدين ومتابعة الرسل لا تكون بالشرف والمال والمناصب العلية بل للفقراء
الخاملين وهم اتباع الرسل ولا تضرهم خسة عما نعتهم اذا حسنت سيرتهم في الدين وهذه
عادة الله في الانبياء والاولياء ان أول من يتبعهم ضعفاء الناس لذاهم فلا يتكبرون عن
الاتباع بمال ولا جاه وقال ثعلب عن ابن الاعرابي السذلة هو الذي يصلح الدنيا بدينه
قيل له من سفلة السفلة قال الذي يصلح دنيا غيره بفساد دينه والظاهر من كلام أهل اللغة
ان السذلة هو الذي يدخل في الحرف الدنيا والرؤية في الموضوعين ان كانت القلبية فبشرها
في الاول واتبعك في الثاني هما المقول الثاني وان كانت البصرية فهما منتهى بيان على
الحال (بادي الرأي) أي في ظاهر الرأي من غير تعمق يقال باديء اذا نظر قال الازهرى

معناه

تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدو لكم فاحذروهم الية وقوله

وان الله عنده أجر عظيم أي ثوابه وعطاؤه وجزائه خير لكم من الاموال والاولاد فانه قد يوجبهم عدوكم وأكثرهم لا يغني عنكم شيئا
والله سبحانه هو المتصرف المالك للدنيا والآخرة ولديه الثواب الجزيل يوم القيامة وفي الاثر يقول الله تعالى يا ابن آدم اطلبني
تجدني فان وجدتني وجدت كل شئ وان فقدتني فقدت كل شئ وانما أحب اليك من كل شئ وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الله ومن
كان يحب ان يلقي في النار أحب اليه من ان يرجع الى الكفر بعد اذ انقذه الله منه بل حب رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدم على
الاولاد والاموال والنفس كما ثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه
من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين (يا أيها الذين آمنوا انتمقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله
ذو الفضل العظيم) قال ابن عباس والسدي ومجاهد وعكرمة والنخلك وقتادة ومقاتل بن حيان وغير واحد فرقانا نجاة زاد مجاهد
في الدنيا والآخرة وفي رواية عن ابن عباس فرقانا نجاة وفي رواية عنه نصر او قال محمد بن اسحق فرقانا أي فصلا بين الحق والباطل

بعد لا يرى غيره قالوا وما هو قال تأخذون من كل قبيلة غلاما شابا وسطا ثم يعطى كل غلام منهم سيفا صارما ثم يضربونه ضربة رجل واحد فاذا اقتلوه تفرق دمه في القبائل كلها فأتى هذا الخبي من بني هاشم يقولون على حرب قريش كلها فانهم اذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا و قطعنا عننا اذاه قال فقال الشيخ النجدي هذا والله الرأي القول ما قال القتي لا يرى غيره قال فتفرقوا على ذلك وهم مجتمعون له فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فأمره ان لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه وأخبره بمكر القوم فلم يبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته تلك الليلة وأذن الله له عند ذلك بالخروج وأنزل الله عليه بعد قدومه المدينة الانفال يذكركم الله عليه وبلاءه عنده واذيكر بك الذين كثروا الثبوتك أو يقتلوك أو يخرجوك ويكفرون ويكفرون بالله خير الماكرين وأنزل في قولهم تربصوا به ريب المتون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء أم يقولون شاعر تربص به ريب المنون فكان ذلك اليوم يسمى يوم الرجة الذي اجتمعوا عليه من الرأي وعن السدي نحو هذا السياق وأنزل الله في ارادتهم اخرجوه قوله تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذ لا يلبثون خلافا الا قليلا وكذا روى العوفي عن ابن عباس وروى عن مجاهد وعروة ابن الزبير وموسى بن عقبة وقتادة ومقسم (٣١٠) وغير واحد فتحدثوا وقال يونس بن بكير عن ابن اسحق فأقام رسول الله صلى

الله عليه وسلم ينتظر أمر الله حتى اذا اجتمعت قريش فخرجت به وأرادوا به ما أرادوا أتاه جبريل عليه السلام فأمره ان لا يبيت في مكانه الذي كان يبيت فيه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابن أبي طالب فأمره ان يبيت على فراشه وانه يتسجى ببرد له أخضر ففعل ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم وهو على بابه وخرج معه بحمئة من تراب فجعل يذرها على رؤسهم واخذ بأبصارهم عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهو يقرأيس والقرآن الحكيم الى قوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون وقال الحافظ أبو بكر البيهقي روى عكرمة مابو كدهذا وقد روى ابن

على ارادة كل واحد منهم ما أو على ارادة البينة لانها هي التي تظهر لمن تفكر وتحنى على من لم يتفكر ومعنى عميت خفيت يقال عميت عن كذا وعي على كذا اذ لم أفهمه قيل وهو من باب القلب لان البينة أو الرجة لاتعمى وانما يعي عنها فهو كقولهم ادخلت القلنسوة رأسي وقيل ان عي الدليل بمعنى خفائه مجازا فيقال حجة عيما كما يقال مبصرة للواضحة وهو استعارة بعبية شبه خفاء الدليل بالعمى في ان كلا يمنع الوصول الى المقاصد وقرئ فعميت بضم العين وتشديد الميم على البناء للمفعول اي فعماها الله (عليكم) فلم تهديكم ككلو عي على القوم دليلهم في المنازاة بقوا بغيرها وفي قراءة اي فعماها عليكم والاستفهام في (ألنكموها) للانكار اي لا يمكن ان اضطررتم الى المعرفة بها اي بالرجة والمراد الزام الجبر بالقتل ونحوه لا الزام الايجاب اذ هو حاصل ولذا افسره السيوطي بقوله ان خبركم على قبولها (وأنتم) اي والحال انكم (لها كارهون) اي منكرتون وناقون لها والمعنى أخبروني ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة النبوة الا انها خافية عليكم اي يمكن ان نضطركم الى العلم بها والحال انكم لها كارهون غير متدبرين فيها فان ذلك لا يقدر عليه الا الله عز وجل وعن قتادة قال اما والله لو استطاع بني الله لآلها قومه ولكنهم لم يستطيعوا ذلك ولم يمكنه (ويا قوم لا أسألكم عليه ما لانا ان أجرى الاعلى

حبان في صحبته والحال انكم في مستدركه من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعد بن جبير عن ابن عباس (الله) قال دخلت فاطمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك يا بنة قالت يا أبت وما لي لا أبكي وهو لاء الملائم قريش في الحجر يتعاهدون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ولو قدر أولك لقاموا اليك فيقتلونك وليس منهم الامن قد عرف نصيبه من دمك فقال يا بنة انبني بوضوء فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج الى المسجد فلما رآوه قالوا هوذا فاطماتوا رؤسهم وسقطت رقابهم بين أيديهم فلم يرفعوا ابصارهم فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فخبسهم بها وقال شامت الوجوه فما اصاب رجالا منهم حصاة من حصياته الا قتل يوم بدر كقائه قال الحاشم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ولا اعرف له علة وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر اخبرني عثمان الجري عن مقسم مولى ابن عباس اخبره ابن عباس في قوله واذيكر بك الآية قال تشاورت قريش ليله بمكة فقال بعضهم اذا أصبح فابنتوه بالوثاق يريدون النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بل اخرجوه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فبسات على رضى الله عنه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليا يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا ناروا اليه فلما رآوا عليا رد الله تعالى مكرهم فقالوا أين صاحبك هذا قال لأدري فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل

اختلط عليهم فصعدوا في الجبل فروا بالغار فرأوا على بابها نسج العنكبوت فوالود دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابها فكثرت فيه ثلاث ليال وقال محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير في قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين أي فكثرت بهم بكيدى المتين حتى خصلت منهم (واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الاساطير الاولين واذا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) يخبر تعالى عن كفر قريش وعتوتهم وعتردهم وعنادهم ودعواهم الباطل عند سماع آياته اذا تتلى عليهم يقولون قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا وهذا منهم قول بالافعل والافقد تحدا وغير ما مره أن يأتي بسورة من مثله فلا يجدون الى ذلك سبيلا وانما هذا القول منهم يغرون به أنفسهم ومن تعهم على باطلهم وقد قيل ان القائل لذلك هو النضر بن الحرث لعنه الله كما قد نص على ذلك سعيد بن جبير والسدي وابن جرير وغيرهم فانه لعنه الله كان قد ذهب الى بلاد فارس وتعلم من أخبار ملوكهم رستم واسفنديار ولما قدم وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه الله وهو يتلو على الناس القرآن فكان عليه الصلاة والسلام اذا قام من مجلس جلس فيه النضر فحدثهم من أخبار أروا ذلك ثم يقول (٣١١) بالله أنا أحسن قصصا نأنا ومحمد ولهذا

لما أمكن الله تعالى منه يوم بدر ووقع في الاسارى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تضرب رقبته صبورا بين يديه ففعل ذلك ولله الحمد وكان الذى أسره المقداد بن الاسود رضى الله عنه كما قال ابن جرير حدثنا محمد بن ابي بشر حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال قتل النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر صبرا عقبه بن أبي معيط وطعمية بن عدى والنضر بن الحرث وكان المقداد أسير النضر فلما أمر بقتله قال المقداد يا رسول الله أسيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في كتاب الله عز وجل ما يقول فأمر رسول الله

الله) فيه التصريح منه عليه السلام بأنه لا يطلب على تبليغ الرسالة ما لا حتى يكون بذلك محلا للتمسك به ويكون لقول الكافرين مجال بأنه ادعى ما ادعى طلبا للدنيا والضمير في غيره راجع الى ما قاله لهم فيما قبل هذا (و) قوله (ما أباطار الذين آمنوا) كالجواب عما يفهم من قولهم وما نزالنا تبعنا الا الذين هم أراذلنا من التلج منهم الى ابعاد الاراذل عنه وقيل انهم سألوهم نصر محال التلج وهذا كما قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم كما تقدم في سورة الانعام ولا تطرد الذين يدعون ربهم الا آية ثم عدل ذلك بقوله (انهم ملاقور بهم) أي لا اطردهم فانهم ملاقون يوم القيامة ربهم فهو ويجازيهم على ايمانهم لانهم طلبوا بايمانهم ما عنده سبحانه وكأنته قال هذا على وجه الاعظام لهم ويحتمل انه قاله خوفا من مخاضتهم له عند ربهم بسبب طرده لهم ثم بين لهم ما هم عليه في هذه المطالب التي طلبوها منه والعلل التي اعتلوا بها عن اجابته فقال (ولكني أراكم قومًا تجهلون) كل ما ينبغي ان يعلم ومن ذلك استرذالهم للذين تبعوه وسؤا الهم له ان يطردهم ثم أكد عدم جواز طردهم بقوله (ويا قوم من نصرني من الله) أي من يمنعي من عذاب الله وانتقامه (ان طردتهم) فان طردهم بسبب سبقهم الى الايمان والاجابة الى الدعوة التي أرسل الله رسوله لاجلها ظلم عظيم لا يقع من الانبياء المؤيدين بالعصمة ولو وقع ذلك منهم فرضا وتقديرا لكان فيه من الظلم ما لا يكون لو فعله غيرهم من سائر الناس (أفلا تذكرون) معطوف

صلى الله عليه وسلم بقتله فقال المقداد يا رسول الله أسيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أغن المقداد من فضلا فقال المقداد هذا الذى أردت قال وفيه أنزلت هذه الآية واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الاساطير الاولين وكذا رواه هشيم عن أبي بشر جعفر بن أبي حبة عن سعيد بن جبير انه قال المطعم بن عدى بدل طعمية وهو غلط لان المطعم بن عدى لم يكن حيا يوم بدر ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ لو كان المطعم بن عدى حيا ثم سألتني في هؤلاء النتنى لو هبتم له يعني الاسارى لانه كان قد أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم رجع من الطائف ومعنى اساطير الاولين وهو جوع أسطورة أى كتبهم اكتبها فهو يتعلم منها ويتلوها على الناس وهذا هو الكذب البحت كما أخبر الله عنهم في الآية الاخرى وقالوا اساطير الاولين اكتبها فهى تتلى عليه بكرة وأصلها قل أنزله الذى يعلم السرى السموات والارض انه كان غفورا رحما اى لمن تاب اليه وأتاب فانه يتقبل منه ويصفح عنه وقوله واذا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم هذا من كثرة جهلهم وشدة تكذيبهم وعنادهم وعتوتهم وهذا مما عيبوا به وكان الاولى لهم ان يقولوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ووفقنا لاتباعه ولكن استغفروا على أنفسهم واستجلبوا العذاب وتقديم العقوبة كقوله تعالى ويستجلبونك بالعذاب ولو لأجل مسمى لجأهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون وقالوا ربنا جعل لنا قنطرة قبل يوم الحساب وقوله سأل سائل بعذاب واقع

للكافر ين ليس له دافع من الله ذي المعارج وكذلك قال الجهله من الامم السالفة كما قال قوم شعيب له فاسقط علمنا كسفان السماء ان كنت من الصادقين وقال هؤلاء اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم قال شعبة عن عبد الحميد صاحب الزيادة عن أنس بن مالك قال هو أبو جهل بن هشام قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فنزلت وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون رواه البخاري عن احمد ومحمد بن النضر كلاهما عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة به واجده هذا هو احمد بن النضر بن عبد الوهاب قاله الحاكم أبو أحمد والحاكم أبو عبد الله النيسابوري والله اعلم وقال الاعمش عن رجل عن سعد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم قال هو النضر بن الحرث بن كلاب قال فأنزل الله سائل سائل يعذب واقع للكافر ين ليس له دافع وكذا قال مجاهد وعطاء وسعيد بن جبيرة والسدي انه النضر بن الحرث زاد عطاء فقال الله تعالى وقالوا ربنا عمل لنا قنطينا قبل يوم الحساب وقال ولقد جدتونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقال سائل يعذب واقع للكافر ين قال عطاء ولقد أنزل (٣١٢) فيه بضع عشرة آية من كتاب الله عز وجل وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن

ابراهيم حدثنا الحسن بن أحمد بن الليث حدثنا أبو عيسان حدثنا أبو نميلة حدثنا الحسين بن عن ابن بريدة عن أبيه قال رأيت عمرو بن العاص واقفا يوم أحد على فرس وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فاحسبني وبفرسي وقال قتادة في قوله واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية قال قال ذلك سفهة هذه الامة وجهلها فعاذ الله بعائده ورجته على سفهة هذه الامة وجهلها وقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة موسى ابن مسعود حدثنا عكرمة عن عمارة عن أبي زميل سمك الحنفي عن ابن عباس قال كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون ليسك اللهم ليسك ابيك لا شريك لك فيقول النبي صلى الله عليه وسلم قد قد يقولون لا شريك لك الا شريكك هو لك تملكه وما ملك ويقولون غفرانك غفرانك فانزل الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم الآية قال ابن عباس كان فيهم امانان النبي صلى الله عليه وسلم والاستغفار فذهب النبي صلى الله عليه وسلم وبقي الاستغفار وقال ابن جرير حدثني الحرث حدثني عبد العزيز حدثنا أبو معشر عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قال قالت قريش بعضها لبعض محمداً كرمه الله من بيننا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فلما آمنوا اندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فانزل الله عز وجل وما كان الله معذبهم الى قوله ولكن أكثرهم لا يعلمون وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يقول ما كان الله ليعذب قوموا وأنبياءهم بين أظهرهم حتى يخرجهم ثم قال وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يقول وفيهم من قد سبق له من الله الدخول في الايمان وهو الاستغفار يستغفرون يعني يصلون يعني بهذا أهل مكة ويروى عن مجاهد وعكرمة وعطية العوفي بن سعد بن جبيرة والسدي نحو ذلك وقال الضحاك وأبو مالك وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المؤمنين الذين كانوا بمكة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الغفار بن داود حدثنا النضر بن عدى قال قال ابن عباس ان الله جعل في هذه الامة أمانين لا يزالون معصومين مجازين من طوارق العذاب مادام بين أظهرهم فامان قبضه

على مقدر كأنه قيل أتسترون على ما أنتم عليه من الجهل بما ذكر فلا تذكرون من أحوالهم ما ينبغي تذكرة وتذكرون فيه حتى تعرفوا ما أنتم عليه من الخطا وما هم عليه من الصواب وقيل تقديره أنا مرونى بطردهم فلا تذكرون وقيل الاصل فلا تذكرون وقيل أفلا بمعنى هلا التخصيضية كما ذكره الكرخي (ولأقول لكم عندى خزائن الله) أعطيكم منها بين لهم انه كما لا يطلب منهم شيئا من أموالهم عنى تليخ الرسالة كذلك لا يدعى ان عنده خزائن الله حتى تستدلوا بعبادتها على كذبه كما قالوا وما نرى لكم علينا من فضل والمراد بخزائن الله خزائن رزقه وقال ابن الانباري الخزائن هنا بمعنى غيوب الله وما هو منطوقه عن الخلق والاول اولى لقوله (ولأعلم الغيب) اى ولا ادعى انى أعلم بغيب الله بل لم أقل لكم الا انى نذير مبين انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم وهذا رد لقولهم تمانك اتبعك الا الذين هم أراذنا نادى الرأى فى ظاهر حالهم واولهم وفى الباطن لم يتبعوك فقال لهم انى انما أعول على الظاهر لاني لأعلم الغيب فاحكم به (ولأقول) لكم (انى ملك) حتى تقولوا ما نراك الا بشرا مثلنا فان البشر به ليست من موانع النبوة بل من مبادئها وقد استدل بهذا من قال ان الملائكة أفضل من الانبياء والادلة فى هذه المسئلة مختلفة وليس لطالب الحق الى تحقيقها حاجة فليست هى مما كلفنا الله بعلمه (ولأقول للذين) أى فى شأن الذين (تردري أعينكم) أى تحقروا وتستهزئوا بالازدراء ما خوذ من

عن أبي زميل سمك الحنفي عن ابن عباس قال كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون ليسك اللهم ليسك ابيك لا شريك لك فيقول النبي صلى الله عليه وسلم قد قد يقولون لا شريك لك الا شريكك هو لك تملكه وما ملك ويقولون غفرانك غفرانك فانزل الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم الآية قال ابن عباس كان فيهم امانان النبي صلى الله عليه وسلم والاستغفار فذهب النبي صلى الله عليه وسلم وبقي الاستغفار وقال ابن جرير حدثني الحرث حدثني عبد العزيز حدثنا أبو معشر عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قال قالت قريش بعضها لبعض محمداً كرمه الله من بيننا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فلما آمنوا اندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فانزل الله عز وجل وما كان الله معذبهم الى قوله ولكن أكثرهم لا يعلمون وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يقول ما كان الله ليعذب قوموا وأنبياءهم بين أظهرهم حتى يخرجهم ثم قال وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يقول وفيهم من قد سبق له من الله الدخول في الايمان وهو الاستغفار يستغفرون يعني يصلون يعني بهذا أهل مكة ويروى عن مجاهد وعكرمة وعطية العوفي بن سعد بن جبيرة والسدي نحو ذلك وقال الضحاك وأبو مالك وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المؤمنين الذين كانوا بمكة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الغفار بن داود حدثنا النضر بن عدى قال قال ابن عباس ان الله جعل في هذه الامة أمانين لا يزالون معصومين مجازين من طوارق العذاب مادام بين أظهرهم فامان قبضه

الله اله وأمان بقى فيكم قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال أبو صالح عبد الغفار حدثني بعض أصحابنا ان النضر بن عربي حدثه هذا الحديث بحجاهد عن ابن عباس وروى ابن مردويه وابن جرير عن أبي موسى الأشعري نحو من هذا وكذا روى عن قتادة وأبي العلاء النحوي المقرئ وقال الترمذي حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن عمير عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل على أماني لأمي وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيامة وبشهادته ما رواه الامام أحمد في مسنده والحاكم في مستدرکه من حديث عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحرث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك يا رب لأبرح أغوى عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب وعزتي وجلالي لا أزال أعفركم ما استغفروني ثم قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخبر به وقال الامام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا معاوية بن سعد التميمي عن حذيفة بن فضالة بن عبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله (٢١٣) عز وجل (وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه

أزرى عليه اذا عابه وزرى عليه اذا احتقره والمعنى اني لأقول لهؤلاء المتبعين للمؤمنين بالله الذين يعيبونهم ويحتقرونهم (ان يؤتيمهم الله خيرا) أى توفيقا وهداية وإيمانا وأجر ابل قد آتاهم الخير العظيم بالايمان به واتباع نبيه فهو مجازاتهم بالجزاء العظيم في الآخرة ورافعهم في الدنيا الى أعلى محل ولا يضرهم احتقاركم لهم شيئا (الله أعلم بما فى أنفسهم) من الايمان به والاحصاء له مجازاتهم على ذلك ليس لى ولا لكم من أمرهم شيء (انى اذا لمن الظالمين) لهم ان فعلت ما تريدونه بهم ومن الظالمين لانفسهم ان فعلت ذلك بهم ثم جاوبوه بغير ما تقدم من كلامهم وكلامه (قالوا) عجزا عن القيام بالحجة وقصورا عن رتبة المناظرة وانقطاعا عن المباراة بقولهم (يا فوح قد جدالنا فانا كثر جدالنا) أى خاصمتنا بأنواع الخصام ودفعتنا بكل حجة لها مدخل فى المقام ولم يبق لنا فى هذا الباب مجال فقد ضاقت علينا المسالك وانسدت أبواب الحيل (فاتتنا بما تعذنا) من العذاب الذى تخوفنا منه وتحفاه علينا (ان كنت من الصادقين) فيما نقوله لنا فأجاب بان ذلك ليس اليه وانما هو بمشيئة الله و ارادته و (قال انما يا تيكم به الله ان شاء) فان قضت مشيئته وحكمته بتجليله بحمل لكم وان قضت مشيئته وحكمته بتأخيره بآخره (وما أنتم بمعجزين) بقايتين عما اراد الله بكم هرب أو مدافعة (ولا ينفعكم نكحى) الذى أبدله لكم وأستكثر

عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياءه الامتقون وان كان أكثرهم لا يعلمون وما كان صلاتهم عند البيت الامكاه وتصدية فدوقوا العذاب بما كنتم تكفرون يخبر تعالى انهم أهل لأن يعذبهم ولكن لم توقع ذلك بهم لبركة مقام الرسول صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ولهذا لما خرج من بين أظهرهم أوقع الله بهم بأسه يوم بدر فقتل صناديدهم وأسرى رأتهم وأرشدهم تعالى الى الاستغفار من الذنوب التى هم متلبسون بها من الشرك والفساد وقال قتادة والسدى وغيرهم لم يكن القوم يستغفرون ولو كانوا يستغفرون ما عذبوا واختاره ابن

(٤٠ - فتح البيان ح) جرير فلولاما كان بين أظهرهم من المستضعفين من المؤمنين المستغفرين لم يقع بهم البأس الذى لا يرد ولكن دفع عنهم بسبب أولئك كما قال تعالى فى يوم الحديبية هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى منكروفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطوهم فتصيبكم منهم معرفة بغير علم ليدخل الله فى رحمة من يشاء لو أن يلو العذبا الذين كفروا منهم عذابا أليما قال ابن جرير حدثنا ابن جهميد حدثنا يعقوب بن جعفر بن أبي المغيرة عن ابن أبى عمير قال كان النبي صلى الله عليه وسلم فى مكة فأنزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال وكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقوا فيها يستغفرون يعنى بمكة فلما خرجوا أنزل الله وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه قال فاذن الله فى فتح مكة فهو العذاب الذى وعدهم وروى عن ابن عباس وأبي مالك وغير واحد نحو هذا وقد قل ان هذه الآية ناسخة لقوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون على ان يكون المراد صدور الاستغفار منهم أنفسهم قال ابن جرير حدثنا ابن جهميد حدثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة والحسن البصرى قال قال فى الاثقال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فنهضتها الآية التى تليها وما لهم ان لا يعذبهم الله الى قوله فدوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فقنا ناولوا

بمكة فأصابهم فيها الجوع والضر وكذا رواد ابن أبي حاتم من حديث أبي نميلة يحيى بن واضح وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم استثنى أهل الشرك فقال وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وقوله وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه أن أولياءه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون أي وكيف لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام أي الذي بمكة يصدون المؤمنين الذين هم أهلهم عن الصلاة فيه والطواف به ولهذا قال وما كانوا أولياءه أن أولياءه إلا المتقون أي هم ليسوا أهل المسجد الحرام وإنما أهل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما قال تعالى ما كان للمشركين أن يعمرهم ماسجدا لله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون إنما يعمر مسجدا لله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وقال تعالى وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وأخرج أهله منه أكبر عند الله الآية وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية حدثنا سليمان بن أحمد هو الطبراني حدثنا جعفر بن الياسم بن صدقة المصري حدثنا نعيم (٣١٤) بن جاد حدثنا نوح بن أبي مريم عن يحيى بن سعيد الانصاري عن أنس بن

مالك رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أولياؤك قال كل تقى وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أولياؤه إلا المتقون وقال الحاكم في مستدركه حدثنا أبو بكر الشافعي حدثنا اسحق بن الحسن حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن اسمعيل بن عبيد بن رفاعه عن أبيه عن جده قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فقال هل فيكم من غيركم فقالوا فينا ابن أختنا وفينا حليفنا وفينا مولانا فقال حليفنا منا وابن أختنا منا ومولانا منا إن أولياؤنا منكم المتقون ثم قال هذا صحيح ولم يخرجاه

منه قيا ما نرى بحق النصيحة لله بإبلاغ رسالته ولكم بإيضاح الحق وبيان بطلان ما أتم عليه (ان أردت ان أنصح لكم) وجواب هذا الشرط محذوف والتقدير لا ينفعكم نصحي كما يدل عليه ما قبله (ان كان الله يريد أن يغويكم) أي اغواءكم فلا ينفعكم النصح متى وكان جواب هذا الشرط محذوفا كالاول وتقديره ما ذكرنا وهذا التقدير إنما هو على مذهب من يمنع من تقدم الجزاء على الشرط وأما على مذهب من يجيزه جزاء الشرط الاول ولا ينفعكم نصحي والجملة جزاء للشرط الثاني قال ابن جرير معنى يغويكم يهلككم بعدا به وظاهر لغة العرب ان الاغواء الاضلال فعنى الآية لا ينفعكم نصحي ان كان الله يريد أن يضلكم عن سبيل الرشاد ويخذلكم عن طريق الحق وحكى عن طي أصبح فلان غاويا أي مريضا وليس هذا المعنى هو المراد في الآية وقد ورد الاغواء بمعنى الاهلاك ومنه فسوف يلقون غيا وهو غير ما في الآية هذه (هور بكم) فاليه الاغواء واليه الهداية (واليه ترجعون) فيجازيكم بأعمالكم خيرا خيرا وان شرافتم (أم يقولون افتراه) أنكر سبحانه عليهم قولهم ان ما أوحى الى نوح مفرقا ترى ثم أمره أن يجيب بكلام منصف فقال (قل ان افتريته فعلى أجمري) بكسر الهمزة مصدر أجم أي فعل ما يوجب الاثم وجرم وأجرم بمعنى قاله النحاس أي اكتسب الذنب وافتعله والمعنى فعلى أثمى أو جزاء كسبي ومن قرأ بفتح الهمزة قال هو جمع جرم ذكره النحاس أيضا قال قتادة

وقال عروة والسدي ومحمد بن اسحق في قوله تعالى ان أولياؤه إلا المتقون قال هم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه اجراي رضي الله عنهم وقال مجاهد هم المجاهدون من كانوا حيث كانوا ثم ذكر تعالى ما كانوا يعتمدونه عند المسجد الحرام وما كانوا يعاملونه به فقال وما كان صلواتهم عند البيت الامكاه وتصديقه قال عبد الله بن عمرو وابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وأبو رجاء العطاردي ومحمد بن كعب القرظي وجبر بن عديس وسطن بن شريط وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو الصفي زاد مجاهد وكانوا يدخلون أصابعهم في أفواههم وقال السدي المسكاه الصفي على نحو طير أبيض يقال له المسكاه ويكون بأرض الحجاز وتصديقه قال ابن أبي حاتم حدثنا ابو خلاد سليمان بن خلاد حدثنا نوس بن محمد المؤدب حدثنا يعقوب يعني ابن عبد الله الأشعري حدثنا جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله وما كان صلواتهم عند البيت الامكاه وتصديقه قال كانت قريش تطوف بالبيت عمرة تصفرون وتصفق والمكاه الصفي وانما شبهه بالصفي الطير والتصديقه التصفيق وهكذا روى علي بن أبي طلحة والعمري عن ابن عباس وكذا روى عن ابن عمر ومجاهد ومحمد بن كعب وأبي سلمة بن عبد الرحمن والخمال وقتادة وعطية العوفي وجبر بن عديس وابن أبي زبني شوهذا وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عامر حدثنا قرة عن عطية عن ابن عمر في قوله وما كان صلواتهم عند البيت الامكاه وتصديقه قال المسكاه الصفي والتصفيق تصفيق قال قرة وحكى لنا عطية فعل ابن عمر ففران عمر وأمال خده

وصفق يديه وعن ابن عمر أيضا انه قال انهم كانوا يضعون خدودهم على الارض ويصفقون ويصفرون وواه ابن ابي حاتم في تفسيره بسنده عنه وقال عكرمة كانوا يطوفون بالبيت على الشمال قال مجاهد وانا كانوا يصنعون ذلك ليخطوا بذلك على النبي صلى الله عليه وسلم صلواته وقال الزهري يستهزؤن بالمؤمنين وعن سعيد بن جبيرة وعبد الرحمن بن زيد وتصديه قال صدقهم الناس عن سبيل الله عز وجل قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قال الضحاك وابن جرير ومحمد بن اسحق هو ما أصابهم يوم بدر من القتل والسبي واختاره ابن جرير ولم يحك غيره وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حاتم حدثنا ابن ابي عمير حدثنا سفيان عن ابن ابي شيبة عن مجاهد قال عذاب أهل الاقرار بالسيف وعذاب أهل التكذيب بالصيحة والزلزلة (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركبه جميعا فيجعل في جهنم أولئك هم الخاسرون) قال محمد بن اسحق حدثني الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ قالوا لما أصيب قريش يوم بدر ورجع فلهم الى مكة ورجع أبو سفيان بعيره مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل وصفوان (٣١٥) بن أمية في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم واخوانهم بيدركموا

اجراحي أي عملي والاجرام اكتساب السيئة واقترافها يقال جرم جرما ذنبا والاسم منه الجرم بالضم والجرية مثله وأجرم هو الناشئ في الاستعمال ويجوز جرم ثلاثيا والمعنى ان كنت اقتريته فعلى عقاب جرمي وان كنت صادقا فواككذ تنووني فعليك عقاب ذلك التكذيب الا انه حذف هذه البقية لدلالة الكلام عليهم ولا يدل ذلك على انه كان شاكا لانه قول يقال على وجه الانكار عند اليأس من القبول (وأنا برى مما تجربون) أي من اجرامكم بسبب ما تنسبون الى من الافتراء قيل وفي الكلام حذف والتقدير لكن ما اقتريته فالاجرام وعقابه ليس الاعليكم وأنا برى منكم وقد اختلف المفسرون في هذه الآية فقيل انها حكاية عن نوح وما قاله لقومه وقيل هي حكاية عن المحاورة الواقعة بين نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكفار مكة قاله مقاتل فعلى هذا تكون الآية معترضة في قصة نوح والاولى لان الكلام قبلها وبعد ما مع نوح عليه السلام (وأوحى الى نوح انه) في محل رفع على انه نائب الفاعل الذي لم يسم ويحذف ان يكون في محل نصب بتقدير الباء أي بانه (ان يؤمن من قومك الا من قد آمن) وفي الكلام تأنيد له من ايمانهم وانهم مستقرون على كفرهم مصممون عليه لا يؤمن أحد منهم الا من قد سبق ايمانه أو المراد الا من استعد للايمان وتوقع منه ولا يراذله و الا كان المعنى الا من آمن فانه يؤمن وقيل ان الاستثناء منقطع وهو على طريقة قوله الاما قد سلف

وأبناؤهم واخوانهم بيدركموا أباسفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمد اقد وترككم وقتل خياركم فأعينونا به هذا المال على حربنا لعلنا نذكركم منه ثارا بن أصيب منافق معلوا قال فقبحهم كاذكر عن ابن عباس أنزل الله عز وجل ان الذين كفروا ينفقون أموالهم الى قوله هم الخاسرون وهكذا روى عن مجاهد وسعيد بن جبيرة والحكم بن عيينة وقاتادة والسدي وابن ابي زري انها نزلت في ابي سفيان وبنفقته الاموال في أحد لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الضحاك نزلت في أهل بدر وعلى كل تقدير فهي عامة وان كان سبب نزولها خاصا فقد أخبر تعالى ان الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق فسيفعلون ذلك ثم تذهب أموالهم ثم تكون عليهم حسرة أي ندامة حيث لم تجد شيئا لانهم أرادوا اطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق والله متم نوره ولو كره الكافرون وناصر دينه ومعلن كلمته ومظهر دينه على كل دين فهذا الخزي لهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار في عاصم منهم رأى بعينه وسمع بأذنه ما يروى ومن قتل منهم أو مات فالى الخزي الابدي والعذاب السرمدي ولهذا قال فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون وقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله ليميز الله الخبيث من الطيب فميز أهل السعادة من أهل الشقاء وقال السدي يميز المؤمن من الكافر وهذا يحتمل أن يكون هذا التمييز في الآخرة كقوله ثم نقول للذين أشركوا ما كان لكم انتم وشركاؤكم فزبلنا بينهم الآية وقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ ينشقرون وقال في الآية الاخرى يومئذ يصدعون وقال تعالى واما تازوا اليوم أيها المجرمون ويحتمل أن يكون هذا التمييز في الدنيا بما يظهر من أعمالهم للمؤمنين وتكون اللام معللة لما جعل الله للكافرين من مال ينفقونه في الصدع عن سبيل الله أي انما أقدرناهم على ذلك ليميز الله الخبيث من الطيب أي من يطيعه بقتال أعدائه الكافرين أو يعصيه بالنكول عن ذلك كقوله وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله ويعلم المؤمنون ويعلم الكافرين انهم تعلقوا في سبيل الله وأدفعوا قالوا لو تعلم قتالا

لا تبعنا كما الآية وقال تعالى ما كان الله ليعذبكم على الضلالة بل ليذوقوا العذاب بما كفرتهم والذين كفروا بالآية وقال تعالى أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ونظيرها في براءة الآية أيضا ففي الآية على هذا إنما تبليناكم بالكفار يقاتلونكم وأقدرناهم على اتفاق الاموال وبذلها في ذلك ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فسيره أي يجمعه كله وهو جمع الشيء بعضه على بعض كما قال تعالى في السحاب ثم يجعدهم كما أمى مترا كما تمرا بكاف فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون أي هؤلاء هم الخاسرون في الدنيا والآخرة (قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير) يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل للذين كفروا ان ينتهوا أي عما هم فيه من الكفر والمشاققة والعناد ويدخلوا في الاسلام والطاعة والانابة يغفر لهم ما قد سلف أي من كفرهم وذنوبهم وخطاياهم كما جاء في الصحيح من حديث أبي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحسن في الاسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ومن أساء في الاسلام (٣١٦) أخذ بالاول والاخر وفي الصحيح أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الاسلام يجب ما قبله والتوبة تجب ما كان قبلها وقوله وان يعودوا أي يستروا على ما هم فيه فقد مضت سنة الاولين أي فقد مضت سنتنا في الاولين انهم اذا كذبوا واستمروا على عنادهم انا نعالجهم بالعذاب والعقوبة قال مجاهد في قوله فقد مضت سنة الاولين أي في قريش يوم بدر وغيرها من الامم وقال السدي ومحمد بن اسحق أي يوم بدر وقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله قال البخاري حدثنا الحسن بن عبد العزيز حدثنا عبد الله بن يعقوب حدثنا حيوة بن شريح عن بكر بن عمرو عن بكير عن نافع عن

قال قتادة وذلك حين دعاهم نوح قال لا تذرعوا الارض من الكافر بين ديارا وعن الحسن قال ان نوحا لم يدع على قومه حتى نزلت الآية هذه فانقطع عند ذلك رجأؤه منهم فدعاه عليهم (فلا تبئس بما كانوا يفعلون) البؤس الحزن أي فلا تحزن عليهم قاله ابن عباس والبائس المستكين فنهاه الله سبحانه عن أن يحزن حزن مستكين لان الابتئاس حزن في استكانه يقال ابتأس فلان اذا بلغه ما يكره والمبتئس الكاره الحزين ثم ان الله سبحانه لما أخبرهم انهم لا يؤمنون البتة عزفه الله هلا كههم وألهمه الامر الذي يكون به خلاصه وخلاص من آمن معه فقال (واصنع الفلأ) الظاهر انه أمر ايجاب لانه لا سبيل الى صون روح نفسه وأرواح غيره من الهلاك الا بهذا الطريق وصون النفس من الهلاك واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب أي عمل السفينة متلبسا (بأعيننا) أي عبر أي مذاو باصبارنا لك وهو مجاز عن كلاء الله له بالحفظ وعبر بالاعين عن ذلك لانها آلة الرؤية وهي التي تكون بها الحراسة والحفظ في الغالب وقيل بعيننا لك وجمع الاعين للمباغنة والتعظيم والتكثير وقيل معناها باعين ملائكتنا الذين جعلناهم عيوننا على حفظك وقيل بأمرنا والحق ان العين صفة من صفاته لا ندري كيفيةها فيجب امرها على ظاهرها من دون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تقدير ومعنى (ووحينا) بما أوحينا اليك من كيفية صنعتهما وقال ابن عباس بعين الله ووجهه ولم يعلم نوح كيف

ابن عمر أن رجلا جاء فقال يا أبا عبد الرحمن ألا تصنع ما ذكر الله في كتابه وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يصنع الآية فإيمعك أن لا تقتل كما ذكر الله في كتابه فقال يا ابن أخي اعير هذه الآية ولا أقاتل أحب الى من ان اعير بالآية التي يقول الله عز وجل ومن يقتل مؤمنا متعمدا الى آخر الآية قال فان الله تعالى يقول وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال ابن عمر قد فعلنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان الاسلام قليلا وكان الرجل يقتل في دينه اما ان يقتلوه واما ان يوثقوه حتى كثر الاسلام فلم تكن فتنة فلما رأى انه لا يوافق فيهما يريد قال فما قولك في علي وعثمان قال ابن عمر ما قول في علي وعثمان أما عثمان فكان الله قد دعاه عنده وكرهتم أن يعفو الله عنه وأما علي فابن عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخسته وأشار بيده وهذه ابنته أو بنته حيث ترون وحدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا بيان ابن وبرة حدثنا قال حدثني سعيد بن جبيرة قال خرج علينا أوالينا بن عمر رضي الله عنهم فقال كيف ترى في قتال الفتنة فقال وهل تدري ما الفتنة كان محمد صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة وليس بقتالكم على الملك هذا كله سياق البخاري رحمه الله تعالى وقال عبيد الله عن نافع عن ابن عمر انه أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا ان الناس قد صنعوا ما زى و أنت ابن عمر بن الخطاب وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإيمعك أن تخرج قال يعني ان الله حرم على دم أخي المسلم قالوا أولم يقل الله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة

ويكون الدين كله لله قال قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله لله وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين
لغير الله وكذا روى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أيوب بن عبد الله الخمي قال كنت عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فأتاه
رجل فقال إن الله يقول وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فقال ابن عمر قاتلت أنا وأصحابي حتى كان الدين كله لله
وذهب الشرك ولم تكن فتنة ولكنك وأصحابك تقاتلون حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله وأما ابن مردويه وقال أبو
عوانة عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال قال ذو البطين يعني أسامة بن زيد لا أقاتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً فقال
سعد بن مالك وأنا والله لا أقاتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً فقال رجل ألم يقل الله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله
لله فقال لا قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله لله رواه ابن مردويه وقال الضحاك عن ابن عباس وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة يعني لا يكون شرك وكذا قال أبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم
وقال محمد بن اسحق بلغني عن الزهري عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا حتى لا تكون فتنة حتى لا يقنن مسلم عن دينه
وقوله ويكون الدين كله لله قال الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية (٢١٧) قال يخلص التوحيد لله وقال الحسن وقتادة

وابن جرير ويح ويح ويكون الدين كله لله
أن يقال لا إله إلا الله وقال محمد بن
اسحق ويكون التوحيد خالصاً لله
ليس فيه شرك ويخضع مادونه من
الابداد وقال عبد الرحمن بن زيد
ابن أسلم ويكون الدين كله لله
لا يكون مع دينكم كفر ويشهد
لهذا ما ثبت في الصحيحين عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا
لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني
دماءهم وأموالهم إلا بجهتها
وحسابهم على الله عز وجل وفيها
عن أبي موسى الأشعري قال سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الرجل يقاتل شجاعة ويقا تل حمية

بصنع الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جوف الطائر (ولا تخاطبني في الذين ظلموا)
قيل هم امرأته وابنه أي لا تطلب إمامهم وترك أهلاً كههم أي لا تراجعني ولا تدعني
باستدفاع العذاب عنهم فقد حان وقت الانتقام منهم (أنهم مغرقون) تعليل لما قبله أي
فأنهم محكومون من الله بالغرق وقد ضي به القضاء فلا سبيل إلى دفعه ولا تأخيره وقيل
المعنى ولا تخاطبني في تجييل عقابهم فأنهم مغرقون في الوقت المضروب لذلك لا يتأخر
اغراقهم عنه (و) طفق (بصنع الفلك) وأخذوا وأقبل يصنعها فاقصر على يصنع وقيل هو
حكاية حال ماضية لا تتحضر صورتها العجيبة وأياماً كان فقيهه سلامة للاستمرار المفهوم
من الجملة الآتية الواقعة حالاً من ضميره وكث في صنع السفينة مائتي سنة ذكره الصاوي
وقيل أربع مائة سنة ذكره أبو السعود وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة في سنتين
وقيل ثلاثين سنة وكان طولها ثمانمائة ذراع وسهكها في السماء ثلاثين ذراعاً وعرضها
ثلاثين ذراعاً والذراع إلى المنكب وكانت من خشب الساج لها ثلاثة بطون وأطباق
سفلى ووسطى وعلية وكان بابها في عرضها حمل في أسفلها الدواب والوحش وفي أوسطها
الانسان وفي أعلاها الطير وقيل السفلى للوحش والوسطى للطعام والعلية لمن آمن
قال الخفاجي والساج شجر عظيم يكثر بالهند وقيل أنه ورد في التوراة أنها من الصنوبر
وقيل غير ذلك (وكلمة عليه ملاء) أي جماعة (من قوم منخر وامنه) كل ظرفية

ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله عز وجل فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل وقوله فإن انتهوا أي
بقتالكم عما هم فيه من الكفر فكفوا عنه وان لم تعملوا بواجبهم فإن الله بما يعملون بصير كقوله فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا
الزكاة فاعلموا بأسبيلهم الآية وفي الآية الأخرى فاقوا نكم في الدين وقال وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا
عدوان الاعلى الظالمين وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا أسامة لما علا ذلك الرجل بالسيف فقال لا إله إلا الله فضربه
فقتله فذ كر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله فكيف تصنع بلاه إلا الله يوم القيامة
فقال يا رسول الله إنما قالها تعوداً قال هلا شققت عن قلبه وجعل يقول ويكر عليه من لأبلا إلا الله يوم القيامة قال أسامة حتى
تمت أي لم أكن أسلمت إلا يومئذ وقوله وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير أي وان استمر واعلى خلافكم ومحاربتكم
فاعلموا ان الله مولاكم سيدكم وناصركم على أعدائكم فبعم المولى ونعم النصير وقال محمد بن جرير حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد
حدثنا أبي حدثنا أبان العطار حدثنا هشام بن عروة عن عروة ان عبد الملك بن مروان كتب إليه يسأله عن أشياء فكتب إليه عروة
سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ما بعد فانك كتبت الى تسألني عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة
وسأخبرك به ولا حول ولا قوة الا بالله كان من شأن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ان الله أعطاه النبوة فبعم النبي ونعم

السيدونم العشرة بخزاه الله خيرا وعرفنا وجهه في الجنة وأحيانا على ملته وأماننا وبعثنا عليها وانه لما دعا قومه لمابعنه الله به من الهدى والنور الذي أنزل عليه لم يبعد وامنه أول مادعاهم وكذا ويسمعون له حتى اذا ذكر طواغيتهم وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال أنكر ذلك عليه ناس واشتدوا عليه وكرهوا ما قال وأغروا به من أطاعهم فانصفق عنه عامة الناس فتركوه الامن حفظه الله منهم وهم قليل فكث بذلك ما قدر الله ان يمكث ثم انقرت رؤسهم بأن يقتلوا من اتبعه عن دين الله من أنسائهم واخوانهم وقبائلهم فكانت قننة شديدة الزوال فافتن من افتن وعصم الله ما شاء منهم فلما فعل ذلك بالمسلمين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخرجوا الى أرض الحبشة وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي لا يظلم أحد بأرضهم وكان يثنى عليه مع ذلك وكانت أرض الحبشة متجبر القريش يتجرون فيها وكانت مساكن تجارهم يجدون فيها رقا عا من الرزق وأمنوا متجرا حسنا وأمرهم بها النبي صلى الله عليه وسلم فذهب اليها عامتهم لما قهر وبعكة وخافوا عليهم النتن ومكث هو فلم يبرح فكث بذلك سنوات يشتدون على من أسلم منهم ثم انه فشا الاسلام فيها ودخل فيه رجال من أشرفهم ومنعتهم فلما رأوا ذلك استرخوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه وكانت (٣١٨) القننة الاولى هي أخرجت من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قبل أرض الحبشة مخافتها وفرارا مما كانوا فيه من الفتن والزوال فلما استرخى عنهم ودخل في الاسلام من دخل منهم تحدثت بأسرته خاتمهم عنه فبلغ ذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد استرخى عن كان منهم بمكة وانهم لا يقتنون فرجعوا الى مكة وكادوا يأمنون بها وجعلوا يزدادون ويكثرون وانه أسلم من الانصار بالمدينة ناس كثير وفشا الاسلام بالمدينة فطفق أهل المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فلما رأته قريش ذلك توأمرها على أن يقتلوه ويشتدوا فأخذوه وهم فخرصوا على أن

وما مصدريه نظرية أى كل وقت مرور قوم اسسهم زوايه لعملة السفينة والجملة في محل نصب على الحال قال الاخفش والكسائي يقال سخرت به ومنه وفي وجهه سخر بهم منه قولان أحدهما أنهم كانوا يريدون بعمل السفينة فيقولون يأنوح صرت بعد النبوة نجارا وكان يصنعها في بركة في أبعده موضع من الماء وفي وقت عزته عزة شديدة والثاني أنهم لما شاهدوه يعمل السفينة وكانوا لا يعرفونها قبل ذلك ولا كيفية استعمالها والاتقاع بها فتعجبوا من ذلك وقالوا يأنوح ما تصنع بها (قال) أمشى بها على الماء فمجبوا عن قوله وسخروا به ثم أجاب عليهم بقوله (ان تسخروا منا) وهذا الكلام مستأنف على تقدير سؤال كانه قيل فاذا قال لهم فمقبل قال والمعنى ان تسخروا منا بسبب علمنا السفينة اليوم (فانا ناسخرونكم) غدا عند الغرق ومعنى السخرية هنا الاستجهال أى ان تسجهلونا فانا نستجهلكم وهذا على سبيل المشاكلة اذا السخرية لا تليق بمقام الانبياء وقيل انه جزأهم من جنس صنيعهم فلا يقيح (كالتسخرون) أى تسجهلون واستجهالهم باعتبار اظهارة لهم ومشافهتهم والافهم عنده جهال قبل هذا وبعده والتشبيه مجرد التحقيق والوقوع أو التجدد والتكرار والمعنى اناسخرونكم سخرية متحققة واقعة كالتسخرون منا كذلك أو متجددة متكررة كالتسخرون منا كذلك وقيل معناه نسخر منكم في المستقبل سخرية مثل سخرتكم اذا وقع عليكم الغرق وفيه نظر فان حالهم اذ ذلك لا تناسبه السخرية اذ هم

يقتلوه فاصابهم جهد شديد فكانت القننة الآخرة فكانت قننتان قننة أخرجت من خرج منهم الى أرض الحبشة حين أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بها وأذن لهم في الخروج اليها وقننة لما رجعوا ورواها من أتيتهم من أهل المدينة ثم انه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سبعون تقيبار وس الذين أسلموا فوافوه بالحج فبايعوه بالعقبة وأعطوه عهدهم ومواثيقهم على ان امنك وأنت منا وعلى انه من جاء من أصحابك أو جئنا فانا نمنعك مما تمنع منه أنفسنا فاشتدت عليهم قريش عند ذلك فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ان يخرجوا الى المدينة وهي القننة الآخرة التي أخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وخروج هو وهي التي أنزل الله عز وجل فيها وقتلواهم حتى لا تكون قننة ويكون الدين كله لله ثم رواه عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عروة بن الزبير انه كتب الى الوليد يعني ابن عبد الملك بن مروان بهذا فذكر مثله وهذا صحيح الى عروة رجه الله (واعلموا انما غنمتم من شئ فان الله خسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير) يبين تعالى تفصيل ما شرعه مخصصا لهذه الامة الشريفة من بين سائر الامة المتقدمة باحلال الغنائم والغنيمة هي المال المأخوذ من الكفار بايجاف الخيل

والركاب والنبي ما أخذ منهم غير ذلك كالأموال التي يصالحون عليها أو يتوفون عنها ولا وراث لهم والجزية والخراج ونحو ذلك هذا مذهب الإمام الشافعي في طائفة من العلماء من السلف والخلف ومن العلماء من يطلق النبي على ما تطلق عليه الغنمية وبالعكس أيضا ولهذا ذهب قتادة إلى أن هذه الآية ناسخة لآية الحشر ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذو القربى الآية قال فنسخت آية الأثقال تلك وجعلت الغنائم أربعة أنجاس للجهاديين ونجسها منها هؤلاء المذكورين وهذا الذي قاله بعد لان هذه الآية نزلت بعد وقوعه بدر وتلك نزلت في بني النضير ولا خلاف بين علماء السير والمغازي قاطبة أن بني النضير بعد بدر وهذا أمر لا يشك فيه ولا يرتاب في بفرق بين معنى النبي والغنمية يقول تلك نزلت في أموال النبي وهذه في الغنائم ومن يجعل أمر الغنائم والتي راجع إلى رأى الإمام يقول لامنافة بين آية الحشر وبين التخميس إذا رآه الإمام والله أعلم بقوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه تو كمد لتخميس كل قليل وكثير حتى الخيط والخيط قال الله تعالى ومن يغفل يأت بما غفل يوم القيامة ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقوله فإن لله خمسه وللرسول اختلف المفسرون ههنا فقال بعضهم لله نصيب من الخمس يجعل في الكعبة قال أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية الرياحي (٣١٩) قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتي

بالغنمة فتحمسها على خمسة تكون أربعة أنجاس لمن شهد هاتم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه الذي قبض كفه فيجعله للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقى على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول وسهم لذوى القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل وقال آخرون ذكر الله ههنا استفحاح كلام للتبرك وسهم لرسوله عليه السلام قال الضمك عن ابن عباس رضى الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية فغنموا خمس الغنمة فضرب ذلك الخمس في خمسة ثم قرأوا وعلموا انما غنمتم من شيء فإن لله خمسه

في شغل شاغل عنها ثم هددهم بقوله (فسوف تعلمون من) موصولة في محل نصب أو استقها مية في محل رفع أى أينا (بأية عذاب يخزيه) أى يهينه وهو عذاب الغرق في الدنيا قاله ابن عباس والمراد بعذاب الخزي العذاب الذى يخزي صاحبه ويحل عليه العار (ويحل) الثلاثة بكسر الحاء ويجوز لغة ضمها كما في المصباح أى ينزل (عليه عذاب مقيم) فى الآخرة وهو عذاب النار الدائم والخلود فيها وقيل معنى يحل يجعل المؤجل حالا مأخوذ من حلول الدين المؤجل وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان نوح مكث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما ما يدعوه م حتى كان آخر زمانه غرس شجرة فعظمت وذهبت كل مذهب ثم قطعها ثم جعل يعمل منها سفينة ويمرون فيسألونه فيقول اعلمها سفينة فيسخرن منه ويقولون تعمل سفينة فى البر وكيف تجرى قال سوف تعلمون فلما فرغ منها وفار التور وكثر الماء فى السكك خشيت أم الصبي عليه وكانت تحبه حباً شديداً فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبته رفعت بين يديها حتى ذهب الماء فلورحم الله منهم أحد الرحم أم الصبي وقد ضعفه الذهبى فى مستدركه على مستدرك الحاكم وقد روى فى صفة السفينة وقدرها ما حاديت وأثارت فى ذكرها هنا كثير فائدة (حتى إذا جاء أمرنا) حتى هى الابتداءية دخلت على الجملة

وللرسول فان لله خمسه مفتاح كلام لله ما فى السموات وما فى الارض فجعل سهم الله وسهم الرسول صلى الله عليه وسلم واحدا وهكذا قال ابراهيم الخنعي والحسن بن محمد بن الحنفية والحسن البصرى والشعبى وعطاء بن أبي رباح وعبد الله بن يزيد وقتادة ومغيرة وغير واحد ان سهم الله ورسوله واحد ويؤيده هذا ما رواه الامام الحافظ أبو بكر البيهقي باسناد صحيح عن عبد الله بن شقيق عن رجبل قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بوادى القرى وهو معترض فرسا فقلت يا رسول الله ما تقول فى الغنمة فقال لله خمسها وأربعة أنجاس للجيش قلت فما أحد أولى به من أحد قال لا ولا السهم تستخرجه من جيبك ليس أنت أحق به من أخيك المسلم وقال ابن جرير حدثنا عمران بن موسى حدثنا عبد الوارث حدثنا أبان عن الحسن قال أوصى الحسن بالخمسة من ماله وقال ألا أرضى من مالى بما رضى الله لنفسه ثم اختلف قائلوا هذا القول فروى على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال كانت الغنمة تحمس على خمسة أنجاس فأربعة منها بين من قاتل عليها وخمس واحد يقسم على أربعة أنجاس فربيع لله وللرسول صلى الله عليه وسلم فما كان لله وللرسول فهو لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس شيئا فهو لنواب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو بكر المنقرى حدثنا عبد الوارث بن سعيد

عن حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة في قوله واعلموا انما غنمتم من شئ فان الله خمسة وللرسول قال الذي لله فلينبه والذى للرسول
لازواجه وقال عبد الملك بن ابي سليمان عن عطاء بن ابي رباح قال خمس الله والرسول واحد يحمله منه ويصنع فيه ماشاء يعنى
النبي صلى الله عليه وسلم وهذا أعم وأشمل وهو أنه صلى الله عليه وسلم يتصرف في الخمس الذي جعله الله له بما شاء ويرده في أمته
كيف شاء ويشهد لهذا ما رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا اسحق بن عيسى حدثنا اسمعيل بن عياش عن ابي بكر بن عبد الله بن
أبي مريم عن ابي سلام الاعرج عن المقدم بن معديكرب الكندي انه جلس مع عبادة بن الصامت وأبي الدرداء والحارث بن
معاوية الكندي رضي الله عنهم فقدا كروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو الدرداء لعبادة يا عبادة كلمات رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة كذا وكذا في شأن الاخماس فقال عبادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم في غزوة الى بعير من المغنم
فلما سلم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتناول وبرة بين أظفاره فقال ان هذه من غنائمكم وأنه ليس لي فيها الا نصيبي معكم الخمس
والخمس مردود عليكم فأدوا الخيط والخيط وأكبر من ذلك وأصغر ولا تغلوا فان الغلول غارونار على أصحابه في الدنيا والاخرة
وجاهدوا الناس في الله القريب والبعيد (٣٢٠) ولتبالوا في الله لومة لائم وأقيموا حدود الله في الحضر والسفر وجاهدوا في

الله فان الجهاد باب من أبواب الجنة
عظيم ينبي الله به من الهم والغم هذا
حديث حسن عظيم ولم أره في شئ
من لكتب الستة من هذا الوجه
ولكن روى الامام أحمد أيضاً
وأبو داود والنسائي من حديث
عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده
عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم نحوه في قصة الخمس
والتهنى عن الغلول وعن عمرو بن
عنبسة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلى بهم الى بعير من المغنم فلما سلم
أخذ وبرة من ذلك البعير ثم قال ولا
يحصل لي من غنائمكم مثل هذا الا
الخمس والخمس مردود عليكم رواه
أبو داود والنسائي وقد كان للنجي

الشرطية وجعلت غاية لقوله واصنع القليل بأعيننا وما بينهما اعتراض والمراد بالامر
العذاب أو وقته وهو واحد الامور لا الاوامر ويصح أن يراد الثاني على معنى جاء أمرنا
بركوب السفينة (وفار التنوير) أى على واختلف في تفسير التنوير على أقوال الاول
انه وجه الارض والعرب تسمى وجه الارض تنورا أو اشرف موضع فيها روى ذلك عن
ابن عباس وعكرمة والزهرى وابن عيينة الثاني انه تنور الخبز الذي يخبزون فيه ابندى
منه النبع على خلاف العادة وبه قال مجاهد وعطية والحسن وهو قول أكثر المفسرين
قيل وهذا أولى لان اللفظ اذا دار بين الحقيقة والجاز كان جملة على الحقيقة أولى وانظر
التنوير حقيقة في اسم الموضع الذي يخبر فيه الثالث انه موضع اجتماع الماء في السفينة
وروى هذا عن الحسن الرابع انه طلوع الفجر من قولهم تنورا الفجر روى ذلك عن علي
ابن أبي طالب الخامس انه مسجد الكوفة روى ذلك عن علي أيضاً ومجاهد وقال
مجاهد كان ناحية التنوير بالكوفة على عين الداخل مما يلي باب كندة وكان الشعبي يحلف
بالله انه ما فار الا من ناحية الكوفة الثالث انه أعلى الارض والمواقع المرتفعة قاله
قتادة السابع انه العين التي بالجزيرة المسماة عين الوردة وهي بالشام روى ذلك عن
عكرمة وبه قال مقاتل الثامن انه موضع بالهند قال ابن عباس كان تنور آدم بالهند
وكانت حواء تخبر فيه وصرالى نوح قال الخناس وهذه الاقوال ليست بمناقضة لان الله

صلى الله عليه وسلم من الغنائم شئ يصف فيه لنفسه عبداً وأمة أوفرس أو سيف أو نحو ذلك
كما نص عليه محمد بن سيرين وعامر الشعبي وتبعهما على ذلك أكثر العلماء وروى الامام أحمد والترمذي وحسنه عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفل سيفه ذوالفقار يوم بدر وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد وعن عائشة رضي الله عنها قالت
كانت صفيية من الصقي رواه أبو داود وفي سننه وروى أيضاً باسناده والنسائي أيضاً عن يزيد بن عبد الله قال كئالما برد اذ دخل رجل
معه قطعة أديم فقرأناها فاذا فيها من محمد رسول الله الى بنى زهير بن اقيش انكم ان شهدتم أن لا اله الا الله وان محمد رسول الله
وأقيم الصلاة وآتيت الزكاة وأديتم الخمس من المغنم وسهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم الصقي أنتم آمنون بأمان الله ورسوله فقلنا
من كتب لك هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه أحاديث جيدة تدل على تقريرها وثبوتها ولهذا جعل ذلك كثير من
الخصائص له صلوات الله وسلامه عليه وقال آخرون ان الخمس يتصرف فيه الامام بالصحة للمسلمين كما يتصرف في مال النبي وقال
شيخنا الامام العلامة ابن تيمية رحمه الله وهذا قول مالك وأكثر السلف وهو أصح الاقوال فاذا ثبت هذا علم فقد اختلف أيضاً
في الذي كان يناله عليه السلام من الخمس ماذا يصنع به من بعده فقال فان لولن يكون لمن بلى الامر من بعده روى هذا عن ابي بكر

وعلى وقتادة وجماعة وجاء فيه حديث مرفوع وقال آخرون يصرف في مصالح المسلمين وقال آخرون بل هو مردود على بقية الاصناف ذوى القرى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختاره ابن جرير وقال آخرون بل سهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ذوى القرى مردودان على اليتامى والمساكين وابن السبيل قال ابن جرير وذلك قول جماعة من أهل العراق وقيل ان الخمس جميعه لذوى القرى كما رواه ابن جرير حدثنا الحرث حدثنا عبد العزيز حدثنا عبد الغفار حدثنا المنهال بن عمرو سألت عبد الله بن محمد بن علي وعلى بن الحسين عن الخمس فقالوا هلنا فقلت لعلى فان الله يقول واليتامى والمساكين وابن السبيل فقالا لا يتامانا ومساكيننا وقال سفيان الثوري وأبو نعيم وأبو أسامة عن قيس بن مسلم سألت الحسن بن محمد بن الحنفية رجه الله تعالى عن قول الله تعالى واعلموا انما غنمتم من شئ فان الله خمسة والرسول فقال هذا مفتاح كلام الله الدنيا والآخرة ثم اختلف الناس في هذين السهمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قائلون سهم النبي صلى الله عليه وسلم تسليم الخليفة من بعده وقال آخرون لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم وقال آخرون سهم القرابة الخليفة واجتمع رأيهم أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدة في سبيل الله فكان على ذلك في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قال الاعمش عن ابراهيم كان أبو بكر (٣٢١) وعمر يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح فقلت لابراهيم

ما كان على يقول فيه قال كان أشدهم وخبرنا الارض عيوننا فهذه الاقوال تجتمع في ان ذلك كان علامة هكذا قال وفيه نظر فان القول لاربع بنافي هذا الجمع ولا يستقيم عليه التفسير بنبيع الماء الا اذا كان المراد مجرد العلامة كما ذكره آخره وقد ذكر أهل اللغة ان الفور الغليان يقال فار الماء يقور فوراً ينبع وجرى وقارت القدر فوراً من باب قال وفورا ناغلت وعلى هذا لا يجوز في الآية الا من حيث نسبة الفوران الى التنور وهو اسم أعجمى عربية العرب وعلى هذا فلا اشتقاق له وقيل فارسي لا تعرف له العرب اسماً غير هذا فلذلك جاء في القرآن بهذا اللفظ فخطبوا بما يعرفون وقيل جاء هكذا بكل لفظ عربي وبعمى وانه مما اتفق عليه لغة العرب والعجم كالصابون ووزنه تنفعل ويعزى هذا الثعلب وقيل فعول ويعزى لابي على الفارسي وقيل معنى فار التنور التمثيل بحضرة العذاب كقولهم حتى الوطيس اذا اشتد الحرب وعلى هذا فهو كناية عن اشتداد الامر وقيل كان من حجر لحواء فصار الى نوح وقدروى في تفسير التنور غير هذا ذكر ابن جرير وغيره ان الطوفان كان في ثالث عشر من ابيب في شدة القيط وكان النوران علامة لنوح على محبته وركوب السفينة (قلنا) يانوح (اجل فيها) أى في السفينة (من كل زوجين) مما في الارض من الحيوانات (التيين) ذكرنا واثني وقرئ من كل بالثنتين أى من كل شئ زوجين والزوجان

سبحانه قد أخبر بان الماء قد جاء من السماء والارض قال ففتحتنا ابواب السماء بما منهمر ونجرنا الارض عيوننا فهذه الاقوال تجتمع في ان ذلك كان علامة هكذا قال وفيه نظر فان القول لاربع بنافي هذا الجمع ولا يستقيم عليه التفسير بنبيع الماء الا اذا كان المراد مجرد العلامة كما ذكره آخره وقد ذكر أهل اللغة ان الفور الغليان يقال فار الماء يقور فوراً ينبع وجرى وقارت القدر فوراً من باب قال وفورا ناغلت وعلى هذا لا يجوز في الآية الا من حيث نسبة الفوران الى التنور وهو اسم أعجمى عربية العرب وعلى هذا فلا اشتقاق له وقيل فارسي لا تعرف له العرب اسماً غير هذا فلذلك جاء في القرآن بهذا اللفظ فخطبوا بما يعرفون وقيل جاء هكذا بكل لفظ عربي وبعمى وانه مما اتفق عليه لغة العرب والعجم كالصابون ووزنه تنفعل ويعزى هذا الثعلب وقيل فعول ويعزى لابي على الفارسي وقيل معنى فار التنور التمثيل بحضرة العذاب كقولهم حتى الوطيس اذا اشتد الحرب وعلى هذا فهو كناية عن اشتداد الامر وقيل كان من حجر لحواء فصار الى نوح وقدروى في تفسير التنور غير هذا ذكر ابن جرير وغيره ان الطوفان كان في ثالث عشر من ابيب في شدة القيط وكان النوران علامة لنوح على محبته وركوب السفينة (قلنا) يانوح (اجل فيها) أى في السفينة (من كل زوجين) مما في الارض من الحيوانات (التيين) ذكرنا واثني وقرئ من كل بالثنتين أى من كل شئ زوجين والزوجان

(٤١ - فتح البيان ح) الرسول ولهذا كان ذم أبي طالب لهم في قصيدته اللامية أشد من غيرهم لشدة قهرهم ولهذا يقول في أثناء قصيدته جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجل غير آجل

بميزان قسط لا يخيس شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل لقد سفهت احلام قوم بدلوا * بنوخلف فيضابنا والعياطل ونحن الصميم من ذؤابة هاشم * وآل قصي في الخطوب الاوائل

وقال ابن جرير بن مطعم بن عدى بن نوفل مشيت انا وعمتان يعنى ابن عفان يعنى ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله أعطيت بنى المطلب من خمس خبير وتر كسنا ونحن وهم منك بمنزلة واحدة فقال انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد رواه مسلم وفي بعض روايات هذا الحديث انهم لم يبقارقونى في جاهلية ولا اسلام وهذا قول جمهور العلماء انهم بنو هاشم وبنو المطلب قال ابن جرير وقال آخرون هم بنو هاشم ثم روى عن خصيف عن مجاهد قال علم الله ان فى بنى هاشم فقراء فجعل لهم الخمس مكان الصدقة وفى رواية عنه قال هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لا تحل لهم الصدقة ثم روى على بن الحسين نحو ذلك قال ابن جرير وقال آخرون بل هم قريش كلها حدثني يونس بن عبد الاعلى حدثني عبد الله بن نافع

عن أبي معشر عن سعيد المقبري قال كتب مجده إلى عبد الله بن عباس يسأله عن ذوى القربى فكذب إليه ابن عباس كأن يقول أنا هم فأبى علينا قوماً وقالوا القريش كلها ذوى القربى وهذا الحديث صحيح رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث سعيد المقبري فذكره إلى قوله فأبى علينا قوماً وناو الزيادة من أفراد أبي معشر صحيح بن عبد الرحمن المدني وفيه ضعف وقال ابن حاتم حديثنا أبي حدثنا إبراهيم بن مهدي المصيصي حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن حنيس عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغبت إليكم عن غسالة الأيدي لأن لكم من خمس الخمس ما يغنيكم أو يكفكم هذا حديث حسن الاسناد و إبرا هيم بن مهدي هذا وثقه أبو حاتم وقال يحيى بن معين بأبي عننا كبر والله وقوله واليتامى أى أيتام المسلمين واختلف العلماء على يخص الأيتام بالفقراء أو يعم الأغنياء والفقراء على قولين والمسكين هم المحاو ينج الذين لا يجدون ما يسد خلقتهم ويكفهم وابن السبيل هو المسافر والمراد بالسفر إلى مسافة تقصر فيها الصلاة وليس له ما ينقده في سفره ذلك وسأبى نفسه ذلك في آية الصدقات في سورة براءة إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان وقوله إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا أى امتثلوا ما شرعنا لكم من الخمس في الغنائم إن كنتم تؤمنون بالله واليوم (٣٢٢) الآخر وما أنزل على رسوله ولهذا جاء في الصحيحين من حديث عبد الله

ابن عباس في حديث وفد عبد القيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم وأمركم بأربع وأنها لكم عن أربع أمركم بالإيمان بالله ثم قال هل تدرون ما الإيمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وإن تؤدوا الخمس من المغنم الحديث بطوله فجعل أداء الخمس من جملة الإيمان وقد بوب البخاري على ذلك في باب الإيمان من صحيحه فقال باب أداء الخمس من الإيمان ثم أورد حديث ابن عباس هذا وقد بسطنا الكلام عليه في شرح البخاري والله الحمد والمنة وقال مقاتل بن حيان وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان

للأثنين الذين لا يستغنى أحدهما عن الآخر ويطلق على كل واحد منهما زوج كما تقول للرجل زوج وللمرأة زوج وهو المراد هنا أى من كل فرد من متزاوجين اثنين بأن تحمل من الطير ذكراً وأنثى ومن الغنم ذكراً وأنثى وهكذا وتترك الباقى والمراد من الحيوانات التى تنفع والى نادى ويبيض ليخرج المضرات والى تتوالد من العفونة والتراب كاللورد والقمل والبق والبعوض فلم يحمل منه شيئاً ويطلق الزوج على الاثنين إذا استعمل مقابلاً للفرد ويطلق الزوج على الضرب والصنف ومنه قوله تعالى وأنبتت من كل زوج بهيج قال الرازى وأما ما روى أن ابليس دخل السفينة فبعيد لأنه من الجن وهو جسم نارى أو هوائى فكيف يقر من الفرق وأيضا فان كتاب الله لم يبدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالأولى ترك الخوض فيه انتهى (و) أجل (أهل) والمراد امرأته المؤمنة وبنوه ونسأؤهم (الامن سبق عليه القول) أى من تقدم الحكم عليه بأنه من المعرفين فى علمه أو فى قوله ولا تخاطب منى فى الذين ظلموا انهم مغرورون على الاختلاف الشائع فيهم فمن جعلهم جميع الكفار من أهلهم وغيرهم كان هذا الاسـ استثناء من جملة أهل وأهل ومن قال المراد بهم ولد كنعان وامرأته الكافرة وعله أم كنعان جعل الاستثناء من أهلها ويكون متصلاً أن يريد بالأهل ما هو أعم من المسلم والكافر منهم ومنقطعاً أن يريد بالأهل المسلمون منهم فقط (و) أجل (من آمن) من قومك فى السفينة وأفرد الأهل منهم لمزيد العناية بهم

يوم التقي الجعان والله على كل شىء قدير بنبه تعالى على نعمه واحسانه الى خلقه بما فرق به بين الحق والباطل وأظهر دينه وصر بنبه وحزبه بيدرو ويسمى الفرقان لأن الله أعلى فيه كلمة الإيمان على كلمة الباطل قال على بن أبى طلحة والوعوفى عن ابن عباس يوم ان فرقان يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل رواه الخاكم وكذا قال مجاهد ومقسم وعبيد الله بن عبد الله والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان وغير واحد أنه يوم بدر وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير فى قوله يوم الفرقان يوم فرق الله بين الحق والباطل وهو يوم بدر وهو أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة أو سبع عشرة ضمت من رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثمانمائة وبضعة عشر رجلاً والمشركون ما بين الألف والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على السبعين وأسرى منهم مثل ذلك وقد روى الحاكم فى مستدركه من حديث الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن ابن مسعود قال فى ليلة القدر تحجر وهما الأحدى عشرة تبقيان فان صبيحت يوم بدر وقال على شرطهما وروى مثله عن عبد الله بن الزبير أيضاً من حديث جعفر بن برقان عن رجل عن ابن جبرى حديثنا ابن جبرى بن واضح حديثنا يحيى بن يعقوب أبو طالب عن ابن عون عن محمد بن عبد الله

أو

التتقى عن أبي عبد الرحمن السلمى قال قال الحسن بن علي كانت ليلة الفرقان يوم التقي الجمعان لسبع عشرة من رمضان اسناد جيد قوى ورواه ابن مردويه عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب عن علي قال كانت ليلة الفرقان ليلة التقي الجمعان في صبيحتها ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان وهو الصحيح عند أهل المغازي والسير وقال يزيد بن أبي جعيد امام أهل الديار المصرية في زمانه كان يوم بدر يوم الاثنين ولم يتابع على هذا وقول الجمهور ومقدم عليه والله أعلم (إذا أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لا خلا لفتنكم في الميعاد ولكن يقضى الله أمرا ما كان منه عولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم) يقول تعالى يوم الفرقان إذا أنتم بالعدوة الدنيا أي أنتم تزول بعدوة الوادى الدنيا القريبة من المدينة وهم أي المشركون نزولوا بالعدوة القصوى أي البعيدة من المدينة إلى ناحية مكة والركب أي العير الذي فيه أبو سفيان بما معه من التجارة أسفل منكم أي مما يلي سيف البحر ولو تواعدتم أي أنتم والمشركون أي في مكان لا خلا لفتنكم في الميعاد قال محمد بن اسحق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه في هذه الآية قال ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم ما لقيتموهم ولكن (٢٢٢) ليقضى الله أمرا ما كان منه عولا أي ليقضى

الله ما أراد بقدرته من اعزاز الاسلام وأهله واذلال الشرك وأهله من غير ملا منكم ففعل ما أراد من ذلك بلطفه وفي حديث كعب بن مالك قال إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن حشدني ابن علية عن ابن عون عن عيسى بن اسحق قال أقبل أبو سفيان في الركب من الشام وخرج أبو جهل ليمتنعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فالتقوا بسدر ولا يشعر هؤلاء بهم ولا هؤلاء بهم ولا حتى التقي السقاة وشهد الناس بعضهم

أوللاستئناهم منهم على القول الآخر ثم وصف الله سبحانه قلة المؤمنين مع نوح بالنسبة إلى من كثر به فقال (وما آمن معه الا قليل) واعتبار المعية في إيمانهم للإيمان إلى المعية في مقر الأمان والنجاة قيل كانوا ثمانين نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونسأؤهم وبه قال قتادة وابن جرير ومحمد بن كعب القرظي وقيل كانوا ثمانين رجلاً أحدهم حرهم قاله ابن عباس قال الخفافى وهى الرواية الصحيحة انتهى ولما خرجوا من السفينة بنوا قرية يقال لها قرية الثمانين وهى موجودة بناحية الموصل وقيل سبعة نوح وبنوه وثلاث كائن له قاله الاعمش قال الخفافى ويرده عطف من آمن الآن يكون الأهل عسى الزوجة فانه ثبت بهذا المعنى وهو خلاف الظاهر وقيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونسأؤهم واثنتان وسبعون رجلاً وامرأته من غيرهم وعن ابن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل غير ذلك قال الطبري والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال عز وجل وما آمن معه الا قليل ولم يحدد عدداً بقدر فلا ينبغي أن يجاوز في ذلك حد الله سبحانه وتعالى اذ لم يرد ذلك في كتاب ولا خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (وقال اركبوا فيها) القائل نوح وقيل الله سبحانه والاول أولى لقوله ان ربي لغفور رحيم والركوب العلو على ظهر الشيء المتحرك حقيقة نحو ركب الدابة أو مجازاً نحو ركبه الدين وفي الكلام حذف أى اركبوا الماء في السفينة فلا يرد ان ركب يتعدى بنفسه وقيل ان القسائدة في زيادة في أنه

إلى بعض وقال محمد بن اسحق في السيرة ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه ذلك حتى اذا كان قريبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزعبي الجهنميين يلتمسان الخبر عن أبي سفيان فانطلقا حتى اذا وردا بدرافا ناخبا بعيريهما إلى تل من البطحاء فاستقيبا في شئ لهما من الماء فسمعا جارتان يتحتمان تقول احدهما صاحبتها افضيني حتى وتقول الاخرى انما تأتي العير غدا أو بعد غد فاقضيك حقلك فخلص بينهما مجدي بن عمرو وقال صدقت فسمع ذلك بسبس وعدي فجلسا على بعيريهما حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه الخبر وأقبل أبو سفيان حتى وليا وقد حدرت قدم أمام غيره وقال لمجدى بن عمرو هل أحسست على هذا الماء من أحد تنكره فقال لا والله الا انى قد رأيت راكبين انأخا إلى هذا التل فاستقيبا في شئ لهما ثم انطلقا فجاها أبو سفيان إلى مناخ بعيريهما فأخذ من أبعارهما ففقتها فاذا فيه النوى فقال هذه والله علائف يثرب ثم رجع سر يعا فضرب وجهه غيره فانطلق بها فسا حبل حتى اذا رأى انه قد أحرز به بعث إلى قريش فقال ان الله قد نجى عيركم وموالكم ورجالكم فارجعوا فقال أبو جهل والله لا ترجع حتى تأتي بدر او كانت بدر سو قامن أسواق العرب فنقيم بها ثلاثا نأفطمع بها الطعام ونحربها بالجزر ونسقي بها الخمر ونعرف علينا القبان ونسمع بنا العرب وبمسيرنا فلا يزالون يابوننا بعد ما أبداف قال الاخنس بن شريق يا معشر بني زهرة ان الله

قد أنجى أموالكم ويحى صاحبكم فارجموا فأطاعوه فرجعت بنو زهرة فلم يشهدوها ولا بنو عدى قال محمد بن اسحق وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دنا من بدر على بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام في نفر من أصحابه يجسسون له الخبر فأصابوا سقاة لقريش غلاما بنى سعيد بن العاص وغلاما بنى الحجاج فأوثقوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوه يصلي فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونهم ما أنتم فاقولنا نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم من الماء فكره ان يقوم خبرهما ورجوا أن يكونا لاني سفيان فضر بهما فلما أذلقوهما قالوا نحن لاني سفيان فتركوهما وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتين ثم سلم وقال اذا صدقاكم ضربتموهما واذا كذباكم تركتموهما صدقا والله انهما لقريش أخبرني عن قريش قالاهم وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكتيب العقنقل فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالوا كثيرا قال ما عدتكم قال ما ندري قال كم يخبرون كل يوم قالوا يومنا تسعوا ويوما عشرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة الى الالف ثم قال لهما من فيهم من أشرف قريش قالوا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الجعدي بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث (٣٢٤) بن عامر بن نوفل وطعيبة بن عدى والنضر بن الحرث وزمعة بن الاسود

وأبو جهل وأممية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ومهييل بن عمرو وعروة بن عبدود فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال هذمه مكة قد ألفت اليكم أفلاذ كبدها قال محمد بن اسحق رحمه الله تعالى وحدثني عبد الله بن أبي بكر ابن حزم أن سعد بن معاذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتقى الناس يوم بدر يا رسول الله ألا نبني لك عريشا تكون فيه وتنتج ركائبك ونلقى عدونا فان أظفرنا الله عليهم وأعزنا ذلك ما نحب وان تكن الاخرى فجلس على ركائبك ونلقى من وراءنا من قومنا فقد والله تحلف عنك أقوام ما نحن بأشد ذلك حبا

أمرهم بان يكونوا في جوف السفينة لاعلى ظهرها وقيل بل انها زيدت لرعاية جانب المحلحة والمكائبة في السفينة كما في قوله فاذا ركبوا في ذلك وقوله حتى اذا ركبنا في السفينة قيل ولعل نوحا قال هذه المقالة بعد ادخال ما أمر بحمله في الفلث من الأزواج كانه قيل حمل الأزواج وأدخلها في الفلث وقال للمؤمنين اركبوا فيها ويمكن أن يقال انه أمر بالركوب كل من أمر بحمله من الأزواج والاهل والمؤمنين ولا يمنع أن يفهم خطابه من لا يعقل من الحيوانات أو يكون هذا على طريقة التغليب وقد روى في صفة القصة وما حمله نوح في السفينة وكيف كان الغرق وكما بقيت السفينة على ظهر الماء روايات كثيرة لا مدخل لها في تفسير كلام الله سبحانه (بسم الله) متعلق بركبوا أو حال من فاعله أي اركبوا مسمين الله أو قائدين بسم الله (مجرها ما امر ساها) بضم الميم فيهما من أجزيت وأرست على انهما ما هما زمان وهما في موضع نصب على الظرفية أي وقت اجرائها وارساها أو مصدران كالاجراء والارسا بفتح الهمزة وقت كقولك آتيتك خفوق النجم أو اراما مكان اتصبا بما في بسم الله من معنى الفاعل أو ارادة القول وقرى الاول بفتح الميم والثاني بضمها وهاتان القراءتان سبعيتان وقرى بفتحها فيهما من جرى ورسي وهذه شاذة وقرى مجزها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجرورى المحل على انهما وصفان لله ويجوز أن يكونا في موضع رفع باضمار مبهمة أي هو مجزها ومرسيها والرسو والنبات

منهم لو علموا انك تلقى حربا متخلفوا عنك ويوازرونك وينصرونك فأتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستقرار خيرا ودعاه به فبنى له عريشا فكان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ما معهما غيرهما قال ابن اسحق وارتحلت قريش حين أصبحت فلما أقبلت وراها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكتيب الذي جاؤا منه الى الوادي فقال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وخفرتها تحادك وتكذب رسولك اللهم أحزنهم الغداة وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة قال محمد بن اسحق أي لكثير من كفر بعد الحق لما رأى من الآيات والعبرة ويؤمن من آمن على مثل ذلك وهذا تفسير جيد وبسط ذلك انه تعالى يقول انما جعلكم مع عدوكم في مكان واحد على غير معاد لينصركم عليهم ويرفع حجة الحق على الباطل ليصير الامر ظاهرا والحق باطنا والبراهين ساطعة ولا يبقى لاحد حجة ولا شبهة فينتهز ذلك من هلك أي يستمر في الكفر من استترفه على بصيرة من أمره انه مبطل لقيام الحجة عليه ويحيى من حي عن بينة أي يؤمن من آمن عن بينة أي حجة وبصيرة والايان هو حجة القلوب قال الله تعالى أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمضي به في الناس وقالت عائشة في قصة الافك فهلك فيمن هلك أي قال فيها ما قال من البهتان والافك وقوله وان الله لسمع أي لدعا نكم وتضرعكم واستغاثكم به عليهم أي بكم وانكم تستحقون

النصر على أعدائكم الكفرة المعاندين (اذير يكهم الله في منامك قليلا ولو أرا كهم كثير الفشلتم ولسنازعم في الامر ولكن الله سلم انه علم بذات الصدور واذير يكهم وهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا و يقللكم في أعينهم ليقتضى الله امر اكان مفعولا والى الله ترجع الامور) قال مجاهد اراههم الله اياه في منامه قليلا واخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك فكان شيتناهم وكذا قال ابن اسحق وغيره واحد وحكى ابن جرير عن بعضهم انه رآهم بعينه التي نام بها وقد روى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يوسف بن موسى المدبر حدثنا أبو قتيبة عن سهل السراج عن الحسن في قوله اذير يكهم الله في منامك قليلا قال بعينك وهذا القول غريب وقد صرح بالنام ههنا فلا حاجة الى التأويل الذي لا دليل عليه وقوله ولو أرا كهم كثير الفشلتم أي لجنتم عنهم واختلفتم فيما بينكم ولكن الله سلم أي من ذلك بأن أرا كهم قليلا انه علم بذات الصدور أي بما تخفيه الضمائر وتنطوي عليه الاحشاء فيعلم خائفة الأعين وما تخفى الصدور وقوله واذير يكهم وهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا وهذا أيضا من لطفه تعالى بهم اذا رآهم اياهم قليلا في رأى العين ليحترمهم عليهم ويطمعهم فيهم قال ابو اسحق السبيعي عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لقد قالوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال لا بل لهم مائة حتى أخذنا (٣٢٥) رجلا منهم فسألناه فقال كالأفكار واه ابن أبي حاتم وابن جرير وقوله و يقللكم في

والاستقرار قال مجاهد في الآية أي حين تركبون وتجرون وترسون وعن الضحاك قال كان اذا أراد ان ترسى قال بسم الله فرست واذا أراد ان تجرى قال بسم الله فخرت (ان ربي لغفور) للذنوب (رحيم) بعباده ومن رحمة انجاء هذه الطائفة تفضلا منه لبقاء هذا الجنس الحيواني وعدم استئصاله بالغرق أخرج أبو يعلى والطبراني وابن السني وغيرهم عن الحسن بن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمان لامتى من الغرق اذا ركبوا الفلك ان يقولوا بسم الله الملك الرحمن بسم الله مجراها الآية وما قدره الله حتى قدره الآية (وهي تجرى بهم) أي فركبوا مسمين والسفينة تجرى والجملة مستأنفة أو حالية ولذلك فسره الرمحسري بقوله أي تجرى وهم فيها (في موج) جمع موجة وهي ما ارتفع عن جلة الماء الكثير عند اشتداد الرياح واضطرابه في خلاله (كالجبال) شبهها بالجبال المرتفعة على الارض أي كل موجة منه كالجبل في تراكمها وارتفاعها وعظمتها قال أهل السير ارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربع ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى أغرق كل شيء وعم العباد وشمل كل البلاد وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجرى في جوفه كالخوت فغير ثابت (ونادى نوح ابنته) هو كنعان وقيل يام وكان كافرا واستبعد كون نوح نادى من كان كافرا مع قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وأجيب بأنه كان منافقا فظن نوح انه مؤمن وقيل حملته

أعينهم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن الزبير بن الحسرت عن عكرمة واذير يكهم وهم اذ التقيتم الآية قال حفض بعضهم على بعض اسناد صحيح وقال محمد بن اسحق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه في قوله تعالى ليقتضى الله امر اكان مفعولا أي ليلقى بينهم الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه والانعام على من أراد تمام النعمة عليه من أهل ولايته ومعنى هذا انه تعالى أغرى كلامن الفريقين بالآخر وقله في عينه ليطمع فيه وذلك عند المواجهة

فما التحم القتال وأبد الله المؤمنين الملائكة بألف من الملائكة مردفين بقي حزب الايمان يرى حزب الكفار ضعيفا كما قال تعالى قد كان لكم آية في فتنة التقاتلة تقاتل في سبيل الله وأخرى كفرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد نصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لأولى الابصار وهذا هو الجمع بين هاتين الآيتين فان كلامهما حق وصدق والله الحمد والمنة (يا أيها الذين آمنوا اذ التقيتم فئة فابنتوا واذا كروا الله كثير العلكم تغفلون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتشوا وتذهب ربحكم واصرروا ان الله مع الصابرين) هذا تعلم من الله تعالى لعباده المؤمنين آداب اللقاء وطريق الشجاعة عند مواجهة الاعداء فقال يا أيها الذين آمنوا اذ التقيتم فئة فابنتوا ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظر في بعض أيامه التي لقي فيها العدو حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال يا أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا التقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم وقال اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم وقال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا التقيتموهم فابنتوا واذا كروا الله فان جلبوا وصاحوا فعليكم بالصمت وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا ابراهيم بن هاشم البغوي حدثنا أمية بن بسطام حدثنا حماد بن

سليمان حدثنا ثابت بن زيد عن رجل عن زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم فرؤعا قال ان الله يحب الصمت عند ثلاث عند تلاوة القرآن وعند الزحف وعند الجنازة وفي الحديث الآخر المرفوع يقول الله تعالى ان عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو ملاق قرنه أى لا يشغله ذلك الحال عن ذكرى ودعائى واستغاثتى وقال سعيد بن أبى عمرو به عن قتادة فى هذه الآية وقال افترض الله ذكره عند أشغل ما يكون عند الضراب بالسيف. وفى وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حنيفة بن سعيد بن سليمان حدثنا ابن المبارك عن ابن جريح عن عطاء قال وجب الانصات وذكر الله عند الزحف ثم تلا هذه الآية قلت يجهرون بالذكرك قال نعم وقال أيضا قرأ على يونس ابن عبد الأعلى أنبا بن وهب أخبرنى عبد الله بن عباس عن يزيد بن فواز عن كعب الاحبار قال ما من شئ أحب الى الله تعالى من قراءة القرآن والذكر وأولى ذلك ما أمر الناس بالصلاة والقتال الأترو ان انه أمر الناس بالذكرك عند القتال فقال يا أيها الذين آمنوا اذا القيمت فئمة فاقبوا واذكروا الله كثيرا العلكم تفهون قال الشاعر

ذكرك والخطى يخطـ ريننا * وقد نمت فينا المثقة السمر

(٢٢٦) ولقد ذكرك والرماح شواجر * فينا ويض الهند تقطر من دى

وقال عنتره

فأمر تعالى بالثبات عند القتال
الاعداء والصبر على مبارزتهم فلا
يفروا ولا ينكوا ولا يحبوا وان
يذكروا الله فى تلك الحال ولا ينسوه
بل يستغيثوا به ويتوكأوا عليه
ويسألوه النصر على اعدائهم وان
يطعوا الله ورسوله فى حالهم ذلك
فأمرهم الله تعالى به انتمروا وما
نهاهم عنه انزجروا ولا يتنازعا
فيما بينهم أيضا فيختلفوا فيكون
سيما اتخذاهم وقتلهم وتذهب
ريحتكم أى قوتكم وحدتكم وما
كنتم فيه من الاقبال واصبروا وان
الله مع الصابرين وقد كان للصحابه
رضى الله عنهم فى باب الشجاعة
والاثمار بما أمرهم الله ورسوله

شفقة الابوة على ذلك وكان من صلبيه على المعتمد وقال ابن عباس هو باه غير أنه خالفه
فى النسبة والعمل وقيل انه كان ابن امرأته ولم يكن ابنه ويؤيده ما روى ان عليا قرأ ونادى
نوح ابنها وقيل انه كان غير رشده وولد على فراش نوح ورد بان قوله هذا وقوله ان ابني من
أهلى يدفع ذلك مع ما فيه من عدم صميانه منصب النبوة فان جناب الانبياء أرفع من أن
يشار اليه بأصبع الطعن (وكان فى معزل) أى فى مكان عزل فيه نفسه عن قومه وقربائه
بحيث لم يبلغه قول نوح اركبوا فيها وقيل فى معزل من دين الله وقيل من السفينة قيل وكان
هذا النداء قبل أن يستيقن الناس الغرق بل كان فى أول فور التهور قبل سير السفينة
(يا بنى) أصله بثلاث آيات بآء التصغير ولام الكلمة وآء المتكلم (اركب معنا) فى السفينة
أى اسلم واركب قال ملا على الجيلانى الطاهر ان معنى الآية أسلم لتسحق الركوب معنا
(ولا تكن مع الكافرين) فى البعد عنا فتمثلت معهم نهاهم عن الكون معهم خارج
السفينة ويمكن ان يراد بالكون معهم الكون على دينهم فى الكفر والاول أولى لانه
عليه السلام بصددا التحذير عن الهلكة فلا يلائمه النهى عن الكفر ثم حكى الله سبحانه
ما أجاب به ابن نوح على آية فقال (قال سائى) أى سأتهجى وأصير (الى جبل يعصمى)
أى يعنى بار تفاعه وعلوه (من) وصول (الماء) الى زعمانه ان ذلك كسائر المياه فى

وامتثال ما أرشدهم اليه ما لم يكن لاحد من الامم والقرون قبلهم

ولا يكون لاحد من بعدهم فانهم ببركة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته فيما أمرهم فتحوا القلوب والاقليم شرقا وغربا فى
المدة اليسيرة مع قلة عددهم بالنسبة الى جيوش سائر الاقاليم من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر والحبوش وأصناف
السودان والقطب وطوائف بنى آدم قهروا الجميع حتى علت كلمة الله وظهور دينه على سائر الاديان وامتدت الممالك الاسلامية
فى مشارق الارض ومغاربها فى أقل من ثلاثين سنة فرضى الله عنهم وأرضاهم أجعسين وحشرنا فى زميرهم انه كريم وهاب
(ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورتاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط واذن لهم الشيطان
أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراعت الثمنان نكص على عقبيه وقال انى برى منكم انى أرى
مالاترون انى أخاف الله والله شديد العقاب اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان
الله عزيز حكيم) يقول تعالى بعد أمره المؤمنين بالاخلاص فى القتال فى سبيله وكثرة ذكره ناهيا لهم عن التشبه بالمشركين فى
خروجهم من ديارهم بطرا أى دفعا للحق ورتاء الناس وهو المنافرة والتكبر عليهم كما قال أبو جهل لما قيل له ان العير قد نجا فارجعوا

أزمة

فقال لا والله لا نرجع حتى نرد ما بدر ونخرب الجزر ونشرب الخمر ونعزف علينا القيان وتحدث العرب بكنا فيهم أي يومنا أبدافا نكس ذلك عليه أجمع لانهم لما وردوا ما بدر وأردوا به اللحم اورموافى أطوا بدر مهاين أذلاء صغرة أشقياء في عذاب سرمدى أبدى ولهذا قال والله بما يشاء من محط أي عالم بما جأؤ به وله ولهذا جازاهم عليه شهر الجزاء لهم قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي في قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرأ ورثاء الناس قالوا هم المشركون الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقال محمد بن كعب لما خرجت قريش من مكة إلى بدر خرجوا بالقيان والد فوف فأنزله الله ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرأ ورثاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محط وقوله تعالى واذا من لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم الآية حسن لهم لعنه الله ما جأؤه وما هم به وإنما معهم انه لا غالب لهم اليوم من الناس ونفي عنهم الخشمة من أن يؤتوا في ديارهم من عدوهم بن بكر فقال اني جار لكم وذلك انه سيد لهم في صورة سراقته بن مالك بن جعشم سيد بن مدبلج كبير تلك الناحية وكل ذلك منه كما قال تعالى عنه يعدهم وينبئهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا قال ابن جرير قال ابن عباس في هذه الآية لما كان يوم بدر سارا للجيش (٣٢٧) برأيه وجموده مع المشركين وألقى في قلوب

المشركين ان أحد الن يغلبكم وإني جار لكم فلما التقوا ونظر الشيطان إلى امداد الملائكة تكص على عقبه قال رجع مدبر او قال اني أرى ما لاترون الآية وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال جاء ابليس يوم بدر في جنود من الشياطين معه رأيت في صورة رجل من مدبلج والشيطان في صورة سراقته بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما اصطف الناس أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبصة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا ومدبرين وأقبل جبريل عليه السلام إلى ابليس فلما رآه وكانت يده في يد رجل

أزمنة السيول المعتادة التي رمايتي منها بالصعود إلى الربى وأنى له ذلك وقد بلغ السيل الزبى وجهه لا بأن ذلك إنما كان لا هلاك الكفرة وان لا يحمي من ذلك سوى الالتجاء إلى ملجأ المؤمنين فذلك أراد عليه السلام ان يبين له حقيقة الحال وان يصرفه عن ذلك الفكر المحال (قال) أي فأجاب عنه نوح بقوله (لأعاصم) من الجبال أي لا مانع (اليوم من أمر الله) فانه يوم قد حق فيه العذاب وجف القلم بما هو كائن فيه نفي جنس العاصم فيندرج تحته العاصم من الغرق في ذلك اليوم اندراجا ولياوعبر عن الماء وعن الغرق بأمر الله سبحانه تنخيم الشأنة وهو بلا امره (الامن رحم) وقرئ على البناء للمفعول والاستثناء منقطع قاله الزجاج أي لكن من رحمة فهو يعصمه واستظهره السفاقي أو متصل على ان يكون عاصم بمعنى معصوم أي لا معصوم اليوم من أمر الله الامن رحمة الله مثل ما دافق وعيشة راضية واختار هذا الوجه ابن جرير والبخاري وتبعه القاضي وقيل العاصم بمعنى ذى العصمة كلابن وناهر والتقدير لا عاصم قط الامكان من رحم الله وهو الاستئناء وحينئذ فلا يرد ما يقال ان معنى من رحم من رحمة الله ومن رحمة الله فهو معصوم فكيف يصح استئناؤه عن العاصم لان في كل وجه من هذه الوجوه دفعا للاشكال وذو صاحب الاتصاف ان الاحتمالات الممكنة هنا أربعة لا عاصم الا راحم لا معصوم الامر حوم لا عاصم الامر حوم لا معصوم الا راحم فالاولان استثناء

من المشركين انترع يده ثم ولي مدبر اوشيعته فقال الرجل يا سراقه أتزعم انك لنا جارف فقال اني أرى ما لاترون اني أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة وقال محمد بن اسحق حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ان ابليس خرج مع قريش في صورة سراقته بن مالك بن جعشم فلما حضر القتال ورأى الملائكة تكص على عقبه وقال اني بري منكم فتشبت به الحرث بن هشام فجرح في وجهه فخرصه عتقا فقبل له وبلك يا سراقه على هذه الحال تخذ لنا وتبرأ منا فقال اني بري منكم اني أرى ما لاترون اني أخاف الله والله شديد العقاب وقال محمد بن عمر الواقدي أخبرني عمر بن عتبة عن شعبة بن مولى ابن عباس عن ابن عباس قال لما تواقف الناس أغمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم كشف عنه فبشر الناس بجبريل في جنود من الملائكة ميمنة الناس وميكائيل في جنود من آخر ميسرة الناس واسرافيل في جنود آخر ألف وابليس قد تصور في صورة سراقته بن مالك بن جعشم المدلج يدبر المشركين ويخبرهم انه لا غالب لهم اليوم من الناس فلما أبصر عدواته الملائكة تكص على عقبه وقال اني بري منكم اني أرى ما لاترون فتشبت به الحرث بن هشام وهو يرى انه سراقه لما سمع من كلامه فضرب في صدر الحرث فسقط الحرث وانطلق ابليس لا يرى حتى سقط في البحر ورفع ثوبه وقال يا رب موعدك الذي وعدتني وفي الطبراني عن رفاعة بن رافع قريب من هذا

السباق أبسط منه ذكرناه في السيرة وقال محمد بن اسحق حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال لما اجتمعت قريش للمسير ذكرت الذي بيننا وبين بني بكر من الحرب فكاد ذلك أن يثيبهم فبسط يدي لهم ابليس في صورة سراق بن مالك بن جعشم المدلجي وكان من أشرف بني كنانة فقال أنا جار لكم أن تأتيكم كنانة بشي تسكرهونه فخر جواسر اعا قال محمد بن اسحق فذكر لي أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراق بن مالك لا ينكرونه حتى اذا كان يوم بدر والتقى الجمعان كان الذي رآه حين نكص الخرتن هشام أو عمير بن وهب فقال أين سراق وميصل عدو الله فذهب قال فأوردتهم ثم أسلمهم قال ونظر عدو الله الى جنود الله قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين انتكص على عقبه وقال اني بري منكم اني أرى مالatron وصدق عدو الله وقال اني أخاف الله والله شديد العقاب وهكذا روى عن السدي والضحاك والحسن البصري ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم رحمة الله وقال قتادة وذكر لنا انه رأى جبريل عليه السلام تنزل معه الملائكة فعلم عدو الله انه لا يذان له بالملائكة فقال اني أرى مالatron اني أخاف الله وكذب عدو الله والله ما به مخافة الله ولكن علم انه لا قوة له ولا منعة وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستعاضه حتى اذا التقى الحق والباطل أسلمهم ثم لم يموتوا منهم عند ذلك قلت يعني (٣٢٨) بعادته لمن أطاعه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بري منكم اني أخاف الله رب

من الجنس والآخران استثناء من غير الجنس فيكون منقطعاً أي لكن المرحوم يعصم على الاول ولكن الراحم يعصم من أراد على الثاني قال عكرمة لاناح الأهل السفينة (وحدل بينهم الموج) أي حال بين نوح وابنه فتعذر خلاصه من الغرق وقيل بين ابن نوح وبين الجبل والاول أولى لان تفرع (فكان من المغرقين) عليه يدل على الاول لا على الثاني لان الجبل ليس بعاصم والمعنى فصراً وفكان كنعان من المغرقين في علم الله بالفعل والمهلكين بالماء (وقيل) أي بعدما تناهى الطوفان وأغرق الله قوم نوح والقيل كما قيل في هذين الموضوعين عبارة عن تعلق القدرة التخيري بزوال الماء وبهلا كههم كما قيل في قوله تعالى ان يقول له كن فيكون وعلى هذا فالآية على الاستعارة المكنية والتخييلية وقيل تمثيلية كما فصل ذلك الخنابج في العناية تنصيلاً بسبب ما يصعبه من لطائف البلاغة ولكن الحق الذي لا ترد فيه عند أولى البصيرة ان الآية على حقيقة من النداء والامر وهو المختار في قوله سبحانه كن فيكون وأمثاله أيضاً (يا أرض ابلعي) يقال بلع الماء يبلعه مثل منع يمنع وبلع يبلع مثل جديحه مد لغتان حكاهما الكسائي والفراء والبلع الشرب وتغوير الماء ومنه البالوعة وهي الموضع الذي يشرب الماء والازرد يقال بلع ما في فمه من الطعام اذا ازردده واستعير البلع الذي هو من فعل الحيوان للنشف دلالة على ان ذلك ليس كالنشف المعتاد للكائن على سبيل التدرج قال الخفاجي النشف من

العالمين وقوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أباصر حكم وما أنتم بدمر حتى اني كفرت بما أشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن بعض بني ساعدة قال سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعدما كف بصره يقول لو كنت معكم الآن ييدر ومعى بصرى لا أخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك

نشف

ولا أتمارى فلما نزلت الملائكة ورآها ابليس وأوحى الله اليهم اني معكم فنبذوا الذين آمنوا

وتنبهتهم ان الملائكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه فيقول له أشرفانهم ليسوا بشي والله معكم فكروا عليهم فلما رأى ابليس الملائكة تكص على عقبه وقال اني بري منكم اني أرى مالatron وهو في صورة سراقه وأقبل أبو جهل يحضض أصحابه وية قول ليهولنكم خذلان سراقه اياكم فانه كان على موعده من محمد وأصحابه ثم قال واللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمد وأصحابه في الجبال فلا تتسلوهم وخذوهم أخذوا وهذا من أبي جهل لعنه الله كقول فرعون للسحرة لما أسلموا ان هذا لكم مكرتوه في المدينة لتخرجوا منها أهلها واصل قوله انه اكبيركم الذي علمكم السحر وهو من باب البهت والافتراء ولهذا كان أبو جهل فرعون هذه الامة وقال مالك بن أنس عن ابراهيم عن ابن عبسلة عن طلحة عن عبيد الله بن كزبان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مارأى ابليس يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدر ولا أعظم من يوم عرفته وذلك مما يرى من نزول الرحمة والعفوع عن الذنوب الامارأى يوم بدر قالوا يا رسول الله ومارأى يوم بدر قال أما انه رأى جبريل عليه السلام يزعم الملائكة هذا امر سئل من هذا الوجه وقوله اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم قال علي بن أبي طلحة

أنفسهم وامتنعت من الخروج من الاجساد ان تخرج قهر او ذلك اذا بشر وهم بالعذاب والغضب من الله كما في حديث البراء ان ملك الموت اذا جاء الكافر عندا احتضاره في تلك الصورة المنكرة يقول اخرجي آيتها النفس الخبيثة الى سموم وجيم وظل من محموم تفرق في بدنه فيستخرجونهم من جسده كما يخرج السفود من الصوف المبلول فيخرج معها العروق والعصب ولهذا أخبر تعالى ان الملائكة تقول لهم ذوقوا عذاب الحريق وقوله تعالى ذلك بما قدمت أيديكم أي هذا الجزاء بسبب ما علمتم من الاعمال السيئة في حياتكم الدنيا جزاءكم الله بها هذا الجزاء وان الله ليس بظلام للعبيد أي لا يظلم أحدا من خلقه بل هو الحاكم العدل الذي لا يجور تبارك وتعالى وتقدس وتنزه الغنى الحميد ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن مسلم رحمه الله من رواية أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي انما هي أعمالكم أحصيا لكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ولهذا قال تعالى (كذاب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب) يقول تعالى فعل هؤلاء المشركين المكذبين بما أرسلت به يا محمد كما فعل الامم المكذبة قبلهم ففعلنا بهم ما هو (٢٣٠) دأبنا أي عادتنا وسنتنا في أمثالهم من المكذبين من آل فرعون ومن قبلهم

من الامم المكذبة بالرسل الكافرين المتعدى هذه الآية لانه لا يبنى للمفعول من غير واسطة حرف الجر الا المتعدى بنفسه وهو اخبار عن حصول المأمورية من السماء والارض معا أي فامتلا ما امر به ونقص الماء ولا يخص غيض الماء بطوفان السماء كما توهم وفيه كلام طويل في الكشف قال الصاوي أي ولم يذهب بالكلمة لما علمت من بقاء ما السماء (وقضى الامر) أي أحكم وفرغ منه يعني أهلك الله قوم نوح على تمام واحكام وأخرج ما كان وعده قاله القرطبي (واستوت على الجودي) أي استقرت السفينة على الجبل المعروف بالجودي روى انه عليه السلام ركب في القلح في عاشر رجب ونزل عنها في عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة والجودي جبل بقرب الموصل وقيل ان الجودي اسم لكل جبل وقيل هو بالشام وقيل بآمل وفي الحديث لقد بقي منها شيء ادر كة أوائل هذه الامة ويقال انه من جبال الجنة فلذا استوت عليه بعد ان طافت الارض كلها ستة أشهر (وقيل بعدا للقوم الظالمين) القائل هو الله سبحانه ليناسب صدر الآية وقيل هو نوح وأصحابه والمعنى وقيل هلا كالم وهو من الكلمات التي تختص بدعاء السوء ووصفهم بالظلم للاشعار بانه علة الهلاك وللإيحاء الى قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا قال عبد الرحمن بن خلدون اتفقوا على ان الطوفان الذي كان في زمن نوح زيد بن نوح انه ذهب بعمران الارض أجمع وبما كان من خراب المعمور وهلك الذين ركبوا معه في السفينة ولم يعقبوا فصار أهل الارض

من الامم المكذبة بالرسل الكافرين بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم أي بسبب ذنوبهم أخذهم الله ان الله قوي شديد العقاب لا يغلبه غالب ولا يفوته هارب (ذلك بان الله لم يك مغبرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وان الله سميع عليم كذاب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربه فاهلكهم كذبهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) يخبر تعالى عن تمام عدله وقسطه في حكمه بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد الا بسبب ذنب ارتكبه كقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا وما بأنفسهم

واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال وقوله كذاب آل فرعون أي كصنعهم كلهم بال فرعون وأمثالهم حين كذبوا باياته أهلكهم بسبب ذنوبهم وسلهم تلك النعم التي أسداها اليهم من جنات وعميون وزروع وكوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين وما ظلمهم الله في ذلك بل كانوا هم الظالمين (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم نهضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فاما نتقفتهم في الحرب فشردهم من خلفهم لعلهم يذكرون) أخبر تعالى ان شر ما دب على وجه الارض هم الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين كلما عاهدوا عهدا نقضوه وكلما كدوه بالايمن نكثوه وهم لا يتقون أي لا يخافون من الله في شيء ارتكبوه من الاثم فاما نتقفتهم في الحرب أي تغلبهم وتظفر بهم في حرب فشردهم من خلفهم أي نكل بهم قال له ابن عباس والحسن البصري والضحاك والسدي وعطاء الخراساني وابن عيينة ومعناه غلظ عقوبتهم وانحرفهم قتلا يخاف من سواهم من الاعداء من العرب وغيرهم وبصير والهم عبرة لعلهم يذكرون وقال السدي يقول لعلهم يحذرون ان ينكثوا فيصنع بهم مثل ذلك (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين) يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واما تخافن من قوم قد عهدتكم خيانتهم أي نقضوا ما بينك وبينهم من المواثيق والعهود فانبد اليهم

اي عهدهم على سواء أي اعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبق علمك وعلهم بانك حرب لهم وهم حرب لك وانه لا عهد بينك وبينهم على سواء أي تستوى أنت وهم في ذلك قال الرازي فاضرب وجوه الغدرا الأعداء * حتى يجيبوك الى السوا وعن الوليد بن مسلم انه قال في قوله فانبذ اليهم على سواء أي على مهل ان الله لا يحب الخائفين أي حتى ولو في حق الكفار لا يجيبها أيضا قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي الفيض عن سليم بن عامر قال كان معاوية يسير في أرض الروم وكان بينه وبينهم امد فاراد ان يدون منهم فاذا انقضى الامر غزاهم فاذا شيخ على دابة يقول الله أكبر الله أكبر فوافاه لا غدر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومن كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة ولا يشدها حتى ينقضى امدها أو ينبذ اليهم على سواء قال فبلغ ذلك معاوية فرجع واذا الشيخ عمرو بن عبسة رضى الله عنه وهذا الحديث رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة وآخره أبو داود الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه من طرق عن شعبة به وقال الترمذي حسن صحيح وقال الامام أحمد أيضا حدثنا محمد بن عبد الله الزبيري حدثنا اسرائيل عن عطاء بن السائب عن أبي الجحتر عن سلمان بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم فقال انما كنت رجلا فقال لا صحابه ادعوني ادعوك كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم فقال انما كنت رجلا (٣٣١)

منهم فهداني الله عز وجل للاسلام فان أسلمت فلكم مالنا وعليكم ما علينا وان أبيت فادوا الجزية وأنتم صاغرون وان أبيت نابذناكم على سواء ان الله لا يحب الخائفين يفعل ذلك بهم ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع غد الناس اليه افقتوها بعون الله (ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن يا محمد الذين

كاهم من نسله وعادابا نيا للخليقة انتهى وقال ابن الاثير في الكامل واما المجوس فلا يعرفون الطوفان وكان بعضهم يقر به ويرغمه انه كان في اقليم بابل وما قرب منه وان مساكن ولدخيو مرت كانت بالشرق فلم يصل ذلك اليهم وكذلك جميع الامم المشرقية من الهند والفرس والصين لا يعترفون بالطوفان وبعض الفرس يعترف به ويقول لم يكن عاما ولم يتعد عقبة حلون والصحيح ان جميع أهل الارض من ولد نوح عليه السلام لقوله تعالى وجعلنا ذريتهم الباقين فجميع الناس من ولد سام وحام ويافت أولاد نوح انتهى وقال المقرئ في الخطط ان جميع أهل الشرائع أتباع الانبياء من المسلمين واليهود والنصارى قد أجمعوا على ان نوحا هو الاب الثاني للبشر وان العقب من آدم عليه السلام انحصر فيه ومنه ذرا الله جميع أولاد آدم فليس أحد من بني آدم الا هو من أولاد نوح وخالف القبط والمجوس وأهل الهند والصين ذلك فانكروا الطوفان وزعم بعضهم ان الطوفان انما حدث في اقليم بابل وما وراءه من البلاد الغربية فقط وان أولاد كيو مرت الذي هو عندهم الانسان الاول كانوا بالبلاد الشرقية من بابل فلم يصل الطوفان اليهم ولا الى الهند والصين والحق ما عليه أهل الشرائع وان نوحا عليه السلام لما أنجاه الله ومن معه بالسفينة نزل بهم وهم غمانون رجلا سوى أولاده فماتوا بعد ذلك ولم يعقبوا وصار العقب من نوح في أولاده الثلاثة وبو يدها قول الله تعالى عن نوح وجعلنا ذريتهم الباقين

كفروا سبقوا أي فاتوا فلا تقدر عليهم بل هم تحت قهر قدرتنا وفي قبضة مشيئتنا فلا يعجزوننا كقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون أي يظنون وقوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض وما وأهم النار ولئس المصير وقوله تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ثم أمر تعالى باعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والامكان والاستطاعة فقال وأعدوا لهم ما استطعتم أي مهما أمكنكم من قوة ومن رباط الخيل قال الامام أحمد حدثنا هرون بن معروف حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحرث عن ابي علي ثمامة بن شفي أخى عقبة بن عامر انه سمع عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة لان القوة الرمي لان القوة الرمي رواه مسلم عن هرون بن معروف وأبو داود عن سعيد بن منصور وابن ماجه عن يونس بن عبد الاعلى ثلاثتهم عن عبد الله بن وهب به ولهذا الحديث طرق آخر عن عقبة بن عامر منها رواه الترمذي من حديث صالح بن كيسان عن رجل عنه وروى الامام أحمد وأهل السنن عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارمواوا ركبا وان ترموا اخيرين أن تركبوا وقال الامام مالك عن زيد بن اسلم عن ابي صالح السمان عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل لثلاثة رجل أجر ورجل ستر وعلى رجل

وزرقاً ما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فاطال لها في مريح اور وروضة فما أصابت في طيلها ذلك من المريح أو الروضة كانت له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنتت شرفاً وشرفين كانت آثارها واوراؤها حسنات له ولو أنها مريت بنهر فمريت منه ولم يرد أن يسقى به كان ذلك حسنات له فهي لذلك الرجل أجر ورجل ربطها تغنياً وتعقفاً ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي له ستر ورجل ربطها خيراً ورياءً ونواً فهي على ذلك وزر وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجرف فقال ما أنزل الله على فيها شيئاً الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ورواه البخاري وهذا القظه ومسلم كلاهما من حديث مالك وقال الامام أحمد حدثنا حجاج أخبرنا شريك عن الدكين بن الربيع عن القاسم بن حسان عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاثة ففرس للرجن وفرس للشيطان وفرس للانسان فامارس الرجن فالذي يربط في سبيل الله فعلقه وروثه وبوله وذكراً ماشاء الله وأما فرس الشيطان فالذي يقامر أو يراهن عليها وأما فرس الانسان فالفرس يربطها الانسان يلبس بطنها فهي ستر من الفقر وقد ذهب أكثر العلماء الى أن الرمي أفضل من ركوب الخيل وذهب الامام مالك الى ان الركوب أفضل من الرمي وقول الجمهور أقوى للحديث والله أعلم وقال (٣٣٢) الامام أحمد حدثنا حجاج وشمام قالوا حدثنا ثابث حدثني يزيد بن أبي حبيب

عن ابن شماس أن معاوية بن خديج مر على أبي ذر وهو قائم عند فرس له فسأله ما تعانى من فرسك هذا فقال اني أظن ان هذا الفرس قد استجيب له دعوته قال وما دعاء بهيمة من البهائم قال والذي نفسي بيده ما من فرس الا وهو يدعو كل سحر فيقول اللهم أنت خولتني عبداً من عبادك وجعلت رزقي بيده فاجعلني أحب اليه من أهله وماله وولده قال وحدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الحميد بن جعفر حدثني يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس عن معاوية بن خديج عن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس من

انتهى وقد أطبق علماء البلاغة على ان هذه الآية الشريفة بالغنة من الفصاحة والبلاغة الى محل يتقاصر عن الوصف وتضعف عن الاتيان بما يقاربه قدرة القادرين على فنون البلاغة الثابتين الاقدام في علم البيان الراستخين في اللغة المطلعين على ما هو مدون من خطب مصارع خطباء العرب واشعار بواقع شعرا ثم المتراضين بدقائق علوم العربية واسرارها قال الصاوي وسليمان الجمل قال بعضهم هذه الآية تبلغ آية في القرآن باحتوائها على احدى وعشرين نوعاً من أنواع البديع والحال ان كلماتها تسعة عشر انتهى قلت وقد تعرض لبيان ما اشتملت عليه من ذلك جماعة فاطواوا وطابوا وارجنا الله واياهم برحمته الواسعة منهم أبو حيان محمد بن يوسف الامام الاندلسي في تفسيره المسمى بالنهر الماد من المحيط ذكر فيه احدى وعشرين نوعاً من البديع وكذا السيد محمد بن اسمعيل ابن صلاح الامير في رسالته المسماة بالنهر المورود في تفسير آية هود وهو المناسبة والمطابقة والمجاز والاستعارة والاشارة والتمثيل والارداف والتعليل وصحة التقسيم والاحتراس والايضاح والمساواة وحسن النسق والايجاز والتسهم والتهديب وحسن البيان والتمكين والتجنيس والمقابلة والنم والوصف وبسط في بيان هذه الانواع اتم ببسط وقال هذا كله نظر في الآية من جانب البلاغة واما النظر فيها من جانب الفصاحة المعنوية فهي كما ترى نظم للمعاني لطيف سديد وتأدية لها

ملخصة

فرس عربي الا يؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين يقول اللهم انك خولتني من خولتني من بنى آدم

فاجعلني من أحب أهله وماله اليه وأحب أهله وماله اليه رواه النسائي عن عمرو بن علي الفلاس عن يحيى القطان به وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا الحسين بن اسحق التستري حدثنا هشام بن عمار حدثنا يحيى بن حزمة حدثنا المطعم بن المقدم الصنعاني عن الحسن بن ابى الحسن انه قال لابن الحنظلية يعني سهلاً حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة وأهلها معانون عليها ومن ربط فرساً في سبيل الله كانت النفقة عليه كلما يديه بالصدقة لا يقبضها والاحاديث الواردة في فضل ارتباط الخيل كثيرة وفي صحيح البخاري عن عروة بن أبي الجعد الباري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والمغنم وقوله ترهبون أي تخوفون به عدو الله وعدوكم أي من الكفار وآخرين من دونهم قال مجاهد يعني بنى قريظة وقال السدي فارس وقال سفيان الثوري قال ابن غانم الشياطين التي في الدور وقد ورد حديث بمثل ذلك قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عتبة أحمد بن الفرغ الحنصلي حدثنا أبو حيوه يعني شريح بن يزيد المقرئ حدثنا سعيد بن سنان عن ابن غريب يعني يزيد بن عبد الله بن غريب عن ابيه

عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في قول الله تعالى وآخري من دونهم لاعلمونهم قال هم الجن ورواه الطبراني عن ابراهيم بن الحليم عن ابيه عن محمد بن شعيب عن سنان بن سعيد بن سنان عن يزيد بن عبد الله بن غريب وزاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخجل بيت فيه عتيق من الخيل وهذا الحديث منكر لا يصح اسناده ولا متنه وقال مقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم هم المنافقون وهذا أشبه الاقوال ويشهد له قوله تعالى ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم وقوله وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون أي مهمما أنفقتم في الجهاد فإنه يوفى اليكم على التمام والكمال ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود ان الدرهم يضاعف ثوابه في سبيل الله الى سبعمائة ضعف كما تقدم في قوله تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدستكي حدثنا أبي عن ابيه حدثنا الأشعث بن اسحق عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لا يأمر ان يتصدق الا على أهل الاسلام حتى نزلت وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم (٣٣٣) فأمر بالصدقة بعدها على كل من سألك

من كل دين وهذا أيضا غريب (وان جنحو السلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا أن يخذعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألفت بينهم انه عزيز حكيم) يقول تعالى اذا خفت من قوم خيانة فانبد اليهم عهدهم على سواء فان استمروا على حربك ومنابتك فقاتلهم وان جنحو أي مالوا السلم أي المسالمة والمصالحة والمهادنة فاجنح لها أي فليها واقبل منهم ذلك ولهذا الما طلب المشركون عام الحديبية الصلح ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين أجابهم الى ذلك مع ما اشترطوا من الشروط الاخر وقال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا فضيل بن سليمان يعني النخعي حدثنا محمد بن أبي يحيى عن اياس بن عمر والاسلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيكون اختلاف أو أمر فان استطعت ان يكون السلم فافعل وقال مجاهد نزلت في بني قريظة وفيه نظر لان السياق كله في وقعة بدر وروى كرها ما كتف لهذا كله وقال ابن عباس ومجاهد وزيد بن اسلم وعطاء الخراساني وعكرمة والحسن وقتادة ان هذه الآية منسوخة بآية السيف في براءة قاتلو الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وفيه نظر أيضا لان آية براءة فيها الامر بقتالهم اذا أمكن ذلك فاما اذا كان العدو كئيفا فإنه يجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة وكما فعل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص والله أعلم وقوله وتوكل على الله أي صالحهم وتوكل على الله فان الله كافيك وناصرك ولو كانوا يريدون بالصلح خديعة ليقوا ويستعدوا فان الله حسبك أي كافيك وحده ثم ذكر نعمته عليه بما أيد به من المؤمنين المهاجرين والانصار فقال هو الذي أيدك بنصره وبالؤمنين وألف بين قلوبهم أي جمعها على الايمان بك وعلى طاعتك ومناصرتك وهو ازرتك لو أنفقت مافي الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم أي لما كان بينهم من

ملخصة مبنية لا تعقيد يعثر الفكري في طلب المراد ولا التواء يشيك الطريق على المتراد بل ألفاظها تسابق معانيها ومعانيها تسابق ألفاظها وأما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية فالفاظها على ما ترى عربية أصلية مستعملة تجارية على قانون اللغة سليمة عن التنافر بعدة عن الشاعة عذبة على العذبات سلسلة على الاسلات كل منها كالماء في السلاسة وكالعسل في الخلاوة وكل نسيم في الرقة انتهى قلت النظر في هذه الآية من أربع جهات الاول من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز وغيره كما تقدمت الاشارة اليه والثاني من جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها والثالث والرابع من جهة الفصاحة المعنوية واللفظية كما تقدم وقد ذكر طرفا من هذه الجهات الرابع النسبي في المدارك ثم قال ومن ثم أطبق المعاندون على ان طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثل هذه الآية والله درشان التنزيل لا يتأمل العالم آية من آياته الا أدرك لطائف لانسع الحصر ولا تظن الآية مقصورة على المذكور ففعل المتروك أكثر من المستور انتهى قال القاضي والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال قال الخفاجي هذه الآية حوت من البلاغة أمر اعجب ابتزاز قص الرؤس له طربا وما اشتمت عليه من الفصاحة والنكات مفصل في شرح المفتاح وقال أبو السعود ولقد بلغت الآية الكريمة

العداوة والبغضاء فان الانصار كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية بين الاوس والخزرج وأمور يلزم منها التسلسل في الشر حتى قطع الله ذلك بنور الايمان كما قال تعالى واذ كر وانهمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب الانصار في شأن غنائم حنين قال لهم يا معشر الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وعااله فأغنناكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله آمن ولهذا قال تعالى ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم أي عزيز الجناح فلا يخيب رجاء من توكل عليه حكيم في أفعاله وأحكامه وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ علي بن بشر الصيرفي القزويني في منزلنا أنبأنا أبو عبد الله محمد بن الحسن القنديلي الاسراباذي حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن النعمان الصفار حدثنا ميمون بن الحكم حدثنا بكر بن الشروذ عن محمد بن مسلم الطائفي عن ابراهيم بن ميسرة عن طاوس عن ابن عباس قال قرابة الرحم تقطع ومنه النعمة تكفروا لم ير مثل تقارب القلوب يقول الله تعالى لو أنفقتم ما في الارض جميعا ما ألقت بين قلوبهم وذلك موجود في الشعر (٢٣٤) اذابت ذوق ربى اليك بركة * فغسلك واستغنى فليس بندي رحم

ولكن ذا القربى الذي ان دعوته أجاب وان يرمى العدو والذي ترمى قال ومن ذلك قول القائل ولقد صحبت الناس ثم سببتهم وبلوت ما وصلوا من الاسباب فاذا القرابة لا تقرب قاطعا واذ المودة أقرب الاسباب قال البيهقي لأدري هذا موصولا بكلام ابن عباس أو هو من قول من دونه من الرواة وقال أبو اسحق السيبعي عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه سمعه يقول لو أنفق ما في الارض جميعا ما ألقت بين قلوبهم الآية قالهم المتحابون في الله وفي رواية نزلت في المتحابين في الله ورواه النسائي والحاكم

من مراتب الامحاز فاصيبتها وملكت من غرر المزايا ناصيتها وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون واهمري ان ذلك فوق ما يصفه الواصفون فخري بنان نوجز الكلام في هذا الباب ونفوض الامر الى تأمل أولى الالباب والله عنده علم الكتاب (ونادى نوح ربه) أي دعاه والظاهر ان هذا النداء كان قبل سيرها لانه سؤال في نجاة ابنه ولا معنى للسؤال الا عند امكان النجاة والمراد انه أراد دعاه بدليل الغاء في قوله (فقال رب ان ابني من أهلي) وعطف الشيء على نفسه غير سائغ فلا بد من التقدير المذكور قاله الزمخشري وقيل عطف تفسيراً وتفصيل اذ القول المذكور هو عين النداء فهو مر تبط في المعنى بقوله ونادى نوح ابنه والمعنى انه من الاهل الذين وعدتني بتحييتهم بقولك وأهلك فان قيل كيف طلب نوح عليه السلام انجازه ما وعدته الله بقوله وأهلك وهو المستثنى منه وترك ما يفيد الاستثناء وهو الا من سبق عليه القول فيجاب بأنه لم يعلم اذ ذلك انه ممن سبق عليه القول فانه كان يظنهم من المؤمنين (وان وعدك الحق) الصدق الذي لا خلف فيه وهذا منه (وأنت أحكم الحاكمين) أي أنتن المتقنين لما يكون به الحكم فلا يتطرق الى حكمك نقض وقيل أراد به أعلمهم وأعدلهم أي أنت أكثر علما وعدلا من ذوى الحكم وقيل ان الحكم بمعنى ذى الحكمة كدار عثم أجاب الله سبحانه عن نوح ببيان ان ابنه غير داخل في عموم الاهل وانه خارج بقيد الاستثناء (قال يا نوح انه) يعني هذا الابن الذي

في مستدركه وقال صحيح وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر بن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال ان الرحم لتقطع سألتني وان النعمة لتكفروا والله اذا قارب بين القلوب لم يزرحها شي ثم قرأوا أنفق ما في الارض جميعا ما ألقت بين قلوبهم رواه الحاكم أيضا وقال أبو عمرو الاو زاعي حدثني عبدة بن أبي لبابة عن مجاهد واقبته وأخذ يدي فقال اذا التقي المتحابان في الله فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك اليه تحاتت خطاياهما كما تحات ورق الشجر قال عبدة فقلت له ان هذا اليسير فقال لا تغل ذلك فان الله يقول لو أنفق ما في الارض جميعا ما ألقت بين قلوبهم قال عبدة فعرفت انه أفتقه مني قال ابن جرير حدثنا أبو بكر ييب حدثنا ابن يمان عن ابراهيم الجزري عن الوليد بن أبي مغيث عن مجاهد قال اذا التقي المسلمان فتصافحا غفر لهما قال قلت لمجاهد بصاحفة يغفر لهما قال مجاهد أما سمعته يقول لو أنفق ما في الارض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم فقال الوليد لجاهد انت اعلم مني وكذا روى طلحة بن مصرف عن مجاهد وقال ابن عون عن عمير بن اسحق قال كنا نتحدث ان أول ما يرفع من الناس الالفة وقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن احمد الطبراني رحمه الله حدثنا الحسين بن اسحق التستري حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا سالم بن غيلان سمعت جعدا أباعثمان حدثنا أبو عثمان النهدي عن سلمان الفارسي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المسلم اذ التى أخاه

المسلم فاخذ سيده تحات عنهم ما ذنوبهم ما كما تحات الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف والاعقر لهم ما ولو كانت ذنوبهم ما
 مثل زبد البحر (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك عن المؤمنين يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون
 صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الا ان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم
 ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين) يحرض تعالى نبيه
 صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على القتال ومناجزة الاعداء ومبارزة الاقران ويخبرهم انه حسبهم أي كافيتهم وناصرهم ومؤيدهم على
 عدوهم وان كثرت أعدادهم وترادفت أمدادهم ولوقل عدد المؤمنين قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم حدثنا عبد
 الله بن موسى أنبأ ناسفان عن ابن شوذب عن الشعبي في قوله يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال حسبك الله
 وحسب من شهد معك قال وروى عن عطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد مثله ولهذا قال يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال
 أي حثهم وذصرهم عليه ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرض على القتال عند ضعفهم ومواجهة العدو كما قال لاصحابه
 يوم بدر حين أقبل المشركون في عددهم وعددهم قوموا (٣٢٥) الى الجنة عرضها السموات والارض فقال

عمر بن الخطاب عرضها السموات
 والارض فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم نعم فقال بئح فقال
 ما يحملك على قولك بئح قال رجاء
 ان أكون من أهلها قال فانك من
 أهلها فتقدم الرجل فكسر جفن
 سيفه وأخرج عثرات فجعل يأكل
 منهن ثم التى بقيتين من يده وقال
 لئن انا حيت حتى آكلهن انها الحياة
 طويولة ثم تقدم فقاتل حتى قتل
 رضى الله عنه وقد روى عن سعيد
 ابن المسيب وسعيد بن جبيران هذه
 الآية تزالت حين أسلم عمر بن الخطاب
 وكل به الاربعون وفي هذا نظر لان
 هذه الآية مدينة واسلام عمر كان
 بمكة بعد الهجرة الى أرض الحبشة

سألتني نجاته (ليس من أهلك) الذين آمنوا بك وتابعدوك ومن أهل دينك وان كان من
 أهلك باعتبار القرابة قال عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأكبر المفسرين انه ابن نوح
 من صلبه وهو الصحيح وعن ابن عباس قال ما بغت امرأة نبي قط وان الله نص عليه بقوله
 ونادى نوح ابنة نوح أيضا نص عليه بقوله يا بني ولا يجوز صرف الكلام عن الحقيقة الى
 المجاز من غير ضرورة وقيل المعنى انه ليس من الذين وعدت ان أنجيهم معك وانما
 خالف هذا الظاهر من خالفه لانه استبعد ان يكون ولد نبي كافر وهذا خطأ ممن قاله لان
 الله يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ولا فرق في ذلك بين الانبياء وغيرهم فان
 الله سبحانه قد أخرج قاييل من صلب آدم وهو نبي وكان كافرا وأخرج ابراهيم
 وهو نبي من صلب آزر وكان كافرا فكذلك أخرج كنعان من صلب نوح وهو كافر فهو
 المتصرف في خلقه كيف شاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ثم صرح بالعله الموجبة
 لخروجه من عموم الاهل الميمنة له بان المراد بالقرابة قرابة الدين لا قرابة النسب وحده
 فقال (انه عمل غير صالح) قرأ الجمهور عمل على لفظ المصدر وقرئ على لفظ الفعل ومعنى
 الاولى المبالغة في ذمه كأنه جعل نفس العمل وأصله ذو عمل غير صالح كذا قال أبو اسحق
 الزجاجي وأبو علي الفارسي وابن النباري والواحدى وعبارة الصاوي ان الضمير عائذ الى
 الولد ويقال في الاخبار عنه بعمل ما قيل في زيد عدل وهو الراجح انتهى ومعنى الثانية

وقبل الهجرة الى المدينة والله أعلم ثم قال تعالى مبشر للمؤمنين وأمر ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن
 منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا كل واحد بعشرة ثم نسخ هذا الامر وبقيت البشارة قال عبد الله بن المبارك حدثنا جابر
 ابن حازم حدثني الزبير بن الخريت عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك
 على المسلمين حين فرض الله عليهم ان لا يفر واحد من عشرة ثم جاء التخييف فقال الا ان خفف الله عنكم الى قوله يغلبوا مائتين قال
 خفف الله عنهم من العدة ونقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم وروى البخاري من حديث المبارك نحوه وقال سعيد بن منصور
 حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس في هذه الآية قال كتب عليهم ان لا يفر عشرون من مائتين ثم خفف الله عنهم فقال
 الا ان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فلا ينبغي لمائة ان يفروا من مائتين وروى البخاري عن علي بن عبد الله عن سفيان به
 نحوه قال محمد بن اسحق حدثني ابن أبي شيحة عن عطاء عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية ثقل على المسلمين وأعظموا ان يقاتل
 عشرون مائة ومائة ألنا تخفف الله عنهم فنسخها بالآية الاخرى فقال الا ان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الآية
 فكانوا اذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينسخ لهم ان يفروا من عدوهم واذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجازلهم
 ان يتجاوزوا عنهم وروى علي بن أبي طلحة والعمري عن ابن عباس نحو ذلك قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد وعطاء وعكرمة

والحسن وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني والضحك وغيرهم نحو ذلك وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث المسيب بن شريك عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله ان يكن منكم عشر من صابرون يغلبوا ما تشين قال نزلت فينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وروى الحاكم في مستدرکه من حديث ابن عمرو بن العلاء عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً رفع ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه (ما كان لني ان يكون له اسرى حتى يثن في الارض تري دون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم) قال الامام أحمد حدثنا علي بن عاصم عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال استشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس في الاسارى يوم بدر فقال ان الله قد أمكنكم منهم فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد النبي صلى الله عليه وسلم فقال للناس مثل ذلك فقام (٢٣٦) أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال يا رسول الله تری أن تعفو

ظاهر أى انه عمل عملا غير صالح وهو كفره وعدم متابعتة لايه قاله أبو علي قال الصاوي أشار السيبوطي الى ان الضمير في انه عائد الى نوح علي حذف مضاف والمعنى قال الله له يا نوح ان سؤالك عمل غير مقبول انتهى ويؤيده ما قال ابن عباس بقول مسألتك اباي يا نوح عمل غير صالح لا أرضاه لك ثم نهاه عن مثل هذا السؤال فقال (فلا تسألن ما ليس لك به علم) أى ما لا تعلم أصواب هو فتسأل عنه أم ليس كذلك فتتركه وهو وان كان نهيا عاما بحيث يشمل كل سؤال لا يعلم صاحبه ان حصوله مطلوب منه صواب فهو يدخل تحته سؤاله هذا دخولا أوليا وفيه عدم جواز الدعاء بما لا يعلم الانسان مطابقتة للشرع وسمى دعاءه سؤال التضمنه معنى السؤال باعتبار استخارته في شأن ولده (انى أعظك) من (ان تكون من الجاهلين) أى أحذرك وأنهاك ان تكون جاهلا فتسأل مثل ما يسألون كقوله يعظكم الله ان تعودوا المثلثة أبدا وسمى سؤاله جهلا لان حب الولد شغله عن تذكرة استثناء من سبق عليه القول منهم بالاهلاك قاله الكرخي وقيل المعنى أرفعت ان تكون منهم قال ابن العربي وهذه زيادة من الله وهو عظة يرفع بها نوحا عن مقام الجاهلين ويعليه بها الى مقام العلماء العاملين ثم علم نوح بان سؤاله لم يطابق الواقع وان دعاءه ناشئ عن وهمهم كان يتوهم باذرائى الاعتراف بالخطا وطلب المغفرة والرجة (وقال رب انى أعوذ بك) أى الخأليك واعتذر من (ان أسألك ما ليس لى به علم) أى أطلب

عنهم وأن تقبل منهم الفداء قال فذهب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل منهم الفداء قال وأنزل الله عز وجل لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقد سبق في أول السورة حديث ابن عباس وفي صحيح مسلم بنحو ذلك وقال الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء الاسارى فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستبتهم لعل الله ان يتوب عليهم وقال عمر يا رسول الله كذبوا وأخزجوا فقد همهم

فاضرب أعناقهم وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انت في واد كثير الحطب فاضرم الوادى نارا ثم ألقهم فيه قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا ثم قام فدخل فقال ناس تأخذ بقول أبي بكر وقال ناس تأخذ بقول عمر وقال ناس تأخذ بقول عبد الله بن رواحة ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون آيين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبابكر كمثل ابراهيم عليه السلام قال فمن تبعني فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم وان مثلك يا أبابكر كمثل عيسى عليه السلام قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم وان مثلك يا عمر كمثل موسى عليه السلام قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وان مثلك يا عمر كمثل نوح عليه السلام قال رب لا تدع على الارض من الكافر من ديار انتم عائلة فلا يتفكروا أحد منهم الا بفضاء أو ضرب به عنق قال ابن مسعود قلت يا رسول الله الاسهيل بن بيضاء فانه يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأتني في يوم أخوف من ان تقع على تجارة من السماء منى في ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسهيل ابن بيضاء فانزل الله عز وجل ما كان لني ان يكون له أسيرى الى آخر الآية رواه الامام أحمد والترمذي من حديث أبي معاوية

منك

عن الاعمش به والحاكم في مستدركه وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه عن عبد الله بن عمرو وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وفي الباب عن أبي أيوب الانصاري وروى ابن مردويه أيضا واللفظ له والحاكم في مستدركه من حديث عبيد الله بن موسى حدثنا اسرائيل عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم لما أسر الاسارى يوم بدر أسر العباس فيمن أسر أسره رجل من الانصار قال وقد أوعده ان الانصار ان يقتلوه فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لم أتم اللدلة من أجل عمي العباس وقد زعمت الانصار أنهم قاتلوه فقال له عمر أقاتمهم فقال نعم فأتى عمر الانصار فقال لهم أرسلوا العباس فقلوا لا والله لا نرسله فقال لهم عرفان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم رضى قالوا فان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم رضى فخذوه فخذوه عمر فلما صار في يده قال له يا عباس أسلم فوالله لئن تسلمت أحب إلى من أن يسلم الخطاب وما ذاك الا لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمجحه اسلامك قال واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ففهم فقال أبو بكر عسرتك فارس لهم فاستشار عمر فقال اقتلهم ففاداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزله الله ما كان نبي أن يكون له أسرى الآية قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال سنيان الثوري (٢٢٧) عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين

عن عبيدة عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خيرا أصحابك في الاسارى ان شاؤا الفداء وان شاؤا القتل على أن يقتل عاما مقبلا منهم مثلهم قالوا الفداء ويقتل منارواه الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه من حديث الثوري به وهذا حديث غريب جدا وقال ابن عون عن عبيدة عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى يوم بدر ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتهم واستغنيتم بالفداء واستشهد منكم بعدتهم قال فكان آخر السبعين ثابت بن قيس قتل يوم اليمامة رضى الله عنه

منك بعد ذلك ما اعلم لي بصحته وجوازه (والا تغفر لي) ذنب ما دعوت به على غير علم مني وجهلي واقدمي عليه (وترجني) برحمتك التي وسعت كل شيء فتقبل توبتي (أكن من الخاسرين) في أعمالي فلا أربح فيها وليس في الآية ما يقتضى صدور ذنب ومعصية من نوح سوى تأويله واقدمه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنوب ولا معصية وقال الخطيب أخطأ في ذلك الاجتهاد كما وقع لا دم في الاكل من الشجرة فلم يصد منه الا هذه الزلة (قيل يا نوح) القائل هو الله والملائكة (اهبط) أى انزل من السفينة الى الارض أو من الجبل الى المنخفض منها فقد بعثت الارض ماء ووجفت (بسلام منا) أى بسلامة وامن وقيل بحبوة وعظمة كما قال سلام على نوح في العالمين وذلك ان العرق لما كان عاما في جميع الارض فعند ما خرج من السفينة علم انه ليس في الارض شيء يتفجع به من النبات والحيوان فكان كالتخائف انه كيف يعيش وكيف يدفع جهات الحاجات عن نفسه من الماء كقول المشروب فلما قال الله ذلك زال عنه الخوف لان السلامة لا تكون الا مع الامن وسعة الرزق ثم أرفقه الله تعالى بالبركة بقوله (وبركات) أى خيرات نامية ونعم ثابتة باقية داخلة في نسلك وما يقوم به معاشك ومعاشهم من أنواع الارزاق والبركة مشتق من برؤك الجبل وهو ثبوته ومنه البركة لشبوت الماء فيها (عليك) وفي هذا الخطاب دليل على قبول توبته ومغفرة ذنبه وخلصه من الخسران واعلامه وبشارة من الله تعالى

(٤٣ - فتح البيان ح) ومنهم من روى هذا الحديث عن عبيدة مر سلا فأنه أعلم وقال ابن اسحق عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس ما كان نبي أن يكون له أسرى فقرا حتى باع عذاب عظيم قال غنم بدر قبل أن يحلها لهم يقول لولا أنى لأعذب من عصاني حتى أتقدم اليه لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وكذا روى ابن أبي نجيح عن مجاهد وقال الاعمش سبق منه أن لا يعذب أحد اشهد بدرا وروى نحوه عن سعد بن أبي وقاص وسعد بن جبير وعطاء وقال شعبة عن أبي هاشم عن مجاهد لولا كتاب من الله سبق أى لهم بالمغفرة ونحوه عن سفيان الثوري رحمه الله وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله لولا كتاب من الله سبق يعنى في أم الكتاب الاول ان المغانم والاسارى حلال لكم لمسكم فيما أخذتم من الاسارى عذاب عظيم قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا الآية وكذا روى العوفي عن ابن عباس وروى مثله عن أبي هريرة وابن مسعود وسعد بن جبير وعطاء والحسن البصرى وقتادة والاعمش أيضا ان المراد لولا كتاب من الله سبق لهذه الامة باحلال الغنائم وهو اختيار ابن جرير رحمه الله ويستشهد لهذا القول بما أخرجه في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر و جعلت لى الارض مسجد او طهورا وأحللت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه ويبعث الى الناس عامة وقال الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله

عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنائم لسود الرؤس غيرنا ولهذا قال تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا الآية
 فعند ذلك أخذوا من الاسارى الفداء وقد روى الامام أبو داود في سننه حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العسبي حدثنا اسفيان بن حبيب
 حدثنا شعبة عن أبي العنبر عن أبي الشعثاء عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربع مائة
 وقد استمر الحكم في الاسرى عند جمهور العلماء ان الامام مخير فيهم ان شاء قتل كما فعل بيني قرظقة وان شاء فادى عمال كما فعل بأمرى
 بدر أربعين أسير من المسلمين كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الجارية وابنتها اللتين كانتا في سبي سلمة بن الأكوع حيث رد هما
 وأخذ في مقابلتهما من المسلمين الذين كانوا عند المشركين وان شاء استرق من أسر هذا مذهب الامام الشافعي وطائفة من العلماء
 وفي المسئلة خلاف آخر بين الأئمة مقرر في موضعه من كتب الفقه (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم
 خيرا يؤتوكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا حياتكم فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم
 حكيم) قال محمد بن اسحق حدثني العباس بن عبد الله بن مغنل عن بعض أهله عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر اني قد عرفت (٢٣٨) ان أناسا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لاجل حاجتهم بقمنا لما نرى اني

منكم أحدا منهم أى من بني هاشم
 فلا يقتله ومن لقي أبا الجحدي بن
 هشام فلا يقتله ومن لقي العباس بن
 عبد المطلب فلا يقتله فانه انما
 أخرج مستكرا فقال أبو حذيفة
 ابن عتبة أن قتل آباءنا وأبناءنا
 وأخوانا وعشائرنا وترك العباس
 والله لئن لقيته لالجنه بالسيف
 فبلغت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال لعمر بن الخطاب يا أبا
 حفص قال عمر والله انه لأول يوم
 كئني فيه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أبا حفص أضرب وجه عم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بالسيف فقال عمر يا رسول الله ائذن
 لي فأضرب عنقه فوالله لقد ناقق
 فكان أبو حذيفة يقول بعد ذلك

بفيضان أنواع الخير ان عليه في كل ما يأتي وما يذر (وعلى أمم) ناشئة وهم المشعبون (ومن
 معك) أى من ذرية من كان معك في السفينة وهى الامم الى آخر الدهر قيل الذين كانوا
 معه في السفينة لم يعقب أحد منهم الا اولاد نوح الثلاثة فانحصر النوع الانساني بعد
 نوح في ذريته ولذلك يقال انه آدم الصغير وقد كان بينه وبين آدم ألف سنة وثمانية أجداد
 فالمراد من هذه الآية تقسيم ذرية اولاد نوح الى فريق مؤمن وفريق كافر لا تقسيم من
 كان معه في السفينة اذ كانوا كلهم مؤمنين قال أبو السعود ويجوز ان تكون من
 بيانية أى وعلى أمم هم الذين معك وانما سموهم بالأمم لانهم أمم متجزئة وجماعات متفرقة
 اولان جميع الامم انما تشعبت منهم فينتد يكون المراد بالامم المشار اليهم في قوله (وأمم
 ستمتعهم) بعض الامم المتتعبة منهم وهى الامم الكافرة المناسبة لهم الى يوم القيامة
 ويقتضى أمر الامم المؤمنة الناشئة منهم ما غير متعرض له ولا مدلول عليه ومع ذلك ففي
 دلالة المذكور على خبره المحذوف خلفا لان المذكور بيانية والمحذوف تبعيضية
 أو ابتدائية فتأمل اه قيل أراد الله سبحانه بهذا الامم الذين كانوا معه من صار مؤمنا
 من ذريتهم وأراد بقوله وأمم ستمتعهم من صار كافرا من ذريتهم الى يوم القيامة والتقدير
 ومنهم أمم أو يكون أمم والمعنى ستمتعهم في الدنيا بما فيها من المتاع ونعطيهم منها ما يعيشون
 به (ثم يمسهم منها) في الآخرة أو في الدنيا (عذاب أليم) وعن الضحاك قال وعلى أمم من

معك

والله ما آمن من تلك الكلمة التي قلت ولا ازال منها خائفا الا ان يكفرها الله تعالى عني

بشهادة قتل يوم القيامة ثم يهدى الله عنه ويدين عن ابن عباس قال لما أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر والاسارى
 محبوسون بالوثاق بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ساهرا أول الليل فقال له أصحابه يا رسول الله مالك لا تنام وقد أسرا العباس رجل
 من الانصارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت أئين عى العباس في وثاقه فأطلقوه فسكت فنام رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال ابن اسحق وكان أكثر الاسارى يوم بدر فداء العباس وذلك انه كان رجلا موسرا فافتدى نفسه بمائة أوقية ذهب وفي صحيح
 البخارى من حديث موسى بن عقبه قال ابن شهاب حدثنا أنس بن مالك أن رجلا من الانصار قالوا يا رسول الله ائذن لنا فلنترك لابن
 أختنا عباى فداء قال لا والله لا نذرون منه درهما وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان عن عروة وعن الزهري
 عن جماعة سماهم قالوا بعثت قرظ في فداء أسراهم ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا وقال العباس يا رسول الله قد كنت مسلما فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم باسلامك فان يكن كما تقول فان الله يجزيك وأما ظاهره فقد كان علينا فاقتدى بنفسك وابنى أخيك
 بوفى بن الحرث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب وحليفك عتبة بن عمرو وأبنى الحرث بن فهر قال ما ذلك عندي

يارسول الله قال فإني المال الذي دفتته أنت وأم النضل فقلت لها ان أصبت في سفري هذا فهذا المال الذي دفتته ابني الفضل وعبد الله وقتم قال والله يارسول الله اني لاعلم انك رسول الله ان هذا الشيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل فاحسب لي يارسول الله ما أصبتم مني عشرين أو قيمة من مال كان معي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ذاك شيء أعطانا الله تعالى منذ فتدي نفسه وابني أخويه وحليفه فأنزله عز وجل فيه يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الامرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم قال العباس فأعطاني الله مكان العشرين الاوقية في الاسلام عشرين عبدا كلهم في يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله عز وجل وقد روى ابن اسحق أيضا عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس في هذه الآية بنحو مما تقدم وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا ابن ادريس عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال قال العباس في تزات ما كان لني أن يكون له أسرى حتى يثنى في الارض فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بالاسلام وسألته أن يحاسبني بالعشرين الاوقية التي أخذتني فأبديني الله بها عشرين عبدا كلهم تاجر مالي في يده وقال ابن اسحق أيضا حدثني الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال كان العباس بن عبد المطلب يقول في تزات (٢٣٩) والله حين ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسلامي ثم ذكرني والحدِيث كالذي

معك - يعنى عن لم يولد أو جب الله لهم البركات لماس - بق لهم في علم الله من السعادة وأمر سمعهم يعنى متاع الحياة الدنيا لماس - بق لهم في علم الله من الشقاوة قال محمد بن كعب القرظى دخل في ذلك السلام والبركات كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة ودخل في ذلك العذاب الايم كل كافر وكافرة الى يوم القيامة وعن ابن زيد هبطوا والله رائس عنهم ثم أخرج منهم نسلا منهم من رحم الله ومنهم من عذب وقيل المراد بالام المتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب وبالعذاب ما نزل بهم والى هنا انتهت قصة نوح عليه السلام (تلك) أى قصة نوح وهو مبتدأ (من أنباء الغيب) خبره أى من جنسها والانباء جمع نبا وهو الخبر أى اخبار الغيب التي حرت بك في هذه السورة (نوحيا) أى القصة (اليد) خبر ثان والنجى بالمضارع لاستحضار الصورة (ما كنت) يا محمد (تعلمها أنت) تفصيلا خبر ثالث والا كانت مشهورة عند كل القرون لكن اجمالا (ولا) يعلمها (قومك) يعنى العرب بل هي مجهولة عندكم وفي ذكركم تبيسه على انه لم يتعلمه اذ لم يخاطب غيرهم وانهم مع كثرتهم لم يسمعه فكيف بواحد منهم (من قبل هذا) أى الوحي أو القرآن أو من قبل هذا الوقت (فاصبر) على ما تلاقيه من كفار زمانك كما صبر نوح على أذى قومه والنساء لتفريع ما بعدها على ما قبلها (ان العاقبة) المحمودة في الدنيا والاخرة (للمتقين) لله المؤمنين بما جاءت به رسوله وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ضعف وقال ويغفر لكم وارجو أن يكون قد غفرت لي وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية كان العباس أسرى يوم بدر فاقتدى نفسه بأربعين أو قيمة من ذهب فقال العباس حين قرئت هذه الآية لقد أعطاني الله عز وجل خصلتين ما أحب ان لي بهما الدنيا اني أسرت يوم بدر فتديت نفسي بأربعين أو قيمة فأتاني أربعين عبدا وانى لارجو المغفرة التي وعدنا الله عز وجل وقال قتادة في تفسير هذه الآية ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه مال البحر بن ثمانون ألفا وقد تفضل الصلاة الظهر فما أعطى يومئذ شيئا كالأحرام سائلا وما صلى يومئذ حتى فرقة فأمر العباس أن يأخذ منه ويحتسب فكان العباس يقول هذا خير مما أخذ منا وارجو المغفرة وقال يعقوب بن سفيان حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال بعث بن الحضرمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البحر بن ثمانين ألفا ما أتاه مال أكثر منه لا قبل ولا بعد قال فنثرت على حصير ونودي بالصلاة قال وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فثقل قائم على المال وجاء أهل المسجد فما كان يومئذ عدولا ولا وزن ما كان الا قبضنا وجاء العباس ابن عبد المطلب فحتماني فخصه عليه وذهب يقوم فلم يستطع قال فرفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ارفع على قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خرج ضاحكا ونابه وقال له أعد من المال طائفة وقيم بما نطبق قال ففعل

وجعل العباس يقول وهو منطلق أما احدي اللتين وعدنا الله فقد انجزنا وما ندرى ما يصنع في الاخرى يا أيها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى الآية ثم قال هذا خير مما اخدمنا وما ادرى ما يصنع الله في الاخرى فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلا على ذلك المال حتى ما بقي منه درهم وما بعث الى أهله بدرهم ثم أتى الصلاة فصلى (حديث آخر) في ذلك قال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو الطيب محمد بن محمد بن عبد الله السعيري حدثنا محمش بن عصام حدثنا حفص بن عبد الله حدثنا ابراهيم بن طهمان عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين فقال انثروه في مسجدى قال وكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى الصلاة ولم يلتفت اليهم فلما قضى الصلاة جاء مجلس اليه فما كان يرى أحدا إلا أعطاه اذ جاءه العباس فقال يا رسول الله أعطنى فاديت نفسى وفاديت عقيلاً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ فخذنى فثوبه ثم ذهب يقوله فلم يستطع فقال مر بعضهم برفعه الى قال لا قال فارفعه أنت على قال لا فثوبه ثم أحمله على كاهله ثم انطلق فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفي عنه فبجبان حرصه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم و ثم منادى بهم وقد رواه البخارى في مواضع من صحيحه تعليقا (٣٤٠) بصيغة الجزم يقول وقال ابراهيم بن طهمان ويسوقه وفي بعض السياقات

أثم من هذا وقوله وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل أى وان يريدوا خيانتك فيما أظهر والى من الاقوال فقد خانوا الله من قبل أى من قبل بدر بالكفر به فأمكن منهم أى بالاسارى يوم بدر والله عليم حكيم أى عليهم بما يفعلوه حكيم فيه قال قتادة نزلت في عبد الله بن سعد بن أبى سرح الكاتب حين ارتد ولحق بالمشركين وقال ابن جرير عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس نزلت في عباس وأصحابه حين قالوا لننحن لك على قومنا وفسرها السدى على العموم وهو أشمل وأظهر والله أعلم (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم

وتبشيره بأن الظفر للمتقين في عاقبة الامر ولا اعتبار بما ديه (و) أرسلنا الى عاد آههم هوداً) أى واحد منهم في النسب لاني الدين وهو د عطف بيان وقوم عاد كانوا عبدة أو ثان وقد تقدم مثل هذا في الاعراف وقيل هم عادان الاولى والاخرى فهو لا هم عاد الاولى من ذرية سام بن نوح وعاد الاخرى هم شداد ولقمان وقومهما المذكورون في قوله ارم ذات العماد وأصل عاد اسم رجل ثم صار اسم القبيلة كتميم وبكر ونحوهما وبين هود ونوح ثمانمائة سنة وعاش أربع مائة سنة وأربع مائة سنة سنة (قال يا قوم اعبدوا الله وحدوه ولا تشركوا معه شيئاً في العبادة (مالكم من اله غيره) في معنى العلة لما قبله قرئ غيره بالجر على اللفظ وبالرفع على محل من اله وبالنصب على الاستثناء (ان أنتم) أى ما أنتم ياخذوا لله غير الله وجعله شفعياً (الامفوتون) أى كاذبون على الله عز وجل ثم خاطبهم فقال (يا قوم لا أسألكم عليه أجراً) أى لا أطالب منكم أجراً على الذى أبلغكمم وأنصحكمم به من الارشاد الى عبادة الله وحده وانه لا اله الا هو الفصير راجع الى مضمون هذا الكلام وخاطب بهذا كل نبى قومه ازاحة لما عسى أن يتوهموه والمحاضل للصححة فانها مادامت مشوبة بالمطامع فهى بمعزل عن التأثير وقد تقدم معنى هذا في قصة نوح وقال هنا أجزا وهناك المالة ففئنا أولاد كراخزائى بعده هناك ولفظ المال بها أليق (ان أجرى الا على الذى فطرنى) أى ما أجرى انذى أطلب الامن خلقنى فهو الذى يثبني على ذلك (أقلاً

وتعقلون) وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا وأولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير) ذ كر تعالى أصناف المؤمنين وقسمهم الى مهاجرين خرجوا من ديارهم وأموالهم وجاءوا للنصر الله ورسوله واقامة دينه وبنلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك والى انصاروهم المسلمون من أهل المدينة اذ ذلك آووا واخوانهم المهاجرين في منازلهم وواسوهم في أموالهم ونصر الله ورسوله بالقتال معهم فهو لا بعضهم أولياء بعض أى كل منهم أحق بالآخر من كل أحد ولهذا آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار لكل اثنين اخوان فكانوا يتوارثون بذلك ارباباً مقدما على القرابة حتى نسخ الله تعالى ذلك بالوارث ثبت ذلك في صحيح البخارى عن ابن عباس ورواه العوفي وعلى بن أبى طلحة عنه وقاله مجاهد وعكرمة والحسن وقيادة وغير واحد قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن شريك عن عاصم عن ابى وائل عن جرير بن رهبان عن عبد الله الجبلى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والانصار بعضهم أولياء بعض والظلقاء من قريش والعنقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض الى يوم القيامة تنزله أحد وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سفيان حدثنا عكرمة يعنى ابن ابراهيم الأزدي حدثنا عاصم عن شقيق عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهاجرون والانصار والظلقاء من قريش والعنقاء من ثقيف بعضهم

أولاء بعض في الدنيا والآخرة هكذا واه في مسند عبد الله بن مسعود وقد أنبى الله ورسوله على المهاجرين والانصار في غير ما آية
في كتابه فقال والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضی الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات
تجري تحتها الانهار الآية وقال لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة الآية وقال تعالى للفقراء
المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين
تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم
خصاصة الآية وأحسن ما قيل في قوله ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا أي لا يحسدونهم على فضل ما أعطاهم الله على هجرتهم
فان ظاهر الآيات تقديم المهاجرين على الانصار وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء لا يختلفون في ذلك ولهذا قال الامام أبو بكر بن عمرو
ابن عبد الخالق البزاز في مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب
عن حذيفة قال خيرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الهجرة والنصرة فاخترت الهجرة ثم قال لانعرفه الا من هذا الوجه وقوله
تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا (٣٤١) هذا هو الصنف الثالث من المؤمنين وهم الذين آمنوا

ولم يهاجروا بل أقاموا في بلادهم
فهؤلاء ليس لهم في المغامر نصيب ولا
في خسة الاما - حضروا فيه القتال
كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع
حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد
عن سليمان بن بريدة عن أبيه عن
يزيد بن الخصب الاسلمي رضی الله
عنه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا بعث أميراً على سرية أو
جيش أو صادف في خاصة نفسه بتقوى
الله وجمعه من المسلمين خيراً
وقال اغزوا باسم الله في سبيل الله
قاتلوا من كفر بالله اذا قبضت عدوكم
من المشركين فادعهم الى ثلاث
خصال أو خلال فأيها ما أجابوك
أيها فاقبل منهم وكف عنهم ادعهم
الى الاسلام فان أجابوك فاقبل منهم

تعلقون ان أجز الناصحين انما هو من رب العالمين ثم أرشدهم الى الاستغفار والتوبة
فقال (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) أي اطلبوا مغفرتك لما سلف من ذنوبكم بفعل
الطاعة ثم توبوا اليه بالتوبة وقد تقدم زيادة بيان لمثل هذا في قصة نوح ثم رغبهم
في الايمان بالخير العاجل فقال (يرسل السماء عليكم مدراراً) أي كثير الدرور أي السيلان
والنزول والتتابع والسماء المطر يقال درت السماء تدرفهى مدراراً ولم يؤثنه لان المراد
بالسما الموثمة السحاب أو المطر كما تقدم فذكر على المعنى أو ان مفعولاً للمبالغة فيستوى
فيه المذكر والمؤنث وأن الهاء حذفت من مفعول على طريق النسب قاله مكي وكان قوم
هود أهل بساتين وزرور وعوارة وكانت مساكنهم الرمال التي بين الشام واليمن عن
الفضائل قال أمسك الله النظر عن عاد ثلاث سنين فأجذبت بلادهم وحطت بسبب
كفرهم فقال لهم هود استغفروا الآية فأبوا الايمان (ويزدكم قوة الى قوتكم) أي شدة
مضافة الى شدة نيتكم أو خصباً الى خصبكم أو عزاً الى عزكم قال الزجاج قوة في النعم وقال
عكرمة القوة الى القوة ولدا الولد وقيل كانت قد عمقت نساؤهم ثلاثين سنة لم تلد وقيل قوة
في الدين الى قوة الايدان (ولا تتولوا مجرمين) أي لا تعرضوا عما يدعوكم اليه وتقيموا على
الكفر مصرين عليه والاجرام الاثام كما تقدم ثم أجابه قومه بما يدل على فرط جهالتهم
رعظيم غباوتهم (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) أي بحجة واضحة تعمل عليها وتؤمن لك بما غير

وكف عنهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين وأعلمهم ان فعلوا ذلك ان لهم ماله المهاجرين وأن عليهم ما على المهاجرين
فان أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم انهم يكونون كاعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في النبي
والغنيمة نصيب الا ان يجاهدوا مع المسلمين فانهم أبوا فادعهم الى اعطاء الجزية فان أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم فان أبوا فاستعن
بالله وقتلهم انفرده بمسلم وعنده زيادات أخر وقوله وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الآية يقول تعالى وان استنصروكم
هو لاء الاعراب الذين لم يهاجروا في قتال ديني على عدوهم فأنصروهم فانه واجب عليكم نصرهم لانهم اخوانكم في الدين الا ان
يستنصروكم على قوم من الكفار بينكم وبينهم ميثاق أي مهادة الى مدة فلا تتخفروا ذمتكم ولا تنقضوا ايمانكم مع الذين عاهدتم
وهذا مروى عن ابن عباس رضی الله عنه (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الاتفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير) لما
ذكر تعالى ان المؤمنين بعضهم أولياء بعض قطع الموالاتة بينهم وبين الكفار كما قال الحاكم في مسنده حدثنا محمد بن صالح بن
هاني حدثنا أبو سعيد يحيى بن منصور الهروي حدثنا محمد بن أبان حدثنا محمد بن يزيد وسفيان بن حسين عن الزهري عن علي بن
الحسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا توارث أهل ملتين ولا يرث مسلم كافراً ولا كافر مسلماً

قرا والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الاتفعلوه تكن قنينة في الارض وفساد كبير ثم قال الخاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه قلت
 الحديث في الصحيحين من رواية أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم وفي
 المسند والسنة من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوارث أهل ملتين
 شتى وقال الترمذي حسن صحيح وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا محمد بن معمر عن الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ
 على رجل دخل في الاسلام فقال تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان وانك لا ترى نار مشرك الا وانت له حرب
 وهذا امر سل من هذا الوجه وقد روى متصل من وجه آخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما انا نبي من كل مسلم بين
 ظهر ابي المشركين ثم قال لا يترأى نارهما وقال أبو داود وفي آخر كتاب الجهاد حدثنا محمد بن داود بن سفيان أخبرني يحيى بن حبان أن ابا
 سليمان بن موسى أبو داود حدثنا جعفر بن سعد بن سمرة عن سمرة بن جندب اما بعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جامع المشرك
 وسكن معه فانه مثله وقال الخافظ أبو بكر بن مردويه من حديث حاتم بن اسمعيل عن عبد الله بن هريرة عن محمد بن عبد الله بن
 عبيد عن أبي حاتم المزني قال قال رسول الله (ص ٤٢) صلى الله عليه وسلم اذا انا كم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه الاتفعلوه تكن

قنينة في الارض وفساد كبير قالوا
 يا رسول الله وان كان (١)
 قال اذا انا كم من ترضون دينه
 وخلقه فأنكحوه ثلاث مرات
 وأخرجه أبو داود والترمذي من
 حديث حاتم بن سليمان به نحوه
 ثم روى من حديث عبد الجيد بن
 سليمان عن ابن مجلان عن ابن أبي
 وثيمة النضري عن أبي هريرة رضي
 الله عنه قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم اذا اناكم من
 ترضون خلقه ودينه فزوجه
 الاتفعلوه تكن قنينة في الارض
 وفساد عريض ومعنى قوله
 الاتفعلوه تكن قنينة في الارض
 وفساد كبير أي ان لم يتجانسوا المشركين

معترفين بما جاءهم به من حجج الله وبراهينه عناداً وبعداً عن الحق والبأس التعدي به أو
 للمصاحبة (وما نحن بتاركى آلهتنا) التي نعبدها من دون الله (عن قولك) أي لاجله
 أوتر كاصدار عنه فعن على الاول للتعديل كما أشار اليه ابن عطية ولكن المختار الثاني ولم
 يذكر الزمخشري غيره (وما نحن لانؤمنين) أي بمصدقين في شيء مما جئت به (ان نقول الا
 اعتراض) يقال عراه الامر واعتراه اذا ألم به أي ما نقول الا أنه أصابك (بعض آلهتنا) التي
 تعيها وتسفها رأينا في عبادتها (بسوء) يجنون حتى نشأ عنه ما نقوله لنا وتكرره علينا
 من السفير عنها والاستثناء مفرغ كما قال الزمخشري فاجابهم بما يدل على عدم ببالاته
 بهم وعلى وثوقه به به وتوكله عليه وانهم لا يقدرون على شيء مما يبره به الكفار بل الله
 سبحانه هو الضار النافع (قال اني أشهد الله) على نفسي (واشهدوا) أنتم أيضا عليها
 (أني بري مما تنسركون) به (من دونه) أي من اشراركم من دون الله من غير أن ينزل
 به سلطانا (فكيدوني جميعا) أنتم وآلهتكم ان كانت كما تزعمون من أنها تدر على
 الاضرار بي وانها اعترتني بسوء (ثم لا تنظرون) أي لا تهملوني بل عاجلوني واصنعوا
 ما بد لكم واحتملوا في هلاكى وفي هذا من اظهار عدم المبالاة بهم وبأصنامهم التي
 يعبدونها ما يصلح مسامعهم ويوضع عجزهم وعدم قدرتهم على شيء وهذا من مجازاته
 الباهرة (انى توكلت على الله ربى وربكم) فهو يعصمى من كيدكم وان بالغتم في تطلب

وتوالوا المؤمنين والواقعت قنينة في الناس وهو التباس الامر واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع
 وجوه
 بين الناس فساد منتشر عريض طويل (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا ولتلك هم المؤمنون
 حقا لهم مغفرة ورزق كريم) والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض
 في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم) لما ذكر تعالى حكم المؤمنين في الدنيا عطف بذكر ما لهم في الآخرة وأخبر عنهم بحقيقة الايمان كما
 تقدم في أول السورة وانه سبحانه سيجازيهم بالمغفرة والصفح عن الذنوب ان كانت وبالرزق الكريم وهو الحسن الكثير الطيب
 الشري فدايم مستمرا لا ينقطع ولا ينقض ولا يسأم ولا يلائم حسنة وتنوع ثم ذكر ان اتباع لهم في الدنيا على ما كانوا عليه من
 الايمان والعمل الصالح فهم معهم في الآخرة لقوله والسابقون الاولون الآية وقال والذين جاؤا من بعدهم الآية وفي الحديث
 المتفق عليه بل المتواتر من طرق صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المرء مع من أحب وفي الحديث الآخر من أحب
 قوما فهو منهم وفي رواية حشر معهم وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن شريك عن عاصم عن أبي وائل عن جرير قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم المهاجرون والانصار أولياء بعضهم لبعض والطلقة من قريش والعنقاء من ثقيف بعضهم (١) بياض بالاصل

أولياء بعض الى يوم القيامة قال شريك فحدثنا الاعمش عن تميم بن سلمة عن عبد الرحمن بن هلال عن جرير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله تفرد به أحمد من هذين الوجهين وأما قوله تعالى وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وليس المراد بقوله وأولو الارحام خصوصية ما يطلقه علماء النرائض على القرابة الذين لا فرض لهم ولا عصبية بل يدلون بوارث كالحالة والخال والعممة وأولاد البنات وأولاد الاخوات ونحوهم كما برز فيهم ويحجج بالآية ويعتقد ذلك صريحاً في المسئلة بل الحق ان الآية عامة تشمل جميع القرابات كما نص عليه ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقادة وغير واحد على انها ناسخة للآثار بالخلاف والاخوان الذين كانوا يتوارثون به أولاً وعلى هذا اقتسمت ذوى الارحام بالاسم الخاص ومن لم يورثهم يحجج بأدلة من أقواها حديث ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث قالوا فلو كان ذاق الحق لكان ذاق فرض في كتاب الله مسمى فلما لم يكن كذلك لم يكن وارثاً والله أعلم آخر تفسير سورة الانفال والله الحمد والمنة وعليه التسكلا وهو حسبنا ونعم الوكيل

* (تفسير سورة التوبة مدنية) * (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض أربعة أشهر وعلموا انكم غير معجزى الله وان الله مخزى الكافرين) هذه السورة الكريمة (٣٤٤) من أواخر ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما

قال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن ابي اسحق قال سمعت البراءة يقول آخر آية نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله وآخر سورة نزلت براءة وانما لم يسهل في أولها لان الصحابة لم يكتبوا السجدة في أولها في المصحف الامام بل اقتدوا في ذلك بامير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه كما قال الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد ومحمد بن أبي جعفر وابن أبي عدى وسهميل بن يوسف قالوا حدثنا عوف بن أبي جميلة أخبرني يزيد الفارسي أخبرني ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان ما جعلكم ان عدمتم الى الانفصال وهي من المثاني

وجوه الاضرار بي كل مبلغ فن توكل على الله فكفاه ثم ما بين لهم توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءة وصفه بما يوجب التوكل عليه والتقوى اليه من اشتغال ربه بيته عليه وعليهم وانه مالك للجميع فقال (ما من دابة) تدب على الارض (الا هو أخذ بناصيتها) أي ان ناصية كل دابة من دواب الارض بيده وفي قبضته وتحت قهره وانتم من جملة الدابة فلا تؤثر في شيئا وهو تمثيل لغاية التسخير ونهاية التدليل وكانوا اذا أسروا الاسير وأرادوا اطلاقه والمتمن عليه جزوا ناصيته فعملوا ذلك علامة لقهره قال الفراء معنى أخذ بناصيتها ملكها والقادر عليها وقال القتيبي قاهرها لان من أخذت بناصيته فقد قهرته والناصية قصاص الشعر من مقدم الرأس ويسمى الشعر النابت أيضا ناصية باسم محله ثم علل ما تقدم بقوله (ان ربي على صراط مستقيم) أي هو على الحق والعدل فلا يكاد يسططهم على وقيل ان دين ربي هو الصراط وقيل ان ربي يحملكم على صراط وقيل ان ربي يدل على صراط والاول أولى (فان تولوا) أي تستمروا على الاعراض عن الاجابة والتصميم على ما أنتم عليه من الكفر فلا أبالي ولا على مؤاخذة في شأنكم (فقدأ بلغتكم ما أرسلت به اليكم) وليس على الا ذلك وقد لزمتمكم الحجية (ويستخلف ربي قوما غيركم) جملة مستأنفة لتقرر الوعيد بالهلاك أي يستخلف في دياركم وأمواكم قوما آخرين (ولا تضرروني شيئا) بتوليكم ولا تقدررون على كثير من الضرر ولا حقير (ان

والى براءة وهي من المثاني وقرنت بينهما ولم يكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال ما جعلكم على ذلك فقال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد فكان اذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكرفيها كذا وكذا وكانت الانفصال من أول ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها وخشيت انها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها من هنا فن أجل ذلك قرنت بينهما ولم يكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتهما في السبع الطوال وكذا رواه الامام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدرکه من طرق أخر عن عوف الاعرابي به وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه وأول هذه السورة الكريمة نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحج ثم ذكر ان المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم على عادتهم في ذلك وانهم يطوفون بالبيت عراة فكره مخالطتهم وبعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميراً على الحج تلك السنة ليقم للناس مناسكهم ويعلم المشركين أن لا يحجوا بعد عامهم هذا وان ينادى بالناس براءة من الله ورسوله فلما قفل أتبعه بعلي بن أبي طالب ليكون مبلغاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه عصبته كما سيأتي بيانه فقوله تعالى براءة من الله ورسوله

أى هذه براءة أى تبرى من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيجوفى الارض أربعة أشهر اختلف المفسرون ههنا
 اختلافا كثيرا فقال قائلون هذه الآية لذوى العهود المطلقة غير المؤقتة أو من له عهد دون أربعة أشهر فيكمل له أربعة أشهر فأما من
 كان له عهد مؤقت فأجله الى مدته مهما كان لقوله تعالى فأتوا اليهم عهدهم الى مدتهم الآية ولم يأتى فى الحديث ومن كان بينه
 وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعده الى مدته وهذا أحسن الاقوال وأقواها وقد اختاره ابن جرير رحمه الله وروى عن
 الكلبى ومحمد بن كعب القرظى وغير واحد وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من
 المشركين فسيجوفى الارض أربعة أشهر الآية قال حدثنا الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر يسيجون فى الارض حيث شاؤوا
 وأجل أجل من ليس له عهد انسلاخ الا نهر الحرم من يوم النحر الى سلع الحرم فذلك خسون ليله فأمر الله نبيه اذا انسلاخ الحرم أن يضع
 السيف فى من لم يكن بينه وبينه عهد بقتلهم حتى يدخلوا فى الاسلام وأمر عن كان له عهد اذا انسلاخ أربعة أشهر من يوم النحر الى
 عشر خلون من ربيع الآخر ان يضع (٣٤٤) فيهم السيف أيضا حتى يدخلوا فى الاسلام وقال أبو معشر المدني حدثنا

محمد بن كعب القرظى وغيره
 قالوا بعث رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أبابكر أميرا على الموسم
 سنة تسع وبعث على بن أبى طالب
 بثلاثين آية وأربعين آية من براءة
 فقرأها على الناس يؤجل المشركين
 أربعة أشهر يسيجون فى الارض
 فقرأها عليهم يوم عرفة أجعلهم
 عشرين من ذى الحجة والحرم وصفر
 وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع
 الآخر وقرأها عليهم فى منازلهم
 وقال لا يجزى بعد عامنا هذا مشرك
 ولا يظوفن بالبيت عريان وقال ابن
 أبى شيبه عن مجاهد براءة من الله
 ورسوله الى أهل العهد خراعة
 ومدلج ومن كان له عهد أو غيرهم

ربى على كل شئ حفيظ) أى رقيب مهين عليه يحفظه من كل شئ قيل وعلى بمعنى اللام
 فيكون المعنى لكل شئ حفيظ فهو يحفظنى من ان تسالونى بسوء (ولما جاء أمرنا) أى
 عذابنا الذى هو هلاك عاد بالريح (فنجينا هودا والذين آمنوا معه) من قومه
 من هذا العذاب وكانوا أربعة آلاف (برحمة) عظيمة كائنة (مننا) لانه لا ينجوا أحد من
 العذاب اذا نزل الا برحمة الله وقيل هى الايمان (ونجيناهم من عذاب غليظ) أى شديد
 فى الآخرة وقيل هو السموم التى كانت تدخل أنوفهم فى الدنيا والى هنا تمت القصة (وتلك
 عاد) أنت الاشارة اعتبارا بالقبيلة قال الكسائى ان من العرب من لا يصرف عاد ويجعله
 اسم القبيلة وقيل اشارة الى آثارهم كقبورهم ومدائنهم (بجدوا بآيات ربهم) أى
 كفروا بها وكذبوها وأنكروا المعجزات (وعصوا) أى رؤسائهم وسفلتهم (رسله) أى
 هودا وحده لانه لم يكن فى عصره رسول سواه وانما جمع هنا للتعظيم أو لان من كذب رسولا
 فقد كذب جميع الرسل وقيل انهم عصوا هودا ومن كان قبله من الرسل أو كانوا بحيث
 لو بعث الله اليهم رسلا متعددين لكذبوهم (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) الجبار المتكبر
 والعنيد الطاغى الذى لا يقبل الحق ولا يدع له ويتجاوز فى الظلم قال أبو عبيدة العنيد
 والعنود والعاند والمعاند هو المعارض بالخلاف منه ومنه قيل للعرق الذى يتفجر بالدم عاند
 وعن قتادة قال عنيد مشرك وقال السدى العنيد المشاق (واتبعوا) أى جمعهم

فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ فأراد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الحج ثم قال انما يحضر المشركون فيطوفون عراة فلا أحب ان أرى حتى لا يكون ذلك فأرسل أبابكر
 وعليا رضى الله عنهما ما فظا فابا الناس فى ذى الحجاز وبأمكنهم التى كانوا يتبايعون بها بالمواسم كلها فأتوا أصحاب العهد بأن
 يؤمنوا أربعة أشهر رفهى الأشهر المتواليات عشرون من ذى الحجة الى عشر يخلون من ربيع الآخر ثم لأعهد لهم وأذن الناس
 كلهم بالقتال الا ان يؤمنوا وهكذا روى عن السدى وقتادة وقال الزهري كان ابتداء التاجيل من شوال وآخره سلع الحرم وهذا
 القول غريب وكيف يحاسبون بمدة لم يبلغهم حكمها وان ظهر لهم أمرها يوم النحر حين نادى أصحاب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بذلك ولهذا قال تعالى (وأذن من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله تبرئ من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير
 لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير ممجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب آليم) يقول تعالى واعلام من الله ورسوله وتقدم وانذار الى
 الناس يوم الحج الاكبر وهو يوم النحر الذى هو أفضل ايام المناسك وأظهرها وأكبرها جميعا ان الله تبرئ من المشركين ورسوله
 أى برى منهم أيضا ثم دعاهم الى التوبة اليه فقال فان تبتم أى مما أنتم فيه من الشرك والضلال فهو خير لكم وان توليتم أى

أو

استمرتم على ما أنتم عليه فاعلموا انكم غير معجزى الله بل هو قادر عليكم وأنتم في قبضته وتحت قهره ومشيئته وبشر الذين كفروا
بعذاب أليم اى فى الدنيا بالخزى والنكال وفى الآخرة بالمقامع والاعلال قال البخارى رحمه الله حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث
حدثني عقيل عن ابن شهاب قال اخبرني حميد بن عبد الرحمن ان ابا هريرة قال بعثني ابو بكر رضى الله عنه فى تلك الحجة فى المؤذنين
بعثهم يوم النحر يؤذنون بمعنى أن لا يهجع بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال حميد ثم اوردنى النبي صلى الله عليه وسلم يعلى بن
أبي طالب فأمره ان يؤذن ببراءة قال ابو هريرة فاؤذن معنا على فى أهل منى يوم النحر ببراءة وأن لا يهجع بعد العام مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان ورواه البخارى ايضا حدثنا ابو اليمان اخبرنا شعيب عن الزهري اخبرني حميد بن عبد الرحمن ان ابا هريرة قال
بعثني ابو بكر فين يؤذنون يوم النحر بمعنى لا يهجع بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ويوم الحج الاكبر يوم النحر وانما قيل
الاكبر من أجل قول الناس الحج الاصغر فبدأ ابو بكر الى الناس فى ذلك العام فلم يهجع عام حجة الوداع الذى حج فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم مشرك هذا لفظ البخارى فى كتاب الجهاد وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة
رضى الله عنه فى قوله براءة من الله ورسوله قال لما كان النبي صلى (٣٤٥) الله عليه وسلم زمن حنين اعتمر من الجعرانة ثم

أمر ابا بكر على تلك الحجة قال معمر
قال الزهري وكان ابو هريرة يحدث
ان ابا بكر أمر ابا هريرة ان يؤذن
ببراءة فى حجة ابي بكر قال ابو هريرة
ثم اتبعنا النبي صلى الله عليه وسلم
عليه وأمره ان يؤذن ببراءة وأبو بكر
عن الموسم كما هو وأقال هيئته وهذا
السياق فيه غرابة من جهة ان أمير
الحج كان سنة عمرة الجعرانة انما هو
عتاب بن أسيد فاما ابو بكر انما كان
أميرا سنة تسع وقال الامام أحمد
حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة
عن مغيرة عن الشعبي عن محرز بن
أبي هريرة عن أبيه قال كنت مع
علي بن أبي طالب حين بعثه رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى أهل مكة

أو السفلة والرؤساء (فى هذه الدنيا لعنة) أى الخقوها على لسان الانبياء واللغة تهى
الابعاد من الرحمة والطرد من الخير والمعنى انها لازمة لهم لا تفارقهم ماداموا فى الدنيا
(و) اتبعوها (يوم القيامة) فلعنوا هاتلك كما لعنوا فى الدنيا قال السدى لم يعث نبى بعد عاد
اللعنة على لسانه وقال قتادة تتابعت عليهم لعنتان من الله لعنة فى الدنيا ولعنة فى الآخرة
(الآن عادا كفروا بهم) قال القراء أى بنعمة ربهم يقال كفرته وكفرت به مثل
شكرته وشكرت له (الابعد العاد قوم هود) أى لزالوا بعد من من رحمة الله والبعد
الهلاك والتباعد عن الخير يقال بعد بعد اذا تأخر وتباعد بعد بعد بعد اذا
هلك والمبالغة فى التنصيص والتكثير بعبارة تين محتملتين تدل على تقوية التاكيد ونهاية
التحقيق وقد تقدم ان العرب تستعمله فى الدعاء بالهلاك (و) أرسلنا (الى نودأطاهم
صالحا) وهم سكان الجفر فقوم هود عاد الاولى وقوم صالح عاد الثانية كما قال المحلى فى سورة
النجم وقرأ الحسن عمود بالتسوية فى جميع المواضع واختلف سائر القراء فيه فصر فوه فى
موضع ولم يصر فوه فى موضع فالصرف باعتبار التأويل بالحى والمنع بالتبليغ وهكذا سائر
ما يصح فيه التأويلان وبين صالح وهو دماية سنة وعاش صالح مائتى سنة وعثمانين سنة
ومكانهم بين الشام والمدينة وقد قدم فى الاعراف بسط قصتهم وقصة الناقبة كما مر ما هنا
والكلام فيه وفى قوله (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) كما تقدم فى قصة هود

(٤٤ فتح البيان رابع) براءة فقال ما كنتم تنادون قال كنا ننادى انه لا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان
ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فان أجله أو مدته الى أربعة أشهر فاذا مضت الاربعة الأشهر فان الله برى من
المشركين ورسوله ولا يهجع هذا البيت بعد عامنا هذا مشرك قال فكنت أنادى حتى يحل صوتى وقال الشعبي حدثني محرز
ابن أبي هريرة عن أبيه قال كنت مع علي بن أبي طالب رضى الله عنه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ننادى فكان اذا جعل
ناديت فقلت بأى شئ كنتم تنادون قال بأربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فعده
الى مدته ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يهجع بعد عامنا هذا مشرك رواه ابن جرير من غير وجه عن الشعبي ورواه شعبة عن
مغيرة عن الشعبي به الا انه قال ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعده الى أربعة أشهر وذكروا الحديث قال
ابن جرير وأخشى أن يكون وهما من بعض نقلته لان الاخبار متضاربة فى الاجل بخلافه وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد

عن مالك عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه ببراءة مع أبي بكر فلما بلغ ذا الحليفة قال لا يبلغها إلا أنا أو رجل من أهل بيتي فبعث بهم مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورواه الترمذي في التفسير عن بشير بن عمار عن عبد الصمد كلاهما عن جابر بن سالم ثم قال حسن غريب من حديث أنس رضي الله عنه وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا محمد بن سليمان حدثنا لوين حدثنا محمد بن جابر عن مالك عن حنش عن علي رضي الله عنه قال لما نزلت عن أشرايات من براءة علي النبي صلى الله عليه وسلم دعا النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر فبعثه به ليقرأها علي أهل مكة ثم دعاني فقال أدرك أبا بكر فيمنما لحقتهه فخذ الكتاب منه فاذهب إلى أهل مكة فاقرأه عليهم فلحقتهه بالحقيقة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله نزل في شيء فقال لا ولكن جبريل جاءني فقال إن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك هذا السناد فيه ضعف وليس المراد أن أبا بكر رضي الله عنه يرجع من فوره بل بعد قضاءه للمناسك التي أمره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الرواية الأخرى وقال عبد الله أيضا حدثني أبو بكر حدثنا عمرو بن جاد عن اسباط بن نصر عن مالك عن حنش عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه (٣٤٦) ببراءة قال يا بني الله أتى لست بالأسن ولا بالخطيب قال ما بد لي أن أذهب بها أنا

أو تذهب بها أنت قال فان كان ولا بد فإذهب أنا قال انطلق فان الله يثبت لسانك ويهدي قلبك قال ثم وضع يده علي فيه وقال الامام أحمد حدثنا سفيان عن أبي اسحق عن زيد بن يثيغ رجل من همدان سألتنا عليا بأي شيء بعثت يعني يوم بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر في الحج قال بعثت بأربع لا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته ولا يحج المشركون بعد عامهم هذا ورواه الترمذي عن قلابة عن سفيان بن عيينة وقال حسن صحيح كذا قال

(هو أنشأكم من الارض) اي ابتداء خلقكم لان كل بني آدم من صلب آدم وهو مخلوق منها فمن لا ابتداء الغاية وقيل هي بمعنى في (واسم عمر كم فيها) أي جعلكم عمارها وسكانها من قولهم أعر فلان فلانا داره فهي له عمرى فيكون استفعل بمعنى افعل مثل استجاب بمعنى أجاب والسبب والتاخر اذ تان وقال الضحاك معناه أطال عمركم وكانت اعمارهم ثلثمائة الى ألف سنة وقيل معناه أمركم بعمارتهما من بناء المساكن وغرس الاشجار وقال ابن زيد استخلفكم فيها (فاستغثوه) أي سألوه الغفوة لكم من عبادة الاصنام (ثم توبوا اليه) أي ارجعوا الى عبادته (ان ربي قريب مجيب) أي قريب الاجابة لمن دعاه وقد تقدم القول فيه في البقرة عند قوله تعالى فاي قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان (قالوا) يا صالح قد كنت فينا مرحوبا اي تاجر جوا ان تكون فينا سيدا مطاعا تنتفع برأيك ونسعد بسيدادتنا لما نرى فيك من مخايل الرشد والهدى لانه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعيفهم ويعني فقيرهم (قبل هذا) الذي أظهرته من ادعائك النبوة ودعوتك الى التوحيد وقيل كان صالح يعيب آلهم وكانوا يرجون رجوعه الى دينهم فلما دعاهم الى الله قالوا انقطع رجاؤنا منك والاسنة نهام في قوله (أنتنا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) لانكارا نكروا عليه هذا النهي والمعنى ما كان يعبد آباؤنا فهو حكاية حال ماضية

ورواه شعبة عن أبي اسحق فقال عن زيد عن أشهل وهم فيه ورواه الثوري عن أبي اسحق عن بعض اصحابه عن علي رضي الله عنه وقال ابن جرير حدثنا بن وكيع حدثنا اسامة عن زكريا عن أبي اسحق عن زيد بن يثيغ عن علي قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت براءة بأربع ان لا يطوف بالبيت عريان ولا يقرب المسجد الحرام مشركا بعد عامهم هذا ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده والى مدته ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ثم رواه ابن جرير عن محمد بن عبد الاعنى عن ابن ثور عن معمر بن أبي اسحق عن الحرث عن علي قال أمرت بأربع فذكره وقال اسرايل عن أبي اسحق عن زيد بن يثيغ قال نزلت براءة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ثم أرسل عليا فأخذها فلما رجع أبو بكر قال نزل في شيء قال لا ولكن أمرت ان أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي فانطلق الى أهل مكة فقام فيهم بأربع لا يدخل مكة مشركا بعد عامه هذا ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته وقال محمد بن اسحق عن حكيم بن حكيم بن عماد بن حنيف عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي قال لما نزلت براءة علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بعث أبا بكر ليقم الحج للناس فقيل يا رسول الله لو بعثت الى أبي بكر فقال لا يؤدي عنى الرجل من

لاستحضار

أهل بيتي ثم دعاهم فقال اذهب بهذه القصة من سورة براءة وأذن في الناس يوم النحر اذا اجتمعوا يعني انه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو له الى مدته فخرج على رضى الله عنه على ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم العضاض حتى ادرك أبو بكر في الطريق فلما رآه أبو بكر قال أميراً ومأموراً فقال بل مأمور ثم مضيا فاقام أبو بكر للناس الحج اذ ذلك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية حتى اذا كان يوم النحر قام على ابن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس انه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الى مدته فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان هذا من براءة فبين كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة الى الأجل المسمى وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحليم أخبرنا أبو زرعة وعبد الله بن راشد أخبرنا حيوة ابن شريح أخبرنا ابن دحزان سمع أبا معاذ بن الجبلي من أهل الكوفة يقول سمعت أبا الصهباء البكري وهو يقول سألت عليا عن يوم الحج الاكبر فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر بن أبي قحافة يقيم للناس الحج وبعثني معه

(٣٤٧)

لاستحضار الصورة (والتألفي شك مما تدعون اليه) من عبادة الله (مريب) موقع في الرية من أربته فأنأأ ربه اذا فعلت به فعلا يوجب له الرية وهي قلق النفس واتناء لظما نينة أو من أراب الرجل اذا كان ذاربية فالأسناد مجازي للمباغلة بكجدده وانظاهر انه على الاول مجازي أيضا والمعنى انما مرنا بون في عبادة الله وحده وترك عبادة الاوثان والتسوين فيه وفي شك للتفخيم (قال باقوم أرايتم) قال ابن عطية هي من رؤية القلب والشروط الذي بعده وجوابه يسد مسد فعولين لأرايتم قال الشيخ والذي تقرران أرايت ضمن معني أخبرني وعلى تقدير أن لا يضمن جملة الشرط والجواب لا تسد مسد فعولي علمت (ان كنت على بينة من ربي) أي حجة ظاهرة وبرهان صحيح (وأتاني منه) أي من جهته (رحمة) أي نبوة وهذه الامور وان كانت متحققة الوقوع لكنهم اصدت بكامة الشك اعتبارا بحال المخاطبين لانهم في شك من ذلك كما وصفوه عن أنفسهم وعبارة الشهاب انه من باب ارضاء العنان (فمن نصرني من الله) استفهام معناه الذي أي لا ناصر لي يمنعني من عذاب الله والنصرة مستعولة في لازم معناها وهو المنع ولذا عدى عن (ان عصيته) في تبليغ الرسالة وراقبتكم وفترت عما يجب على من البلاغ (فما تريدوني) بتبسيطكم اباي (غير تخدير) بان تجعوني خاسرا بابطال عملي وامانحني الله والتعرض لعقوبة الله لي قال الفراء أي تضليل وابعاد من الخدير وقيل المعنى فما تريدوني باحتجاجكم بدين آباءكم غير بصيرة

بأربعين آية من براءة حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة فلما قضى خطبته انتفت الى فقال قم يا علي فأدرسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت فقراءت عليه م أربعين آية من براءة ثم صدرنا فأتينا مني فرميت الحجر ونشرت البدنة ثم حلفت رأسي وعلمت ان أهل الجمع لم يكونوا كلهم حذروا خطبة أبي بكر يوم عرفة فجعلت اتبع بها القساطيط اقرأها عليهم فن ثم اخال حسبته انه يوم النحر الا وهو يوم عرفة وقال عبد الرزاق عن معمر عن أبي اسحق سألت أبا جحيفة عن يوم الحج الاكبر قال يوم عرفة فقلت أمن عندك أم من عند أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال كل في ذلك وقال عبد الرزاق أيضا عن ابن جرير عن عطاء قال يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقال عمرو بن الوليد الشني حدثنا شهاب بن عباد البصري عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول هذا يوم عرفة هذا يوم الحج الاكبر فلا يسومنه أحد قال فنجبت بعد أبي فأتيت المدينة فسألت عن أفضل أهلها فقالوا سعيد بن المسيب فأتيتهم فقلت اني سألت عن أفضل أهل المدينة فقالوا سعيد بن المسيب فأخبرني عن صوم يوم عرفة فقال أخبرك عن هو أفضل مني مائة ضعف عمرو بن عمر كان ينهى عن صومه ويقول هو يوم الحج الاكبر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وهكذا روى عن ابن عباس وعبد الله بن الزبير ومجاهد وعكرمة وطاوس انهم قالوا يوم عرفة يوم الحج الاكبر وقد ورد فيه حديث مرسل رواه ابن جرير أخبرت عن محمد بن قيس عن ابن مخزومة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة فقال هذا يوم الحج الاكبر ووري من وجه آخر عن ابن جرير عن محمد بن قيس عن المسور بن مخزومة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خطبهم بعرفات فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر والقول الثاني انه يوم النحر قال هشيم عن اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن علي رضي الله عنه قال يوم الحج الاكبر يوم النحر وقال أبو اسحق السبيعي عن الحرث الاعور ألت عليا رضي الله عنه عن يوم الحج الاكبر فقال هو يوم النحر وقال شعبة عن

الحكم سمعت يحيى بن الجزار يحدث عن علي رضي الله عنه انه خرج يوم التجر على بغله بيضاء يريد الجبانة فجا رجل فأخذ بلجام دابته فسأله عن يوم الحج الأكبر فقال هو يومك هذا دخل سبيلها وقال عبد الرزاق عن سفيان عن شعبة عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن أبي أوفى أنه قال يوم الحج الأكبر يوم التجر وروى شعبة وغيره عن عبد الملك بن عمير به نحوه وهكذا رواه هشيم وغيره عن الشيباني عن عبد الله بن أبي أوفى وقال الأعمش عن عبد الله بن سنان قال خطبنا المغيرة بن شعبه يوم الاضحى على بعير فقال هذا يوم الاضحى وهذا يوم التجر وهذا يوم الحج الأكبر وقال جاد بن سلمة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس انه قال الحج الأكبر يوم التجر وكذا روى عن أبي جحيفة وسعيد بن جبيرة وعبد الله بن شداد بن الهاد ونافع بن جبير بن مطعم والشعبي وابراهيم الخثعمي ومجاهد وعكرمة وأبي جعفر الباقر والزهرى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم انهم قالوا يوم الحج الأكبر هو يوم التجر واختره ابن جرير وقد تقدم الحديث عن أبي هريرة في صحيح البخارى ان أبابكر بعثهم يوم التجر يؤذنون بى وقد ورد في ذلك أحاديث أخر كما قال الامام أبو جعفر بن جرير حدثني سهل بن محمد الحسباني حدثنا ابو جابر الحري حدثنا هشام بن الغازي الجرشي عن نافع عن ابن عمر قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم التجر ٣٤٨ عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر وهكذا رواه ابن أبي

بجسارتكم وقال مجاهد وعطاء الخراساني ما زدادون أنتم الا خسارا (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) أى معجزة ظاهرة وقد مر تفصيل هذه الآية في الاعراف وانما قال هذه ناقة الله لانه أخرجه الله من جبل على حسب اقتراحهم وقيل من صخرة سما والاضافة للتشريف كبيت الله وعبد الله (فذروها) أى فدعوها (تأكل في أرض الله) مما فيها من المراعى التى تأكلها الحيوانات وليس عليكم كلفة فى مؤنتها وهذا من تمام الزامهم قال الكرخى أى ترعى نباتها وتشرب ماءها فهو من قبيل الاكتفاء نحو تقيكم الحر وجعل تأكل من عموم الجزار يحتاج الى قرينة صارفة (ولا تمسوها بسوء) قال الفراء يعقر والظاهر ان النهى عما هو أعم من ذلك (فياخذكم) ان قتلتموها (عذاب قريب) فى الدنيا جواب النهى أى قريب من عقرها وذلك ثلاثة أيام (فيعقروها) أى فلم تمتلوا الامر من صالح ولا النهى بل خالفوا كل ذلك فوقع منهم العقرها وعقرها قدار وهو من أشقى الاشياء (فقال) لهم صالح (تمتعوا فى داركم) أى بالعيش فى منازلكم أو بلادكم ومسكنكم فان العقاب نازل عليكم وعبر عن الحياة بالمتع لان الحى يكون متمتعاً بالحواس (ثلاثة أيام) ثم هل يكون قبل عقورها يوم الاربعاء فاقاموا الخميس والجمعة والسبت وأناهم العذاب يوم الاحد (ذلك) أى اتمتع ثلاثة أيام (وعد غير مكذوب) فيه خذف الجارات اسما أو من باب الجواز كأن الودع اذا روى به صدق ولم يكذب ويجوز ان يكون

حاتم وابن مردويه من حديث أبي جابر واسمه محمد بن عبد الملك به ورواه ابن مردويه أيضاً من حديث الوليد بن مسلم عن هشام بن الغازي به ثم رواه من حديث سعيد بن عبد العزيز عن نافع به وقال شعبة عن عمرو بن مرة الهمداني عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقة حراء مخضرة فقال أتدرون أى يومكم هذا قالوا يوم التجر قال صدقتم يوم الحج الأكبر وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن المقدام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن ابى بكره عن أبيه

قال لما كان ذلك اليوم فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعيره وأخذ الناس بخطامه أو زمامه فقال أى يوم هذا قال فسكتنا حتى ظننا انه سيبميه سوى اسمه فقال أليس هذا يوم الحج الأكبر وهذا اسناد صحيح واصله مخرج فى الصحيح وقال ابو الاحوص عن شيبه عن عمرو بن سليمان بن عمرو بن الاحوص عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فقال أى يوم هذا فقالوا اليوم الحج الأكبر وعن سعيد بن المسيب انه قال يوم الحج الأكبر اليوم الثانى من يوم التجر رواه ابن أبى حاتم وقال مجاهد أيضاً فى يوم الحج الأكبر أيام الحج كلها وكذا قال أبو عبيد قال سفيان يوم الحج الأكبر كما يقال يوم الجمل ويوم صفين أى أيامه كلها وقال سهل السراج سئل الحسن البصرى عن يوم الحج الأكبر فقال مالكم وللحج الأكبر ذلك العام حج فيه أبو بكر الذى استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج بالناس رواه ابن أبى حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو اسامة عن ابن عون سألت محمد بن يعقوب عن يوم الحج الأكبر فقال كان يوم افاق فيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وحج أهل الوب (الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقهوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحد افاقوا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين) هذا استثناء من ضرب مدة التأجيل بأربعة أشهر لمن له عهدهم لم يق ليس بمؤقت فأجله أربعة أشهر يسبح فى الارض يذهب فيها النجوس بنفسه حيث

شاء الامن له عهد مؤقت فأجله الى مدته المضروبة التي عوهد عليها وقد تقدمت الاحاديث ومن كان له عهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعهدته الى مدته وذلك بشرط ان لا ينقض المعاهد عهده ولم يظا هر على المسلمين أحد أي عمالي عليهم من سواهم فهذا الذي يوفى له بذمته وعهده الى مدته ولهذا حرض تعالى على الوفاء بذلك فقال ان الله يحب المتقين أي الموفين بعهدهم (فاذا انسبح الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم) اختلف المفسرون في المراد بالاشهر الحرم ههنا ما هي فذهب ابن جرير الى انها المذكورة في قوله تعالى منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم الآية قاله أبو جعفر الباقر ولكن قال ابن جرير آخر الاشهر الحرم في حقهم الحرم وهذا الذي ذهب اليه حكاه على بن أبي طلحة عن ابن عباس واليه ذهب الضحاك أيضا وفيه نظرو الذي يظهر من حيث السياق ما ذهب اليه ابن عباس في رواية العوفي عنه وبه قال مجاهد وعمر بن شعيب ومحمد بن اسحق وقتادة والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ان المراد بها أشهر التسمية الاربعة المنصوص عليها بقوله في نحو في الارض أربعة أشهر ثم قال فاذا انسبح الاشهر الحرمى اذا انتقضت الاشهر الاربعة التي حرمنا عليكم ٣٤٩ فيها قتالهم وسيأتي بيان حكمها في آية اخرى بعدها في هذه السورة

يكون مصدرا أي وعد غير كذب (فلما جاء أمرنا) أي عذابنا أو امرنا بوقوع العذاب (فحيثما صلوا الذين آمنوا معجزة) عظيمة (منا) قد تقدم تفسير هذا في قصة هود والباء للسببية وللصاحبة وهي بالنسبة الى صالح النبوة وبالنسبة الى المؤمنين الايمان (و) نجيناهم (من خزى يومئذ) وهو هلاكهم بالصيحة وسمى خزيا لان فيه خزيا للكفار والخزى الذل والمهانة وقيل من عذاب يوم القيامة والاول أولى ويومئذ بكسر الميم اعرابا وتخيها بناء لاضافته الى مبنى قال السيموطى وهو الاكثر فى الاستعمال والافهما قراءة ثان سبعيتان على السواء (ان ربك هو القوى العزيز) القادر الغالب الذى لا يعجزه شئ والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقصة تمت عند قوله يومئذ (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) أى فى اليوم الرابع من عقر الناقة صيحهم فبانوا وذكر النسل لان الصيحة والسياح واحد مع كون التأييد غير حقيقى والصيحة فعلة تدل على المرة من الصياح وهو الصوت الشديد يقال صاح يصيح صياحا أى صوت بقوة قيل صيحة جبريل وقيل صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم وما تواتر في الاعراف فأخذتهم الرجفة قيل واعلمها وقعت عقب الصيحة (فأصبحوا فى ديارهم جامين) ميتين صرعى هلكى ساقطين على وجوههم موتى قد لصقوا بالتراب كالظير اذا جثت والجثوم كالركوب من البعير والفاعل جامر وجثام مبالغة يقال جثم الظائر والارنب يجثم (كأن لم يغنوا فيها) أى

تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم ولهذا اعتمد الصديق رضى الله عنه فى قتال مانعي الزكاة على هذه الآية الكريمة وأمثالها حيث حرمت قتالهم بشرط هذه الافعال وهى الدخول فى الاسلام والقيام بآدابها ونبه باعلاها على أدناها فان اشرف أركان الاسلام بعد الشهادتين الصلاة التى هى حق الله عز وجل وبعدها اداء الزكاة التى هى نفع متعد الى الفقراء والمحاويج وهى اشرف الافعال المتعلقة بالخلقين ولهذا كثيرا ما يقرن الله بين الصلاة والزكاة وقد جاء فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقوموا الصلاة ويؤتوا الزكاة الحديث وقال أبو اسحق عن ابى عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال امرت باقام الصلاة وآتاء الزكاة ومن لم يرك فإلا صلاة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أى الله ان يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال يرحم الله أبابكر ما كان أفقهه وقال الامام أحمد حدثنا على بن اسحق أنباء عبد الله بن المبارك أن أباناجيد الطويل عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا شهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واستقبلوا قبلسنا وأكواذ يجسنا وصلواتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم الا بحقها لهم بالمسلمين

وعليهم ما عليهم ورواه البخاري في صحيحه وأهل السنن الا ابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك به وقال الامام ابو جعفر بن جرير
حدثنا عبد الاعلى بن واصل الاسدي حدثنا عبد الله بن موسى اخبرنا ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده وعبادته لا يشرك به فارقها والله عنده راض قال وقال أنس هو دين الله الذي
جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الاحاديث واختلاف الاهواء وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما أنزل قال الله تعالى
فان تابوا أو أقاموا الصلاة أو آتوا الزكاة فخلوا سبيلهم قال تو بتهم خلع الاوثان وعبادة ربهم وحده واقام الصلاة وابتاء الزكاة ثم قال
في الآية الاخرى فان تابوا أو أقاموا الصلاة أو آتوا الزكاة فآخونا انكم في الدين ورواه ابن مردويه ورواه محمد بن نصر المروزي في
كتاب الصلاة له حدثنا اسحق بن ابراهيم ابنا احكام بن سلمة حدثنا ابو جعفر الرازي به سواء وهذه الآية الكريمة هي آية السيف
التي قال فيها الضحالك بن مزاحم انها نسخت كل عهد بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين احد من المشركين وكل عقد وكل مدة وقال
العوفي عن ابن عباس في هذه الآية لم يبق لاحد من المشركين عهد ولا زمة منذ نزلت براءة وانسلاخ الاشهر الحرم ومدة من كان له
عهد من المشركين قبل ان تنزل براءة اربعة اربعة (٣٥٠) شهر من يوم اذن براءة الى عشر من اول شهر ربيع الآخر وقال علي بن ابي طلحة

كانهم لم يبقوا في بلادهم أو ديارهم ولم يعيشوا فيها ولم يعمرها ولم ينعموا والتقدير مماثلين
لمن لم يوجد ولم يقيم في مقام قط يقال غنيت بالمكان اذا أتيتته وأقت فيه (الآن غود كفروا
ربهم) وضع الظاهر موضع المضمرة لزيادة البيان وشرح بكفرهم مع كونه معلوما تعليلا
للدعاء عليهم بقوله (الآب بعد التهود) بالصرف وتركه قرأتان سبعيتان على معنى الحى
والقبيلة وقد تقدم نفسه بهذه القصة في الاعراف بما يحتاج الى مراجعته ليضم ما في
احدى القصتين من الفوائد الى الاخرى (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم) بسكون السين وضمها
حيثما وقع مضافا الى الضمير بخلاف ما اذا أضيف الى مظهر فليس فيه الاصمها وهذا شروع
في قصة ابراهيم لكنهم امد كورة هنا توطئة لقصة لوط لاستقلالها ولذا لم يذكرها على أسلوب
ما قبلها وما بعد - ده فاهم بقل وأرسلنا ابراهيم الى كذا وعاش ابراهيم من العمر مائة وخمسا
وسبعين سنة وبينه وبين نوح الف سنة وسمائة سنة وأربعون سنة وانه اسحق عاش مائة
وثمانين سنة ويعقوب بن اسحق عاش مائة وخمسا وأربعين سنة ولوط عليه السلام هو ابن أخي
ابراهيم عليه السلام وكانت قري قوم لوط بنواحي الشام و ابراهيم ببلاد فلسطين فلما نزل
الله الملائكة بعذاب قوم لوط هم وابراهيم ونزلوا عنده وكان كل من نزل عنده يمسح قراه
وكان هم و رهم عليه لتبشيرهم بهذه البشارة الآتية فظنهم اضيافا وهم جبريل وميكائيل
واسرافيل قاله عطاء وقيل كانوا امة قاله الضحاك وقيل احد عشر قاله السدي وقيل اثني

عن ابن عباس في هذه الآية قال
أمره الله تعالى ان يضع السيف
فبين عاهدان لم يدخلوا في الاسلام
ونقض ما كان سمي لهم من العهد
والميثاق وأذهب الشرط الاول وقال
ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا اسحق
ابن موسى الانصاري قال قال سفيان
ابن عيينة قال علي بن ابي طالب بعث
النبي صلى الله عليه وسلم بربعة اسياف
سيف في المشركين من العرب قال
الله تعالى فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم هكذا رواه مختصرا
واظن ان السيف الثاني هو قتال
اهل الكتاب لقوله تعالى قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا

يدينون دين الحق من الذين اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون والسيف والثالث عشر
قتال المنافقين في قوله يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين الآية والرابع قتال الباغين في قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تسي حتى تفي الى امر الله ثم اخذت المفسرون في آية السيف فقال
الضحالك والسدي هي منسوخة بقوله تعالى فاما منابعدوا ما فداء وقال قتادة بالعكس (وان احد من المشركين استجارك فأجره
حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) يقول تعالى انبيه صلوات الله وسلامه عليه وان احد من المشركين
الذين امرت بقتالهم استجارك اى استأمنك فأجبه الى طلبته حتى يسمع كلام الله اى القرآن تقرؤه عليه وتذكره شيئا من امر الدين
تقيم به عليه حجة الله ثم ابلغه مأمنه اى وهو آمن مستقر الامان حتى يرجع الى بلاده وداره رما منه ذلك بانهم قوم لا يعلمون اى انما
شرعنا امان مثل هؤلاء ليعلموا ان الله وتتمرد عوة الله في عباده وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد في تفسير هذه الآية قال انسان
يا تبيك لسمع ما تقول وما نزل عليك فهو آمن حتى يأتيتك فتسده كلام الله وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء ومن هذا كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعطى الامان لمن جاءه مسترشدا وفي رسالة كجاءه يوم الحديبية جماعة من الرسل من قريش منهم عروة بن مسعود

ومكر بن حنص وسهيل بن عمرو وغيرهم واحدا بعد واحد يترددون في القضية بينه وبين المشركين فقرأوا من اعظام المسلمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهرهم وما لم يشاهدوه عند ملك ولا قيصر فرجعوا الى قومهم وأخبروهم بذلك وكان ذلك وامثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم ولهذا أيضا لما قدم رسول مسيلة الكذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أتشهد أن مسيلة رسول الله قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الرسل لا تقتل اضرت عنقك وقد قبض الله له ضرب العنق في امارة ابن مسعود على الكوفة وكان يقال له ابن النواحة ظهر عنه في زمان ابن مسعود انه يشهد مسيلة بالرسالة فارسل اليه ابن مسعود فقال له انك الآن لست في رسالة وأمر به فضربت عنقه لارجسه الله ولعنه والعرض ان من قدم من دار الحرب الى دار الاسلام في اداء رسالة او تجارة او طلب صلح او هداية او جلب جزية او نحو ذلك من الاسباب وطلب من الامام او نائبه امانا أعطى امانا مادام مستردا في دار الاسلام وحتى يرجع الى امانته ووطنه لم يكن قال العلماء لا يجوز أن يمكن من الإقامة في دار الاسلام سنة ويجوز أن يكر من إقامة أربعة أشهر فيما بين ذلك فيما زاد على أربعة أشهر ونقص عن سنة قولان عن الامام الشافعي وغيره من العلماء رجهم الله (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله (٣٥١) الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فاستقاموا والكف

فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين) بين تعالى حكمته في البراءة من المشركين ونظرته اياهم أربعة أشهر ثم بعد ذلك السف المرهف اين يثقوا فقال تعالى كيف يكون للمشركين عهد أي امان وتكون فيما هم فيه وهم مشركون بالله كافرين به وبرسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام يعني يوم الحديبية كما قال تعالى هم الذين كفروا وصدوك عن المسجد الحرام والهدى معكوفان ان يبلغ محله الآية فاستقاموا لكم فاستقيموا لهم اي مهماتسكوا بما عاهدتموهم عليه وعاهدتموهم من ترك الحرب بينكم وبينهم عشر سنين فاستقيموا لهم ان الله يحب

عشر قاله مقاتل وقيل كان جبريل ومعه سبعة ملاك قاله محمد بن كعب القرظي والاول اولى لان اقل الجمع ثلاثة (بالشري) التي بشرهم بها هي بشارته بالولد وقيل باهلاك قوم لوط والاول اولى (قالوا اسلاما) أي سلما عليكم سلاما وهذه تحيتهم التي وقعت منهم وهي لفظ سلاما (قال) لهم ابراهيم (سلام) أي امركم سلاما وعليكم سلام وهذه التحية الواقعة منه جوابا وهي لفظ سلاما وحياتهم بالجملة الالامية في جواب تحيتهم بالفعلية ومن المعلوم ان الاولى أبلغ من الثانية فكانت تحيته أحسن من تحيتهم كما قال تعالى فحيوا بأحسن منها (فألبث) أي ابراهيم (ان جاء بعجل حنيد) قالوا كثر النعاة ان هنا جعني حتى وقيل التقدير فألبث عن ان جاء أي ما ابظأ ابراهيم عن مجيئه بعجل وما نافية قاله سيبويه وقال الفراء فألبث مجيئه أي ما ابظأ مجيئه وقيل ان ما ووصولة والتقدير فالذي لبث ابراهيم هو مجيئه والحنيد المشوي مطلقا وقيل المشوي يجتر الخجارة من غير أن تسمه النار وهذا من فعل أهل البادية يقال حنيد الشاة حنيدا جعلها فوق ججارة لحما لينضجها فهي حنيد وقيل هو سمين وقيل هو السميط وقيل الضج وهو فصيل بمعنى مفعول وانما جاءهم بعجل لان البقر كانت أكثر أمواله (فلما رأى) الرؤية بصرية أي أبصر (أيديهم لاتصل اليه) أي لا يدونها الى العجل المشوي كما يدونه من يريد الاكل (نكرهم) يقال نكرته وانكرته واستنكرته اذا وجدته على غير ما تعهدو يقال أنكرت لما تراه بعينك ونكرت لما تراه

المتقين وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك والمسلمون استمروا العقد والهدنة مع أهل مكة من ذى القعدة في سنة ست الى ان نقضت قريش العهد وما لوا احقاهم وهم بنو بكر على خزاعة احناف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوهم معهم في الحرم أيضا فعند ذلك غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان سنة ثمان ففتح الله عليه البلاد الحرام ومكث من نواصبيهم ولله الحمد والمنة فاطلق من أسلم منهم بعد القهر والغلبة عليهم فسهوا الطلقاء وكانوا قريسا من أثنين ومن استمر على كفره وفر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليه بالامان والتسيير في الارض أربعة أشهر يذهب حيث شاء ومنهم صنوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وغيرهما ثم هداهم الله بعد ذلك الى الاسلام التام والله المحمود على جميع ما يقدره ويفعله (كيف وان يظهر واعليكم لا يقبوا فيكم الا ولادمة يرضونكم بافواهم وتأيي قلوبهم وأكثرهم فاسقون) يقول تعالى محرض اللومين على معاداتهم والتبري منهم ومبيننا انهم لا يستحقون أن يكون لهم عهد لشر كههم بالله تعالى وكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أنهم اذ ظهروا على المسلمين وأدبوا عليهم لم يبقوا ولم يذروا ولا راقبوا فيهم الا ولادمة قال علي بن أبي طلحة وعكرمة والعوفى عن ابن عباس الال القرابة والذمة العهد وكذا قال الضحاك والسدي كما قال عيسى بن مقبل

أفسد الناس خلوف خلّفوا * قطعوا الال وأعرأق الرحم

وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه

وجدناهم ككاذبا والهـم * وذوالال والعهد لا يكذب

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد لا يقبون في مؤمن الا الال الله وفي رواية لا يقبون الله ولا غيره وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن عيسى عن سليمان عن ابي مجلز في قوله تعالى لا يقبون في مؤمن الا ولازمة مثل قوله جبريل ميكائيل اسرافيل كآته يقول لا يقبون الله والقول الاول أظهر وأشهر وعليه الاكثر وعن مجاهد أيضا الال العهد وقال قتادة الال الحلف (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يقبون في مؤمن الا ولازمة وأولئك هم المعتدون فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فآخوناكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون) يقول تعالى ذمنا المشركين وحنا للمؤمنين على قتالهم اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا يعنى انهم اعتاضوا عن اتباع آيات الله بما التهبوا به من أمور الدنيا الخبيسة فصدوا عن سبيله اى منعوا المؤمنين من اتباع الحق انهم ساء (٣٥٢) ما كانوا يعملون لا يقبون في مؤمن الا ولازمة تقدم تفسيره وكذا

الآية التي بعدها فان تابوا وأقاموا الصلاة الى آخرها تقدمت وقال الحافظ ابو بكر البرزاني حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يحيى بن أبي بكر حدثنا ابو جعفر الرازى حدثنا الربيع بن أنس قال سمعت انس بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الدنيا على الاخلاص لله وعبادته لا يشرك به وأقام الصلاة وآتى الزكاة فارقها والله عنه راض وهو دين الله الذى جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الاحاديث واختلاف الاهواء وتصديق ذلك فى كتاب الله فان تابوا يقول فان خلّعوا الاوثان وعبادتها

بقليقيل وانما استنكر منهم ذلك لان عادتهم ان الضيف اذا نزل بهم ولم يأكل من طعامهم ظنوا انه قد جاءه بشر ولم يات بخير قاله قتادة وفي الذاريات قوم منكروا أى غرباء لا يعرفهم قال ذلك في نفسه كما قاله ابن عباس وقيل انما أنكر أمرهم لانهم دخلوا عليه من غير استئذان وقال ابو العالسة انكسر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض (وأوجس منهم) أى أحس في نفسه (خيفة) أى خوفا وفرعا وقيل معنى اوجس أضمر في نفسه والاول الصق بالمعنى اللغوى والوجس هو رعب القلب والايحاس الادراك وقيل الاضمار وفي السمين الايحاس حديث النفس وأصله من الدخول كأن الخوف داخله والوجس ما يعتري النفس أو ان الفزع ووجس في نفسه كذا أى خطر بها يحس وجسا ووجوسا ووجيسا وكانه ظن انهم قد نزلوا به لامر ينكره أو لتعذيب قومه (قالوا لا تخف) قالوا له ذلك مع كونه لم يتكلم بما يدل على الخوف بل أوجس ذلك في نفسه فلعلهم استدلوا على خوفه بامارات كظهور أثره على وجهه أو قالوا له بعد ما قال عقب ما أوجس في نفسه من الخيفة قول لا يدل على الخوف كما في قوله في سورة الحجر قال انامنكم وجلون ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بما هنا لثم عللوا نهيهم عن الخوف بقولهم (انا أرسلنا الى قوم لوط) خاصة ولوط أول من آمن براهيم وأبوه هارون أخو ابراهيم ويمكن ان يكون ابراهيم عليه السلام قد قال قول لا يكون هذا جوابا عنه كما قال فما خطبكم أي المرسلون قالوا انا

أرسلنا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فارقها وهو عنه راض وباقيه عندى من كلام الربيع بن أنس (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا يمان لهم اهلهم ينتهون) يقول تعالى وان نكث هؤلاء المشركون الذين عاهدتوهم على مدة معينة أيمانهم اى عهودهم ومواثيقهم وطعنوا في دينكم اى عابوه واتقصوه ومن هنا أخذت قتل من سب الرسول صلوات الله وسلامه عليه او من طعن في دين الاسلام او ذكره بنقص ولهذا قال قتادة وغيره أئمة الكفر كآتي الكفر انهم لا يمان لهم اهلهم ينتهون اى يرجعون عما هم فيه من الكفر والعناد والضلال وقد قال قتادة وغيره أئمة الكفر كآتي جهل وعتبة وشيبة وامية بن خلف وعدد رجالا وعن مصعب بن سعد بن ابي وقاص قال مر سعد بن ابي وقاص برجل من الخوارج فقال الخارجى هذا من أئمة الكفر فقال سعد كذبت بل انا قاتلت أئمة الكفر رواه ابن مردويه وقال الاعشى عن زيد بن وهب عن حذيفة قال ما قول اهل هذه الآية بعد وروى عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه مثله والصحيح ان الآية عامة وان كان

سبب نزولها مشركي قريش فهي عامة لهم ولغيرهم والله أعلم وقال الوليد بن (٢٥٢) مسلم حدثنا صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن

جبير بن نزيارة كان في عهد أبي بكر رضي الله عنه إلى الناس حين وجههم إلى الشام قال انكم ستجدون قوما يجوفون رؤسهم فاضربوا ماعقده الشيطان منهم بالسيف فوالله لان أقتل رجلا منهم أحب إلى من ان أقتل سبعين من غيرهم وذلك بان الله يقول فقاتلوا أئمة الكفر زواه ابن أبي حاتم (الأتقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهم موأباخراج الرسول وهم بذوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين فأتولاهم بعد ذلك الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم سم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) وهذا أيضا تهيب وتخصيض واغراء على قتال المشركين الناكثين بايمانهم الذين هم موأباخراج الرسول من مكة كما قال تعالى واذ يكره الذين كفروا ليثبتوا أو يقتلوا أو يخرجوا ويكفرون ويكفرون بالله والله خير الماكرين وقال تعالى يخزجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم الآية وقال تعالى وان كادوا يستفزونك من الارض ليخرجنك منها الآية وقوله وهم بذوكم أول مرة قيل المراد بذلك يوم بدر حين خرجوا لنصر عيبرهم فلما نجت وعلوا بذلك واستروا على وجوههم طلبا للقتال بغيا وتكبرا كما تقدم بسط ذلك وقيل المراد نقضهم العهد بدو قتالهم مع حلفائهم بنى بكر لخزاعة أحلاف

أرسلنا إلى قوم مجرمين (وامرأته) اي سارة زوجة ابراهيم وهي ابنة هرون بن ناحور وهي ابنة عم ابراهيم (قائمة) قيل كانت قائمة عند تحاورهم وراء السترة تسمع كلامهم وقيل كانت واقفة قائمة تخدم الملائكة وهو جالس والجملة مستأنفة أو وحالية (فضحكت) الضحك هنا هو الضحك المعروف الذي يكون للتعجب أو للسرور كما قاله الجهور واصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس ولظهور الاسنان عنده سميت مقدمات الاسنان الضواحك ويستعمل في السرور والمجرد وفي التعجب المجرى ايضا وعليه اكثر المفسرين وقال مجاهد وعكرمة انه الحيز والعرب تقول ضحكت الارنب اذا حاضت وقد انكر بعض اللغويين ان يكون في كلام العرب ضحكت بمعنى حاضت قال الراغب وقول من قال حاضت ليس تفسير القوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين وانما ذكر ذلك تصريحا لخالها فان ذلك اشارة لما بشرت به خبيصها في الوقت ليعلم ان جملها ليس ينكر لان المرأة مادامت تحيض فانها تحمل قال الفراء ضحكت بمعنى حاضت لم نسمعها من ثقة وقال الزجاج ليس بشئ ضحكت بمعنى حاضت وقال ابن الانباري قد انكر الفراء وأبو عبيدة ان يكون ضحكت بمعنى حاضت وقال في المحكم ضحكت المرأة حاضت والاول أولى ولا مصير الى المجاز الا عند تعذر الحقيقة وظاهر النص انها ضحكت قال قتادة ضحكت تعجبا مما فيه قوم لوط من الغفلة وعما أتاهم من العذاب وقال السدي ضحكت تعجبا من عدم أكاهم وقال مقاتل والكبي ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهو فيما بين خدمه وحشمه وخواصه وقيل ضحكت من زوال الخوف عنها وعن ابراهيم حين قالوا لا تخف وقيل ضحكت سرورا من البشارة وقال وهب ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها وقيل غير ذلك مما ليس في ذكره كثير فائدة والله أعلم مما ضحكت وقال ابن عباس حاضت وهي بنت عثمان تسعين سنة وعن مجاهد قال وكان ابراهيم من مائة سنة (فبشرناها باسحق) ظهر ان التبشير كان بعد الضحك وقال الفراء فيه تقديم وتأخير والمعنى فبشرناها فضحكت سرورا بالولد وولد اسحق بعد البشارة بسنة وكانت ولادته بعد اسبعين سنة (ومن وراء) أي وهبنا لها من وراء (اسحق يعقوب) وقرئ بجور يعقوب ومنعه الذراء وقرئ بالرفع على الابتداء وخبره الطرف الذي قبله وبال نصب وهو اسبعين سنة وقد وقع التبشير هنا هو وقع لابراهيم في قوله تعالى وبشرناه بغيلام طليم وبشروه بغلام عليم لان كل واحد منهم مما مستحق للبشارة به لكونه منهم ما قال ابن عباس هو ولد الولد أي فبشرت بأنها تعيش حتى ترى ولد الولد وقد رآته (قالت يا ويلتنا) مستأنفة كأنه قيل فاذا قانت وهي لم ترد الدعاء على نفسها بالويل ولكنها كلمة تقع كثيرا على افواه النساء اذا طرأ عليهن ما يوجب منه وأصل الويل الخزي ثم شاع في كل أمر فطبع والالف مبدلة من ياء الاضافة والاستفهام في قولها (أألدوا نا عجز) للتعجب أي كيف ألدوا نا شيخة قد طعنت في السن يقال عجزت تعجزت مخفقا ومثقلا عجزا وتعجزت أي طعنت في السن ويقال عجز وعجوزة وأما عجزت بكسر الجيم فعناه عظمت بعجزتها (وهذا يعلى) أي زوجي ابراهيم (شيخا) لا تحبل من مثله النساء ونصبه على الحال والعامل فيه

الجد والمئة وقوله أتخشونهم قالته أحمق (٣٥٤) ان تخشوه ان كنتم مؤمنين يقول تعالى لا تخشوهم واخشون فان اهل ان تخشى

معنى اسم الاشارة ومثل هذه الخال من غوامض العربية اذ لا تجوز الا حيث يعرف الخبر وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف أى هو شيخ أو خبر بعد خبراً وهو الخبر وبعلى بدل وجوز كونه عطف بيان وكون شيخاً تابعاً للبعلى أيضاً والبعلى هو المستعمل على غيره والزوج مستعمل على المرأة قائم بأمرها فسمى بعلاً لذلك قيل كان ابراهيم ابن مائة وعشرين سنة وهى بنت تسع وتسعين وقيل بنت تسعين وهذه المبشرة هى سارة امرأة ابراهيم وقد كان ولداً لبراهيم من هاجر أمته اسمعيل فتمت سارة أن يكون لها ابن وأبست منه لكبر سنها فبشرها الله به على لسان ملائكته وكانت بين الولادة والبشارة سنة (ان هذا الشئ عجيب) أى ما ذكرته الملائكة من التبشير بحصول الولاد مع كونها فى هذه السن العالمة التى لا يولد لمن كان فى مثلها شئ يقضى منه العجب ولم تنكر قدرة الله (قالوا أجمعين من أمر الله) مستأنفة جواب سؤال مقدر والاستفهام فيها اللانكار أى كيف تعجبين من قضاء الله وقدره وهو لا يستحيل عليه شئ وقيل المعنى لا تعجبين من ذلك وانما أنكروا عليها مع كون ما تعجبتم منه من خوارق العادة لانها من بيت النبوة ولا يعنى على مثلها ان هذا من مقدوراته سبحانه ولهذا قالوا (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أى الرحمة التى وسعت كل شئ واسستبعت كل خير وانما وضع المظهر موضع المضمحل لزيادة نشر يفيها والبركات الخيرات النامية المتكاثرة فى كل باب التى من جملتها هبة الاولاد والبركة هى النمو والزيادة وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لما فهم من الانبياء وكلهم من ولاد ابراهيم وانتصاب أهل البيت على المدح أو الاختصاص وبين النصيين فرق ذكره السهين وصرح الخطاب من صيغة الواحدة الى الجمع لقصد التعميم وقيل خطاب لها وله وهذا على معنى الدعاء من الملائكة بالخير والبركة وفيه دليل على ان أزواج الرجال من أهل بيته عن ابن عباس انه كان ينهى عن ان يراى فى جواب التحية على قولهم عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ويتلو هذه الآية وعن ابن عمر نحوه (انه حميد) أى يفعل موجبات الحمد من عباده على سبيل الكثرة (حميد) كثير الاحسان الى عباده بما يفيضه اليهم من الخيرات وقيل الحميد المنيع الذى لا يرام وقال الخطابي الحميد الواسع الكريم وأصل الحمدي كلامهم السعة وقيل هو ذو الشرف والكرم والجله لتعليل لقوله رحمة الله وبركاته الخ (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) أى الخيفة التى أوجسها فى نفسه يقال ارتاع من كذا اذا خاف قال مجاهد الروع الفرق وهو الخوف وقيل الفزع (وجاءه البشرى) أى بالولد أو بقولهم لا تخف (يجادلنا فى قوم لوط) قال الاخفش والكسائى ان يجادلنا فى موضع جادلنا فيكون هو جواب لما لما تقر من أن جوابها يكون بالماضى لا بالمستقبل قال النحاس جعل المستقبل مكانه كما يجعل الماضى مكان المستقبل فى الشرط وقيل ان الجواب محذوف ويجادلنا فى محل نصب على الحال قاله القراء وتفسيره فلما ذهب عنه الروع وجاءته البشرى اجترأ على خطابنا حال كونه يجادلنا أى يجادل رسلنا وقيل ان المعنى أخذنا وجعل يجادلنا ومجادلته لهم قيل انه لما سمع قولهم نادى هلكوا أهل هذه القرية قال رأيت ان كان فيهم خمسون من المسلمين أنهم لكونهم قالوا الا قال فاربهون قالوا الا قال فعشرون قالوا الا قال فعشرة خمسة قالوا الا

العباد من سطوتى وعقوتى فيسدى الامر وما شئت كان وما لم أشأ لم يكن ثم قال تعالى عزيمه على المؤمنين وبيان الحكمة فيما شرع لهم من الجهاد مع قدرته على اهلاك الاعداء بأمر من عنده فاتلوهم بعدتهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وهذا عام فى المؤمنين كلهم وقال مجاهد وعكرمة والسدى فى هذه الآية ويشف صدور قوم مؤمنين يعنى خزاعة وأعاد الضمير فى قوله ويذهب غيظ قلوبهم عليهم اسم أيضاً وقد ذكر ابن عساكر فى ترجمة مؤذن لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عن مسلم بن يسار عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غضبت أخذت بانفها وقال يا عويش قولى اللهم رب النبي محمد اغفر ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرتني من مضلات الفتن ساقه من طريق أبى أحمد الحاكم عن الباغندرى عن هشام بن عمار حدثنا عبد الرحمن بن أبى الجوزاء عنه ويتوب الله على من يشاء أى من عباده والله عليهم أى بما يصلح عباده حكيم فى انعاله واقواله الكونية والشرعية فيفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو العادل الحاكم الذى لا يجور أبداً ولا يضيع مثقال ذرة من خير وشر بل يجازى عليه فى الدنيا والآخرة (ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله

ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خير بما تعملون) يقول تعالى أم حسبتم أيها المؤمنون ان تترككم مهملين قال

لا تختبركم بأمور يظهر فيها أهل العزم الصادق من الكاذب ولهذا قال (٣٥٥) ولما بعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من

دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين
ولجسة أي بطانته ودخيلة بل هم
في الظاهر والباطن على النصيحة لله
ورسوله فاكنتي باحد القسمين عن
الآخر كما قال الشاعر
وما أدري اذا عمت أرضا

أريد الخير أيم ما يليني
وقد قال الله تعالى في الآية الأخرى
الم أحسب الناس أن يتركوا أن
يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد
فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله
الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
وقال تعالى أم حسبكم أن تدخلوا
الجنة الآية وقال تعالى ما كان
الله ليعذب المؤمنين على ما أنتم عليه
الآية والحاصل انه تعالى لما شرع
لعباده الجهاد بين ان له فيه حكمة
وهو اختبار عبده من يطعمه ممن
يعصيه وهو تعالى العالم بما كان وما
يكون وما لم يكن لو كان كيف كان
يكون فيعلم الشيء قبل كونه ومع
كونه على ما هو عليه لا اله الا هو ولا
رب سواه ولا راد لما قدره وأمضاه
(ما كان للمشركين ان يعبروا
مساجد الله شاهدين على أنفسهم
بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي
النار هم خالدون انما يعمر مساجد
الله من آمن بالله واليوم الآخر
وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش
الا الله فعسى أولئك ان يكونوا من
المهتدين) يقول تعالى ما ينبغي
للمشركين بالله ان يعبروا مساجد
الله التي بنيت على اسمه وحده لا
شريك له ومن قرأ مسجدا لله فأراد

قال فواحد قالوا لا قال ان فيم الوطا قالوا نحن أعلم بما فيها النجسينه وأهله الآية وعن ابن
عباس قال لما جاءت الملائكة الى ابراهيم قالوا ابراهيم ان كان فينا خمسة يصلون رفع
عنهم العذاب فهذا معنى مجادلته في قوم لوط أي في شأنهم وأمرهم وقيل معناه يكامنا
ويسالنا ان الله لا يقدر ان يخاصم ربه وان كان نبيا ولهذا قال جمهور المفسرين معناه
يجادل رسلنا ثم أنشوا على ابراهيم أو اثني الله عليه فقال (ان ابراهيم خليم) أي ليس بجحول
في الامور ولا جوق لها على غير ما ينبغي (أواه) أي كثير التواؤم والرحيم (منيب) أي
راجع الى الله وقد تقدم في براءة الكلام على الاواه والمنيب هو المقبل الى طاعة الله وقال
قتادة المنيب المخلص وفي الآية ما يشبه الى أن المراد بالمجادلة فيما تقدم مجادلة الرسل
لا مجادلة الرب كما قاله الجمهور والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو ورقة قلبه
وفطر رجمته فطلب تأخير العذاب عنهم لعلمهم يومنون ويرجعون عنهم فيه من الكفر
والمعاصي (يا ابراهيم أعرض عن هذا) هذا قول الملائكة له أي أعرض عن هذا المقال
واترك هذا الجدل في أمر قد فرغ منه وجف به القلم وحق به القضاء (انه قد جاء أمر ربك)
الضهير للشان والمعنى محيى عذابه الذي قدره عليهم وسبق به قضاء في أزله (وانهم أتتهم
عذاب غير مردود) أي لا يرد دعاءه ولا جدال بل هو واقع بهم لا محالة ونازل بهم على كل
حال ليس بمصرف ولا مدفوع (ولما جاءت رسلنا لوطا) أي لما خرجت الملائكة من
عند ابراهيم وكان بين ابراهيم وقربة لوط أربعة فراحوا الى لوط فلما رآهم لوط وكانوا
في صورة عثمان حسان مرد (سرى بهم) أي ساءه مجيئهم اليه يقال ساءه يسوءه لانهم جاؤه
في صورة عثمان حسان مرد فظن انهم ناس يخاف عليهم ان يقصدتهم قومه فيجزع عن
مدافعهم (وضاق بهم ذرعا) قال الازهرى الذرع موضع موضع الطاقة وأصله ان البعير
يذرع بيده في سيره على قدر سرعة خطوه أي يبسطها فاذا حمل عليه أكثر من طاقته ضاق
ذرعه عن ذلك فجعل ضيق الذرع كناية عن قلة الوسع والطاقة وشدة الامر وقيل هو من
ذرعه التي اذا غلبه وضاق عن حمله والمعنى انه ضاق صدره لما رأى الملائكة في تلك
الصورة خوفا عليهم من قومه لما يعلم من فسقهم وارتكابهم لغاحشة اللواط ولم يجد
مخلصا قال ابن عباس ساءظنا بقومه وضاق ذرعا بأضيافه وقيل ضاق بهم قلبا وصدره ولا
يعرف أصله ويقال ضاق فلان ذرعا بكذا اذا وقع في مكروه ولا يطيق الخروج منه (وقال
هذا يوم عصيب) أي شديد كانه قد عصب به الشر والبلاء أي شديده مأخوذ من العصابة
التي يشدها الرأس يقال عصب وعصيب وعصوب وعصوب على التكثير أي يوم مكروه يجمع
فيه الشر ومنه عصابة أي مجموع الكمة ورجل معصوب أي مجتمع الخلق (وجاءه
قومه يهرعون اليه) أي جاؤا لوطا يسرعون اليه قاله قتادة وقال الكسائي والقراء
وغيرهم ما من أهل اللغة لا يكون الا هراعا الاسراع مع رعدة يقال هرع الرجل هراعا
أي أسرع في رعدة من برد أو غضب أو حوى وقيل يهرولون قاله مجاهد وقيل هو مشى بين
الهرولة والعدو قاله الحسن وقال شمر هو بين الهرولة والجنب والجزو والمعنى ان قوم
لوط لما بلغهم محيى الملائكة في تلك الصورة أسرعوا اليه كما يمدفعون دفعا لطلب

به المسجد الحرام أشرف المساجد في الارض الذي بنى من أول يوم على عبادة الله وحده لا شريك له وأسس خليل الرحمن هذا وهم

شاهدون على أنفسهم بالكفر أي بجاهلهم (٣٥٦) وقالهم كما قال السدي لوسألت النصراني ما دينك لقال نصراني واليهودي

ما دينك لقال يهودي والصائى لقال صائى وان شريك لقال مشرك أولئك حببت أعمالهم أي بشركتهم وفي النارهم خالدون كقوله تعالى ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصمدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياءؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون ولهذا قال تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر فشهدتعالى بالايمان لعمار المساجد كما قال الامام أحمد حدثنا شريح حدثنا ابن وهب عن عمرو ابن الحرث ان دراجا أبانا السمع حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ورواه الترمذى وابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن وهب به وقال عبد ابن حميد في مسنده حدثنا يونس بن محمد حدثنا صالح المري عن ثابت البناني عن ميمون بن سبياه وجعفر ابن زيد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما عمار المساجد هم أهل الله ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عبد الواحد ابن غياث عن صالح بن بشير المري عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما عمار المساجد هم أهل الله ثم قال لا تعلم رواه عن ثابت غير صالح وقدروى الدارقطنى فى الافراد من طريق حكامه بنت عثمان بن دينار عن أبيها عن أخيه مالك بن دينار عن أنس مرفوعا لدافعتكم

الفاحشة من أضيفه (ومن قبل) أي ومن قبل مجيئ الرسل (كانوا يعملون السيئات) أي يأتون الرجال فى أدبارهم وكانت ذلك عاداتهم فلاحياء عندهم منها فلما جاءوا الى لوط وقصدوا أضيفه لذلك العمل قام اليهم لوط مدافعا (قال يا قوم) خاطبهم بهذا الخطاب وهم من وراء الباب خارجه (هو لا بناتى) أي تزوجوهن ودعوا ما تطلبونه من الفاحشة باضيفا وقد كان له ثلاث بنات وقيل ابنتان وكانوا يظنون منه أن يزوجهن من فيمنع نجسهم لالعدم كفايتهم وكان لهم سيدان مطاعان فأراد ان يزوجهما بنتيه والمراد بالجمع ما فوق الواحد وقيل أراد بقوله هو لا بناتى النساء جله لان نبي القوم أب لهم قاله ابن عباس وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير قال الكرخى وهذا القول أولى لان اقدام الانسان على عرض بناته على الاوباش والفجار مستبعدا ليليق بأهل المرأة فكيف بالانبياء وأيضاً فيناتة لا تكفى الجمع العظيم أما بنات أمته ففمن كفاية للسكل انتهى لكن فيه مخالفة لظاهر النظم وقيل كان فى ملته يجوز تزوج الكافر بالمسلمة قال قتادة المراد بناته لصلبه وقى أضيفه بناته وقال الحسين بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقالت طائفة انما كان هذا القول منه على طريق المدافعة ولم يرد الحقيقة وعن حذيفة بن اليمان قال عرض عليهم بناته تزويجا وأراد ان يبقى أضيفه بتزويج بناته (هن أطهر لكم) أى أحل وأنزه والتطهر التنزه عما لا يحل وليس فى صيغة أطهر دلالة على الفضل بل هى مثل الله أكبر (فاتقوا الله) بترك ما تريدون من الفاحشة بهم (ولا تخزون) أى لا تذولوا ولا تفخضوني وتجبوا على العار يقال خزى الرجل خزاية أى استحيى أو ذل أو هان وخزى خزيا اذا افتضح (فى ضيق) الضيف فى الاصل مصدر يطلق على الطارق ليلا الى المضيف ولذلك يقع على الواحد والاثنين والجماعة والمذكر والمؤنث وقد يثنى فيقال ضيفان ويجمع فيقال اضياف والاول أكثر والمعنى فى شأن ضيفي وحقهم فخزى الضيف خزى المضيف وذلك من عراقة الكرم وأصالة المرأة ثم ونجهم فقال (أليس منكم رجل رشيد) رشدكم الى ترك هذا العمل القبيح ويمنعكم منه ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر قاله أبو مالك وقال ابن عباس يعنى واحدا يقول لاله الا الله والاستفهام للتوبيخ (قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق) أى مالنا فبين من شهوة ولا حاجة لان من احتاج الى شئ فكأنه حصل له فيه نوع حق ومعنى ما نسبوه اليه من العلم انه قد علم منهم المكالمة على ايمان الذكور وشدة الشهوة اليهم فهم من هذه الخبيثة كأنهم لا حاجة لهم الى النساء ويمكن أن يريدوا به انه لاحق لنا فى نكاحهن لانه لا ينكحهن ولا يتزوج بهن الا رجل مؤمن ونحو لان مؤمن أبدا وقيل انهم كانوا قد خطبوا بناته من قبل فردهم وكان من سنتهم ان من خطب فرد فلا تحل له الخطوبة أبدا (وانك تعلم ما تريد) من ايمان الذكور والرجال قاله السدي ومما صدق به أو موصولة والعلم يعنى العرفان ولذلك تعدى لواحدا أى لتعرف ارادتنا أو الذى يزيد ويجوز أن تكون استفهامية وهى متعاقبة للعلم قبلها ثم لما علم تصيهم على الفاحشة وانهم لا يتركون ما قد طلبوه (قال لو أنى بكم قوة) جواب لو محذوف أى

لدافعتكم

بن دينار عن أبيها عن أخيه مالك بن دينار عن أنس مرفوعا لدافعتكم

إذا أراد الله بقوم عاهة نظر إلى أهل المساجد فصرف عنهم ثم قال (٣٥٧) غريب وروى الحافظ البهاء في المستقصى عن أبيه

بسندته إلى أبي أمية الطرسوسي
حدثنا منصور بن صفير حدثنا صالح
المري عن ثابت عن أنس مرفوعا
يقول الله وعزتي وجلالي إني لأهم
بأهل الأرض عذابا فإذا نظرت إلى
عمار يوتى وإلى المتحابين في وإلى
المستغفرين بالأسحار صرفت ذلك
عنهم ثم قال ابن عساكر حديث
غريب وقال الامام أحمد حدثنا
روح حدثنا سعيد عن قتادة حدثنا
العلامة يزيد عن معاذ بن جبل أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال إن
الشيطان ذئب الإنسان كذئب
الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية
فياكم والشعاب وعليكم بالجماعة
والعامسة والمسجد وقال عبد
الرزاق عن معمر عن أبي اسحق
عن عمرو بن ميمون الأودي قال
أدركت أصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم وهم يقولون إن المساجد
بيوت الله في الأرض وأنه حق على
الله أن يكرم من زار فيها وقال
المسعودي عن حبيب بن أبي ثابت
وعدي بن ثابت عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
من سمع النداء بالصلاة ثم لم يجب
ويأتي المسجد ويصلي فلا صلاة له
وقد عصى الله ورسوله قال الله
تعالى إنما يعمر مساجد الله من
آمن بالله واليوم الآخر الآية رواه
ابن مردويه وقد روى مرفوعا من
وجه آخر وله شواهد من وجوه
أخر ليس هذا موضع بسطها وقوله
وأقام الصلاة أي التي هي أكبر
عبادات البدن وأتى الزكاة أي التي هي أفضل الأعمال المتعدية إلى بر الخلائق وقوله ولم يخش الله تعالى

لدافعتكم عنهم ومنعتكم منهم وبطشت بكم وهذا منه عليه السلام على طريق التثنية
أي لو وجد ناصرا ومعينا فسمى ما يتقوى به قزة (أو آوى إلى ركن شديد) مراده
بالركن الشديد العشيرة وما يتبع به عنهم هو ومن معه وإنما قال ذلك لأنه لم يكن من قومه
نسباً بل كان غريباً فيهم لأنه كان أولاً بالعراق مع إبراهيم فلما هاجر إلى الشام أرسله الله
إلى أهل سدوم وهي قرية عند حصص قال أبو هريرة ما بعث الله نبياً بعده إلا في منعة من
عشيرته وقيل أراد بالقوة الولد وبالركن من ينصره من غير ولده وقيل أراد بالقوة قوته
في نفسه قال السدي إلى جند شديد لقاتلتكم وقد ثبت في البخاري وغيره من حديث
أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يغفر الله للوط إن كان يأوى إلى ركن
شديد وهو مروى في غير الصحيح من طريق غيره من الصحابة وقال النووي المراد بالركن
الشديد هو الله عز وجل فإنه أشد الأركان وأقواها وأمنعها اه وهو يخالف ظاهر
الآية والحديث المتقدم ولما سمعته الملائكة يقول هذه المقالة ووجدوا قومه قد غلبوه
وعجز عن مدافعتهم (قالوا لوط انارسل ربك) أخبروه أولاً أنهم رسل ربه ثم بشروه بقولهم
(لن يصلوا اليك) وهذه الجملة موضحة لما قبلها لأنهم إذا كانوا رسلين من عند الله اليه
لم يصل عدوه اليه بسوء ولم يقدر واعلمه ثم أمره أن يخرج عنهم فتأولوا (فأسر بأهلك)
قرى بالوصل وبالقطع من أسرى وسرى وهما لغتان سبعتان فصيحتان قال تعالى والليل
إذا نسى وقال سبحان الذي أسرى وهما بمعنى واحد وأو بينهما فرق خلاف مشهور
فقيل هما بمعنى واحد وهو قول أبي عبيد وقيل إن أسرى للسير من أول الليل وسرى
للمسير من آخره وهو قول الليث وأما سار فمختص بالتهار وليس مقبولاً من أسرى والباء
للتعدية أو للمصاحبة والأهل هم بنتاه فلم يخرج من القرية إلا هو وبنتاه فقط وفي
القرطبي خرج لوط وطوى الله له الأرض في وقته حتى نجا ووصل إلى إبراهيم (بقطع أي
مصاحبين بقطع من الليل) القطع الطائفة منه قال ابن الأعرابي بساعة منه وقال
الأخفش يخرج من الليل وقال الضحاك ببقية الليل وقال قتادة بعد مضى أوله وقيل إنه
السكر الأول وقيل نصف منه لأنه قطعة منه مساوية لباقيه وقيل بظلمة منه وقيل بعد
هدوم الليل وقال ابن عباس بجوف الليل وبسواده وقيل إن البامعنى في وقد تقدم
الكلام على القطع في يونس بأشبع من هذا وقيل إن السرى لا يكون إلا في الليل فواجه
زيادة بقطع من الليل قيل لولم يقله لجاز أن يكون في أوله قبل اجتماع الظلمة وليس ذلك
بمراد (ولا يلتفت منكم أحد) أي بقلبه إلى ما خلف أو لا يتنظر إلى ما وراءه أو لا يشتغل
بما خلفه من مال أو غيره قيل وجه النهي عن الالتفات أن لا يروا عذاب قومهم وهول
ما نزل بهم فيرحوهم ويرقوهم أولئلا ينقطعوا عن السير المطلوب منهم بما يقع من
الالتفات فإنه لا بد لملتفت من فترة في سيره وقع فيه ضمير منكم للاهل فهو الالتفات فقوله
لا يلتفت من تسمية النوع وهذا من بديع النكات وهو عند المتأخرين من أهل البديع
أن يوتى بشيء من البديع ويذكر اسمه على سبيل التورية وتجعوا باختراعه وأنه قد رفع
في القرآن في هذه الآية قال الخفاسي ثم إنى وحدث منه قوله تعالى من وجد في رحله فهو

عبادات البدن وأتى الزكاة أي التي هي أفضل الأعمال المتعدية إلى بر الخلائق وقوله ولم يخش الله تعالى

ولم يخش سواه فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين (٣٥٨) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله انما يعمر مساجد الله من

آمن بالله واليوم الآخر يقول من
وحد الله وآمن باليوم الآخر يقول
من آمن بما أنزل الله وأقام الصلاة
يعنى الصلوات الخمس ولم يخش
الا الله يقول لم يعبد الا الله ثم قال
فعسى أولئك ان يكونوا من
المهتدين يقول تعالى ان أولئك
هم المفلحون كقوله انبيه صلى الله
عليه وسلم عسى أن يعثرك ربك
مقاما محمودا وهي الشفاعة وكل
عسى في القرآن فهي واجبة وقال
محمد بن اسحق بن يسار رحمه الله
وعسى من الله حق (أجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كن
آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في
سبيل الله لا يستون عند الله والله
لا يهدي القوم الظالمين الذين آمنوا
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند
الله وأولئك هم الفاضلون يشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وجنات
لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا
ان الله عندنا أجر عظيم) قال العوفي
في تفسيره عن ابن عباس في تفسير
هذه الآية قال ان المشركين قالوا
عمارة بيت الله وقيام على السقاية
خير من آمن وجاهد وكانوا يفخرون
بالحرم ويستكبرون به من أجل
انهم أهله وعماره فذكر الله
استكبارهم واعراضهم فقال لاهل
الحرم من المشركين قد كانت آياتي
تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم
تنبكون مستكبرين به سامرا
تفخرون بمعنى انهم كانوا يستكبرون
بالحرم قال به سامرا كانوا يسهرون به

جزاؤه في سورة يوسف فان جزاؤه جزء من الشرطية وقد ذكرناه جزاء ومنه قوله تعالى
أنزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الى قوله كذلك يضرب الله الامثال اه
(الامر أنك) بالنصب سبعية والاستثناء من قوله فأسر بأهلك أى اسر بأهلك جميعا
الامر أنك فلا تسربهم السكونها كآفة وانكر قراءة الرفع جماعة منهم أبو عبيدة قال
الخماس الرفع على البدل له معنى صحيح أى لا يلتفت منكم أحد الامر أنك فانها تلتفت
وتهلك وقيل ان الرفع على البدل من أحد ويكون الالتماس بمعنى الخلف لاجبى النظر
الى الخلف فكأنه قال ولا يتخلف منكم أحد الامر أنك فانها تتخلف والمخفى الى هذا
التأويل البعيد الفرار من تناقض القراءتين (انه مصيها ما أصابهم) من العذاب وهو
رميهم بالحجارة والجملة لتعليل للاستثناء (ان موعدهم الصبح) هذه الجملة لتعليل لما تقدم من
الامر بالاسراء والنهي عن الالتفات والمعنى ان موعدهم أي وقت هلاكهم الصبح
المسفر عن تلك الدلية روى انه قال لهم متى موعدهم هلاكهم فقالوا هذه المقالة فقال أريد
أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب) الهمزة لانكار التقريرى على حسد
لم نشرح لك صدرك والجملة تأكيديا لتعليل ولعل جعل الصبح ميقانا لهلاكهم ليكون
النفوس فيه أسكن والناس فيه مجتمعون لم يتفرقوا الى أعمالهم (فلما جاء أمرنا) أى
الوقت المضروب لوقوع العذاب فيه والمراد بالامر نفس العذاب والاول أولى (جعلنا
عالميا) أى على قرى قوم لوط (سافلهما) والمعنى انه قلبها على هذه الهيئة وهى كون عالميا
صار سافلهما وسافلهما صار عالميا وذلك لان جبريل أدخل جناحه تحتها فرفعها من تخوم
الارض حتى أدناها من السماء ثم قلبها عليهم قال مجاهد لما أصبحوا غدا جبريل على
قريتهم وقطعها من أركانها ثم أدخل جناحه ثم جعلها على خوافي جناحه بما فيها ثم صعد
بها الى السماء حتى سمع أهل السماء صياح ديكهم ونباح كلامهم ثم قلبها فكان أول
ما سقط منها سراقها فلم يصب قومها أصابهم ثم ان الله طمس على أعينهم ثم قلبت قريتهم
وهى خمس مدائن أكبرها سدوم وهى الموثفة كانت المذكورة في سورة براءة يقال كان فيها
أربعة آلاف ألف (وأما ناعليها) أى على المدن حين رفعها جبريل أو على شذاذها
وعلى من كان خارجا عنها من مسافريها أو من بعد قلبها قيل انه يقال امطرنا فى العذاب
ومطرنا فى الرحمة وقيل هما الغنان يقال مطرت السماء وأمطرت حتى ذلك الهوى (حجارة
من سجيل) هو الطين المتحجر بطبخ أو غيره وقيل هو الشديد الصلب من الحجارة وقيل هو
الكثير وقيل ان السجيل لثقة غير عربية أصله سيج وجسيل وهما بالفارسية سجة ووطن
عربتهما العرب فجعلتهما سماوا واحدا قال سعيد معناه سنك كل فارسى معرب لان
العرب اذا تكلمت بشئ من الفارسى صار لغة للعرب ولا يضاف الى الفارسى مثل قوله
سندس واستبرق فكل هذه ألفاظ فارسىة تكلمت بها العرب واستعملتها فى ألفاظهم
فصارت عربية قال قتادة وعكرمة هو الحجر والطين دليله قوله تعالى فى موضع آخر حجارة
من طين وقال مجاهد أولها حجر وآخرها طين وقال الحسن أصل الحجارة طين فشدت وقال
الضحاك يعنى الأجر وقيل هو من لغة العرب وذكر الهوى ان السجيل اسم لسماء الدنيا

قال
بالحرم قال به سامرا كانوا يسهرون به ويحجرون القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم خير الله الايمان والجهاد مع النبي قال

صلى الله عليه وسلم على عمارة المشركين بالبيت وقيامهم على السقاية ولم يكن (٣٥٩) يتفقهم عند الله مع الشرك به وان كانوا يعرون

ببسه ويحرمون به قال الله تعالى لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين يعنى الذين زعموا انهم اهل العمارة فسماهم الله ظالمين بشركهم فلم تغن عنهم العمارة شيئاً وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية قال ان المشركين قالوا قد نزلت فى العباس ابن عبد المطلب حين أسرى بدر قال لأن كنتم سبقونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعلم المسجد الحرام ونسقى ونفك العاني قال الله عز وجل أجعلتم سقاية الحاج الى قوله والله لا يهدي القوم الظالمين يعنى ان ذلك كان فى الشرك ولا أقبل ما كان فى الشرك وقال الضحاک بن مزاحم أقبل المسلمون على العباس وأصحابه الذين أسروا يوم بدر يعبرونهم بالشرك فقال العباس أما والله لقد كنا نعلم المسجد الحرام ونفك العاني ونحج البيت ونسقى الحاج فأزل الله أجعلتم سقاية الحاج الآية وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن عيينة عن اسمعيل عن الشعبي قال نزلت فى علي والعباس رضى الله عنهما تكلما فى ذلك وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن ابن خنفر قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول افتخر طلحة ابن شيبه من بنى عبد الدار وعباس ابن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب فقال عثمان بن طلحة أنا صاحب البيت محي مقتاحه ولو أشاء بت فيه وقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم

قال ابن عطية وهذا ضعيف يرده وصفه بمنزود وقيل هو بحر معلق فى الهواء بين السماء والارض وقيل هو جبال فى السماء الدنيا وقال الزجاج عومن التسهيل لهم أى ما كتب لهم من العذاب فهو فى معنى محين ومنه قوله تعالى وما أدراك ما سجين كتاب مر قوم وقيل هو من أوجاته اذا أعطيته فكانت عذاب اعطوه والاول أولى (منمنزود) أى نضد بعضه فوق بعض ومنه وطلع منضود أى متراكب والمراد وصف الحجارة بالكثرة وقيل بعضه فى اثر بعض يقال نضدت المتاع اذا جعلت بعضه على بعض فهو منمنزود ونضيد أى متتابع أو مجموع معه العذاب نعت لسجين (مسومة) معلمة أى التى لها علامة حال من حجارة وسوغ مجيئها من السكره تخصيص السكره بالوصف والتسويم العلامة قيل كان عليها أمثال الخواتيم قاله الحسن والسدى وقيل مكتوب على كل حجر اسم من رعى به وقال الفراء زعموا انها كانت مخططة بجمرة وسواد فى بياض فذلك تسويمها قال ابن جرير عليها أسماء لانشا كل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حجر على هيئة الجزع (عندربن) أى فى خزائنه أو فى حكمه والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (وماهى) أى الحجارة الموصوفة وقيل العقوبة المفهومة من السياق والاول أولى لانه أقرب مذكور (من الظالمين) وهم قوم لوط (يبعبد) فانهم بظلمهم حقيق بأن تعطر عليهم وفيه وعبد كل ظالم من الظلمة ومنهم كفار قريش ومن عاصدهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الضمير للقري أى هى قريبة من ظالمى مكة ممن كفر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فانها بين الشام والمدينة يمرن بها فى أسفارهم وتذ كبر البعبد على تأويل الحجارة بالجرأ وجرأه على موصوف مذ كراى شى بعبد أو مكان بعبد أو لكونه مصدرا كالزفير والضمير والمصادر يستوى فى الوصف به المذكور والمؤنث وعن مجاهد قال يهرب بها قريشا ان يصيهم ما عابهم وعن السدى قال من ظلمه العرب ان لم يؤمنوا فبعذبوا بها وعن قتادة قال من ظالمى هذه الامة وقد ذكر المفسرون روايات وقصصا فى كيفية هلاك قوم لوط طويلا متخالفة وليس فى ذلك كراهة فائدة ولا سيما وبين من قال بشى من ذلك وبين هلاك قوم لوط دهر طويلا لا يتيسر له فى مثله اسناد صحيح وغالب ذلك مأخوذ عن أهل الكتاب وحالهم فى الرواية معروف وقد أمرنا بأن لانصدقهم ولا نكذبهم فاعرف هذا فهو الوجه لخالفنا كثيرا من هذه الروايات الكائنة فى قصص الانبياء وقومهم (و) أرسلنا (الى مدين) هو اسم ابن ابراهيم الخليل ثم صار اسما لقبيلة من اولاده وهو المراد هنا وقيل هو فى الاصل اسم مدينة بناها مدين المذكور والتقدير الى أهل مدين قال المقرئ فى الخطط ان مدين أمة شعيب هم بنو مديان بن ابراهيم وأمههم قطور ابنة يقطان الكنعانية ولدت له غنمية من الولد تناسلت منهم أم ومدين على بحر لقلزم تحاذى تبوك على نحو ست من اجل وهى أكبر من تبوك وبها البئر التى استقى منها موسى ساعة شعيب وعمل عليها بيت قال الفراء مدين اسم بلد وقطر والجمهور على ان مدين أجمعى وقيل عربى فان كان عربيا فانه يحتمل أن يكون فعلا من مدن بالمكان أقام به وهو بناء نادر وقيل مهملى أو مفعل من دان فصححه شاذ وهو ممنوع الصرف على كل

عليها ولو أشاء بت فى المسجد فقال علي رضى الله عنه ما أدري ما تقول ان لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب

الجهاد فانزل الله عز وجل اجمعتم سقاية الحاج (٣٦٠) الآية كما هو هكذا قال السدي الا انه قال خر على والعباس وشيبة بن عثمان

وذكر نحوه وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عمرو بن الحسن قال انزلت في علي وعباس وشيبة تكاموا في ذلك فقال العباس ما اراني الا اني تارك سقاية تنافق رسول الله صلى الله عليه وسلم اقيموا على سقايةكم فان لكم فيها خيرا ورواه محمد بن ثور عن معمر بن الحسن فذكر نحوه وقد ورد في تفسيره هذه الآية حديث مرفوع فلا بد من ذكره هنا قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن يحيى بن ابي كثير عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ان رجلا قال ما ابالي ان لا عمل عملا بعد الاسلام الا ان اسقى الحاج وقال آخر ما ابالي ان لا عمل عملا بعد الاسلام الا ان اسقى المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن اذا صلينا الجمعة دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم فسألناه فنزلت اجمعتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الى قوله لا يستوون عند الله (طريق أخرى) قال الوليد بن مسلم حدثني معاوية بن سلام عن جده ابي سلام الاسود عن النعمان بن بشير الانصاري قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من اصحابه فقال رجل منهم ما ابالي ان لا عمل لله عملا بعد الاسلام الا ان اسقى الحاج وقال آخر بل عمارة المسجد الحرام وقال آخر بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم وهو

حال سواء كان اسم الارض أو اسم القبيلة تجمعا أو عربيا أو غيره قال النحاس وقد تقدم الكلام على هـ في الاعراف بأبسط مما هنا وهم قوم شعيب (أخاهم) في النسب لان (شعبيا) بن ميكائيل بن يشجب بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وقد تقدم تفسير قوله (قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من غيره) في أول السورة وهذه الجملة مستأنفة كأنه قيل ماذا قال لهم شعيب عليه السلام لما أرسله الله تعالى اليهم وقد كان شعيب عليه السلام يسمى خطيب الانبياء الحسن من اجتهته لقومه وهذه عادة الانبياء عليهم السلام يبدؤن بالاهم فالاهم ولما كان الدعوة الى توحيد الله وعبادته أهم الاشياء دعاهم اليه ثم نهاهم عن ان ينقصوا المكيال والميزان لانهم كانوا مع كفرهم أهل ظنن فيف وكان المعتاد منهم الخس في الكيل والوزن وكانوا اذا جاءهم البائع بالطعام أخذوا بكيل زائد وكذلك اذا وصل اليهم الموزون أخذوا بوزن زائد واذا باعوا باعوا بكيل ناقص ووزن ناقص فقال (ولا تنقصوا المكيال والميزان) أي لا عند الاخذ ولا عند الدفع والنقص فيه ما على وجهين كما قدمنا الاشارة اليه والمراد بالمكيال المكييل به وبالميزان الموزون به وهذا بلغ في الاخر بوقائهما (اني اراكم تجيز) أي بثرة وسعة في الرزق تغنيكم عن الخس فلا تغير وانعمة لله عليكم بعصيته والاضرار بعباده وهذه النعمة حقها ان تنقصوا على الناس شكر اعليها الا ان تنقصوا حقوقهم وهو في الجملة عليه النهي ثم ذكر بعد هذه العلة أخرى فقال (واني احنف عليكم عذاب يوم محيط) فهذه العلة فيها الاذكار لهم بعد عذاب الآخرة كما ان العلة الاولى فيها الاذكار لهم بنعيم الدنيا ووصف اليوم بالاحاطة والمراد العذاب لان العذاب واقع في اليوم فهو مجاز في الاسناد كقولهم نهاره صائم ومعنى احاطة عذاب اليوم بهم انه لا يشذ منهم أحد عنه ولا يجردون منه لمجاؤا لاهربا واليوم هو يوم القيامة وقيل هو يوم الانتقام منهم في الدنيا بالصيحة قال ابن عباس الخير رخص السعر والعذاب غلاء السعر ثم أكد النهي عن نقص الكيل والوزن بقوله (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط) الايقاف هو التمام والقسط العدل وهو عدم الزيادة والنقص وان كانت الزيادة على الايقاف فضل وخير ولكنها فوق ما يفيد اسم العدل والنهي عن النقص وان كان يستلزم الايقاف في تعاضد الداليتين مبالغة بليغة وتأكيد حسن وشدة اهتمام فلذا كرر ليقوى الزجر والمنع من ذلك الفعل والمعنى أتوهما ولا تطفقوا فيهما وقيل القسط تقويم لسان الميزان وتعديل المكيال ثم زاد ذلك تأكيدا كما نالنا فقال (ولا تجسوا الناس أشياءهم) قد مر تفسير هذا في الاعراف وفيه النهي عن الخس على العموم والاشياء أعم مما يكيل ويوزن فيدخل الخس بتطفيف الكيل والوزن في هذا دخولا وليا فظهر بهذا البيان فائدة هذا التكرير وقيل الخس الكسر خاصة ثم قال (ولا تعثوا في الارض) بتطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم وقد مر أيضا تفسيره في البقرة والعنى في الارض يشمل كل ما يقع فيها من الاضرار بالناس فيدخل فيه كل ما في السياق من نقص المكيال والميزان وعنى مصدر قياسي وعموسماعى وقيد به الحال

المسجد الحرام وقال آخر بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم وهو

عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن اذا صليت (٣٦١) الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه

وسلم فاستفتيته فيما اختلفتم فيه
قال ففعل فأمر الله عز وجل أن جعلتم
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام
الى قوله والله لا يهد القوم الظالمين
ورواه مسلم في صحيحه وأبو داود
وابن جرير وهذا الغلطه وابن مردويه
وابن أبي حاتم في تفسيره وابن حبان
في صحيحه (بأبيها الذين آمنوا
لاتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء
ان استحبوا الكفر على الايمان
ومن يتولهم منكم فأولئك هم
الظالمون قل ان كان آباؤكم وأبناءكم
وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم
وأموال اقربتموها وتجاره تخشون
كسادها ومساكن ترضونها أحب
اليكم من الله ورسوله وجهاد في
سبيله فترضوا حتى يأتي الله بأمره
والله لا يهدي القوم الفاسقين) أمر
تعالى بما ينه الكفار به وان كانوا
آباء أو أبناء ونهى عن موالاتهم ان
استحبوا أى اختاروا الكفر
على الايمان وتوعد على ذلك كقوله
تعالى لا يجدوا قوم يؤمنون بالله
واليوم الآخر يوادون من حاد الله
ورسولهم ولو كانوا آباءهم أو
أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم
أولئك كتب في قلوبهم الايمان
وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات
تجرى من تحتها الانهار الآية وروى
الحافظ البيهقي من حديث عبد الله
ابن شاذب قال جعل أبو أي عبدة
ابن الجراح نعت له الالهة يوم بدر
وجعل أبو عبدة يحيد عنه فلما أكثر
الجراح قصده ابنه أبو عبدة فقتله
فأنزل الله فيه هذه الآية لاتجد

وهو قوله (مفسدين) ليخرج ما كان صورته من العنى في الارض والمراد به الاصلاح
كما وقع من الحضرة في السفينة (بقيت الله) أى ما يقيه لكم من الحلال بعد ايفاء الحقوق
بالقسط (خير لكم) أى أكثر خيرا وبركة مما تقونه لانفسكم من التطفيف والبخس
والفساد في الارض ذكر معناه ابن جرير وغيره من المفسرين وقال مجاهد بقیة الله طاعته
وقال الربيع وصيته وقال الفراء امر اقبته وقال قتادة حظكم من ربكم وقال ابن عباس
رزق الله وقيل ثوابه في الآخرة وبقیت يرسم بالتاء المحرورة واذا وقف عليه اضطرار يصح
الوقف بالمحرورة والمربوطة وليس في القرآن غيرها وانما قيل بذلك بقوله (ان كنتم
مؤمنين) لان ذلك انما ينتفع به المؤمن لا الكافر والمراد بالمؤمنين هنا المصدقون
لشعيب عليه السلام وفي البيضاوى بشرط أن تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع
النجاة وذلك مشروط بالايمان (وما أنا عليكم بحفيظ) أحفظكم من الوقوع في المعاصي
من التطفيف والبخس وغيرهما وأحفظ عليكم أعمالكم وأحاسبكم بها وأجاز بكم عليها
وانما أنا ناصح مبلغ وقدأ عذرت حين أنذرت أولست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء
صنيعكم (قالوا يا شعيب أصلناك تأمرنا) مستأنفة كأنه قيل فإذ قالوا للشعيب عليه
السلام والاستفهام للانكار عليه والاستهزاء به لان الصلاة عندهم ليست من الخير الذى
يقال لفاعل عند اعادة تلمين قلبه وتذليل صعوبته كما يقال لمن كان كثيرا الصدقة اذا فعل
ما لا يناسب الصواب أصدقتك تأمرنا بهذا وقيل المراد بالصلاة هنا القراءة قاله الامش
وقيل المراد بها الدين وقيل المراد بها اتباعه ومنه المصلى الذى يتلو السابق قال الاحنف
ان شعيبا كان أكثر الانبياء صلاة فلذلك قالوا هذه المقالة وانما ذكر الصلاة لانها من
أعظم شعائر الدين (ان تترك ما يعبد آباؤنا) أى عبادة الاوثان وفيه ان الترتك فعلهم
لا فعل شعيب وهو المأمور والانسان يؤمر بفعل نفسه فالضام محذوف وهو التكليف
وهذا فعله أى هل هى تأمرنا بتكليفك ايانا تترك عبادة الاصنام وهذا منهم جواب
لشعيب عن أمره لهم بعبادة الله وحده وقولهم (أو ان تفعل فى أموالنا منشاء) جواب
له عن أمرهم بايفاء الكيل والوزن ونهيمهم عن نقصهم ما وعن بخس الناس وعن العنى
في الارض معطوف على ما يعبد فالترك مسلط عليه وأومعنى الواو والمعنى هل تأمرنا
بتكليفك لنا تترك ان تفعل فى أموالنا منشاء من الاخذ والاعطاء والزيادة والنقص
وهذا الف وشر مر تب وقرئ بالتاء في الفعلين عطفا على مفعول تأمرنا أى أصلاتك
تأمرنا ان تفعل أنت فى أموالنا منشاء وقرئ تفعل بالنون وما نشاء بالفوقية أى تفعل
فيها ما تشاء انت وندع ما نشاء نحن وما يجرى به التراضى بيننا وعن ابن زيد فى الآية قال
نهامهم عن قطع هذه الذنائب والدراهم فقالوا انما هى أموالنا تفعل فيها ما نشاء ان شئنا
قطعناها وان شئنا أحرقتناها وان شئنا نطرحناها وعن محمد بن كعب وزيد بن أسلم وابن
المسيب نحوه ثم وصفوه بوصفين عظيمين فقالوا (انك لانت الحليم الرشيد) عند نفسك
وفى اعتقادك ومعناه ان هذا الذى نهيتمنا عنه وأمرتنا به يخالف ما نعتقده فى نفسك من
الحلم والرشد وقيل انهم قالوا ذلك لاعلى طريق الاستهزاء به وهو عندهم كذلك وانكروا

(٤٦ - فتح البيان ح) قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية ثم أمر تعالى رسوله ان يتوعد من
أترأهه وقرآته وعشيرته على الله ورسوله وجهاد في سبيله فقال قل ان كان آباؤكم وأبناءكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال

اقتربتموها أي اكتسبتموها وحصلتموها وتجارة (٣٦٢) تخشون كسادها ومساكن ترضونها أي تحبونها لطيبها وحسنها

ان كانت هذه الاشياء أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا أي فانتظروا ماذا يعمل بكم من عقابه ونكاله بكم ولهذا قال حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الضالين وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن زهرة بن معبد عن جده قال كأمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال والله يا رسول الله لانت أحب الي من كل شيء الا من نفسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه فقال عمر فانت الآن والله أحب الي من نفسي فقال رسول الله الآن يا عمر ان فرد بناخراجه البخاري فرواه عن يحيى بن سليمان عن ابن وهب عن حيوة بن شريح عن أبي عقيل زهرة بن معبد انه سمع جده عبد الله بن هشام عن النبي صلى الله عليه وسلم بهما وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين وروى الامام أحمد وابوداود واللفظ له من حديث أبي عبد الرحمن الخراساني عن عطاء الخراساني عن نافع عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا تبايعتم بالعينة واخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذللا لا ينزعه حتى ترجعوا الي دينكم وروى الامام أحمد أيضا عن يزيد بن هرون عن

عليه الامر والنهي منه لهم بما يخالف الحلم والرشد في اعتقادهم والمعنى انك فيما حلیم رشيد فلا يحمد بك شق عصا قومك ومخالفتهم في دينهم وقال ابن عباس يقولون انك لست بحليم ولا رشيد اي ارادوا السفينة الغاوي لان العرب قد تصف الشيء بضده فيقولون للديع سليم وللقلادة المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته وانما قالوا ذلك على سيد السخريه قال قتادة استهزاء به (قال يا قوم رأيتم ان كنت على بينة من ربي) مستأنفة كالجمل التي قبلها والمعنى اخبروني ان كنت على بيان وحجة واضحة وبصيرة وهداية من عند ربي فيما أمرتكم به ونهيتمكم عنه (ورزقني منه) اي من فضله ونزائنه ملكه ومن عنده وباعائه بلا كد مني ولا تعب في تحصيله (رزقا حسنا) اي كثيرا واسعا حلالا طيبا وقد كان عليه السلام كثير المال والنعمة وقيل أراد بالرزق النبوة وقيل الحكمة وقيل العلم وقيل التوفيق وقيل المعرفة وقيل الهداية وجواب الشرط محذوف يدل عليه سياق الكلام تقديره أترك أمركم ونهيكم أو تقولون في شأن ما تقولون مما تريدون به السخرية والاستهزاء أو هل يسعني مع هذه النعمة ان اخون في وحيه وهذا الجواب شديد المطابقة بقولهم انك لانت الحليم الرشيد اي كيف يليق بالحليم الرشيد ان يخالف امر ربه وله عليه نعم كثيرة (وما أريد) ينهي لكم عن التطفيف والخس (ان اخالفكم الي ما أنتم اكم) نهيتكم (عنه) فأفعله دونكم يقال خالفه الي كذا اذا قصده وهو مول عنه وخالفته عن كذا في عكس ذلك قال الزجاج معناه لست انها كم عن شيء وادخل فيه انما اختار لكم ما اختار لنفسه قال ابن الانباري بين ان الذي يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله وترك الخس والتطفيف هو ما يرضيه لنفسه ولا ينطوي الاعليه فكان هذا محض النصح لهم وقال قتادة لم يكن لانها كم عن امر وأرتكبه (ان أريد) اي ما أريد بالامر والنهي (الا اصلاح) لكم ودفع الفساد عن دينكم ومعاملاتكم (ما استطعت) ما بلغت اليه استطاعتي وتمكنت منه طاقتي (وما توفيقي الا بالله) أي ما صرت موقفا هاديا نبيا مرشدا الانبياء بيد الله سبحانه واداري علمه ومخبري اياه (عليه توكلت) في جميع أمور التي منها أمركم ونهيكم (واليه أئيب) أي اليه ارجع في كل ما بان من الأمور وافوض جميع أمور الي ما يختاره لي من قضاؤه وقدره وقيل معناه اليه ارجع في الآخرة وقيل ان الانابة الدعاء ومعناه وله ادعو وعن علي قال قلت يا رسول الله أوصني قال قل لله ربي ثم استقم قلت ربي الله وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أئيب قال لي هنك العلم يا أبا الحسن لقد شربت العلم شربا ونهيتني نهيا لا أخرج به أبو نعيم في الخليفة وفي اسناده محمد بن يوسف الكديمي (ويا قوم لا يجرم منكم شقاق) قال الزجاج معناه لا يكسبنكم والشقاق العداوة وقال قتادة لا يحملنكم فراق وعن السدي لا يحملنكم عداوتي وعن مجاهد نحوه (ان يصيبكم) مفسد عول نان ليجرم منكم اي ان لا يكسبنكم معاداتكم لي أن لا يصيبكم (مثل ما أصاب قوم نوح) من الغرق (أو قوم هود) من الريح (أو قوم صالح) من الحجارة وغيرها (وما قوم لوط منكم بعيد) يحتمل ان يريد ليس مكانهم بعيد من مكانكم أو ليس زمانهم بعيد من زمانكم أو ليسوا منكم بعيد في السبب الموحد لعقوبتهم وهو مطلق الكفر

ابي حباب عن شهر بن حوشب انه سمع عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ذلك وهذا شاهد الذي قبله وأورد والله أعلم (لقد ندمتكم الله في مواطن كثيرة ويوم نحين اذا مجبتكم كثيركم فلم تغن عنكم شيئا وضافت عليكم الارض بما رحبت ثم

ولدت مدينتين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا (٣٦٣) لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين

ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم قال ابن جرير عن مجاهد هذه أول آية نزلت من براءة يذكروا تعالى للمؤمنين فضله عليهم واحسانه لديهم في نصره اياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله وان ذلك من عنده تعالى وبأيديه وتقديره لا بعدد هم ولا بعدد هم ونههم على ان النصر من عنده سواء قل الجمع أو كثر فان يوم حنين أعجبهم كثرتهم ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئا فولوا مدبرين الا القليل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أنزل نصره وتأيدته على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه كما ينبغي ان شاء الله تعالى مفصلا ليعلمهم ان النصر من عنده تعالى وحده وبإمده وان قل الجمع فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقد قال الامام أحمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا أي سمعت يونس يحدث عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصحابة أربعة وخير السرايا أربعة مائة وخير الجيوش أربعة آلاف ولن تغلب اثنا عشر ألفا من قلة وهكذا رواه أبو داود والترمذي ثم قال هذا حديث حسن غريب جدا لا يسنداه أحد غير جرير ابن حازم وانما روى عن الزهري عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل وقد رواه ابن ماجه والبيهقي وغيره عن أكرم بن الجون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه والله أعلم وقد كانت وقعة حنين بعد فتح مكة في

وأفرد لفظ بعيد مثل ما سبق وقيل بشئ بعيد كذا قدره الزنجشري وتعه الشيخ وقال الزنجشري يجوز أن يستوي في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي كالصهيل والنهيق ونحوهما وقال قتادة انما كانوا حديثي عهد قريبا بهم بعد نوح وعود ثم بعد ترهيبهم بالعذاب أمرهم بالاستغفار والتوبة فقال (واستغفروا ربكم) من عبادة الاوثان (ثم توبوا اليه) من الجحس والنقصان في الميكال والميزان وقد تقدم تفسير الاستغفار مع ترتيب التوبة عليه في أول السورة (ان ربي رحيم بالمؤمنين (ودود) للتائبين وتقدم تفسير الرحيم والمراد هنا انه عظيم الرحمة والودود المحب صيغة مبالغة من ود الشيء يود داوودا وودادة أي أحبه وآثره قال في الصحاح وددت الرجل أو دودا اذا أحبته والود والوداد والمحب والمشهور وددت بكسر العين وسمع بفتحها والودود بمعنى فاعل أي يود عباده ويرحمهم وقيل بمعنى مقول بمعنى ان عباده يحبونه ويوادون اولياء فهم بمنزلة المواد مجازا والاولى والمعنى هنا انه يفعل بعباده فعل من هو بليغ المودة عن يوده من اللطف به وسوق الخير اليه ودفع الشر عنه وفي هذا تعليل لما قبله من الامر بالاستغفار والتوبة وجهه (قالوا يا شعيب ما نطقه كثير انما تقول) مستأنفة كالجمل السابقة والمعنى انك تاتينا بما لا عهد لنا به من الاخبار بالامور الغيبية كالبعث والنشور ولا نفهم ذلك كما نفهم الامور الحاضرة المشاهدة فيكون نفي الفقه على هذا حقيقة لا مجازا وقيل قالوا ذلك اعراض عن سماعه وايدنا بقوله المبالاة به واحتقار الكلام مع كونه مفهوما لديهم معلوما عندهم فلا يكون نفي الفقه حقيقة بل مجازا يقال فقهه اذا فهم فقهها وقتها وحكى الكسائي فقهنا او يقال فقهه وقتها اذا صار فقهها (وانا اثرال فينا ضعيفا) أي لا قوة لك تقدر بها على ان تمتع نفسك منا وتتمكن بها من مخالفتنا ومهيننا لا عز لك وهذا قريب من الاول وقيل المراد انه ضعيف في بدنه قاله علي بن عيسى وقيل انه كان مصابيا بصره قال النحاس وحكى أهل اللغة ان جبير يقول للاعمى ضعيف أي قد ضعف بذهاب بصره كما يقال له ضرر أي قد ضر بذهاب بصره وقال الزجاج الاعمى يسمى ضعيفا عن سعيد بن جبير قال كان أعمى وانما عمى من بكائه من حب الله عز وجل وعن شاذان أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكى شعيب عليه السلام من حب الله حتى عمى أخرجه ابن عساکر والواحدى وقال السدي معناه انما أنت واحد وقال علي كان مكفورا فنسبوه الى الضعف وقيل الضعيف العاجز عن الكسب والتصرف وقال الحسن ومقاتل يعني ذليلا والاول أولى ويدل أحسنه قوله (ولولا رهطك) رهط الرجل جماعته وعشيرته الذين يستند اليهم ويتقوى بهم ومنه الراهط لجرير يربوع لانه يتوثق به ويحجب نفسه ولده والرهط والراهط يقع على الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة قاله الزنجشري ولا يقع الراهط والعصبة والنفر الا على الرجال ويجمع على أرهط وأرهط على أراهط وانما جمع لوارهطه مانع من ايقاع الضرر به مع كونهم في قلة والكثارة ألوف مؤلفة لانهم كانوا على دينهم فتر كرهوا احترامهم لا خوفا منهم وقال علي فوالله الذي لا لا غير ماها ابو اجدال ربه ماها ابو الا عشيرة (لرجنالك)

سؤال سنة ثمان من الهجرة وذلك لما فرغ صلى الله عليه وسلم من فتح مكة وتمهدت أمورها وأسلم عامة أهلها وأطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه ان هو اذن جمعوا اليه ليقاتلوه وان أميرهم مالك بن عوف النصرى ومعه ثقيف بكالها وبنو جشم وبنو سعد بن بكر

واوزاع من بني هلال وهم قليل وناس من بني (٣٦٤) عمرو بن عامر وعمرو بن عامر وقد قبلوا ومعهم النساء والولدان والشاة والنعم

أى اقتلتناك بالحجارة والرجم بالحجارة أسوء القتلات وأشرها وقيل معناه لشماتك وأغلظنا لك القول والاول أظهر ثم أكدوا ما وصفوه به من الضعف بقولهم (وما أنت علينا بعزير) أى كريمهم معظم حتى تكف عنك لاجل عزتك ومنعتك عندنا بل تركنا رجلك لعزة رهطك علينا لما افتتهم لنا فى الدين لا لقوة شوكتهم (قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله) مستأنفة وانما قال من الله ولم يقل منى لان نفي العزة عنه واثباتها لقومه كما يدل عليه ايلاء الضمير حرف النفي استهانة به والاستهانة بأبياء الله استهانة بالله عز وجل فقد تضمن كلامهم ان رهطه أعز عليهم من الله فاستسكروا ذلك عليهم وتجب منه وألزمهم ما لا مخلص لهم عنه ولا مخرج لهم منه بصورة الاستهانة وفي هذا من قوة الحاجة ووضوح المجادلة والقام الخضم الجرم لا يحنى والضمير فى (واتخذتموه) راجع الى الله سبحانه والمعنى واتخذتم الله عز وجل بسبب عدم اعتدادكم بنبيه الذى أرسله اليكم (وراءكم ظهر يا) أى منبذوا وراء الظهر لا يتأولون به وقيل المعنى واتخذتم أمر الله الذى أمرنى بإبلاغه اليكم وهو ما جئتمكم به ورائه ظهوركم كالشىء الملقى الذى لا يلتفت اليه يقال جعلت أمره بظهره اذا قصرت فيه وظهره يامسبب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب والقياس فتح الظاء كما قالوا فى أمس اسى بكسر الهمزة وفى دهرى دهرى بضم الدال قال مجاهد بن ذم امره وقال قتادة لا تخافونه وقال الضحاك تهاونتم به وقيل ان الضمير يعود الى العصيان أى واتخذتم العصيان عونا على عداوتى فالظهور على هذا بمعنى المعين المقوى (ان ربى بما تعملون محيط) لا يحنى عليه شىء من أقوالكم ولا أفعالكم فيجازيكم بها يوم القيامة (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) لما رأى اصرارهم على الكفر وتصميمهم على دين آبائهم وعدم تأثير الموعظة فيهم توقعدهم بأن يعملوا على غاية تمكثهم ونهاية استطاعتهم يقال ممكن مكانة اذا تمكن أبلغ تمكن (انى عامل) على حسب ما يمكنى ويقدره الله لى ثم بالغ فى التهديد والوعيد بقوله (سوف تعلمون) أينا الخائى على نفسه الخطى فى فعله وتعلمون عاقبة ما أنتم عليه من عبادة غير الله والاضرار بعباده وقد تقدم مثله فى الانعام قال الرحمن شرى وصل سوف تارة بالقاء وتارة بالاستئناس كما هو عادة البلغاء من العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناس لانه كمل فى باب القصاحة والتهويل اه يعنى حذف الفاء هنا لانه جواب سائل هو المسمى فى علم البيان بالاستئناس السانى كأن قاتلا قال فاذا يكون بعد ذلك فهو أبلغ فى التهويل (من يأتيه عذاب يخزيه) أى سوف تعلمون من هو الذى يأتيه العذاب الخزي الذى يتأثر عنه النذل والفضيحة والعار (ومن هو كاذب) فى زعمكم ومن هو المعذب وفيه تعريض بكنههم فى قولهم لولا رهطك لرجناك وما أنت علينا بعزير وقيل التقدير من هو كاذب فسيعلم كذبه ويذوق وبال أمره (وارتقبوا انى معكم قريب) أى انتظروا انى معكم منتظر لما يقضى به الله بيننا (ولما جاء أمرنا) بعد ايمانهم أو عذابنا (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) لهم بسبب ايمانهم أو بهدايتهم للايمان (وأخذت الذين ظلموا) غيرهم بما أخذوا من أموالهم بغير وجه وظلموا أنفسهم بالتصميم على الكفر (الصيحة) التى صاح بها جبريل حتى خرجت أرواحهم من

وجاءوا بفضهم وفضيضمهم فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جيشه الذى جاء معه للفتح وهو عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وقبائل العرب ومعهم الذين أسلموا من أهل مكة وهم الطلقاء فى الفين فسار بهم الى العدو فالتقوا فى واديين مكة والطائف يقال له حنين فكانت فيه الواقعة فى اول النهار فى غلس الصبح انخدروا فى الوادى وقد كنت فيه هو اوزان فلما توجهوا لم يشعر المسلمون الا بهم قد بادروهم فرشقوا بالنبال وأصلتوا السيوف وجلوا جملة رجل واحد كما أمرهم ملكهم فعند ذلك ولّى المسلمون مدبرين كما قال الله عز وجل وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب يومئذ بقلته الشهباء يسوقها الى فخر العدو والعباس عمه أخذ بركابها الايمن وأبوسفيان بن الحرث بن عبد المطلب أخذ بركابها الايسر يتقلانها لئلا تسرع السير وهو ينوبه باسمه عليه الصلاة والسلام ويدعو المسلمين الى الرجعة أين يا عباد الله الى أنار رسول الله ويقول فى تلك الحال أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب وثبت معه من أصحابه قريب من مائة ومنهم من قال ثمانون فمنهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما والعباس وعلى والفضل ابن عباس وأبوسفيان بن الحرث وأمين ابن أم أمين وأسامة بن زيد وغيرهم رضى الله عنهم ثم أمر صلى الله عليه وسلم عمه العباس وكان جهور الصوت ان ينادى بأعلى صوته يا أصحاب الشجرة يعنى شجرة ببيعة الرضوان التى بايعها المسلمون من المهاجرين

والانصار تحتها على ان لا يفروا عنه فجعل ينادى بهم يا أصحاب السمرة ويقول تارة يا أصحاب سورة البقرة فجعلوا أجسادهم يقولون يا بيلك يا بيلك وانعطف الناس فتراجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ان الرجل منهم اذا لم يطاوعه بغيره على الرجوع

ابن درعه ثم انحدر عنه وارسله ورجع بنفسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٦٥) فلما اجتمعت شردمة منهم عند رسول الله صلى

الله عليه وسلم أمرهم عليه السلام ان يصدقوا الجملة وأخذ قبضة من التراب بعدما دعاه به واستنصره وقال اللهم انجز لي ما وعدتني ثم رمى القوم بها فباقي انسان منهم الأصابه منها في عينه وفيه ما شغلته عن القتال ثم انهزموا فاتبع المسلمون اقصاءهم يقتلون ويأسرون وما تراجع بقية الناس الا والاسرى مجندلة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حجاج بن سلمة أخبرنا يعلى بن عطاء عن عبيد الله بن سيار عن أبي همام عن أبي عبد الرحمن الفهري واسمه يزيد بن أسيد ويقال يزيد بن أنيس ويقال كرز قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين فسرنا في يوم فأنظشند الحرف فلما تحت ظلال الشجر فلما زالت الشمس لبست لأمي وركبت فرسي فانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في فسطاطه فقلت السلام عليك يا رسول الله ورجة الله وبركاته طان الرواح فقال أجل فقال يا بلال فنان من تحت سمرة كأن ظله ظل طائر فقال ليسك وسعديك وأنا فدأوك فقال أسرج لي فرسي فأخرج سر جادفتاه من ليف ليس فيها اشرولا بطرق قال فأسرج فركب وركبنا ففصافناهم عشيتنا ولميتنا فقتلنا من الخيل الان فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى ثم وليت مدبرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباد الله انا عبد الله ورسوله ثم قال يا معشر المهاجرين انا عبد الله ورسوله قال ثم اقمتم عن فرسه

أجسادهم وفي الاعراف فأخذتهم الرجفة وكذا في العنكبوت وقد قدمنا ان الرجفة الزلزلة وانها تكون تابعة للصيحة لتوج الهواء المقضى اليها وهذا في أهل قريته واما أصحاب الايكة فأهلكوا بعد ابعد ابعد وهو نار نزلت من السماء أحرقتهم (فأصبحوا في ديارهم جائعين) ميتين باركين على الركب وقد تقدم تفسيره وتفسير (كان لم يغنوا فيها) قريبا وكذا تفسير (الابعد المدين كما بعدت عمود) قال المهدي من ضم العين من بعدت فهي لغة تستعمل في الخبر والنثر وبعدت بالكسر على قراءة الجمهور تستعمل في الشر خاصة وهي هنا بمعنى العنة وقيل بالكسر العين بمعنى الهلاك وبضمها ضد القرب والمصدر البعد بفتح العين والمعنى هلاكلهم كما هلكت عمود التشبيه من حيث ان هلاك كل بالصيحة قال ابن الانباري من العرب من يسوي بين الهلاك والبعد الذي هو ضد القرب قيل لم يعذب أمتان قط بعد ابعد واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب فأخذتهم الصيحة من فوقهم (ولقد أرسلنا موسى) هذ سابعة قصص ذكرت في هذه السورة فتقدم قصة نوح وهو دوصالح وابراهيم ولوط ومدبرين على هذا الترتيب وهذه قصة موسى (بآياتنا) أي بالتوراة حال كونه متلبسها (وسلطان ميين) أي المعجزات الباهرات وقيل المراد بالآيات هي التسع المذكورة في غير هذا الموضع منها ثمانية في الاعراف والتاسعة في يونس وليس من الآيات المرادة هنا التوراة لانها آتت بعد اغراق فرعون وقومه والسلطان العصا وهي وان كانت من التسع لكنها لما كانت أعظم الآيات وأبهرها للعقول وأشدها خرافة للعادة أفردت بالذكر وقيل المراد بالآيات ما يفيد الظن والسلطان ما يفيد القطع مما جاء به موسى وقيل هما جميعا عبارة عن شيء واحد أي أرسلناه بما يجمع وصف كونه آية وكونه سلطانا بيننا وقيل ان السلطان المبين ما أورده موسى على فرعون في المحاورة بينهما (الى فرعون وملائته) أي أرسلناه بذلك الى هؤلاء وقد تقدم ان الملائة اشرف القوم وانما خصهم بالذكرون سائر القوم لانهم أتباع لهم في الاصدار والايراد وخص هؤلاء الملائة دون فرعون بقوله (فأتبعوا أمر فرعون) أي أمره لهم بالكفر لان حال فرعون في الكفر أمر واضح اذ كفر قومه من الاشراف وغيرهم انما هو مستند الى كفره ويجوز ان يراد بأمر فرعون شأنه وطريقه فيم الكفر وغيره (وما أمر فرعون برشيد) أي ليس فيه رشيد قط بل هو غي وضلال والرشد بمعنى المرشد والاسناد مجازي أو بمعنى ذي رشد وفيه تعريض بأن الرشيد في أمر موسى (يقدم قومه) تعليل للنفي قبله من قدمه بمعنى تقدمه أي يصير متقدما لهم (يوم القيامة) وسابقا لهم الى عذاب النار كما كان تقدمهم في الدنيا (فأوردتهم النار) أي انه لا يزال متقدما لهم وهم يتبعونه حتى يوردتهم النار في الآخرة والورود الدخول وأوردماض لفظا مستقبلا معنى لانه عطف على ما هو نوص في الاستقبال وعبر بالماضي تنبيها على تحقق وقوعه والهمزة في أو رد للتعدي لانه قبلها يتعدى لواحد قال تعالى ولما وردما مدبرين وقيل بل هو ما مضى على حقيقته وهذا قد وقع وانفصل وذلك انه أوردتهم في الدنيا النار قال تعالى النار يعرضون عليها وقيل أوردتهم موجباتها وأسبابها وفيه بعد

فأخذ كفان تراب فأخبرني الذي كان أدنى المه مني انه ضرب به وجوههم وقال شأهت الوجوه فهزمهم الله تعالى قال يعلى بن عطاء فخذني أسأؤهم عن آباءهم انهم قالوا لم يبق من أحد الا امتلات عيناها وفيه ترابا ومعنا صلابة بين السماء والارض كما مر ارا الخدي

على الطشت الحديدية وهكذا رواه الحافظ (٣٦٦) البيهقي في دلائل النبوة من حديث أبي داود الطيالسي عن حماد بن سلمة به وقال محمد

لاجل العطف بالفاء قال قتادة يمضي فرعون بين أيدي قومه حتى يهجم بهم على النار قال
الخفاجي وأنزل لهم النار منزلة الماء فسمى آياتها ورودا فالنار استعاره ممكنة كمكة
للضد وهو الماء واثبات الورد لها تخييل ثم ذم الورد الذي أوردتهم اليه فقال (وبئس
الورد المورود) أي المدخل المدخول فيه الذي وردوه لأن الورد الذي يقال له
الورد إنما يريده ليطفي حر العطش ويذهب ظمأه والنار على ضد ذلك والورد يكون مصدرا
بمعنى الورد فلا بد من حذف مضاف تقديره وبئس مكان الورد المورود وهو النار وإنما
احتجج إلى هذا التقدير لأن تصادق فاعل نعم وبئس ومخصوصه ما شرط فلا يقال نعم الرجل
الفرس ثم ذمهم بعد ذم المكان الذي يردونه فقال (وأتبعوا) أي أتبع قوم فرعون مطلقا
أو الملائكة خاصة أو هم وفرعون (في هذه) الدنيا (لعنة) عظيمة أي طردوا بعد امن الام
بعدهم (و) أتبعوا لعنة (يوم القيامة) يلعنهم أهل المحشر جميعا ثم جعل اللعنة رفدا
لهم على طريقة التهكم فقال (بئس الرفد المرفود) أي العون المعان أو العطاء المعطى
قال الكسائي وأبو عبيد رفته أراده رفداً عنده وأعطيته واسم العطية الرفد أي
بئس العطاء والاعانة مأططوهم إياه وأعانوهم به والمخصوص بالذم محذوف أي رفته
وهو اللعنة التي أتبعوها في الدنيا والآخرة كأنها لعنة بعد لعنة تمد الآخرة الأولى وتؤديها
وسميت اللعنة عوناً لأنها إذا سعتهم في الدنيا أبعدهم عن رحمة الله وأعانهم على ما هم
فيه من الضلال وسميت رفداً أي عوناً لهذا المعنى على التهكم والافعال لعنة إذلال لهم
وانزال بهم إلى الخبيث الأسفل وسميت معاناً لأنها أرفدت في الآخرة بلعنة أخرى
لتكونا هاديتين إلى طريق الخبيث وذكر الماوردي حكاية عن الأصمعي أن الرفد بالفتح
القدح وبالكسر ما فيه من الشراب فكانه ذم ما يستقون في النار وهذا أنسب بالمقام
وقيل إن الرفد الزيادة أي بئس ما يرفدونه به بعد الغرق وهو الزيادة قاله الكلبى وأصل
الرفد العون والعطاء والصلة والارفاذ أيضاً الاعطاء والاعانة قال أبو السعود وقد فسر
الرفد بالعطاء ولا يلائم المقام وأصله ما يضاف إلى غيره ليعمده (ذلك) أي ما قصه الله
سبحانه في هذه السورة من القصص السبعة (من أبناء القرى) أي من أخبار الام السالفة
والقرون الماضية وما فعلوه بأبيائهم (نقصه عليكم) أي هو مقصود عليك لتعربه
قومك لعلمهم بعبثهم ووقد تقدم تحقيق معنى القصص (منها) أي من القرى التي أهلكت
أهلها (قائم وحصيد) القائم ما كان قائماً على عروشها وحصيد ما لا أثر له وقيل القائم
العامر والحصيد الخراب وقيل القائم القرى الخرابه على عروشها والحصيد المستأصل
بمعنى محصود وشبهه ما بقى من آثار القرى بالزرع القائم على ساقه وشبهه المقطوع والمعفو
منها بالحصيد قال ابن عباس يعني قرى عامرة وقرى خادمة وقال قتادة قائم يرى مكانه
وحصيد لا يرى له أثر وقال ابن جرير قائم خاوع على عروشها وحصيد ملصق بالارض والمعنى
بعضها باق وبعضها عاف والجملة مستأنفة استئنافية أي لأنه لما ذكر أبناء القرى اتجه
لسائل أن يقول ما حال هذه القرى أباقية آثارها أم لا (وما ظلمناهم) بما فعلناهم من
العذاب والاهلاك (ولكن ظلموا أنفسهم) بأن جعلوها عرضة للهلاك باقتراف ما وجبه

ابن اسحق حدثني عاصم بن عمر بن
قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه
جابر بن عبد الله قال فرج مالك بن
عوف بن معمر إلى حنين فسبق رسول
الله صلى الله عليه وسلم إليه فاعدوا
وتهبوا في مضائق الوادي واحنائه
وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه حتى انحط بهم الوادي في
عمامة الصبح فلما انحط الناس ثارت في
وجوههم الخيل فاشتدت عليهم وانكفأ
الناس منهزمين لا يقبل أحد على أحد
وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات اليمين يقول أيها الناس هلموا
إلى أنار رسول الله أنار رسول الله أنا
محمد بن عبد الله فلا شيء وركبت
بعضها بعضاً فلما رأى رسول الله صلى
الله عليه وسلم أمر الناس قال يا عباس
أصرخ يا معشر الانصار يا أصحاب
السيرة فأجابوه ليك ليك جعل الرجل
يذهب ليعطف بعبه فلا يقدر على
ذلك فيقتدي درعه في عنقه يأخذ
سيفه وقوسه ثم يوثم الصوت حتى اجتمع
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم
مائة فاستعرض الناس فاقتتلوا وكانت
الدعوة أول ما كانت بالانصار ثم جعلت
آخر الانحاز حوكلوا صبراً عند الحرب
وأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ركابه فنظر إلى مجتلد القوم فقال
الآن حى الوطيس قال فوالله ما
راجعه الناس الا والاسارى عند
رسول الله ملقون فقتل الله منهم من
قتل وانهمز منهم ما انهمز وفاق الله على
رسوله أموالهم وأبناهم وفي الصحيحين
من حديث شعبة عن أبي اسحق عن
البراء بن عازب رضى الله عنهما ان
رجلاً قال له يا أبا عامر أفررت عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفران هو ازن كانوا قوماً ما فاعلمناهم من
وجعلنا عليهم انهمزوا فاقبل الناس على الغنائم فاستقبلوا بالسهم فانهمز الناس فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوسفیان

ابن الحرث أخذ بجام بعلته البيضاء وهو يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب (٣٦٧) قلت وهد في غاية ما يكون من الشجاعة التامة انه في مثل هذا اليوم في حومة

من الكفر والمعاصي (فما أغنت عنهم آلهتهم) أي فادفعت عنهم أصنامهم أو ما نفعت
قاله أبو عاصم (التي يدعون) يعبدونها (من دون الله) أي غيره (من شيء) أي شيئاً من
العذاب وبأس الله ومن زائدة (لما جاء) أي حين جاء (أمر ربك) أي عذابه (وما زادوهم
غير تبيين) أي هلاك وخسران قال ابن عمر رأيت هلكة وقال ابن زيد أي تخسير وقيل
تدمير والتوبيخ اسم من تيبه بالتشديد وتب يده تتب بالكسر خسرت كناية عن الهلاك
وتبالة أي هلاك واستتب الأمر تهباً ويستعمل لازماً ومتعدداً يقال تيبه غيره وتب هو
بنفسه والمعنى ما زادتهم أصنامهم التي يعبدونها الأهل والأهل كما وقد كانوا يعتقدون
انها تعينهم على تحصيل المنافع ودفع المضار (وكذلك) أي مثل ذلك الأخذ (أخذ ربك)
قري على انه فعل وعلى انه مصدر (إذا أخذ القرى وهي ظالمة) أي أهلها وهم ظالمون
بالذنوب فلا يغني عنهم من أخذ شيء (ان أخذته) عقوبته للكافرين (أليم شديد) أي
موجع غليظ على المأخوذ وهو مبالغته في التوبيخ والتحذير أخرج البخاري ومسلم
 وغيرهما عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله
 سبحانه وتعالى أهمل للظالم حتى إذا أخذ لم يقلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك الآية ولا تظن
 ان الآية حكمها مختص بظالمى الامم الماضية بل هو عام في كل ظالم ويعضده الحديث
 (ان في ذلك) أي أخذ الله سبحانه لاهل القرى وفي القصص السبعة التي قصها الله على
 رسوله (الآية) لعبرة وموعظة لان القصص المذكورة فيها عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
 وقد حصل الاول فيعلم العاقل ان القادر على انزال الاول قادر على انزال الثاني (لمن خاف
 عذاب الآخرة) لانهم الذين يعبون بالعبر ويتعظون بالمواعظ قال ابن زيد يقول أنا
 سوف نبي لهم بما وعدناهم في الآخرة كما وفينا للأنبياء اننا لننصرهم (ذلك) أي يوم
 القيامة المدلول عليه بذكر الآخرة (يوم مجموع له) صفة ليوم حوت على غير من هي له
 فلذلك رفعت الظاهر وهو (الناس) من الاولين والآخرين للحاسبة والمجازاة (وذلك)
 أي يوم القيامة (يوم مشهود) يشهده أهل المحشر أو مشهود فيه الخلائق أو يشهده أهل
 السماء والأرض فأتبع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول (وما نؤخره) أي ذلك اليوم
 (اللاجل) اللام للتعليل أي لانهما أجل أي وقت (معدود) معلوم بالعدد لا يعلمه الا الله
 وهو مدة الدنيا وقد عين سبحانه وقوع الجزاء بعده وعبارة أبي السعود الا لانقضاء مدة
 قليلة مضروبة بحسب ما تقتضيه الحكمة (يوم) حين (يات) يوم القيامة وقيل الضمير لله
 تعالى كقوله الآن بأنهم الله أو يأتي ربك (لا تكلم) أي لا تتكلم فيه (نفس) بما ينفع
 وينجي من جواب (الاباذنه) أي بما أذن لها من الكلام وقيل لا تكلم بحجة ولا شفاعاة
 الاباذنه سبحانه لها في التكلم بذلك كقوله لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقوله تعالى
 من ذا الذي يشفع عنده الاباذنه وقد جمع بين هذا وبين قوله يوم تأتي كل نفس تجادل
 عن نفسها وقوله اخبارا عن محاجة الكفار ربنا ما كنا مشركين وقوله هذا يوم لا ينطقون
 ولا يؤذن لهم فيعتذرون باختلاف أحوالهم باختلاف مواقف القيامة وقد تكررت مثل

الوحي وقد انكشف عنه جيبه وهو مع
 هذا على بقله ليست سريرة الجري
 ولا تصلح لفرو ولا لكر ولا لهرب وهو مع
 هذا أياضاً كضها إلى وجوههم
 وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه
 صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى
 يوم الدين وما هذا كله الا ثقة بالله
 وتوكل عليه وعلمانه بأنه سينصره
 ويتم ما أرسله به ويظهر دينه على
 سائر الأديان ولهـ ا قال تعالى ثم
 أنزل الله ساكنته على رسوله أي
 طمأنينته وثباته على رسوله وعلى
 المؤمنين أي الذين معه وأنزل
 جنود الم تر وهما وهم الملائكة كما
 قال الامام أبو جعفر بن جرير حدثني
 الحسن بن عرفة قال حدثني المعمر بن
 سليمان عن عوف هو ابن أبي جميلة
 الاعرابي قال سمعت عبد الرحمن مولى
 أم برثن حدثني رجل كان مع
 المشركين يوم حنين قال لما التقينا
 نحن وأصحاب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا
 حلب شاة قال فلما كشفناهم جعلنا
 نسوقهم في آثارهم حتى انتهينا إلى
 صاحب البغلة البيضاء فاذا هو
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 فتلقنانا عنده رجال بض حسان
 الوجوه فقال لنا شأهت الوجوه ارجعوا
 قال فانهم منا وركبوا كما فانا فكانت
 اباهوا وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أبنا
 أبو عبد الله الحافظ حدثني محمد بن
 أحمد بن الوليد حدثنا اسحق بن
 الحسن الحري حدثنا عفان بن مسلم
 حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا
 الحرث بن حصيرة حدثنا القاسم بن

عبد الرحمن عن أبيه قال قال ابن مسعود رضي الله عنه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فولى عنه الناس وبقيت
 معه في ثمانين رجلاً من المهاجرين والانصار قد منا ولم نولهم الدبر وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة قال ورسول الله صلى الله عليه

وسلم على بعلته البيضاء مضي قدما فحادث بعلته (٣٦٨) قال عن السرج فقلت ارتفع رفعك الله قال ناولني كفا من التراب فناولته

هذا الجمع في مواضع وقد اشتملت هذه الآية على ثلاثة أنواع من البديع الجمع في قوله لا تكلم نفس والتفريق في قوله ففهم شق وسعيد والتقسيم في قوله فاما الذين شقوا (فمنهم) أي من الانفس أو من أهل الموقف وان لم يذكروا قال الزنجشيري لان ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وكذا قال ابن عطية (شق) هو من كتبت عليه الشقاوة (وسعيد) أي من كتبت له السعادة وتقدم الشق على السعيد لان المقام مقام تحذير أخرج الترمذي وحسنه وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن عمر بن الخطاب قال لما نزلت ففهم شق وسعيد قلت يا رسول الله فعلم نعم على شيء قد فرغ منه أو على شيء لم يفرغ منه قال بل على شيء قد فرغ منه وجرى به الاقلام يا عمر ولكن كل ميسر لما خلق له وقد استدل بهذه الآية على ان أهل الموقف قسمان لانا لله ما وظاهر الآية والحديث يدل على ذلك لكن بقي قسم آخر مسكوت عنه وهو من استوت حسنته وسياتته أو لاحسنات لهم ولاسيات كالجنان والاطفال فهم تحت مشيئته يحكم فيهم بما شاء وتخصيص القسمين لا ينفي القسم الثالث (فاما الذين شقوا) أي الذين سبقت لهم الشقاوة في علمه تعالى وهم الذين يجوزون على الكفر وان تقدم منهم ايمان (في النار) أي يستقرون فيها (لهم فيها زفير وشهيق) قال الزجاج الزفير من شدة الانين وهو المرتفع جدا قال وزعم أهل اللغة من البصريين والكوفيين ان الزفير بمنزلة ابتداء صوت الخمر والشهيق بمنزلة آخره وقيل الزفير للعمار والشهيق للبعث وقيل الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقيل الزفير اخراج النفس والشهيق ردها وقيل الزفير من الصدر والشهيق من الخلق وقيل الزفير ترديد النفس في الصدر من شدة الخوف حتى تتفتح منه الاضلاع والشهيق النفس الطويل الممتد أو رد النفس الى الصدر والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم ونغمهم وتشبيه حالهم عن استولى الحرارة على قلبه وانحصر فيسهروحه وقال الليث الزفير ان يملا الرجل صدره حال كونه في الغم الشديد من النفس ويخرجه والشهيق ان يخرج ذلك النفس وهو قريب من قولهم تنفس الصعداء والجله امامسة أنفة أو حالية (خالدين) لابنين (فيها) أي في النار (مادامت السموات والارض) ما مصدرية أي مدة وامهما في الدنيا وهذه المدة غير ما يزيد الله مما لا نهاية له ومدامت هنا تامة لانها بمعنى بقيت وقد اختلف العلماء في بيان معنى هذا التوقيت لانه قد علم بالادلة القطعية تأييد عذاب الكفار في النار وعدم انقطاعه عنهم وثبت أيضا ان السموات والارض تذهب عند انقضاء أيام الدنيا فقالت طائفة ان هذا الاخبار جار على ما كانت العرب تعتاده اذا أرادوا المبالغة في دوام الشيء قالوا هو دائم مادامت السموات والارض ومنه قولهم لا آتيتك ما جن الليل وما اختلف الليل والنهار وما ناح الحمام ونحو ذلك فيكون المعنى انهم خالدون فيها أبدا لانقطاع ذلك ولا انتهاء له وقيل ان المراد سموات الآخرة وأرضها فقد ورد ما يدل على ان الآخرة سموات وأرضها غير هذه الموجودة في الدنيا وهي دائمة بدوام دار الآخرة وأيضا لا بد لهم من موضع يقبلهم وآخر يظلمهم وهما أرض وسماء قال ابن عباس لكل جنة أرض وسما

قال فضر ببه وجوههم فامتلات أعينهم ترابا قال أين المهاجرون والانصار قلت هم هناك قال اهتف بهم فهتفت بهم فخا وأوسيو ففهم بأيمانهم كأنها الشهب وولى المشركون أديارهم ورواه الامام أحمد في مسنده عن عفان به نحوه وقال الوليد بن مسلم حدثني عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة مولى ابن عباس عن شيبه بن عثمان قال لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قد عرى ذكرت أبي وعمي وقتل على وحزة اياهما فقلت اليوم أدركنا ناري منه قال فذهبت لاجيئه عن يمينه فاذا أنا بالعباس بن عبد المطلب قائما عليه درع بيضاء كأنها فضة يكشف عنها العجاج فقلت عمه ولن يخذه قال فحتمته عن يساره فاذا أنا بأبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب فقلت ابن عمه ولن يخذه فحتمته من خلفه فلم يبق الا ان اسوره سورة بالسيف اذ رفع لي شواط من نار يني وبينه كأنه برق فحفت ان يخمشني فوضعت يدي على بصرى ومشيت القهقري فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا شيبه يا شيبه ادن مني اللهم اذهب عنه الشيطان قال فرفعت اليه بصرى ولهوا أحب الي من سمعي وبصرى فقال يا شيبه قاتل الكفار رواه البيهقي من حديث الوليد فذكره ثم روى من حديث أيوب بن جابر عن صدقة بن سعيد عن مصعب بن شيبه عن أبيه قال خرجت مع رسول الله صلى

وروى

الله عليه وسلم يوم حنين والله ما أخرجني اسلام ولا معرفة به ولكنني

أبيت أن تظهر هو اذن علي قريش فقلت وأنا واقف معه يا رسول الله اني أرى خيلا بلقا فقال يا شيبه انه لا يراها الا كافر فضر ب

وروى نحوه عن السدي والحسن (الاماشاء ربك) قد اختلف أهل العلم في معنى هذا الاستثناء على اقوال الاول انه من قوله في النار كأنه قال الاماشاء ربك من تأخير قوم عن ذلك روى هذا عن أبي سعيد الخدري الثاني ان الاستثناء انما هو للعصاة من الموحدين وانهم يخرجون بعد مدة من النار وعلى هذا يكون قوله سبحانه فاما الذين شقوا عما في الكفرة والعصاة ويكون الاستثناء من خالدين ويكون ما بمعنى من وبه اذا قال قتادة والضحاك وأبو سنان وغيرهم قال البيضاوي هو استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المرادون بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة أيام عذابهم فان التأبيد من مبدع معين يتنقص باعتبار الابتداء كما يتنقص باعتبار الانتهاء وهو لا وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم انتهى وقد ثبت بالاحاديث المتواترة نواتر يفيد العلم الضروري بانه يخرج من النار أهل التوحيد فكان ذلك مخصصا لكل عموم الثالث ان الاستثناء من الزفير والشهيق أي لهم فيها ذلك الاماشاء ربك من أنواع العذاب غير الزفير والشهيق قاله ابن الانباري الرابع ان معنى الاستثناء أنهم خالدون فيها مادامت السموات والارض لا يموتون فيها الاماشاء ربك فانه يأمر النار فتأكلهم حتى يقنوا ثم يجدد الله خلقهم روى ذلك عن ابن مسعود الخامس ان الابعثي سوى ولكن والاستثناء منقطع والمعنى مادامت السموات والارض سوى ما يتجاوز ذلك من الخلود كأنه ذكر في خلودهم ما ليس عند العرب أطول منه ثم زاد عليه الدوام الذي لا آخره حكاية الزجاج السادس ما روى عن الفراء وابن الانباري وابن قتيبة من ان هذا لا ينافي عدم المشيئة كقولك والله لا ضربنك الا ان أرى غير ذلك ونوقش هذا بان معنى الآية الحكم بخلودهم الامدة التي شاء الله فالمشيئة قد حصلت جزما وقد حكى هذا القول الزجاج أيضا السابع ان المعنى خالدون فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك من مقدار موقفهم في قبورهم وللحساب حكاية الزجاج أيضا الثامن ان المعنى خالدون فيها الاماشاء ربك من زيادة النعيم لاهل النعيم وزيادة العذاب لاهل الجحيم حكاية الزجاج أيضا واختاره الحكيم الترمذي التاسع ان الابعثي الواو قاله الفراء والمعنى وما شاء ربك من الزيادة قال مكي وهذا القول بعيد عند البصريين ان يكون الابعثي الواو العاشر ان الابعثي الكاف والتقدير كما شاء ربك ومنه قوله تعالى ولا تسبحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف أي كما قد سلف الحادي عشر ان هذا الاستثناء انما هو على سبيل الاستثناء الذي ندب اليه الشارع في كل كلام فهو على حد قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين قاله ابن عطية وروى نحوه هذا عن أبي عبيدو لاحتاج الى ان يوصف بمتصل ولا منقطع وهذه الاقوال هي جملة ما وقفنا عليه من اقوال أهل العلم وقد نوقش بعضها بما اشارت ودفعت بدفوعات وقد أوضح الشوكاني ذلك في رسالة مستقلة جمعها في جواب سؤال ورد من بعض الاعلام قال السيوطي وما تقدم من التأويل هو الذي ظهر وهو حال من التكلف والله أعلم بمراده انتهى قال في الجمل أي التفسير للاستثناء وحاصله ان الافي المعنى بمعنى حرف العطف

عدم شموله لهم وهو الاظهر وانه منقطع والاعمى سوى أى مادامت سوى ماشاء ربك
 زيادة على ذلك وبقيت اجوبه كثيرة اعرضت عنها بعد هولاينا في ذلك ما رواه أحمد عن
 عبد الله بن عمر وليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون
 فيها احقابا لان في سنده من قالوا فيه انه غير ثقة وصاحب كذيب كثيرة عظيمة نعم نقل غير
 واحد هذه المقالة عن ابن مسعود وأبي هريرة قال شيخ الاسلام ابن تيمية وهو قول عمر بن
 الخطاب وابن عباس وابن مسعود وأبي هريرة وأنس واليه ذهب الحسن البصرى وجماد
 ابن سلمة وبه قال علي بن طلحة الوالبي وجماعة من المفسرين انتهى ويرد ما نقله عن الحسن
 قول غيره قال العلماء قال ثابت سألت الحسن عن هذا فانكره والظاهر ان هؤلاء الذين
 ذكرهم لم يصح عنهم من ذلك شيء وعلى النزل فعنى كلامهم كما قاله العلماء ليس فيها أحد من
 عصاة المؤمنين أمامواضع الكفار فهمي مملئة بهم لا يخرجون عنها أبدا كما ذكره الله في آيات
 كثيرة وفي تفسير الرازي قال قوم ان عذاب الكفار منقطع وله نهاية واستدلوا بهذه
 الآية وبلائين فيها احقابا وبان معصمة الظالم متناهية فالعقاب عليها بما لا يتناهى ظلم
 انتهى والجواب عن الآية وقوله تعالى احقابا لا يقتضى ان له نهاية لما مر ان العرب
 يعبرون به ويخوفون عن الدوام ولا ظلم في ذلك لان الكافر كان عازما على الكفر مادام حيا
 فعوقب دائما فهو لم يعاقب بال دائم الاعلى دائم فلم يكن عذابه الاجزاء واقفا واعلم ان
 التقيد والاستثناء في أهل الجنة ليس المراد بهما ظاهرهما بانفاق الكل لقوله تعالى غير
 مجذوذ فيقول بنظير ما مر ويكون المراد بما اذا جعلنا ما يعنى من أهل الاعراف عصاة
 المؤمنين الذين لم يدخلوها بعد قال ابن زيد أخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لاهل الجنة
 فقال عطاء غير مجذوذ أى مقطوع ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار انتهى كلام ابن حجر
 وفي الذى تحامل به على ابن تيمية نظر فقد أوضح البحث الحافظ ابن القيم رحمه الله في حادى
 الارواح الى بلاد الافراح مستوفيا بما له وعليه من شاء فليرجع اليه أخرجه الشيخ عن
 قتادة انه تلا هذه الآية فقال حدثنا أنس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يخرج
 قوم من النار ولا نقول كما قال أهل حروراء ان من دخلها بقى فيها وعن جابر قال قرأ رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية فقال ان شاء الله ان يخرج أنا من الذين شقوا من
 النار فيدخلهم الجنة فعلى أخرجه ابن مردويه وعن خالد بن معدان في الآية قال انها
 في ذوى التوحيد من أهل القبلة وعن جابر بن عبد الله أو أبي سعيد الخدرى قال هذه
 الآية قاضية على القرآن كله يقول حيث كان في القرآن خالد بن معدان في الآية قال يخرج
 ابن عباس في قوله الاما شاء ربك قال فقد شاء ربك ان يخلد هؤلاء في النار وان يخلد هؤلاء
 في الجنة وعنه قال استمنى الله من النار ان تأكلهم وعن السدى في الآية قال خفاء
 بعد ذلك من مشيئة الله ما نسخها فانزل بالمدينة ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر
 لهم ولا يهديهم طريقا الى آخر الآية فذهب الرجاء لاهل النار ان يخرجوا منها وأوجب
 لهم خلود الابد وقوله وأما الذين سعدوا الآية بخفاء بعد ذلك من مشيئة الله ما نسخها فانزل
 بالمدينة والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات الى قوله تظلا ظليلا فأوجب لهم

ورسوله ولا يذنبون دين الحق من
 الذين أولوا الكتاب حتى يعطوا
 الجزية عن يد وهم صاغرون) امر
 تعالى عباده المؤمنين الظاهر بن
 ديننا وذا تابتى المشركين الذين هم
 نجس ديننا عن المسجد الحرام وان
 لا يقربوه بعد نزول هذه الآية وكان
 نزولها في سنة تسع ولهذا بعث
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا
 صحبة أى بكر رضى الله عنهما عا مئذ
 وأمره ان ينادى في المشركين ان لا
 يتبع بعد هذا العام مشرك ولا يطوف
 بالبيت عريان فأتم الله ذلك وحكم
 به شرعا وقدرنا وقال عبد الرزاق
 اخبرنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير
 انه سمع جابر بن عبد الله يقول في
 قوله تعالى انما المشركون نجس فلا
 يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم
 هذا الا ان يكون عبدا أو أحدا
 من أهل الذمة وقدرى مرفوعا
 من وجه آخر فقال الامام أحمد حدثنا
 حسن حدثنا شريك عن الاشعث
 يعنى ابن سوار عن الحسن بن عن
 جابر قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لا يدخل مسجدنا هذا
 بعد عامنا هذا مشرك الأهل العهد
 وخدمكم تفرد به الامام أحمد مرفوعا
 والموقوف أصح اسنادا وقال الامام
 أبو عمر الازرقى كتب جمر بن عبد
 العزيز رضى الله عنه ان منعوا
 اليهود والنصارى من دخول
 مساجد المسلمين واتبع نهيهم قول
 الله تعالى انما المشركون نجس وقال

عطاء الحرم كله مسجد لقوله تعالى
 فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم
 هذا ودلت هذه الآية الكريمة على
 نجاسة المشرك كما ورد في الصحيح المومن
 لا يجس وأما نجاسة بدنه فالجمهور
 على انه ليس بنجس البدن والذات
 لان الله تعالى أحل طعام أهل
 الكتاب وذهب بعض الظاهرية
 الى نجاسة أبدانهم وقال أشعث عن
 الحسن من صالحهم فليستوا رواه
 ابن جرير وقوله ان خفيتم عياله
 فسوف يغنيكم الله من فضله قال
 ابن اسحق وذلك ان الناس قالوا
 لتقطع عنا الاسواق ولتذهبن عنا
 التجارة وليذهبن عنا ما كنا نصيب
 فيها من المرافق فانزل الله وان خفيتم
 عياله فسوف يغنيكم الله من فضله
 من وجه غير ذلك ان شاء الله الى
 قوله وهم صاغرون أي هذا عوض
 ما تخوفتم من قطع تلك الاسواق
 فعوضهم الله مما قطع أمر الشرك
 ما اعطاهم من اعناق أهل الكتاب من
 الجزية وهكذا روى عن ابن عباس
 ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير
 وقتادة والضحاك وغيرهم ان الله عليهم
 أي بما يصالحكم حكيم أي فيما يامر به
 وينهى عنه لانه الكامل في أفعاله
 وأقواله العادل في خلقه وأمره
 تبارك وتعالى ولهذا اعوضهم عن
 تلك المكاسب باموال الجزية التي
 يأخذونها من أهل الذمة وقوله
 تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا
 باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم
 الله ورسوله ولا يدينون دين الحق

خلود الأبد وعن أبي نضرة قال ينتهي القرآن كله الى هذه الآية يعني (ان ربك فعال
 لما يريد) وفي المناوي الكبير على الجامع الصغير ما نصه تنبيه ما ذكرته آتفا من ان عذاب
 الكفار في جهنم دائم أبدا هو ما دلت عليه الآيات والاحبار وأطبق عليه جمهور الأمة
 سلفا وخلفا ووراء ذلك أقوال يجب تأويلها فمنها ما ذهب اليه الشيخ محي الدين بن عربي
 انهم يعدون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة ناريتها لهم يتلذذون بها الموافقة
 لطبيعتهم فان الشفاء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد بل بالتجاوز وقال فلا تحسبن الله
 مخلف وعده رسوله ولم يقل وعيده بل قال ويتجاوز عن سيئاتهم مع انه توعد على ذلك وأثنى
 على اسمعيل بانه كان صادق الوعد وقال في موضع آخر ان أهل النار اذا أدخلوا لا يزالون
 خائفين مترقبين ان يخرجوا منها فاذا أعلقت عليهم أبوابها اطمانوا لانها خلقت على وفق
 طباعهم قال الحافظ ابن القيم وهذا في أي جهة والمعترلة القائلون بانه يجب على
 الله تعذيب من توعد بالعداب في طرف آخر فالوعد عندهم لا ينجون من النار من دخلها
 أبدا والقولان مخالفان لما علم بالاضطرار ان الرسول جاء به وأخبر به عن الله ومنها قول
 جمع النار تنفى فانه تعالى جعل لها أمدا تنتهي اليه ثم يزول عذابها هذه الآية وقوله تعالى
 لا يبين فيها أحقابا قال هؤلاء وليس في القرآن دلالة على بقاء النار وعدم فناها انما الذي
 فيه ان الكفار خالدون فيها وانهم غير خارجين منها وانه لا يفتقر عنهم عذابها وانهم لا يموتون
 وأن عذابهم فيها مقيم وانه غرام لازم وهذا النزاع فيه من الصحابة والتابعين انما النزاع
 في أمر آخر وهو ان النار أبدية أو مما كتب عليه القناء واما كون الكفار لا يخرجون منها
 ولا يدخلون الجنة فيختلف فيه أحد من أهل السنة وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه
 الله القول بفنائها عن جمع من الصحابة والتابعين وقد نصر هذا القول ابن القيم كشيخه
 ابن تيمية وهو مذهب متروك وقول مهجور لا يصار اليه ولا يعول عليه وقد أول ذلك كله
 الجمهور وأجابوا عن الآيات المذكورة بنحو عشرين وجها وعمان نقل أولئك الصحب بأن
 معناه ليس فيها أحد من عصاة المؤمنين أماموا وضع الكفار فهي مملئة منهم لا يخرجون
 عنها أبدا كما ذكره الله في آيات كثيرة انتهى كلامه قلت والله التوفيق أخرج ابن المنذر
 عن عمر قال لولبت أهل النار في النار كقدر رمل عال لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه
 وروى عبد بن حميد بن سنان درجانه ثقات عن عمر بن الخطاب وأخرج ابن راهويه عن أبي هريرة
 قال سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد وقرأ فأما الذين شقوا وأخرج ابن المنذر وأبو
 الشيخ عن ابراهيم قال ما في القرآن آية أرجى لاهل النار من هذه الآية خالدون فيها الخ قال
 وقال ابن مسعود ليا تين عليهم ازمان تخفق أبوابها وروى أحمد عن ابن عمرو بن العاص
 ليا تين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وحكاها البغوي وغيره عن أبي هريرة
 وغيره وأخرج ابن جرير عن الشعبي قال جهنم أسرع الدارين عمرانا وأسرعها خرابا
 وعن قتادة قال الله أعلم بتنتيته على ما وقعت وقد روى عن جماعة من السلف مثل
 ما ذكره ابن مسعود وعمر وأبو هريرة كابن عباس وابن عمر وجابر وأبي سعيد من الصحابة
 وعن أبي مجلز وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما من التابعين وورد في ذلك حديث في

من الذين أوثوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون فهم في نفس الامر لما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لم يبق لهم ايمان صحيح بأحد من الرسل ولا بما جاؤا به وانما يتبعون آراءهم وأهواءهم وآباءهم فيما هم فيه لانه شرع الله ودينه لا ينهم لو كانوا مؤمنين بما بأيديهم ايماناً صحيحاً لاقادهم ذلك الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لان جميع الانبياء بشر وابه وأمر واتباعه فلما جاء وكفروا به وهو أشرف الرسل دل على انهم ليسوا متمسكين بشرع الانبياء والاقدمين لانه من عند الله بل لحظوظهم وأهوائهم فلهذا لا ينفعهم ايمانهم ببيعة الانبياء وقد كفروا بسيدهم وأفضلهم وخاتمهم وأكملهم ولهذا قال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوثوا الكتاب وهذه الآية الكريمة أول الامر بقتال أهل الكتاب بعد ما تمهدت أمور المشركين ودخل الناس في دين الله أفواجا واستقامت جزيرة العرب أمر الله رسوله بقتال أهل الكتابين اليهود والنصارى وكان ذلك في سنة تسع ولهذا تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال الروم ودعا الناس الى ذلك وأطهره لهم وبعث الى أحياء العرب حول المدينة فندبهم فأوجعوا معه واجتمع من مقاتله نحو من ثلاثين ألفاً وتخلف بعض الناس من أهل

معجم الطبراني الكبير عن أبي امامة صدى بن عجلان الباهلي واسناده ضعيف وقد ثبت بذلك صحة ما نقله شيخ الاسلام ابن تيمية عن هؤلاء وانتصره الحافظ ابن القيم ووضحه هن ما قاله ابن حجر والمناوى عليهم اوان كان لاشك في أن الراجح هو الاول ولقد تكلم صاحب الكشف في هذا الموضوع بما كان له في تركه سعة وفي السكوت عنه غنى فقال ولا يخدعك قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج أهل الكافر من النار فان الاستثناء الثاني ينادى على تكذيبهم ويسجل باقتراهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن ابن عمر وليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابه ليس فيها أحد ثم قال وأقول ما كان لابن عمر وفي سيفيه ومقاتلته بهما على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث انتهى قال الشوكاني وأقول أما الطعن على من قال بخروج أهل الكافر من النار فالقابل بذلك يماسكين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما صح عنه في دواوين الاسلام التي هي دقاتر السنة المطهرة وكما صح عنه في غيرها من طريق جماعة من الصحابة يبلغون عدداً التواتر خالك والطعن على قوم عرفوا ما جهلته وعلموا بما أنت عنه في مسافة بعيدة وأي مانع من حمل الاستثناء على هذا الذي جاءت به الأدلة الصحيحة الكثيرة كما ذهب الى ذلك وقال به جمهور العلماء من السلف والخلف وأما ما ظننته من أن الاستثناء الثاني ينادى على تكذيبهم ويسجل باقتراهم فلا مناداة ولا مخالفة وإي مانع من حمل الاستثناء في الموضوعين على العصاة من هذه الامة فالاستثناء الاول يحمل على معنى الاماشاء ربك من خروج العصاة من هذه الامة من النار والاستثناء الثاني يحمل على معنى الاماشاء ربك من عدم خلودهم في الجنة كما يخلد غيرهم وذلك لتأخر دخولهم اليها مقدار المدة التي لبثوا فيها في النار وقد قال بهذا من أهل العلم من قدمنا ذكره وبه قال ابن عباس حبر الامة وأما الطعن على صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحافظ سنته وعابدها عبادة عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنه فالى أين يا محمود أتدرى ما صنعت وفي أي واد وقعت وعلى أي جنب سقطت ومن أنت حتى تصعد الى هذا المكان وتتناول نجوم السماء بيدك القصيرة ورجلك العرجاء أما كان لك في مكسرى طلبتك من أهل النخو واللغة ما يردك عن الدخول فيما لا تعرف والتكلم بما لا تدري فيما لا تعجب ما يفعل القصور في علم الر واية والبعد عن معرفتها الى أبعاد مكان من الفضيحة لمن لم يعرف قدر نفسه ولا وقفها حيث وقفها الله سبحانه (وأما الذين سعدوا) أى في علمه تعالى وهم الذين يؤتون على الايمان وان تقدم منهم كثر أو غيره من المعاصى قرأ الكسائي وغيره سعدوا بضم السين وقرأ الباقون بفتحها قال سيبويه لا يقال سعد فلان كما لا يقال شقي فلان لكونه مما لا يتعدى قال النحاس ورأيت على بن سليمان يتعجب من قراءة الكسائي بضم السين مع علمه بالعربية وهذا الخن لا يجوز قال السمين قرأ الاخوان وحفص بضم السين والباقون بفتحها فالاولى من قولهم سعده الله أى أسعده حتى الفراء عن هذيل انها تقول كذلك قال الأزهرى سعد فهو سعيد كسلم فهو سليم وسعد فهو مسعود وقال أبو عمرو بن العلاء يقال سعد الرجل كما يقال حسن وقيل سعد لغة

المدينة ومن حولها من المنافقين وغيرهم وكان ذلك في عام جدب ووقت قنظ وحر وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الشام لقتال الروم فبلغ تبوك فقتل بها وأقام بها قرىبان من عشرين يوماً ثم استخار الله في الرجوع فرجع عامه ذلك لضيق الحال وضعف الناس كما سيأتي بيانه بعد ان شاء الله تعالى وقد استدلل بهذه الآية الكريمة من يرى أنه لا تؤخذ الجزية الا من أهل الكتاب أو من أشبههم كالجوس كما صح في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر وهذا مذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه وقال أبو حنيفة رحمه الله بل تؤخذ من جميع الاعاجم سواء كانوا من أهل الكتاب أو من المشركين ولا تؤخذ من العرب الا من أهل الكتاب وقال الامام مالك بل يجوز ان تضرب الجزية على جميع الكفار من كافي ومجوسي ووثني وغير ذلك ولما أخذ هذه المذاهب وذكر أدلتها مكان غير هذا والله أعلم وقوله حتى يعطوا الجزية أي ان لم يسلموا عن يداي عن قهر لهم وغلبة وهم صاغرون أي ذليلون حقيرون مهانون فلهذا لا يجوز اعزاز أهل الذمة ولا رفعهم على المسلمين بل هم أذلاء صغرة اشقياء كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسدوا اليهود والنصارى بالسلام واذا القيمت أحدهم في

مهجورة وقد ضعف جماعة قراءة الاخوين وفي المصباح سعد فلان يسعد من باب تعب في دين أو دنيا يسعد او بالمصدر سعى ومنه يسعد بن عبادة والقاعل سعيد والجمع سعداء ويعدى بالحركة في لغة فيقال سعد الله يسعده بفتحين فهو مسعود وقرئ في السبعة بهذه اللغة في هذه الآية بالبناء للمفعول والاكثر ان يعدى بالهمزة فيقال أسعده الله وسعد بالضم خلاف شقي (ففي الجنة خالد بن فيما دامت السموات والارض) معنى الآية كما مر في قوله وأما الذين شقوا (الاماشاء ربك) من الزيادة التي لامنتهى لها فالمعنى خالد بن فيما أبدا وقد عرف من الاقوال المتقدمة ما يصلح لحل هذا الاستثناء عليه ولا يستقيم الا على التأويل المذكور في الوجه الخامس والسابع وما بعده (عطاء) اسم مصدر والمصدر في الحقيقة الاعطاء ويكون مصدر اعلی حذف الزوائد كقوله أنبتكم من الارض نباتا أو منصوب بمقدر يقال عطوت بمعنى ناولت (غير مجدود) من جذه يجذو اذا قطعته وكسره والجذا ذب كسر الجيم ما تكسره من الضم أفصح والجذا ذات القراضات والمعنى يعطيهم الله عطاء غير مقطوع بمعنى انه تمتد الى غير نهاية قال القاضي وهو تصريح ببيان الثواب لا ينقطع وتبسيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولا جله فرق بين الثواب والعقاب في التأسيد انتهى قال الخفاجي وقع لبعضهم هنا ان النار ينقطع عذابها بخلاف نعيم أهل الجنة وأورد فيه حديثا عن عبد الله بن عمرو بن العاص وقد تقدم قال ابن الجوزي انه موضوع وأشار لثبوت منه الزمخشري الا انه تكلم في ابن عمرو كلاما لا ينبغي ذكره انتهى وقد ثبت بالنصوص القاطعة ان لا وجود لذلك فيقدر الخلود ولا يتوهم جواز التعارض بين هذه وبين النصوص الدالة على عدم الخلود لان المحتمل لا يعارض القطعي ولم يفرض الله سبحانه من أقاصيص الكفرة وبيان حال السعداء والاشقياء صلى رسول الله على الله عليه وآله وسلم بشرح أحوال الكفرة من قومه في ضمن النهي عن الامتراء فقال (فلانك) حذف النون لكثرة الاستعمال ولان النون اذا وقعت طرف الكلام لم يبق عند التلظف بها الا مجرد الغنة فلا جرم أسقطوها قاله الكرخي (في مرية مما يعبد هؤلاء) أي ما يعبدونه غير نافع لهم ولا ضار ولا تأثير له في شيء والمرية الشك والاشارة بهم هؤلاء الى كفار عصره صلى الله عليه وآله وسلم من قريش وقيل المعنى لانك في شك من بطلان ما يعبد هؤلاء من الاصنام وقيل لانك في شك من سوء عاقبتهم ولا مانع من الحل على جميع هذه المعاني وهذا النهي له صلى الله عليه وآله وسلم هو تعريض غيره ممن يداخله شيء من الشك فانه صلى الله عليه وآله وسلم لا يشك في ذلك أبدا ثم بين له سبحانه بقوله (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم) ان معبودات هؤلاء كمعبودات آباؤهم وان عبادتهم كعبادة آباؤهم (من قبل) وفي هذا الاستئناف تعليل للنهي عن الشك والمعنى انهم سواء في الشرك بالله وعبادة غيره فلا يكن في صدرك حرج مما تراده من قومك فهم كمن قبلهم من طوائف البشر وفي الخازن يعني انه ليس لهم في عبادة هذه الاصنام مستند الاتقليد آباؤهم انتهى وجاء بالمضارع في كما يعبد لاستحضار الصورة ثم بين له انه مجازيهم باعمالهم فقال (وانا لموفوهم نصيبهم) من العذاب (غير منقوص) لا ينقص ذلك شيء واتصاب غير على الحال

طريق فاضطر وهم الى اضية
ولهذا اشترط عليهم أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلك
الشروط المعروفة في اذلالهم
وتصغيرهم وتحقيرهم وذلك مارواه
الائمة الخفا من رواية عبد الرحمن
ابن غنم الاشعري قال كتبت لعمر
ابن الخطاب رضي الله عنه حين
صالح نصارى من أهل الشام بسم
الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد
الله عمر أمير المؤمنين من نصارى
مدينة كذا وكذا انكم لما قدمتم
علينا سألناكم الامان لانفسنا
وذرائنا وأموالنا وأهل ملتنا
وشرطنا لكم على أنفسنا ان
لا نتحدث في مدينتنا ولا فيما حولها
ديرا ولا كنيسة ولا قلاية ولا
صومعة راهب ولا نبيد ما خرب
منها ولا نحبي منها ما كان خططا
للمسلمين وان لا تمنع كائسنا ان
ينزلها أحد من المسلمين في ليل ولا
نهار وان نوسع أبوابها للمارة وابن
السييل وان ننزل من هربنا من
المسلمين ثلاثة أيام نطعمهم ولا
نؤوي في كائسنا ولا منازلنا
جاسوسا ولا نكتم غشا للمسلمين ولا
نعمل أولادنا القرآن ولا نظهر شركا
ولا ندعو اليه أحد الا تمنع أحد من
ذوي قرابتنا الدخول في الاسلام
ان أرادوه وان نوقر المسلمين وان
نقوم لهم من مجالسنا ان أرادوا
الجلوس ولا نتشبه بهم في شيء من
ملابسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا
نعلين ولا فرق شمس ولا تتكلم
بكل ما هم ولا نكتفي بكلامهم ولا نركب

والتوفية لا تستلزم عدم النقص فقد يجوز ان يوفى وهو ناقص كما يجوز ان يوفى وهو كامل
قال القاضي كلاً من شري فانك تقول وفية حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازاً انتهى
وأنت خير بانه اذ لم تكن قرينة المجاز فائمة كافي هذا المقام لا تكون الحال الا للثأ كيدلان
التوفية تقتضي الا كمال فقد استفيد معناها من عامها وهو شأن المؤكدة وفأئذنه دفع
توهم التجوز قال بعضهم وجعلها مقيدة له لدفع احتمال كونه منقوصا في حد نفسه مبنى
على الذهول عن كون العامل هو التوفية تأمل قاله الكرخي وقيل المراد نصيبهم من
الرزق وقيل ما هو أعم من الخير والشر (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة (فاختلف
فيه) أي في شأنه وتفاصيل أحكامه فأمن به قوم وكفروا به آخرون وعمل بأحكامه قوم وترك
العامل بعضها آخرون فلا يضيق صدرك يا حجاج بما وقع من هؤلاء في القرآن وقيل في
سببية أي هو سبب اختلافهم وقيل بمعنى على (ولولا كلمة) الا نظر الى يوم القيامة
أي الحكم الا زلي بتأخير عذابهم (سبقت من ربك) لما علم في ذلك من الصلاح (لقضى
بينهم) أي بين قومك أو بين قوم موسى فيما كانوا فيه مختلفين فائيب الحق وعذب المبطل
وعذبوا في الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم والكامة هي ان رجته سبحانه سبقت
غضبه فامهلهم ولم يهملهم لذلك وقيل ان الكامة هي انهم لا يعذبون بعذاب
الاستئصال وهذا من جملة التسليم له صلى الله عليه وآله وسلم ثم وصفهم بانهم في شك من
الكتاب فقال (وانهم لفي شك منه) أي من القرآن ان جعل على قوم محمد صلى الله عليه وآله
وسلم أو من التوراة ان جعل على قوم موسى (مريب) موقع في الريبة من أرباب اذ حصل
الريب لغيره أو صار هو في نفسه ذار يب ثم جمع الاولين والآخريين في حكم توفية العذاب
لهم أو هو والثواب فقال (وان كلاً) أي كل الخلائق (الماليوفينهم ربك أعمالهم) أي
جزاءها وفي ان وكلاً وما أقوال متخالفه هل ان مخنفة أم مثقلة والتسوين في كلامه
التصبع عوض عن المضاف اليه ونصبه بان وما خفيفة أم ثقيلة وهي بمعنى الام لا
وأحسن هذه الاقوال انها بمعنى الاستثنائية وقدر وى ذلك عن الخليل وسيدويه ورجحه
الزجاج وقرأ أبي ان كلاً الالبوفينهم وقرى بالتسوين بمعنى جميعا وبسط الكلام في ذلك في
جل قال السمين هذه الآية الكريمة مما تكلم الناس فيها قديما وحديثا وعسر على
أكثرهم تلخيصها قراءة وتختر يجا وقد سهل الله تعالى ذلك فذكرت أفاو بلهم وما هو الراجح
منها فاقول قرأ بعضهم ان ولما تخففتين وبعضهم خفف ان وثقل لما وبعضهم شدد هما
وبعضهم شددان وخفف لمافه هذه أربع قرات في هذين الحرفين وكلها متواترة سبعة
قال والرابعة وهي تشديدان وتخفيف لمافواضحة جدا وقرى شاذ وان كل بتخفيف ان
ورفع كل ولما بالتشديد وهي قراءة الحسن البصري وعليها فلما بمعنى الا انتهى ملخصا
وقرى أيضا اذ اقرا آت آخر فلتراجع في السمين وغيره (انه بما عملون) أيها المختلفون
(خبير) لا يخفى عليه منه شيء والجملة تعليل لما قبلها وفيه وعد للمحسنين المصدقين
ووعيد للمكذابين الكافرين ثم أمر سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بكلمة جامعة لانواع
الطاعة له سبحانه فقال (فاستقم كما أمرت) أي كما أمرك الله فيدخل في ذلك جميع

السروج ولا تقلد السيوف ولا
تخذ شياً من السلاح ولا تحمله
معنا ولا تنقش خواتمنا بالعبسية
ولا يبيع الجوروان نجز مقادير
رؤسنا وأن نلزم زناحيماً كانوا
نشدد الزناير على أوساطنا وإن
لا تظهر الصليب على كائسنا وإن
لا تظهر صلبنا ولا كتبنا في شيء من
طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نضرب
نواقيسنا في كائسنا الاضربا خنيا
وان لا نرفع أصواتنا بالقراءة في
كائسنا في شيء من حضرة المسلمين ولا
نخرج سعاين ولا بعوثا ولا نرفع
أصواتنا مع موتانا ولا تظهر النيران
معهم في شيء من طرق المسلمين ولا
أسواقهم ولا نجاوزهم موتانا ولا نتخذ
من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين
وان نرشد المسلمين ولا نطلع عليهم في
منازلهم قال فلما أتيت عمر بالكتاب
زاد فيه ولا نضرب أحدا من
المسلمين شرطنا لكم ذلك على أنفسنا
وأهل مناتنا وقبلنا عليه الامان فان
نحن خالفنا في شيء مما شرطناه لكم
ووظفنا على أنفسنا فلانمة لنا وقد
حل لكم منا ما يحل من أهل
المعانة والشقاق (وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصراني
المسيح ابن الله ذلك قولهم يافوا هم
يضاهون قول الذين كفروا من
قبل قاتلهم الله أنى يوفكون
اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا
من دون الله والمسيح بن مريم وما
أمروا الا ليعبدوا الها واحدا
لا اله الا هو سبحانه عما يشركون)

ما أمر به وجميع ما نهاه عنه لانه قد أمره بتجنب ما نهاه عنه كما أمره بفعل ما تعده بفعله
وأتمه اسوته في ذلك قال قتادة أمره ان يستقيم على أمره ولا يطغي في نعمته وقال
سفيان استقم على القرآن وعن الحسن قال لما نزلت هذه الآية قال شمر واشهر واقارنى
ضاحكا قال أبو السعود وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية
والفرعية والكالات النظرية والعملية والخروج عن عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة
ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم شيتنى سورة هود (و) ليستقم (من تاب معك)
أى آمن ورجع عن الكفر الى الاسلام وشارك في الايمان وما أعظم موقع هذه الآية
وأشد أمرها فان الاستقامة كما أمر الله لا تقوم الا بالانفس المطهرة والذوات المقدسة
ولهذا يقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم شيتنى هود كما تقدم وعن سفيان الثقفى
قال قلت يا رسول الله قل لى فى الاسلام قولاً لا أسأل عنه أحد ابعدك قال قل آمنت بالله ثم
استقم آخر جهه مسلم أقول هى تشمل العقائد والاعمال والاخلاق فانها فى العقائد
اجتناب التشبيه والتأويل والتعطيل والصرف عن الظاهر وفى الاعمال الاحترار عن
الزيادة والنقصان والبدع والمحدثات والتغيير للكتاب والتبديل للسنة والتقليد للرجال
وللا راء وفى الاخلاق التباعد عن طرفى الافراط والتفريط وهذا فى غاية العسر وبالله
التوفيق وهو المستعان (ولا تطغوا) الطغيان مجاوزة الحد ما أمر الله سبحانه بالاستقامة
المدكورة بين ان الغلو فى العبادة والافراط فى الطاعة على وجه يخرج به عن الحد الذى
حدده والمقدار الذى قدره ممنوع منه منهى عنه وذلك كمن يصوم ولا يفطر ويقوم الليل
ولا ينام ويترك الحلال الذى أذن الله به ورغب فيه ولهذا يقول الصادق المصدوق فيما
صح عنه اما انافصوم وافرط واقوم وانام وانكح النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى
والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولأتمه تغليبا لخالهم على حاله أو النهى عن
الطغيان خاص بالامة قال ابن عباس لا تطغوا اتعلموا وقال العلامة ابن عبد الله لم يرد
أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم انما عني الذين يجيئون من بعدهم وعن ابن زيد
الطغيان خلاف أمره وار تكاب معصيته (انهما يعملون بصير) يجازيكم على حسب
ما تستحقون والجملة تعليل لما قبلها قيل ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم هى أشد عليه من هذه الآية (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) قرئ بفتح الكاف وضمها
وهى لغة تميم وقيس والاول لغة أهل الحجاز قال أبو عمرو ولغة تميم بكسر التاء وفتح الكاف
وهم يكسرون حرف المضارعة فى كل ما كان من باب علم يعلم قال الأزهرى وليست
بالفصيحة وركن يركن بفتح تين وليست بالاصل بل من تدخل اللغتين وقال الراغب
والصحيح انه يقال بالفتح فيهما وبالكسر فى الماضى والفتح فى المضارع وبالفتح فى الماضى
والضم فى المضارع وقرئ على البناء للمفعول من أركنه وقال فى الصحاح ركن اليه يركن
بالضم وحكى أبو زيد ركن اليه بالكسر يركن ركونا فهم أى مال اليه وسكن قال الله
تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا واما بالفتح فيهما فانما هو على الجمع بين اللغتين اه وقال
فى شمس العلوم الركون السكون وقال فى القاموس ركن اليه كتنصر وعلم ومنع ركونا

مال وسكن اه فهولاء الأئمة من رواة اللغة فسر والركون بطلق الميل والسكون من غير تقييد بما قيده به صاحب الكشاف حيث قال فان الركون هو الميل اليسير وهكذا فسر المفسرون بطلق الميل والسكون من غير تقييد الا من كان من المتقيدين بما ينقله صاحب الكشاف ومن المفسرين من ذكر في تفسير الركون قيودا لم يذكرها أئمة اللغة قال القرطبي في تفسيره الركون حقيقة الاستناد والاعتماد والسكون الى الشيء والرضا به ومن أئمة التابعين من فسر الركون بما هو أخص من معناه اللغوي فروى عن قتادة وعكرمة ان معناها لا تؤدوهم ولا تطيعوهم وقال عبد الرحمن بن زيد الركون هنا الادهان وذلك ان لا ينكر عليهم كفرهم وقال أبو العالية معناه لا تزوا أعمالهم وقال ابن عباس الركون الى الشرك ولا تزوا أعمالهم ولا تطيعوهم وعن عكرمة لا تصطنعوهم وقد اختلف أيضا الأئمة من المفسرين في هذه الآية هل هي خاصة بالمشركين أو عامة فصيل خاصة وان معنى الآية النهي عن الركون الى المشركين وانهم المرادون بالذين ظلموا وقد روى ذلك عن ابن عباس وقيل انها عامة في الظلمة من غير فرق بين كافر ومسلم وهذا هو الظاهر من الآية ولو فرضنا ان سبب التزول هم المشركون لكان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فان قلت وقد وردت الأدلة الصحيحة بالباغلة عدد التواتر الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبوته لا يخفى على من له أدنى عمق بالسنة المطهرة بوجوب طاعة الأئمة والسلاطين والامراء حتى ورد في بعض الفاظ الصحيح أطيعوا السلطان وان كان عبدا حبشيا رأسه كالبية وورد بوجوب طاعتهم ما قاموا بالصلاة وما لم يظهر منهم الكفر البواح وما لم يأمر بوجوب طاعة الله وظاهر ذلك انهم وان بلغوا في الظلم الى أعلى مراتبه وفعالوا أعظم أنواعه مما لم يجز جوابه الى الكفر البواح فان طاعتهم واجبة حيث لم يكن مأمر بوجوب طاعة الله ومن جملة ما يأمر به تولى الاعمال لهم والدخول في المناصب الدينية التي ليس الدخول فيها من معصية الله ومن جملة ما يأمر به الجهاد وأخذ الحقوق الواجبة من الرعايا واقامة الشريعة بين المتخاصمين منهم واقامة الحدود على من وجبت عليه وبالجملة فطاعتهم واجبة على كل من صار تحت أمرهم ونهيهم في كل ما يأمر به مما لم يكن من معصية الله ولا بد في مثل ذلك من المخالطة لهم والدخول عليهم ونحو ذلك مما لا بد منه ولا يحصى عن هذا الذي ذكرنا من وجوب طاعتهم بالقيود المذكورة لتواتر الأدلة الواردة به بل قد ورد به الكتاب العزيز أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم بل ورد انهم يعطون الذي لهم من الطاعة وان منعوا ما هو عليهم للرعايا كما في بعض الاحاديث الصحيحة أعطوهم الذي لهم واسألوا الله الذي لكم بل ورد الامر بطاعة السلطان وبالغ في ذلك النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال وان أخذ مالك وضر بظهورك فان اعتبرنا مطلق الميل والسكون فجزء هذه الطاعة المأمور بها مع ما تستلزمه من المخالطة هي ميسل وسكون وان اعتبرنا الميسل

وهذا اغراء من الله تعالى للمؤمنين على قتال المشركين الكفار من اليهود والنصارى على مقاتلتهم هذه المقالة الشريفة والقرية على الله تعالى فأما اليهود فقالوا في العزيز انه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وذكر السدي وغيره ان التسمية التي حصلت لهم في ذلك ان العمالة لما غلبت على بني اسرائيل فقتلوا علماءهم وسبوا كبارهم بقي العزيز يكي على بني اسرائيل وذهاب العلم منهم حتى سقطت جفون عينيه فيبينما هو ذات يوم اذ مر على جبانة واذا امرأة تبكي عند قبر وهي تقول وامطعماها وكاسياها فقال لها ويحك من كان يطعمك قبل هذا قالت الله قال فان الله حي لا يموت قالت يا عزيز ان كان يعلم العلماء قبل بني اسرائيل قال الله قالت فلم تبكي عليهم فعرف انه شيء قد وعظ به ثم قيل له اذهب الى نهر كذا فاغتسل منه وصل هناك ركعتين فانك ستلقى هناك شيخا فاطعمه ففعل ما امر به فاذا الشيخ فقال له افتح فمك ففتح فقه فألقى

والسكون ظاهرا وباطنا فلا يتناول النهي في هذه الآية من مال الهمم في الظاهر لاهم
 يقتضى ذلك شرعا كالطاعة أو للتقية ومخافة الضرر منهم أو لطلب مصلحة عامة أو خاصة أو
 دفع مفسدة عامة أو خاصة اذ لم يكن له ميل اليهم في الباطن ولا محبة ولا رضى بافعالهم
 قلت أما الطاعة على عمومها بجميع أقسامها حيث لم تكن في معصية الله فهي على فرض
 صدق مسمى الركون عليها مخصوصة لعدم النهى عنه بإدلتها التي قدمنا الإشارة إليها ولا شك
 في هذا ولا ريب فكل من أمره أو ابتداء ان يدخل في شيء من الاعمال اتى أمرها اليهم بمالم
 يكن من معصية الله كالمناصب الدينية ونحوها اذ وثق من نفسه بالقيام بما وكل اليه
 فذلك واجب عليه فضلا عن ان يقال جائز له وأما ما ورد من النهى عن الدخول في الامارة
 فذلك مقيد بعدم وقوع الامر من تعجب طاعته من الائمة والسلاطين والامراء جعابين
 الادلة أو مع ضعف المأمور عن القيام بما أمر به كما ورد تعلييل النهى عن الدخول في الامارة
 بذلك في بعض الاحاديث الصحيحة وأما مخالفتهم والدخول عليهم لطلب مصلحة عامة أو
 خاصة أو دفع مفسدة عامة أو خاصة مع كراهة ما هم عليه من الظلم وعدم ميل النفس اليهم
 ومحبة اليهم وكراهة المواصلة لهم لولا جلب تلك المصلحة أو دفع تلك المنسدة فعلى فرض
 صدق مسمى الركون على هذا فهو مخصوص بالادلة الدالة على مشروعية جلب المصالح
 ودفع المفاسد والاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى ولا تخفى على الله خافية وبالجملة
 فن ابتلى بمخالطة من فيه ظلم فعليه ان يزن اقواله وافعاله وما يأتى وما يذير بميزان الشرع فان
 زاغ عن ذلك فعلى نفسه ابرأ فشرى ومن قدر على الثرار منهم قبل أن يؤمر من جهتهم
 بأمر يجب عليه طاعته فهو الاول له والاليق به يامالك يوم الدين اياك تعبدوا يالك نستعين
 اجعلنا من عبادك الصالحين الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر الذين لا يخافون
 فيسئل لومة لائم وقوناعلى ذلك ويسر له لنا وأعنا عليه قال القرطبي في تفسيره وصحبة الظالم
 على التقية مستنناة من النهى بحال الاضطرار انتهى وقال النيسابورى في تفسيره قال
 المحققون الركون المنهى عنه هو الرضا بما عليه الظلمة أو تحسين الطريقة وترتيبها عند غيرهم
 ومشاركتهم في شيء من تلك الابواب فأما ما دخلت لهم لدفع شيء من الضرر واجتلاب منفعة
 عاجلة فغيره يدخل في الركون قال واقول هذا من طريق المعاش والرخصة ومقتضى
 التقوى هو الاجتناب عنهم بالكيفية أليس الله بكاف عبده انتهى (فتمسككم النار) بجرها
 بسبب الركون اليهم وفيه إشارة الى ان الظلمة أهل النار أو كانوا ومصاحبة النار توجب
 لاحتمال مس النار قيل هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم والجملة طالية أو مستأنفة قال
 ابوالسعود واذ كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما في الافضاء الى مساس النار
 هكذا فاطنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم والعسوان من الاعظميا ويتها لك على
 مصاحبته ومنادتهم ويلقى شره على مؤانستهم ومعاشرتهم ويتبع بالترتيب منهم ويمد
 عينه الى زهرتهم الغائبة ويغبطهم بما أوتوا من القنوط الدانية وهو في الحقيقة من

فيه شيئا كهيئة الجرة العظيمة ثلاث
 مرات فرجع عزيز وهو من أعلم
 الناس بالتوراة فقال يا بنى اسرائيل
 قد جئتمكم بالتوراة فقالوا يا عزيز
 ما كنت كذا بافعلمه مد فربط على
 اصبع من اصابعه قلما وكتب التوراة
 باصبعه كلها فلما تراجع الناس
 من عدوهم ورجع العلماء أخبروا
 بشأن عزيز فاستخرجوا النسخ التي
 كانوا اودعوا في الجبال وقالوا ليهيأ
 فوجدوا ما جاء به صحيحا فقال بعض
 جهلمتهم انما صنع هذا لانه ابن الله
 واما ضلال النصارى في المسيح
 فظاهر ولهذا كذب الله سبحانه
 الطائفتين فقال ذلك قولهم
 بأفواههم أى لا مستدل لهم فيما ادعوه
 سوى افتراءهم واختلافهم بضاهمون
 أى يشابهون قول الذين كفروا
 من قبل أى من قبلهم من الأمم
 ضلوا كما ضل هؤلاء فاتهم الله قال
 ابن عباس لعنهم الله أى يؤفكون
 أى كيف يضلون عن الحق وهو ظاهر
 ويعدون الى الباطل وقوله اتخذوا
 أحبارهم وورهبانهم أربابا من دون
 الله والمسيح بن مريم روى الامام

الحبة طفيف ومن جناح البعوض خفيف بعزل عن أن تميل إليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب والآية تبلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين تبييت على الاستقامة التي هي العدل فان الميل الى أحد طرفي الافراط والتفريط ظلم على نفسه أو على غيره انتهى (ومالككم من دون الله من أولياء) ان ركنتم اليهم والمعنى انها تمسكم النار حال عدم وجود من ينصركم وينقذكم منها ونفي الأولياء ليس بطريق نفي أن يكون لكل واحد منهم أولياء حتى يصدق أن يكون له ولي بل المكان لكم بطريق انقسام الاتحاد على الاتحاد لكن لا على معنى نفي استقلال كل منهم بصير بل على معنى نفي أن يكون لواحد منهم نصير بقية المقام (ثم لا تنصرون) من جهة الله سبحانه إذ قد سبق في علمه انه يعذبكم بسبب كونكم الذي تنهيت عنه فلم تفتوا عناداً وتتردوا والجملة حالية أو مستأنفة معترضة وأتى بتم هنا تنبيها على تراخي رتبة كونهم غير منصورين من جهة الله بعدما وعدهم بالعذاب وأوجب عليهم ويجوز أن يكون منزلاً منزلة الفناء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره لا ينقذهم أتي بهم لا ينصرون أصلاً (وأقم الصلاة طرفي النهار) لما ذكر الله سبحانه الاستقامة خص من أنواعها إقامة الصلاة لكونها رأس الايمان والمراد صلاة الغداة والعشي وهما الفجر والعصر قاله الحسن وقيل الظهر موضع العصر وقيل الطرفان الصبح والمغرب قاله ابن عباس وقيل هما الظهر والعصر وقال مجاهد صلاة الفجر وصلاة العشي بمعنى الظهر والعصر وريح ابن جرير انهما الصبح والمغرب قال والدليل عليه اجماع الجميع على ان أحد الطرفين الصبح فدل على ان الطرف الآخر المغرب قال الرازي كثرت المذاهب في تفسير طرفي النهار والاشهر انهما الفجر والعصر لان أحد طرفي النهار هو طلوع الشمس والثاني هو غروبها فالطرف الاول هو صلاة الفجر والطرف الثاني لا يجوز أن يكون صلاة المغرب لانها اخذت تحت قوله وزلفا من الليل فوجب حمل الطرف الثاني على صلاة العصر (وزلفا) أي في زلف (من الليل) والزلف الساعات القريبة بعضها من بعض ومنه سميت المزدلفة لانها منزل بعد عرفة بقرب مكة وقرى زلفا بضم اللام جمع زليف ويجوز أن يكون واحده زلفه وقرى باسكان اللام وقرى باسكان اللام وقرى باسكان اللام وقرى باسكان اللام كغرفة وغرف قال ابن الاعرابي الزلف الساعات واحدها زلفه قال قوم الزلفه أول ساعة من الليل بعد مغيب الشمس وفي القاموس الزلفه الطائفة من الليل والجمع زلف وزلفات والزلف ساعات الليل الآخذة من النهار وساعات النهار الآخذة من الليل قال الاخفش معنى زلفا من الليل صلاة الليل قال ابن عباس صلاة العتمة وقال الحسن هما زلفتان صلاة المغرب وصلاة العشاء وعن مجاهد والحسن نحوه وقال أيضا ساعة بعد ساعة بمعنى صلاة العشاء الآخرة (ان الحسنات) أي الواجبة والمدبوبة وغيرها على العموم ومن جعلتها بل عمادها الصلوات عن ابن مسعود قال هي الصلوات الخمس وزاد ابن

أحمد والترمذي وابن جرير من طرق عن عدى بن حاتم رضى الله عنه أنه لما بلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه ثم من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أخته وأعطاها فرجعت الى أخيها فرغبت في الاسلام وفي القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم عدى المدينة وكان رئيسا في قومه طي وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم فحدث الناس بقدمه فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنق عدى صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال فقلت انهم لم يعبدوهم فقتل بلى انهم حرموا عليهم الخلال وأحلوا لهم الحرام فاتعوهم فذللوا عبادتهم اياهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم باعدى ما تقول أي بضرك ان يقال الله أكبر فهل تعلم شيئا أكبر من الله ما بضرك أن يقال لا اله الا الله فهل تعلم الها غير الله ثم دعاه الى

عباس والباقيات الصالحات (يذهبن السيئات) على العموم وقيل المراد بهما الصغائر ومعنى يذهبن يكفرنهما حتى كأنها لم تكن آخر جرح البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن ابن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة قبله فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر ذلك له كأنه يسأل عن كفتارها فأنزلت عليه وأقم الصلاة طرفي النهار الآية فقال الرجل يا رسول الله إلى هذه قال هي لمن عمل بها من أمتي وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود وغيرهم عن أبي أمامة أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله أقم في حد الله مرة أو مرتين فأعرض عنه ثم أقيمت الصلاة فلما فرغ قال أين الرجل قال أنا ذاق أقال أتممت الوضوء وصليت معنا آنفاً قال نعم قال فأنك من خطيئتك كيوم ولدتك أمك فلا تعد وأنزل الله حينئذ على رسوله وأقم الصلاة طرفي النهار وفي الباب أحاديث كثيرة بالفاظ مختلفة ووردت أحاديث صحيحة أيضاً ان الصلوات الخمس كفارات لما يئنه وقال مجاهد الحسنة قول سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر والاول اولى وبه قال ابن المسيب والقرطبي والبخاري وجهور المفسرين أي الصلوات الخمس وله تدل الاحاديث (ذلك) اشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القرآن (ذكرى للذاكرين) أي موعظة للمتعتبين عن الحسن قال هم الذين يذكرون الله في السراء والضراء والسدة والرخاء والعايفة والبلاء وعن ابن جرير قال لما نزع الذي قبل المرأة نذ كرف ذلك قوله ذلك ذكرى للذاكرين (واصبر) على ما أمرت به من الاستقامة وعدم الطغيان والركون الى الذين ظلموا وقيل ان المراد الصبر على ما أمر به دون ما نهى عنه لانه لا مشقة في اجتنابه وفيه نظر فان المشقة في اجتناب المنهى عنه كأنه وعلى فرض كونها دون مشقة امثال الامر فذلك لا يخرجها عن مطلق المشقة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أي يوفيهم أجورهم ولا يضيع منها شيئاً فلا يمهله ولا يبخسه بنقص قيل المحسنون المصلون (فلولا كان) هذا عود الى أحوال الامم الخالية لبيان ان سبب حلول عذاب الاستئصال بهم انه ما كان فيهم من ينهى عن الفساد أو يأمر بالرشاد فقال فلولا أي فهلا كان (من القرون) الماضية المهلكة بالعباد الكائنة (من قبلكم أولو بقية) من الرأى والعقل والدين والبقية في الاصل اسم لما يتبق به الرجل مما يخرج منه وهو لا يستبقى الا أجوده وأفضله فصار لفظ البقية مشابهاً في الجوده يقال فلان ذو بقية اذا كان فيه خير والمراد بها حينئذ نجيد الشيء وخياره من قولهم فلان بقية الناس وبقية الكرام وانما صفة على فعيلة للمبالغة بمعنى فاعله ولذلك دخلت التاء فيها وقيل معناه أولو بقية من خير يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خصله محموداً ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا وقيل انها مصدر بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى أي فهلا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ بتخفيف الباء وهي اسم فاعل من بقى والتقدير ولو طائفة بقية أي باقية وقرئ بضم الباء

الاسلام فأسلم وشهد شهادة الحق قال فلقد رأيت وجهه استبشر ثم قال ان اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون وهكذا قال حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما في تفسير اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله انهم اتبعوهم فيما حلوا وحرما وقال السدي استنجحوا الرجال ونبتوا كتاب الله وراء ظهورهم ولهذا قال تعالى وما أمرنا الا ليعبدوا الها واحداً أي الذي اذا حرم الشيء فهو الحرام وما حله فهو الحلال وما شرعها تتبع وما حكم به فذلك الله الا هو سبحانه عما يشركون أي تعالى وقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والاعوان والاضداد والاولاد الا هو ولا رب سواه (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) يقول تعالى يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب أن يطفئوا

وسكون القاف أخر ج ابن مردويه عن أبي بن كعب قال أقرأني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولو بريمة وأحلام (ينهن) قومهم (عن الفساد في الأرض) ويمنعونهم من ذلك لكونهم ممن جمع الله له بين جودة العقل وقوة الدين وفي هذا من التوبيخ للكفار ما لا يخفى والاستثناء في قوله (الأقليات) منقطع أي لكن قليلا (من أتجينا منهم) أي من الأمم الماضية وهم أتباع الأنبياء من أعراف الفساد في الأرض وسائرهم تركوا النهي وقيل هو متصل لأن في حرف التحضيض معنى التقي فكانه قال ما كان في القرون أولو بريمة ينهن عن الفساد في الأرض الا قليلا من أتجينا منهم الا انه يؤدي الى النصيب غير الموجب وان كان غير النصب أولى قال الزنجشري ان جعلته متصلا كان المعنى فاسد الان الكلام يؤل الى ان التاجين لا يحضون على النهي ومن في ممن بيانية لانه لم ينبج الا التاهون قيل هؤلاء القليل هم قوم يونس لقوله فيما مر الا قوم يونس وقيل هم أتباع الانبياء أهل الحق من الأمم على العموم (واتبع الذين ظلموا) أنفسهم بسبب مباشرتهم للفساد وتركهم للنهي عنه (ما أتروا فيه) أي أنعموا من الشهوات فاهتموا بتحصيل أسبابها وأعرضوا عما وراء ذلك والمترف الذي أبطرته النعمة يقال صبي مترف منعم البدن وفي القاموس الترفه بالضم النعمة والطعام الطيب والشئ الظريف يتخص به صاحبك وترف كفرح تنم وأترفته النعمة أطعمته وأترف فلان أصرع على المكر والمترف ككرم المتروك يصنع ما يشاء ولا يمنع والمتنم لا يمنع من تنعمه أي صاروا تابعين للنعم التي صاروا بها مترفين من خصب العيش ورفاهية الحال وسعة الرزق وآثر وأذلك على الاشغال بأعمال الآخرة واستغفروا بأعمارهم في الشهوات النفسانية وقيل المراد بالذين ظلموا تاركوا النهي وردبانه يستلزم خروج مباشرى الفساد عن الذين ظلموا وهم أشد ظلما ممن لم يباشروا وكان ذنبه ترك النهي وقري واتبع على البناء للمفعول ومعناه اتبعوا جزاء ما أتروا فيه قال مجاهد واتبع الذين ظلموا أي في ملكهم وتجبرهم وتركهم للعق وقال ابن عباس أتروا أبطروا وجملة (وكانوا مجرمين) متضمنة لبيان سبب اهلاكهم أي وكان هؤلاء الذين اتبعوا ما أتروا فيه مجرمين كافرين والاجرام الآتية والمعنى انهم أهل اجرام بسبب اتباعهم للشهوات واشتغالهم بها عن الامور التي يحق الاشتغال بها ويجوز أن تكون معطوفة على واتبع الذين أي اتبعوا شهواتهم وكانوا بسبب ذلك الاتباع مجرمين (وما كان ربك ليهلك القرى) أي ماصح ولا استقام بل استحلال في الحكمة ان يهلك القرى التي أهلكتها حسب ما بلغك انبأوها ويعلم من ذلك حال باقيها من القرى الظالمة واللام لتأكيد النفي (بظلم) أي متلبسا به قيل هو حال من الفاعل أي ظالمها والتسكير للتفخيم والايذان بان اهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالكلمة بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى والا فلا ظلم فيما فاعله الله تعالى بعباده كائنا ما كانوا تقرر من قاعدة أهل السنة قال الزجاج يجوز أن يكون المعنى وما كان ربك ليهلك أحدنا وهو يظلمه وان كان على

نور الله أي ما بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق بحجرت جد الهيم واقترأهم قتلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفى شعاع الشمس أو نور القمر بنفخه وهذا السبيل اليه فكذلك ما أرسل به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بد أن يتم ويظهر ولهذا قال تعالى مقابلا لهم فيما رموه وأرادوه ويأبى الله الأن يستنوره ولو كره الكافرون والكافر هو الذي يستتر الشئ ويغيبه ومنه سمي الليل كافر لانه يستتر الاشياء والزراع كافر لانه يغطي الحب في الأرض كما قال يعجب الكفار بانه ثم قال تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق فالهدى هو ما جاء به من الاخبار الصادقة والايان الصحيح والعلم النافع ودين الحق هو الاعمال الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة ليظهره على الدين كله أي على سائر الأديان كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله زوى لي الأرض

نهاية الصلاح لان تصرفه في ملكه دليله قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا وقوله وان
الله ليس بظلام للعبيد (وأهلها مصلحون) حال من المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار
تقييده بما وقع حاله من فاعله أعنى بظلمه لدلالته على تقييده في الاهلاك ظلما بحال كون
أهلها مصلحين ولا ريب في فساد بل مطلقا عن ذلك وقيل المراد بالظلم الشرك والباء
للسببية أي لا يهلك القرى بسبب اشراك أهلها أي بمجرد الشرك وحده حتى ينضم اليه
الفساد في الارض ومتابعة الهوى كما أهلك قوم شعيب بنقص الميكال والميزان ونحس
الناس أشياء هم وأهلك قوم لوط بسبب ارتكابهم للفاحشة الشنعاء وهم مصلحون
يتعاطون الحق فيما بينهم لا يظلمون الناس شيئا وذلك لفرط رحته ومسامحته في حقوقه
تعالى ومن ذلك قدم الفقهاء عند تراحم الحقوق حقوق العباد الفقراء على حقوق الله
الغنى الجسد وقيل الملائيق مع الكفر ولا يتيق مع الظلم وأنت تدري ان مقام النهى عن
المنكرات التي أقبحها الاشرار بالله لا يلائمها فان الشرك داخل في الفساد في الارض
دخولا أوليا ولذلك ينهى كل من الرسل الذين قصت انباؤهم أمته أو لاعن الاشرار ثم عن
سائر المعاصي التي كانوا يتعاطونها فالوجه حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك
وغيره من أصناف المعاصي وحمل الاصلاح على اصلاحه والاقلاع عنه بكون بعضهم
متصدين للنهي عنه وبعضهم متوجهين الى الاعتباط غير مصرين على ما هم عليه من
الشرك وغيره من أنواع الفساد وقيل المعنى وما كان يهلكهم بذنوبهم وهم مخلعون في
الايمان فالظلم المعاصي على هذا أخرج الطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والديلمي عن
جرير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسئل عن تفسير هذه الآية فقال وأهلها
ينصف بعضهم بعضا وروى موقوفا على جرير قيل والمراد بالهلاك عذاب الاستئصال في
الدنيا أو آما عذاب الآخرة فهو لازم لهم (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) أي أهل
دين واحد اما أهل ضلالة أو أهل هدى وقيل معناه جعلهم مجتمعين على الحق غير مختلفين
فيه أو مجتمعين على دين الاسلام دون سائر الأديان ولكنه لم يشأ ذلك فيمكن ولهذا قال
(ولا يرون مختلفين) في ذات بينهم على أديان شتى ما بين يهودى ونصرانى ومجوسى
ومشرك ومسلم فكل هؤلاء قد اختلفوا في أديانهم اختلافا كثيرا لا ينضب وقيل مختلفين
في الحق أو دين الاسلام وقيل مختلفين في الرزق فهذا غنى وهذا فقر وعن ابن عباس في
الآية قال أهل الحق وأهل الباطل عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال افرقت اليهود على احدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين والنصارى كذلك وستفترق
أمتى على ثلاث وسبعين فرقة أخرجه أبو داود والترمذى بنحوه عن معاوية قال قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب افرقوا على
اثنتين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النار
وواحدة في الجنة وهى الجماعة أخرجه أبو داود قال الخطابي فيه دلالة على ان هذه

مشاركها ومغار بها وسيلغ
ملك أمتى مازوى لي منها وقال
الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر
حدثنا شعبة عن محمد بن أبي يعقوب
سمعت شقيق بن حيان يحدث عن
مسعود بن قبيصة أو قبيصة بن
مسعود يقول صلى هذا الخبي من
محارب الصبح فلما صلوا قال شاب
منهم سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول انه ستفترق لكم
مشارك الارض ومغار بها وان
عمالها في النار الامن اتقى الله
وأدى الأمانة وقال الامام أحمد
حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان
حدثنا سليم بن عامر عن تميم الدارى
رضى الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ليبلغن هذا
الامر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك
الله بيت مدر ولا وبر الا أدخله هذا
الدين يعز عزيرنا وينزل ذليلنا يعز
الله به الاسلام وذليلنا الله به
الكفر وكان تميم الدارى يقول قد
عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب

الفرق غير خارجة عن الملة والدين اذ جعلهم من أمتهم وقال غيره المراد بها أهل البسعة
والاهواء الذين تفرقوا واختلفوا وظهروا بعده كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة
وغيرهم والمراد بالواحدة هي فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول في قوله وفعله ولم
يقلدوا أحد في خلافه (الامن رحم ربك) أى الأهل رحمته فانهم لا يختلفون وعن عطاء
ابن أبي رباح قال لا يزالون مختلفين أى اليهود والنصارى والمجوس والخنثية وهم الذين
رحم ربك وقال الحسن الناس مختلفون على أديان شتى الامن رحم ربك فمن رحم ربك
غير مختلف وعن مجاهد قال من اختلف أهل الباطل ومن رحم أهل الحق فن الله عليهم
بالتوفيق والهداية الى الدين الحق فانهم لم يختلفوا والامن رحم ربك من المختلفين في
الحق أو دين الاسلام هدايته الى العواب الذى هو حكم الله وهو الحق الذى لا حق غيره
أو الامن رحم ربك بالقناعة والاولى تفسير لجعل الناس أمة واحدة بالجمعة على الحق
حتى يكون معنى الاستثناء في الامن رحم واخفا غير محتاج الى تكلف (ولذلك) أى ولما
ذكر من الاختلاف أو ولرحمته وضح تذكير الاشارة الى الرحمة لكون تأنيتها غير حقيقي
والضمير في (خلقهم) ان كان راجعا الى الناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة
أو اليه والى الرحمة وان كان الى من فالى الرحمة وقيل الاشارة بذلك الى مجموع الاختلاف
والرحمة ولا مانع من الاشارة بها الى شيئين كما في قوله عوان بين ذلك وقوله وابتغ بين ذلك
سبيلا وقوله فبذلك فليفرحوا قال مجاهد خلقهم للرحمة وعن عكرمة نحوه وقال ابن
عباس خلقهم فرحين فرين بقاير رحم فلا يختلفون فري بقاير رحم فيختلف فذلك قوله فتم شقى
وسعيد وقال الحسن وعطاء خلقهم للاختلاف وقال أنسب سألت مالك بن أنس عن هذه
الآية فقال خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير وقال الفراء خلق أهل الرحمة
للرحمة وأهل الاختلاف للاختلاف قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب الرد على المنطقيين
ان القوم كلما بعدوا عن اتباع الرسل والكتب المنزلة كان أعظم في تفرقهم واختلافهم
فانهم يكونوا أضل وقد أمر الله بالجماعة والاتسلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف
فقال تعالى واعصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وقال تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعا لست منهم في شئ وقال ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات
وقد أخبر ان أهل الرحمة لا يختلفون فقال تعالى ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك ولذلك
يوجد اتباع الناس للرسول أقلهم اختلافا كاهل الحديث والسنة فانهم أقل اختلافا من
جميع الطوائف ثم من كان اليهم أقرب كان من الاختلاف أبعد فاما من بعد عن السنة
كالمعتزلة والرافضة فتبجدهم أكثر الطوائف اختلافا واما الاختلاف الفلاسفة فلا
يحصره أحد وقد ذكر أبو الحسن الأشعري في كتاب المقالات مقالات غير الاسلاميين
عنهم من المقالات ما لم يذكره القاربي وابن سينا وأمثالهما وكذلك القاضي أبو بكر بن
الطيب في كتاب الدقائق الذى ردفه على الفلاسفة والمنجمين ورجح فيه منطوق

من اسلم منهم الخير والشرف
والعز ولقد أصاب من كان كافرا
منهم الذل والصغار والخزبة وقال
الامام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه
حدثنا الوليد بن مسلم حدثني ابن
جابر سمعت سليمان بن عامر قال سمعت
المقداد بن الأسود يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يبقى على وجه الأرض بيت
مدر ولا وبر الا دخلته كلمة الاسلام
يعزز عزها ويذل ذليلها اما بعزهم
الله فيجعلهم من أهلها واما بذلهم
فيهدون لها وفي المسند أيضا
حدثنا محمد بن أبي عدي عن ابن
عون عن ابن سيرين عن ابي حذيفة
عن عدي بن حاتم سمعه يقول دخلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا عدي اسلم تسلم فقلت انى من
أهل دين قال انا أعلم بدينك منك
فقلت أنت أعلم بديني منى قال نعم
أست من الركوسية وأنت تأكل
مرباع قومك قلت بلى قال فان
هذا لا يحمل لك في دينك قال فلم يعد

المتكلمين من العرب على منطق اليونان وكذلك متكلمة المعتزلة والشيعة وغيرهم في ردهم على الفلاسفة ذكروا أنواعا من المقالات وردت وهاولكن مذهب الفلاسفة الذي نصره الفارابي وابن سينا وأمثالهما كالسهروردي المقتول على الزندقسة وكأبي بكر بن الصائغ وابن رشد الحفيد هو مذهب المشائين أتباع أرسطو صاحب المنطق وهو الذي يذكروه الغزالي في كتاب مقاصد الفلاسفة وعليه رد في التفات وهو الذي يذكروه الرازي في المنخص والمباحث المشرقية ويذكروه الأمدى في دقائق الحقائق ورموز الكونوز وغير ذلك وعلى طريقته مشي أبو البركات صاحب المعبر لكن لم يقادهم تقليد غيره بل اعتبر ما ذكروه بحسب نظره وعقله وكذلك الرازي والأمدى يعترضان عليهم في كثير مما يذكرونه بحسب ما ينسخ لهم وابن سينا أيضا قد يخالف الأولين في بعض ما ذكره والفلاسفة طوائف كثيرة و بينهم اختلاف كثير في الطبيعيات والالهيات وفي الهيئة أيضا وأول من خلط منطقهم بأصول المسلمين أبو حامد الغزالي وتكلم فيه علماء المسلمين بما يطول ذكره وهذا الرد عليهم مذكور في كثير من كتب أهل الكلام والفلاسفة ليسوا أمة واحدة لاهمالة في العلم الإلهي والطبيعي وغيرهما بل هم أصناف متفرقون و بينهم من التفرق والاختلاف ما لا يحصىه إلا الله أعظم مما بين الملة الواحدة كاليهود والنصارى أيضا فافاضة المقصود انظار المسلمين ما زالوا يصنفون في الرد عليهم في المنطق وغير المنطق ويثبتون خطأهم فيما ذكروه جميعا اذ لا يحكم بين الناس فيما تنازعوا فيه إلا كتاب منزل ونبي مرسل كما قال تعالى وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلفوا فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ولهذا قال تعالى فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا انتهى المقصود بتصريف العبارة وحاصل الآية ان الله خلق أهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين وحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم إلى النار وحكم على بعضهم بالرحمة ومصيرهم إلى الجنة وهم أهل الاتفاق ويدل لصحة هذا قوله (وعت كلمة ربك) أي ثبت كما قدره في أزه واذ اتمت وحقت ووجبت امتنعت من التغيير والتبديل وقيل الكلمة هي قوله للملائكة (الأملاءن جهنم من الجنة) أي الجن والتاء للمبالغة (والناس أجمعين) أي من يستحقها من الطائفتين (وكلا) أي وكل بنا فالنسوة عوض عن المضاف إليه (نقص عليك) أي تخبرك به مما يحتاج إليه وقوله (من أنباء الرسل) بيان لكلا وقوله (ما ثبت به فؤادك) يدل منه والظاهر ان يكون المضاف إليه المحدوف في كلا المفعول المطلق لنقص أي كل اقتصاص أي كل أسلوب من أساليبه نقص عليك من أنباء الرسل وقوله ما ثبت مفعول نقص وفائدته التنبيه على ان المقصود بالاقتصاص زيادة يقينته عليه السلام

أن قالها فتواضعت لها قال أما اني أعلم ما الذي يمنعك عن الاسلام تقول انما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب أتعرف الحيرة قلت لم أرها وقد سمعت بها قال فوالذي نفسي بيده ليعين الله هذا الامر حتى تخرج الطعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت من غير جوار أحد ولتفحص كنوز كسرى ابن هرمز قلت كسرى بن هرمز قال نعم كسرى بن هرمز وليبدلن المال حتى لا يقبله احد قال عدى بن حاتم فهذه الطعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت من غير جوار أحد ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز والذي نفسي بيده لتكون الثالثة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قالها وقال مسلم حدثنا ابو معن زيد بن يزيد الرقاشي حدثنا خالد بن الحرث حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن الاسود بن العلاء عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله

وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذية الكفار بالوقوف على تفاصيل
أحوال الأمم السالفة في تماديهم في الضلال ومالقي الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق
لان تكاثر الأدلة أثبت للقلب وأرسخ في النفس وأقوى للعلم (وجاءك في هذه) أى السورة
قاله ابن عباس وأبو موسى الأشعري وسعيد بن جبير والحسن وعليه الاكثر وفي هذه الدنيا
قاله قتادة وفيه بعد لانه لم يجز للدنيا كروقي في هذه الآية أو في هذه الانبياء (الحق) أى
البراهين القاطعة الدالة على صحة المبدأ والمعاد وقيل النبوة وعلى الاول يكون تخصيص
هذه السورة بمجىء الحق فيها مع كونه قد جاء في غيرها من السور لقصديان اشتمالها على
ذلك لا بيان كونه موجودا فيها دون غيرها وقيل لانها جمعت من اهلاك الامم وشرح
حاله مما يجتمع غيرها وقيل خصها بالذكر تشريفا لها والتعريف في الحق اما للجنس
أو للعهد وانما عرفه ونكر تاليه تنفيها له لكونه يطلق على الله بخلاف تاليه (وموعظة)
يتعظ بها الواقف عليها اذ ان ذكر احوال الامم الماضية (وذكرى للمؤمنين) أى تذكرة
بها من تفكر فيها منهم وخص المؤمنين لكونهم المتأهلين للاتعاظ والتذكر (وقل للذين
لا يؤمنون) بهذا الحق ولا يتعظون ولا يتذكرون (اعملوا) حال كونكم قارين وثابتين
(على مكاتبتكم) على تمسكنكم وحالكم وجهتكم من الكفر وقد تقدم تحقيقه وقال
قتادة على منازلكم (انا عاملون) على مكاتبتنا وحالنا وجهتنا من الايمان بالحق والاتعاظ
والتذكر وفي هذا تشديد للوعيد وتهديد لهم (وانتظروا) عاقبة أمرنا وقال ابن جرير
انتظروا مواعيد الشيطان اياكم على ما يزين لكم (انا منتظرون) عاقبة أمركم وما يحل
بكم من عذاب الله وعقوبته وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى (ولله غيب السموات
والارض) أى علم جميع ما هو غائب عن العباد فيهما وخص الغيب مع كونه يعلم بما هو
مشهود كما يعلم بما هو مغيب لكونه من العلم الذي لا يشاركه فيه غيره وقيل ان غيب
السموات والارض نزول العذاب من السماء وطلوعه من الارض والاول اولى وبه قال أبو
على الفارسي وغيره وأضاف الغيب الى المفعول توسعا (واليه يرجع) بالبناء للقاعل يعود
وللمفعول يرد (الامر كله) أى أمر الخلق كلهم في الدنيا والآخرة فيجازى كلا بعمله فينتقم
من عصى وينيب من أطاع وقال ابن جرير فيقضى بينهم بحكم العدل (فاعبدوه وتوكل
عليه) فانه كافيك لكل تكره ومعطيك كلما تحب والفاء لترتيب الامر بالعبادة والتوكل
على كون مرجع الامور كلها الى الله سبحانه قيل هذا الخطاب له ولجميع الخلق مؤمنهم
وكافرهم وفي تأخير الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار بأنه لا ينفع دونها (ومار بنك
بغافل عما تعملون) بل عالم بجميع ذلك ومجاز عليه ان خيرا خيرا وان شرا شرا وقرأ أهل
المدينة والشام وحفص بالفوقية على الخطاب وهي سبعية والباقون بالتحسية وهم الجمهور
وأخرج عبد الله بن أحمد وابن الدريس وابن جرير وأبو الشيخ عن كعب الاحبار قال

صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب
الليل والنهار حتى تعب مداللات
والعزى فقلت يا رسول الله ان كنت
لا تظن حين أنزل الله عز وجل هو
الذي أرسل رسوله بالهدى ودين
الحق الآية ان ذلك نام قال انه
سيكون من ذلك ماشاء الله عز وجل

فاتحة التوراة فاتحة الانعام وخاتمة التوراة
خاتمة هود والله غيب السموات
والارض الى آخر
الآية

ثم يبعث الله ريحاً طيبة فيتوفى
كل من كان في قلبه مثقال حبة
خردل من إيمان فيسبغ
من لا خير فيه
فيرجعون الى
دين آبائهم

الى هنا ما يخص الجزء الرابع ويليه
الخامس آوله يا أيها الذين آمنوا
ان كثير من الاحبار والرهبان

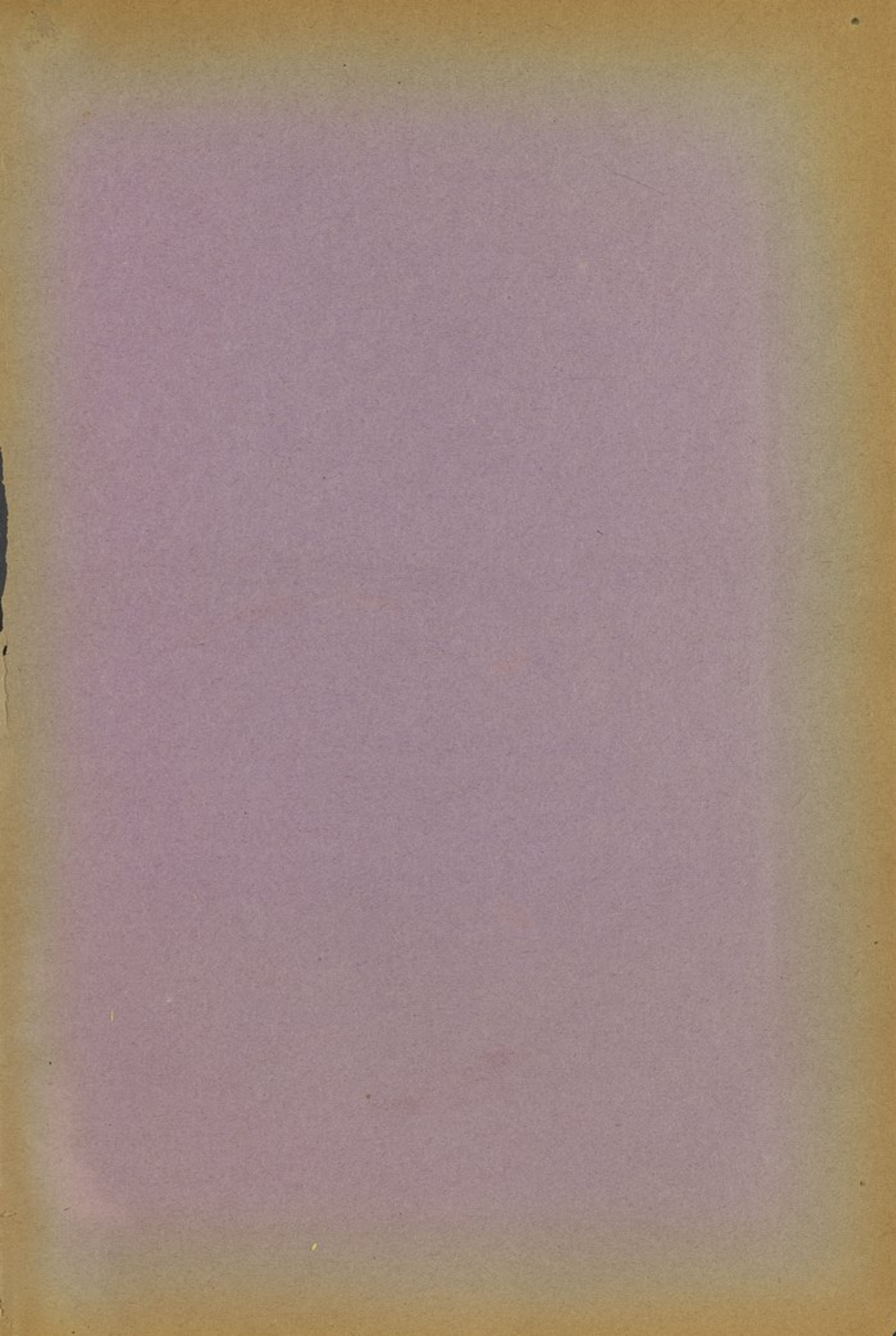
ولما اقتطف من جنى هذا التفسير الداني وقاز من لطائف مساهمته بما يزرى بمغازلة
الخورا لغواني الخبر الفهامة والبحر التكلامة ترجمان القرآن وشارح قول سيد
عدنان زبدة الفضلاء الكرام عمدة العلماء الاعلام الشيخ محمد بن عبد الله الزوالق
مفتي مدينة الزيدية رفع الله شأنه في البرية كتب مقرطاله ما نصه

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

الحمد لله الذي أهل الخدمه كتابه العزيز من اختاره من عباده وجعلهم خزنة علمه وعبية
اسراره ومطلع أنواره وخلفاء أنبيائه في أقطار بلاده والصلاة والسلام على نبي الرحمة
وهادي الامة وأفضل ناطق بالحكمة وعلى آله الأئمة وأصحابه مصابيح الظلمة
(وبعد) فقد وقفت على هذا التفسير الخطير والمنهل العذب النير الذي جمع بين
الرواية والدراية وسبق بسهولة التعبير وحسن التقرير الى أقصى غاية فلفقه مدني
الله مؤلفه من مفاتيح الغيب علما كشف المشكلات التأويل وفهما يعلم الخبر الخبير أسرار
البلاغة في معالم التنزيل كيف لا ومؤلفه المتسلسل من ذؤابة أبي السبطين والحائز
لشرفين السيد الامام صدر العلماء الاعلام أجمل المسنين وعمدة الحفاظ
المحدثين المعتمدين شريف النجار عظيم المقدر الذي اقتضت به به وبال على جميع
الأقطار وانتشرت بوجوده علوم السنة والآثار (نواب والاجاه أمير الملك السيد محمد
صديق حسن خان بهادر) لازال مشرفا بذكر كاله الباهر شجما بحماية الملك القادر فقد
برهن هذا التفسير الجليل بأنه حفظه الله قد جلي في سبقه وسطعت شمسه العلوم من أفقه
ولغت أنوار التحقيق عن برقه واسمته البحر والنهر من ودقه أغزر الله وبه وأحياه العلم
وأهله وبارك في عمره ونشر في الآفاق أعلام فضله ونفخه أمين
يا طالب التفسير ان أغلقت * أبوابه دونك فتح البيان

وان تكن أبحائه أشكات * واستجمعت فلولها ترجان
 لله نفس سير بديع بدا * ألقه الحبر ووحيد الزمان
 أتى أخير العصر لـمـكنه * سباق غايات بيوم الرهان
 يقول من سمع ألفاظه * هذا جناء يانح أم جنان
 لا زال بدرا في سماء العلى * مظفر الملائك منيع المكان
 كتبه العبد الفقير محمد بن عبد الله الزوال المعروف بابن صائم
 الدهر الحسيني مفتي مدينة الزيدية غفر الله له آمين
 بتاريخ ضلع ذى الحجة الحرام
 ختم سنة ١٢٩١
 الهجرية

(تم الجزء الرابع و يليه الجزء الخامس أوله سورة يوسف)



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0037852795

جزء
فخ اليبا
وباشه
الانسان

BUTLSTAX
BP
130.4
.M79
1882g
v.4